

فتوح الغيب

للإمام الربّاني الشيخ عبد القادر الجيلاني
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (المتوفى ٥٦١هـ)

تلخيص شرح فتوح الغيب
للشيخ عطاء الله البتلادي الكجراتي

دراسة وتحقيق وتخریج
محمود علي المشاهد المصباحي
الأستاذ بالجامعة الأشرفية مبارك فور، الهند

تهذيب وتبييض
العلامة رياض احمد السعيد حفظه الله

عني بطبعه ونشره

جماعت رضاے مصطفیٰ، یو. کے

رقم المنشور

SHARHE FUTOOHULGAIB

AUTHOR:

**SHAIKH
ABDULQADIR JEELANI
RAHMATULLAH**

SUMMARY:

**SHAIKH
ATTAULLAH PATLADI
(GUJRATI)**

EDITEDBY:

**MAULANA MAHMOOD ALI
MUSHAHIDI MISBAHI**

PUBLISHEDBY:

**JAMATE RAZAYE
MUSTAFA
(U.K)**

شرح فتوح الغيب

للإمام الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني
رحمه الله تعالى (المتوفى ٥٦١ هـ)

تلخيص شرح فتوح الغيب

للشيخ عطاء الله البتلادي الكجراتي

دراسة وتحقيق وتخریج

محمود علي المشاهدي المصباحي
الأستاذ بالجامعة الأشرفية مبارك فور، الهند

تهذيب وتبييض

العلامة رياض احمد السعيدى حفظه الله

عني بطبعه ونشره

جماعت رضاے مصطفى، یو۔کے

TOKEN OF THANKS

This book would not have been possible to publish were it not for the financial help extended by the following individuals for the Isal al-Thawab of their beloved ones:

Members of **Jama'at Raza-e-Mustafa**, UK:

1. Hazrat Allama Muhammad Iqbal Noori Misbahi-Chief head
2. Mawlana Maqsud Misbahi
3. Mawlana Ibrahim Misbahi
4. Mawlana Muhammad Mohsin Razawi
5. Mawlana Muhammad Nizamuddin Misbahi
6. Mawlana Muhammad Sultan - Holland
7. Mawlana Muhammad Shafi' Nabipuri
8. Qazi Mushtaq
9. Haji Shafiq Bhai Assuriawala- Bolton
10. Haji Musa Bhai Natha - Blackburn

Also, special thanks to **Ali Sagheer (Preston)** who has helped us publish this book for the isaal e thawab of **Sagheer** family's marhum.

May Allah Most Exalted send the reward of this book to all their deceased [*marhum*] relatives, and may He grant them the loftiest station in *Jannah*...Ameen

شارح فتوح الغيب الشيخ عبد العزيز قدس سره

اسمه : هو الشيخ عبد العزيز بن ولي محمد المخالدي الفتني قدس سره
مولده و مسكنه : ولد الشيخ - رحمه الله تعالى - في مدينة فتن
[PATTAN] وهي بلدة شهيرة من ولاية كجرات [GUJRAT] ، ثم ارتحل
إلى بلدة أحمدآباد، والتحق بالمدرسة العلوية التي أسسها أستاذ الهند الشيخ وجيه
الدين - رحمه الله تعالى - و تلمذ على الشيخ العلوي قدس سره، واشتغل
بتحصيل العلوم العقلية والنقلية وفتح الله تعالى عليه أبواب العلوم حتى تعمق
وأتقن فيها.

إن الشيخ عبد العزيز - رحمه الله تعالى - لازم عتبة شيخه مدة الحياة،
وجعله شيخه مدرسا في مدرسته لكمال ذكاوته و مهارته في العلوم و الفنون فأفاد
خلقا كثيرا من العلماء والفضلاء، واشتغل طول حياته في نشر العلم والدين،
والتصنيف والتأليف، وبعد ما مضت أيام أجلسه شيخه على مسند الإفتاء و
جعله مجازا للفتوى فما زال الشيخ - رحمه الله تعالى - يفتي إلى آخر حياته.
له مصنفات كثيرة تدل على غزارة علمه و سعة إطلاعه في العلوم
والفنون، هكذا ذكره الشيخ ملك أحمد الفاروقي - قدس سره - في رسالته
خلاصة الوجيه

تأليفاته: توجد مصنفاته في صورة المخطوطات في المكتبات الهندية، مثلا :

• المكتبة پير محمد شاه بأحمدآباد • المكتبة خدا بخش پٹنه، وغيرها.

نذكر ههنا أسماء بعض مؤلفاته، والمقصود هو المثال لا حصر جميع

مؤلفاته، وهي فيما تلي:

شرح فتوح الغيب • آداب اللحية • شرح حقيقت محمدية • شرح مولود

للجزري • الفتوحات العزيزية • ذريعة المقبول في بيان صلاة إلى حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم • شرح رسالة جنات عدن.
أثنى عليه علماء عصره و اعترف بفضائله و كمالاته و سعة إطلاعه في العلوم والفنون .

وفاته: توفي الشيخ عبد العزيز - رحمه الله تعالى - ٨ / شعبان المعظم ١٠٣٠ الهجري - سقى الله تعالى ثراه وجعل الجنة مثواه، ونفعنا ببركاته -
شرح فتوح الغيب: الآن هو بين أيديكم صنفه الشيخ - رحمه الله تعالى - بعد استخارة كما ذكر في خطبة الكتاب حيث قال :

يقول الفقير إلى الله الرب العلي عبد العزيز بن ولي محمد رزقه الله تعالى الرضا، وشرفه باللقاء من الأسلاف والأحباء في داربي الفناء والبقاء: إن بعض أعزة الإخوان وهو الأخ الصالح معدن المروة والإخلاص، مخزن المحبة والاختصاص، كامل الحياء، عامل الوفاء، جامع الفضل والكمال أعني الشيخ جمال الجونفوري في الأصل، وكجراتي الحال، وطالب الإقامة بالمدينة المشرفة في المال - ثبتني الله تعالى وإياه في تجليات الجلال والجمال، وأوصلني وإياه إلى ذرة الكمال - أشار إلى أن أتصدى لحل عبارات كتاب جليل الشأن بلا ريب المسمى بـ "فتوح الغيب" المنسوب إلى المحقق العارف الكامل المكمل العالم المخاطب بـ شيخ السالكين موصل الطالبين القطب الرباني الغوث الصمداني المحبوب السبحاني السيد عبد القادر الجيلاني - رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا - فتفكرت في نفسي أنه أمر عظيم الخطر، مشوب بالنفع والضرر، وصرت أقدم رجلا و أؤخر أخرى، واستخرت الله تعالى في إلهام الصواب وذلك دأبي في كل باب أياما متتالية مع لياليها، متضرعا إليه و إلى رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام من الملك العلام، وإلى روح شيخي المحقق الكامل العامل أستاذ العالمين سيد العارفين الشيخ وجيه الدين والحق - قدس الله تعالى سره و رزقنا فتوحه و رفع في الملاء الأعلى ذكره -، و إلى روح شيخي موصل الطالبين سلطان المحققين

برهان العاشقين مغبوط المعشوقين من أفاضل بني آدم السيد محمد المخاطب من عند الله تعالى بـ ”شاه عالم“ - قدس سره و أوصل إلينا بره - و إلى روح الشيخ المحقق صاحب الكتاب قائل الصواب مقبول العالم الغوث الأعظم محيي الحق والدين السيد عبدالقادر الحسيني والحسيني - رضي الله تعالى عنه، نفعلنا الله تعالى من بركاته، ورزقنا من فتوحاته -.

وذلك في أيام الخلوة التي التزمت فيها على الأربعين، وشرطت أن لا أشرع إلا يوما أرسل الله تعالى فيه فتوح الغيب حتى تحقق القبولية بلا ريب، فجاء الفتوح المشروح شيئا حلوا مرغوبا ليلة الخميس السابعة والعشرين من شعبان من شهور السنة السادسة عشر على الألف، فشرعت صبيحة ذلك بعد صلاة الضحى مستعينا بالله الكريم و متوكلا عليه سائلا منه و متوجها إليه. [المخطوطة، ص : ١، ٢]

النسخة الخطية لهذا الشرح محفوظة عندي، وجدها بعد تفحص كثير من المكتبة پير محمد شاه بأحمدآباد لكن الأسف كل الأسف قد محت عبارات النسخة من أكثر الصفحات، و فيها بياض في مواضع لا تعد ولا تحصى لذا لا يمكن لنا الاعتناء بنشره، وما وجدت إلى الآن نسخة أخرى وقد بذلت أقصى مجهوداتي في هذا السبيل.

مرة ذهبت إلى الهند قبل سنتين لعيادة والدتي لكن الأسف أنها توفيت خلال سفري من يو، كے إلى الهند - رحمه الله تعالى و أدخلها الجنة برحمته - و أقمت هناك أياما وفي تلك الأيام سافرت إلى عدة بلاد كجرات حتى ذهبت يوما إلى مكتبة پير محمد شاه بأحمدآباد كجرات فوجدت هناك تلخيص هذا الشرح للشيخ عطاء الله البتلادي - رحمه الله تعالى -، وقد لخصه الشيخ لولده الأعز المدعو بـ محمد - رحمه الله تعالى - فالتمست لمدير المكتبة الشيخ محي الدين المعروف بـ ”بمبئي والا“ أن يعطيني صورة المخطوط؛ لأنني أريد نشره بعد تحقيق و تصويب فقبل المدير التماسي ففرحت غاية الفرح و قلت لمولانا المقرئ عباس -

حفظه الله - أن يأخذ من المدير صورة المخطوط ويرسلها إلي عاجلاً ، ثم رجعت إلى يو، كے، حتى أرسلها المقرئ عباس إلى بعد شهر، فله الحمد وله الشكر.

لما وجدت هذه النسخة الشريفة شاورت بعض أخلائي الخالص حتى جمع رأيهم على العلامة رياض أحمد السعيدى - حفظه الله - ثم التمس منه أن يعمل عليها فتقبل كلامي و شمر ذيله لهذا العمل حتى أرسلتها إليه للتبليغ والتهديب فقام بتخطيطه و تهذيبه بكل رغبة ولهفة وبعد ما تم العمل منه أرسلتها إلى الشيخ المحقق محمود علي المشاهدي المصباحي - حفظه الله تعالى - الأستاذ بالجامعة الأشرفية بمبارك فور، الهند للتحقيق والتخريج والتصحيح مما بقي من الأخطاء فعمل الشيخ كما هو دأبه في التحقيق، وقرأها بإمعان النظر، وبذل قصارى جهده في التصحيح مع هذا يمكن أن يكون هناك شيء من الخطأ؛ لأنه غير مأمون من الخطأ والنسيان، والله الموفق للصواب.

أخيراً نشكر كل من ساعدني في هذا المجال ومد إلينا يد التعاون سيما العلامة رياض أحمد السعيدى والشيخ المحقق محمود علي المشاهدي، والأخ المقرئ عباس، والشيخ محي الدين مدير المكتبة بير محمد شاه، والأخ الحاج علي صغير الذي حمل على عاتقه نفقات الطبع والنشر - حفظهم الله تعالى -

أدعو الله تعالى أن يجزي كل من ساهم في تخريج هذا السفر العلمي، ويوفقهم للمزيد.

محمد نظام الدين المصباحي

رئيس هيئة التدريس بدار العلوم الغوثية الرضوية يو كے.

ترجمة الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله تعالى -

الإعداد: محمود علي المشاهدي المصباحي
الأستاذ: بالجامعة الأشرفية، بمبارك فور، الهند

نسبه الطاهر :

هو محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داؤد ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبد الله المحض يلقب بالمبجل ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف معدن الجود والعفاف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(١)

أمه :

أمه رضي الله عنها، أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي الزاهد بن أبي جمال الدين محمد بن محمود بن محمود بن ظاهر بن أبي العطاء عبد الله بن كمال الدين عيسى بن أبي علاء الدين محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٢).

نقل عنها أنها كانت تقول غير مرة : لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع

(١) هذا النسب الحسنی الطاهر، وثقته المراجع والمصادر القديمة والحديثة

(٢) ذكر هذا النسب في كتاب في فتوح الغيب في طبعته القديمة ١٢٨٣ هـ في مصر.

ثديي في نهار رمضان وغم على الناس هلال رمضان، فأتوني تسألوني عنه، فقلت لهم : إنه اليوم لم يلقم لي ثديا، ثم اتضح أن ذلك اليوم من رمضان، واشتهر ذلك ببلاد جيلان أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان.

حكى الشيخ العارف البيساني قال : كنت بمجلس شيخنا محيي الدين عبد القادر - رضي الله عنه - ببغداد، وكان يتكلم على الناس فقطع كلامه، ودمعت عيناه، فقيل له في ذلك : فقال : الآن ماتت أمي بجيلان، قال : فأرخنا ذلك اليوم، ثم بعد مدة قدم إلى بغداد ركب من العجم فيه جماعة من أهل جيلان، وأخبروا بموتها في ذلك الوقت الذي أرخنه.

نسبته :

هو منسوب بجيل - بكسر الجيم وسكون الياء ولام آخر الحرف - وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، وبها ولد بقصبة منها، ويقال فيها : جيلان، وكيلان على دجلة مما يلي طريق واسط.

ولادته :

قال العارف أبو بكر عبد الرزاق ابن الشيخ محيي الدين عبد القادر - رضي الله عنه - : سألت والدي عن مولده، فقال : لا أعلمه حقيقة لكن قدمت إلى بغداد في السنة التي مات فيها التميمي وعمري إذ ذاك ثمانى عشرة سنة.

طفولته :

قال الشيخ عبد القادر - رضي الله عنه - : لما كنت صغيرا في بلد أهلي كلما هممت أن ألعب مع الصبيان أسمع قائلا يقول لي : يا مبارك! فأهرب فزعا منه و ألقى نفسي في حجر أمي، وإني لأسمع الآن هذا في خلوتي. وقال رضي الله عنه : ولما كنت صغيرا في المكتب كنت أتعلم في كل يوم ما لا يتعلمه غيري في أسبوع.

مناقبه :

إن مناقبه كثيرة، وقد ذكر الشيخ عبد العزيز - رحمه الله تعالى - في مقدمة شرح

فتوح الغيب نبذا من مناقبه، أنا أذكر مقتبسا منها حذرا من طول الكلام، و تبركا و
 تيمنا بشرحه، و هو مخطوط إلى الآن، و موجود في مكتبة پير محمد شاه بأحمدآباد،
 كجرات و قد تلاعبت به أيدي النساخ، و ذهبت بأكثرها ديمة مع كر الدهور و مر
 النهار، ولا يمكن الاعتناء بنشره كاملا، و إني رأيت مقدمته فظننت أن كلامه أخصر و
 أجمع في مناقب الشيخ عبد القادر جيلاني -رحمة الله تعالى- فنقلت منه ما أمكن لي، وها
 هو ذا، قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

أما المناقب فهي وإن كانت خارجة عن الحصر والعد، كيف وقد نقل الشيخ
 العارف الكامل الأجل الأجد المخدم الشيخ أحمد المغربي أن مناقبه -رضي الله
 عنه- جليلة لا يسعها أوراق الرياحين، ولا تكملها أغصان البساتين، ومراتبه عالية لا
 يكاد يعثر عليها صناديد العارفين، أو تحيط بها أساليب الواصفين، لو زبرتها ألسن
 الأقلام لقصرت، ولو نمقتها أنملة الأنام لأعيت لكن نذكر هنا شيئا من جذورها
 وقطرة من بحورها، وهو ما جاء من شيخنا الكبير شعيب المغربي أنه قال :

لقيت الخضر عليه السلام فسألته عن مشائخ المشرق والمغرب في عصرنا،
 وسألته عن الشيخ عبد القادر، فقال : هو إمام الصديقين، وحجة على العارفين،
 وهو روح في المعرفة و شأنه عظيم بين الأولياء، وأنا أحرك مراتب الأولياء من وراء
 إشارته. ثم حكى واقعة نفسه، وقال : إني رأيت رؤيا وقعت في ليلة سابعة من ربيع
 الآخر خلت سنة ثمان و ثلاثين و ثمان مائة أن شيخا جاءني من جانب القبلة و في
 إحدى يديه طاقية و على الأخرى عمامة، فقلت : من أنت؟، قال : أنا الشيخ عبد
 القادر الجيلاني، فأعطاني الطاقية، فوضعتها على رأسي، ثم أعطأ أحد جانبي العمامة
 بيدي، وأخذ جانبه الأخرى بيده فكورت العمامة كلها على رأسي، فاستيقظت،
 فحمدت الله تعالى، هذا كلامه.

ونقل عنه [أي الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى] أنه قال : كنت صغيرا وقد
 خرجت يوم عرفة إلى الصحراء في عقب بقرة للحراثة، فتوجه إلي البقرة وتكلم
 معي، و قالت : يا عبد القادر! ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت فخفت و رجعت، و

صعدت على ظهر قصر بيتي فكشف لي، فرأيت وقوف الحجاج في العرفات، فنزلت وذهبت إلى أمي، وقلت لها :

كليني إلى الله تعالى و رخصيني أن أروح إلى بغداد ، و أشتغل بالعلم، و ألاقي الصلحاء، و أزور الأولياء، فسألتنني عن سبب هذه الداعية، فقلت لها خبر البقرة و رؤية الحجاج، فبكت و قامت و أخرجت ثمانين ديناراً كانت من ميراث أبي، فأعطاني منها أربعين ديناراً، و أبقت لأخي أربعين، و خاطت تلك الدينار في ثوب لبسته، و أذنت لي بالسفر، و عاهدتني بالصدق في جميع الأحوال، و قالت : قل صدقا البتة، ولا تكذب أصلاً، و خرجت معي للوداع، و قالت : رح يا ولدي قطعت منك لله، ولا أريك إلى يوم القيامة.

فسافرت مع قافلة قليلة متوجها إلى بغداد، فلما جاوزت همدان ظهر ستون راكبا من قطاع الطريق و أخذوا القافلة و نهبوا، و لم يتعرض لي أحد فينبأهم في نهب و غارة إذ مر علي واحد منهم، و قال : يا فقير! هل معك شيء؟، قلت : أربعون ديناراً، قال : فأين هي؟، قلت : خطت في ثوبي تحت إبطي، فظن أني أستهزأ معه فتركني و راح، فجاء آخر و سألني [مثل الأول]، و قلت له ما قلت للأول، فذهبا و أخبرا بهذه الواقعة لأمرهم، فطلبني و سألني، و قلت له ما قلت لهما، بأمر بتفحص الثوب، فوجدوا ما قلت لهم، فقال : ما حملك على إفشاء هذا السر، قلت : عهدت إلى أمي بصدق المقال في جميع الأحوال فأنا لا أخون في عهديها، فبكى أميرهم و قال: هذا الصغير الفقير لا يخون في عهد أمه في ضرر، و أنا قد خنت مذ سنين في عهد ربي فتأب على يدي، فتابعه جميع أتباعه، و قالوا : كنت رئيسا لنا في قطع الطريق فكُن لنا رئيسا في التوبة و إصلاح الطريق، فتأبوا جميعا على يدي، و أعطوا القافلة ما أخذوا منها - و كان ذلك سنة ثمان و ثمانين و أربع مائة، و كان عمره إذ ذاك سبعا و عشرين- فوصل بغداد و اشتغل بتحصيل العلوم أولا بقراءة القرآن ثم بالفقه والحديث والفنون الأدبية حتى فاق على الأولين في قليل من الأيام وامتاز بين أهل الزمان، و في سنة إحدى و عشرين و خمس مائة عقد مجلس الوعظ، و توالى منه

ظهور الكرامات، وكشفت له المقامات، واشتهر في الآفاق، واستفاد منه الخلائق.

و من مناقبه : ما أخبره بنفسه جلست أحد عشر سنين خلوة في برج و عهدت مع الله تعالى أن لا أكل حتى أؤكل و وضع اللقمة في فمي، و لا أشرب حتى أشرب، وهكذا جرت العادة حتى مرت علي مدة أربعين يوما ما أكلت شيئا ولا شربت، فجاءني شخص بطعام و تركه عندي، و راح، ومالت إليه النفس حتى كادت أن تقع عليه لكثرة الجوع، قلت : والله لا أخالف العهد الذي عاهدته مع الله تعالى، فسمعت من باطني صيحة الجوع الجوع، فبينما في تلك الحالة إذ مر علي الشيخ أبو سعيد المخزومي - رحمه الله تعالى - و سمع تلك الصيحة، فقال : ما هذا، يا عبد القادر؟، قلت : هذا قلق النفس و اضطرابها، فأما الروح فهي على قرار من مشاهدة الرب تعالى، فقال: جئ إلى بيتي و راح، وقلت في نفسي : أنا لا أخرج إذ جاءني أبو العباس خضر عليه السلام و قال : قم إلى أبي سعيد، فجئته فرأيته قائما على الباب ينتظرني، وقال : يا عبد القادر! ما يكفيك قولي حتى احتجت إلى قول خضر - عليه السلام - فأدخلني في البيت فجاء بطعام، و وضع في فمي لقمة لقمة حتى شبع ثم ألبسني خرقة فلازمت صحبته.

وذكروا في طريقة خرقة خلافته - قدس سره - أنه لبس الخرقة من يد الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي، وهو لبس من يد الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي، وهو لبسها من يد الشيخ أبي الفرج الطرسوسي، وهو من يد الشيخ أبي الفضل عبد الواحد التميمي، وهو من يد الشيخ أبي بكر الشبلي، وهو من يد الشيخ أبي القاسم جنيد البغدادي، وهو من يد خاله الشيخ السري السقطي، وهو من يد الشيخ المعروف الكرخي، وهو من يد الشيخ داود الطائي، وهو من يد الشيخ حبيب العجمي، وهو من يد سيد التابعين الشيخ أبي الحسن البصري، وهو من يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، وهو من يد سيد الخلق كله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو من يد جبرئيل بأمر الله تعالى خالق الكل.

و منها ما نقل عن الشيخ أبو محمد عبد الرحمن الطفسونجي - رحمه الله تعالى- أنه قال يوما على المنبر : أنا بين الأولياء كالكركي بين الطيور أطولهم عنقا، وفي جماعته الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد من أصحاب الغوث الأعظم، فقام وأخرج دلقه ، وقال : دعني أصارع معك، فسكت الشيخ عبد الرحمن عن جوابه، وقال لأصحابه : ما رأيتم فيه شعرة خالية من عنايات الله تعالى، وقال : البس جبتك، فقال : أنا لا أعود إلى ما خرجت عنه، وصرف وجهه إلى قرية، ونادى امرأته، يا فاطمة! هات الثوب لألبسه فسمعت زوجته من هناك فخرجت بثوب فلقيته في الطريق.

و سأله الشيخ عبد الرحمن من شيخك؟، فقال : شيخي الشيخ عبد القادر، فقال : أسمع ذكر الشيخ عبد القادر في الأرض، وأنا منذ أربعين سنة في الدرجات بباب القدرة فما رأيته هناك أصلا، وقال لجماعة من أصحابه : روحوا إلى بغداد إلى الشيخ عبد القادر، وقولوا له : عبد الرحمن يبلغك السلام، ويقول : منذ أربعين سنة أنا في الدركات بباب القدرة فما رأيته هناك لا داخلا ولا خارجا. والغوث الأعظم قال في ذلك الوقت لبعض أصحابه: روحوا إلى طفسونج و يلاقيكم في الطريق أصحاب الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي أرسلهم إلي برسالة فارجعوهم معكم إلى الشيخ عبد الرحمن، فإذا حضرتم عنده قولوا له : عبد القادر يبلغك السلام ويقول : أنت في الدركات و من هو في الدركات لا يرى من هو في الحضرة، ومن هو في الحضرة لا يرى من هو في المخدع، وأنا في المخدع أدخل وأخرج من باب السر من حيث لا تراني، بإمرة أن خرجت لك الخلعة الفلانية في الوقت الفلاني على يدي خرجت لك وهي خلعة الرضا، وإمرة خروج الشريف الفلاني في الليلة الفلانية على يدي خرج لك وهو تشريف الفتح، [و بإمرة أن خلع عليك في الدركات بمحضر اثني عشر ألف ولي الله تعالى خلعة الولاية، وهي فرجية خضراء طرازها سورة الإخلاص على يدي خرجت لك، فانتهاوا إلى نصف الطريق فوجدوا أصحاب الشيخ عبد الرحمن فردوهم و أتوهم إليه، وبلغوه رسالة الشيخ عبد

القادر، فقال : صدق الشيخ عبد القادر سلطان الوقت صاحب التصريف فيه.^(١)

ثناء العلماء عليه :

قال الإمام النووي: ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد، و انتهت إليه رئاسة العلم في وقته، و تخرج بصحبته غير واحد من الأكابر، و انتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة وانهقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام والرجوع إلى قوله والمصير إلى حكمه وأهرع إليه أهل السلوك - التصوف - من كل فج عميق. وكان جميل الصفات، شريف الأخلاق، كامل الأدب والمروءة، كثير التواضع، دائم البشر، وافر العلم والعقل، شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه، معظماً لأهل العلم، مُكْرَماً لأرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدع والأهواء، محباً لمريدي الحق مع دوام المجاهدة، ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عال في علوم المعارف، شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى، سخي الكف، كريم النفس على أجل طريقة، وبالجملة لم يكن في زمنه مثله.^(٢)

قال الإمام العز بن عبد السلام : إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر.^(٣)

قال الذهبي: الشيخ عبد القادر الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد

(١) هكذا في مقدمة شرح فتوح الغيب المخطوط للشيخ عبد العزيز - رحمه الله تعالى - ص: ٢ / ٣ / ٤ ، وما بين معكوفتين مأخوذ من نزهة الخاطر الفاتر الملا علي القاري ص : ٢١٢ / ٢١٣ ، وفي المخطوط هناك بياض .

(٢) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص: ١٣٧ نقلا عن بستان العرافين، تأليف: النووي

(٣) سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي ج : ٢٠ ، ص : ٤٤٣

الله ابن جنكى دوست الجيل الحنبلى، شيخ بغداد.^(١)

قال الإمام ابن حجر العسقلاني الكناي : كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالباً كالأزواج والأولاد ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره؛ لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم.^(٢)

قال ابن قدامة المقدسى: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمس مائة، فإذا الشيخ عبد القادر بها، انتهت إليه بها علماً وعملاً وحالاً واستفتاءً وكان يكفى طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان ملئ العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة وما رأيت بعده مثله، ولم أسمع عن أحد يحكى من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه.^(٣)

قال ابن رجب الحنبلى: عبد القادر بن أبي صالح الجيلى ثم البغدادي، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة محبى الدين ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره، وانخذل أهل البدع والهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر القطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم.^(٤)

قال الحافظ ابن كثير: الشيخ عبد القادر الجيلى، كان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات.^(٥)

قال الإمام الياقعى: قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام ركن الشريعة وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو محمد عبد

(١) سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي. ج: ٢٠، ص: ٤٣٩

(٢) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص: ٢٣

(٣) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص: ٦

(٤) الطبقات، تأليف: ابن رجب الحنبلى.

(٥) البداية والنهاية، تأليف: ابن كثير.

القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه، تحلى بحلى العلوم الشرعية، وتجلت بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص الكتاب والسنة خطيباً على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء. ^(١)

قال الإمام الشعراني : طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً. ^(٢)

قال الإمام أحمد الرفاعي : الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه ومن يبلغ مبلغه ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اقترب لا ثاني له في وقتنا هذا. (١١) ^(٣)

وفاته: ولد قدس سره سنة إحدى و سبعين و أربع مائة، و وفاته سنة إحدى و ستين و خمس مائة، وعمره كان تسعين سنة. و تاريخ ولادته: عشق. وعمره: كمل. و وفاته: عشق كمل. ^(٤)

شرح فتوح الغيب وتلخيصه : قد بين أخونا الفاضل الشيخ محمد نظام الدين المصباحي - حفظه الله تعالى - في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن ولي محمد - رحمه الله تعالى - المخالدي الفتني بوضاحة تامة بأنه شرح مغلفات كتاب فتوح الغيب للشيخ الكامل عبد القادر الجيلاني - رحمه الله تعالى -، ثم لخصه الشيخ عطاء الله البتلادي - رحمه الله تعالى -

إن هذا الشرح يمتاز من غيره؛ لأن الشارح هو إمام جمع بين العلم الشرعي والسلوك الصوفي فتمت له الحسنى من الجهتين، وقد أتى الإمام

(١) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن محمد، التادف، ص: ١٣٦

(٢) الطقات الكبرى، تأليف: الشعراني، ح: ١، ص: ١٢٩

(٣) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص: ٦٦

(٤) هكذا في مخطوطة شرح الشيخ عبد العزيز قدس سره ص: ٣

الموصوف في مبدأ شرحه بفهرسة الكتاب أنقلها بتمامها من المخطوطة كي يعم نفعها، وهي فيما تلي :

أما الفهرست فأقول : قد ذكر في هذا الكتاب إحدى و ثمانون مقالة و مقدمة، ثمانية وسبعون مقالة في أصل الكتاب، و ثلاث مقالات حكاها ولده الشريف من أحوال وفاته - قدس سره - :

المقدمة: في بيان كثرة نعم الله تعالى، والعجز عن أداء شكرها. **الأولى:** فيما لا بد للمؤمن في سائر أحواله. **الثانية:** في الاتباع بالسنة وترك البدعة. **الثالثة:** في بيان المعالجة حين الابتلاء. **الرابعة:** في بيان مراتب الموت عن الخلق والهوى والإرادة. **الخامسة:** في تشبيه حال الدنيا و اشتغال أهلها بها. **السادسة:** في بيان الفناء عن الخلق بحكم الله تعالى، وعن الهوى بأمره، وعن الإرادة بفعله تعالى. **السابعة:** في بيان خروج السالك عن نفسه و ملكه و تسليم الكل إلى الله تعالى. **الثامنة:** في نفي الاختيار عن نفسه في جميع حالاته و التسليم لفعل الله تعالى. **التاسعة:** في الكشف والمشاهدة في الأفعال. **العاشرة:** في بيان مخالفة النفس. **الحادية عشر:** في بيان ما يفعل حين إلقاء الله تعالى شهوة النكاح حال الفقر. **الثانية عشر:** في بيان ما يفعل حال الغنا. **الثالثة عشر:** في المنع عن جلب النعماء و عن دفع البلاء، و حاصله التفويض والتسليم. **الرابعة عشر:** في المنع عن ادعاء حالة القوم لصاحب الهواء. **الخامسة عشر:** في بيان واقعة نفسه الشريفة في رؤية المنام مع جماعة المنقطعين إلى الله تعالى و تعليمه إياهم حقيقة الانقطاع. **السادسة عشر:** في المنع عن الاعتماد على الأسباب. **السابعة عشر:** في بيان معنى الوصول إلى الله تعالى. **الثامنة عشر:** في بيان معنى الرضا. **التاسعة عشر:** في بيان وفاء ما وعد الله تعالى البتة للعبد حين ضعف إيمانه والانتقال منه إلى ما هو أشرف منه حين قوة إيمانه و كمال يقينه. **العشرون:** في بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. **الحادية والعشرون:** في رؤيته قدس سره إبليس اللعين في منامه. **الثانية والعشرون:** في بيان ابتلاء الله تعالى المؤمنين بقدر

إيمانهم. الثالثة والعشرون : في بيان القناعة. الرابعة والعشرون : في الحذر عن معصية الله عز وجل. الخامسة والعشرون : في تسكين الفقير المهان باللطاف الملك المنان. السادسة والعشرون : في تفرغ القلب عما سوى الله تعالى بالكلية. السابعة والعشرون : جعل الله القدر شجرة والخير والشر ثمريتين حلوا و مرا. الثامنة والعشرون : في المجاهدة والرياضة. التاسعة والعشرون : في بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا. الثلاثون : في الجواب عن طلب العمل و الحيلة في حالة الجزع والفرع. الحادية والثلاثون : في دفع البغض عن القلب. الثانية والثلاثون : في الجواب عن شبهة عدم بقاء الصحبة والمودة و فناء المال. الثالثة والثلاثون : في بيان أنواع الرجال بأنها أربعة عديم اللسان والقلب جميعا، و لسان بلا قلب، وقلب بلا لسان، والجامعة لهما، والأولان شران، و الأخيران خيران. الرابعة والثلاثون : في دفع السالك سخطه على الرب تعالى و التهمة له والتشكي عنه تعالى. الخامسة والثلاثون : في الورع بترك الرخصة و اختيار العزيمة. السادسة والثلاثون : في جعل الآخرة رأس المال والدنيا ربحه. السابعة والثلاثون : في المنع عن الحسد. الثامنة والثلاثون : في الصدق مع الله تعالى . التاسعة والثلاثون : في بيان حكم أخذ السالك مع الهواء أو أخذه بدون الهواء. الأربعون : في المنع عن إدخال السالك نفسه في الروحانيين مع بقاء بشريته. الحادية والأربعون : في بيان المثل للغني والفقير. الثانية والأربعون : في بيان أن للنفس حالتين لا ثالث لهما : حالة العافية و حالة البلاء. الثالثة والأربعون : في بيان أن منشأ السؤال الجهل، و منشأ العفة وفور العلم بالله تعالى. الرابعة والأربعون : في بيان عدم استجابة المسؤل للعارف. الخامسة والأربعون : في بيان حال المنعم عليه و حال المبتلى. السادسة والأربعون : في بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى: من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. السابعة والأربعون : في سؤال شيخ عنه قدس سره عن سبب التقرب إلى الله تعالى. الثامنة والأربعون : في بيان كيفية السلوك بالاشتغال

بالفرائض أولاً ثم بالسنن ثم بالنوافل ثم بالفضائل. التاسعة والأربعون : في بيان حال من اختار النوم على السهر. الخمسون : في بيان القرب والوصول والغيبة عن القرب. الحادية والخمسون : في بيان حال الزهد. الثانية والخمسون : في بيان سبب ابتلاء الله تعالى الأحباب. الثالثة والخمسون : في الرضا بالقضاء. الرابعة والخمسون : في بيان الزهد في الدنيا والآخرة. الخامسة والخمسون : في ترك الحظوظ. السادسة والخمسون : في بيان أن الوصال إنما هو بعد الفناء عن الخلق والنفس والهوى. السابعة والخمسون : في بيان أن الأحوال كلها قبض. الثامنة والخمسون : في الأمر بتعامي السالك عن الجهات كلها حتى يصلح لفضل الله تعالى وفضله. التاسعة والخمسون : في بيان التصبر والصبر والرضا والموافقة والفناء. الستون : في بيان أن البداية هي الخروج من المعهود إلى المشروع ثم إلى المقدور ثم الرجوع إلى المعهود بشرط حفظ الحدود. الحادية والستون : في بيان أن كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش، وبيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن فتاش والمنافق لقاف. الثانية والستون : في بيان ترك الشكاية عن الله عز وجل. الثالثة والستون : في بيان حال منامه. الرابعة والستون : في بيان حال نفسه الشريفة وضييق الأمر بها يوماً و ما جرى فيه. الخامسة والستون : النهي عن التسخط على الرب تعالى بسبب التأخير في استجابة الدعاء. السادسة والستون : في النهي عن التقول بـ لا أدعو الله تعالى شيئاً بعلّة أن المطلوب إن كان مقسوماً يأتيني بلا طلب، وإن لم يكن مقسوماً لا ينفعه السؤال. السابعة والستون : في بيان المجاهدة مع النفس و قتلها بسيف المخالفة وإحياء الله تعالى بعد ذلك. الثامنة والستون : في بيان أن إجابة الله تعالى مسؤل العبد وإعطائه لمطلوبه لا يدفع إرادته تعالى ولا ما جف به القلم. التاسعة والستون : في الحث على أن لا يطلب من الله تعالى إلا مغفرة الذنوب الماضية، والعصمة عليها في الاستقبال، والتوفيق للطاعة، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، والصبر على البلاء. السبعون : في النهي عن العجب في الأعمال ورؤية النفس فيها و طلب العوض عليها. الحادية

والسبعون : في بيان حال السالك بأن لا يخلو إما أن يكون مريداً أو مراداً، وبيان ما يليق بكلا الحالين. الثانية والسبعون : في بيان أقسام المشتغلين بالدنيا. الثالثة والسبعون : في بيان أن الله يطلع عليه على عيوب غيره من الكذب والشركة في أفعاله و أحواله و دعواه و إضماره و نيته. الرابعة والسبعون : في الوصية بتقوى الله تعالى و طاعته و لزوم ظاهر الشرع و بمحاسن الأخلاق، وفيها : بيان حقيقة الفقر و حقيقة الغنا و حقيقة التصوف. الخامسة والسبعون : أيضاً في الوصية في صحبة الأغنياء والفقراء و كيفية السلوك في المبدأ والمعاد. السادسة والسبعون : أيضاً في الوصية في الكون مع الله تعالى بدون الخلق، و مع الخلق بدون النفس. السابعة والسبعون : في وصيته لابنه عبد الوهاب بعد سؤاله في مرض موته قدس سرهما و أوصل إلينا برهما. الثامنة والسبعون : في بيان إحاطة قلب العارف بجميع الأشياء حين صحَّ مع الله تعالى. التاسعة والسبعون : في بيان فضيلة نفسه الشريفة. الثمانون : أيضاً في بيان فضيلة نفسه الشريفة في مرضه ومنع السؤال عن حاله في ذلك الوقت بعد ما سأله ولده عبد العزيز قدس سره. الحادية والثمانون : في بيان سؤال ولده عبد العزيز عن مرضه و بيان حاله.

مجموع المقالات المذكورة في هذا الكتاب إحدى و ثمانون مقالة في أصل الكتاب ، و ثلاث مقالات ألحقها ولده السيد محمد على ما قيل، والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال في تحقيق المقال، و حان أن أشرع في المقصود متوكلاً على الرب المعبود، و سائلاً منه أن يرزقني الصدق والصواب في القول والعمل، و أن يحفظ قدمي من الزلل، و قلمي من الخلل، أنه على كل شيء قدير و بالإجابة جدير، وهو حسبي و نعم الوكيل و بجميع أمور عبده كفيلاً.^(١)

القراء الكرام! نتشرف بغرض هذا العمل بين أيديكم، وقد حققت مخطوطة تلخيص الشرح، و بذلت ما في وسعي في التصحيح والتصويب لتخريج هذه الدرة المكنونة من صدفها، و تيسيرها للطالبيين لكن لا يخلو عمل من نقص، و لا يبرأ جهد من هنات هنا أو هناك، فالمرجو من القارئ أن ينصرف انتباهه إلى

(١) هكذا في مخطوط شرح فتوح الغيب للشيخ عبد العزيز رحمه الله تعالى، ص : ٧ / ٨ / ٩

ما في هذا الكتاب من محاسن ليتحقق الانتفاع بما فيه، و يطلعني على ما فيه من الخطأ ليتمكن لنا التصحيح و التصويب فيما بعد. والحمد لله والمنة له.

محمود علي المشاهدي المصباحي
الأستاذ بالجامعة الأشرفية
بمبارك فور، الهند

٢٥ من ذي الحجة ١٤٤٠ هـ
٢٧ / ٨ / ٢٠١٩ م
يوم الثلاثاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. والصلوة والسلام على رسوله محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم إلى يوم الدين.

وبعد فيقول أفقر العباد إلى رحمة الله الَّذِي رجاءه من ربه كاسمه عطاء الله، وملاذه شفاعته حبيبه محمد ابن عبدالله عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأزكى تحيات الله. اللهم اغفر له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، فرحمتك يا أكرم الأكرمين وسعت كل شيء وأنت أرحم الراحمين:

هذا شرح مختصر انتخبته من الشرح للفاضل المحقق مولانا عبد العزيز قدس الله سره العزيز تسهيلا على الطالبين، وتيسيرا على الراغبين سيما الولد العزيز، الموفق لطلب العلم من ربه الكريم، سمي نبيه الَّذِي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، متنه "فتوح الغيب" مشهور في الأطراف والجوانب، مصنفه معروف كالشمس في المشارق والمغارب الَّذِي هو سيد السادات، ومنبع الكرامات، القطب الرباني، الغوث الصمداني، المحبوب السبحاني، الشيخ محي الدين السيد عبدالقادر الجيلاني قدس الله تعالى روحه، وأوصل إلينا فتوحه. قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه عنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوَّلًا وَ
آخِرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا عَدَدَ خَلْقِهِ وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَرِضَا
نَفْسِهِ وَعَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ وَوَثْرَ وَرَظٍ وَيَأْسٍ وَجَمِيعَ مَا خَلَقَ رَبُّنَا.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

روي عن الحسين رضي الله تعالى عنه أنه قال: «بسم الله» منك بمنزلة «كن» من الله، فإذا أحسنت أن تقول بسم الله تحققت الأشياء بقولك «بسم الله» كما تحقق بقوله عز وجل «كن».

«الْحَمْدُ» هو ثناء الذات بمحاسن الصفات «الله» هو اسم عربي جامد علم للذات المستجمعة لجميع الصفات «رَبِّ الْعَالَمِينَ» رَبُّي كُلاًّ من عالم الأعيان الثابتة، وعالم الأرواح، وعالم المثال، وعالم الأجسام الأفلاكي والعنصري المعادني والنباتي والحيواني مع أنواعها المتعددة، وأصنافها المتكثرة، وأشخاصها الخارجة عن الحصر والعدّ «أَوَّلًا وَآخِرًا» على الإيجاد والإبقاء الأولى والديوي، والإيجاد والإبقاء الثانوي الأخروي كما علّمنا بقوله: فله الحمد في الأولى والآخرة «وَوَظَاهِرًا» على نعمه الظاهرية «وَوَاطِنًا» على نعمه الباطنية «عَدَدَ خَلْقِهِ» الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ «وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ» الخارجة عن الحصر كما نطق به:

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا. [الكهف رقم السورة: ١٨، رقم الآية: ١٠٩]

«وَزِنَةَ عَرْشِهِ» الذي لا يعلم عظمته إلا هو «وَرِضًا نَفْسِهِ» فإن حسن الحمد إنما هو بقبول المحمود «وَعَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ وَوَتْرَ وَرَطْبٍ وَيَابِسٍ» خلقه بل «وَبَجْمَعٍ مَا خَلَقَ رَبُّنَا»

وَذَرَأَوْ بَرَّادَاتٍ أَبَدًا سَرْمَدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَ
قَدَّرَ فَهَدَى وَأَمَاتَ وَأَخْيَى وَأَضْحَكَ وَأَبْكَى وَفَرَّبَ وَأَذْنَى وَرَجَمَ
وَآخَرَى وَأَطْعَمَ وَأَسْفَى.

«وَذَرَأَ وَبَرَّأَ» أهما بمعنى خلق «دَائِمًا أَبَدًا سَرْمَدًا» قال في القاموس: السرمد الدائم، فالألفاظ الثلاثة الظرفية للتأكيد كالثلاثة الأول الفعلية «طَيِّبًا» يطيبه المحمود

«مُبَارَكًا» كثير الخير على الحامد من الله تعالى «الَّذِي» صفة الله «خَلَقَ» كل شيء «فَسَوَّى» خلقه بمقتضى حكمته «وَقَدَّرَ» أي جعله على مقدار معين «فَهَدَى» فَوَجَّهَهُ إليه كما نطق به قوله تعالى: إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ. [سورة الإسراء رقم السورة: ١٧، رقم الآية: ٤٤] فهذه الهداية عامة لجميع المخلوقات، يعلم كل شيء ربه بمقتضى اسمه الذي ربه، و به يتوسل إلى الله تعالى في جلب النفع ودفع الضر سوى الإنسان، فإنه مظهر جامع يعرف ربه بجميع أسمائه، و مع ذلك فالغالب لكل فرد اسم خاص من أسمائه تعالى، و يظهر فيه خاصيته و إن كانت الهداية الإيمانية مختصة بالمؤمنين، والعرفانية بالعارفين.

«وَأَمَاتَ» من يصلح للإماتة في وقت قدرها فيه «وَأَخْيَ» لمن يصلح للإحياء بتمام استعداده ظاهرا و باطنا «وَأَضْحَكَ» الفرحين «وَأَبْكَى» المحزونين «وَقَرَّبَ» المقربين في علمه الأزلى بصلاح استعدادهم و قابليتهم للقرب «وَأَذْنَى» أي زاد في القرب لمن يصلح لذلك من الكاملين المقربين «وَرَجَمَ» من يصلح للرحمة في علمه «وَأَخْزَى» من يصلح لذلك في علمه «وَأَطْعَمَ» جميع ذوي الأرواح «وَأَسْقَى» جميعها كلا على قدر قابليته أطعم الروحانيين بما يليق والجسمانيين بما يليق بهم، و سقى المحبين من كأس المحبة، والشائقين من الشوق، والعارفين من المعرفة، والعالمين من العلم و سائر الحيوانات بما يقوتهم.

وَأَسْعَدَ وَ أَشْفَى وَ مَنَعَ وَ أَعْطَى الَّذِي بِكَلِمَتِهِ قَامَتِ
السَّمَوَاتُ السَّبْعُ الشَّدَادُ، وَبِهَا رُسَّتِ الرَّاوِاسِي وَالْأَوْتَادُ وَ
أُسْتَقَرَّتِ الْأَرْضُ الْمَهَادُ، فَلَا مَقْنُوطًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لَا مَأْمُوكًا مِنْ
مَكْرِهِ وَ غَيْرَتِهِ وَ إِنْفَادِ أَقْصِيَّتِهِ وَ فِعْلِهِ وَ أَمْرِهِ.

«وَأَسْعَدَ» من يصلح للسعادة «وَأَشْفَى» من يصلح للشقاوة «وَمَنَعَ» من يصلح للمنع «وَأَعْطَى» من يصلح للعطاء «الَّذِي بِكَلِمَتِهِ» أي بحكمه «قَامَتِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ» وراء العرش والكرسي «الشَّدَادُ» المحكمات «وَبِهَا»

أي بكلمته «رُسَّتِ» استحكمت «الرَّوَاسِي» أي الجبال الشامخات، أي العظيمات المرتفعات من رَسَا الأمر أي ثبت، و رَسَاه أي أثبتته «وَالْأَوْتَادُ، وَ اسْتُقِرَّتِ الْأَرْضُ الْمَهَادُ» الفراش بمعنى المفروش.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. (النبا رقم السورة: ٧٨، رقم الآية: ٦-٧)

و إذا كان الله تعالى فعل هذه الأفعال التي بلغت في اللطف والقهر «فَلَا مَقْنُوطًا مِنْ رَحْمَتِهِ» أَحَدٌ «وَلَا مَأْمُوتًا مِنْ مَكْرِهِ» أحد فيكون "لا" بمعنى ليس، و اسمه و هو لفظ أحد في الموضعين محذوف، و ذلك شائع، في النحو، أو فلا تجد أحدا مقنوطا من رحمته، و لا تجد أحدا مأمونا من مكره، فيكون لا النافية الداخلة على الفعل، و الأول أظهر «و» من «غَيْرَتِهِ» أي و لا مأمونا أحد من غيرته أو تغييراته «وَأِنْفَادِ أَوْصِيَّتِهِ» على مخلوقاته بما يريد «وَفِعْلِهِ وَ أَمْرِهِ» بما يشاء فإنه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، كل شيء مخلوقه، فأَيُّ منه يزاحم خالقه.

وَلَا مُسْتَكْفًا عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا مَخْلُوءًا مِنْ نِعْمَتِهِ فَهُوَ الْمُحْمُودُ بِمَا
حَنَّا، الْمَشْكُورُ بِمَا زَوَى.

«وَلَا» أحد «مُسْتَكْفًا عَنْ عِبَادَتِهِ» الاستنكاف التكبر مع أنْفَةٍ «وَلَا» أحد «مَخْلُوءًا» أي خاليا «مِنْ نِعْمَتِهِ» لأن الوجود نعمة، والحياة نعمة، والصحة نعمة، والرزق نعمة، والتخليص عن الآلام والأوجاع والأمراض والأسقام نعمة، و أي مخلوق يخلو منها، و إذا كان الكل مُنْعَمًا عليه بهذا الاعتبار من الله تعالى، و هو تعالى بكل نعمة يستحق الحمد «فَهُوَ الْمُحْمُودُ» بكل لسان وعلى كل حال «بِمَا حَنَّا» الباء متعلق بالحمد على معنى السببية، و ما مصدرية، والمعنى: الحمد لله الموصوف بما ذكرنا بسبب عطفه و شفقتة، ف "حنا" بمعنى عطف.

و في القاموس: حناه حنوا و حنّاه: عطفه، و حنت على ولدها حنوا كعلو: عطفت، ك أَحْنَتْ «الْمَشْكُورُ» صفة لله، أي الحمد لله المشكور «بِمَا زَوَى» بمعنى صرف و جمع. في القاموس زواه زَيًّا وَ زَوِيًّا: نَحَاهُ، وَ زَوَى الشَّيْءَ: جَمَعَهُ وَ قَبَضَهُ، انتهى.

وفي الحديث ”وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أَحَبُّ“^(١) أي صَرَفْتَهُ مِنِّي. ”وَزَوَيْتَ لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَا رَبَّهَا“^(٢) أي جُمِعَتْ. من شرح مولانا عبدالعزیز. والأول يعدى بعن، والثاني باللام. والمناسب للمقام باعتبار مقابله هو المعنى الأول، إذ فيه تأسيس فائدة، وفي الثاني تأكيد، والتأسيس خير من التأكيد، اهـ. ”ش“ والحاصل: أن الله تعالى محمود بكل ما أعطى من النعم التي لا تحصى عاجلا و أجلا رحمة من عنده، و مشكور بما صرف من المضار والبلايا عاجلا و أجلا، أو مشكور بما جمع من النعم الدنيوي والأخروي.

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الَّذِي مَنِ اتَّبَعَ
مَا جَاءَ بِهِ اهْتَدَى وَمَنْ صَدَفَ عَنْهُ ضَلَّ وَازْتَدَى، النَّبِيُّ الصَّادِقُ
الْمُصَدِّقُ الرَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا الطَّالِبُ الرَّاعِبُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى الْمُجْتَبَى
مِنْ خَلْقِهِ، وَالْمُنْتَخَبُ مِنْ بَرِيَّتِهِ الَّذِي جَاءَ الْحَقُّ بِمُجِيبَتِهِ، وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ بِظُهُورِهِ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِ.

«ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» من الله تعالى و منا «عَلَى نَبِيِّهِ» أي منبائه «مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى» المختار «الَّذِي مَنِ اتَّبَعَ مَا جَاءَ بِهِ» من الشريعة «اهْتَدَى وَمَنْ صَدَفَ» أي أعرض «عَنْهُ ضَلَّ» طريق الحق «وَازْتَدَى» أي رجع عن طريق الحق «النَّبِيُّ» المنبىء للخلق بما أنبأه به الحق فلا تكرار، فتأمل. «الصَّادِقُ» في أقواله و أفعاله و أحواله «الْمُصَدِّقُ» الَّذِي صدقه المفلحون

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب الدعوات، باب ماجاء في عقد التسبيح باليد، برقم: ٢٤٩١، وحسنه، ونصه بتمامه هكذا: ”اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم مارزقني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم مارزقني مما أحب فاجعله فراغالي فيما تحب. وهكذا في مصنف ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٢٠٨. محمود على المشاهدي
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الفتن، باب ما يكون من الفتن، برقم: ٣٥٥٢. وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم: ٢٨٨٩. ونصه: ”إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها“، والحديث في مسند الإمام أحمد، برقم: ٢٢٣٩٥، وصحيح ابن حبان، برقم: ٧٢٣٨. أيضاً. المشاهدي

في علم الله تعالى «الرَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا» المعرض عن لذاتها. في القاموس: زَهَدَ فيه، كَمَنَعَ و سَمِعَ و كَرَّمَ ضِدُّ رَغَبٍ، اه. "ش" «الطَّالِبُ» لمولاه «الرَّاعِبُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» الذين هم سكان حريم القدس، و هم الملائة الأعلى، أعني الملائكة المهيمين، أو المراد به: ذات الحق تعالى و تقدس.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم قوله: "اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى" أي أطلب الرفيق الأعلى.^(١)

«الْمُجْتَبَى» بمعنى المصطفى والمختار «مِنْ خَلْقِهِ» مخلوقاته كافة. لكمال المحبة و ختم الرسالة، و جعله مظهرًا جامعًا لجميع المظاهر، و حاملاً لجميع الأسرار، و محلاً لجميع الأنوار. «الْمُتَخَبُّ» المختار من انتخبه اختاره «مِنْ بَرِيَّتِهِ» أي خلقه ذوي الأرواح من برأ بمعنى خلق «الَّذِي جَاءَ الْحَقُّ» أي ظهر دين الإسلام «بِمَجِيئِهِ، وَ زَهَقَ» أي هلك و محى «الْبَاطِلُ» الشرك «بِظُهُورِهِ» الشريف في هذا العالم «وَ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ» أرض العالم «بِنُورِهِ» الظاهر و أرض قلوب العارفين بنوره الباطن.

ثُمَّ الصَّلَوَاتُ الْوَافِيَاتُ، وَالْبَرَكَاتُ الطَّيِّبَاتُ الرَّائِيَاتُ
الْمُبَارَكَاتُ عَلَيْهِ ثَابِتًا، وَعَلَى الطَّيِّبِينَ مِنْ إِلِهِ وَ أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ
بِالْإِحْسَانِ الْأَحْسَنِينَ لِرَبِّهِمْ فِعْلًا، وَالْأَقْوَمِينَ لَهُ قِيْلًا، وَالْأَصَوْبِينَ
إِلَيْهِ طَرِيقًا وَسَبِيلًا.

«ثُمَّ» أي بعد الصلوة و السلام من الله تعالى عليه على قدر مقامه لديه «الصَّلَوَاتُ الْوَافِيَاتُ» المتكاثرات الخارجات عن الحصر «وَالْبَرَكَاتُ» الخيرات الكثيرة «الطَّيِّبَاتُ» المرضيات «الرَّائِيَاتُ» الناميات من زكى زكوا نعى و زاد «الْمُبَارَكَاتُ» المقبولات الثابتات الدائمات «عَلَيْهِ ثَابِتًا» أي مكررا تكرارا متواليا إلى الأبد «وَ عَلَى الطَّيِّبِينَ مِنْ إِلِهِ وَ أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ» أي لئال والأصحاب

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: ٤٤٦٣

«بِالْإِحْسَانِ» بطريق مرضي لله تعالى و لرسوله صلى الله عليه و آله و سلم
«الْأَحْسَنِينَ لِرَبِّهِمْ فِعْلًا» يعنى يفعلون ما يحسنه ربهم «وَالْأَقْوَمِينَ لَهُ» أي للرب
«قِيْلًا» أي مقالا، أي يقولون لملاحظة ربهم قولاً عدلاً «وَالْأَصْوَبِينَ إِلَيْهِ» تعالى
«طَرِيقًا وَسَبِيلًا» أي يسلكون إلى الله بالطريق الأصوب المختار المرضي عنده تعالى.

ثُمَّ تَضَرُّعُنَا وَدُعَاؤُنَا وَرُجُوعُنَا إِلَيْهِ رَبُّنَا وَمُنْشِئُنَا وَخَالِقُنَا وَ
رَازِقُنَا وَمُطْعِمُنَا وَمُسْقِينَا وَنَافِعُنَا وَحَافِظُنَا وَكَالِفُنَا وَمُحْيِيَنَا وَ
الذَّابِّ وَالِدَّافِعُ عَنَّا جَمِيعَ مَا يُؤْذِينَا وَيَسُونَا كُلُّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ وَتَحِيَّتِهِ وَ
مُنَّتِهِ.

«ثُمَّ» أي بعد حمدنا لله تعالى، والصلوة على نبيه مع الآل والأصحاب
والتابعين نقول: «تَضَرُّعُنَا» أي تذللنا و خضوعنا في الخلاص عنا «وَدُعَاؤُنَا» أي
مسألتنا للخيرات، و دفع المضرات «وَرُجُوعُنَا» في جميع أمورنا في السراء والضراء
من جميع ماسواه «إِلَيْهِ» أي إلى الله تعالى الموصوف بتلك الصفات الجليلة «رَبُّنَا»
بدل من ضمير إليه، و يحتمل الرفع على الخبرية لمبتدأ محذوف، أي هو ربنا «وَ
مُنْشِئُنَا» أي مبدأ خلقنا «وَ خَالِقُنَا» أي موجدنا «وَ رَازِقُنَا» الرزق عند أهل السنة
و الجماعة ماساقه الله تعالى إلى الحيوان ليؤكل حلالا كان أو حراما، و يحتمل أن يراد
ما يعم المأكولات والمشروبات والملبوسات والملوك مطلقا، وهو معنى لغوي فعلى
هذا قوله «وَ مُطْعِمُنَا وَ مُسْقِينَا» تخصيص بعد تعميم أي معطي لنا ما نأكله و
نشربه «وَ نَافِعُنَا» بإفاضة الخيرات الدنيوية و الأخروية «وَ حَافِظُنَا» عن
المكروهات الدنيوية «وَ الدَّابِّ» أي حارسنا من كلاً كمنع بمعنى حرس،
عطف تفسيري «وَ مُحْيِيَنَا» بحيوة القلب والقلب «وَ الذَّابِّ» من الذب بمعنى
الدفع «وَالِدَّافِعُ عَنَّا» هو أيضا عطف تفسيري «جَمِيعَ مَا يُؤْذِينَا» في أمور ديننا و
دنينا «وَ يَسُونَا» منا أو من غيرنا «كُلُّ ذَلِكَ» المذكور فعله بنا ربنا «بِرَحْمَتِهِ»
الذاتية «وَ تَحِيَّتِهِ» أي تعطفه وتلطفه الذاتي «وَ مُنَّتِهِ» أي عطائه وإحسانه

بِالْحِفْظِ الدَّائِمِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
وَالْكِتْمَانِ وَالْإِظْهَارِ وَالشِّدَّةِ وَالرِّخَاءِ وَالنِّعْمَةِ وَالْبَسَاءِ وَالسَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ إِنَّهُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ. وَالْحَاكِمُ لِمَا يَشَاءُ، الْعَالِمُ بِمَا يَخْفَى،
الْمُطَّلِعُ عَلَى الشُّيُونِ وَالْأَحْوَالِ مِنَ الرِّلَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ،
السَّامِعُ لِلْأَصْوَاتِ، الْمُجِيبُ لِلدَّعَوَاتِ لِمَنْ شَاءَ وَآرَادَ مِنْ غَيْرِ مُنَازِعٍ
وَلَا تَرَادٍ.

«بِالْحِفْظِ الدَّائِمِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ» الصادرة عنا بخلق الله تعالى و بكسبنا
«فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْكِتْمَانِ» الإخفاء «وَالْإِظْهَارِ وَالشِّدَّةِ وَالرِّخَاءِ» الرخاء
سعة العيش «وَالنِّعْمَةِ» الظاهرية والباطنية «وَالْبَسَاءِ» الخوف «وَالسَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ» في القاموس: الضراء: الشدة والنقص في الأموال والأنفس «إِنَّهُ» أي
الله تعالى

فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ. [هود رقم السورة: ١١، رقم الآية: ١٠٧]

من الأفعال والأحكام لا يراحمه شيء «وَالْحَاكِمُ لِمَا يَشَاءُ» لا دافع لحكمه
«الْعَالِمُ بِمَا يَخْفَى» من أمور خلقه «الْمُطَّلِعُ عَلَى الشُّيُونِ» جمع شأن بمعنى الخطب و
الأمر و الحال «وَالْأَحْوَالِ» عطف تفسيري «مِنَ الرِّلَاتِ» البشرية
«وَالطَّاعَاتِ» التي وفقه الله تعالى بها «وَالْقُرْبَاتِ» الحاصلة بفيضه و فضله
«السَّامِعُ لِلْأَصْوَاتِ» من كافة البريات مع اختلاف اللغات «الْمُجِيبُ لِلدَّعَوَاتِ
لِمَنْ شَاءَ وَآرَادَ» بما شاء و أراد «مِنْ غَيْرِ مُنَازِعٍ» لإجابته «وَلَا تَرَادٍ» أي لا راد
لإفاضته على من أفاض و منعه لمن منع.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ فِي أَنْاءِ اللَّيْلِ وَ
أَطْرَافِ النَّهَارِ وَالسَّاعَاتِ وَاللَّحَظَاتِ وَالْخَطَرَاتِ وَجَمِيعِ الْحَالَاتِ
كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (النحل،
رقم السورة: ١٦. رقم الآية: ١٨) وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَا بِكُمْ مِنْ

|| نِعْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ [النحل رقم السورة: ١٦، رقم الآية: ٥٣] ||

«أَمَّا بَعْدُ» أي الحمد والصلوة «فَإِنَّ نِعْمَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ» بل على جميع المخلوقات «كَثِيرَةٌ» خارجة عن الحصر «مُتَوَاتِرَةٌ» لا يختص فيضانها بوقت دون وقت وإن كانت خصوصياتها مختصة بأوقاتها «فِي أَنَاءِ اللَّيْلِ وَ أَطْرَافِ النَّهَارِ وَ السَّاعَاتِ» من الليل والنهار عطف تفسير للأناء والأطراف «وَاللَّحْظَاتِ وَالْحُطُرَاتِ» من العباد، اللحظات جمع لحظة وهي: النظر بشق العين الَّذِي يلي الصدغ، والمراد هنا: مطلق النظر، والخطرة جمع خطرات وهي ما يخطر في القلب من حديث النفس، «وَجَمِيعِ الْحَالَاتِ» الحاصلة للعباد «كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ» في محكم كتابه المنزل على حبيبه خطاباً لأُمته تعليماً وإرشاداً، ولما كان قوله قدس سره: «فإن نعم الله تعالى على العباد كثيرة» مشتملاً على حكمين: - كون النعم كثيرة، و كونها من الله تعالى لا من الأسباب كما يتوهم الجهال استدلل عليهما بكلام الله تعالى بقوله: «وَإِنْ تَعُدُّوا» أيها العباد «نِعْمَةَ اللَّهِ» التي أنعم عليكم بها في كل حين وزمان و منزل و مكان «لَا تُحْصَوْهَا» بل بعضها مما لم تعرفوها، فكيف بعدّها وإحصائها، و ليس نعمة عند عبد إلا من فيض مولاه المنعم كما أخبر به «وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَ مَا بِكُمْ» أيها العبيد، قوله قدس سره: «قوله عز وجل: وَ مَا بِكُمْ» إلخ عطفاً على ما المصدريّة في قوله «كما قال» «مِنْ نِّعْمَةٍ» عرفتموها أو لم تعرفوا «فَمِنْ اللَّهِ» تعالى فائضة عليكم فدل على أنها كثيرة و على أنها مع كثرتها من الله تعالى فثبت أن نعم الله تعالى على العباد كثيرة وإذا فات الحصر عن نعم الله تعالى.

فَلَا يَدَانِ لِي وَلَا جَنَانِ لِي وَلَا لِسَانَ لِي فِي إِحْصَائِهَا وَإِعْدَادِهَا
فَلَا يَذَرِكُهَا التَّعْدَادُ وَلَا تَضْبِطُهَا الْعُقُولُ وَالْأَذْهَانُ وَلَا يُحْصِيهَا
الْجَنَانُ وَلَا يُعَيِّرُ عَنْهَا اللِّسَانُ فَمِنْ جُمْلَةِ مَا أَمَكَّنَ مِنْ تَغْيِيرِهَا اللِّسَانَ
وَإِظْهَارِهَا الْكَلَامَ وَكُتْبِهَا الْبَيَانَ وَتَفْسِيرِهَا الْبَيَانَ كَلِمَاتٍ بَرَزَتْ وَ
ظَهَرَتْ لِي مِنْ فُتُوحِ الْغَيْبِ فَحَلَّتْ فِي الْجِنَانِ فَاشْتَغَلَتْ الْمَكَانَ.

«فَلَا يَدَانِ لِي، وَلَا جَنَانِ لِي، وَلَا لِسَانَ لِي فِي إِحْصَائِهَا وَإِعْدَادِهَا» فإذا لم يحط بها الحصر فكيف يؤدي شكرها.

«فَلَا يُدْرِكُهَا التَّعْدَادُ» مني لا باليد ولا باللسان ولا بالجنان بل، «وَلَا تَضْبُطُهَا الْعُقُولُ وَالْأَذْهَانُ، وَلَا يُحْصِيهَا الْجَنَانُ، وَلَا يُعَبِّرُ عَنْهَا اللَّسَانُ» من أي شخص كان «فَمِنْ جُمْلَةٍ مَا» أي نعم الله تعالى التي «أَمْكَنَ مِنْ تَعْبِيرِهَا اللَّسَانُ» جعل أمكن ههنا بمعنى أقدر، واللسان مفعوله والفاعل ضمير الله تعالى، في الصحاح: مكّنه الله من الشيء وأمكنه بمعنى فالمعنى من جملة ما أقدر الله تعالى اللسان من تعبيرها «وَلَا» من «إِظْهَارِهَا الْكَلَامَ، وَكُتْبَهَا» أي كتابتها «الْبَيَانُ» أطراف الأصابع التي تؤخذ القلم بها «وَلَا» من «تَفْسِيرِهَا الْبَيَانُ» الكلام «كَلِمَاتٍ» مبتدأ خبره «من جملة» «بَرَزَتْ» أي ظهرت بعد الخفاء. في القاموس: برز بروزا ظهر بعد الخفاء «وَلَا ظَهَرَتْ لِي مِنْ فُتُوحِ الْغَيْبِ» من عند الله تعالى بإفاضته عليّ بمحض فضله وإحسانه «فَحَلَلْتُ» تلك الكلمات «فِي الْجَنَانِ فَاشْتَعَلَتْ» تلك الكلمات بعد حلولها «الْمَكَانَ» أي مكان حلولها وهو القلب بأن تقررت وتمكنت لا كالحيال حلت وراحت، وذلك علامة حقيقتها عند أهل الاعتبار، فإن الباطل لا يستقر عند أهل الحق؛ ولذا قال تعالى:

إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا. [بنى اسراء يل، رقم السورة: ١٧، رقم الآية: ٨١]

فَأَنْتَجَهَا وَأَبْرَزَهَا صِدْقُ الْحَالِ فَتَوَلَّى إِبْرَازَهَا لُطْفُ الْمُنَّانِ وَ
رَحْمَةُ رَبِّ الْأَنَامِ فِي قَالِبِ صَوَابِ الْمُقَالِ مُحَجَّةٌ لِرِيْدِي الْحَقِّ
وَالطَّلَابِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ قَالَ أُولَى الْمَقَالَاتِ،

«فَأَنْتَجَهَا» أي أظهر تلك الكلمات «وَلَا أَبْرَزَهَا» بعد رسوخها في القلب «صِدْقُ الْحَالِ» فاعل «أنتج وأبرز» أي حال المصنف رَوَّحَ الله روحه، وأوصل إلينا فتوحه الَّذِي فتح الله تعالى عليه «فَتَوَلَّى إِبْرَازَهَا لُطْفُ الْمُنَّانِ» ذي الإحسان «وَرَحْمَةُ رَبِّ الْأَنَامِ» الَّذِي منه التعليم والإعلام، أي صار لطف المنان ورحمة رب

الأنام متوليا لإبرازها بريئة من الريب، خالية من العيب ليعلم أنها من فتوح الغيب، و ليستفيد كل طالب صادق إصلاح الظاهر والباطن منها «فِي قَالِبِ صَوَابِ الْمُقَالَ» ليدل على حقية تلك الحال، أي في قالب المقال الصواب؛ فإن الألفاظ قوالب المعاني «مُحَجَّةٌ» أي حال كونه طريقا واضحا «لِمُرِيدِي الْحَقِّ» أي الشيء المطابق للواقع، وأالحق هو الله تعالى «وَالطُّلَّابِ» أي طالب الحق «فَمِنْ ذَلِكَ» المذكور من الكلمات التي برزت و ظهرت من فتوح الغيب «أَنْ قَالَ» إنما ذكر بصيغة "قال" التفاتا من التكلم في قوله "ظهرت لي" إلى الغيبة، أي من ذلك المذكور من الكلمات مقالة هي «أُولَى الْمُقَالَاتِ» وهو قوله رضى الله تعالى عنه و أرضاه عنا:

الْمَقَالَةُ الْأُولَى

فِيمَا لَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: أَمْرٌ يَمْتَنِلُهُ، وَنَهْيٌ يَجْتَنِبُهُ وَقَدْرٌ يَرْضَى بِهِ، فَأَقْلُّ حَالِهِ لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ فِيهَا مِنْ أَحَدٍ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ فَيُنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْزِمَ هَمَّهَا قَلْبَهُ وَلِيُحَدِّثَ بِهَا نَفْسَهُ وَيُؤَاخِذُ الْجَوَارِحَ بِهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ» من خلواته و جلواته «مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: - أَمْرٌ» من الله تعالى ورسوله عليه الصلوة والسلام «يَمْتَنِلُهُ» أي يفعلُه العبد امتثالاً و انقياداً لأمر الشرع «وَنَهْيٌ» من جانب الله تعالى ورسوله عليه الصلوة والسلام «يَجْتَنِبُهُ» العبد و يتركه «وَقَدْرٌ» من الله تعالى خيراً كان أو شراً نفعا كان أو ضراً «يَرْضَى» العبد «بِهِ» بذلك القدر من حيث أنه من الله تعالى «فَأَقْلُّ حَالِهِ» أي حال العبد أن «لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ» هو من إقامة الظاهر مقام المضمَر «فِيهَا» أي في سائر أحواله «مِنْ أَحَدٍ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ» المذكورة من امتثال الأمر، واجتناب المنهي، والرضاء بالقدر.

«فَأَقْلُّ حَالِهِ» مبتدأ و «لَا يَخْلُو» خبره. إما بحذف أن كما قدرنا، أو بإقامة الفعل مقام المصدر بدون ارتكاب حذف الحرف المصدرى كما صرح به النحاة في «تسمع بالمعدي خير من أن تراه»، وحينئذ يكون المعنى: فأقل حال المؤمن من عدم خُلُوِّه من أحد هذه الأشياء الثلاثة. و لما كان هذا منع الخلو لا ينافي بجواز تلبس المؤمن باثنين أو ثلاثة، فتأمل.

«فَيُنْبَغِي لَهُ» أي للمؤمن «أَنْ يَلْزِمَ هَمَّهَا» أي هم الأشياء الثلاثة المذكورة «قَلْبَهُ» بإيقاعها فيه، وتوطينه عليها «وَلِيُحَدِّثَ» المؤمن «بِهَا» أي الأمور

المذكورة «نَفْسُهُ» بأن لا يخلو عن ملاحظتها حينما ما «وَيُؤَاخِذُ الْجَوَارِحَ بِهَا» أي بتلك الأشياء بإتيان أفعالها موافقا لهذه الأمور «في سَائِرِ أَحْوَالِهِ» مسرة و مضرة إلزاما حتما، وتحديثا متواليا، وأخذا صدقا.

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ

فِي الْإِتِّبَاعِ بِالسُّنَّةِ وَتَرْكِ الْبِدْعَةِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، وَأَطِيعُوا، وَلَا تَمْرُقُوا
وَوَجِدُوا وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، وَنَزَّهُوا وَلَا تَتَّهِمُوا، وَصَدِّقُوا.

«قَالَ: رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِتَّبِعُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَطَرِيقَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ النِّجَاةَ فِيهَا «وَلَا تَبْتَدِعُوا» بِدْعَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ فِي جَمِيعِ مَعْتَقِدَاتِكُمْ، وَقَوَاعِدِ دِينِكُمْ، وَأَصُولِ سُلُوكِكُمْ، وَفِي مَوَارِدِ طَاعَاتِكُمْ، وَصَوَادِرِ عِبَادَاتِكُمْ، وَعَادَاتِكُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا سِرًّا وَجَهْرًا يَحْصُلُ لَكُمْ كِمَالُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَزُبْدَةُ لِبَابِ الْخَيْرَيْنِ؛ لِأَنَّ يَسَرَ الْمَتَّبِعِ وَتَأْثِيرَ بَرَكَاتِهِ فِي الْإِتِّبَاعِ تَتَجَلَّى مِرَاةَ الْقُلُوبِ، وَيَتَحَلَّى بِهَا جَمَالَ الْمَحْبُوبِ، وَيَحْصُلُ بِذَلِكَ غَايَةُ أَسْرَارِ الْمَطْلُوبِ.

«وَأَطِيعُوا» اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طَرِيقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «وَلَا تَمْرُقُوا» أَيَّ لَا تَخْرُجُوا بِتَسْوِيلِ النَّفْسِ وَتَضْلِيلِ الشَّيْطَانِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَرْضِيِّ لِلرَّحْمَنِ «وَوَجِدُوا» اللَّهُ تَعَالَى تَوْحِيدًا خَالِصًا «وَلَا تُشْرِكُوا» بِهِ شَيْئًا فِي الْأُلُوهِيَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَفِي الْوُجُودِ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ «وَنَزَّهُوا» الْحَقُّ تَعَالَى عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مَعْتَقِدَاتِ أَهْلِ التَّشْبِيهِ وَالضَّلَالِ، وَخَافُوا مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ «وَلَا تَتَّهِمُوا» اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولَهُ وَلَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بِشَيْءٍ «وَصَدِّقُوا» اللَّهُ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَخْبَرَكُمْ مِنْ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَقِصَصِهِ وَعِبَرِهِ.

وَلَا تَشْكُوا، وَاصْبِرُوا وَلَا تَجْرِعُوا، وَابْتُئُوا وَلَا تَتَفَرَّغُوا، وَ
اسْأَلُوا وَلَا تَسْأَمُوا، وَانْتَظِرُوا وَتَرَقَّبُوا وَلَا تَيَاسُوا، وَتَوَاحُوا وَلَا
تُعَادُوا وَاجْتَمِعُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَلَا تَتَفَرَّقُوا.

«وَلَا تَشْكُرُوا» في إخبار الله تعالى رسوله «وَأَصْبِرُوا» على ما قضى الله تعالى عليكم وإن كان فيه شدة ومحنة لكم «وَلَا تَجْزِعُوا» بوقوع ما كرهتها نفوسكم في أمر دنياكم من فوات نفس ومال ومال «وَأَثْبِتُوا» في الشدة والرخاء والسراء والضراء «وَلَا تَنْفِرُوا» عما قضى الله عليكم «وَأَسْأَلُوا» الله فضله وخيره وكشف الضر عنكم، فإن ذلك سنة أنبيائه تعالى عليهم الصلوة والسلام، وقد قال تعالى لنبيه: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدَاهُمْ مَقَرًّا. (الأنعام، رقم السورة: ٦، رقم الآية: ٩٠)

فالاعتداء بهم يوجب الفلاح في الدارين «وَلَا تَسْأَمُوا» عن المسئلة و الدعاء بسبب التأخير؛ فإن التأخير بعد الدعاء قد وقع للأنبياء عليهم السلام «وَأَنْتَظِرُوا» رحمة الله «وَتَرْقُبُوا»^(١) بترك المعاصي، والاشتغال بالطاعة، والإخلاص في الدعاء والإلحاح فيه، فإنها أدخل في القبول «وَلَا تَيَأَسُوا» من روح الله «وَتَوَاحُشُوا» مع أهل الإيمان؛ فإن الصداقة والأخوة بين المسلمين مما يوجب الراحة للجميع، والرحمة من الله تعالى «وَلَا تُعَادُوا» بينكم؛ فإن العداوة موجب لتشويش خاطر وتسخط من الله تعالى «وَأَجْتَمِعُوا عَلَى الطَّاعَةِ» فإن للاجتماع بركة وأثر في القبولية «وَلَا تَتَفَرَّقُوا» فإن الشيطان يتسلط على المتفرقين وَيَدُ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ.

- به ورد الحديث - (٢) وَتَحَابُّوا وَ لَا تَبَاغَضُوا وَ تُطَهِّرُوا عَنِ الذُّنُوبِ وَ بِهَا لَا تَتَدَنُّوا وَ لَا تَتَلَطَّخُوا وَ بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ فَتَزَيَّنُوا، وَ عَنِ بَابِ مَوْلَاكُمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَ عَنِ الْإِقْبَالِ إِلَيْهِ فَلَا تَتَوَلَّوْا، وَ بِالتَّوْبَةِ فَلَا تُسَوِّفُوا

«وَتَحَابُّوا» بينكم؛ فإن في المحبة تنشيط الخواطر، و أنها سبب لمحبة الله تعالى

(١) مراقبه كنيد من الشارح على هامش المخطوطة

(٢) أشار إلى حديث أخرجه الإمام الترمذى في جامعهم، أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم، باب ماجاء في لزوم الجماعة، برقم: ٢١٦٦

و رسوله عليه الصلوة والسلام «وَلَا تَتَّبِعُوا» فان للبغض نكتة سوداء على القلب إذا استولى على القلب اسود القلب كله فلا ينزل عليه الرحمة «وَتُطَهَّرُوا» طهارة كاملة «عَنِ الذُّنُوبِ» سواء كانت ذنوب الله تعالى و ذنوب رسوله، أو ذنوب العباد، فإن كانت ذنوب الله تعالى و ذنوب رسوله عليه الصلوة والسلام فبالنوبة والندامة، و إن كانت ذنوب العباد فبالإرضاء إن كان حيا، و بالدعاء الخير له من الله تعالى والتصدق عنه إن كان ميتا «وَبِهَا» أي بالذنوب «لَا تَدْنَسُوا» التدنس: التوسخ، والدنس: الوسخ «وَبِهَا» لَا تَلَطَّخُوا» التلطيخ: التلوث «وَبِطَاعَةِ رَبِّكُمْ» الَّذِي رباكم أولا بالوجود، ثم بالحياة، ثم بالسلامة، ثم بالصحة، ثم بالعزة، ثم بالرزق، ثم بالقابلية و غير ذلك «فَتَزَيَّنُوا» تزيينا حسنا، و هذه الفاء للشرط كأنه قيل: إن تزينوا بشيء فبطاعة ربكم تزينوا، و هكذا في المعطوفات الآتية ونظيره قوله تعالى:-

فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا [يونس، رقم السورة: ١٠، رقم الآية: ٥٨]

وَإِنِّي فَأَرْحَمُكُمْ. [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ٤٠]

وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ. [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ٤١]

«وَعَنْ بَابِ مَوْلَاكُمْ» الَّذِي لا مولى سواه «فَلَا تَبْرَحُوا» أي لا تزالوا ولا تذهبوا عن بابه إلى باب مخلوقاته «وَعَنِ الْإِقْبَالِ إِلَيْهِ» أي إلى مولاكم «فَلَا تَتَوَلَّوْا» التولي الإعراض، فإن الإعراض عن الإقبال إليه تعالى موجب لسخطه الَّذِي لا يطيقه أحد «وَبِالتَّوْبَةِ» عن الذنوب إن كنتم من العوام، ومن الأخلاق الذميمة إن كنتم من الصالحين، و من الغفلة إن كنتم العارفين المحبين بل من وجودكم أيضًا.

نقل عن الجنيد قدس سره أنه قال: ما نفعني شيء مثل ما نفعني هذا البيت ٢

إذا ما قلت ما أذنبت قالت مجيبة

وجودك ذنب لا يقاس بها ذنب

«فَلَا تُسَوِّفُوا» أي لا تؤخروا؛ فإن التأخير في التوبة من إغواء الشيطان

يقول: إن الله تعالى كريم رحيم، والعمر طويل فتب إلى الله تعالى في آخره، وذلك ضلال محض؛ فإن الموت ربما يأتي بغتة لا يعلم وقته حتى يتوب قبله ولا تخافوا من عودكم إلى ذلك الذنب؛ فإن من تاب إلى الله بالخلوص يقبل الله تعالى توبته وإن عاد في اليوم سبعين مرة صرح به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في أحاديث متعددة.^(١)

وَعَنِ الْإِعْتِذَارِ إِلَى خَالِقِكُمْ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَ أَطْرَافِ النَّهَارِ
وَالسَّاعَاتِ كُلِّهَا فَلَا تَمْلُؤُوا، فَلَعَلَّكُمْ تُؤَخَّرُوا وَ تُسَعَّدُوا، وَ عَنِ النَّارِ
تُبْعَدُوا، وَ فِي الْجَنَّةِ تُخْبِرُوا، وَ إِلَى اللَّهِ تُوصَلُوا، وَ بِالنَّعِيمِ وَافْتِضَاضِ
الْأَبْكَارِ فِي دَارِ السَّلَامِ تُشْتَغَلُّوا، وَ عَلَى ذَلِكَ تُخْلَدُوا، وَ عَلَى النَّجَائِبِ
تُزَكَّبُوا، وَ بِمُحُورِ الْعَيْنِ وَ أَنْوَاعِ الطَّيِّبِ وَ صَوْتِ الْقِيَانِ مَعَ ذَلِكَ النَّعِيمِ
تُجَزَّوْا، وَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ فِي الْعِلِّيَّينِ
تُزَفَّعُوا.

«وَعَنِ الْإِعْتِذَارِ إِلَى خَالِقِكُمْ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَ أَطْرَافِ النَّهَارِ، وَ السَّاعَاتِ كُلِّهَا
فَلَا تَمْلُؤُوا» أي لا تسأموا، و لا تضجروا، فإنه تعالى باعتذاركم إليه يرحمكم وإن لم

(١) في الصحيح لمسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، برقم: ٢٧٥٨، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما يحكي عن ربه عز وجل، قال: «أذن عبد ذنبا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذن عبد ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، و يأخذ بالذنب، ثم عاد فأذن، فقال أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذن عبد ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، و يأخذ بالذنب، ثم عاد فأذن فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذن عبد ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك». وكذا في صحيح البخاري، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) الفتح: ٥١، برقم: ٧٥٠٧. قال الإمام النووي في «المنهاج شرح الصحيح لمسلم ابن الحجاج: وفي الحديث أن الذنوب لو تكررت مائة مرة بل ألفا وأكثر، وتاب في كل مرة قبلت توبته، أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته، وقوله في الحديث: «اعمل ما شئت» معناه: مادمت تذنبت فتتوب غفرت لك، انظر نفس الكتاب والباب. محمود على المشاهدي المصباحي.

تعلموا «فَلَعَلَّكُمْ» بتلك الخصال الحميدة الثلاثة والثلاثين المذكورة من الاتباع إلى الاعتذار من جانب الله تعالى «تُزَحِّمُوا رَحْمَةً» كاملة «وَتُسَعِّدُوا» بتلك الأفعال إسعادًا أبدًا «وَعَنِ النَّارِ تُبْعَدُوا» إبعادًا لا قرب منها بعدها «وَفِي الْجَنَّةِ تُخْبَرُوا» أي تنعموا و تكرموا و تسروا من الحبور بمعنى السرور «وَأِلَى اللَّهِ» تعالى «تُوصَلُوا» إيصالًا هي أجلّ النعم و أعظمها «وَبِالتَّعِيمِ» الدائم المقيم «وَأَفْتِضَاضِ الْأَبْكَارِ فِي دَارِ السَّلَامِ» في جوار رب الأنام «تُشْتَغَلُوا» أي تجعلوا مشغولين بها، و الافتضاظ فتح البكارة و رفع خطامها^(١) «وَعَلَى ذَلِكَ» الفرح والسرور أبدًا «تُخْلَدُوا» إخلادًا لا زوالًا و لا خروجًا و لا موتًا بعدها أصلاً «وَعَلَى النَّجَائِبِ» جمع النجيب و هو الإبل الكريم، والمراد هنا: المركوب المستحسن مطلقًا «تُزَكَّبُوا وَبِحُورِ الْعَيْنِ» الحور: النساء النقيات البيض المستحسنات؛ و إنما وصفت بالعين لضخامة أعينها، والتركيب من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة.

«وَأَنْوَاعِ الطَّيِّبِ وَصَوْتِ الْقِيَانِ» جمع القينة، قال أبو عمرو: كل عبد عند العرب قين والأمة قينة. وفي القاموس: القينة الأمة المغنية أو أعم، انتهى. فظهر أنه استعمل في الكلام بالمعنى الأعم والأخص كليهما، والمراد هنا: الأخص. «مَعَ ذَلِكَ النَّعِيمِ» التي ذكرت «تُجْزَوُا» تفضلاً من الله الكريم «وَمَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ» الذين هم أعلى رتبة في المؤمنين بعد النبيين «وَالشُّهَدَاءِ» بعدهم «وَالصَّالِحِينَ فِي الْعَالَمِينَ» وفي التفاسير عن كثير من السلف: أن العليين هي السماء السابع و فيها أرواح المؤمنين، أو لوح من زبرجد خضراء، معلق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيها، أو قائمة العرش اليمنى «تُرْفَعُوا» رفعة أبدًا.

(١) من الخطام يعني مهار ستر در بينی و می اندازند. من الشارح

الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ

في بيان المعالجة حين الابتلاء

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا ابْتُلِيَ الْعَبْدُ بِبَلِيَّةٍ تَحْرُكُ أَوَّلًا فِي نَفْسِهِ
بِنَفْسِهِ، فَإِنْ لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهَا اسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ كَالسَّلَاطِينِ وَ
أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ وَ أُنْبَاءِ الدُّنْيَا وَأَصْحَابِ الْأَمْوَالِ وَ أَهْلِ الطِّبِّ فِي
الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي ذَلِكَ خَلَاصَهُ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَ
جَلَّ بِالْدُّعَاءِ وَ التَّضَرُّعِ وَ الثَّنَاءِ فَمَا دَامَ يَجِدُ عِنْدَ نَفْسِهِ نُصْرَةً لَمْ يَرْجِعْ
إِلَى الْخَلْقِ.

«فِي بَيَانِ الْمَعَالَجَةِ حِينَ الْإِبْتِلَاءِ» يعني أن من طرق الوصول إلى الله تعالى طريق البلاء «قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا ابْتُلِيَ الْعَبْدُ بِبَلِيَّةٍ» مالية أو جاهية أو بدنية «تَحْرُكُ أَوَّلًا» أي تحرك العبد المبتلى أولاً بالسعي والتفكير «فِي نَفْسِهِ» لأجل دفعها «بِنَفْسِهِ» أي برأيه من غير استعانة الغير «فَإِنْ لَمْ يَتَخَلَّصْ» بسعي نفسه «مِنْهَا» أي من تلك البلية، و رأى نفسه عاجزة في دفعها «اسْتَعَانَ» في دفعها «بِغَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ كَالسَّلَاطِينِ وَ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ، وَ أُنْبَاءِ الدُّنْيَا، وَ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ» إن كانت مالية أو جاهية «وَ أَهْلِ الطِّبِّ فِي الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ» البدنية إن كانت بدنية «فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي ذَلِكَ» المذكور من الاستعانة بهؤلاء «خَلَاصَهُ» من تلك البلية «رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِالْدُّعَاءِ وَ التَّضَرُّعِ» لنفسه «وَ الثَّنَاءِ» والمدح على الله بذكر آلائه وإحسانه السابق و عموم مغفرته وسعة رحمته. «فَمَا دَامَ يَجِدُ» العبد «عِنْدَ نَفْسِهِ نُصْرَةً لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْخَلْقِ» للحمية والاستنكاف^(١) بالالتجاء والافتقار إلى الغير من جنسه.

(١) الحمية والاستنكاف: العار، يعني ننگ. من الشارح

وَمَا دَامَ يَجِدُ عِنْدَ الْخَلْقِ نُصْرَةً لَمْ يَزِجْ إِلَى الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ
إِذَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْخَلْقِ نُصْرَةً اسْتَطْرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُدِيمًا لِلسُّؤَالِ وَالِدُعَاءِ
وَالْتَضَرُّعِ وَالثَّنَاءِ وَالِافْتِقَارِ مَعَ الْخَوْفِ مِنْهُ تَعَالَى وَالرَّجَاءِ، ثُمَّ يُعْجِزُهُ
الْخَالِقُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الدُّعَاءِ وَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى يَسَّسَ وَيَنْقَطِعَ عَنْ جَمِيعِ
الْأَسْبَابِ فَحِينَئِذٍ يَنْفُذُ فِيهِ الْقَدْرُ وَيَفْعَلُ فِيهِ الْفِعْلَ فَيُفْنِي الْعَبْدَ عَنْ
جَمِيعِ الْأَسْبَابِ وَالْحَرَكَاتِ فَيُفْنِي رُوحًا فَقَطُّ.

«وَمَا دَامَ يَجِدُ عِنْدَ الْخَلْقِ نُصْرَةً» في الخلاص من تلك البلية «لَمْ يَزِجْ إِلَى
الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ» لكثرة إلفه بالأسباب و غفلته عن مُسَبِّهَا «ثُمَّ إِذَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَ
الْخَلْقِ نُصْرَةً اسْتَطْرَحَ» أي ألقى نفسه «بَيْنَ يَدَيْهِ» تعالى لإظهار عجزه ليرحم عليه
بدفع البلاء «مُدِيمًا لِلسُّؤَالِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالثَّنَاءِ وَالِافْتِقَارِ مَعَ الْخَوْفِ مِنْهُ
تَعَالَى وَالرَّجَاءِ» كما هو مقتضى الإيمان «ثُمَّ» إن أراد الله تعالى تربيته إليه، و جذبته
بالإفناء فيه، والإبقاء به «يُعْجِزُهُ الْخَالِقُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الدُّعَاءِ» بإبطاء الإنجاز^(١)
لمطلوبه، والتأخير لمُسْئُولِهِ «وَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى يَسَّسَ» عن القبول «وَيَنْقَطِعَ عَنْ جَمِيعِ
الْأَسْبَابِ فَحِينَئِذٍ يَنْفُذُ» أي يجري الله تعالى «فِيهِ الْقَدْرُ» أي حكم الله الَّذِي حَكَمَ
به في حق ذلك المبتلى.

«وَيَفْعَلُ» الله تعالى «فِيهِ» أي العبد المبتلى «الْفِعْلَ» الَّذِي أَرَادَ فِي حَقِّهِ
«فَيُفْنِي الْعَبْدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ» فلا يتوجه إلى سبب وَيُفْنِي عَنْ جَمِيعِ «الْحَرَكَاتِ»
فلا يتحرك في دفع بلاء «فَيُفْنِي» العبد «رُوحًا فَقَطُّ» و يتخلص عن شوائب
النفس و كدورات البدن.

فَلَا يَرَى إِلَّا فِعْلَ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَصِيرُ مُؤَقَّتًا مُوَحِّدًا ضَرُورَةً
فَيَقْطَعُ أَنْ لَا فَاعِلَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُحَرِّكَ وَلَا
مُسَكِّنَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ وَلَا ضَرَرَ وَلَا نَفْعَ وَلَا مَنَعَ وَلَا

(١) الإبطاء: التأخير. الإنجاز: رواه كردن. من الشارح

عَطَاءٌ وَلَا فَتْحٌ وَلَا غَلَقٌ وَلَا مَوْتُ وَلَا حَيَوَةٌ وَلَا عَزٌّ وَلَا ذُلٌّ وَلَا
لَا غِنَاءٌ وَلَا فَقْرٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

«فَلَا يَرَى إِلَّا فِعْلَ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ» يجذب الله تعالى إياه إليه بهذا التعجيز
«فِيصِيرُ» العبد حينئذ «مُوقِنًا» بأنه لا مؤثر إلا الله سبحانه «مُوجِدًا» عن اشتراك
التأثير والوجود لغير الله تعالى «ضَرُورَةً» إذ لم ير إلا فعله «فِيَقْطَعُ» العبد المبتلى
حينئذ بأن «لَا فَاعِلَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُحَرِّكَ» إلى تدبير النفس وإلى
الاسباب الخارجية «وَلَا مُسْكِنَ» عن ذلك التدبير، أو إلى مطلق الحركة و عن
مطلقها «إِلَّا اللَّهُ» الواحد القهار الَّذِي قهر الغير عن الاشتراك في الوجود و
صفاته فاضمحل الغير عن البين.

وإليه يشير قول بعض العارفين بالفارسية -

غيرتش غير درجهان نگذاشت

لا جرم عين جمله اشياء شد

و حكم العين في هذا البيت من سكر الحال، و التحقيق أن العالم ليس عينه و لا
غيره عند المحققين من العرفاء وإن كان غيرا عند العلماء «وَلَا خَيْرٌ وَلَا شَرٌّ وَلَا ضَرَرٌ
وَلَا نَفْعٌ وَلَا مَنَعٌ وَلَا عَطَاءٌ وَلَا فَتْحٌ» لشيء من الفتوحات «وَلَا غَلَقٌ» عنها «وَلَا
مَوْتُ» لموجود ظاهري «وَلَا حَيَوَةٌ» له «وَلَا عَزٌّ» لعزیز «وَلَا ذُلٌّ» لذليل
«وَلَا غِنَاءٌ» لغني «وَلَا فَقْرٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» و قدرته و مشيئته و تصرفه.

فِيصِيرُ حِينَئِذٍ فِي الْقَدْرِ كَالْطِّفْلِ الرَّضِيعِ فِي يَدِ الظُّرِّ وَالْمَيْتِ
الْعَسِيلِ فِي يَدِ الْغَاسِلِ وَالْكُرَّةِ فِي صَوْلَتَانِ الْفَارِسِ يَهْلُبُ وَيُغَيِّرُ وَ
يُبَدِّلُ وَيَكُونُ وَلَا حَرَكَاتٍ فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي غَيْرِهِ فَهُوَ غَائِبٌ عَنْ
نَفْسِهِ فِي فِعْلٍ مَوْلَاهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ مَوْلَاهُ وَفِعْلِهِ.

«فِيصِيرُ» العبد المبتلى الَّذِي جذبه الله تعالى إليه بالطريق المذكورة
«حِينَئِذٍ» حين جذبه الله تعالى بهذا الطريق «فِي الْقَدْرِ» الَّذِي هو حكم الله تعالى

على ذلك العبد المبطل المجذوب «كَالطِّفْلِ الرَّضِيعِ فِي يَدِ الظُّرِّ» أي المَرْضعة
«وَالْمَيْتِ الْغَسِيلِ» أي المغسول بمعنى الَّذِي يَغْسَلُ لَا الَّذِي غَسَلَ «فِي يَدِ الْغَاسِلِ
وَالْكُرَّةِ فِي» تصرف «صَوْلَجَانِ الْفَارِسِ» كما قيل بالفارسية بيت ٤

من بهجوكوه بميدان چوگان بدست ياراست

او می کشد بهر سو ما را چه اختیار است

«يُقَلِّبُ» الظُّرُّ المَرْضعة للصغير، والغاسل للميت، والصولجان للكرة «وَيُغَيِّرُ» كل منها للمذكورين «وَيُبَدِّلُ» كل من هؤلاء لهؤلاء من حال إلى حال «وَيُكَوِّنُ» أي يحدث هؤلاء في هؤلاء أفعالهم على مقتضى إرادتهم «وَلَا حَرَكَ بِهِ» أي لا حركة بالعبد «فِي نَفْسِهِ، وَلَا فِي غَيْرِهِ» أي لا يظهر منه حركة و سكون في نفسه، و لا تصرف منه في غيره بشيء من نفسه بهواه «فَهُوَ» أي العبد المبطل المجذوب بتلك الطريق «غَائِبٌ عَنْ نَفْسِهِ» لا يراها في البين «فِي فِعْلِ مَوْلَاهُ» الَّذِي جَذَبَهُ إِلَيْهِ «فَلَا يَرَى» ذلك العبد «غَيْرَ مَوْلَاهُ وَفِعْلِهِ» أي غير فعل مولاه الَّذِي فعل به ما فعل.

وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ مِنْ غَيْرِهِ، إِنْ أَبْصَرَ فَلِصْنَعِهِ أَبْصَرَ، وَإِنْ سَمِعَ وَعَلِمَ، فَلِكَلَامِهِ سَمِعَ، وَبِعِلْمِهِ عَلِمَ، وَبِنِعْمَتِهِ فَتَنَعَمَ، وَبِقُورِهِ أَسْعَدَ، وَبِتَقَرُّبِهِ تَزَيَّنَ، وَتَشَرَّفَ، وَبِوَعْدِهِ طَابَ وَسَكَنَ، وَبِهِ إِظْمَانٌ، وَبِهِ وَبِحَدِيثِهِ أُنْسَ، وَعَنْ غَيْرِهِ اسْتَوْحَشَ وَنَفَرَ، وَإِلَى ذِكْرِهِ التَّجَا وَرَكَنَ، وَبِهِ وَثَقَ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلَ، وَبِنُورِ مَعْرِفَتِهِ اهْتَدَى وَتَقَمَّصَ وَتَسَوَّبَلَ.

«وَلَا يَسْمَعُ» ذلك العبد شيئاً «وَلَا يَعْقِلُ» شيئاً «مِنْ غَيْرِهِ» أي من غير مولاه «إِنْ أَبْصَرَ» ذلك العبد في نفسه أو في الآفاق شيئاً «فَلِصْنَعِهِ» أي صنع ربه «أَبْصَرَ، وَإِنْ سَمِعَ» شيئاً «وَعَلِمَ» شيئاً «فَلِكَلَامِهِ» أي الرب تعالى «سَمِعَ وَبِعِلْمِهِ» أي الرب تعالى «عَلِمَ وَبِنِعْمَتِهِ» أي الرب تعالى «فَتَنَعَمَ، وَبِقُورِهِ» تعالى

«أُسْعِدَ» العبد «وَبِتَقَرِّيبِهِ» تعالى «تَزَيَّنَ» العبد «وَتَشَرَّفَ، وَبِوَعْدِهِ» تعالى «طَابَ» العبد «وَسَكَنَ» سكونا لا اضطراب، ولا تردد، ولا حركة معه.

«وَبِهِ» تعالى «إِظْمَانٌ» العبد فلا يتخرج بقبض، ولا يفرح ببسط؛ فإن كل ذلك عمل الاضطراب «وَبِهِ وَبِحَدِيثِهِ» تعالى «أَنْسَ» أُنْسَةً رُوحِيَّةً وقلبية «وَعَنْ غَيْرِهِ» أي غير الله تعالى «اسْتَوْحَشَ» استيحاشا ذاتيا «وَنَفَرَ» نفرة ذاتية «وَأِلَى ذِكْرِهِ» تعالى «الْتَجَأَ» عن ذلك الاستيحاش والنفرة «وَرَكَنَ» أي مال «وَبِهِ» عز وجل «وَوَثَّقَ» في جميع أموره «وَعَلَيْهِ تَوَكَّلَ» في جميع أموره فلا يتوجه إلى غير الله تعالى «وَبِنُورِ مَعْرِفَتِهِ» تعالى «إِهْتَدَى وَ» بذلك النور «تَقَمَّصَ» العبد «وَتَسَرَّبَلَ» فحفظ ذلك العبد بذلك النور الخاف فيصير من قرنه إلى قدمه فلا يجد الشيطان إليه سبيلا، ولا الخذلان إليه دليلا.

وَعَلَى غَرَائِبِ عُلُومِهِ إِطْلَعَ، وَعَلَى أَسْرَارِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى أَشْرَفَ،
وَمِنْهُ سَمِعَ وَوَعَى ثُمَّ عَلَى ذَلِكَ حَمْدٌ وَشُكْرٌ وَدَعَا.

«وَعَلَى غَرَائِبِ عُلُومِهِ» تعالى «إِطْلَعَ» العبد بإطلاع الله تعالى إياه «وَعَلَى أَسْرَارِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى أَشْرَفَ» فيعلم حال نفسه وغيره «وَمِنْهُ» عز وجل «سَمِعَ» ما سمع «وَوَعَى» أي حفظ ذلك المسموع «ثُمَّ عَلَى ذَلِكَ» اللطف الَّذِي جذبته تعالى به إلى ذاته وإنعامه «حَمْدٌ» الله تعالى «وَشُكْرٌ» على تلك النعمة «وَدَعَا» إظهارا للعبودية والخشوع.

الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ

في بيان مَرَاتِبِ الْمُؤْتِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَةِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا مُتَّ عَنِ الْخَلْقِ قِيلَ لَكَ: رَحِمَكَ اللَّهُ وَ
أَمَاتَكَ عَنْ هَوَاكَ، وَإِذَا مُتَّ عَنْ هَوَاكَ قِيلَ لَكَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، وَأَمَاتَكَ
عَنْ إِرَادَتِكَ وَمُنَاكَ فَإِذَا مُتَّ عَنْ إِرَادَتِكَ قِيلَ لَكَ: رَحِمَكَ اللَّهُ وَحَيَّاكَ
اللَّهُ فَحَيِّئْ نَفْسَكَ حَيَوَةً لَا مَوْتَ بَعْدَهَا، وَتَغْنَى غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا مُتَّ عَنِ الْخَلْقِ» بِإِمَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاكَ عَنْهُ
بِسْتَرِهِ عَنْكَ، وَ قَطَعَ نَظَرَ بَصِيرَتِكَ عَنْهُ بِإِظْهَارِ قِيُومِيَّتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَ مَعِيَّتِهِ مَعَ كُلِّ
شَيْءٍ فَمَا تَرَى الْخَلْقَ إِلَّا قَائِمًا بِالْحَقِّ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ، وَ لَا تَأْثِيرَ لَهُ فِي شَيْءٍ «قِيلَ
لَكَ» مِنْ سَرَادِقَاتِ مَلَكُوتِ اللَّهِ تَعَالَى «رَحِمَكَ اللَّهُ» تَعَالَى رَحْمَةً أَغْنَاكَ بِهَا عَنِ الْخَلْقِ
«وَأَمَاتَكَ» اللَّهُ «عَنْ هَوَاكَ» بِحَيْثُ لَا يَزَاحِمُ قَدَرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ، وَ لَا يَخَالِفُهُ فِيهِ
«وَإِذَا مُتَّ عَنْ هَوَاكَ» بِإِمَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاكَ عَنْهَا «قِيلَ لَكَ»: مِنْ أَسْتَارِ جَبَرُوتِ
اللَّهُ تَعَالَى «رَحِمَكَ اللَّهُ» تَعَالَى رَحْمَةً خَلَصَكَ بِهَا عَنْهَا «وَأَمَاتَكَ عَنْ إِرَادَتِكَ وَ
مُنَاكَ» فَلَا يَخْطُرُ بِقَلْبِكَ شَيْءٌ سِوَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى «فَإِذَا مُتَّ عَنْ إِرَادَتِكَ»
بِإِمَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاكَ عَنْهَا بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ «قِيلَ لَكَ»: مِنْ سَرَادِقَاتِ الْإِلَهِوتِ
«رَحِمَكَ اللَّهُ» تَعَالَى رَحْمَةً خَلَصَكَ بِهَا عَنْهَا «وَحَيَّاكَ» اللَّهُ تَعَالَى حَيَوَةً طَيِّبَةً.
«فَحَيِّئْ» أَيَّ حِينَ حَيَّاكَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ الْإِمَامَةِ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ «تُحْيِي حَيَوَةً
لَا مَوْتَ بَعْدَهَا» أَبَدًا «وَتَغْنَى» عَنِ الْغَيْرِ مُطْلَقًا «غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ» وَ لَا
اِحْتِيَاجًا إِلَى شَيْءٍ مِمَّا وَسَمَ بِالسَّوَى وَيَسْمَى بِالْغَيْرِ.

وَتُعْطَى عَطَاءً لَا مَنَعَ بَعْدَهُ، وَ تُرَاحُ بِرَاحَةٍ لَا شِقَاءَ بَعْدَهَا، وَ

تَنْعَمُ بِنَعِيمٍ لَا بُؤْسَ بَعْدَهُ، وَتُعَلِّمُ عِلْمًا لَا جَهْلَ بَعْدَهُ، وَتُؤْمِنُ أَمْنًا
فَلَا تُخَافُ بَعْدَهُ، وَتُسَعِّدُ فَلَا تُشْقِي، وَتُعَزُّ فَلَا تُذَلُّ، وَتُقَرِّبُ فَلَا
تُبْعِدُ، وَتُرْفَعُ فَلَا تُوَضَّعُ، وَتُعَظَّمُ فَلَا تُحَقَّرُ، وَتُطَهَّرُ فَلَا تُدَنِّسُ،
فَيَتَحَقَّقُ فِيكَ الْأَمَانِيُّ وَتُصَدِّقُ فِيكَ الْأَقَاوِيلُ، فَتَكُونُ كِبَرِيَّتًا أَحْمَرَ
فَلَا تُكَادُ تُرَى.

«وَتُعْطَى عَطَاءٌ لَا مَنَعَ بَعْدَهُ» أبدا «وَتُرَاحَ» بلطف الله تعالى «بِرَاحَةٍ لَا
شِقَاءَ بَعْدَهَا، وَتُنْعَمُ» بكرم الله تعالى «بِنَعِيمٍ لَا بُؤْسَ» أي السكرة والفقر
«بَعْدَهُ» أبدا «وَتُعَلِّمُ» من علم الله تعالى «عِلْمًا لَا جَهْلَ بَعْدَهُ» أبدا «وَتُؤْمِنُ أَمْنًا
فَلَا تُخَافُ» إخافة «بَعْدَهُ» أبدا «وَتُسَعِّدُ» بعناية الله تعالى إسعادا أبديا «فَلَا
تُشْقِي» شقاوة أصلا «وَتُعَزُّ» بفضل الله تعالى عزة «فَلَا تُذَلُّ» بذل أبدا «وَتُقَرِّبُ»
على بساط القرب والحضور «فَلَا تُبْعِدُ» بعده إبعادا «وَتُرْفَعُ» على
مراتب الإعراز والإجلال «فَلَا تُوَضَّعُ» بعده على الذل والهوان أبدا «وَتُعَظَّمُ»
تعظيما ربانيا «فَلَا تُحَقَّرُ» حقارة أصلا «وَتُطَهَّرُ» من الأدناس القلبية والقلبية
«فَلَا تُدَنِّسُ» فيتحقق فيك الْأَمَانِيُّ أي يقضي بك حاجات الخلائق «وَتُصَدِّقُ»
فيك «أي في حقك» الْأَقَاوِيلُ أي مقولات الخلق بأنك قطب أو غوث أو ولي أو
صاحب وقت «فَتَكُونُ كِبَرِيَّتًا أَحْمَرَ» الكبريت الأحمر: هو الذي يجعل غيرالذهب
ذهبا، والمراد هنا: أنك تصير شيئا مكملا تجعل غيرالعارف عارفا وغيرالواصل
واصلا. «فَلَا تُكَادُ تُرَى» أي لا يقرب أن يراك الخلق بإدراك كنه حقيقتك كالم
يعرف أكثر الخلق حقيقة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وَعَزِيْزًا فَلَا تُمَاقِلُ، وَفَرِيْدًا فَلَا تُشَارِكُ، وَتَكُونُ وَحِيْدًا فَلَا
تُجَانِسُ، وَتَكُونُ فَرْدًا لِفَرْدٍ وَوَحْدًا لَوَحْدٍ وَغَيْبٌ الْغَيْبِ وَسِرٌّ السِّرِّ
فَحِينَئِذٍ تَكُونُ وَارِثَ كُلِّ رَسُوْلٍ وَنَبِيٍّ وَصِدِّيْقٍ.

«وَعَزِيْزًا» أي فتكون عزيزا غريبا نادرا أو قويا غالبا «فَلَا تُمَاقِلُ» فلا

يوجد لك في العالم مثال «وَفَرِيدًا فَلَا تُشَارِكُ» أي لا يكون لك من هذا العالم شريك «وَوَحِيدًا فَلَا تُجَانِسُ» أي لا يوجد لك جنسية بهذا العالم فكأنك صرت ماهيةً أخرى غير مشارك لنوع الإنسان.

«وَتَكُونُ فَرْدًا لِفَرْدٍ وَوَتَرًا لِيُوتِرُ وَعَيْبٌ الْغَيْبِ وَسِرٌّ السِّرِّ» أي تكون منفردا عن جميع الأغيار لله تعالى الذي هو فرد لا ضد له والند، ولا شبه له ولا مثل له، ولا وزير له ومشير له، كل شيء يحتاج إليه، ولا يحتاج هو إلى شيء ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم، وبهذا المعنى فسر الفردانية وهكذا قوله: «وترأ لوتر»، و يحتمل هذه الصيغ الثلاثة أن تكون منوثة منصوبة على خبرية تكون وهو الظاهر، و يحتمل أن يكون مضافة كما أعرب في بعض النسخ، ومعناها: ما ذكرنا، فتأمل.

وأما قوله «وَعَيْبٌ الْغَيْبِ وَسِرٌّ السِّرِّ» فيحتمل أن يكون معناه فانيافي الله تعالى، فإن الفناء غيب والله تعالى أيضًا غيب، وكذا الفناء سر أي خفي، والله تعالى أيضًا سر، فظهر أن غيب الغيب و سر السر هو الفناء في الله «فَحَيِّئِذٍ» أي حين صرت موصوفا بهذه الصفات «تَكُونُ وَارِثٌ كُلِّ رَسُولٍ وَنَبِيٍّ وَصِدِّيقٍ» لأن الوراثة المعنوية هو معرفة الله تعالى وقد وصلت إليك فصرت وارثا لهم.

بِكَ تُخْتَمُ الْوَلَايَةُ وَإِلَيْكَ تُصَدَّرُ الْأَبْدَالُ وَبِكَ تُنْكَشَفُ
الْكُرُوبُ وَبِكَ تُسْقَى الْغُيُوثُ وَبِكَ تُنْبِتُ الزُّرُوعُ وَبِكَ تُرْفَعُ
الْبَلَايَا وَالْمِحْنُ عَنِ الْخَاصِّ وَالْعَامِ وَأَهْلُ الثُّغُورِ وَالرَّاعِي وَالرِّعَايَا
وَالْأَيِّمَةُ وَالْأُمَمَةُ وَسَائِرُ الْبَرَايَا فَتَكُونُ شِعْنَةَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

«بِكَ تُخْتَمُ الْوَلَايَةُ» في زمانك، وأما ختم الولاية المطلقة؛ فإنما هي بالمهدي الموعود «وَإِلَيْكَ تُصَدَّرُ الْأَبْدَالُ» أي ترجع في جميع أمورهم «وَبِكَ تُنْكَشَفُ الْكُرُوبُ» أي تقضي الحاجات «وَبِكَ تُسْقَى الْغُيُوثُ» أي الامطار جمع غيث بمعنى المطر «وَبِكَ تُنْبِتُ الزُّرُوعُ» أي الزراعات يعنى ببركة وجودك وبشفاعتك رفع الله تعالى عن خلقه جذب البلاد، وقحط العباد «وَبِكَ تُرْفَعُ الْبَلَايَا» عن جميع

خلق الله تعالى «وَالْمَحْنُ» سواء كانت بدنية أو نفسية أو مالية أو جاهية أو توقفا في مرتبة أو وقوع حجاب أو كدروة في صفاء الوقت «عَنِ الْخَاصِّ» بما ذكر أخيرا «وَالْعَامِّ» بما ذكر أولاً، «وَالْأُمَّةُ» أي الرؤساء «وَالْأُمَّةُ» أي عوام الناس «وَسَائِرُ الْبَرَائَا» أي جميع الخلق من ذوي الأرواح وغيره «فَتَكُونُ شَحْنَةُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ» أي ضابط أمورهما و كما في مهماتهما.

و في القاموس: الشحنة بالكسر ما يقام للدواب من العلف الذي يكفيها يومها و ليلها، وفي البلد من فيه الكفاية يضبطها من جهة السلطان.

فَتَنْطَلِقُ إِلَيْكَ الْأَرْجُلُ بِالسَّعْيِ وَالْإِيْدِي بِالْبَذْلِ
وَالْعَطَاءِ وَالْخِدْمَةِ بِإِذْنِ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، الْأَلْسُنُ
بِالدِّكْرِ الطَّيِّبِ وَالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ فِي جَمِيعِ الْمَحَالِّ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِيكَ
إِثْنَانِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، يَا خَيْرَ مَنْ سَكَنَ الْبَرَارِي وَالْعُمُرَانَ وَحَالَ
ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ.

«فَتَنْطَلِقُ إِلَيْكَ الْأَرْجُلُ» جمع رجل بكسر الراء بمعنى القدم «بِالسَّعْيِ» وَالْإِيْدِي بِالْبَذْلِ أي يسعى الخلق إليك بالمشي السريع على الأقدام، و يرتحل إليك أفاضل الأنام «وَالْأَيْدِي بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالْخِدْمَةِ» أي يخدمك جميع الخلق بمشي الأقدام والأيدي ذهاباً ومجيئاً وبذلاً وعطاءً وقياماً وقعوداً، وصرت أنت رئيس الكل «بِإِذْنِ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ» ومدبرها و مصرفها بأي تصرف يريد «فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ» في كل حين وزمان ومنزل ومكان.

«وَالْأَلْسُنُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ فِي جَمِيعِ الْمَحَالِّ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِيكَ» أي في حقك وعظمتك وجلالة قدرك و رفعة شأنك و علو مكانك لظهور برهانك، و وضوح سلطانتك «إِثْنَانِ» أي شخصان «مِنْ أَهْلِ

الإيمان» ولا يوجد نقصك أحد من أهل الإيقان «يَا خَيْرَ مَنْ سَكَنَ الْبَرَارِي» جمع برية بالياء بمعنى المفازة والميدان «وَالْعِمْرَانُ» أي القرى والبلدان، والمراد: خير الأنام من الإنس والجان؛ فإن ذوي الأرواح لا يخلو من سكون البراري والعمران «وَحَالُ ذَلِكَ» أي شأن وجدان تلك المراتب، وحصول تلك المناقب «فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى» لا نتيجة كسب الإنسان؛ فإن الكسب لا يبلغ هذا الشأن «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ» يعطي الفضل لمن يريد، ويفيض المنة على من يشاء.

الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ

فِي تَشْبِيهِ حَالِ الدُّنْيَا وَاشْتِغَالِ أَهْلِهَا بِهَا

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا فِي أَيْدِي أَرْبَابِهَا وَابْنَائِهَا
بِزِينَتِهَا وَابْطَانِهَا وَخِدَعِهَا وَمَصَائِدِهَا وَسُوءِهَا الْقَاتِلَةِ مَعَ لَيْلٍ
مَسَّ ظَاهِرَهَا وَضَرَّازَةَ بَاطِنِهَا وَسُرْعَةَ إِهْلَاكِهَا وَقَتْلَهَا لِمَنْ مَسَّهَا وَ
اغْتَرَبَهَا وَغَفَلَ عَنْ رَاهِيَتِهَا وَغَيْرِهَا بِأَهْلِهَا وَنَقَضَ عَهْدَهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا فِي أَيْدِي أَرْبَابِهَا وَابْنَائِهَا» أي أصحابها الطالبين لها، المشتغلين بها «بِزِينَتِهَا» أي مع زينتها «وَابْطَانِهَا» و مزخرفاتها و خطامها «وَخِدَعِهَا» و مكرها بأهلها «وَمَصَائِدِهَا» جمع مصيد، و هي ما يصيد من أهلها يجعلهم مشتغلين بها، عاكفين عليها لا يقدرّون على الانفكاك و الخلاص عنها أصلاً «وَسُوءِهَا الْقَاتِلَةِ» من الغفلة والغرور و الاشتغال بجمع حطامها «مَعَ لَيْلٍ مَسَّ ظَاهِرَهَا» لأنها مشتتة النفس فتميل إليها بجِبِلَّتِهَا و طبعها «وَضَرَّازَةَ بَاطِنِهَا» فإنها مُضِرَّةٌ في الباطن إذا لم يكن السلوك معها على قانون الشرع، و قلما يكون ذلك «وَسُرْعَةَ إِهْلَاكِهَا وَقَتْلَهَا لِمَنْ مَسَّهَا» أي طَلَبَهَا واشتغل بها على خلاف قانون الشرع «وَاغْتَرَبَهَا» فلم يعمل بما فيها إلا بما يقتضيه الهوى «وَغَفَلَ عَنْ رَاهِيَتِهَا» خالطته لإهلاكه بحبها «وَغَيْرَهَا» أي تغييراتها «بِأَهْلِهَا» فإنها ما وَفَتْ بأحد «وَ» غفل عن «نَقَضَ عَهْدَهَا» بأهلها فإذا رأيت حال الدنيا وأهلها المشتغلين بها.

فَكُنْ كَمَنْ رَأَى إِنْسَانًا عَلَى الْغَايِطِ بِالْبَرَّازِ بِأَدِيَّةٍ سَوَاءَ فَائِحَةٍ
رَائِحَتُهُ فَإِنَّكَ تَغْضُ بِصُرْكَ عَنْ سَوَائِهِ وَتَسُدُّ عَلَى أَنْفِكَ مِنْ رَائِحَتِهِ
وَ تَنْتَبِهُ فَهَكَذَا كُنْ فِي الدُّنْيَا إِذَا رَأَيْتَهَا بِنَضَارَتِهَا غُضَّ بِصُرْكَ عَنْ

زَيْنَتِهَا، وَ سُدَّ عَلَى أَنْفِكَ بِمَا يَفُوحُ مِنْ رَوَائِحِ شَهْوَاتِهَا وَ لَذَائِهَا
لِتَنْجُو مِنْهَا وَ مِنْ أَفَاتِهَا وَ يَصِلُ إِلَيْكَ قِسْمُكَ مِنْهَا.

«فَكُنْ» أنت أيها الحاذق الصائب هذا جواب شرط «كَمَنْ رَأَى إِنْسَانًا»
جالسا «عَلَى الْعَائِطِ بِالْبَرَّازِ» أي الصحراء «بَادِيَةً سَوَاءَةً» ظاهرة عورته و عيبه
«فَائِحَةً رَائِحَتَهُ» منتشرة ننته، فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ مِثْلَ ذَلِكَ الرَّائِي، وَ مَرَرْتَ عَلَى ذَلِكَ
الإنسان «فَإِنَّكَ» البتة بمقتضى لطافة طبعك «تَغْضُ بِصُرْكَ عَنْ سَوَاتِهِ» الكريهة
«وَ تَسُدُّ عَلَى أَنْفِكَ مِنْ رَائِحَتِهِ وَ تَنْتِنُهُ فَهَكَذَا» أي بمثل هذه الحالة من غرض البصر
من تلك السوءة و سد الأنف من تلك الرائحة الكريهة «كُنْ» أنت «فِي الدُّنْيَا» في
جميع أحوالك «إِذَا رَأَيْتَهَا» أي الدنيا «بِنَصَارَتِهَا» في أيدي أهلها «غَضَّ بِصُرْكَ
عَنْ زَيْنَتِهَا، وَ سُدَّ عَلَى أَنْفِكَ بِمَا يَفُوحُ» و ينتشر «مِنْ رَوَائِحِ شَهْوَاتِهَا» الرزيلة
الرائحة سريعة «وَ لَذَائِهَا» الخسيسة الفانية قريية «لِتَنْجُو» أنت «مِنْهَا وَ مِنْ
أَفَاتِهَا» العاجلة والأجلة المفضحة عند الخلق والخالق، «وَ» لا تظن أن بسعيك
يزداد رزقك الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ فِي تَقْدِيرِهِ الْأَزَلِيِّ، وَ بِالْإِمْتِنَاعِ عَنْهَا يَنْقُصُ شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ بَلْ مَعَ قَرَارِكَ وَ إِعْرَاضِكَ عَنْهَا «يَصِلُ إِلَيْكَ» البتة
«قِسْمُكَ» الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَصيبَكَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ «مِنْهَا» بغير تعمد منك و
اضطراب و تفكر و تردد.

وَأَنْتَ مُهْتَأءٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا
بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ نَخْتَبِرُهُمْ فِيهِمْ وَ رِزْقُ
رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة طه، رقم السورة: ٢٠، رقم الآية: ١٣١]

«وَ» الحال أنك «أَنْتَ مُهْتَأءٌ» أي جُعِلَ لَكَ مَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ مَبَارَكًا لَا تَعْبُ
فِيهِ، وَ لَا عَيْبَ لَكَ مِنَ الْخَلْقِ، وَ لَا حِسَابَ، وَ لَا عِقَابَ مِنَ الْخَالِقِ تَعَالَى وَ تَقْدُسُ
«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَهْيًا لِنَبِيِّهِ أَفْضَلَ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَامِ
وَأَسْنَى الصَّلَوَاتِ:

«وَلَا تَمُدَّنَّ» نظر «عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ» أي نعم التي أعطيناها «أَزْوَاجًا مِنْهُمْ» أصنافا من الكفرة نظر استحسان و غبطة إعجابا به و ميلا أن يكون مثله لك لا نظر عبرة «زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» بهجتها و زينتها و نضارتها الزائلة الفانية «لِنَفْتِنَهُمْ» نختبرهم «فيه» و نجعل ذلك فتنة لهم و بلاء و وبالا عليهم «وَرِزْقُ رَبِّكَ» أي الَّذِي أعطاك ربك من العلم والنبوة في الدنيا، والثواب الجميل في الآخرة أو الحلال الكافي في الدنيا، والرتبة العظيمة في الآخرة «خَيْرٌ» لك «وَأَبْقَى» بخلاف حطام الدنيا فإنها أشرو أفنى.

ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر أبنية الظمة وعُدَدِ الفسقة، فبملا بسهم ومراكبهم، حتى قال رئيس الصوفية الحسن البصري: لا تنظروا إلى دققة هماليج^(١) الفسقة، ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب، اه. ش

(١) هما ليج جمع هملج، وهو البرذون. من الشارح ١٢

الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ

فِي بَيَانِ الْفَنَاءِ عَنِ الْخُلُقِ بِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى
وَعَنِ الْهُوَى بِأَمْرِهِ وَعَنِ الْإِرَادَةِ بِفِعْلِهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ عَنِ الْخُلُقِ بِحُكْمِ اللَّهِ، وَعَنِ هَوَاكَ
بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَنِ إِرَادَتِكَ بِفِعْلِ اللَّهِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِنْ» أنت أيها السالك «عَنِ الْخُلُقِ» بأن لا تراه في الخير والشر سببا مستقلا «بِحُكْمِ اللَّهِ» تعالى أي برؤية حكم الله و ملاحظته، والعلم بأن حكم الله تعالى جرى على الخلق فيما يفعلونه بك أو بغيرك في جميع أمورهم «و» افن «عَنِ هَوَاكَ بِأَمْرِ اللَّهِ» تعالى أي اجعل هواك تابعا لأمر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى في ذم الهوى:

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا. أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا. [الفرقان، رقم السورة: ٥، رقم الآية: ٤٤-٤٥]

وقال رسول الله صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم:

لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَابِعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ. ^(١)

«و» افن «عَنِ إِرَادَتِكَ بِفِعْلِ اللَّهِ» تعالى أي ليكن رؤية فعل الله تعالى في كل حين و زمان حالك فتصير إرادتك فانية مضمحلة في أفعال الله تعالى بك و بغيرك.

فَحِينَئِذٍ تَضِلُّحُ أَنْ تَكُونَ وَعَاءَ لِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَلَامَةٌ فَنَائِكَ
عَنِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى انْقِطَاعُكَ عَنْهُمْ وَعَنِ التَّرَدُّدِ إِلَيْهِمْ وَالْيَأْسِ بِمَا فِي
أَيْدِيهِمْ، وَ عَلَامَةٌ فَنَائِكَ عَنْ هَوَاكَ تَزُكُّ التَّكْسِبِ وَالتَّعَلُّقِ بِالسَّبَبِ

(١) روح البيان، سورة النساء، رقم الآية: ٦٤

فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ فَلَا تَتَحَرَّكَ فِيكَ بِكَ وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَيْكَ
وَلَا تَذُبْ عَنْكَ وَلَا تَنْصُرْ نَفْسَكَ بِشَيْءٍ لَكِنْ تَكُنْ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى، لِأَنَّهُ تَوَلَّاهُ أَوْ لَا فَيَتَوَلَّاهُ إِخْرًا ذَلِكَ مَوْكُؤُ لَا إِلَيْهِ تَعَالَى فِي حَالِ
كَوْنِكَ مُغَيَّبًا فِي الرَّحِمِ وَكَوْنِكَ رَضِيْعًا طِفْلًا فِي مَهْدِكَ.

«فَحَيِّئِذٍ» أي حين أفنيك عن إرادتك و هواك المانعين عن التوجه التام إلى الله تعالى، الحاجبين عن الانكشاف التام «تَصْلُحُ» أنت «أَنْ تَكُونَ وَعَاءً لِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى» أفاض الله تعالى عليك علم الأسرار، و يصب عليك الأنوار «فَعَلَامَةٌ فَنَائِكَ عَنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى» بحكم الله تعالى «إِنْ قَطَاعُكَ عَنْهُمْ» في الباطن «وَعَنِ التَّرَدُّدِ إِلَيْهِمْ، وَالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ» في الظاهر فإذا حصل لك هذا الانقطاع ظاهرا و باطنا تحقق لك الفناء عن الخلق.

«وَعَلَامَةٌ فَنَائِكَ عَنْ هَوَاكَ تَرْكُ التَّكْسِبِ وَالتَّعَلُّقِ بِالسَّبَبِ فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَ دَفْعِ الضَّرَرِ» فإن التعلق بالأسباب، و الاشتغال بالكسب في ابتداء السلوك إنما هو بالهوى؛ فإذا خلصت عن هواك «فَلَا تَتَحَرَّكَ فِيكَ» في جميع أمورك النفسية و البدنية «بِكَ» أي بتدبيرك و تصرفك «وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَيْكَ» فيما ينفع لك «وَلَا تَذُبْ» أي لا تدفع «عَنْكَ» شيئا برأيك «وَلَا تَنْصُرْ نَفْسَكَ بِشَيْءٍ» بهواك «لَكِنْ تَكُنْ ذَلِكَ» من جلب المنافع و دفع المضار «كُلَّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ تَوَلَّاهُ» أي جميع أمورك «أَوْ لَا» من بدأ فطرتك حين كونك نطفة جنينا، و طفلا رضيعا غير عاقل إلى أن كمل لك عقلك «فَيَتَوَلَّاهُ» أي جميع أمورك «إِخْرًا» أي حالا و استقبالا «كَمَا كَانَ ذَلِكَ» أي جميع أمورك «مَوْكُؤُ لَا إِلَيْهِ تَعَالَى فِي حَالِ كَوْنِكَ مُغَيَّبًا فِي الرَّحِمِ، وَكَوْنِكَ رَضِيْعًا طِفْلًا فِي مَهْدِكَ»

قال سيد الطائفة الشيخ أبوالحسن الشاذلي في بعض مناجاته: كن لي الآن كما كنت لي قبل، والسلام.

وَعَلَامَةٌ فَنَائِكَ عَنْ إِرَادَتِكَ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّكَ لَا تُرِيدُ

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج: ٦، ص: ٢٠، برقم: ٢٥٠٧.

مُرَادًا قَطُّ، وَ لَا يَكُونُ لَكَ غَرَضٌ، وَ لَا يَبْقَى لَكَ حَاجَةٌ وَ لَا مَرَامٌ
لِإِنَّكَ لَا تُرِيدُ مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ سِوَاهَا بَلْ يَجْرِي فِيكَ فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى
فَتَكُونُ أَنْتَ إِرَادَةُ اللَّهِ وَ فِعْلُهُ سَاكِنَ الْجَوَارِحِ مُظْمَنٍ الْجَنَانِ
مَشْرُوحِ الصِّدْرِ مُنَوَّرِ الْوَجْهِ عَامِرِ الْبَاطِنِ غَنِيًّا عَنِ الْأَشْيَاءِ بِخَالِقِهَا.

«وَعَلَامَةُ فَنَائِكَ عَنْ إِرَادَتِكَ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّكَ لَا تُرِيدُ مُرَادًا قَطُّ وَ لَا يَكُونُ
لَكَ غَرَضٌ فِي شَيْءٍ «وَ لَا يَبْقَى لَكَ» إِلَى شَيْءٍ «حَاجَةٌ وَ لَا مَرَامٌ» مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ
«لِإِنَّكَ» إِذَا أَفْنَيْتَ إِرَادَتَكَ فِي إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى «لَا تُرِيدُ بِنَفْسِكَ مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى
سِوَاهَا» أَيِ سِوَى إِرَادَتِهِ تَعَالَى «بَلْ يَجْرِي فِيكَ» فِي حَالَاتِكَ «فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى»
الَّذِي أَرَادَ فِي حَقِّكَ قَبْلَ وَجُودِكَ «فَتَكُونُ أَنْتَ» لِفَنَائِكَ فِي إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّكَ
«إِرَادَةُ اللَّهِ» تَعَالَى «وَ فِعْلُهُ» تَعَالَى «سَاكِنَ الْجَوَارِحِ» لَا تَحْرُكُهَا فِي شَيْءٍ «مُظْمَنٍ
الْجَنَانِ» غَيْرَ مَائِلٍ إِلَى شَيْءٍ «مَشْرُوحِ الصِّدْرِ» لِعَدَمِ مَزَاحِمَةٍ مَطْلُوبٍ وَ مَقْصُودٍ فِيهِ
«مُنَوَّرِ الْوَجْهِ» بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى «عَامِرِ الْبَاطِنِ» بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى «غَنِيًّا عَنِ الْأَشْيَاءِ»
كُلِّهَا «بِخَالِقِهَا» أَيِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى خَالِقِ الْأَشْيَاءِ، وَ تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

تُقَلِّبُكَ يَدُ الْقُدْرَةِ، وَ يَدْعُوكَ لِسَانُ، الْأَزَلِ وَ يُعَلِّمُكَ رَبُّ
الْمُلْكِ، وَ يَكْشُوكَ أَنْوَارًا مِنْهُ وَ يَلْبَسُكَ الْحُلُلَ، وَ يَنْزِلُكَ مَنَازِلَ مَنْ
سَلَفَ مِنْ أَوَّلِي الْعِلْمِ الْأَوَّلِ فَتَكُونُ مُنْكَسِرًا أَبَدًا فَلَا يَبْثُ فِيكَ
شَهْوَةٌ وَ لَا إِرَادَةٌ كَالْإِنَاءِ الْمُثْقَلِ الَّذِي لَا يَبْثُ فِيهِ مَائِعٌ وَ لَا كَدٌّ
فَتَنْبُو عَنْ الْأَخْلَاقِ الْبَشَرِيَّةِ فَلَنْ يَقْبَلَ بَاطِنُكَ شَيْئًا غَيْرَ إِرَادَةِ اللَّهِ
تَعَالَى فَحِينَئِذٍ يُضَافُ إِلَيْكَ التَّكْوِينُ وَ خَرَقُ الْعَادَاتِ

«تُقَلِّبُكَ يَدُ الْقُدْرَةِ» وَ تَصْرِفُ فِيكَ مَوْيِدًا بِالنَّصْرَةِ «وَ يَدْعُوكَ لِسَانُ
الْأَزَلِ» بِمَا يَلِيقُ بِحَالِكَ مِنَ الْخُطَابِ، وَ يَحْفَظُكَ عَنِ الزَّلَلِ وَ الْعَتَابِ «وَ يُعَلِّمُكَ رَبُّ
الْمُلْكِ» عَلِمًا لِدُنْيَا تَعَلَّمَ بِهِ مَا فِي الْأَرْضِ، وَ مَا تَحْتَهَا إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، وَ مَا عَلَيْهَا،
وَ مَا عَلَى الْفَلَكَ إِلَى أَعْلَى عَلِيَيْنِ «وَ يَكْشُوكَ» الرَّبُّ تَعَالَى «أَنْوَارًا مِنْهُ» أَيِ مِنْ

عنده مختصة به تعالى «وَيَلْبِسُكَ» الرب تعالى «الْحُلَّةَ» المزيينة بالصفات الجميلة «وَيُزِلُّكَ» ربك «مَنَازِلَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أُولَى الْعِلْمِ» الكامل الشامل «الأول» و هي وإن كان جمع أولى مؤنث أول كأخرى وأخر لكن جاء و صفا لجماعة الرجال من حيث التأنيث صرح به في الصحاح.

«فَتَكُونُ» أنت بذهاب هواك وإرادتك «مُنْكَسِرًا أَبَدًا» فلا يبقيان ولا يرجعان إليك «فَلَا يَثْبُتُ فِيكَ» لانكسارك «شَهْوَةً» و اشتها إلى شيء من حظوظ النفس «وَلَا إِرَادَةً» أي ميل وإن لم يبلغ الاشتها «كَالْأَنَاءِ الْمُتَنَلِّمِ» من ثلمته فانتلم إذا كسرت فأنكسر «الذي لَا يَثْبُتُ فِيهِ مَائِعٌ» أي سائل من ماع يبيع إذا جرى على وجه الأرض، كذا في الصحاح، لكن المراد به هنا: صاف بقرينة قوله: «وَلَا كَذَرٌ فَتَنْبُوْ» أي تباعد، قال في الصحاح: نَبَأُ الشَّيْءِ عَنِّي يَنْبُوْ أي تجاف و تباعد، و أنبيته أي دفعته عن نفسي، انتهى. «عَنِ الْأَخْلَاقِ الْبَشَرِيَّةِ» فإذا زالت عنك الصفات البشرية «فَلَنْ يَقْبَلَ بَاطِنُكَ» أي روحك الَّذِي ارتقى إلى ذروة الكمال «شَيْئًا» من الأمور الدنيوية والأخروية «غَيْرَ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى» في حَقِّكَ أَيَّامًا كان «فَحَيْنَئِذٍ» أي حين صرت بهذه الصفة «يُضَافُ إِلَيْكَ» من الله تعالى عند أرباب الطريقة «التَّكْوِينِ» أي جعل الأشياء كائنا و موجودا «وَحَزَقُ الْعَادَاتِ» والكرامات.

فَيَرَى ذَلِكَ مِنْكَ فِي ظَاهِرِ الْعَقْلِ وَالْحُكْمِ وَهُوَ فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى
وَإِرَادَتُهُ تَعَالَى حَقًّا فِي الْعِلْمِ فَتَدْخُلُ حَيْنَئِذٍ فِي رُؤْمَةِ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ
الَّذِينَ انْكَسَرَتْ إِرَادَتُهُمْ الْبَشَرِيَّةُ وَ أُرِيْلَتْ شَهَوَاتُهُمْ الطَّبْعِيَّةُ
فَاسْتَوْفَتْ لَهُمْ إِرَادَةُ رَبَّانِيَّةٍ وَ شَهَوَاتُ وَظَنَفِيَّةٍ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَسَلَّمَ:
حُبِّبْ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَ: الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ وَ جُعِلَتْ
قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ.

«فَيُرَى ذَلِكُ» أي التكوين و خرق العادات «مِنْكَ فِي ظَاهِرِ الْعَقْلِ وَالْحُكْمِ» يعني ينسب ذلك برؤية ظاهر العقل والحكم، وليس منك في الحقيقة؛ لأنك ما بقيت بنفسك «وَهُوَ فَعَلُ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَتُهُ تَعَالَى حَقًّا» أي محققا «فِي الْعِلْمِ» المطابق للواقع «فَتَدْخُلُ حِينَئِذٍ فِي زُمْرَةِ» الطائفة العلية «الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ» الذين ورد في شأنهم في الحديث القدسي: أنا عند المنكسرة قلوبهم.^(١)

و هم «الَّذِينَ انْكَسَرَتْ إِرَادَتُهُمُ الْبَشَرِيَّةُ» أي ذهبت وانمحت «وَأَزِيلَتْ شَهَوَاتُهُمُ الطَّبِيعِيَّةُ» واضمحلت «فَاسْتَوْفَتْ لَهُمْ» أي أخذتهم بالكلية «إِرَادَةُ رَبَّانِيَّةٍ وَشَهَوَاتٌ وَظِلْفِيَّةٌ» أي ما جعلها الله تعالى لهم ووظيفة معينة من عنده فبتلك الإرادة والشهوات يريدون شيئا و يشتهون شيئا، و بها يستريحون لا بإرادة نفسانية، ولا بشهوات حيوانية.

«كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَسَلَّمَ: حُبِّبْ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: الطَّيِّبُ، وَالنِّسَاءُ، وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ.»^(٢)

و على ظاهر الحديث أوردوا إشكالا، وهو أنه صلى الله عليه و على آله و سلم أضاف الأمور الثلاثة إلى الدنيا ثم عدها، والثالث أعني "قرة عيني في الصلوة" ليس من أمور الدنيا.

وأجابوا عنه بوجوه:

أحدها: أن المراد بقرة العين القيلولة فإنها سبب الراحة في التهجد.

وثانيها: أن المراد به سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء و كانت وقت التكلم

في الصلوة فكأنه عليه الصلوة والسلام قال قرة عيني الكائنة في الصلوة.

(١) انظر إحياء العلوم للإمام الغزالي في كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة، ونصه: قال موسى: إلهي أين أبغيك؟ قال "عند المنكسرة قلوبهم"
(٢) انظر مسند الإمام أحمد، مسند أنس، برقم: ١٤٠٣٧ - وسنن النسائي، باب حب النساء برقم: ٣٩٣٩ - وسنن الكبرى للبيهقي، برقم: ١٣٤٥٤.

وثالثها: أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لَمَّا وقع في ذكر حظوظ الدنيا لم ترض نفسه القدسية الاشتغال بها فأعرض عنها إلى الأمر الأخروي، لكن الصحيح الَّذِي عليه المحققون من أصحاب الحديث هو أن لفظ ثلث لم يثبت من الحديث وعلى هذا فلا إشكال. والمقصود بالذكر هنا هو لفظ "حب" الدال على أنه كان من الله تعالى لا من نفسه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فَاضْيِفْ ذَلِكَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهُ
وَزَالَ عَنْهُ تَحْقِيقًا لِمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَتَقَدَّمَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "أَنَا عِنْدَ
الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي" فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَكُونُ عِنْدَكَ حَتَّى تَنْكَسِرَ
بِجُمْلَتِكَ وَهَوَاكَ وَإِرَادَتِكَ فَإِذَا انْكَسَرَتْ بِجُمْلَتِكَ وَلَمْ يَثْبُتْ فِيكَ شَيْءٌ
وَلَمْ تَصْلُحْ لِشَيْءٍ سِوَاهُ أَنْشَأَكَ اللَّهُ تَعَالَى فَجَعَلَ فِيكَ إِرَادَةً فَتَرِيدُ
بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ فَإِذَا وَجِدْتَ فِي تِلْكَ الْإِرَادَةِ الْمُنْشَأَةَ فِيكَ كَسَرَهَا
الرَّبُّ تَعَالَى لِيُجَوِّدَكَ فِيهَا فَتَكُونُ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ أَبَدًا فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ
لَا يَزَالُ يُجَدِّدُ فِيكَ إِرَادَةً ثُمَّ يُزِيلُهَا عِنْدَ وَجُودِكَ فِيهَا هَكَذَا إِلَى أَنْ
يَتَلَعَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ.

«فَاضْيِفْ ذَلِكَ» المحبة «إِلَيْهِ» صلى الله عليه وآله وسلم «بَعْدَ أَنْ خَرَجَ»
المحبة النفسانية بإرادته «مِنْهُ وَزَالَ» الشهوة البشرية «عَنْهُ تَحْقِيقًا لِمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ»
في بيان المنكسرة قلوبهم «وَمَا» لما «تَقَدَّمَ» في أول المقالة، وهذا الانكسار أعلى
مراتب الطالبين المفيد لكون الله تعالى عندهم كما «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ
قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي" فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَكُونُ عِنْدَكَ حَتَّى تَنْكَسِرَ بِجُمْلَتِكَ» أي جميع صفاتك
خصوصاً أعظمها «وَمَا» هو «هَوَاكَ وَإِرَادَتِكَ فَإِذَا انْكَسَرَتْ بِجُمْلَتِكَ وَلَمْ يَثْبُتْ
فِيكَ شَيْءٌ وَلَمْ تَصْلُحْ» أنت «لِشَيْءٍ سِوَاهُ» تعالى «أَنْشَأَكَ اللَّهُ تَعَالَى» انشاء.
آخر «فَجَعَلَ» الله تعالى «فِيكَ» حين فناء «إِرَادَتِكَ إِرَادَةً» من عنده «فَتَرِيدُ»
الأشياء حينئذ «بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ» التي أحدث الله تعالى فيك «فَإِذَا وَجِدْتَ» بصيغة
المجهول بأن يظهر وجودك «فِي تِلْكَ الْإِرَادَةِ الْمُنْشَأَةِ فِيكَ كَسَرَهَا» أي تلك

الإرادة المخلوطة بك «الرَّبُّ تَعَالَى» لكمال لطفه بك «لَوْ جُودَكَ فِيهَا» أي في تلك الإرادة «فَتَكُونُ» بكسر الله تعالى إياك «مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ أَبَدًا فَهُوَ» أي الله «عَزَّ وَ جَلَّ» لَا يَزَالُ يُجَدِّدُ فِيكَ إِرَادَةً من عنده «ثُمَّ يَزِيلُهَا» أي تلك الإرادة «عِنْدَ وَجُودِكَ فِيهَا هَكَذَا» في كل مرة «إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ» والمراد به والله تعالى أعلم: الفناء المطلق حتى لا يظهر وجودك في البين أصلا.

فِيحْصُلُ لَكَ اللَّقَاءُ فَهَذَا مَعْنَى: «أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُكُمْ مِنْ أَجَلِي» وَ مَعْنَى قَوْلِنَا عِنْدَ وَجُودِكَ فِيهَا هُوَ رَكُوتُكَ وَ طَمَائِنَتُكَ إِلَيْهَا. قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي بَعْضِ مَا يَذْكُرُهُ نَبِيُّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. وَ فِي لَفْظٍ آخَرَ: فَبِنِي يَسْمَعُ، وَ بِنِي يَبْصُرُ، وَ بِنِي يَبْطِشُ، وَ بِنِي يَمْشِي.

«فِيحْصُلُ لَكَ اللَّقَاءُ» أي لقاء الله تعالى في كل مشاهد و معقول، و تدخل في زمرة من قال: ما رأيت شيئا إلا و قد رأيت الله قبله أو فيه أو بعده «فَهَذَا» الَّذِي ذَكَرَ مِنَ الْكُسْرِ كُلِّ مَرَّةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى شَائِبَةٌ وَجُودِكَ «مَعْنَى» العندية في قوله تعالى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ «أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُكُمْ مِنْ أَجَلِي»^(١) وَ مَعْنَى قَوْلِنَا عِنْدَ وَجُودِكَ فِيهَا» أي في الإرادة المنشأة فيك «هُوَ رَكُوتُكَ وَ طَمَائِنَتُكَ إِلَيْهَا» أي ميلك إلى تلك الإرادة المنشأة، و قرارك فيها «قَالَ» الله «عَزَّ وَ جَلَّ» فِي بَعْضِ مَا أَيْ الْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَةِ الَّتِي «يَذْكُرُهُ نَبِيُّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»: «مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»^(٢).

(١) مرتخرجه

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم: ٦٥٠٢، وأخرجه أيضا ابن حبان: ٥٨ / ٢، برقم: ٣٤٧، وأبو نعيم في الحلية: ٤ / ١.

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: فَيَسْمَعُ، وَيَبْصُرُ، وَيَبْطِشُ، وَيَبْغِثُ^(١).

هذا الحديث أورده البخاري بعبارة أبسط مما هنا ففيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأَعِذَّنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ^(٢).

وهذه المرتبة تسمى في اصطلاح الصوفية بقرب النوافل، وهو أن يكون السالك فاعلا، والحق تعالى فيه بمنزلة الآلة و جوارحه كما دل عليه الحديث الصحيح، وهذا معناه عند أرباب التوحيد والعرفان، وأما عند أرباب العلم والبرهان فمعناه: كنت أسرع إلى قضاء حوائجه في سمعه في الاستماع، ومن بصره في النظر، ويده في البطش، ورجله في المشي.

والحاصل أن حوائج العبد كما يقضى بجوارحه فأنا أقضيه كذلك بل أسرع منه، وهو كناية عن تولى الله تعالى لجميع أموره، وهو أدنى المراتب، وسواها ثلاث مراتب بعضها أعلى من بعض، وقد دل الحديث على أن قرب الفرائض أعظم وأحب عند الله تعالى من قرب النوافل.

وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ حَالَهُ الْفَنَاءِ لَا غَيْرَ فَإِذَا أَفْنَيْتَ عَنْكَ وَعَنِ الْخَلْقِ، وَالْخَلْقُ إِنَّمَا هُوَ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَكَذَلِكَ أَنْتَ خَيْرٌ وَشَرٌّ فَلَمْ تَزُجْ خَيْرُهُمْ وَلَا تَخَافُ شَرَّهُمْ بَقِيَ اللَّهُ وَخَدَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكَ فَفِي قُدْرَةِ اللَّهِ خَيْرٌ وَشَرٌّ فَيَوْمُنَا مِنْ شَرِّهِ وَيَغْرِفُكَ فِي بِحَارِ خَيْرِهِ

(١) أورده ابن حجر في الفتح ٣٤٤ / ١١، نقلا عن الطوخى، ولم يعزها إلى أي مصدر

(٢) مرتجيجه سابقا

فَتَكُونُ وِعَاءَ لِكُلِّ خَيْرٍ وَمَنْبَعًا لِكُلِّ نِعْمَةٍ وَسُرُورٍ وَحُبُورٍ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ وَآمِنٍ وَسَكُونٍ فَالْفَنَاءُ هُوَ الْمُنَى وَالْمُبْتَغَى وَالْمُنْتَهَى وَحَدٌّ وَمَرْدٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ سَيْرُ الْأَوْلِيَاءِ.

«وَهَذَا» أي بلوغ السالك إلى مرتبة السماع بالله والإبصار والبطش وغيرهما بالله تعالى «إِنَّمَا يَكُونُ حَالَةُ الْفَنَاءِ لَا غَيْرَ فَإِذَا أَفْنَيْتَ عَنْكَ وَ عَنِ الْخَلْقِ» بلطف الله تعالى بك «وَالْخَلْقُ إِنَّمَا هُوَ خَيْرٌ وَ شَرٌّ» بتقدير الله تعالى على مقتضى حكمته فلم ترج خيرهم، ولا تخاف شرهم «وَكَذَلِكَ أَنْتَ خَيْرٌ» في بعض أفعالك وأقوالك وأحوالك وتباتك «وَشَرٌّ» في بعضها «فَلَمْ تَرْجُ خَيْرَهُمْ، وَ لَا تَخَافُ شَرَّهُمْ» فإن ذلك علامة الفناء عنهما «بَقِيَ اللَّهُ» تعالى «وَحَدٌّ» وبهذا المعنى قالوا: المسافة إلى الله تعالى بقدمين ضع أحدهما عليك، والآخر على الخلق، وصل بالله تعالى «كَمَا كَانَ» الله تعالى باقيا وحده «قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكَ» وما ترى موجودا غيرك «فَفِي قُدْرَةِ اللَّهِ» تعالى أيضًا «خَيْرٌ وَ شَرٌّ» فإنهما من أثار كمال القدرة ومقتضى الحكمة «فِيؤْمِنُكَ» ربك بكمال لطفه بك «مِنْ شَرِّهِ» أي من شرمخلوق خلقه أو مقدور قدره «وَيَغْرِقُكَ فِي بَحَارِ خَيْرِهِ فَتَكُونُ» أنت حينئذ «وِعَاءٌ» و محلا «لِكُلِّ خَيْرٍ وَمَنْبَعًا» وعينا «لِكُلِّ نِعْمَةٍ وَسُرُورٍ وَحُبُورٍ» بمعنى سرور، به صرح في القاموس «وَنُورٍ» هو المستضيء بالغير «وَضِيَاءٍ» هو المستضيء بالذات كما قال تعالى:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا. (يونس. رقم السورة: ١٠، رقم الآية: ٥)
«وَأَمِنٍ» من المكاره «وَسَكُونٍ» أي قرار من الاضطراب إلى وجد شيء أو عن فقد شيء «فَالْفَنَاءُ» المطلق «هُوَ الْمُنَى» أي المطلوب «وَالْمُبْتَغَى» أي المقصود «وَالْمُنْتَهَى وَحَدٌّ» له «وَمَرْدٌ» مرجع «يَنْتَهِي إِلَيْهِ سَيْرُ الْأَوْلِيَاءِ»

وَهُوَ الْإِسْتِقَامَةُ الَّتِي طَلَبَهَا مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ
أَنْ يَفْنَوْا عَنْ إِرَادَتِهِمْ فَتَبْدَلَ إِرَادَةُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَرِيدُونَ بِإِرَادَةِ

الْحَقِّ أَبَدًا إِلَى الْوَفَاةِ فَلِهَذَا سُمُّوا أَبَدًا لَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَذُنُوبٌ هَؤُلَاءِ
السَّادَاتِ أَنْ يُشْرِكُوا إِرَادَةَ الْحَقِّ بِإِرَادَتِهِمْ عَلَى وَجْهِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ
وَعَلَبَةِ الْحَالِ وَالْدَّهْشَةِ فَيَذَرُكُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ بِالْيَقْظَةِ وَالتَّذَكُّرَةِ
فَيَرْجِعُونَ عَنْ ذَلِكَ وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ لَا مَعْصُومَ عَنِ
الْإِرَادَةِ إِلَّا الْمَلَكَةُ.

«وَهُوَ» أي الفناء المطلق «الْإِسْتِقَامَةُ» أي الاعتدال بين مقام العبودية
والربوبية؛ فإن الإفراط منه زيادة، و التفریط تقصير «التي طَلَبَهَا مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ
الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ أَنْ يَقْنُوا» بدل من ضمير المفعول في طلبها «عَنْ إِرَادَتِهِمْ»
البشرية فإذا فنوا عن إرادتهم «فَتَبَدَّلَ بِإِرَادَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ» فيهم مكان إرادتهم
«فَيُرِيدُونَ بِإِرَادَةِ الْحَقِّ أَبَدًا إِلَى الْوَفَاةِ» أي الموت «فَلِهَذَا سُمُّوا» أي الأبدال
«أَبَدًا لَا» و في القاموس: رجل بَدَل بالكسر و يحرك: شريف كريم، جمعه أبدال
«رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ» لتبدل إرادتهم بإرادة الحق تعالى و تقدس.
«فَذُنُوبٌ هَؤُلَاءِ السَّادَاتِ» جمع سيد «أَنْ يُشْرِكُوا إِرَادَةَ الْحَقِّ بِإِرَادَتِهِمْ عَلَى
وَجْهِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ وَ غَلَبَةِ الْحَالِ وَالْدَّهْشَةِ فَيَذَرُكُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ بِالْيَقْظَةِ»
أي التيقظ عن غلبة الحال والدهشة «وَالْتَّذَكُّرَةِ» عن السهو والنسيان «فَيَرْجِعُونَ
عَنْ ذَلِكَ» المذكور من الأحوال الأربعة «وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ لَا
مَعْصُومَ عَنِ الْإِرَادَةِ إِلَّا الْمَلَكَةُ».

فَالْمَلَائِكَةُ عُصْمُوا عَنِ الْإِرَادَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
عُصِمُوا عَنِ الْهَوَى وَ بَقِيَّةُ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الْمُكَلَّفِينَ لَمْ
يُعْصَمُوا مِنْهُمَا غَيْرَ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ يُحْفَظُونَ عَنِ الْهَوَى وَالْأَبْدَالِ عَنِ
الْإِرَادَةِ وَلَا يُعْصَمُونَ مِنْهُمَا عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ يَجُوزُ فِي حَقِّهِمَا الْمِيلُ إِلَيْهِمَا
فِي الْأَحْيَانِ ثُمَّ يَتَذَكَّرُهُمُ اللَّهُ بِالْيَقْظَةِ بِرَحْمَتِهِ.

«فَالْمَلَائِكَةُ عُصِمُوا» هم معصومون «عَنِ الْإِرَادَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

عَصَمُوا عَنِ الْهَوَى، وَبَقِيَّةُ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ الْمُكَلَّفِينَ لَمْ يُعَصِّمُوا مِنْهُمَا «أي
 الإرادة والهوى «غَيْرَ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ يُحْفَظُونَ عَنِ الْهَوَى وَالْأَبْدَالِ عَنِ الْإِرَادَةِ وَلَا
 يُعَصِّمُونَ» بصيغة المجهول «مِنْهُمَا عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ» أي الشأن «يَجُوزُ فِي حَقِّهِمُ
 الْمَيْلُ إِلَيْهِمَا» أي الإرادة والهوى «فِي» بعض «الْأَحْيَانِ ثُمَّ يَتَذَكَّرُهُمُ اللَّهُ بِالْيَقِظَةِ»
 أي التيقظ عن ذلك الميل المستلزم للسهو والنسيان، و غلبة الحال والدهشة
 «بِرَحْمَتِهِ» تعالى.

الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ

في بيان خُرُوجِ السَّالِكِ عَنْ نَفْسِهِ وَ مُلْكِهِ وَ تَسْلِيمِ الْكُلِّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْرِجْ مِنْ نَفْسِكَ، وَ تَخَّ عَنْهَا، وَ انْعَزِلْ مِنْ مُلْكِكَ، وَ سَلِّمِ الْكُلَّ فَكُنْ بَوَّابَهُ عَلَى بَابِ قَلْبِكَ، وَ امْتِثِلْ أَمْرَهُ فِي إِدْخَالِ مَنْ يَأْمُرُكَ بِإِذْخَالِهِ، وَائْتِهِ بِتَهْنِئَةٍ فِي صَدِّ مَنْ يَأْمُرُكَ بِصَدِّهِ، فَلَا تَدْخُلِ الْهَوَى قَلْبَكَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهُ، فَإِخْرَاجُ الْهَوَى مِنَ الْقَلْبِ بِمُخَالَفَتِهِ وَ تَرْكِ مُتَابَعَتِهِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، وَ إِدْخَالُهُ فِي الْقَلْبِ بِمُتَابَعَتِهِ وَ مُوَافَقَتِهِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَخْرِجْ مِنْ نَفْسِكَ وَ تَخَّ عَنْهَا» خروجاً و تنحية لا رجوع بعدها أصلاً «وَ انْعَزِلْ مِنْ مُلْكِكَ» انعزالاً بالكلية «وَ سَلِّمِ الْكُلَّ» نفسك و ملكك «إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَكُنْ» أنت «بَوَّابَهُ» أي حاجب الله «عَلَى بَابِ قَلْبِكَ» لئلا يدخل فيه غير الله «وَ امْتِثِلْ أَمْرَهُ تَعَالَى فِي إِدْخَالِ مَنْ يَأْمُرُكَ» الله تَعَالَى «بِإِذْخَالِهِ وَائْتِهِ بِتَهْنِئَةٍ» أي منهية «فِي صَدِّ مَنْ» أي في دفع «يَأْمُرُكَ بِصَدِّهِ» أي بدفعه و كلمة من وقع تغليباً للعاقل على غيره، و المراد به: ما التي يعم العاقل و غيره «فَلَا تَدْخُلِ الْهَوَى قَلْبَكَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهُ» بفضل الله تَعَالَى «فَإِخْرَاجُ الْهَوَى مِنَ الْقَلْبِ بِمُخَالَفَتِهِ، وَ تَرْكِ مُتَابَعَتِهِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا» خيراً كان أو شراً؛ فإن خيره شر في الباطن «وَ إِدْخَالُهُ» أي الهوى «فِي الْقَلْبِ بِمُتَابَعَتِهِ» في مأموراته «وَ مُوَافَقَتِهِ» لمشتهياته.

فَلَا تُرْذِ إِرَادَةً غَيْرَ إِرَادَتِهِ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْكَ تَمَنٍّ وَ هُوَ وَادِي الْحُمُقَى، وَ فِيهِ حَقُّكَ وَ هَلَائِكَ وَ سَقُوطُكَ مِنْ عَيْنِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ حِجَابُكَ عَنْهُ تَعَالَى، إِحْفَظْ أَبَدًا أَمْرَهُ وَ ائْتِهِ أَبَدًا بِتَهْنِئَةٍ، وَ سَلِّمِ إِلَيْهِ

مَقْدُورُهُ، وَلَا تُشْرِكُهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِرَادَتُكَ وَهَوَاكَ وَشَهْوَاؤُكَ
خَلْقُهُ فَلَا تُرِدْ وَلَا تَهْوِ وَلَا تَشْتَهَ لِئَلَّا تَكُونَ مُشْرِكًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ
جَلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف، رقم السورة: ١٨، رقم الآية: ١١٠]

«فَلَا تُرِدْ» أنت أيها العاقل «إِرَادَةً غَيْرَ إِرَادَتِهِ» عز و جل «و غَيْرَ ذَلِكَ»
أي والحال أن غير إرادة الله تعالى «مِنْكَ تَمَنٍّ» لشيء محال «و هُوَ» تمنى المحال
«وَادِي الْحُمَقَى» فإن من طلب وقوع ما لا يصح وقوعه يُعَدُّ أَحْمَقَ.
«و فِيهِ» أي تمنى المحال أو وادي الحمقى «حَتْفُكَ» أي موتك، و في
الصحاح: يقال مات فلان حتف أنفه، إذا مات من غير قتل و لا ضرب، و لا يبنى
منه فعل «و هَلَاكُكَ وَ سَقُوطُكَ مِنْ عَيْنِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» أي تقع عن ربتك التي عند
الله تعالى «و حِجَابُكَ عَنْهُ تَعَالَى» فلا تشاهده «إِحْفَظْ» أن تُرد خيرك «أَبَدًا أَمْرُهُ»
تعالى «وَائْتَهُ أَبَدًا بِنَهْيِهِ، وَ سَلِّمْ إِلَيْهِ تَعَالَى مَقْدُورُهُ وَ لَا تُشْرِكُهُ» أي الله تعالى «بِشَيْءٍ
مِنْ خَلْقِهِ» تعالى «فَإِرَادَتُكَ» لمراد من مراداتك «و هَوَاكَ» لمهويٍّ من
مَهْوِيَّاتِكَ «و شَهْوَاؤُكَ» لمشتهياتك «خَلْقُهُ» تعالى «فَلَا تُرِدْ» إرادتك «و لَا
تَهْوِ» هواك «و لَا تَشْتَهَ» اشتهاك «لِئَلَّا تَكُونَ مُشْرِكًا» الله تعالى بهذه الأمور في
الطريقة «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ» مشاهدة قلبية في الدنيا و
عيانا عينية في الآخرة «فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» في الشريعة والطريقة والحقيقة «و لَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ» شركا جليا ولا خفيا «أحدا» من خلقه حتى هواك وإرادتك.

لَيْسَ الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَحَسِبْ بَلْ هُوَ أَيْضًا مُتَابِعَتُكَ
لِهَوَاكَ، وَ أَنْ تَخْتَارَ مَعَ رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ شَيْئًا سِوَاهُ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا
وَالْآخِرَةِ وَ مَا فِيهَا، فَمَا سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ غَيْرُهُ فَإِذَا رَكَنْتَ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ
أَشْرَكْتَ بِهِ عَزَّ وَ جَلَّ غَيْرَهُ فَاحْذَرْ وَ لَا تَزُكُنْ وَ خَفْ وَ لَا تَأْمَنْ وَ
فَتِّشْ وَ لَا تَغْفَلْ فَتَظْمِنَ.

«لَيْسَ الشِّرْكَ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَحَسْبُ بَلْ هُوَ» أي الشرك «أَيْضًا» في الطريقة والحقيقة «مُتَابَعَتُكَ لِهَوَاكَ وَأَنْ تَخْتَارَ» بنفسك وهواك «مَعَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا سِوَاهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَالْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا» وإنما تكون باختيارك الدنيا والآخرة مشركا في الطريقة والحقيقة؛ لأنها مما سوى الله تعالى لا في الشريعة. فإذا تحققت ذلك «فَمَا سِوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُهُ» فيهما وفي الشريعة «فَإِذَا رَكَنْتَ» أي ملكت «إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَشْرَكْتَ» بذلك الميل «بِهِ» أي بالله «عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُهُ» في التوجه وصرف الهممة إلى الواحد الأحد، وبهذا المعنى قال المشائخ رحمهم الله تعالى: كل ما شغلك عن الحق فهو صنمك «فَاخْذَرْ» من شركك «وَلَا تَرْكُنْ» إلى غير الله تعالى «وَوَخَفْ» من الله تعالى أن يسقطك عن ربتك «وَلَا تَأْمَنْ» بلطفه بك وكرمه عليك «وَفَتِّشْ» بأن لا يدخل الغير في قلبك «وَلَا تَغْفُلْ» عن تسويل النفس ومكر الشيطان «فَتَطْمَئِنَّ» قلبك عن خداعها.

وَلَا تُضِفْ إِلَى نَفْسِكَ حَالًا وَلَا مَقَامًا، وَلَا تَدَّعِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ أُعْطِيتَ حَالًا أَوْ أُقِمْتَ فِي مَقَامٍ أَوْ أُطْلِعْتَ عَلَى سِرٍّ فَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فِي تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ يَحُولُ بَيْنَ الْمَوْتِ وَقَلْبِهِ فَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيْلَكَ عَمَّا أَخْبَرْتَ بِهِ وَيُغَيِّرَكَ عَمَّا تُخَيِّلُ ثَبَاتَهُ وَبَقَاءَهُ فَتُخْجِلْ عِنْدَ مَنْ أَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ بَلْ احْفَظْ ذَلِكَ فِيكَ، وَلَا تُعِدِّهِ إِلَى غَيْرِكَ.

«وَلَا تُضِفْ إِلَى نَفْسِكَ حَالًا» من حالاتك التي أفاضه الله تعالى عليك «وَلَا مَقَامًا» وهبه الله تعالى لك «وَلَا تَدَّعِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ» المذكور من الحال والمقام، فإن ادعاء ذلك يؤدي إلى نفسانيتك وتقع في الشرك. نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

«فَإِنْ أُعْطِيتَ» بصيغة المجهول أي فإن أعطاك الله تعالى «حَالًا أَوْ أُقِمْتَ» أي أقامك الله تعالى «فِي مَقَامٍ أَوْ أُطْلِعْتَ» أي أطلعك الله تعالى «عَلَى سِرٍّ» من أسرار «فَلَا تُخْبِرْ» بحالك ومقامك وإطلاعه «أَحَدًا» من أحابيك «شَيْئًا مِنْ

ذَلِكَ « أي الحال والمقام والإطلاع، فإنك لا تعلم أن الله تعالى يبقيك على ذلك » فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كما قال في سورة الرحمن:

«كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [الرحمن، رقم السورة: ٥٥، رقم الآية: ٢٩]

فِي تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ» وَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ [الأنفال رقم السورة: ٨، رقم الآية: ٢٤]

حتى لا يستطيع أن يعزم على شيء ولا يبقى على حالة إلا بما أراد «فَلَعَلَّ اللَّهُ تَعَالَى يُزِيلُكَ عَمَّا أَخْبَرْتَ بِهِ» من الحال والمقام والإطلاع على الأسرار «وَيُغَيِّرُكَ عَمَّا تَخَيَّلْتَ ثَبَاتَهُ وَبَقَاءَهُ فَتُخْجَلُ عِنْدَ مَنْ أَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ بَلْ إِحْفَظْ ذَلِكَ» المعطي «فِيكَ» ولا تخبز أحداً بذلك «وَلَا تُعَدِّهِ» أي لا تجاوز ذلك المعطي «إِلَى غَيْرِكَ» وإن كان صديقك.

فَإِنْ كَانَ الثَّبَاتُ وَالْبَقَاءُ فَتَعَلَّمَ أَنَّهُ مُوهَبَةٌ وَتَسْأَلُ التَّوْفِيقَ لِلشُّكْرِ وَاسْتِزَادَتَهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ كَانَ فِيهِ زِيَادَةٌ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَنُورٍ وَتَيَقُّظٍ وَتَأْدِيبٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَسْخُغُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِغْلَهاَطٍ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٠٦]

«فَإِنْ كَانَ» حال الحال والمقام والإطلاع «الثَّبَاتُ وَالْبَقَاءُ فَتَعَلَّمَ أَنَّهُ» أي ما أعطاه الله إياك «مُوهَبَةٌ» من الله تعالى فتشكر على نعمائه تعالى «وَتَسْأَلُ التَّوْفِيقَ لِلشُّكْرِ» فإن الشكر أيضاً نعمة من الله تعالى، و جالب لمزيد النعمة «و» تسأل «اسْتِزَادَتَهُ» أي زيادة النعمة. في القاموس: استزاده استقصاه، و طلب منه الزيادة «وَإِنْ كَانَ» حال الحال والمقام والإطلاع «غَيْرُ ذَلِكَ» المذكور من الثبات والبقاء «كَانَ فِيهِ» أي زوال المعطى وعدم ثباته «زِيَادَةٌ عِلْمٍ» بتصرف الله تعالى بالإبقاء والإفناء «وَمَعْرِفَةٍ» بخصوص الجزئيات «وَنُورٍ» من الله تعالى «وَتَيَقُّظٍ» بقدرة الله على المنع والعطاء «وَتَأْدِيبٍ» من الله تعالى فراع الأدب مع الله

تعالى في جميع أحكامه فلعل الله تعالى أزال ذلك المعطى عنك ليعطيك أفضل منه كيف لا وقد «قَالَ اللهُ تَعَالَى:»

«مَا نُنَسِّخُ مِنْ آيَةٍ» أعطيناها لأحد من خلقنا الَّذِي اصطفيناه «أَوْ نُنَسِّسُهَا»
نمحوها عن القلوب «نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا» أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ» فيقدر على إبطال حكم ما أعطى، أو محوها والإتيان بخير منها أو مثلها

فَلَا تُعْجِزُ اللهُ تَعَالَى فِي قُدْرَتِهِ وَلَا تُتْهِمُهُ فِي تَذْيِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَ
لَا تُشَكُّ فِي وَعْدِهِ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ نُسِخَتْ
الْآيَاتُ وَالسُّورُ النَّازِلَاتُ عَلَيْهِ الْمَعْمُولَةُ بِهَا، الْمُفْرُوعَةُ فِي
الْمَحَارِبِ الْمَكْتُوبَةُ فِي الْمَصَاحِفِ وَرُفِعَتْ وَبُدِّلَتْ وَأُثْبِتَتْ
غَيْرُهَا مَكَانَهَا وَنُقِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَيْرِهَا هَذَا فِي ظَاهِرِ
الشَّرْعِ، وَأَمَّا فِي الْبَاطِنِ وَالْعِلْمِ وَالْحَالِ فَيَمَّا بَيَّنَّهَ وَبَيْنَ اللهُ تَعَالَى.

«فَلَا تُعْجِزُ اللهُ تَعَالَى» أي لا تخيله عاجزا «فِي قُدْرَتِهِ، وَلَا تُتْهِمُهُ فِي تَذْيِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ»
فإنه تعالى عالم بما ينفَعُك ويَضِلُّحُك «وَلَا تُشَكُّ فِي وَعْدِهِ» أنه يعطيه أم لا
«فَلْيَكُنْ لَكَ» في جميع حالاتك «فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أي اقتداء جميل فانظر
كيف «نُسِخَتْ الْآيَاتُ وَالسُّورُ النَّازِلَاتُ عَلَيْهِ» صلى الله عليه وعلى آله وسلم
«الْمَعْمُولَةُ بِهَا» في مدة «الْمُفْرُوعَةُ فِي الْمَحَارِبِ، الْمَكْتُوبَةُ فِي الْمَصَاحِفِ، وَرُفِعَتْ»
بعضها بالكلية «وَبُدِّلَتْ» بعضها «وَأُثْبِتَتْ غَيْرُهَا مَكَانَهَا وَنُقِلَ» ذات رسول
«صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَيْرِهَا» من الآيات الأخر خير منها أو مثلها «هَذَا»
المذكور من انتقال حال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من تبديل الآيات
وإثبات أخرى مكانها، أو رفعها بالكلية «فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ، وَأَمَّا فِي الْبَاطِنِ» أي
انتقال حال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الباطن «وَالْعِلْمِ وَالْحَالِ»
الَّذِي كَانَ «فَيَمَّا بَيَّنَّهَ» عليه الصلوة والسلام «وَبَيْنَ اللهُ تَعَالَى» فهو أصرح ما في
ظاهر الشرع.

فَكَانَ يَقُولُ مُحْجَرًا: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً. وَرُويَ مِائَةً مَرَّةً»^(١). كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمَ يُثْقَلُ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى وَ يُسَارُّ بِهِ فِي مَنَازِلِ الْقُرْبِ وَ مَيَادِينِ الْغَيْبِ وَ تُغَيَّرُ عَلَيْهِ الْحِلْعُ فَتَبَيَّنَ الْحَالَةُ الْأُولَى عِنْدَ مَا يَلِيهَا ظُلْمَةٌ وَ نُقْصَانًا وَ مِنْهُ تَقْصِيرًا فِي حِفْظِ الْحُدُودِ.

«فَكَانَ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمَ «يَقُولُ مُحْجَرًا» عما يجد من التغير في الباطن والعلم والحال «إِنَّهُ» أي الشأن «لَيَغَانُ» أي يُغَطِّي «عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَ رُويَ مِائَةً مَرَّةً» وليس هذا الغين بالرجوع إلى البشرية و وجدان صفاته في ذاته الشريف بل «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمَ يُثْقَلُ مِنْ حَالَةٍ» موهوبة له في كل وقت «إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى» أي أعلى منها «وَ يُسَارُّ بِهِ» عليه الصلوة والسلام أي يجعله الله تعالى سائراً «فِي مَنَازِلِ الْقُرْبِ، وَ مَيَادِينِ الْغَيْبِ» فإن روحه المقدسة كان تعرج إلى المعارج العلية في كل حين و إن «وَ تُغَيَّرُ عَلَيْهِ الْحِلْعُ» أي اللباس النورية، والتشريف السريّة، والأنوارِ الأسمائية والصفاتية والذاتية «فَتَبَيَّنَ الْحَالَةُ الْأُولَى عِنْدَ مَا يَلِيهَا» من الحالة الأعلى «ظُلْمَةٌ وَ نُقْصَانًا» تمييز عن الفاعل أي ظَهَرَ ظُلْمَةُ الْحَالَةِ الْأُولَى وَ نُقْصَانُهَا إِنْ جَعَلَ مِنَ التَّغْفَلِ وَ حِينَئِذٍ يَشْكَلُ عَطْفُ قَوْلِهِ: «وَمِنْهُ تَقْصِيرًا».

والظاهر أن يجعل من الإبانة فإنه جاء متعديًّا و لازماً و يحمل هنا على الأول، أي يُظْهِرُ و يرى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ الْحَالَةَ الْأُولَى عِنْدَ الْحَالَةِ الْأُخْرَى بِحَسَبِ ذَاتِهَا ظُلْمَةٌ وَ نُقْصَانًا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ شَأْنُ الْأَدْنَى عِنْدَ وَجُودِ الْأَعْلَى وَ بِحَسَبِ التَّوَقُّفِ فِيهَا «وَ مِنْهُ» أي من نفسه الشريفة «تَقْصِيرًا فِي حِفْظِ الْحُدُودِ» التي تقتضيه الحالة الأخرى.

فَيُذْ مِنْ الْإِسْتِعْفَارِ، لِأَنَّهُ أَحْسَنُ حَالِ الْعَبْدِ، وَالتَّوْبَةُ فِي

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه. برقم: ٢٧٠٢.

سَائِرِ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ فِيهَا إِعْتِرَافًا بِذَنْبِهِ وَقُصُورِهِ وَهُمَا صِفَتَا الْعَبْدِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، فَهُمَا وَرَائَهُ مِنْ أَبِي الْبَشِيرِ آدَمَ الْمُصْطَفَى حِينَ إَعْتَوَرَتْ صَفَاءَ حَالِهِ ظُلْمَةُ النَّسْيَانِ بِنَسْيَانِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ وَإِرَادَةِ الْخُلُودِ فِي دَارِ السَّلَامِ وَمَجَاوَرَةِ الْحَبِيبِ الرَّحْمَنِ الْمَتَّانِ وَدُخُولِ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ عَلَيْهِ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ فَوُجِدَتْ هُنَاكَ نَفْسُهُ وَمُشَارَكَةُ إِرَادَتِهِ إِرَادَةَ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ تِلْكَ الْإِرَادَةُ وَزَالَتْ تِلْكَ الْحَالَةُ، وَانْعَزَلَتْ تِلْكَ الْوِلَايَةُ فَانْهَبَطَتْ تِلْكَ الْمُنْزِلَةُ وَأَظْلَمَتْ تِلْكَ الْأَنْوَارُ وَتَكَدَّرَتْ ذَلِكَ الصَّفَاءُ.

«فِيذِمِنْ» أي يديم «الْإِسْتِغْفَارُ لِأَنَّهُ» أي الاستغفار «أَحْسَنُ حَالِ الْعَبْدِ» إذ فيه ظهور عجز العبودية و عظمة الربوبية. «وَالْتَّوْبَةُ» عطف على الاستغفار «فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّ فِيهَا إِعْتِرَافًا بِذَنْبِهِ وَقُصُورِهِ وَهُمَا» أي الاعترافان «صِفَتَا الْعَبْدِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ فَهُمَا وَرَائَهُ» للعبد «مِنْ أَبِي الْبَشِيرِ آدَمَ الْمُصْطَفَى» عليه الصلوة والسلام الَّذِي اصطفاه الله تعالى على الملائكة والجن و سائر خلقه «حِينَ إَعْتَوَرَتْ» أي نَاوَبَتْ و أخذت «صَفَاءَ حَالِهِ ظُلْمَةُ النَّسْيَانِ بِنَسْيَانِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ» كما قال الله تعالى.

وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا. (طه، رقم السورة: ٢٠، رقم الآية: ١٥٥)

«وَإِرَادَةُ الْخُلُودِ» عطف على نسيان العهد أي أخذت صفاء حاله ظلمة النسيان بنسيان العهد، و بإرادة الخلود «فِي دَارِ السَّلَامِ وَ» إرادة «مَجَاوَرَةِ الْحَبِيبِ الرَّحْمَنِ الْمَتَّانِ» أي المتصف بكمال الرحمة والمنة «وَ» إرادة «دُخُولِ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ عَلَيْهِ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ» فإنه أكل الشجرة إرادة هذه الأمور «فَوُجِدَتْ هُنَاكَ» في تلك الإرادات المذكورة «نَفْسُهُ» أي نفس آدم «وَمُشَارَكَةُ إِرَادَتِهِ» أي آدم «إِرَادَةَ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ» إرادته إرادة الله تعالى «تِلْكَ الْإِرَادَةُ» النفسية «وَزَالَتْ» عن آدم

عليه السلام «تِلْكَ الْحَالَةُ» التي أعطاها الله تعالى عليه السلام «وَأَنْعَزَلْتُ» عنه «تِلْكَ الْوَلَايَةُ» الكاملة «فَأَنْهَبْتُ» عنه «تِلْكَ الْمُتَزِلَّةُ» العالية «وَأَظْلَمْتُ» عليه «تِلْكَ الْأَنْوَارُ» المفاضة «وَتَكَدَّرْتُ ذَلِكَ الصَّفَاءُ» الموهوبة.

ثُمَّ نُبِّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُكِّرَ صَفِي الرَّحْمَنِ فَعَرَّفَ الْإِعْتِرَافَ
بِالدَّنْبِ وَالنِّسْيَانِ وَ لَقِّنَ الْإِفْرَارَ بِالْقُصُورِ وَالنِّسْيَانِ فَقَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فَجَاءَتْهُ أَنْوَارُ الْهِدَايَةِ وَ
عُلُومُ التَّوْبَةِ وَ مَعَارِفُهَا وَالْمَصَالِحُ الْمُدْفُونَةُ فِيهَا مَا كَانَ غَائِبًا مِنْ
قَبْلِ فَلَمْ تَظْهَرْ إِلَّا بِهَا فَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْإِرَادَةَ بِغَيْرِهَا وَ الْحَالَةَ الْأُولَى
بِأُخْرَى وَ جَاءَتْهُ الْوَلَايَةُ الْكُبْرَى وَالشُّكُونُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ فِي الْعُقْبَى.

«ثُمَّ نُبِّهَ» آدم «عَلَيْهِ السَّلَامُ» على خطائه تنبيهاً ربانياً «وَذُكِّرَ صَفِي الرَّحْمَنِ» تذكيراً بليغاً رحمانياً «فَعَرَّفَ الْإِعْتِرَافَ بِالدَّنْبِ وَالنِّسْيَانِ» تعريفاً رحيمياً «وَلَقِّنَ الْإِفْرَارَ بِالْقُصُورِ وَالنِّسْيَانِ» تلقيناً كرمياً وجودياً، وجميع هذه الأمور مذكورة في التفاسير، «فَقَالَ» آدم «عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» بعد تنبيهه الله تعالى إياه وتذكيره وتعريفه وتلقينه.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. [الأعراف، رقم السورة: ٧، رقم الآية: ٢٣]

«فَجَاءَتْهُ» أي آدم بعد توبته «أَنْوَارُ الْهِدَايَةِ» الربانية «وَعُلُومُ التَّوْبَةِ» أي لوازمها المفضية إلى القبول «وَمَعَارِفُهَا» أي معارف التوبة وهي شروطها «وَالْمَصَالِحُ الْمُدْفُونَةُ» أي المستورة «فيها» أي في التوبة «مَا كَانَ غَائِبًا» بدل من أنوار الهداية «مِنْ قَبْلِ» أي قبل توبته «فَلَمْ تَظْهَرْ» تلك المراتب «إِلَّا بِهَا» أي بالتوبة «فَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْإِرَادَةَ» الربانية التي شاركتها فيها إرادته النفسية «بِغَيْرِهَا» من الإرادة التي لا يشوبها إرادة نفسية أصلاً، «و» بدلت

«الْحَالَةُ الْأُولَى» التي أعطاهها الله تعالى آدم عليه السلام قبل التوبة «بِ» حالة «أُخْرَى» أعلى منها «وَجَاءَتْهُ الْوَلَايَةُ الْكُبْرَى» والخلافة العظمى التي خلق الله تعالى آدم لأجلها كما أخبر به ملائكته

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً^ط. [البقرة، رقم السورة: ٧٢، رقم الآية: ٣٠]

«وَالسُّكُونُ فِي الدُّنْيَا» ليحصل له الذرية، ويتحقق الخلافة والكسب والعمل والعلم والمعرفة وتهذيب الأخلاق وتبديل الأوصاف؛ فإن الدنيا دار التكليف وتحصيل القرب «ثُمَّ» السكنى «فِي الْعُقْبَى» على وجه الجزاء والقرار.

فَصَارَتِ الدُّنْيَا لَهُ وَ لِدُرِّيَّتِهِ مَنَزِلًا، وَالْعُقْبَى لَهُمْ مَوْثِلًا وَ
مَرْجِعًا وَ خُلْدًا فَلَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ
الْمُضْطَفَى وَ آيِنِهِ أَدَمَ صَفِي اللَّهِ غُنْصَرِ الْأَحْبَابِ وَالْأَخِلَاءِ أَسْوَةٌ فِي
الْإِعْتِرَافِ بِالْقُصُورِ وَالْإِسْتِغْفَارِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا وَالِدَّلَّةِ وَالْإِفْتِقَارِ
فِيهَا.

«فَصَارَتِ الدُّنْيَا لَهُ» لآدم «وَلِدُرِّيَّتِهِ مَنَزِلًا» في السير إلى الله تعالى والارتحال عنها «وَالْعُقْبَى لَهُمْ مَوْثِلًا وَ مَرْجِعًا» عطف تفسيري «وَ خُلْدًا» في القاموس: الخلد بالضم البقاء والدوام كالخلود والجنة انتهى. والمراد هنا: الأول بحذف المضاف، أي دار البقاء والدوام، أو الثاني باعتبار معناه، أي محل السرور. فإذا عرفت أيها السالك المنتقل من حال إلى حال، والمبدل من مقام، إلى مقام والمتغير من اطلاع إلى اطلاع حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانتقال، وحال آدم عليه السلام في التغيير والتبديل «فَلَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ الْمُضْطَفَى، وَ آيِنِهِ أَدَمَ صَفِي اللَّهِ غُنْصَرِ الْأَحْبَابِ وَالْأَخِلَاءِ» أي أصلهم ومنشأهم؛ فإن جميع الأحباب من البشر إنما نشأ من صلب آدم عليه السلام «أُسْوَةٌ» مبتدأ وقوله: فَلَكَ خبره، أي اقتداء بالأب والجد «فِي الْإِعْتِرَافِ بِالْقُصُورِ» عن

نفسك «وَالْإِسْتِغْفَارِ» عَنْ زَلَّتْكَ عِنْدَ رَبِّكَ «فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا» فَإِنَّ الْبَشَرَ فِي
مَدْرَجِ التَّقْصِيرِ «وَالذِّلَّةِ وَالْإِفْتِقَارِ» أَيِ الْاِحْتِيَاجِ «فِيهَا» أَيِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا،
فإنها مما يقتضيه العبودية والألوهية والمخلوقية والخالقية.

و بهذا المعنى قال المشائخ رحمهم الله تعالى: كلما ازداد العبد معرفة بالله زاد
افتقارا إلى الله تعالى. وقالوا: رتبته بقدر افتقاره.

و أما ما قالوا: إن الفقير لا يحتاج إلى الله تعالى فهو في حال سكره، و
استغراقه، و مشاهدة الفناء فيه، و عدم وجدان نفسه في البين، فأين الافتقار
والشين، و بهذا المعنى قالوا: الفقر إذا تم فهو الله.

المقالة الثامنة

في نفي الاختيار عن نفسه في جميع حالاته والتسليم لفعل الله تعالى

قال رضي الله عنه: إذا كنت في حالة لا تختار لك غيرها أعلى منها، ولا أدنى منها فإذا كنت بباب دار الملك لا تختار لنفسك الدخول إلى الدار حتى تدخل إليها جبراً لا اختياراً، أعني بالجبر أمراً عنيماً متأكداً متكرراً ولا تفنع بمجرّد الإذن في الدخول لجواز أن يكون ذلك مكرراً وخديعة من الملك لكن إصبر حتى تُجبر على الدخول فتدخل الدار جبراً مخضاً وفعلًا من الملك.

«قال» رضي الله تعالى عنه: إذا كنت «أيها السالك» «في حالة» من حالات القرب من الله تعالى «لا تختار لك» باختيار منك «غيرها» أي غير تلك الحالة «أعلى منها» أي من تلك الحالة الموهوبة لك «و لا أدنى منها، فإذا كنت بباب دار الملك لا تختار لنفسك الدخول إلى الدار حتى تدخل» بصيغة المجهول «إليها» إلى دار الملك «جبراً» من الملك «لا اختياراً» منك «أعني بالجبر أمراً عنيماً متأكداً متكرراً، ولا تفنع بمجرّد الإذن في الدخول لجواز أن يكون ذلك» الإذن «مكرراً وخديعة من الملك لكن إصبر» أنت على مقامك «حتى تُجبر» بصيغة المجهول «على الدخول فتدخل الدار جبراً مخضاً وفعلًا من الملك» لا طلباً منك.

فحينئذ لا يعاقبك الملك على فعله، وإنما تطرق العقوبة نحوك لشؤم اختيارك وشرك وقلّة صبرك وسوء أدبك وترك الرضا بحالتك التي أقمت فيها، فإذا أذحلت في الدار على هذا الوجه فكن مطرقة غاضاً ليصيرك متادباً محافظاً تؤمر به من الشغل والخدمة فيها غير طالب للترقي إلى الذروة العليا قال الله تعالى لنبّيه

المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ط وَ رَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى ﴾ [طه، رقم
السورة: ٢٠، رقم الآية: ١٣١]

«فَحَيِّئِذٍ» أي حين أدخلك الملك جبراً من غير اختيار منك «لَا يُعَاقِبُكَ
الْمَلِكُ عَلَى فِعْلِهِ» أي فعل نفسه «وَإِنَّمَا تَطْرُقُ الْعُقُوبَةُ» من جانب الملك «لِخَوْكَ
لِشُؤْمِ تَخِيرِكَ» أي اختيارك «وَشَرِّهِكَ» أي حرصك «وَقِلَّةِ صَبْرِكَ» على
مقامك «وَسُوءِ أَدَبِكَ» مع الملك في دفع إرادة الملك معك «وَتَرْكِ الرِّضَا
بِحَالَتِكَ الَّتِي أَقَمْتَ» بصيغة المجهول «فِيهَا فَإِذَا أُدْخِلْتَ فِي الدَّارِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ»
أي وجه الجبر «فَكُنْ» أنت «مُطْرِقًا» أي خافضاً لرأسك «غَاضًّا لِصَبْرِكَ
مُتَأَدِّبًا» لحرم الملك «مُحَافِظًا لِمَا تُؤْمَرُ بِهِ» أي لما أمر الملك به «مِنَ الشُّغْلِ وَالْخِدْمَةِ
فِيهَا» أي في تلك الحالة الموهوبة لك «غَيْرَ طَالِبٍ لِلتَّرَقِّي» من تلك المرتبة
الموهوبة لك، «إِلَى الدُّرُوزَةِ الْعُلْيَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَسَلَّمَ :

«وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» «لَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ط وَ رَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى ». [طه: ٢٠ / ١٣١]

فَهَذَا تَأْدِيبٌ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِنَبِيِّهِ الْمُخْتَارِ فِي حِفْظِ الْحَالِ
وَالرِّضَا بِالْعَطَاءِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى﴾ [طه، رقم
السورة: ٢٠، رقم الآية: ١٣١] أي مَا أَعْطَيْتُكَ مِنَ الْخَيْرِ وَ النَّبُوءَةِ
وَالْعِلْمِ وَ الْقَنَاعَةِ وَ الصَّبْرِ وَ وَلايَةِ الدِّينِ وَ الْعَزَازَةِ فِيهِ أَوَّلَى عِمَّا
أَعْطَيْتُكَ غَيْرَكَ وَ آخَرَى فَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي حِفْظِ الْحَالِ وَ الرِّضَا بِهَا وَ تَرْكِ
الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ قِسْمَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ
تَعَالَى أَوْ قِسْمَ غَيْرِكَ أَوْ أَنَّهُ لَا قِسْمَ لِأَحَدٍ بَلْ أَوْجَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِتْنَةً،

فَإِنْ كَانَ قِسْمَكَ فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْكَ شئتَ أمْ أُبَيِّتَ.

«فَهَذَا» النهي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم «تَأْدِيبٌ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ الْمُخْتَارِ فِي حِفْظِ الْحَالِ» التي أعطاه الله تعالى إياها «وَالرِّضَاءُ بِالْعَطَاءِ» الموهوب له صلى الله عليه وآله وسلم «بِقَوْلِهِ» تعالى:

«وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى». [طه، رقم السورة: ٢٠، رقم الآية: ١٣١] أي مَا أَعْطَيْتُكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَوَلَايَةِ الدِّينِ وَالْعَزَازَةِ فِيهِ «أَيِ الْجِهَادِ فِي الدِّينِ» «أَوَّلَى مِمَّا أَعْطَيْتُ غَيْرَكَ وَآخَرَى» فاشكر على ما أعطيتك «فَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي حِفْظِ الْحَالِ وَالرِّضَاءِ بِهَا وَتَرْكِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهَا؛ فَإِنَّهُ» أي ما سوى الموهوب لك «لَا يَخْلُو» في علم الله تعالى من الأقسام الثلاثة، وهي «إِمَّا أَنْ يَكُونَ» ذلك القسم الَّذِي تطلبه «قِسْمَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ قِسْمَ غَيْرِكَ، أَوْ أَنَّهُ» أي ما سوى الموهوب «لَا قِسْمَ لِأَحَدٍ» من مخلوقات الله لا يريد أن يعطيه أحدا «بَلْ أَوْجَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِتْنَةً» أي امتحانا بأن يطلبه منه أحد أو يصبر عنه بقطع الالتفات إليه.

«فَإِنْ كَانَ» ذلك القسم الَّذِي تطلبه «قِسْمَكَ» في علم الله تعالى «فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْكَ» ولو بعد حين «شئتَ أنت ذلك القسم» أمْ أُبَيِّتَ «عنه وإنما أخره عنك لعلمه بمصلحة و منفعة في إيصاله في وقت مخصوص.

فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ سُوءُ الْأَدَبِ وَالشَّرُّ فِي طَلَبِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُحْمُودٍ فِي قَضِيَّةِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَ قِسْمَ غَيْرِكَ فَلَا تَتَعَبُ فِيهَا لَا تَنَالُهُ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِقِسْمٍ لِأَحَدٍ بَلْ هُوَ فِتْنَةٌ فَكَيْفَ يَرُوضِي الْعَاقِلُ وَيَسْتَحْسِنُ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فِتْنَةً وَ يَسْتَجْلِبَ بِهَا لَهَا فَقَدْ بَيَّنَّ أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَالسَّلَامَةَ فِي حِفْظِ الْحَالِ.

«فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ سُوءُ الْأَدَبِ» في الاستعجال بالوصول في غير أوانه «وَالشَّرُّ» أي الحرص «فِي طَلَبِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ» أي طلب الشيء في غير وقته، وإظهار الحرص في وقوعه مع العلم بتحقيق وصوله، والمصلحة في تأخيره «غَيْرُ مُحْمُودٍ» بل

مذموم عند العقلاء «في قَضِيَّةِ الْعَقْلِ وَ» عند العلماء في «الْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَ» ذلك القسم الَّذِي تطلبه أنت «قِسْمَ غَيْرِكَ» وأنت تعلم أن قسم غير لا يصل إليك «فَلَا تَتَعَبُ» أنت «فِيمَا لَا تَنَالُهُ» بطلبك وحرصك «وَلَا يَصِلُ إِلَيْكَ أَبَدًا» ولو سعت كل السعي، «وَإِنْ كَانَ» ذلك القسم الَّذِي تطلبه «لَيْسَ بِقِسْمٍ لِأَحَدٍ» من مخلوقاته «بَلْ هُوَ» أي ذلك القسم «فِتْنَةٌ» في طلبها مضرة «فَكَيْفَ يَرْضَى الْعَاقِلُ وَ يَسْتَحْسِنُ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فِتْنَةً وَ يَسْتَجْلِبَ بِهَا» أي الفتنة «لَهَا» لنفسه.

فإذا تبين لك حال ذلك القسم الَّذِي تطلبه لا يصح لك طلبه على أي حال، و أي وجه «فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ» لك «وَالسَّلَامَةَ» من كل مكروه «في حِفْظِ الْحَالِ» الَّذِي وهب لك الملك من عنده بلطفه بك.

فَإِذْ رُقِيتَ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ رُقِيتَ إِلَى السَّطْحِ فَكُنْ كَمَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّحْفُظِ وَالْإِطْرَاقِ وَالْأَدَبِ بَلْ يَتَضَاعَفُ ذَلِكَ مِنْكَ لِأَنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَذْنَى مِنَ الْخَطَرِ فَلَا تَتَمَنَّ الْأَنْتِقَالَ مِنْهَا إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَلَا إِلَى أَدْنَى وَلَا ثُبَاتَهَا وَبَقَاءَهَا وَلَا تَغْيِيرَ وَضْفِهَا وَأَنْتَ فِيهَا، وَلَا يَكُونُ لَكَ فِي ذَلِكَ إِحْتِيَاءٌ الْبَتَّةَ.

«فَإِذْ رُقِيتَ» أي أرقاك الملك بعد إدخالك في الدار جبراً «إِلَى الْغُرْفَةِ» و هو المكان المرتفع في الدار «ثُمَّ رُقِيتَ» من تلك الغرفة «إِلَى السَّطْحِ فَكُنْ» أنت «كَمَا ذَكَرْنَا» لك «مِنَ التَّحْفُظِ» لحالك الموهوب لك «وَالْإِطْرَاقِ» أي خفض الرأس «وَالْأَدَبِ» من غير التفات إلى ما في الدار من النفائس، و من غير طلب لما فيها «بَلْ يَتَضَاعَفُ ذَلِكَ» الَّذِي ذكرنا لك من التحفظ و الإطراق والأدب «مِنْكَ لِأَنَّكَ» حين أدخلك الملك في الدار، وأرقاك إلى الغرفة ثم إلى السطح صرت «أَقْرَبُ إِلَى الْمَلِكِ» من حيث الرتبة «وَأَذْنَى مِنَ الْخَطَرِ» أي أقرب إلى المخطور، فإن المقربين يؤخذ عليهم بأدنى زلة، و لهذا ورد: إِنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ

سَيِّئَاتُ الْمُفَرِّقِينَ.^(١)

وأن المحرم بنقطة واحدة يصير مجرماً «فَلَا تَتَمَنَّ» أنت بأيِّ حال «الْإِتِّقَالَ مِنْهَا» من الحال الموهوبة لك «إِلَى» حال أخرى «أَعْلَى مِنْهَا» أي من الموهوبة «وَلَا» تتمن الانتقال من الموهوبة «إِلَى أَدْنَى» منها بل «وَلَا» تطلب «تُبَاتَهَا» أي حال الموهوبة «وَبَقَاءَهَا» بل «وَلَا» تطلب «تَغْيِيرَ وَصْفِهَا» أي وصف ذلك الحال وكيفيةها إلى وصف وكيفية أخرى «وَأَنْتَ فِيهَا» جملة حالية مقيدة بعدم الطلب «وَلَا يَكُونُ لَكَ فِي ذَلِكَ» أي في الانتقال منها والثبات والبقاء فيها، وتغير وصفها «إِخْتِيَارٌ» منك «أَلَيْتَهُ»

فَإِنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ لِنِعْمَةِ الْحَالِ وَالْكَفْرُ بِالنِّعْمَةِ يُحِلُّ لِصَاحِبِهِ
الْهُوَانَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَاعْمَلْ عَلَى مَا ذَكَرْنَا أَبَدًا حَتَّى تَرْوِيَ إِلَى
حَالَةٍ تَصِيرُ لَكَ مَقَامًا تُقَامُ فِيهِ فَلَا تُزَالُ عَنْهُ فَتَعْلَمُ حِينَئِذٍ إِنَّهُ مُوَهَّبَةٌ
بِعَلَامَاتٍ وَآيَاتٍ فَتُمْسِكُهُ وَلَا تَزُلْ عَنْهُ إِلَى شَيْءٍ فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَحْوَالَ
لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْمَقَامَاتِ لِلْأَبْدَالِ.

«فَإِنَّ ذَلِكَ» أي اختيارك لشيء مما ذكرنا «كُفْرٌ لِنِعْمَةِ الْحَالِ» لعدم الرضاء بالمعطي، والاستخفاف به، وهو المعنى بكفران النعمة «وَالْكَفْرُ بِالنِّعْمَةِ يُحِلُّ» من الحلول أي ينزل «لِصَاحِبِهِ الْهُوَانَ» من جانب الملك المنعم، لأن استخفاف نعمة يوجب غضبه، وغضبه يوجب هوانه من جانب الملك «فِي الدُّنْيَا» إما بسلب تلك النعمة نفسها أو سلب لذتها «وَالْآخِرَةِ» بالعتاب أو العقاب «فَاعْمَلْ» أنت «عَلَى مَا ذَكَرْنَا» من التسليم والحفظ «أَبَدًا حَتَّى تَرْوِيَ إِلَى حَالَةٍ تَصِيرُ» تلك الحالة «لَكَ مَقَامًا تُقَامُ فِيهِ» أي في ذلك المقام؛ فإن الحال عندهم ما ينتقل منه السالك، والمقام ما يملك له «فَلَا تُزَالُ عَنْهُ فَتَعْلَمُ حِينَئِذٍ» أي حين تصير تلك الحالة مقاما لك «أَنَّهُ» أي ذلك المذكور من المقام لك «مُوَهَّبَةٌ» من الملك المنعم لا يزيله عنك

(١) مفاتيح الغيب للرازي، سورة آل عمران، ٣/٢٥٩. الجزء: ٩، ص: ٤٠٨.

«بِعَلَامَاتٍ» ظاهرة «وَأَيَاتٍ» باهرة «فَتُمْسِكُهُ» فإن إمساكه بعد العلم بأنه موهبة غير مذموم «وَلَا تَزَلْ» أنت «عَنْهُ إِلَى شَيْءٍ» آخر طالبا له، وإذا عرفت الفرق بين الحال والمقام في هذه المقالة، وبين الأولياء والأبدال في المقالة السادسة، وعلمت أن الأخير أعلى من الأول «فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَحْوَالَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْمُقَامَاتِ لِلْأَبْدَالِ» في تحقيق الحال والمقام على ما يقتضيه الحال والمقام تفصيل هو في أصل الشرح مسطور.^(١)

(١) أي في شرح الشيخ العلامة عبدالعزيز رحمه الله، وهذا تلخيصه والأسف كل الأسف لم نجد له نسخة يمكن لنا أن نقدمها إلى القراء، وما وجدنا فهو في غاية الرداءة، لا يمكن الاستفادة منها بل لا يصلح للقراءة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا. المشاهدي

المقالة التاسعة

في بيان الكشف والمشاهدة في الأفعال

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي الْكَشْفِ، وَالْمُشَاهَدَةِ فِي الْأَفْعَالِ يُكْشَفُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ مِنْ أَفْعَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَبْهَرُ الْعُقُولَ وَيَخْرِقُ الْعَادَاتِ وَالرَّسُومَ وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ: جَلَالٌ وَجَمَالٌ فَالْجَلَالُ وَالْعَظَمَةُ يُورِثَانِ الْخَوْفَ الْمُفْلِقَ وَالْوَجَلَ الْمُزْجِعَ وَالْغَلْبَةَ الْعَظِيمَةَ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ "كَانَ يُسْمَعُ مِنْ صَدْرِهِ أَرْبَعُ كَازِرَاتٍ الْمَرْجَلِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ" (١) لِيَايَزَى مِنْ جَلَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُكْشَفَ لَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ تَعَالَى، وَثِقَلٍ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ وَعُمَرَ الْفَارُوقِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: فِي الْكَشْفِ، وَالْمُشَاهَدَةِ فِي الْأَفْعَالِ» أي أفعال الله تعالى متعلق بقوله: «يُكْشَفُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ مِنْ أَفْعَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَبْهَرُ الْعُقُولَ» أي يغلبه بحيث لا يدرك حقيقته «وَيَخْرِقُ الْعَادَاتِ وَالرَّسُومَ، وَهِيَ» أي ما يغلب العقول، ويخرق العادات من أفعال الله تعالى «عَلَى قِسْمَيْنِ: جَلَالٌ وَجَمَالٌ» لكل منهما آثار «فَالْجَلَالُ وَالْعَظَمَةُ يُورِثَانِ» على قلب أولياء الله تعالى وأبداله «الْخَوْفَ» من الله تعالى «الْمُفْلِقَ» أي الْمُزْجِعَ من أقلقه بمعنى أَرْعَجَهُ أي جعله مضطرباً «وَالْوَجَلَ الْمُزْجِعَ، وَالْغَلْبَةُ الْعَظِيمَةُ» والهيبة التامة «بِمَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ» يعني الجلال والعظمة يورثان لأوليائه الخوف المقلق بمرتبة يظهر اثره على

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، البكاء في الصلاة، الجزء الأول، ص: ٢٩٢، برقم: ٥٥٠

الجوارح «كَمَا رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُسْمَعُ مِنْ صَدْرِهِ أَرْيُزٌ» أي صوت من البكاء «كَأَزِيزِ الْمَرْجَلِ» أي كصوت غليان القدر، والمرجل قدر من نحاس «فِي الصَّلَاةِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، لِمَا يَرَى» و ينكشف عليه «مِنْ جَلَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَ يُنْكَشِفُ لَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ تَعَالَى وَ ثِقَلِ مِثْلُ ذَلِكَ» المذكور من حال نبينا عليه الصلوة والسلام «عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ» عليه صلوات الملك المنان «وَ» كذا نقل مثله عن أمير المؤمنين «عَمَرَ الْفَارُوقِ» رضي الله تعالى عنه، فهذا حال من كشفت له مشاهدة الجلال.

وَأَمَّا مُشَاهَدَةُ الْجَمَالِ: فَهُوَ التَّجَلِّي لِلْقُلُوبِ بِالْأَنْوَارِ
وَالشُّرُورِ وَ الْأَلْطَافِ وَالْكَلامِ اللَّذِيذِ وَالْحَدِيثِ الْأَيْنِسِ وَالبَشَارَةِ
بِالْمَوَاهِبِ الْجِسَامِ وَ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ وَ الْقُرْبِ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا سَيُؤَلِّ
أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ وَ جَفَتْ بِهِ الْقَلَمُ مِنْ أَقْسَامِهِمْ فِي سَابِقِ الدُّهُورِ فَضْلاً
مِنْهُ وَ رَحْمَةً، وَ إِيْتَاباً مِنْهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى بُلُوغِ الْأَجَلِ وَهُوَ الْوَفْقُ
الْمُقَدَّرُ لِقَلَّا تَفَرَّطَ بِهِمْ الْمُحِبَّةُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَنَفَّطَ
مَرَاتِزُهُمْ فِيهِلِكُوا أَوْ يَضَعُفُوا عَنِ الْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ
الْيَقِينُ الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ.

«وَ أَمَّا مُشَاهَدَةُ الْجَمَالِ: فَهُوَ التَّجَلِّي لِلْقُلُوبِ» أي ظهور من الله تعالى لقلوب أوليائه «بِالْأَنْوَارِ وَالشُّرُورِ وَ الْأَلْطَافِ» الربانية «وَالْكَلامِ اللَّذِيذِ، وَالْحَدِيثِ الْأَيْنِسِ، وَالبَشَارَةِ بِالْمَوَاهِبِ الْجِسَامِ» أي العظام «وَ» بشارة «الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ، وَ» بشارة «الْقُرْبِ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا سَيُؤَلِّ أَمْرُهُمْ» أي الأولياء والأبدال «إِلَيْهِ» من حصول المرتبة القربية، والكرامات العندية، والدولة السرمدية «وَ جَفَتْ بِهِ الْقَلَمُ» في علمه الأزلي «مِنْ أَقْسَامِهِمْ فِي سَابِقِ الدُّهُورِ» أي الأزمان جمع دهر، و هو الزمان، و سابق الأزمان: هو الأزل «فَضْلاً مِنْهُ» تعالى عليهم «وَ رَحْمَةً» بهم بلغهم إلى تلك المنازل العلية «وَ إِيْتَاباً مِنْهُ» أي من الله تعالى «لَهُمْ» أي للأولياء

«في الدُّنْيَا إِلَى بُلُوغِ الْأَجَلِ، وَهُوَ الْوَقْتُ الْمَقْدَّرُ» أي مدة عمرهم الَّذِي قَدَّرَ اللهُ تعالى لهم تسكيناً لهم وتسلية بهم «لِيَأْتِيَ تَفَرُّطٌ بِهِمُ الْمُحِبَّةُ» أي عجلت بهم محبتهم بالله تعالى «مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَنْفَطِرُ» أي تنشق، يقال: فطره فانفطر أي شقه فانشق «مَرَائِرُهُمْ» جمع مرير بمعنى عزيمة، وفي الصحاح والقاموس: المرير والمريرة العزيمة جمعه مرائر أي ينشق عزائمهم «فِيهِلِكُوا» هلاكاً بالكلية «أَوْ يَضْعَفُوا عَنِ الْقِيَامِ بِالْعِبُودِيَّةِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْيَقِينُ الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ». تفسير اليقين بالموت في قوله تعالى

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ. [الحجر، رقم السورة: ١٥، رقم الآية: ٩٩]

في جميع التفاسير نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلا تمسك لملاحظة على أن العبادة إنما تكون إلى حصول اليقين، وهو الكشف الذاتي فإذا حصل فلا حاجة إلى العبودية.

فَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ لُطْفًا مِنْهُ وَرَحْمَةً وَمُدَاوَةً وَتَرْبِيَةً لِقُلُوبِهِمْ وَ
مُدَارَاةً لَهُاءَ أَنَّهُ حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ لَطِيفٌ رَوْوُفٌ رَحِيمٌ وَلِهَذَا رَوَى عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِبَلَالِ الْمُؤَذِّنِ:
”أَرْحَنَا يَا بَلَالُ“^(١) يَعْنِي بِالْإِقَامَةِ لِنَدْخُلَ فِي الصَّلَاةِ لِلْمُشَاهَدَةِ مَا ذَكَرْنَا
مِنَ الْجَمَالِ. وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ”وَجَعَلْتُ
قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ“

(١) أخرجه أبوداؤد في سننه، وأحمد في مسنده، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، والطبراني في المعجم الكبير، وأبونعيم في معرفة الصحابة، كلهم باختلاف يسير، ولفظ أحمد في المسند هكذا، عن عبدالله بن محمد ابن الحنفية قال: دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار فحضرت الصلاة، فقال: يا جارية ائني بوضوء لعلني أصلي، فأستريح، فرأنا أنكرنا ذاك عليه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قم يا بلال، فأرحنا بالصلاة، [انظر مسند الإمام أحمد برقم: ٢٣١٥٤، باب أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم] وفي موضع من هذا الباب برقم: ٢٣٠٨٨، هكذا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا بلال، أرحنا بالصلاة. المشاهدي

«فَيْفَعَلُ» الله تعالى «ذَلِكَ» أي إعطاء المشاهدة بالجمال مع ما فيها من المراتب، وإثباتهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل «بِهِمْ» بهؤلاء الأولياء والأبدال «لُظْفًا مِنْهُ» تعالى «وَرَحْمَةً» منه بهم «وَمُدَاوَةً» منه تعالى إياهم أي معالجة «وَتَرْبِيَةً لِّقُلُوبِهِمْ» بأن لا نتقلع في المحبة «وَمُدَارَاةً لَهَا» أي موافقة بحسن المعاملة مع القلوب من دارى يداري أي يوافق ولا يخالف «أَنَّهُ» تعالى «حَكِيمٌ» يفعل بكل ما يقتضيه الحكمة «عَلَيْهِمْ» بالخير والشر فيوصل إليهم الخير، ويدفع عنهم الشر أي شر كان «لَطِيفٌ» بِهِمْ في كل حال و كل مقام «رَوْوْفٌ» كامل الرحمة «رَحِيمٌ، وَ لِهَذَا» أي لأجل أن الله تعالى يكشف لهم في الصلوة تجليات الجمال بما يشرح صدورهم.

«رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِبَلَالٍ الْمُؤَذِّنِ أَرْحَنَّا يَا بَلَالُ يَغْنِي» أرحنا يا بلال «بِالْإِقَامَةِ لِنَدْخُلَ فِي الصَّلَاةِ لِشَاهِدَةٍ مَا ذَكَّرْنَا مِنَ الْجَمَالِ» المفضي إلى ذروة الكمال «وَلِهَذَا» المعنى الَّذِي ذَكَّرْنَا مِنْ حُصُولِ الْمَشَاهِدَةِ الْجَمَالِيَةِ فِي الصَّلَاةِ «قَالَ» رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ» في حديث. حُبَّ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ^(١) فَإِنْ قَرَأَ عَيْنَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ لِحُصُولِ الْمَشَاهِدَةِ الْجَمَالِيَةِ الرَّبَانِيَةِ.

الْمَقَالَةُ الْعَاشِرَةُ

في بيان مُخَالَفَةِ النَّفْسِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَ نَفْسُكَ وَ أَنْتَ
الْمُخَاطَبُ، وَ النَّفْسُ ضِدُّ اللَّهِ وَ عَدُوَّتُهُ وَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَابِعَةُ اللَّهِ تَعَالَى
وَ النَّفْسُ لِلَّهِ تَعَالَى خَلْقًا وَ مِلْكًا حَقِيقَةً، وَ لِلنَّفْسِ إِدْعَاءٌ وَ تَمَنٍّ وَ
شَهْوَةٌ وَ لَذَّةٌ بِمَلَابَسَتِهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِنَّمَا» الْأَمْرُ لَكَ «هُوَ اللَّهُ تَعَالَى» بِلِسَانِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ
الصلوة والسلام؛ فَإِنَّهُ أَمَرَكَ بِمَا فِيهِ خَيْرٌكَ فِي الدَّارَيْنِ «وَ نَفْسُكَ» أَمَرَكَ بِمَا فِيهِ
هَلَاكَكَ فِي الدَّارَيْنِ «وَ أَنْتَ» أَيُّهَا السَّالِكُ «الْمُخَاطَبُ» بِخُطَابِ اللَّهِ تَعَالَى
وَبِخُطَابِ نَفْسِكَ «وَ النَّفْسُ» كُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُ أَنَّهَا «ضِدُّ اللَّهِ» تَعَالَى بِمَعْنَى أَنَّهَا تَأْمُرُ
بِخِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَ تَمِيلُ إِلَيْهِ «وَ عَدُوَّتُهُ» أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِشَارَةِ إِلَى
خِلَافِ أَمْرِهِ «وَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَابِعَةُ اللَّهِ تَعَالَى» فَالْحَقُّ فِي اتِّبَاعِ أَمْرِهِ تَعَالَى بِلِ
«وَ النَّفْسُ لِلَّهِ تَعَالَى خَلْقًا وَ مِلْكًا حَقِيقَةً».

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمَ:

لَا طَاعَةَ لِلْخُلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.^(١)

فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ اتِّبَاعِ أَمْرِ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ عَدُوُّ اللَّهِ تَعَالَى وَ عَدُوُّكَ بَلْ إِنْ
تَأَمَّلْتَ فَلَيْسَ لَهَا أَمْرٌ فِي الْحَقِيقَةِ، وَ لَذَا قَالَ: «وَ لِلنَّفْسِ إِدْعَاءٌ» إِلَى مَشْتَهَايَا «وَ
تَمَنٍّ» لِحَصُولِهَا «وَ شَهْوَةٌ» إِلَى وَصُولِهَا «وَ لَذَّةٌ بِمَلَابَسَتِهَا» أَوْ لَذَّةٌ لَكَ بِمَشْتَهَاتِهَا
بِمَلَابَسَتِهَا.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب، الجزء: ٢، ص: ٣٣٣. رقم الحديث:

١٠٩٤، والحاكم في المستدرک، الحكم بن عمرو الغفاري، رقم الحديث ٥٨٧٠

فَإِذَا وَافَقْتَ الْحَقَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَ عَدَاوَتِهَا
فَكُنْتَ لِلَّهِ تَعَالَى خَصْمًا عَلَى نَفْسِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ «أَنَا بُدُّكَ اللَّازِمَ فَالْزِمْ بُدُّكَ الْعِبُودِيَّةَ أَنْ تَكُونَ لِي خَصْمًا عَلَى
نَفْسِكَ» فَتَحَقَّقْتَ حِينَئِذٍ مُوَالَاتِكَ لِلَّهِ وَ عِبُودِيَّتَكَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ
أَتَتْكَ الْأَقْسَامُ هَنِيئًا مَرِيئًا. مُطِيبًا وَأَنْتَ عَزِيزٌ مُكْرَمٌ وَ خَدَمْتَكَ
الْأَشْيَاءُ وَ عَظَّمْتَكَ لِأَنَّهَا بِاجْمَعِهَا تَابِعَةٌ لِرَبِّهَا مُوَافِقَةٌ لَهُ تَعَالَى إِذْ هُوَ
خَالِقُهَا وَ مُنْشِئُهَا وَ هِيَ مُقَرَّرَةٌ لَهُ بِالْعِبُودِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾
[الإسراء، رقم السورة: ١٧، رقم الآية: ٤٤] أَيْ يَذْكُرُهُ وَيَعْبُدُهُ.

«فَ» اعْلَمْ أَنْتَ أَيُّهَا الْحَازِقُ فِي الْأُمُورِ «إِذَا وَافَقْتَ الْحَقَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُخَالَفَةِ
النَّفْسِ وَ عَدَاوَتِهَا» فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ «فَكُنْتَ» أَنْتَ بِهَذِهِ الْمُوَافَقَةِ «لِلَّهِ تَعَالَى» أَيِّ مِنْ
جَانِبِهِ «خَصْمًا عَلَى نَفْسِكَ» دَافِعًا لِمَكْرَهَاوِ تَسْوِيلِهَا «كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَا بُدُّكَ اللَّازِمَ» أَيِّ نَصِيكِ اللَّازِمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَ فِي الْقَامُوسِ: أَلْبَدُّ
الْعَوَضُ، وَالصَّنَمُ، وَ بَيْتُ الصَّنَمِ، وَالنَّصِيبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ «فَالْزِمْ بُدُّكَ» يَعْنِي أَنَا
مَقْصُودُكَ الَّذِي لَا بَدَلَ لَكَ مِنْهُ فَاقْطَعْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَ تَوَجَّهْ إِلَى الْعِبُودِيَّةِ فَكَأَنَّهُ قَالَ:
مَا حَقِيقَةُ الْعِبُودِيَّةِ؟ فَقَالَ: «الْعِبُودِيَّةُ أَنْ تَكُونَ لِي» أَيِّ مِنْ جَانِبِي «خَصْمًا عَلَى
نَفْسِكَ» وَ مُحَارِبًا مَعَهَا فَإِذَا كُنْتَ مُحَارِبًا لِلَّهِ تَعَالَى مَعَ نَفْسِكَ «فَتَحَقَّقْتَ حِينَئِذٍ» أَيِّ
حِينَ خَاصَمْتَ مَعَ نَفْسِكَ «مُوَالَاتِكَ لِلَّهِ» وَ مُحِبَّتِكَ مَعَهُ «وَ عِبُودِيَّتَكَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ
أَتَتْكَ» مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَحَقُّقِ مُوَالَاتِكَ مَعَهُ «الْأَقْسَامُ» الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
سَابِقِ عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ «هَنِيئًا مَرِيئًا» أَيِّ سَائِغًا حَمِيدًا صِفَتَانِ مِنْ هَنَوُ الطَّعَامِ، وَ مَرًّا إِذَا
كَانَ سَائِغًا لَا تَقِيصُ فِيهِ، وَهُمَا وَصْفَا مُصْدَرِ أَيِّ إِيْتَانَا مَبَاحًا مِنْ غَيْرِ تَبَعَةٍ، فَهَذِهِ عِبَارَةٌ
عَنْ الْمَبَالِغَةِ فِي الْإِبَاحَةِ، وَإِزَالَةِ التَّبَعَةِ «مُطِيبًا وَأَنْتَ عَزِيزٌ» مُعَزَّزٌ «مُكْرَمٌ» عِنْدَ
الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ «وَ خَدَمْتَكَ الْأَشْيَاءُ» كُلُّهَا بِإِذْنِ خَالِقِهَا «وَ عَظَّمْتَكَ» جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ

وَفَحَّمْتُكَ^(١) جميعها «لِأَنَّهَا» أي الأشياء «بِأَجْمَعِهَا تَابِعَةً لِرَبِّهَا» في أمره «مُؤَافِقَةً لَهُ تَعَالَى» في إرادته «إِذْ هُوَ» تعالى «خَالِقُهَا وَمُنْشِئُهَا وَهِيَ» أي الأشياء «مُقَرَّرَةٌ لَهُ بِالْعَبُودِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»:

«وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ» أي ما من شيء «إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ».

إجماع السلف على أن للأشياء تسبيحات حقيقية لَا يَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُسْمَعُ «أي يَذْكُرُهُ وَيَعْبُدُهُ» أي كل شيء يذكر الله تعالى.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تُكْفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمَ ذَلِكَ ثَمٌّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَكْذَرْتُكُمْ صَبْعَةً مِثْلَ صَبْعَةٍ عَادُ وَنُوحُذُ﴾ [فصلت، رقم السورة: ٤١، رقم الآية: ٩ إلى ١٣]

«وَقَالَ» الله «عَزَّ وَجَلَّ»: «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفرة «أَنتُمْ لَكُمْ تُكْفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ» الاثنين «وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ» القادر العظيم «رَبُّ الْعَالَمِينَ» فما فيها إلا مخلوقه، فكيف يصلح أن يكون له ندا «وَجَعَلَ فِيهَا» في الارض «رَوَاسِيَ» جبالاً ثوابت «مِنْ فَوْقِهَا» مرتفعة لتظهر للنظرين «وَبَارَكَ» فيها بخلق المنافع «وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» أقوات أهلها جمع قوت «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» في تنمة أربعة، وهو يومان بعد الأولين الثلثاء والأربعاء «سَوَاءً» أي استوت استواء بلا زيادة ولا نقصان، والجملة صفة أيام «لِلنَّاسِ لِيَوْمَ ذَلِكَ» هذا الحصر للناس

(١) بمعنى عظمتك، من الشارح

عن مدة خلقها، أو متعلق بقدر أي قدر فيها للمحتاحين أقواتها «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» أي قصد نحوها «وَهِيَ دُخَانٌ» ارتفع من الماء الَّذِي عَلَيْهِ عَرْشُهُ «فَقَالَ لَهَا» للسماء «وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا» ما أمركما أي افعلاه واستجيبا لأمرى.

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أَطْلَعَنِي شَمْسُكَ وَ قَمَرُكَ وَ نُجُومُكَ يَا سَمَاءُ وَ شَقَّقْنِي أَنْهَارُكَ وَ أَخْرَجْنِي ثَمَارُكَ وَ بَنَاتُكَ يَا أَرْضُ.^(١)

«طَوْعًا أَوْ كَرْهًا» طائعتين أو كارهتين أي شئتما أو أبيتما ذلك «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَتَيْنِ» استجبنا لك منقادين، لما أجراها مجرى العقلاء خاطبهما، وأقدرهما على الجواب، وأثبت لهما الطوع والكراهة وقال «طائعتين» بالتذكير «فَقَضَاهُنَّ» أي السماء «سَبْعَ سَمُوتٍ فِي يَوْمَيْنِ» آخرين بعداليومين السابقين وهما الخميس والجمعة، فتم خلق مجموع العالم في ستة أيام كما أخبر به في قوله:

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. [الأعراف، رقم السورة: ٧، رقم الآية: ٥٤]

«وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» بما لا يعلمه إلا هو «وَرَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» بالكواكب زينة «وَحِفْظًا» من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملائكة، و يقذفون من كل جانب دحورا «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ ضِعْفَةً مِثْلَ ضِعْفَةِ عَادٍ وَثَمُودَ.

والمقصود من إيراد هذه الآية أن مثل هذه الأجرام العظام مأمورون بامتثال الأمر ومخالفة النفس بقوله: «ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا» وهم امتثلوا أمر الرب طوعا فأنت أولى بامتثال أمر الرب رغبة وطوعا، والاجتهاد في عبادته سرورا وحضورا.

فَالْعِبَادَةُ كُلُّ الْعِبَادَةِ فِي مُخَالَفَةِ نَفْسِكَ وَ هَوَاكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة: ص، رقم
السورة: ٣٨، رقم الآية: ٢٦] وَ قَالَ تَعَالَى لِذَاوَدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ
السَّلَامُ: ﴿أَمْجَزُ هَوَاكَ فَإِنَّهُ لَا مُتَارَعَ بَيْنَ غِنَى فِي مُلْكِي غَيْرِ الْهَوَىٰ﴾

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي، الجزء: ٢٧، ص: ٥٥٠، سورة فصلت: ٤١، آيت: ١٣

وَالْحِكَايَةُ الْمَشْهُورَةُ عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْبُسْتَامِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ
رُوي أَنَّهُ لَمَّا رَأَى رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَيْكَ يَا
بَارِخُدَا؟ قَالَ: أَتْرُكُ نَفْسَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ: فَأَنْسَلِخُ مِنْ نَفْسِي كَمَا
تَنْسَلِخُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا.

«فَالْعِبَادَةُ كُلُّ الْعِبَادَةِ فِي مُخَالَفَةِ نَفْسِكَ وَهَوَاكَ» واستدل على مخالفة النفس
والهوى بالقرآن فقال:

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» في سورة صَ لَنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ «وَلَا تَتَّبِعِ
الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ» ذلك الاتباع «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُلُ اللَّهِ تَعَالَى وَ
أَخْبَرُوا بِهِ أَثْمَ ثَمَرَةِ الضَّلَالَةِ بقوله:

إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ^٢ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ.
[ص، رقم السورة: ٣٨، رقم الآية: ٢٦]

فينبغي قلع هذه الشجرة المثمرة لهذه الثمرة «و» بالحديث القدسي «قَالَ
تَعَالَى» لَنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «أَهْجُرْ هَوَاكَ فَإِنَّهُ لَا مُتَنَارِعَ يُنَازِعُنِي فِي
مُلْكِي غَيْرُ الْهَوَىٰ» إذ لا يميل مائل من الاستقامة إلى الإغْوِجَاجِ كَفَرَا كَانَ بِأَنْوَاعِهَا،
أَوْ مَعْصِيَةٍ بِأَقْسَامِهَا إِلَّا بِالْهَوَىٰ.

«و» بواقعات المشائخ الكبار فمنها «الْحِكَايَةُ الْمَشْهُورَةُ عَنْ أَبِي يَزِيدَ
الْبُسْتَامِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ رُوي أَنَّهُ لَمَّا رَأَى رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ» سَأَلَهُ الشَّيْخُ عَنْ
الْوَصُولِ إِلَيْهِ «فَقَالَ» الشَّيْخُ «لَهُ» تَعَالَى «كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَيْكَ يَا بَارِخُدَا، قَالَ»
اللَّهُ تَعَالَى لِلشَّيْخِ «أَتْرُكُ نَفْسَكَ» يَا أَبَا يَزِيدَ «وَتَعَالَى، فَقَالَ» الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ قَدَسَ
سِرُّهُ «فَأَنْسَلِخُ» أَيُ خَرَجْتُ «مِنْ نَفْسِي كَمَا تَنْسَلِخُ» أَيُ تَخْرُجُ «الْحَيَّةُ مِنْ
جِلْدِهَا»

فَإِذَا بَيَّنَّ أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي مُعَادَاتِهَا فِي الْجُمْلَةِ فِي الْأَحْوَالِ

كُلِّهَا، فَإِنْ كُنْتَ فِي حَالِ التَّقْوَى فَخَالِفِ النَّفْسَ بِأَنْ تَخْرِجَ مِنْ حَرَامِ الْخَلْقِ وَشُبُهِهِمْ وَمِنْهُمْ وَالْإِتِّكَالِ عَلَيْهِمْ وَالثَّقَّةِ بِهِمْ وَالْخُوفِ مِنْهُمْ وَالرَّجَاءِ لَهُمْ وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَهُمْ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا فَلَا تَرْجُ عَطَاءَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْهَدْيَةِ أَوِ الصَّدَقَةِ أَوِ الزَّكَاةِ أَوِ الْكَفَّارَةِ أَوِ النَّذْرِ فَاقْطَعْ هَمَّكَ مِنْهُمْ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ حَتَّى إِنْ كَانَ لَكَ نَسِيبٌ ذُو مَالٍ لَا تَتَمَنَّى مَوْتَهُ لَتَرِثَ مِنْهُ مَالَهُ فَاخْرِجْ مِنَ الْخَلْقِ جِدًّا وَاجْعَلْهُمْ كَالْبَابِ يُرَدُّ وَيُفْتَحُ وَشَجَرَةٍ تُوجَدُ فِيهَا ثَمَرَةٌ تَارَةً وَتُخْتَلُ أُخْرَى وَكُلُّ ذَلِكَ بِفِعْلِ حَكِيمٍ وَتَذْيِيرٍ مُدَبِّرٍ عَلِيمٍ قَدِيرٍ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَتَكُونَ مُوَحِّدًا لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

«فَإِذَا ثَبَتَ» بما ذكرنا و نقلنا من الدلائل الدالة على ترك النفس والهوى «أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ» للسالك «فِي مُعَادَاتِهَا» أي النفس «فِي» أي في جملة الأمور بمعنى مجموعها في «الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، فَإِنْ كُنْتَ» أيها السالك «فِي حَالِ التَّقْوَى فَخَالِفِ النَّفْسَ بِأَنْ تَخْرِجَ مِنْ حَرَامِ الْخَلْقِ» أي ما هو معلوم حرمة «وَشُبُهِهِمْ» أي ما لم يعلم حرمة يقينا «وَمِنْهُمْ» بالأخذ منهم تذللًا وإظهاراً للحاجة «وَالْإِتِّكَالِ» أي الاعتماد «عَلَيْهِمْ، وَالثَّقَّةِ بِهِمْ» بأن يوصلوا إليك الخير البتة «وَالْخُوفِ مِنْهُمْ» بكثرة شوكتهم «وَالرَّجَاءِ لَهُمْ، وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَهُمْ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا» ومشتبهات الأنفس؛ فإن الطمع منشأ الذلة «فَلَا تَرْجُ عَطَاءَهُمْ» بأيّ طريق كان «عَلَى طَرِيقِ الْهَدْيَةِ أَوِ الصَّدَقَةِ أَوِ الزَّكَاةِ أَوِ الْكَفَّارَةِ أَوِ النَّذْرِ» فإن وصل إليك منهم بغير طمع منك فلا ضرر فيها تحتاج، و أما الزائد من قدر الاحتياج؛ فإن رأيت المصلحة فيه فخذها وإلا اترك «فَاقْطَعْ هَمَّكَ» وقصدك وتوجه باطنك «مِنْهُمْ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ وَ» سائر «الْأَسْبَابِ حَتَّى إِنْ كَانَ لَكَ نَسِيبٌ» أي ذو نسب و قرابة «ذُو مَالٍ لَا تَتَمَنَّى مَوْتَهُ لَتَرِثَ مِنْهُ مَالَهُ فَاخْرِجْ مِنَ الْخَلْقِ جِدًّا» في جميع الأمور، و جميع الأحوال «وَاجْعَلْهُمْ كَالْبَابِ» لقضاء الله تعالى و قدره «يُرَدُّ» يرّد الله تعالى فيغلق «وَ

يُفْتَحُ» بفتح الله تعالى إياه «وَشَجَرَةٍ تُوَجَدُ فِيهَا ثَمَرَةٌ تَارَةً» في عام «وَتُحْتَلُّ» في سنة «أُخْرَى وَكُلُّ ذَلِكَ بِفِعْلِ حَكِيمٍ وَتَذْبِيرٍ مُدَبَّرٍ عَلِيمٍ قَدِيرٍ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَتَكُونَ» أنت علة للأمر بالخروج أو غاية للخروج، والمعنى: إنما أمرك بالخروج لتكون، أو اخرج كي تكون أنت بتركك الخلق من سائر الوجوه والأسباب «مُوحِّدًا لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ» توحيداً حقيقياً كما أنك بتركك الشرك كنت مؤحداً شرعياً لكن لا تظن بخروجك عن الخلق أنه عبث، وأن الأفعال لا يسند إليه أصلاً.

وَلَا تَنْسَ مَعَ ذَلِكَ كَسْبَهُمْ لِتَخْلُصَ مِنْ مَذْهَبِ الْجُبْرِيَّةِ
وَاعْتَقِدْ أَنَّ الْأَفْعَالَ مِنَ الْخَلْقِ لَا تَتِمُّ بِهِمْ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى لِكَيْلَا
تَعْبُدَهُمْ وَتَنْسَى اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَقُلْ لِفِعْلِهِمْ: إِنَّهُ دُونَ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى
فَتَكْفُرَ فَتَكُونَ قَدَرِيًّا.

«وَلَا تَنْسَ مَعَ ذَلِكَ» أي الخروج عن الخلق «كَسْبَهُمْ لِتَخْلُصَ مِنْ مَذْهَبِ الْجُبْرِيَّةِ» فإنهم زعموا أن ذوي الأرواح في صدور الأفعال عنهم بمنزلة الجمادات لا يسند الأفعال إليهم لا خلقاً كما مذهب المعتزلة، ولا كسباً كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة «وَاعْتَقِدْ أَنَّ الْأَفْعَالَ مِنَ الْخَلْقِ لَا تَتِمُّ بِهِمْ» أي أنفس الخلق «دُونَ اللَّهِ تَعَالَى» أي واره تعالى كما هو مذهب أهل الاعتزال «لِكَيْلَا تَعْبُدَهُمْ» رجاء وصول الخير منهم إليك «وَتَنْسَى اللَّهَ تَعَالَى» بظن أنه لا تأثير له تعالى في أفعالهم «وَلَا تَقُلْ لِفِعْلِهِمْ: إِنَّهُ» فعلهم أي فعل الخلق «دُونَ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَكْفُرَ» بإثبات الشركة في الخالقية «فَتَكُونَ قَدَرِيًّا» مثبتاً لذوي الأرواح قدرة على الاستقلال في أفعالهم بدون تأثير قدرة الله تعالى، وذلك ضلال كما أن سلب القدرة عنهم أصلاً ورأساً وجعلهم جمادات لا حركة لها إلا من الغير أيضاً ضلال، فالصواب هو أمر بين الأمرين. وإنما حكم قدس سره بكفر القدرية والكتب الكلامية شاهدة بخلافها تغليظاً وتشديداً في الصد عن الميل إلى أهل الزيغ والأهواء.

لَكِنْ قُلْ هِيَ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقًا وَلِلْعِبَادِ كَسْبًا كَمَا بَجَاءَتْ بِهِ الْأَنْبَاءُ

لِبَيَانِ مَوْضِعِ الْجَزَاءِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَامْتِثِلْ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ
وَخَلِّصْ قِسْمَكَ مِنْهُمْ بِأَمْرِهِ تَعَالَى وَلَا تَجَاوِزْهُ فَحُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى قَائِمٌ
يَحْكُمُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ فَلَا تَكُنْ أَنْتَ، الْحَاكِمُ وَكَوْنُكَ مَعَهُمْ قَدْرٌ
وَالْقَدْرُ ظُلْمَةٌ.

«لَكِنْ قُلْ هِيَ» أي أفعال الخلق «لِللَّهِ تَعَالَى خَلْقًا وَلِلْعِبَادِ كَسْبًا كَمَا جَاءَتْ بِهِ
الْأَثَارُ» القرآنية والنبوية «لِبَيَانِ مَوْضِعِ الْجَزَاءِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَامْتِثِلْ أَمْرَ
اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ» أي افعل بهم ما أمر الله تعالى به إياك من السلوك مع الخلق «و
خَلِّصْ قِسْمَكَ مِنْهُمْ بِأَمْرِهِ تَعَالَى وَلَا تَجَاوِزْهُ» أي أمر الله تعالى «فَحُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى
قَائِمٌ يَحْكُمُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ» في جميع الأمور «فَلَا تَكُنْ أَنْتَ الْحَاكِمُ» في أمر من
الأمور، فإنه إشراك به تعالى أي؛ فإن كونك حاكما مع قيام حكم الله تعالى إشراك به
تعالى، وذلك ضلال محض «وَكُونُكَ مَعَهُمْ قَدْرٌ وَالْقَدْرُ ظُلْمَةٌ» أي كونك مع
الخلق، وإضافة الأفعال إليهم على وجه الاستقلال ورؤية النفع والضرر والخير
والشر منهم مستلزم لإثبات خلق الأفعال، والقدرة لهم والحال أن اعتقاد القدر و
دعوى إسناد الخالقية والقادرية للخلق سبب الدخول في ظلمة الشرك والخروج
من نور التوحيد.

فَادْخُلْ فِي الظُّلْمَةِ بِالمُصْبِحِ وَهُوَ الْحَاكِمُ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَ
سُنَّةُ رَسُولِهِ، لَا تَخْرُجْ عَنْهُمَا فَإِنْ خَطَرَ خَاطِرٌ، أَوْ وَجَدَ فِي قَلْبِكَ إِهْمَامٌ
فَاعْرِضْهُمَا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنْ وَجَدْتَ فِيهِمَا تَحْرِيمَ ذَلِكَ مِثْلَ
أَنْ تُلْهَمَ بِالزَّنا أَوْ الرِّبَا أَوْ مَخَالَطَةِ أَهْلِ الْفُسْقِ وَالْفُجُورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنَ الْمُحَاصِنِ فَاذْفَعْهُ عَنْكَ وَاهْجُزْهُ وَلَا تَقْبَلْهُ وَلَا تَعْمَلْ بِهِ وَاقْطَعْ
بِأَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ.

فإذا كان القدر ظلمة لا تعرف أنت سره فإن أردت الدخول «فَادْخُلْ فِي
الظُّلْمَةِ بِالمُصْبِحِ وَهُوَ» أي المصباح «الحَاكِمُ» الفاصل بين الحق والباطل، وهو

مثل الشمس نسبة إلى الظلمة والنور «كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَ سُنَّةُ رَسُولِهِ» صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم «لَا تَخْرُجُ عَنْهُمَا» فإن الهداية فيهما، والضلالة فيما سواهما «فَإِنْ خَطَرَ» لك «خَاطِرٌ» أي فكر «أَوْ وُجِدَ» في قلبك «إِلْهَامٌ» في أي أمر كان دينيا أو دنيائيا، نفعا كان أو ضرا «فَاعْرِضْهُمَا» أي تلك الخاطر والإلهام «عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنْ وَجَدْتَ فِيهِمَا» أي في الكتاب والسنة «تَحْرِيمَ ذَلِكَ» الخاطر والإلهام، أو كراهته؛ فإن المكروه في حكم الحرام سيما عند أهل التقوى «مِثْلَ أَنْ تُلْهِمَ بِالزَّيْنَةِ أَوْ الرِّبَا» أي بأكله «أَوْ مَخَالَطَةِ أَهْلِ الْفُسُقِ وَالْفُجُورِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي» التي بُيِّنَ في الكتاب والسنة حرمتها أو كراهتها «فَاذْفَعُهُ» أي ذلك الإلهام «عَنْكَ» بالاستعاذة بالله الكريم المنان في كل حين و زمان؛ فإن طريق دفع الوسوسة الشيطانية عند بعض المحققين هو الاستعاذة كما يشير إليه قوله تعالى:

وَقُلْ رَبِّ اعْزُذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ وَ اعْزُذْ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ
[المؤمنون، رقم السورة: ٢٣، رقم الآية: ٩٧-٩٨]
وقوله تعالى:

وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ. [الاعراف، رقم السورة: ٧،
رقم الآية: ٢٠٠]

«وَاهْجُزُهُ» أي اترك ذلك الإلهام «وَلَا تَقْبَلْهُ وَلَا تَعْمَلْ بِهِ وَاقْطَعْ» قطعاً يقينياً «بِأَنَّهُ» أي ذلك الإلهام «مِنَ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ» ومخالفته واجب كما قال الله تعالى:

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا. [فاطر، رقم السورة: ٣٥، رقم الآية: ٦]

وَ إِنْ وَجَدْتَ فِيهِمَا إِبَاحَتَهُ كَالشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ مِنَ الْأَكْلِ
وَالشُّرْبِ وَاللُّبْسِ وَالنِّكَاحِ فَاهْجُزْهُ أَيَضًا وَلَا تَقْبَلْهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ
إِلْهَامِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا وَقَدْ أَمَرْتُ بِمُخَالَفَتِهَا وَعَدَاوَتِهَا، وَإِنْ لَمْ تُجِدْ

فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَحْرِيمُهُ وَلَا إِبَاحَتَهُ بَلْ هُوَ أَمْرٌ لَا تَعْقِلُهُ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّتِ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا، إِلْقَ فُلَانًا صَالِحًا وَلَا حَاجَةَ لَكَ هُنَاكَ وَلَا فِي ذَلِكَ الصَّالِحِ لِاسْتِغْنَائِكَ عَنْهُ بِمَا أَوْلَاكَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ نِعْمَةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فَتَوَقَّفَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُبَادِرْ إِلَيْهِ فَتَقُولَ: هَلْ هَذَا الْإِلْهَامُ مِنَ الْحَقِّ فَأَعْمَلَ بِهِ بَلْ أُنْتَظِرُ الْخَيْرَةَ فِي ذَلِكَ وَفِعَلَ الْحَقِّ عَزَّوَجَلَّ بِأَنْ يَتَكَرَّرَ ذَلِكَ الْإِلْهَامُ وَتُؤْمَرَ بِالسَّغِيِّ أَوْ تَكُونَ عَلَامَةً يَغْقِلُهَا الْعَقْلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤَيَّدُونَ مِنَ الْأَبْدَالِ.

«وَأِنْ وَجَدْتَ فِيهِمَا» أي في الكتاب والسنة «إِبَاحَتَهُ» أي إباحة ذلك الإلهام «كَالشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ مِنَ الْأَكْلِ» رغدا واسعا متعدددا «وَالشُّرْبِ» أنواعا مختلفة «وَاللُّبْسِ» أصنافا كثيرة «وَالنِّكَاحِ» حرة كانت أو أمة «فَاهْجُزُهُ أَيْضًا، وَلَا تَقْبَلُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ» أي ذلك الإلهام «مِنْ إِلْهَامِ النَّفْسِ» اللوامة «وَشَهَوَاتِهَا» فإنها تميل إلى ما فيه حظها مع ملاحظة الشرع بخلاف النفس الأمارة؛ فإنها تميل إلى مشتهياتها كيف كانت حراما أو حلالا «وَقَدْ أُمِرَتْ» أنت في الكتاب والسنة «بِمُخَالَفَتِهَا وَعَدَاوَتِهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَحْرِيمَهُ وَلَا إِبَاحَتَهُ» لا صريحا ولا إشارة «بَلْ هُوَ أَمْرٌ لَا تَعْقِلُهُ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّتِ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا إِلْقَ فُلَانًا صَالِحًا وَلَا حَاجَةَ لَكَ هُنَاكَ» أي في ذلك الموضع الملهم بالذهاب إليه «وَلَا فِي ذَلِكَ الصَّالِحِ» المأمور بملاقاته «لِاسْتِغْنَائِكَ عَنْهُ» أي عن كل منهما «بِمَا أَوْلَاكَ» أي أعطاك «اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ نِعْمَةٍ» الكثيرة المتوالية «مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فَتَوَقَّفَ» أنت «فِي» أداء «ذَلِكَ» الإلهام «وَلَا تُبَادِرْ إِلَيْهِ» أي إلى إمضاء ذلك الإلهام وإيقاعه «فَتَقُولَ:» بالنصب جواب لقوله فتوقف و جواب الأمر بالفاء نصب و غيرها جزم «هَلْ هَذَا الْإِلْهَامُ مِنَ الْحَقِّ فَأَعْمَلَ بِهِ» أم لا فأثركه «بَلْ أُنْتَظِرُ الْخَيْرَةَ» أي الخير للترقي من قوله فتوقف «فِي ذَلِكَ» الإلهام «وَلَا أُنْتَظِرُ» فِعَلَ الْحَقِّ عَزَّوَجَلَّ «مِنَ الْإِمْضَاءِ أَوْ الْمَنْعِ» بِأَنْ يَتَكَرَّرَ ذَلِكَ الْإِلْهَامُ وَتُؤْمَرَ «مَرَّةً أُخْرَى» بِالسَّغِيِّ

أَوْ تَكُونُ عَلَامَةً» في ذلك الإلهام لأهل العلم بالله عز وجل «يَعْقِلُهَا الْعُقُلُ» أي الكَمَل «مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤَيَّدُونَ مِنَ الْأَبْدَالِ» فإنهم يجدون في مكاشفاتهم وإلهاماتهم ما يعرفون به حقيقة تلك المكاشفة، والإلهام بأن يخلق الله تعالى فيهم علما ضرور يا بحيث لا يجدون للنفس إلى إنكاره ورده سبيلا، وربما لا يقدرّون على بيانه وتقريره، ولذا لا يكون الكشف والإلهام حجة على الغير.

وَإِنَّمَا لَمْ تُبَادِرْ إِلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ عَاقِبَتَهُ وَمَا يُؤْوُلُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ، وَمَا كَانَ فِيهِ فِتْنَةٌ وَهَلَاكٌ وَمَكْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَامْتِحَانٌ فَاضْبِرْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ الْفَاعِلُ فِيكَ فَإِذَا تَجَرَّدَ الْفِعْلُ وَحُمِلَتْ إِلَى هُنَاكَ وَاسْتَقْبَلَتْكَ فِتْنَةٌ كُنْتَ مَحْمُولًا مَحْفُوظًا فِيهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَاقِبُكَ عَلَى فِعْلِهِ، وَإِنَّمَا تَتَطَرَّقُ الْعُقُوبَةُ نَحْوَكَ لِكَوْنِكَ فِي الشَّيْءِ.

«وَإِنَّمَا لَمْ تُبَادِرْ إِلَى» إمضاء «ذَلِكَ» الإلهام «لِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ عَاقِبَتَهُ» أي عاقبة ذلك الإلهام من الخير والشر، «وَمَا يُؤْوُلُ الْأَمْرُ» في ذلك الإلهام «إِلَيْهِ» من النفع والضرر «وَمَا كَانَ» عطف على ما يؤول «فِيهِ فِتْنَةٌ وَهَلَاكٌ وَمَكْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَامْتِحَانٌ فَاضْبِرْ» أنت «حَتَّى يَكُونَ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ الْفَاعِلُ فِيكَ» في تلك الأمور الملهممة «فَإِذَا تَجَرَّدَ الْفِعْلُ» أي فعل الله تعالى «وَحُمِلَتْ» بصيغة المجهول أي حملك الله تعالى «إِلَى هُنَاكَ» أي إلى ما هو المعلوم لك بلا إلهام «وَاسْتَقْبَلَتْكَ فِتْنَةٌ كُنْتَ مَحْمُولًا مَحْفُوظًا» من جانب الله تعالى «فِيهَا» أي في تلك الفتنة «لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَاقِبُكَ عَلَى فِعْلِهِ، وَإِنَّمَا تَتَطَرَّقُ» أي تعرض «الْعُقُوبَةُ نَحْوَكَ» أي جانبك «لِكَوْنِكَ» أي لظهور وجودك بإرادتك واختيارك «فِي الشَّيْءِ» الَّذِي فعلته بالقلب أو الجوارح؛ فإذا خرجت عن الاختيار خلصت عن الإضرار كما قيل: إن أقامك ثَبَتَ، وإن قمت بنفسك سقطت.

اعلم أن الإلهام المصطلح هو إلقاء معنى في القلب بطريق الفيض، والمراد بما

هو المذكور في هذا الكتاب أعم من أن يكون بطريق الفيض أولاً؛ لأنه نسب إلى الشيطان والنفس، وما يكون بطريق الفيض لا مدخل لهما فيه. ثم اعلم أن في القلب خواطر ستة: أحدها خاطر النفس.

والثاني: خاطر الشيطان.

والثالث: خاطر الروح.

والرابع خاطر الملك.

والخامس: خاطر العقل.

والسادس: خاطر اليقين.

فخاطر النفس يأمر بتناول الشهوات و متابعة الهوى المباح منه والجناح، و خاطر الشيطان يأمر في الأصل بالكفر والشرك والشكوى والتهمة لله عز وجل في وعده، وفي الشروع بالمعاصي والتسوية بالتوبة، و ما فيه هلاك النفس في الدنيا والآخرة، فالخاطران مذمومان محكوم لهما بالسوء، وهما لعموم المؤمنين.

و خاطر الروح و خاطر الملك يردان بالحق والطاعة، و ما يكون عاقبته سلامة الدنيا والآخرة، و ما يوافق العلم فهما محمودان لا يعدمها خصوص الناس.

و أما خاطر العقل فتارة يأمر بما تأمر به النفس والشيطان، و تارة يأمر بما تأمر به الروح والملك، وذلك حكمة من الله عز وجل وإتقان لصنعه ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود و تمييز، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له و عليه؛ لأن الله تعالى جعل الجسم مكانا لجرى أحكامه، و محلا لإنفاذ مشيئته كذلك جعل العقل مطية الخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم.

و أما خاطر اليقين و هو روح الإيمان، و مورد العلم يرد من الله تعالى و يصدر عنه، و هو مخصوص بخواص من الأولياء الموقنين الصديقين والشهداء والأبدال لا يرد إلا بالحق وإن خفي وروده ودق مجيئه.

وإن كنت في حالة الحقيقة وهي حالة الولاية فخالفت هواءك

وَاتَّبِعِ الْأَمْرَ فِي الْجُمْلَةِ. وَإِتْبَاعُ الْأَمْرِ عَلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ تَأْخُذَ
مِنَ الدُّنْيَا الْقُوَّةَ الَّتِي هُوَ حَقُّ النَّفْسِ، وَتَتْرَكَ الْحُظَّ وَتُؤَدِّي
الْفَرَضَ وَتَشْتَغِلَ بِتَرْكِ الدُّنُوبِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

«وَإِنْ كُنْتَ» أيها السالك «فِي حَالَةِ الْحَقِيقَةِ» عطف على «فَإِنْ كُنْتَ فِي حَالِ
التَّقْوَى» «وَهِيَ» أي حالة الحقيقة «حَالَةُ الْوِلَايَةِ» وهي القرب من الله تعالى
بالمرتبة «فَخَالَفَ هَوَاكَ، وَاتَّبَعَ الْأَمْرَ» أي أمر الله، تعالى وأمر رسوله صلى الله تعالى
عليه وعلى آله وصحبه وسلم «فِي الْجُمْلَةِ» أي في جملة الأمور بمعنى مجموعها و
جميعها «وَإِتْبَاعُ الْأَمْرِ» مطلقا سواء كان في مرتبة الولاية أو التقوى «عَلَى قِسْمَيْنِ
أَحَدُهُمَا» وهو الكائن في مرتبة التقوى «أَنْ تَأْخُذَ» لنفسك «مِنَ الدُّنْيَا الْقُوَّةَ» و
هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام والشراب الَّذِي يحصل منه القيام بطاعة الله
تعالى «الَّذِي هُوَ حَقُّ النَّفْسِ».

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إِنْ لِلنَّفْسِ
عَلَيْكَ حَقٌّ»^(١) ومنع النفس عن القوت تعريض لها إلى الهلاك وهو منهي شرعا،
قال الله تعالى: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ». [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم
الآية: ١٩٥]

والمسئلة الفقهية أن الاكل فرض إن دفع به هلاكه، و مأجور عليه إن مكنه
من صلوته قائما و من صومه، و مباح إلى الشبع لتزيد قوَّته، و حرام فوَّقه إلا لقصد
قوَّته صوم الغد، و لئلا يستحي ضيفه كذا في الوقاية و شرحه و غيرهما «وَتَتْرَكَ
الْحُظَّ» النفساني بكثرة التمتع والتلذذ بالأطعمة الشهية، واللباس البهية؛ فإنها و إن
كانت مباحة في الشرع لكنها متروكة في التقوى «وَتُؤَدِّي الْفَرَضَ» وكذا السنن و
إن لم تقدر بالاكتفاء على ذلك القوت على كثرة النوافل «وَتَشْتَغِلَ بِتَرْكِ الدُّنُوبِ مَا
ظَهَرَ مِنْهَا» كالزنا والربا والشتيم والغضب ونحو ذلك مما بين في علم الفقه «وَمَا

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف
للضيف، برقم: ٦١٣٩، ونصه: لنفسك عليك حقًا.

بَطْنٍ» من الرياء والعجب والسمعة ونحو ذلك مما بين في علم الأخلاق.

|| وَالْقِسْمُ الثَّانِي مَا كَانَ بِأَمْرِ بَاطِنٍ وَهُوَ أَمْرُ الْحَقِّ بِأَمْرِ عَبْدِهِ وَيُنْهَاهُ ||

«وَالْقِسْمُ الثَّانِي» من اتباع الأمر، وهو الكائن في مرتبة الولاية «مَا كَانَ بِأَمْرِ بَاطِنٍ» مستور عن الخلائق لا يعرفه إلا أهله «وَهُوَ» أي الأمر الباطن «أَمْرُ الْحَقِّ» عز وجل «يَأْمُرُ عَبْدَهُ» نبيا كان أو وليا بأمر سري بفعل أشياء «وَيُنْهَاهُ» كذلك عن أشياء؛ ولهذا قال الكاشفون: الخلافة والخليفة على نوعين:-

أحدهما: خلافة الحق عز شأنه بغير الواسطة المسمى صاحبه باصطلاح الشرع بخليفة الله تعالى، وهو من يأخذ المعارف والأحكام الناموسي من الله سبحانه بغير الواسطة كالأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، وبعض الأولياء من أصحاب العلوم الدنية الذين لم يتعلموا شيئا من غير الله تعالى.

وثانيهما: خلافة الرسول وهو من يأخذ تلك المعارف والأحكام بنقل صريح من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

و قالوا: من يأخذ الأحكام والمعارف من^(١) الأولياء بغير واسطة فهو خليفة الله سبحانه وخليفة الرسول أيضا؛ لأن تلك الأحكام والمعارف هي أحكام الرسل ومعارفهم وصلت إليهم لإيمانهم بهم، و اتباعهم لهم، وما يترآى في الظاهر من مخالفتهم الشرايع في بعض الأحكام فذلك إنما عرض لهم لعدم صحة المنصوص المظنون عندهم، أو لعدم فهم العوام ذلك، وحصل لهم ذلك العلم إما بتعليم الله تعالى إياهم بلا واسطة أو بواسطة عروج أرواحهم إلى روح الرسول صلى الله عليه وآله وعلى آله وصحبه وسلم، أو تجلى لهم الرسول عليه الصلوة والسلام بصورة من صور عالم المثال.

|| وَإِنَّمَا يَتَحَقَّقُ هَذَا الْأَمْرُ فِي الْمُبَاحِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ فِي الشَّرْعِ
|| عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ النَّهْيِ وَلَا مِنْ قَبِيلِ الْأَمْرِ الْوَاجِبِ بَلْ ||

(١) بيان من - من الشارح

هُوَ مُهْمَلٌ تُرِكَ الْعَبْدُ يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِاخْتِيَارِهِ فَسُمِّيَ مُبَاحًا فَلَا يَخْدُثُ
لِلْعَبْدِ الْمُخْتَارِ فِيهِ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ بَلْ يَنْتَظِرُ الْأَمْرَ فِيهِ فَإِذَا أُمِرَ اِمْتَنَلْ
فَتَصِيرُ حَرَكَاتُهُ وَ سَكَنَاتُهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا فِي الشَّرْعِ حُكْمُهُ
فَبِالشَّرْعِ، وَمَا لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ فِي الشَّرْعِ فَبِالْأَمْرِ الْبَاطِنِ فَحِينَئِذٍ يَصِيرُ
مُحَقِّقًا مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ، وَمَا لَيْسَ فِيهِ أَمْرٌ بَاطِنٌ فَهُوَ مُجَرَّدُ الْفِعْلِ حَالَةً
التَّسْلِيمِ.

ثم هذا الأمر والنهي الباطنيان ليسا بمطلقين؛ ولذا قال رضي الله تعالى عنه: «وَأِنَّمَا يَتَحَقَّقُ هَذَا الْأَمْرُ فِي الْمُبَاحِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ فِي الشَّرْعِ» يحكم بفعله وجوبا أو استحسانا، أو بتركه كذلك «عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ» أي ذلك المأمور بالأمر الباطني «لَيْسَ مِنْ قِبَلِ النَّهْيِ» أي مما ورد النهي عن فعله وجوبا كما في الحرام، أو استحسانا كما في المكروه «وَلَا مِنْ قِبَلِ الْأَمْرِ الْوَاجِبِ» حتما كما في الواجب، أو استحسانا كما في المندوب «بَلْ هُوَ» أي ذلك المأمور «مُهْمَلٌ» لم يبين في الشرع فعله ولا تركه بل «تُرِكَ الْعَبْدُ يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِاخْتِيَارِهِ» فعلا وتركاً إن شاء فعل، وإن شاء ترك «فَسُمِّيَ مُبَاحًا فَلَا يَخْدُثُ لِلْعَبْدِ الْمُخْتَارِ فِيهِ» أي في ذلك المباح «شَيْئًا» من الفعل أو الترك «مِنْ عِنْدِهِ» أي باختيار نفسه كما يفعله العوام؛ فإنهم يتصرفون في المباح باختيارهم فعلا وتركاً لحصول الرخصة الشرعية، والخواص لم يعملوا بالرخص «بَلْ يَنْتَظِرُ» العبد المختص «الْأَمْرَ» الإلهي «فِيهِ» أي في ذلك المباح «فَإِذَا أُمِرَ» العبد بطريق من الطريق الثابتة لأهل الله تعالى إما بفعله أو تركه «اِمْتَنَلْ» العبد ذلك الأمر «فَتَصِيرُ حَرَكَاتُهُ» جميعها «وَسَكَنَاتُهُ» أيضا جميعها «بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» لا باختياره إذ هو فان عن صفات البشرية «مَا» أي الأمر الذي «فِي الشَّرْعِ» المطهر المحمدي «حُكْمُهُ» وجوبا وندبا وحرمة وكراهة «فَبِالشَّرْعِ» أي فذلك العبد المختص بعمله فعلا وتركاً باتباع الشرع «وَمَا» أي الأمر الذي «لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ فِي الشَّرْعِ» من الوجوب والندب والحرمة والكراهة «فَبِالْأَمْرِ

الْبَاطِنِ» أي فيعمله العبد فعلا و تركا بالأمر الباطن «فَحِينَئِذٍ» أي حين يعمل في الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات باتباع أمر الشرع، وفي المباح باتباع الأمر الباطن «يَصِيرُ» ذلك العبد «مُحَقَّقًا مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ، وَ مَا» أي الأمر الَّذِي «لَيْسَ فِيهِ» حكم شرعي ولا «أَمْرٌ بَاطِنٌ فَهُوَ» أي ذلك الأمر لا يتصور فيه للعرفاء إلا «مُجَرَّدُ الْفِعْلِ» بالقدر و «حَالَةُ التَّسْلِيمِ» للقضاء؛ فإن ساقه القضاء والقدر إلى الفعل يفعل، وإن ساقه إلى الترك يترك من غير اختيار من نفسه.

وَإِنْ كُنْتَ فِي حَالَةٍ حَقِّ الْحَقِّ، وَ هِيَ حَالَةُ الْمُخَوِّ وَالْفَنَاءِ، وَ هِيَ حَالَةُ الْأَبْدَالِ الْمُتَكَسِّرِي الْقُلُوبِ لِأَجْلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ الْمُؤَجِّدِينَ الْعَارِفِينَ أَرْبَابِ الْعُلُومِ وَالْعُقُلِ السَّادَةِ الْأُمَرَاءِ وَالشُّحْنِ خُفَرَاءِ الْخُلُقِ خُلَفَاءِ الرَّحْمَنِ وَ أَخْلَائِهِ وَ أَعْيَانِهِ وَ أَحِبَّائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَاتِّبَاعِ الْأَمْرِ فِيهَا بِمُخَالَفَتِكَ إِيَّاكَ بِالتَّبَرُّيِّ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَ أَنْ لَا يَكُونَ لَكَ إِرَادَةٌ وَ هِمَّةٌ فِي شَيْءٍ أَلَبَّتْهُ دُنْيَا وَ أُخْرَى فَتَكُونَ عَبْدَ الْمَلِكِ لَا عَبْدَ الْمَلِكِ، عَبْدَ الْأَمْرِ لَا عَبْدَ الْهَوَى كَالطِّفْلِ مَعَ الظَّنِّ، وَ الْمَيِّتِ الْعَسِيلِ مَعَ الْغَاسِلِ، وَ الْمَرِيضِ الْمَغْلُوبِ عَلَى جِسْمِهِ مَعَ الطَّيِّبِ فِيمَا سِوَى الْأَمْرِ وَ النَّهْيِ.

«وَ إِنْ كُنْتَ» أيها السالك «فِي حَالَةٍ حَقِّ الْحَقِّ، وَ هِيَ حَالَةُ الْمُخَوِّ وَالْفَنَاءِ» المطلق «وَ هِيَ حَالَةُ الْأَبْدَالِ» الذين فنوا في الله و بقوا به «الْمُتَكَسِّرِي الْقُلُوبِ» أبدا «لِأَجْلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ الْمُؤَجِّدِينَ» الله تعالى في الوجود المطلق «الْعَارِفِينَ» لأسراره تعالى في السماء والأرض بل في المخلوقات بأسرها «أَرْبَابِ الْعُلُومِ» اللدنية التي لانهاية لها «وَالْعُقُلِ» الكمل «السَّادَةِ» جمع سيد و قد مر تحقيقه «الْأُمَرَاءِ» على العباد «وَالشُّحْنِ» للبلاد جمع شحنة بالكسر، الضابط الكافي لأمر البلد «خُفَرَاءِ الْخُلُقِ» بالخاء المعجمة مع الفاء جمع خفير، ففي الصحاح: الخفير المجير، وفي القاموس: خفزه و به و عليه يخفر و يخفر خفرا أجاره و منعه و

آمنه، و في النهاية: خفرت الرجل أجرته و حفظته، و خَفَّرْتُهُ إِذَا كُنْتَ لَهُ خَفِيرًا أَي حَامِيًا وَ كَفِيلًا^(١) انتهى. و كل ذلك معنى ملائم لتعريف هؤلاء السادات «خُلَفَاءِ الرَّحْمَنِ» في خلقه «وَ أَخْلَائِهِ» أَي أَحِبَّائِهِ جَمْعُ خَلِيلٍ «وَ أَعْيَانِهِ» أَي كِبَرَاءِهِ وَ نَظَرَاءِهِ جَمْعُ عَيْنٍ بِمَعْنَى النَّاظِرِ «وَ أَحِبَّائِهِ» اخْتَارَهُمُ لِلْخَلَةِ وَ الْمَحَبَةِ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» مِنَ الْمَلِكِ الْعَلِيمِ الْعَلَامِ عَلَى الدَّوَامِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ «فَاتَّبَاعُ الْأَمْرِ» أَي الْأَمْرِ الْبَاطِنِ «فِيهَا» أَي فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَعْنِي حَالَةَ حَقِّ الْحَقِّ «بِمُخَالَفَتِكَ إِيَّاكَ» أَي نَفْسِكَ وَ هَوَاكَ «بِالتَّبَرِّيِّ» أَي الْخُرُوجِ بِالْكَلِيَّةِ «مِنَ الْحَوْلِ» أَي الْحِيلَةِ «وَ الْقُوَّةِ» أَي الطَّاقَةِ «وَ أَنْ لَا يَكُونَ لَكَ» عَطَفَ تَفْسِيرِي لِمَا قَبْلَهُ «إِرَادَةً وَ هِمَّةً» أَي طَمَعًا وَ قَصْدًا «فِي شَيْءٍ» مِمَّا سَمِيَ بِالْغَيْرِ وَ وَسَمَ بِالسَّوَى «الْبَيْتَةُ دُنْيَا وَ أُخْرَى فَتَكُونُ» حِينَئِذٍ «عَبْدَ الْمَلِكِ» الَّذِي كَانَ الْعَالَمُ مُلْكُهُ يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ «لَا عَبْدَ الْمَلِكِ» هُوَ بَضْمُ الْمِيمِ وَ مَا قَبْلَهُ بِفَتْحِهَا؛ لِأَنَّكَ خَرَجْتَ عَنْهُ «عَبْدَ الْأَمْرِ لَا عَبْدَ الْهَوِيِّ» لِأَنَّكَ تَبَرَّأْتَ مِنْهَا وَ صَرْتَ «كَالْطِفْلِ» الرَضِيعِ الَّذِي لَا شُعُورَ لَهُ وَ لَا اخْتِيَارَ «مَعَ الظُّرِّ» الَّتِي تَرْضَعُهُ «وَ الْمَمِيتِ الْغَسِيلِ» أَي الْمَغْسُولِ الَّذِي لَا حِسَّ لَهُ وَ لَا حَرَكَةَ «مَعَ الْغَاسِلِ، وَ الْمَرِيضِ الْمُغْلُوبِ عَلَى حِسِّهِ» أَي الَّذِي غَلَبَ الْمَرَضُ عَلَى حِسِّهِ فَأَذْهَبَهَا «مَعَ الطَّبِيبِ» فَأَحْوَالَ هَؤُلَاءِ الْأَوَّلِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْآخِرِ مَعْلُومٌ لَكَ فَكُنْ أَنْتَ كَذَلِكَ مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَ قَضَائِهِ وَ قَدْرِهِ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، وَ يَحْكُمُ مَا يَرِيدُ.

ثم اعلم أن اتباعك في الأمر الباطن كذلك في هذه الحالة إنما هو «فِيمَا سِوَى الْأَمْرِ وَ النَّهْيِ» الشرعيين الواردين من جانب الشرع أما فيهما فكن تابعاً لها على ما تقرر في الشريعة المطهرة المحمدية؛ فإن الكمال إنما هو فيها؛ فإن الكل من العرفاء لا يتركون شيئاً من جزئيات الشريعة، و يرون الكمال في الحقيقة في كمال اتباع الشريعة.

(١) انظر النهاية باب الخاء مع الفاء. المشاهدي

الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ عَشَرَ

فِي الصَّبْرِ وَالشَّهْوَةِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ: إِذَا أَلْقَيْتَ عَلَيْكَ شَهْوَةَ
النِّكَاحِ فِي حَالَةِ الْفَقْرِ، وَ عَجَزْتَ عَنْ مُؤْتَتِهِ فَصَبَرْتَ عَنْهُ مُنْتَظِرًا
لِلْفَرَجِ مِنَ الْبَارِي عَزَّ وَ جَلَّ، إِمَّا بِزَوَالِهَا وَ إِفْلَاحِهَا عَنْكَ بِقُدْرَتِهِ
الَّتِي أَلْقَاهَا عَلَيْكَ، وَ أَوْجَدَهَا فِيكَ فَيُعِينِكَ وَ يَصُونَكَ عَنْ حَمْلِ
مُؤْتَتِهَا أَيْضًا، أَوْ بِإِصْصَالِهَا إِلَيْكَ مَوْهَبَةً مُهَيَّئَةً مُكَفِّيًا مِنْ غَيْرِ ثِقَلٍ فِي
الدُّنْيَا وَ لَا تَعَبٍ فِي الْعُقْبَى وَ سَمَّاكَ عَزَّ وَ جَلَّ صَابِرًا شَاكِرًا لِصَبْرِكَ
عَنْهَا وَ رَاضِيًا بِقِسْمِهِ وَ زَادَكَ عِصْمَةً وَ قُوَّةً.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ: إِذَا أَلْقَيْتَ «بصيغة المجهول «عَلَيْكَ
شَهْوَةَ النِّكَاحِ فِي حَالَةِ الْفَقْرِ، وَ عَجَزْتَ عَنْ مُؤْتَتِهِ» أي النكاح «فَصَبَرْتَ عَنْهُ
مُنْتَظِرًا لِلْفَرَجِ» والسعة «مِنْ جَانِبِ الْبَارِي عَزَّ وَ جَلَّ، إِمَّا بِزَوَالِهَا» أي زوال تلك
الشهوة «وَ إِفْلَاحِهَا عَنْكَ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي» بها «أَلْقَاهَا» أي تلك الشهوة «عَلَيْكَ، وَ
أَوْجَدَهَا فِيكَ فَيُعِينِكَ وَ يَصُونَكَ عَنْ حَمْلِ مُؤْتَتِهَا أَيْضًا، أَوْ بِإِصْصَالِهَا» أي شهوة
النكاح «إِلَيْكَ مَوْهَبَةً» منه تعالى «مُهَيَّئَةً» مباركا لاتعب لك فيه و لا عيب
«مُكَفِّيًا» بكفاية الله تعالى «مِنْ غَيْرِ ثِقَلٍ» عليك «فِي الدُّنْيَا وَ لَا تَعَبٍ» و مؤاخذه
«فِي الْعُقْبَى وَ سَمَّاكَ عَزَّ وَ جَلَّ» جواب إذا أَلْقَيْتَ «صَابِرًا شَاكِرًا لِصَبْرِكَ عَنْهَا» أي
عن شهوة النكاح لعدم محلها «وَ رَاضِيًا بِقِسْمِهِ» تعالى «وَ زَادَكَ عِصْمَةً وَ قُوَّةً»
في يقينك على الله تعالى في قلع الشهوة، وإعطاء مؤنتها بكمال قدرته، قوله: عصمة و
قوة منصوبان على التميز.

فَإِنْ كَانَتْ قِسْمًا لَكَ سَاقَهَا إِلَيْكَ مُكَفِّيًا مُهَيَّئَةً فَيُنْقَلِبُ

الصَّبْرُ شُكْرًا وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ الشَّاكِرِينَ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَطَاءِ،
قَالَ جَلَّ وَعَلَا:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٤/٧]
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَسِمًا لَكَ فَالْغِنَاءُ عَنْهَا بِقَلْعِهَا مِنَ الْقَلْبِ إِنْ
شَاءَتِ النَّفْسُ أَوْ أَبَتْ، فَلَا زِمَ الصَّبْرُ وَخَالَفَ الْهُوَى وَعَانِقَ الْأَمْرَ
وَارْضَ بِالْقَضَاءِ وَارْجُ بِذَلِكَ الْفَضْلَ وَالْعَطَاءَ وَقَدْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا:
﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ٣٩/١٠]

«فَإِنْ كَانَتْ» أي تلك الشهوة «قَسِمًا لَكَ» في علمه تعالى «سَاقَهَا إِلَيْكَ
مُكَفِّيًا مُهَنَّا» فَيُنْقَلِبُ الصَّبْرُ «الَّذِي كَانَ لَكَ لِعَدَمِ مَحَلِّ الشَّهْوَةِ «شُكْرًا» بِإِعْطَاءِ
مُؤَنَّتِهَا «وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ الشَّاكِرِينَ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَطَاءِ» مِنْ جِنْسِ الْمَشْكُورِ وَ
غَيْرِهِ حَيْثُ «قَالَ جَلَّ وَعَلَا: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ». [إبراهيم، رقم السورة: ١٤،
رقم الآية: ٧]

«وَإِنْ لَمْ تَكُنْ» تلك الشهوة «قَسِمًا لَكَ فَالْغِنَاءُ عَنْهَا بِقَلْعِهَا مِنَ الْقَلْبِ»
سِوَاءِ «إِنْ شَاءَتِ النَّفْسُ» قَلْعِهَا «أَوْ أَبَتْ» عَنْهُ فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا الْمَذْكُورَ «فَلَا زِمَ
الصَّبْرُ» فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، وَلَا تَضْطَرِبْ لِعَدَمِ الْحَصُولِ عَلَى وَفْقِ إِرَادَتِكَ «وَخَالَفَ
الْهُوَى، وَعَانِقَ الْأَمْرَ» أَي أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى سِوَاءِ كَانَ مُوَافِقًا لِإِرَادَتِكَ أَوْ لَا مُعَانِقَةً
رَاضٍ «وَارْضَ بِالْقَضَاءِ، وَارْجُ بِذَلِكَ» الْمَذْكُورِ مِنَ الصَّبْرِ وَمُخَالَفَةِ الْهُوَى وَمُعَانِقَةِ
الْأَمْرِ وَالرَّضَا بِالْقَضَاءِ «الْفَضْلَ وَالْعَطَاءَ» وَكَيْفَ لَا تَرْجُو، «وَقَدْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا:
إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [الزمر، رقم السورة: ٣٩، رقم الآية: ١٠]
اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا صَابِرِينَ فِيْمَا قَضَيْتَ وَشَاكِرِينَ فِيْمَا اَعْطَيْتَ.

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ عَشَرَ

في النَّهْيِ عَنْ حُبِّ الْمَالِ

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَارْضَاهُ: إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالًا فَاشْتَغَلْتَ بِهِ عَنْ طَاعَتِهِ حَجَبَكَ بِهِ عَنْهُ دُنْيَا وَآخَرَى، وَرُبَّمَا سَلَبَكَ إِيَّاهُ وَغَيْرَكَ وَافْقَرَكَ عَقُوبَةً لَكَ لِاشْتِغَالِكَ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعِمِ، وَإِنْ اشْتَغَلْتَ بِطَاعَتِهِ عَنِ الْمَالِ جَعَلَهُ لَكَ مَوْهِبَةً وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ حَبَّةً وَاحِدَةً كَانَ الْمَالُ خَادِمُكَ وَأَنْتَ خَادِمُ الْمُؤَلَى فَتَعِيشُ فِي الدُّنْيَا مُدَلًّا وَفِي الْعُقْبَى مُكْرَمًا مُطِيبًا فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

«وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَارْضَاهُ: إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالًا فَاشْتَغَلْتَ» أَنْتَ «بِهِ» أَيِ أَعْرَضْتَ أَنْتَ بِذَلِكَ الْمَالِ «عَنْ طَاعَتِهِ» أَيِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ لَمْ تَصْرِفْ ذَلِكَ الْمَالِ فِي الْمَصْرَفِ الَّذِي أُمِرْتَ بِهِ «حَجَبَكَ» اللَّهُ تَعَالَى «بِهِ» أَيِ بِذَلِكَ الْمَالِ «عَنْهُ» أَيِ عَنْ قَرْبِهِ وَقَبُولِهِ «دُنْيَا وَآخَرَى» فَلَا تَعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ بَلْ «وَرُبَّمَا سَلَبَكَ» الْكَافُ مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

«وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ» أَيِ مِنْ قَوْمِهِ «سَبْعِينَ رَجُلًا». [الأعراف، رقم

السورة: ٧، رقم الآية: ١٥٥]

أَيِ سَلَبَ عَنْكَ «إِيَّاهُ» أَيِ ذَلِكَ الْمَالِ الَّذِي أَعْطَاكَ، أَوْ بَدَلَ اشْتِمَالِ نَحْوِ سَلَبِ زَيْدٍ ثَوْبَهُ «وَوَغَيْرَكَ» اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِكَ «وَوَافْقَرَكَ» أَيِ جَعَلَكَ فَقِيرًا «عَقُوبَةً لَكَ لِاشْتِغَالِكَ» وَإِعْرَاضِكَ «بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعِمِ» الْحَقِيقِيِّ «وَإِنْ اشْتَغَلْتَ» أَنْتَ فِي ذَلِكَ الْمَالِ «بِطَاعَتِهِ» أَيِ طَاعَةِ اللَّهِ الْمُنْعِمِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْرُضًا «عَنِ» ذَلِكَ

«الْمَالِ» المعطى لك «جَعَلَهُ» أي ذلك المال «لَكَ مَوْهَبَةً، وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ حَبَّةً وَاحِدَةً، كَانَ الْمَالُ» عطف على جعله بحذف العاطف، وذلك شايع «خَادِمُكَ وَ أَنْتَ خَادِمُ الْمُؤَلَّى» المنعم «فَتَعِيشُ» أنت «فِي الدُّنْيَا مُدَلًّا» من أدلّ يدلّ إدلالا إذا تبخر «وَفِي الْعُقْبَى» عند الله تعالى «مُكْرَمًا مُطَيَّبًا» بالطيب الأبدى «فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ» و حسن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

اللهم ارزقنا الاشتغال بما تحب وترضى، ووفقنا التوجه إلى ما نسلك به سبل الهدى بحرمة نبيك محمد المصطفى صلى الله عليه و على آله و سلم و آله و أصحابه خير الورى.

الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ عَشَرَ

في التَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَوْضَاهُ: لَا تَخْتَرْ جَلْبَ النِّعْمَاءِ وَلَا
دَفْعَ الْبَلَوِ إِذِ النِّعْمَاءُ وَاصِلَةٌ إِلَيْكَ إِنْ كَانَتْ قِسْمَكَ اسْتَجْلَبَتْهَا أَمْ
كَرِهَتْهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَوْضَاهُ: لَا تَخْتَرْ» أيها السالك بنفسك «جَلْبَ
النِّعْمَاءِ» الغير الحاصلة لك «و لَا دَفْعَ الْبَلَوِ» الحالة بك؛ لأنك لا تعلم
الخير والشر في وصول النعماء، و دفع الضراء، و هو عز وجل عالم بعواقب الأمور
كلها كما قال في القرآن المجيد والفرقان الحميد:

وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ
شَرٌّ لَكُمْ. [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ٢١٦]

ففوّض الأمور كلها، و سلّم نفسك مع ما لها و عليها إليه تعالى كما فوض
رسول الله صلى الله تعالى عليه و على آله و أصحابه و سلم.

أسلمت نفسي إليك، و وجهت وجهي إليك، و فوّضت أمري إليك و
ألجأت ظهري إليك رغبةً و رهبة لا ملجأ و لا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك
الذي أنزلت و بنبيك الذي أرسلت.

وكن ملازماً لهذا الدعاء مع الالتزام والتوجه إلى معناه، و لا تظن أن
التفويض يُفوّت حصول النعماء و دفع البلوى «إِذِ النِّعْمَاءُ وَاصِلَةٌ إِلَيْكَ» البتة من
غير تردد «إِنْ كَانَتْ قِسْمَكَ» في علمه الأزلي سواء «اسْتَجْلَبَتْهَا» بالطلب
والسعي «أَمْ كَرِهَتْهَا» وأعرضت عنها.

وَالْبَلَوُ حَالَةٌ بِكَ إِنْ كَانَتْ قِسْمَكَ مَقْضِيَةً عَلَيْكَ سَوَاءٌ

كَرِهَتْهَا أَوْ دَفَعَتْهَا بِالْدُّعَاءِ، أَوْ صَبِرَتْ وَتَجَلَّدَتْ لِرِضَى الْمَوْلَى بَلْ سَلِمَ فِي الْكُلِّ فَيَفْعَلُ الْفِعْلَ فِيكَ فَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فَاشْتَغَلَ بِالشُّكْرِ وَإِنْ كَانَتْ الْبُلُوى فَاشْتَغَلَ بِالتَّصَبُّرِ وَالصَّبْرِ وَالْمُؤَافَقَةِ أَوْ التَّنْعُمِ بِهَا أَوِ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ فِيهَا عَلَى قَدَرٍ مَا تُعْطَى وَتُنْقَلُ فِيهَا وَتُسَيَّرُ فِي الْمَنَازِلِ فِي طَرِيقِ الْمَوْلَى الَّذِي أُمِرَتْ بِطَاعَتِهِ وَالْمُؤَالَاةِ لِتَصِلَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى فَتَقَامُ حِينَئِذٍ مَقَامَ مَنْ تَقَدَّمَ وَ مَضَى مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ قُرْبَ الْعُلَى الْأَعْلَى لِتُعَايِنَ مَقَامَ مَنْ سَبَقَكَ إِلَى الْمَلِكِ وَمِنْهُ دَلَى وَ وَجَدَ عِنْدَهُ كُلَّ طَرِيقَةٍ وَحَزْمًا وَسُرُورًا وَأَمْنًا وَكَرَامَةً وَنِعْمًا.

«وَالْبُلُوى حَالَةٌ بِكَ إِنْ كَانَتْ قِسْمَكَ مَقْضِيَّةً عَلَيْكَ سَوَاءٌ كَرِهَتْهَا أَوْ دَفَعَتْهَا» عنك «بِالدُّعَاءِ» والدَّوَاءِ «أَوْ صَبِرَتْ وَتَجَلَّدَتْ» أي تكلفت في الجلادة في الصبر «لِرِضَى الْمَوْلَى» الَّذِي ابتلاك بها «بَلْ سَلِمَ» نفسك «فِي الْكُلِّ» أي في جميع ما لها وعليها إلى مولاك الَّذِي أوجدك ورباك وأنعمك كثيرا، وابتلاك قليلا «فَيَفْعَلُ» مولاك تعالى وتقدس «الْفِعْلَ» الَّذِي أراد في علمه الأزلي «فِيكَ» أي في حقك، ثم الضمير في قوله قدس سره، «فَإِنْ كَانَتْ» يحتمل أن يعود إلى الواصل المفهوم من فحوى الكلام، أو إلى مفعول يفعل والتأنيث باعتبار الخبر وهو النعماء، أو كانت تامة «وَالنِّعْمَاءُ» فاعله «فَاشْتَغَلَ بِالشُّكْرِ» لمولاك فإن من شكر على النعمة قيدها، و من بطر بها ضيعها «وَ إِنْ كَانَتْ الْبُلُوى فَاشْتَغَلَ بِالتَّصَبُّرِ» أي التكلف بالصبر «وَالصَّبْرُ» وهو حبس النفس على المكروه طبعاً، فإن الصبر على المحن والبليات يستجلب المطالب والمرادات كما قيل: خزائن المنى على قناطر المحن والبلوى «وَالْمُؤَافَقَةُ» لإرادة المولى والرضا بها إن كنت مبتدئاً «أَوْ التَّنْعُمُ بِهَا» إن كنت في مقام المحبة والرضا «أَوِ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ فِيهَا» إن كنت واصلًا مقام الفناء «عَلَى قَدَرٍ مَا تُعْطَى مِنَ الْحَالَاتِ وَتُنْقَلُ فِيهَا» أي تلك الحالات. «وَتُسَيَّرُ فِي الْمَنَازِلِ فِي طَرِيقِ الْمَوْلَى الَّذِي أُمِرَتْ» أنت «بِطَاعَتِهِ وَالْمُؤَالَاةِ»

أي المحبة في شرك و علنك « وَ تَقَطَّعُ بِكَ الْفَيَافِي وَالْمَفَاوِزِ وَالْبَرَاري » كلها بمعنى واحد إلى المقامات أي حال كونك منتهيا إليها « لِتَصِلَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » وهم الروحانيون من الأنبياء عليهم السلام، والأولياء عليهم الرضوان، وحسن أولئك رفيقا « فَتُقَامَ » أنت « حِينَئِذٍ » أي قطعت المراحل كلها بلطف الله وعنايته « مَقَامَ مَنْ تَقَدَّمَ وَ مَضَى مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ » أعني به أي بإقامتك في مقام من تقدم « قُورَبِ الْعُلَى الْأَعْلَى » وإنما تقام مقامهم « لِثَعَايِنَ » بالعين اليقين « مَقَامَ مَنْ سَبَقَكَ » من الأولياء الكامل « إِلَى الْمَلِيكِ » كما قال تعالى في كلامه المجيد:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ. [القمر، رقم السورة: ٥٤، رقم الآية: ٥٥]

« وَ مِنْهُ » أي من المليك « دَنَى » أي قرب إليه كمال القرب « وَ وَجَدَ » من سبقك « عِنْدَهُ » أي عند المليك « كُلَّ طَرِيقَةٍ » أي حسنة و جميلة « وَ حَزِيًّا » أي نصيبا « وَ سُرُورًا وَ أَمْنًا وَ كَرَامَةً وَ نِعْمًا » لا تعد و لا تحصى كما قال جل و علا:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا. [إبراهيم، رقم السورة: ١٤، رقم الآية: ٣٤]

وَ دَعِ الْبَلِيَّةَ تَرْوُورَكَ خَلٍّ عَنْ سَبِيلِهَا، وَلَا تَقِفْ بِدُعَائِكَ فِي وَجْهِهَا وَ لَا تَجْزَعْ مِنْ مَحَبَّتِهَا وَ قُورِبِهَا فَلَيْسَ نَارُهَا أَعْظَمَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَ لَطَى، وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ عَنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَ خَيْرِ مَنْ أَقْلَنَهُ الْأَرْضُ وَ أَظْلَنَهُ السَّمَاءُ مُحَمَّدٌ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِ جُزْيًا مُؤْمِنٌ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي»^(١) فَهَلْ كَانَ نُورُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي أَطْفَأَ لَهَبَ النَّارِ فِي اللَّطَى إِلَّا الَّذِي صَحَبَهُ فِي الدُّنْيَا الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ عَصَى فَلْيُظْفِي هَذَا النُّورَ الَّذِي صَحَبَهُ لَهَبُ الْبَلْوَى وَ لِيُخَمِدَ بَرْدُ صَبْرِكَ وَ مُوَافَقَتِكَ لِلْمَوْلَى وَ هَجَّ مَا حَلَّ بِكَ مِنْ ذَلِكَ وَ مِنْكَ دَنَى.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير من طريق خالد بن الدريك، برقم: ٦٦٨.

«وَدَعَ الْبَلِيَّةَ تَرْوُورَكَ خَلٍّ» أي اترك «عَنْ سَبِيلِهَا» أي طريق مجيئها «وَلَا تَقِفْ» أنت «بِدُعَائِكَ فِي وَجْهِهَا، وَلَا تَجْرُعْ مِنْ مَحِيئَتِهَا وَقُورِهَا فَلَيْسَ نَارُهَا» أي نار تلك البلية «أَعْظَمَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَلَظَى» علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب، و يجوز أن يراد اللهب كما في الكشف يعني أن إيذاء البلية الدنيوية ليس مثل إيذاء النار الجهنمي ولهبها، فإنها نَزَاعَةٌ للشوى والأطراف، وإنها لا تقدر على إيذاء المؤمنين فكيف يؤذيهم هذه البلية الخفيفة بالنسبة إلى تلك النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة، وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ «قَدْ ثَبَتَ فِي الْخَبَرِ الْمُتَوَوِّيِّ عَنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ» أي الخلق كلهم «وَوَ خَيْرٍ مَنْ أَقَلَّتْهُ» و حملته «الْأَرْضُ وَأَظْلَمَتْهُ السَّمَاءُ» هذا تخصيص بعد التعميم، لأن البرية شامل لكل مخلوق تحت السماء كان أو فوقه، و ما أحسن قول من قال في نعته.

سلام على خير الأنام و سيد	حبيب إله العالمين محمدٍ
بشير نذير هاشمي مكرم	عطوف رؤوف من يسمى بأحد
هدانا به الرحمن من ظلمة الردى	ولولاه ما كنا إلى الحق نهتدي
نسيم الصبا إن زرت أرض مدينة	فَبَلِّغْ تَحِيَّاتِي إِلَى الْأَرْضِ وَاسْجُدِي
و قَبْلُ مَقَامًا حَلًّا فِيهِ نَبِينَا	و سيدنا و خير قبر و مرقد
سلام على التراب الذي ضم جسمه	فيانعم مشهود و يا طيب مشهد

«مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفِي الْمُخْتَارِ» صلى الله عليه رب السماء «أَنَّهُ» عليه الصلاة والسلام «قَالَ: إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِ جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطَفَأَ نُورَكَ لَهْبِي» والاستفهام في قوله «فَهَلْ كَانَ» إنكاري أي ما كان «نُورُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي أَطَفَأَ لَهَبَ النَّارِ فِي اللَّظَى إِلَّا» النور «الَّذِي صَحَبَهُ فِي الدُّنْيَا الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ» أي بذلك النور «مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ عَصَى فَلْيُطْفِئْ هَذَا النُّورَ الَّذِي صَحَبَهُ» في الدنيا «لَهَبُ الْبُلُو» التي حلت به في الدنيا «وَلْيُخَمِدْ بَرْدُ صَبْرِكَ» على البلوى «وَمُؤَافَقَتِكَ لِلْمَوْلَى، وَ هَجَّ مَا حَلَّ بِكَ مِنْ ذَلِكَ الْبُلُو» وَ مِنْكَ دَلِيَّ «أي قرب، في الصحاح: الوهج بالتحريك حرُّ النار، والمراد به هنا إيذاء البلوى يعني ليخمد برد صبرك و موافقتك

حرارة نار البلوى اللاحقة بك، والقريبة منك.

فَالْبَلِيَّةُ لَمْ تَأْتِكَ لِتُهْلِكَكَ وَ لِكِنَّهَا تَأْتِيكَ لِتُخْتَبِرَكَ وَ تُحَقِّقَ
صِحَّةَ إِيمَانِكَ وَ تُؤَيِّدَ قَاعِدَةَ يَقِينِكَ وَ يُبَيِّنَ بَاطِنَهَا مِنْ مَوْلَاكَ
بِمُبَاهَاتِهِ بِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْتَبْلُوْكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهِدِيْنَ مِنْكُمْ
وَالصَّابِرِيْنَ وَ تَبْلُوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد، رقم السورة: ٤٧، رقم
الآية: ٣١]

«فَالْبَلِيَّةُ لَمْ تَأْتِكَ» من مولاك «لِتُهْلِكَكَ وَ لِكِنَّهَا تَأْتِيكَ لِتُخْتَبِرَكَ، وَ تُحَقِّقَ
صِحَّةَ إِيمَانِكَ وَ تُؤَيِّدَ قَاعِدَةَ يَقِينِكَ وَ يُبَيِّنَ بَاطِنَهَا» أي باطن تلك البلية و هو
كونها من الله، و أما ظاهرها فهو أسبابها الظاهرية التي جعلها الله تعالى أسبابا عاديا
«مِنْ مَوْلَاكَ بِمُبَاهَاتِهِ» أي افتخار المولى «بِكَ» على ملائكته بأن يقول: انظروا إلى
عبيدي كيف يصبر على بلائي، و يرضى بقضائي، و لا يطلب سوائي قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: «وَلْتَبْلُوْكُمْ» أي لنعاملكم معاملة المختبر بالأمر بالجهاد و سائر التكاليف
الشاقة «حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْنَ وَ تَبْلُوْا أَخْبَارَكُمْ» عن إيمانكم أنه
عن صدق القلب أو عن اللسان فقط، أو تختبر أعمالكم و أحوالكم في سائر
حالاتكم بموَاطاة الظاهر و الباطن أم بالظاهر فقط، و هذه سنة الله تعالى في عباده مع
علم بحقائق الأمور و وقايعها أن يعامل بعبيده و إمائه معاملة المختبر ليظهر على
محك الصدق عيارهم.

فَإِذَا ثَبَتَ مَعَ الْحَقِّ إِيمَانُكَ وَ وَافَقْتَهُ فِي فِعْلِهِ بِيَقِينِكَ كُلُّ ذَلِكَ
بِتَوْفِيقٍ مِنْهُ وَ مَنَّةٍ فَكُنْ حَيَّيْذًا أَبَدًا صَابِرًا مُوَافِقًا مُسْلِمًا لَا تُخْذِلُ فِيكَ
وَلَا فِي غَيْرِكَ حَادِثَةً مَا خَرَجَ مِنَ الْأَمْرِ وَ النَّهْيِ فَإِذَا كَانَتْ أَمْرُهُ عَزَّ وَ
جَلَّ فَتَسَامَعْ وَ تَسَارِعْ وَ تَجَلَّدْ وَ تَهَآوَّ وَ تَحَرَّكَ وَ لَا تَسْكُنْ وَ لَا تُسَلِّمْ
لِلْقَدْرِ وَ الْفِعْلِ بَلْ إِبْذِلْ طَوْقَكَ وَ مَجْهُودَكَ لِتُؤَدِيَ الْأَمْرَ فَإِنْ عَجَزْتَ
فَذُنُوكَ وَ الْإِلْتِجَاءَ إِلَى مَوْلَاكَ فَالْتَجِئْ إِلَيْهِ وَ تَضَرَّعْ وَ اعْتَذِرْ وَ قِشْ

عَنْ سَبَبِ عَجْزِكَ عَنْ أَدَاءِ أَمْرِهِ وَصَدِّكَ عَنِ التَّشْرِفِ بِطَاعَتِهِ لَعَلَّ
ذَلِكَ بِشُؤْمِ دَوَاعِيكَ وَ سُوءِ أَدَبِكَ فِي طَاعَتِهِ وَ رَعُوتِكَ وَ اتِّكَالِكَ
عَلَى حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ. وَ اعْجَابِكَ بِعِلْمِكَ وَ شَرِكِكَ إِهْأَهُ بِنَفْسِكَ وَ
بِخَلْقِهِ فَصَدَّكَ عَنْ بَابِهِ وَ عَزَلَكَ عَنْ طَاعَتِهِ وَ خَدَمْتِهِ وَقَطَعَ عَنْكَ
مَدَدَ تَوْفِيقِهِ وَوَلَّى عَنْكَ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ وَ مَقَّتَكَ وَ قَلَكَ وَ شَغَلَكَ
بِإِلَاحِكَ دُنْيَاكَ وَ هَوَاكَ وَ إِرَادَتِكَ وَ مُتَاكَ.

«فَإِذَا ثَبَّتَ مَعَ الْحَقِّ إِيمَانُكَ وَ وَافَقْتَهُ» أي الحق «فِي فِعْلِهِ» إعطاءً و منعا
«بِيقِينِكَ» معه تعالى «كُلُّ ذَلِكَ» المذكور من الصبر على البلية، والإيمان به تعالى،
والموافقة له في فعله «بِتَوْفِيقٍ مِنْهُ» سبحانه لك و فضل «وَمِنْهُ» عليك «فَكُنْ
حِينَئِذٍ أَبَدًا صَابِرًا» على ما أصابك «مُؤَافِقًا» له تعالى في جميع أفعاله «مُسَلِّمًا»
نفسه إليه تعالى «لَا تُحَدِّثُ» أنت لا «فِيكَ وَ لَا فِي غَيْرِكَ حَادِثَةٌ مَا» أي أمراً ما
«خَرَجَ مِنَ الْأَمْرِ وَ النَّهْيِ» يعني أن الممنوع منك هو إحداث ما لم يثبت بالأمر
والنهي، أما إذا ثبت بهما فإحداثه فيك و في غيرك بمقتضاهما واجب، و إليه أشار
قدس سره بقوله: «فَإِذَا كَانَتْ» الحادثة الحالة بك «أَمْرُهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَتَسَامَعْ» أي
بادر إلى سماعه بقبوله «وَ تَسَارَعْ» في حصوله «وَ تَجَلَّدْ» أي تكلف الجلادة «وَ
تُقَاوْ» أي زد في القوة لفعله من تقاوى يتقاوى، في النهاية: يتقاوون المتاع بينهم
حتى يبلغوا غاية ثمنها أي يزيدون في ثمنها. و في القاموس: التقاوى تزايد الشيء «وَ
تَحَوُّزُكَ» لفعله حركة سريعة «وَ لَا تَسْكُنْ» عنه سكونا ما «وَ لَا تُسَلِّمْ» ذلك الأمر
«لِلْقَدْرِ» بأن تتوقف في إتيانه منتظرا إلى ما يظهر من القدر كما تسلم المباح إلى
القدر «وَ الْفِعْلُ» أي و لا تسلم ذلك الأمر إلى فعل الله تعالى بأن يظهر ما يريد «بَلْ
إِبْذُلْ طَوْقَكَ» أي طاقتك «وَ مَجْهُودَكَ لِتُوَدِّي الْأَمْرَ؛ فَإِنْ عَجَزْتَ» عن إتيان أمره
بعذر شرعي أو آفة سماوي «فَدُؤُنْكَ» اسم فعل بمعنى خذ التضرع «وَ الْإِلْتِجَاءُ» إلى
مولاكَ عَزَّ وَ جَلَّ «بأن تقول: يا رب إنك تعلم أني عبد ضعيف حلَّ بي ما يمنعني عن

إتيان ما أمرتني به فاغفر لي بفضلك وكرمك «فَالْتَجَىٰ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ وَتَضَرَّعَ وَاعْتَذَرَ وَفَتَّشَ عَنِ سَبَبِ عَجْزِكَ عَنِ آدَاءِ أَمْرِهِ» عز وجل و «صَدِّكَ» و منعك «عَنِ التَّشْرِفِ بِطَاعَتِهِ» و عبادته التي خلقت لها كما قال تعالى:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. [الذِّرِّيَّةُ، رقم السورة: ٥١، رقم

الآية: ٥٦]

«لَعَلَّ ذَلِكَ» الحرمان عن الإتيان «بِشُؤْمٍ دَوَاعِيكَ» الناشئة من نفسك و هواك «وَسُوءِ أَدْبِكَ فِي طَاعَتِهِ تَعَالَىٰ وَرَعْوَتِكَ» أي حماقتك و تكاسلك. في الصحاح: الرعونة الحمق والاسترخاء «وَاتِّكَالِكَ» أي اعتمادك «عَلَىٰ حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ» في أفعالك «وَإِعْجَابِكَ بِعِلْمِكَ وَشُرْكِكَ إِيَّاهُ» أي معه تعالى «بِنَفْسِكَ وَ بِخَلْقِهِ» تعالى «فَصَدَّكَ» ربك «عَنِ بَابِهِ، وَ عَزَلَكَ عَنِ طَاعَتِهِ وَ خِدْمَتِهِ» التي هي أصل السعادات و منبع الكرامات «وَقَطَعَ عَنْكَ مَدَدَ» أي زيادة «تَوْفِيقِهِ» لك في مرضياته «وَوَلَّىٰ عَنْكَ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ وَ مَقْتَكَ» و غضبك «وَقَالَكَ» و تركك «وَشَغَلَكَ» عن طاعته «بِبَلَائِكَ» و ذلك البلاء «دُنْيَاكَ وَ هَوَاكَ وَ إِرَادَتَكَ وَ مُنَاكَ».

أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ شُغْلٌ عَنْ مَوْلَاكَ وَ سَقَطُكَ عَنْ عَيْنِ الَّذِي خَلَقَكَ وَ رَبَّكَ وَ حَوْلَكَ وَ أَعْطَاكَ وَ حَيَّاكَ. إِحْذَرُ لَا يُلْهِيكَ عَنْ مَوْلَاكَ غَيْرُ مَوْلَاكَ وَ كُلُّ مَنْ سَوَىٰ مَوْلَاكَ غَيْرُهُ فَلَا تُؤْثِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَإِنَّهُ خَلَقَكَ لَهُ فَلَا تَظْلِمُ نَفْسَكَ فَتَشْتَغِلَ بِغَيْرِهِ فَيَذْخَلَكَ نَارُهُ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ فَتَنْدِمَ فَلَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ، وَ تَعْتَذِرَ فَلَا تُعْذَرُ، وَ تَسْتَغِيثَ فَلَا تُغَاثُ، وَ تَسْتَغِيثُ فَلَا تُغْتَبُ، وَ تَسْتَزْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا لَتَسْتَدْرِكَ وَ تُصْلِحَ فَلَا تُزْجَعُ.

«أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ» أي الدنيا والإرادة والهوى والمنى «شُغْلٌ» إغراض «عَنْ مَوْلَاكَ وَ سَقَطُكَ» أي انحطاطك، وفي بعض النسخ: مشغلك و مسقطك، و

أما النسخة الأولى ففيه مبالغة حيث جُعل نفس الشغل والسقط كما في قوله: إنما هي إقبال وإدبار «عَنْ عَيْنِ الَّذِي خَلَقَكَ» من العدم بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً «وَرَبَّكَ» من المهد إلى اللحد «وَوَحْلَكَ» تفسيره «وَأَعْطَاكَ» سلامة الأعضاء و حسن الهيئة والصحة والعزة والجاه في خلقه «وَوَحْيَاكَ» يحتمل أن يكون بالوحدة و أن يكون بالياء التحتانية لكن الأول مخفف، والثاني مشدد، و قال في الصحاح: حباه حَبْوَةً أي أعطاه، والحباء: العطاء. و قال حباك الله أي ملكك، وفي القاموس: حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولا من، و حَيَّاكَ الله أبقاك و ملكك.

«إِحْذَرْ» أيها العاقل «لَا يُلْهِيكَ عَنْ مَوْلَاكَ غَيْرُ مَوْلَاكَ، وَ» لا تظن أن غيره إنما يصدق على شيء دون شيء بل «كُلُّ مَنْ سِوَى مَوْلَاكَ» فهو «غَيْرُهُ، فَلَا تُؤْثِرُ» و لا تحتز «عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَإِنَّهُ» أي مولاك «خَلَقَكَ» من العدم «لَهُ» أي لعبادته و معرفته «فَلَا تَظْلِمُ نَفْسَكَ» بذلك الإيثارالسوء، و إنما كان ظلماً؛ لأنَّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه و هنا كذلك؛ لأنك وضعت غير الخالق في موضع الخالق بالاختيار «فَتَشْتَغِلْ بِغَيْرِهِ» معرضاً عن أمره «فَيَذْخَلَكَ نَارُهُ الَّتِي وَقُودُهَا» و هو ما ترفع به النار يعني الحطب «النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» يعني أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تُنْقَدُ بالناس والحجارة، وهي حجارة الكبريت و هي أَشَدُّ تَوْقُودًا، و أَبْطَأُ حُمُودًا وَ أَثْنُ رَائِحَةً، وَأَلْصَقُ بِالْبَدَنِ «فَتَنْدِمُ» على نفسك حين تحقق دخولك في النار المذكور «فَلَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ» إذ ليس ذلك المحلُّ موضع نفع الندم كما قال تعالى: **يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَلَى لَهُ الذِّكْرِ**. [الفجر، رقم السورة: ٨٩، رقم الآية: ٢٣]

«وَ تَعْتَذِرْ فَلَا تُعْذِرْ» أي فلا يقبلُ عذرك إذ ليس ذلك أوانه «وَ تَسْتَغِيثُ» من ذلك العذاب الهون «فَلَا تُغَاثُ، وَ تَسْتَغِيثُ» تعباً شديداً «فَلَا تُغْتَبُ» أي فلا يُرفع عنك تعبك «وَ تَسْتَرْجِعْ إِلَى الدُّنْيَا لِتَسْتَدْرِكَ وَ تُصْلِحَ» ما أفسدته «فَلَا تُرْجِعْ» فُتْشِيَهُ حَالُكَ بحال الكفار الذين أدخلهم الله تعالى في النار، و قد أخبر عن حالهم بقوله:

وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَتْ نَارُ دُورِ رَبِّنَا وَلَا تُكْذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَأَهُمْ مِمَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ط وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. [الأنعام، رقم السورة: ٦، رقم الآية: ٢٦-٢٨]

إِزْحَمْ نَفْسَكَ، وَ أَشْفِقْ عَلَيْهَا، وَاسْتَعْمِلِ الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ
الَّتِي أُعْطِيتَهَا فِي طَاعَةِ مَوْلَاكَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ.
وَاسْتَضِئْ بِأَنْوَارِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْأَقْدَارِ وَتَمَسَّكْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَسِرْ
بِهِمَا فِي طَرِيقِ مَوْلَاكَ، وَ سَلِّمْ مَا سِوَاهُمَا إِلَى الَّذِي خَلَقَكَ وَ أَنْشَأَكَ
فَلَا تَكْفُرْ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ وَ رَبَّاكَ، ثُمَّ خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ
رَجُلًا سَوَاكَ وَلَا تُرْذِ عَيْنَ أَمْرِهِ وَلَا تَكْرَهُ عَيْنَ نَهْيِهِ. اِفْتَتِحْ مِنَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَى بِهَذَا الْمُرَادِ، وَاكْرَهُ فِيهِمَا هَذَا الْمَكْرُوهَ، فَكُلُّ مَا يُرَادُ
تَبِعْ لِهَذَا الْمُرَادِ، وَكُل مَاتَبِعْ لِهَذَا الْمَكْرُوهِ، إِذَا كُنْتَ مَعَ أَمْرِهِ كَانَتْ
الْأَكْوَانُ فِي أَمْرِكَ وَإِذَا كَرِهْتَ نَهْيَهُ فَكَرِهْتَ مِنْكَ الْمُكَارَهَ أَيْنَ كُنْتَ وَ
حَلَلْتَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ أَطْعِنِي أَجْعَلْكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ
فَيَكُونُ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: يَا دُنْيَا مَنْ خَدَّ مَنِي فَأَخْدِمْنِي وَمَنْ خَدَمَكَ
فَاتَّعِبْنِي.

«إِزْحَمْ نَفْسَكَ، وَ أَشْفِقْ عَلَيْهَا وَاسْتَعْمِلِ الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ» كلاهما بمعنى
«الَّتِي أُعْطِيتَهَا» بصيغة المجهول «فِي طَاعَةِ مَوْلَاكَ مِنَ الْعَقْلِ» السليم الذي هو
حجة من حجج الله تعالى، وهو مدار التكليف «وَالْإِيمَانِ» بالله تعالى، وملائكته،
وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره عن الله تعالى، والبعث بعد الموت
«وَالْمَعْرِفَةِ» بأنه خالقك ورباك وأنعم عليك نعمًا لا تعد ولا تحصى «وَالْعِلْمِ»
بأنك محتاج في جميع أمورك حتى التنعل والترجل إليه، وبأنه تعالى قادر على إنجاح
كل ما تريد فإذا استعملت هذه الأدوات على مقتضياتها علمت وعرفت أن ليس

لك عذر مع هذه الأدلة الظاهرة والحجج الباهرة في ترك طاعته فلا تغفل عن استعمال هذه الأدوات.

«وَاسْتَضِيءَ بِأَنْوَارِهَا» أي بمقتضياتها «فِي ظُلُمَاتِ الْأَقْدَارِ» أي التقديرات الأزلية التي قدرت في حقك في علمه الأزلي، ولا يبلغ فيها عقلك ولا تدرك.

كنها بعلمك و معرفتك «وَمَمَسَّكَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَ سِرَّ بِهِمَا» على مقتضاهما «فِي طَرِيقِ مَوْلَاكَ» و هو أداء حق العبودية والألوهية «وَوَسَّلِمَ مَا سِوَاهُمَا» و هو الإباحة «إِلَى» مولاك «الَّذِي خَلَقَكَ» من العدم «وَأَنْشَأَكَ فَلَا تَكْفُرُ» في الشريعة والطريقة والحقيقة «بِالَّذِي خَلَقَكَ» أي خلق أباك آدم عليه السلام الَّذِي هو أصلك «مِنْ تُرَابٍ، وَ رَبَّكَ» أي ربِّي أباك بتسوية خلقه و نفخ الروح فيه، وَ زَوَّجَهُ بِأَمِّكَ حَوَاءَ عَلَيْهَا السَّلام «ثُمَّ خَلَقَكَ» نفسك «مِنْ نُطْفَةٍ» خرجت من صلب أبيك، واستقرت في رحم أمك إلى قدر معلوم «ثُمَّ رَجُلًا» ذكرًا بالغًا مبلغ الرجال «سَوَاكَ» جعلك معتدل الخلق والقامة «وَلَا تُرِدُّ» أنت أيها المسكين «غَيْرَ أَمْرِهِ» أي أمر مولاك «وَلَا تَكْرَهُ» أنت بنفسك «غَيْرَ نَهْيِهِ» أي منهيه «إِفْتِنَعَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى بِهَذَا الْمُرَادِ» أي إرادة أمره تعالى «وَأَكْرَهُ فِيهِمَا» أي الدنيا والآخرة «هَذَا الْمَكْرُوهَ» أي كراهة ما نهى الله عز وجل عنه «فَكُلُّ مَا» أي مراد دينيا كان أو دنيويا «يُرَادُ تَبِعَ لِهَذَا الْمُرَادِ» و هو إرادة أمره تعالى «وَكُلُّ مَا» أي مكروه كذلك يكره «تَبِعَ لِهَذَا الْمَكْرُوهِ» و هو كراهة ما نهى الله تعالى عنه، و عليك هذا المكروه ففيه سر عظيم كما أشار إليه قدس سره بقوله: «إِذَا كُنْتَ» أيها المرید «مَعَ أَمْرِهِ» أي أمر مولاك «كَانَتْ الْأَكْوَانُ» أي المخلوقات كلها «فِي أَمْرِكَ» و إطاعتك «وَ إِذَا كَرِهْتَ نَهْيَهُ فَرَثَ مِنْكَ الْمَكَارَةُ» الدينية و الدنياوية «أَيْنَ كُنْتَ» أي وجدت «وَ حَلَلْتَ» أي نزلت «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ» المنزلة على بعض أنبيائه عليهم الصلوة والسَّلام:

«يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ أَطِيعْنِي أَجْعَلْكَ» بالسكون جوابا للأمر «تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ» هو من كان التامة أي أحدث

فيحدث، وهذا مجاز عن سرعة التكوين، ولا قول ثم فإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه؛ فإنما يتكوّن ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقّف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمثل ولا يكون منه الإباء.

و ورد في الفتوحات في الخبر في أهل الجنة أن الملك يأتي إليهم [فيقول لهم] بعد أن يستأذن في الدخول عليهم فإذا دخل ناوهم كتابا من عند الله تعالى بعد أن يُسلم عليهم من الله تعالى فإذا في الكتاب: من الحي القيوم [الذي لا يموت] إلى الحي القيوم، [الذي لا يموت] أما بعد! فإني أقول للشيء كن فيكون، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون، فقال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم فلا يقول أحد من أهل الجنة لشيء كن إلا ويكون،^(١) انتهى كلامه.

«وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ» في بعض كتبه المنزلة: «يَا دُنْيَا مَنْ خَدَمَنِي فَأَخْدِمِيهِ وَمَنْ خَدَمَكَ» بالطلب لك والسعي إليك «فَاتَّعَيْتِهِ» أي ولا تحصيلي له بالسهولة. قال الشيخ المحقق العارف الشيخ أبو مدين شعيب^(٢) المغربي قدس سره: أبناء الدنيا يخدمهم العبيد والإماء، وأبناء الآخرة يخدمهم الأحرار والكرماء.

فَإِذَا جَاءَ نَهْيُهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكُنْ كَأَنَّكَ مُسْتَرْخِي الْمَفَاصِلِ،
مُسْكِنُ الْحَوَاسِ، مُتَجَرِّعُ الْجَنَانِ، مُضَيِّقُ الدَّرَجِ، مُتَمَاوِثُ الْجَسَدِ،
زَائِلُ الْهَوَى، مُنْظَمِسُ الرُّسُومِ، مُتَّحِي الرُّسُومِ، مُنْسِي الْأَثَرِ، مُظْلَمُ
الْفَنَاءِ، مُنْهَدِمُ الْبِنَاءِ، خَاوِي الْبَيْتِ، سَاقِطُ الْعَرْشِ لَا حِسَّ وَلَا أَثَرَ.

«فَإِذَا جَاءَ نَهْيُهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكُنْ كَأَنَّكَ مُسْتَرْخِي الْمَفَاصِلِ، مُسْكِنُ الْحَوَاسِ، مُتَجَرِّعُ الْجَنَانِ، مُضَيِّقُ الدَّرَجِ» أي الصدر «مُتَمَاوِثُ الْجَسَدِ» أي منقطعه، وهذه الصيغ الخمس المذكورة كلها على أوزان مفاعيل، «زَائِلُ الْهَوَى، مُنْظَمِسُ

(١) انظر الفتوحات باب الواحد والستين وثلاث مائة.

(٢) هو الشيخ شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني من مشاهير الصوفية، أصله من اشبيلية بالأندلس ولد في اشبيلية سنة ٤٩٢ هـ الموافق ١٠٩٨ م، وتوفي سنة ٥٧٣ هـ الموافق لسنة ١١٧٧ م. المشاهدي

الرُّسُومُ» العادي والطبعي أي ماحيها «مُتَّحَى الوُسُومُ» اسم فاعل من امتحى لغة قليلة في انمحى صرح به في القاموس والصحاح، والوسوم جمع وسم بمعنى العلامة، أي ماحي العلامات العادية والطبيعية «مُنْسِي الأثر» أي أثر المنهي فلا يخطر ذلك المنهي ببالك «مُظْلِمُ الفَنَاءِ» بكسر الفاء الميدان، والمراد أن ميدان صدرك أيها السالك ينبغي أن يكون مظلمًا بالنسبة إلى ذلك المنهي فلا تجده في ساحة قلبك و ميدان خاطرك «مُنْهَدِمُ البِنَاءِ» حتى لا يسكن ذلك المنهي فيه «خاوي البَيْتِ» أي خالي البيت عن ذلك المنهي «سَاقِطُ العَرْشِ» أي السقف «لَا حِسَّ» لك «وَلَا أَثَرَ» في إتيان ذلك المنهي.

فَلْيَكُنْ سَمْعَكَ كَأَنَّهُ أَصَمُّ وَعَلَى ذَلِكَ مَخْلُوقٌ، وَبَصْرَكَ كَأَنَّهُ مُعَصَّبٌ مَرْمُودٌ، وَأَكْمَهُ مَظْمُوشٌ، وَشَفَتَاكَ كَأَنَّ بِهِمَا قُرْحَةً وَثُبُورًا، وَلِسَانَكَ كَأَنَّ بِهِ خَرَسًا وَكُلُوبًا، وَأَسْنَانَكَ كَأَنَّ بِهَا صَرَبَاتًا وَأَلَامًا وَثُبُورًا، وَيَدَاكَ كَأَنَّ بِهِمَا شَلَلًا وَعَنِ الْبَطْشِ قُصُورًا، وَرِجْلَاكَ كَأَنَّ بِهِمَا رَعْدَةً وَإِرْتِعَاشًا وَجُرُوحًا، وَفَرْجَكَ كَأَنَّ بِهِ عُنَّةٌ وَبَغِيرُ ذَلِكَ الشَّانِ مَشْغُولٌ، وَبَطْنَكَ كَأَنَّ بِهِ امْتِلَاءٌ وَإِرْتِوَاءٌ، وَمِنْ الطَّعَامِ غَيْ، وَعَقْلَكَ كَأَنَّكَ مَجْنُونٌ وَمُخْبَلٌ، وَجَسَدَكَ كَأَنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَى الْقَبْرِ مَحْمُولٌ فَالْتَّسَامُعُ وَالتَّسَارُعُ فِي الْأَمْرِ وَالتَّقَاعُدُ وَالتَّجَاعُدُ وَالتَّقَاصُرُ فِي النَّهْيِ وَالتَّهَامُوتُ وَالتَّعَادُمُ وَالتَّقَانِي فِي الْقَدْرِ فَاشْرَبْ هَذِهِ الشَّرْبَةَ وَتَدَاوِ بِهِذِهِ الدَّوَاءَ وَتَغْدِ بِهَذَا الْغِذَاءَ تَنْجِعَ وَتُشْفَ وَتُعَافَ مِنْ أَمْرَاضِ الدُّنُوبِ وَعِلَلِ الْأَهْوَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثم بيّن قدس سره عدم الحس والأثر بقوله «فَلْيَكُنْ سَمْعَكَ كَأَنَّهُ أَصَمُّ» أي ما يسمع شيئًا بل «وَعَلَى ذَلِكَ» الأصمية «مَخْلُوقٌ، وَبَصْرَكَ كَأَنَّهُ مُعَصَّبٌ مَرْمُودٌ» أي مربوط بالعصابة لأجل الرمد فلا تفتح إلى ذلك المنهي ولا تبصره أصلاً «وَأَكْمَهُ» الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى «مَظْمُوشٌ» ذاهب البصر «وَشَفَتَاكَ كَأَنَّ بِهِمَا قُرْحَةً»

أي جراحة تمنعها عن الافتتاح بذلك المنهي «وَتُبُورًا» أي هلاكًا وحسباً^(١) «وَلِسَانُكَ كَأَنَّ بِهِ خَرْسًا» لا يقدر على التكلم بذلك المنهي «وَكُلُّوْا» قال في الصحاح: الكل الثقل والجمع كلول. «وَأَسْنَانُكَ كَأَنَّ بِهَا ضَرْبَانًا» في الصحاح ضرب الجرح ضربانًا حجر عليه، أي منعه من التصرف «وَالْأَمَّا وَتُبُورًا، وَيَذَاكَ كَأَنَّ بِهِمَا سَلًّا» هو فساد في البدن بذهاب قوته وحسه «وَعَنِ الْبَطْشِ» أي الأخذ «قُصُورًا، وَرِجَالًا كَأَنَّ بِهِمَا رَعْدَةً» الرعدة اسم من الارتعاد وهو الاضطراب «وَارْتِعَاشًا» بمعنى الارتعاد «وَجُرُوحًا» جمع جرح بالضم اسم من الجرح بالفتح، قال في الصحاح: جَرَحَهُ جَرَحًا والاسم الجرح بالضم والجمع جروح، ولم يقولوا إجراح إلا في الشعر «وَفَزْجُكَ كَأَنَّ بِهِ عُتَّةٌ» أي امتناعًا من موافقة النساء، في الصحاح: عُزِّنَ الرجل عن امرأته إذا حكم القاضي بذلك عليه، أو مُنِعَ عنها بالسحر والاسم منه العُتَّةُ، وكذا في القاموس أيضا «وَبَغَيْرِ ذَلِكَ الشَّانِ مَشْغُولٌ» المراد به غير فعله الَّذِي اختص به أي عن فعله فلا يصدر عنه ذلك «وَبَطْنُكَ كَأَنَّ بِهِ اِمْتِلَاءٌ وَارْتِوَاءٌ، وَ مِنَ الطَّعَامِ غَيٌّ، وَ عَقْلُكَ كَأَنَّكَ مَجْنُونٌ» لا شعورك «وَمَجْنُونٌ» الخبل بالسكون الفساد «وَجَسَدُكَ كَأَنَّكَ مَيِّتٌ، وَإِلَى الْقَبْرِ مَحْمُولٌ» وهذه الأمور المذكورة كلها كناية عن عدم إتيان المنهي بجميع الوجوه.

«فَالْتَسَامُ وَالْتِسَارُ فِي الْأَمْرِ، وَالتَّقَاعْدُ وَالتَّجَاعُدُ» أي التحبس «وَالْتَقَاصُ فِي النَّهْيِ وَالتَّمَاوُثُ» أي الانقطاع «وَالْتَعَادُمُ وَالتَّفَانِي» أي جعلك نفسك مَيِّتًا ومعدوما وفانيا «فِي الْقَدَرِ فَاشْرَبْ» أيها السالك «هَذِهِ الشَّرْبَةُ» التي بيناك «وَتَدَاوِ» لمرض قلبك «بِهَذِهِ الدَّوَاءِ» التي فسرناك «وَتَغَدَّ» لتقوية روحك «بِهَذَا الْغِذَاءِ» التي ذكرناك «تَنْجَعُ» هو مع ما بعده بالحزم جوابا للأمر أي يهنا أكلك من نجع الطعام ينجع نجوعا هنا أكله «وَتُشْفَى وَتُعَافَى مِنْ أَمْرَاضِ الدُّنُوبِ» الظاهرة والباطنة «وَعَلِلِ الْأَهْوَاءِ» المروية المهلكة، كل ذلك «يَا ذُنَّ اللَّهِ» الَّذِي خَلَقَكَ وَرَبَّكَ ثُمَّ سَوَّاكَ رجلا «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» تعالى.

(١) ابله شدن، يعني لفظ ثبور مصدر است. من الشارح

اللهم اذهب عن ساحة قلوبنا أكدار الغفلة، و أخرج نفوسنا عن أشباك
الغِزّة، واجعل جوارحنا مطيعةً لأمرك، و قلوبنا مملوءةً بذكرك، و أرواحنا مشحونةً
بشكرك، واجعلنا من الراضين بقضائك، والصابرين على بلائك، والشاكرين على
نعمائك، و أدخلنا في زمرة خدما أوليائك الذين سبقت لهم منك الحسنی، والذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا في الدنيا ولا في العقبی.

الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ عَشَرَ

فِي الْمَنْعِ لِصَاحِبِ الْهُوَى عَنْ إِدْعَاءِ حَالَةِ الْقَوْمِ الْكَامِلِينَ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ عَنَّا: لَا تَدَّعِ حَالَةَ الْقَوْمِ يَا صَاحِبَ الْهُوَى؛ أَنْتَ تَعْبُدُ الْهُوَى وَ هُمْ عِبِيدُ الْمُؤَلَى، أَنْتَ رَغْبَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَ رَغْبَةُ الْقَوْمِ فِي الْعُقْبَى، أَنْتَ تَرَى الدُّنْيَا وَ هُمْ يَرُونَ رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَنْتَ أُتْسِكُ بِالْخَلْقِ وَ أُتْسِ الْقَوْمُ بِالْحَقِّ، أَنْتَ قَلْبُكَ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَ قُلُوبُ الْقَوْمِ مُتَعَلِّقَةٌ بِرَبِّ الْعَرْشِ أَنْتَ بِضِطَّادِكَ مَنْ تَرَى وَ هُمْ لَا يَرُونَ مَا تَرَى بَلْ يَرُونَ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ وَ مَا يَرَى فَإِنَّ الْقَوْمَ حَصَلَتْ لَهُمُ النِّجَاحُ، وَ بَقِيَتْ أَنْتَ مُزْتَهِنًا بِمَا تَشْتَهِي مِنَ الدُّنْيَا وَ تَهْوَى.

« قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ عَنَّا: لَا تَدَّعِ حَالَةَ الْقَوْمِ » الكاملين العارفين « يَا صَاحِبَ الْهُوَى » المقيّد بسلاسلها و أغلالها، لأنك « أَنْتَ تَعْبُدُ الْهُوَى » أي محكوم بحكمها، مأمور بأمرها تذهب بك شاءت « وَ هُمْ » أي ذلك القوم الكاملون « عِبِيدُ الْمُؤَلَى » الَّذِي هُوَ خَالِقُ الْهُوَى، فالفرق بينك و بينهم من الأرض و السماء؛ فإنك عبد الهوى و هم عبد خالقها بل معبودك المردود عبد لهؤلاء العرفاء.

قال أبو عثمان المغربي: العاصي خير من المدعي؛ لأن العاصي أبدا يطلب طريق توبته، والمدعي يخطئ أبدا في خيال دعواه « أَنْتَ » صاحب الهوى « رَغْبَتُكَ فِي » تحصيل « الدُّنْيَا » الدنية « وَ رَغْبَةُ الْقَوْمِ فِي » تحصيل « الْعُقْبَى » السنية، و هو العمل بمَرْضِيَّاتِ الْمَوْلَى « أَنْتَ تَرَى الدُّنْيَا » و لا يتجاوز نظرك عنها « وَ هُمْ يَرُونَ رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ » لا يتجاوز نظرهم عنه إلى شيء من الأشياء « أَنْتَ » يا

صاحب الهوى «أُنْسُكَ بِالْخُلُقِ وَ أُنْسُ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ» تعالى و تقدس فستان ما بين
الإنسين والأنسين، و رتبة كل إنس على قدر أنسه كما قيل: إن أردت أن تعرف
قدرك عند عالم الأسرار فانظر فيما ذا يقيمك الليل والنهار فطوبى لمن كان له قلب
مشحون بلائى أنس الحق المتعالي. اللهم ارزقنا أنسك و خلصنا من جنتك و أنسك،
«أَنْتَ» يا صاحب الهوى «قَلْبُكَ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ» الفرش من الأهل والولد
والعبيد والإماء، و من يتعلق به حاجتك «و قُلُوبُ الْقَوْمِ مُتَعَلِّقَةٌ بِرَبِّ الْعَرْشِ»
فتفاوت الرتبتين تفاوت العرش من الفرش. «أَنْتَ» يا صاحب الهوى
«يَصْطَادُكَ» أي يقيدك «مَنْ تَرَى» من المخلوقات «و هُمْ لَا يَرَوْنَ» بالنظر
القلبي بل العيني «مَا تَرَى بَلْ يَرَوْنَ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ وَ» خالق «مَا يَرَى».

ذكر سيد الطائفة الشيخ جنيد البغدادي قدس الله تعالى سره، و أوصل إلينا
بره في كتاب "معالي الهمم". حكى عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى قال: منذ
ثلثين سنة عَرَضَ عَلَيَّ الْجَنَّةُ بما فيها فما نظرت إليها طرفة عين إجلالا لله عز و جل، و
يوما من الأيام نظرت إلى بعض الحوراء فأحرمتُ الفائدة عشرة أيام.

«فَإِنَّ الْقَوْمَ حَصَلَتْ لَهُمُ النَّجَاةُ» بِكَرَمِ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ «وَبَقِيَتْ
أَنْتَ» يا صاحب الهوى «مُرْتَهَنًا بِمَا تَشْتَهِي مِنَ الدُّنْيَا وَ» بما «تَهْوَى» منها

فَالْقَوْمُ فَنَوَاعِنِ الْخُلُقِ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَةِ وَالْمَنَى فَوَصَلُوا إِلَى
الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَأَوْفَقَهُمْ عَلَى غَايَةِ مَا رَامَ مِنْهُمْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْحَمْدِ وَ
الثَّنَاءِ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. فَلَا زَمُّوا ذَلِكَ وَ وَاظْبُوا بِتَوْفِيقِ
مَنْهُ وَ تَيْسِيرِ بِلَا عَنَاءٍ

«فَالْقَوْمُ فَنَوَاعِنِ الْخُلُقِ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَةِ وَالْمَنَى فَوَصَلُوا إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى»
فلم يشهدوا غيره، و لذا قالوا: ليس في الدار غيره ديار «فَأَوْفَقَهُمْ عَلَى غَايَةِ مَا رَامَ»
أي قصد المليك الأعلى «مِنْهُمْ» في علمه الأزلي أن يفعلوه «مِنِ الطَّاعَةِ وَالْحَمْدِ وَ
الثَّنَاءِ. ذَلِكَ» المعطى لهم «فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». «فَلَا زَمُّوا ذَلِكَ» المقام

الَّذِي أُعْطِيَ لَهُمْ «وَوَاطَّبُوا» عليه «بِتَوْفِيقٍ مِنْهُ» تعالى «وَتَيْسِّرٍ بِلَا عَنَاءٍ» و
 مَشَقَّةٍ فَلَا يَعْسِرُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْمَرْضِيَّةِ لِلْمَوْلَى كَمَا قَالَ تَعَالَى:
 فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى. [الليل، رقم السورة: ٩٢، رقم
 الآية: ٥ إلى ١٠]

وقال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم:
 ”اعملوا فكل ميسر لما خلق له“^(١) فيسر الله عز وجل للقوم تحصيل نفحات
 الجذبات، وزكاهم من كدورات الصفات، وحلّاهم بأجمل الحلا، وأحياهم بعد
 فناءهم بعين البقاء وسقاهم شراب الوداد، وأسكرهم بحقيقة المراد، وكشف لهم
 الأستار، وأطلع عليهم شمس الأسرار فلا يشاهدون في الملك والملوك إلا جمال
 ذي العزة والجبروت.

فَصَارَتِ الطَّاعَةُ لَهُمْ رُوحًا وَغِذَاءً وَصَارَتِ الدُّنْيَا إِذْ ذَاكَ
 فِي حَقِّهِمْ نِعْمَةً وَحِزْبًا فَكَأَنَّهُمْ جَنَّةُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ مَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ
 الْأَشْيَاءِ حَتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ فِعْلَ الَّذِي خَلَقَ وَأَنْشَأَ فِيهِمْ ثُبَاتُ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَاءِ وَقَرَارُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَحْيَاءِ إِذْ جَعَلَهُمْ مَلِكُهُمْ أَوْتَادًا لِلْأَرْضِ
 الَّتِي دَخَى فُكْلُ كَالْجِبَلِ الَّذِي رَسَى، فَتَنَحَّ عَنْ طَرِيقِهِمْ وَلَا تُرَاجِمُ
 مَنْ لَمْ يَقْبِذْهُ عَنْ قَصْدِهِ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ فَهُمْ خَيْرٌ مَنْ خَلَقَ رَبِّي وَبَتَّ
 فِي الْأَرْضِ وَذَرَا، فَعَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ وَنَحْيَاتُهُ وَبَرَكَاتُهُ مَا دَامَتِ
 الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ.

«فَصَارَتِ الطَّاعَةُ لَهُمْ رُوحًا» إن كان بفتح الراء فبمعنى الراحة، وإن كان
 بضمها فبمعنى الحيوية «وَوَاطَّبُوا» أي قوتا بها بقاء حياتهم «وَصَارَتِ الدُّنْيَا إِذْ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب فسنيسر له للعسري،
 برقم: ٤٩٤٩، والإمام مسلم أيضا في صحيحه، في كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن
 أمه إلخ، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، المشاهدي

ذَٰكَ» أي وقت بلوغهم هذا المقام «فِي حَقِّهِمْ نِعْمَةً وَ جَزَاءً» أي سرورا لا كما كانت لعبد الهوى محنة و ثبورا «فَكَانَتْهَا» أي الدنيا «هَٰهُمْ» أي لهؤلاء العارفين «جَنَّةُ الْمَأْوَى؛ إِذْ مَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِّنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ» أي قبل الشيء المرئي «فِعْلَ الَّذِي خَلَقَ، وَ أَنْشَأَ» الأشياء من العدم «فِيهِمْ» أي بهؤلاء السادات «تُبَاتُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَ قَرَارُ الْمَوْتِ وَالْأَحْيَاءِ» لأن الإنسان الكامل للعالم بمنزلة الروح للبدن فكما أنَّ قِوَامَ البدن بالروح فكذلك قِوَامَ العالم بالإنسان الكامل، فكيف لا يكون بهم ثبات الأرض والسما و قرار الموتى والأحياء «إِذْ جَعَلَهُمْ مَلِكُهُمْ أَوْثَادًا لِلْأَرْضِ الَّتِي دَحَى» أي بسطها المليك فراشا لعباده «فَكُلُّ» من هؤلاء العرفاء «كَالْجَبَلِ الَّذِي رَسَى» أي ثبت واستقر واستحكم فإذا كان هذا حال القوم المذكور بتلك الصفات العلى فأين أنت منهم يا صاحب الهوى «فَتَنَحَّ» أي بَعْدُ «عَنْ طَرِيقِهِمْ وَ لَا تُزَاجِمَنَّ» أي الَّذِي «لَمْ يَقَيِّدْهُ» ولم تشغله «عَنْ قَصْدِهِ» أي توجهه إلى جناب الباري عزوعلا، «الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ فَهُمْ خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِ رَبِّي» عز وجل «وَبَثَّ» في الصحاح بث الخير و أَبَتْهُ أنشره «فِي الْأَرْضِ، وَ ذَرَأَ» بمعنى خلق «فَعَلَيْهِمْ سَلَامٌ اللَّهُ وَ تَحِيَّاتُهُ وَ بَرَكَاتُهُ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ».

اللهم اجعلنا ممن أكرمهم بهذا الإكرام، و أنعمت عليهم بهذا الإنعام بجرمة نبيك محمد عليه الصلوة والسلام إلى يوم القيام.

الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ عَشَرَ

في الخُوفِ وَالرَّجَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي فِي مَوْضِعٍ شَبِهَ مَسْجِدٍ وَ فِيهِ قَوْمٌ مُنْقَطِعُونَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ لَهُوْلَاءِ فَلَانَ يُؤَدِّبُهُمْ وَ يُؤَشِدُهُمْ وَ أَشْرْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الصَّالِحِينَ فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ حَوْلِي فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: فَأَنْتَ أَيُّش لَمْ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقُلْتُ: إِنْ رَضِيتُمُونِي لِذَلِكَ، ثُمَّ قُلْتُ: إِذَا انْقَطَعْتُمْ عَنِ الْخُلُقِ إِلَى الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا بِالسِّتِكُمْ، فَإِذَا تَرَكْتُمْ ذَلِكَ فَلَا تَسْأَلُوهُمْ بِالْقَلْبِ فَإِنَّ السُّؤَالَ بِالْقَلْبِ كَالسُّؤَالِ بِاللِّسَانِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي فِي مَوْضِعٍ شَبِهَ مَسْجِدٍ وَ فِيهِ» أي في ذلك الموضع «قَوْمٌ مُنْقَطِعُونَ» سواء تعالى، و كان فيهم نوع قصور عن حقيقة الانقطاع «فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ لَهُوْلَاءِ» المنقطعين «فَلَانَ» كناية عن شيخ كامل «يُؤَدِّبُهُمْ» برعاية آداب الانقطاع «وَ يُؤَشِدُهُمْ» إليها «وَ أَشْرْتُ» بفلان «إِلَى رَجُلٍ» كامل «مِنَ الصَّالِحِينَ» الكاملين العاملين فإذا سمع القوم مني تلك الحالة «فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ حَوْلِي، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ:» أي من ذلك القوم إشارة إلي «فَأَنْتَ أَيُّش لَمْ لَا تَتَكَلَّمُ» بما ينفعنا في أمر الانقطاع؛ فإنك لا تنقص من الذي تشير إليهم «فَقُلْتُ» لهم: بلى أتكلم «إِنْ رَضِيتُمُونِي لِذَلِكَ» التكلم، قالوا: نعم «ثُمَّ» بعد رضاهم «قُلْتُ» لهم: «إِذَا انْقَطَعْتُمْ» يا معشر العرفاء «عَنِ الْخُلُقِ إِلَى الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» من حوائجكم «بِالسِّتِكُمْ فَإِذَا تَرَكْتُمْ ذَلِكَ فَلَا تَسْأَلُوهُمْ بِالْقَلْبِ» و في نسخة: بقلوبكم «فَإِنَّ السُّؤَالَ بِالْقَلْبِ كَالسُّؤَالِ بِاللِّسَانِ» في الدُّل والهوان بل السؤال القلبي أشد مذلة من اللساني، و هو

منظر الحق عز و جل؛ و لذا لا يسقط الأمور المتعلقة بالقلب كالتصديق القلبي بخلاف الإقرار باللساني حتى لو أظهر السؤال لمصلحة دفع العجب عن النفس و غير ذلك مع استغناء لا يكون مذموما كما يدل عليه حديث: إن الله لا ينظر إلى صوركم و أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم.^(١)

ثم صفة القلب أعلى من أن يدخل في حيز البيان.

قال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه: لو وقع العالم ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به.

ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، فِي تَغْيِيرٍ وَ تَبْدِيلٍ وَ رَفْعٍ وَ خَفْضٍ فَقَوْمٌ يَرْفَعُهُمْ إِلَى عِلِّيَّينَ وَ قَوْمٌ يَخْطُطُهُمْ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ فَخَوْفَ الَّذِينَ رَفَعَهُمْ إِلَى عِلِّيَّينَ أَنْ يَخْطُطَهُمْ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَ رَجَاهُمْ أَنْ يُبْقِيَهُمْ وَ يَحْفَظَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّفْعِ، وَ خَوْفَ الَّذِينَ خَطَّطَهُمْ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ أَنْ يُبْقِيَهُمْ وَ يَحْفَظَهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْخَطِّ وَ رَجَاهُمْ أَنْ يَرْفَعَهُمْ ثُمَّ اتَّيَبَهُمْ.

«ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فِي تَغْيِيرٍ وَ تَبْدِيلٍ» من حال إلى حال «وَرَفَعَ» القوم من خفض «وَخَفَضَ» من رفع لآخرين.

وفي الحديث: من شأنه أن يغفر ذنبا، و يُفَرِّجَ كربا، و يرفع قوما، و يخفض آخرين^(٢) «فَقَوْمٌ يَرْفَعُهُمْ إِلَى عِلِّيَّينَ» بفضله وكرمه «وَقَوْمٌ يَخْطُطُهُمْ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ» بعذله «فَخَوْفَ الَّذِينَ رَفَعَهُمْ إِلَى عِلِّيَّينَ أَنْ يَخْطُطَهُمْ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَ رَجَاهُمْ» أي القوم المرفوعين «أَنْ يُبْقِيَهُمْ» في مرتبتهم العلية و حالتهم السنية «وَيَحْفَظَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّفْعِ» الرتبة فضلا «وَخَوْفَ الَّذِينَ خَطَّطَهُمْ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ أَنْ يُبْقِيَهُمْ» في مرتبتهم الخسيسة و حالتهم الرزيلة «وَيَحْفَظَهُمْ عَلَى مَا

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم إلخ،

برقم: ٢٥٦٤

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيها أنكرت الجهمية، برقم: ٢٠٢

هُمْ فِيهِ مِنَ الْحِطِّ» الرتبي «وَرَجَّاهُمْ» أي القوم المخفوضين «أَنْ يُزَفَّعَهُمْ إِلَى عَلِيِّينَ» بفضلِهِ وإِحْسَانِهِ.

فلما تم هذه الواقعة الشريفة قال قدس سره «ثُمَّ انْتَبَهْتُ» من المنام بعد إرشادهم بذلك بفضل الملك العليم العلام.

اعلم أيها السالك أن الترجية والتخويف صفتان لله عز و جل كما ينبئ عنه قوله تعالى:

تَبَيَّنْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ. [الحجر، رقم السورة: ١٥، رقم الآية: ٤٩-٥٠]

فبمقتضى هذا المذكور ينبغي للمؤمن أن يعيش بين الخوف والرجاء كما هو مقتضى الإيمان برب الأرض والسماء، وينبغي أن يواظب على هذا الدعاء: يا من لا يشغله سمع عن سمع، و لا تشتهه عليه الأصوات، و يا من لا تغلط المسائل، و لا تختلف عليه اللغات، و يامن لا يرمه إلحاح الملحين، و لا تضجره مسألة السائلين أذقنا برد عفوك، و حلاوة رجاءك بجرمة أنبيائك و أوليائك عليهم الصلوة والسلام و التحيات من واهب العطيات.

الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ عَشَرَ

في التَّوَكُّلِ وَمَقَامَاتِهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَارْضَاهُ: إِنَّمَا حُجِبَتْ عَنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْبِدَاةِ بِنِعْمِهِ لِإِتِّكَالِكَ عَلَى الْخَلْقِ وَالْأَسْبَابِ، وَالصَّنَائِعِ وَالْإِكْتِسَابِ، فَالْخَلْقُ حِجَابُكَ عَنِ الْأَكْلِ بِالسَّنَةِ وَهُوَ الْكَسْبُ فَمَا دُمْتَ قَائِمًا مَعَ الْخَلْقِ، رَاجِيًا لِعَطَائِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، سَائِلًا لَهُمْ مُتَرَدِّدًا إِلَى آبَائِهِمْ فَأَنْتَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ خَلَقَهُ فَيَعَاقِبُكَ بِحُزْمَانِ الْأَكْلِ بِالسَّنَةِ الَّذِي هُوَ الْكَسْبُ مِنْ حَلَالِ الدُّنْيَا.

«وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَارْضَاهُ: إِنَّمَا حُجِبَتْ» أيها الطالب بصيغة المجهول «عَنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ» عن «الْبِدَاةِ بِنِعْمِهِ» التي فاضت على كثير من خلقه «لِإِتِّكَالِكَ عَلَى الْخَلْقِ وَالْأَسْبَابِ» وَالصَّنَائِعِ وَالْإِكْتِسَابِ» و لعدم توجهك إلى رب الأرباب الَّذِي هُوَ مسبب الأسباب، الكريم الوهاب، الرحيم التواب «فَالْخَلْقُ حِجَابُكَ عَنِ الْأَكْلِ بِالسَّنَةِ» التي سنّها الله تعالى لأنبيائه «وَهُوَ الْكَسْبُ» فإن داود و ابنه سليمان - عليهما السلام من الرحيم الرحمن - مع ما أعطاهما الملك الديان من المال والملك والسلطان على الإنس والجان لا يأكلان إلا من عمل يديهما الكريمتان «فَمَا دُمْتَ» أَنْتَ «قَائِمًا مَعَ الْخَلْقِ» متكلا عليهم «رَاجِيًا لِعَطَائِهِمْ، وَ فَضْلِهِمْ سَائِلًا لَهُمْ، مُتَرَدِّدًا إِلَى آبَائِهِمْ» ظنًا منك أن المقصود لا يصل إليك إلا بهذا «فَأَنْتَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ خَلَقَهُ فَيَعَاقِبُكَ» ربك بفعلك هذا «بِحُزْمَانِ الْأَكْلِ بِالسَّنَةِ الَّذِي هُوَ الْكَسْبُ مِنْ حَلَالِ الدُّنْيَا» الَّذِي لا مؤاخذه فيه.

ثُمَّ إِذَا ثُبِتَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَ الْخَلْقِ وَ عَنِ شِرْكِكَ رَبِّكَ بِهِمْ وَ رَجَعْتَ إِلَى الْكَسْبِ فَتَأْكُلُ بِالْكَسْبِ بَلْ تَتَوَكَّلُ عَلَى الْكَسْبِ وَ

تَظْمِنُ إِلَيْهِ وَتَتَسَّى فَضْلَ الرَّبِّ تَعَالَى فَأَنْتَ مُشْرِكٌ أَيْضًا إِلَّا أَنَّهُ شَرِكُ
خَفِي أَخْفَى مِنَ الْأَوَّلِ فَيَعَايُنُكَ اللَّهُ تَعَالَى وَيَحْجُبُكَ عَنْ فَضْلِهِ
وَالْبِدَاءَةِ بِهِ، فَإِذَا ثُبِتَ عَنْ ذَلِكَ وَازَلْتَ الشِّرْكَ عَنِ الْوَسْطِ وَرَفَعْتَ
إِتْكَالَكَ عَنِ الْكَسْبِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَرَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الرَّزَّاقُ وَ
هُوَ الْمُسَبِّبُ الْمُسَهِّلُ، وَالْمُقَوِّي عَلَى الْكَسْبِ، وَالْمُوفِّقُ لِكُلِّ خَيْرٍ،
وَالرَّزْقُ بِيَدِهِ تَارَةً يُوَصِّلُكَ بِطَرِيقِ الْخَلْقِ عَلَى وَجْهِ الْمُسْتَلَةِ لَهُمْ فِي
حَالَةِ الْإِتِّلَاءِ وَالرِّيَاضَةِ، أَوْ عِنْدَ سُؤَالِكَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأُخْرَى مِنْ
فَضْلِهِ مُبَادَاةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرَى الْوَاسِطَةَ وَالسَّبَبَ فَارْجَعْتَ إِلَيْهِ
وَاسْتَظَرَحْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْحِجَابَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
فَضْلِهِ وَبَادَاكَ وَغَدَاكَ بِفَضْلِهِ عِنْدَ كُلِّ حَاجَةٍ عَلَى قَدْرِ مَا يُوَفِّقُ
حَالَكَ كَفَعَلَ الطَّيِّبِ الشَّفِيقِ الرَّفِيقِ الْحَبِيبِ بِالْمَرِئِضِ.

«ثُمَّ إِذَا ثُبِتَ» أيها السالك «عَنِ الْقِيَامِ مَعَ الْخَلْقِ، وَ عَنِ شُرْكَكَ رَبَّكَ بِهِمْ،
وَرَجَعْتَ إِلَى الْكَسْبِ فَتَأْكُلُ بِالْكَسْبِ» على الوجه المشروع، ولكن ما عرفت أن
المؤثر في الحقيقة ليس إلا الله الواحد القهار الجليل الجبار «بَلْ تَتَوَكَّلْ عَلَى الْكَسْبِ»
بأنه سبب وصول رزقك «وَتَظْمِنُ إِلَيْهِ وَتَتَسَّى فَضْلَ الرَّبِّ تَعَالَى» و تقدس
«فَأَنْتَ» في هذا الفعل «مُشْرِكٌ أَيْضًا» كما كنت كذلك حين اعتمادك على الخلق
«إِلَّا أَنَّهُ» أي الاعتماد على الكسب «شِرْكٌ خَفِي أَخْفَى مِنَ الْأَوَّلِ» لأن الأول
شرك الذوات، وهذا شرك الأفعال «فَيَعَايُنُكَ اللَّهُ تَعَالَى، وَ يَحْجُبُكَ عَنْ فَضْلِهِ
وَالْبِدَاءَةِ بِهِ» أي بالفضل بأن لا يعطي لك إلا بالسكب «فَإِذَا ثُبِتَ عَنْ ذَلِكَ»
الاعتماد «وَازَلْتَ الشِّرْكَ عَنِ الْوَسْطِ» أي وسط القلب «وَرَفَعْتَ إِتْكَالَكَ عَنِ
الْكَسْبِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَرَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الرَّزَّاقُ» يصل إليك رزقك بفضله
لا بكسبك كما أخبر برزاقيته في كتابه العزيز:

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ. [الذاريات، رقم السورة: ٥١، رقم الآية: ٥٨]

«وَهُوَ الْمُسَبِّبُ» للأسباب في كل باب «و» هو «المُسَهِّلُ» لكل عسير. «وَالْمُقَوِّي عَلَى الْكَسْبِ، وَالْمُوفِّقُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَالرِّزْقُ بِيَدِهِ تَارَةً يُوَاصِلُكَ» ذلك الرزق «بِطَرِيقِ الْخَلْقِ عَلَى وَجْهِ الْمُسْئَلَةِ لَهُمْ فِي حَالَةِ الْإِثْتِلَاءِ وَالرِّيَاضَةِ» تنزيها لك عن غش العجب والنفس وغيرهما من الصفات المذمومة مع قدرته على أن يواصل رزقك بدون هذا الطريق «أَوْ» يواصلك الرزق «عِنْدَ سُؤَالِكَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَ» تارة «أُخْرَى» يواصلك «مِنْ فَضْلِهِ مُبَادَاةً» أي ابتداءً «مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرَى الْوَاسِطَةَ وَالسَّبَبَ» في البين، و جواب قوله: «فَإِذَا تَبَتَّ» قوله: «فَرَجَعْتَ» أيها السالك بهذا السلوك «إِلَيْهِ» تعالى «وَأَسْتَظَرَّحْتَ» أي ألقى نفسك «بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ» أي بحضرته و سلمتها إليه من غير حول و لا قوة منك «فَرَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْحِجَابَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ فَضْلِهِ» فما ترى إلا فضله سبحانه «وَبَادَاكَ» أي أعطاك أوّل كلّ شيء من غير واسطة و سبب «وَعَذَاكَ» تغذيةً حسنة «بِفَضْلِهِ» و كرمه «عِنْدَ كُلِّ حَاجَةٍ» حلت فيك لكن لا على وفق خاطرك بل «عَلَى قَدَرِ مَا يُوَافِقُ حَالَكَ» في كل زمان و لا تستبعد ذلك، فإنك ترى في عالم المشاهدة مثله «كَفَعِلِ الطَّيِّبِ الشَّفِيقِ الرَّفِيقِ الْحَبِيبِ بِالْمُرِيضِ» فإنه يعطي له من الغذاء ما يوافق حاله في كل الوقت لا على وقت رغبته و طلبه فانه يعلم ما فيه صلاحه فالله تعالى أعلم من كل عليم يعمل بمقتضى حكمته الشاملة.

حَمَايَةً مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ تَنْزِيهَاً لَكَ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى مَا سِوَاهُ تَعَالَى،
وَيُوضِيكَ بِفَضْلِهِ فَإِذَا يَنْقَطِعُ مِنْ قَلْبِكَ كُلُّ إِرَادَةٍ وَ كُلُّ شَهْوَةٍ وَ لَذَّةٍ
وَ مَظْلَبٍ وَ مُحْبُوبٍ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِكَ سِوَى إِرَادَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا
أَرَادَ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْكَ قِسْمَكَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَنَاوُلِهِ وَ لَيْسَ هُوَ
رِزْقًا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ عَزَّ وَجَلَّ سِوَاكَ أَوْجَدَكَ عِنْدَكَ شَهْوَةً ذَلِكَ
الْقِسْمَ وَ سَاقَهُ إِلَيْكَ فَيُوَاصِلُكَ بِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ ثُمَّ يُوفِّقُكَ وَ يُعَرِّفُكَ أَنَّهُ
مِنْهُ وَ هُوَ سَائِقُهُ إِلَيْكَ وَ رَازِقُهُ فَتَشْكُرُهُ حِينَئِذٍ

وَ إِنَّمَا فَعَلَ بِكَ ذَلِكَ «حِمَايَةً» لَكَ «مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ» عما هو المضر لك في قربك منه تعالى «وَتَنْزِيهَا لَكَ عَنِ الْمِيلِ إِلَى مَا سِوَاهُ تَعَالَى، وَ يُرْضِيكَ بِفَضْلِهِ فَإِذَا» أي حين حمايته و تنزيهه لك عما سواه «يَنْقَطِعُ مِنْ قَلْبِكَ كُلُّ إِرَادَةٍ وَ كُلُّ شَهْوَةٍ وَ لَذَّةٍ وَ مَظْلَلٍ وَ مَحْجُوبٍ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِكَ» بعد انقطاعك عما «سِوَاهُ سِوَى إِرَادَتِهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْكَ قِسْمَكَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَنَاوُلِهِ» في سابق علمه الأزلي «وَلَيْسَ هُوَ رِزْقًا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ عَزَّ وَ جَلَّ سِوَاكَ أَوْ جَدَّكَ عِنْدَكَ شَهْوَةٌ ذَلِكَ الْقِسْمِ، وَ سَاقَهُ» أي ذلك القسم «إِلَيْكَ فَيَوَاصِلُكَ بِهِ» أي بذلك القسم «عِنْدَ الْحَاجَةِ، ثُمَّ يُوفِّقُكَ» بمحض لطفه و كرمه لشكره «وَيُعْرِفُكَ أَنَّهُ» أي ذلك القسم «مِنْهُ» أي وصوله من جانبه تعالى كما أخبر به في كلامه القديم:

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. [النحل، رقم السورة: ١٦، رقم الآية: ٥٣]
«وَهُوَ سَائِقُهُ إِلَيْكَ وَ رَازِقُهُ فَتَشْكُرُهُ حَيْثُ نَزَلَ» شكر من يعرف منعمه، و يرى بكرمه.

فَتَعْرِفَ وَ تَعْلَمُ فَيَزِيدُكَ خُرُوجًا عَنِ الْخَلْقِ وَ بُعْدًا مِنَ الْأَنَامِ
وَ خَلَوِ الْبَاطِنِ مِمَّا سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ، ثُمَّ إِذَا قَوِيَ عِلْمُكَ وَ يَحْيَيْنُكَ وَ
شَرَحَ صَدْرَكَ وَ نُورَ قَلْبِكَ وَ زَادَ قُورُبَكَ مِنْ مَوْلَاكَ وَ زَادَ مَكَاتِكَ
لَدَيْهِ وَ أَمَانَتَكَ عِنْدَهُ وَ أَهْلِيَّتَكَ لِحِفْظِ الْأَسْرَارِ عَلِمْتَ مَعَى يَاتِيَتِكَ
قِسْمُكَ قَبْلَ حَيِّثُ كَرَامَةٍ لَكَ وَ إِجْلَالًا لِحُزْمَتِكَ فَضْلًا مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ
وَ مَنَّةً وَ هِدَايَةً، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾. [السجدة،
رقم السورة: ٣٢، رقم الآية: ٢٤]

وَ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت،
رقم السورة: ٢٩، رقم الآية: ٦٩]، وقال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ
اللَّهُ. [البقرة: ٢/٢٨٢]

ثُمَّ يَرُدُّ إِلَيْكَ التَّكْوِينَ فَتَكُونُ بِالْإِذْنِ الصَّرِيحِ الَّذِي لَا غُبَارَ

عَلَيْهِ وَالذَّلَالَاتِ اللَّائِحَةِ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ بِكَلَامٍ لَذِيذٍ أَلَدُّ مِنْ كُلِّ لَذِيذٍ، وَإِهَامٍ صِدْقٍ مِنْ غَيْرِ تَلْبِيسٍ مُصْغَفِيٍّ مِنْ هَوَاجِسِ النَّفْسِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَعْضِ كُتُبِهِ: "يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ أَطْعَمِي أَجْعَلَكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ" وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَخَوَاصِّهِ مِنْ بَنِي آدَمَ.

«فَتَعَرَّفُ» حقيقة ذلك القسم و منشأ وصوله إليك «وَتَعْلَمُ» أنه فضل منه إليك «فَيَزِيدُكَ» ربك «خُرُوجًا عَنِ الْخُلُقِ وَبُعْدًا مِنَ الْأَنَامِ، وَخُلُوعًا لِلْبَاطِنِ مِمَّا سِوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ إِذَا قَوِيَ عِلْمُكَ وَتَقَيَّنَتْكَ، وَشَرُحَ صَدْرُكَ، وَتَوَرَّقَ قَلْبُكَ، وَزَادَ قُرْبُكَ مِنْ مَوْلَاكَ» الَّذِي أُولَاكَ بهذه النعمة العظمى «وَزَادَ مَكَانَتَكَ» وقرارك «لَدَيْهِ» تعالى «وَأَمَاتَتْكَ عِنْدَهُ، وَأَهْلَيْتَكَ» وقابليتك «لِحِفْظِ الْأَسْرَارِ» الإلهي «عَلِمْتَ» بتعليم الله تعالى إياك العلم الغيبي «مَتَى يَأْتِيكَ قِسْمُكَ» أي علمت وقت إتيان قسمك «قَبْلَ حِينِهِ» و وصول ذلك القسم إليك «كَرَامَةً لَكَ، وَاجْتِلَالًا لِحُزْمَتِكَ فَضْلًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنَّةً وَهُدَايَةً» منه إليك.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ» الناس «بِأَمْرِنَا» في ظاهر الشريعة للعوام، و باطنها للخواص «لَمَّا صَبَرُوا»

على أوامرنا و قضائنا التي قدرناها عليهم، «و كانوا بآيتنا يوقنون» فلا يضطرب بواطنهم بما يخالف طبائعهم وفي هذه الآية الكريمة وعد و تسليية و إرشاد لهذه الأمة المرحومة.

«وَقَالَ» تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ:

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا» بالصدق واليقين «فِينَا» أي في حقنا و من أجلنا و لوجهنا خالصا «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»
وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. [البقرة، رقم السورة: ٢،
رقم الآية: ٢٨٢]

فإن الله تعالى أشار في الآية الكريمة إلى أنه يعلمكم تعليماً يليق بعلمه، وأنه عليم بكل شيء، فيعلمكم تعليم كل شيء على قدر استعدادكم، فإن علم كل شيء أيضاً له وجوه، فباعتبار تلك الوجوه يتفاوت درجات الخواص؛ فإن الله تعالى علم آدم عليه السلام الأسماء كلها سوى علم الذات، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم علم الأسماء والصفات والذات.

«ثُمَّ يَرُدُّ» أي بعد ما رفع الله تعالى لك بهذه الرتبة «يُرَدُّ إِلَيْكَ التَّكْوِينُ» أي تكوين الأشياء «فَتَكُونُ» الأشياء لا منك بل «بِإِذْنِ الصَّرِيحِ» من ربك الذي أنعم عليك بإيجادك وإفنائك فيه وإبقائك به «الَّذِي لَا غُبَارَ عَلَيْهِ» حتى يوهم فيه تلبس النفس وتسويل الشيطان «وَالدَّلَالَاتِ اللَّائِحَةِ كَالشَّمْسِ الْمُتِيرَةِ بِكَلَامٍ لَذِيذٍ أَلَذُّ مِنْ كُلِّ لَذِيذٍ» لأن كل لذيز أثر من آثاره «وَالْهَامِ صِدْقٍ مِنْ غَيْرِ تَلْبِيسٍ» من وهم وخيال ونفس وشيطان «مُصَفًّى مِنْ هَوَاجِسِ النَّفْسِ» وتخيلاتها وتوهمات «وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ» بلطف الملك الرحمن المعين، وهذا ليس بحكم مخترع بل مما ثبت في الكتب الإلهية.

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَعْضِ كُتُبِهِ» المنزلة على بعض أنبيائه عليهم السلام: «يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ أَطْعِمْنِي أَجْعَلَكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ».

وقد نقلنا في المقالة الرابعة عشر عن الشيخ الموحّد سند الموحدين الشيخ محي الدين بن العربي أنه قال في الفتوحات المكية: لم يرد نص في مخلوق أنه أعطي كن سوى الإنسان خاصة. «وَقَدْ فَعَلَ» الله سبحانه «ذَلِكَ» أي رد أمر التكوين «بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَخَوَاصِهِ مِنْ بَنَى آدَمَ» عليهم السلام من الملك العليم العلام إلى يوم القيام.

اللهم يا واجب الوجود، ويا واهب الخير والجلود أفض علينا أنوار حسن الأحوال، وارزقنا المشاهدة في الأقوال والأفعال في جميع الحال.

الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ عَشَرَ

في بيان معنى الوُضُولِ إلى الله تعالى

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ عَنَّا: إِذَا وَصَلْتَ إِلَى اللهِ
قُرِبْتَ مِنْهُ بِتَقَرُّبِهِ وَ تَوْفِيقِهِ، وَ مَعْنَى الْوُضُولِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ
خُرُوجُكَ عَنِ الْخَلْقِ وَ الْهَوَى وَ الْإِرَادَةِ وَ الْمَتَى، وَ التَّثْبُوتُ مَعَ فِعْلِهِ عَزَّ
وَ جَلَّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مِنْكَ حَرَكَةٌ فِيكَ، وَ لَا فِي خَلْقِهِ بِكَ بَلْ
بِحُكْمِهِ وَ أَمْرِهِ وَ فِعْلِهِ فَهِيَ حَالَةُ الْفَنَاءِ يُعْبَرُ عَنْهَا بِالْوُضُولِ،
فَالْوُضُولُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَيْسَ كَالْوُضُولِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ
الْمَعْقُولِ الْمَعْهُودِ. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
[الشورى، رقم السورة: ٤٢، رقم الآية: ١١]

جَلَّ الْخَالِقُ أَنْ يُشَبَّهَ بِمَخْلُوقِهِ أَوْ يُقَاسَ عَلَى مَصْنُوعِهِ فَالْوُضُولُ
إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْوُضُولِ بِتَغَرُّبِهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى
حَدِّهِ لَا يُشَارِكُ فِيهِ غَيْرُهُ، إِذْ لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ
أَنْبِيَائِهِ وَ أَوْلِيَائِهِ سِرٌّ مِنْ حَيْثُ لَا يَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ
يَكُونُ لِلْمُرِيدِ سِرٌّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ شَيْخُهُ، وَ لِلشَّيْخِ سِرٌّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ
مُرِيدُهُ الَّذِي قَدْ دَنَا سِرُّهُ إِلَى عُتْبَةِ بَابِ حَالَةِ شَيْخِهِ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ عَنَّا: إِذَا وَصَلْتَ» أَيُّهَا الطَّالِبُ «إِلَى اللهِ
تَعَالَى قُرِبْتَ مِنْهُ» تَعَالَى «بِتَقَرُّبِهِ» تَعَالَى إِيَّاكَ «وَ تَوْفِيقِهِ» تَعَالَى إِيَّاكَ لِلْأَسْبَابِ
الْمُؤَدِيَةِ إِلَى وَصُولِهِ تَعَالَى «وَ مَعْنَى الْوُضُولِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ خُرُوجُكَ
أَيُّهَا السَّالِكُ «عَنِ الْخَلْقِ وَ الْهَوَى وَ الْإِرَادَةِ وَ الْمَتَى» بَلْ لَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ شَيْءٌ مِنَ
الْأَشْيَاءِ وَ لَا تَرَى فِي الشُّهُودِ إِلَّا فِعْلَهُ تَعَالَى «وَ التَّثْبُوتُ مَعَ فِعْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» وَ إِرَادَتُهُ

تعالى «مَنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مِنْكَ حَرَكَةٌ» لا «فِيكَ وَ لَا فِي خَلْقِهِ بِكَ بَلْ» إن وجدت حركة منك فاعلم أنها «بِحُكْمِهِ وَ أَمْرِهِ وَ فِعْلِهِ» تعالى بك «فَهِيَ حَالَةُ الْفَنَاءِ يُعْبَرُ عَنْهَا بِالْوُضُوءِ» فظهر أن الوصول إليه تعالى عبارة عن الفناء عن كل الأشياء، والبقاء برب الأرض «فَالْوُضُوءُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَيْسَ كَالْوُضُوءِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ الْمُعْقُولِ» الَّذِي تعقله العقول «الْمُعْهُودِ» الَّذِي تدركه الفهوم والعقول من قطع مسافة بينهما، واتصال جسم بجسم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، كيف وهذا يقتضي المثلية بينه تعالى وبين المخلوقات، وهو عز وجل منزّه عن ذلك كما أخبر عنه في محكم كتابه:

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَ هُوَ السَّمِيعُ» لجميع المسموعات «الْبَصِيرُ» لجميع المبصرات. وليس كذلك شيء من المخلوقات حتى يثبت المثلية بينه وبين خالق الأرض والسموات «جَلَّ الْخَالِقُ» سبحانه «أَنْ يُشَبَّهَ بِمَخْلُوقِهِ» أي مخلوق كان «أَوْ يُقَاسَ» الخالق تعالى «عَلَى مَصْنُوعِهِ» تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإن لم يعرف الوصول إليه كل جاهل «فَالْوُضُوءُ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْوُضُوءِ» والقرب «بِتَعَرُّفِهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ» وليس التعريف للجميع على نهج واحد؛ لأن تعريف «كُلِّ وَاحِدٍ» من أهل القرب والوصول «عَلَى حِدَةٍ لَا يُشَارِكُ فِيهِ غَيْرُهُ إِذْ لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ أَنْبِيَائِهِ وَ أَوْلِيَائِهِ» عليهم السلام «سِرٌّ» و خصوصية «مَنْ حَيْثُ لَا يَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ» تعالى «حَتَّى إِنَّهُ» أي الشأن «قَدْ يَكُونُ لِلْمُرِيدِ سِرٌّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ» أي على ذلك السر «شَيْخُهُ» مع أنه معلوم أن الشيخ أعلى حالا، وأسرع سيرا من المرید «وَلِلشَّيْخِ سِرٌّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مُرِيدُهُ» الَّذِي قَدْ دَنَا سَيْرُهُ إِلَى عُثْبَةِ بَابِ حَالَةِ شَيْخِهِ» أو يضع رأسه على قدمه، والسر في ذلك أي في أن تعريف كل من المقر بين على هذه لا يشارك فيه غيره أن الحق سبحانه لم يتجل بتجلي واحد مرتين، ولا في صورة واحدة لاثنين بإجماع القوم على ما نقل في الرسالة المسماة بالمشاهدات المحمدية عليه الصلوة والتحية.

فإن قلت: يلزم من عدم تكرار التجلي أن لا يكون الفاني بعينه معادا، وذلك

يستلزم الفساد من وجهين:

أحدهما: استحالة الجزاء؛ لأن الفاعل في وقت الفعل غيره في وقت الجزاء فلا يكون الجزاء على الفاعل.

و ثانيهما: نفي حشر أجساد الثابتة بالنصوص القطعية من الكتاب والسنة والإجماع.

قلنا: مبنى ثبوت الأمرين المذكورين إنما هو اتحاد الذات والحقيقة، و إذا لا ينافي الاختلاف في الصور والأحوال يعني ذاته في الوقتين واحد، والتغيير إنما هو في الصورة، و إذا لا يخالف، النصوص أيضًا شاهدة لذلك كما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

إن العجوز لا يدخل الجنة.^(١)

وإن ضرر الكافر مثل الأحد.^(٢)

فإن قلت: ما قال قدس سره من عدم إطلاع المريد على حال الشيخ فصحيح

لدنو سره إلى عتبة بابه، و أما الشيخ فإذا لم يعرف حال المريد فكيف يكمله؟

قلنا: إن الشيخ يطلع على كليات المراتب مثلاً يعلم أن المريد في مرتبة الوله، أو الحيرة، أو الدهشة، أو المشاهدة، أو المكاشفة، أو التسليم، أو الرضاء، وإن لوازم هذه المراتب كذا، و كذا و لا يعلم خصوصية كل له في كل مرتبة من الأسرار، فيمكن أن يكمله و يخلصه من التقييدات في المراتب، و عدم الإطلاع على خصوصيات الجزئيات لا ينافي ذلك. والله تعالى أعلم بحقيقة الحال والكاشف لجليات المقال. اللهم حوّل حالتنا إلى أحسن الأحوال.

فَإِذَا بَلَغَ الْمُرِيدُ حَالَةَ شَيْخِهِ أُفْرِدَ عَنِ الشَّيْخِ وَ قُطِعَ عَنْهُ ۥ

(١) رواه الترمذي في الشرائع، في باب مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: ٢٤٠، ونصه: "إن الجنة لا تدخلها عجوز"

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار، برقم: ٢٥٧٧، ونصه: "إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرره مثل أحد"، ورواه الحاكم وصححه، وهو رواية لأحمد بإسناد جيد. المشاهدي

فَيَتَوَلَّاهُ الْحَقُّ فَيَقْطَعُهُ عَنِ رِضَاعَةِ الْخَلْقِ جُمْلَةً فَيَكُونُ الشَّيْخُ كَالظَّيْرِ
وَالدَّائِيَةِ إِذْ لَا رِضَاعَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ وَلَا خَلْقَ بَعْدَ زَوَالِ الْهُوَى وَالْإِرَادَةِ
إِذِ الشَّيْخُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مَا دَامَ ثُمَّ هَوَى وَ إِرَادَةً لِكَسْرِهِمَا أَمَّا بَعْدَ
زَوَالِهِمَا فَلَا لِأَنَّهُ لَا كُدُورَةَ وَلَا نُقْصَانَ فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى الْحَقِّ عَلَى مَا
بَيَّنَّا فَكُنْ أَمِنًا أَبَدًا مِمَّا سِوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا تَرَى لِغَيْرِهِ وُجُودًا أَلْبَنَةً لَا
فِي الضَّرِّ وَلَا فِي النَّفْعِ وَلَا فِي الْعَطَاءِ وَلَا فِي الْمُنْعِ وَلَا فِي خَوْفٍ وَلَا
رَجَاءٍ بَلْ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

«فَإِذَا بَلَغَ الْمُرِيدُ حَالَتهُ شَيْخِهِ» الَّذِي يَتَابِعُهُ فِي أَحْوَالِهِ وَمَقَامَاتِهِ «أُفْرِدَ عَنِ
الشَّيْخِ، وَقُطِعَ عَنْهُ فَيَتَوَلَّاهُ الْحَقُّ» سَبْحَانَهُ «فَيَقْطَعُهُ عَنِ رِضَاعَةِ الْخَلْقِ جُمْلَةً» أَيِ
جَمِيعَا «فَيَكُونُ الشَّيْخُ كَالظَّيْرِ وَالِدَّائِيَةِ» لِذَلِكَ الْمُرِيدِ الْكَامِلِ «إِذْ لَا رِضَاعَ بَعْدَ
الْحَوْلَيْنِ» كَمَا يَنْطِقُ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

وَالْوَالِدُتُ يُرِضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ [البقرة، رقم

السورة: ٢، رقم الآية: ٢٣٣]

«وَلَا خَلْقَ» مَنْظُورٌ نَظَرَ الْمُرِيدِ «بَعْدَ زَوَالِ الْهُوَى وَالْإِرَادَةِ» عَنْهُ فَإِنْ
ذَهَبَ هُمَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ حَصُولِ الْفَنَاءِ، فَإِذَا حَصَلَ الْفَنَاءُ لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا وَجُودَ
الْحَقِّ سَبْحَانَهُ، وَلَا فِي الشُّهُودِ إِلَّا شُهُودَهُ، ثُمَّ لَا يَسْتَبَعِدُ اسْتِغْنَاءَ الْمُرِيدِ عَنِ الشَّيْخِ
بَعْدَ كَمَالِهِ «إِذِ الشَّيْخُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مَا دَامَ ثُمَّ» أَيِ فِي الْمُرِيدِ «هَوَى وَ إِرَادَةً لِكَسْرِهِمَا» وَ
إِذَا لَتَّهَمَا عَنِ الْمُرِيدِ «أَمَّا بَعْدَ زَوَالِهِمَا فَلَا» احتِياجٌ إِلَيْهِ لِلْمُرِيدِ أَصْلًا «لِأَنَّهُ لَا
كُدُورَةَ وَلَا نُقْصَانَ» الْحَاصِلِينَ مِنَ الْهُوَى فِي الْمُرِيدِ «فَإِذَا وَصَلْتَ» أَيِهَا الْمُرِيدُ
«إِلَى الْحَقِّ» تَعَالَى «عَلَى مَا بَيَّنَّا» مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى يَعْرِفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ بِوَجْهِهِ
خَاصٍ لَا يَشَارِكُ فِيهِ غَيْرُهُ «فَكُنْ» أَنْتَ «أَمِنًا» أَيِ أَمِنًا أَوْ ذَا أَمْنٍ أَوْ مِنْ بَابِ
الْمُبَالَغَةِ «أَبَدًا مِمَّا سِوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا تَرَى لِغَيْرِهِ وُجُودًا أَلْبَنَةً لَا فِي» حَصُولِ
«الضَّرِّ، وَلَا فِي» حَصُولِ «النَّفْعِ، وَلَا فِي» حَصُولِ «الْعَطَاءِ، وَلَا فِي» حَصُولِ

«الْمَنْعِ، وَلَا فِي» حصول «خَوْفٍ، وَلَا رَجَاءٍ بَلْ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ» كما قال تعالى

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ^ط هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ. [المدثر، رقم
السورة: ٧٤، رقم الآية: ٥٦]

روى الإمام أحمد والترمذي في تفسيره: هو أهل أن يتقى فلا يجعل معه إله، و
أهل أن يغفر لمن اتقى أن يجعل معه إلهًا.

فَكُنْ أَبَدًا نَاطِرًا إِلَى فِعْلِهِ مُتَرَقِّبًا لِأَمْرِهِ مُشْتَغِلًا بِطَاعَتِهِ مُبَاطِنًا
مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ دُنْيَا وَآخِرَى لَا تُعْلِقُ قَلْبَكَ بِشَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهِ وَاجْعَلِ
الْخَلِيفَةَ أَجْمَعَ كَرَجُلٍ كَنَفَهُ سُلْطَانٌ عَظِيمٌ مُلْكُهُ شَدِيدٌ أَمْرُهُ مَهْوَلَةٌ
صَوْلَتُهُ وَسَطْوَتُهُ، ثُمَّ جَعَلَ الْغُلَّ فِي رَقَبَتِهِ مَعَ رَجُلَيْهِ ثُمَّ صَلَبَهُ عَلَى
شَجَرَةِ الْأَرَزِّ عَلَى شَاطِئِ نَهْرِ عَظِيمٍ مُّوْجُهُ، فَسِيحَ عَرْضُهُ، عَمِيقِ
غَوْرُهُ، شَدِيدِ جَزْأِهِ ثُمَّ جَلَسَ السُّلْطَانُ عَلَى كُرْسِيِّ عَظِيمٍ قَدْرُهُ، عَالِ
سَمَاوَةٍ، بَعِيدِ مَرَامَةٍ وَوُضُوْلَةٍ، وَتَرَكَ إِلَى جَنْبِهِ أَحْمَالَ مِنَ السِّهَامِ
وَالرِّمَاحِ وَالتَّبَلِ وَأَنْوَاعِ السِّلَاحِ وَالْقَسِيِّ بِمَا لَا يَبْلُغُ قَدْرَهَا غَيْرُهُ
فَجَعَلَ يَزِمِي إِلَى الْمَصْلُوبِ بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ السِّلَاحِ فَهَلْ يَحْسُنُ
لِمَنْ رَأَى ذَلِكَ أَنْ يَتْرَكَ النَّظَرَ إِلَى السُّلْطَانِ وَ يَتْرَكَ الْخَوْفَ مِنْهُ
وَالرَّجَاءَ لَهُ وَيَخَافَ مِنَ الْمَصْلُوبِ وَيَزْجُو مِنْهُ أَلَيْسَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ
يُسَمَّى فِي قَضِيَّةِ الْعَقْلِ عَدِيمَ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ مَجْنُونًا بِهِيمَةً غَيْرَ إِنْسَانٍ،
فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْبَصِيرَةِ، وَالْقَطِيعَةِ بَعْدَ الْوُضُولِ،
وَالصُّدُودِ بَعْدَ الدُّثُورِ وَالْقُرْبِ وَالضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَايَةِ، وَالْكَفْرِ بَعْدَ
الْإِيمَانِ.

«فَكُنْ» إذا عرفت أيها الطالب الموفق هذا المذكور فكن «أَبَدًا» في جميع
أحوالك «نَاطِرًا إِلَى فِعْلِهِ» تعالى لا إلى فعل غيره «مُتَرَقِّبًا لِأَمْرِهِ، مُشْتَغِلًا بِطَاعَتِهِ،

مُبَايَنًا مِنْ « جَمِيعِ خَلْقِهِ دُنْيَا وَ أُخْرَى لَا تُعَلِّقُ قَلْبَكَ » بالمودة والألفة
والأنس « بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ » إذ لا بقاء على أرض الوجود لغيره،
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. [الرحمن، رقم
السورة: ٥٥، رقم الآية: ٢٦-٢٧]

كما حكي عن بعض العارفين أنه كان يعبر عليه أولاده في داره فيقول: من
هولاء، و أولاد من هولاء، فيقال له: أولادك فكان لا يعرفهم حتى يُعرَفَ بهم
لاشتغاله بمولاه، فهولاء قوم شغلهم الله تعالى به عن كل شيء فلم يشغلهم عنه
شيء أذ هل عقولهم عظمتهم و أدهش نفوسهم هيئته فاستقر في أسرارهم وُدّه و محبته
جعلنا الله تعالى منهم و لا أخرجنا عنهم « وَاجْعَلِ الْخَلِيفَةَ » أي خلقه « أَجْمَعَ
كَرَجُلٍ كَنَفِّهِ » أي حفظه « سُلْطَانُ عَظِيمٍ مُلْكُهُ » كثير فلكه « شَدِيدُ أَمْرِهِ » رفيع
قدره « مَهْوُلَةٌ صَوْلَتُهُ وَ سَطْوَتُهُ » هائلة شوكته و شكيمته « ثُمَّ جَعَلَ الْغُلَّ فِي رَقَبَتِهِ
مَعَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ صَلَبَهُ عَلَى شَجَرَةِ الْأَرَزِّ » الَّذِي لَا تَحْرِكُهُ الرِّيحُ فِي الْقَامُوسِ الْأَرَزُ و
بضم شجرة الصنوبر « عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ عَظِيمٍ مُوجُهُ، فَسَبَّحَ » أي وسيع « عَرْضُهُ،
عَمِيقُ غَوْرُهُ » أي قعره « شَدِيدُ جَزْئِهِ، ثُمَّ جَلَسَ السُّلْطَانُ عَلَى كُرْسِيِّ عَظِيمٍ قَدْرُهُ،
عَالٍ سَمَاوُهُ » أي رفعتة و علامته « بَعِيدِ مَرَامُهُ » أي قصده « وَ وَصُولُهُ، وَ تَرَكَ »
ذلك السلطان « إِلَى جَنْبِهِ أَحْمَالًا » أثقالا « مِنْ السَّهَامِ وَالرِّمَاحِ وَ النَّبْلِ » أي
النصال، و في بعض النسخ: الطبل و هو معروف « وَ أَنْوَاعِ السَّلَاحِ وَالْقَسِيِّ » جمع
قوس « بِمَا لَا يَتَلَوَّحُ قَدْرَهَا غَيْرُهُ » أي غير ذلك السلطان العظيم الشأن « فَجَعَلَ »
أي شرع السلطان « يَزِمِي إِلَى » ذلك « الْمَصْلُوبِ بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ السَّلَاحِ، فَهَلْ
يُحْسِنُ لِمَنْ رَأَى ذَلِكَ » المذكور من حال المصلوب المهان، و حال السلطان الرفيع
المكان « أَنْ يَتَرَكَّ النَّظَرَ إِلَى السُّلْطَانِ، وَ يَتَرَكَّ الْخَوْفَ مِنْهُ وَ الرَّجَاءَ لَهُ » أي منه استعير
اللام لِمَنْ، والاستعارة في الحروف شائع، و يدل عليه « وَ يَخَافُ مِنَ الْمَصْلُوبِ، وَ
يَرْجُو مِنْهُ أَلَيْسَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ » الفعل الشنيع « يُسَمَّى فِي قَضِيَّةِ الْعَقْلِ عَدِيمَ الْعَقْلِ
وَ » في قضية « الْحِسِّ مَجْنُونًا بِهِيمَةً غَيْرَ إِنْسَانٍ فَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْبَصِيرَةِ،

وَالْقَطِيعَةَ بَعْدَ الْوُضُوءِ، وَالصُّدُودِ «أَيُّ الْبَعْدِ» بَعْدَ الدُّنْيَا، وَالْقُرْبَ وَالضَّلَالََةَ بَعْدَ الْهُدَايَةِ، وَالْكَفْرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ «وَالْحُورَ بَعْدَ الْكُورِ، وَالشُّبُورَ بَعْدَ السُّرُورِ، وَالظُّلْمَةَ بَعْدَ النُّورِ، وَالْأَرْتِيَابَ بَعْدَ كَشْفِ الْحِجَابِ.

فَالدُّنْيَا كَالنَّهْرِ الْعَظِيمِ الْجَارِي الَّذِي ذَكَرْنَاهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي زِيَادَةِ مَائِهَا وَهِيَ شَهَوَاتُ بَنِي آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَلَذَائِهُمُ فِيهَا، وَالذَّوَاهِي الَّتِي تُصِيبُهُمْ مِنْهَا وَأَمَّا السَّهَامُ وَأَنْوَاعُ السِّلَاحِ فَالْبَلَايَا الَّتِي يَجْرِي بِهَا الْقَدَرُ إِلَيْهِمْ فَالْعَالِبُ عَلَى بَنِي آدَمَ فِي الدُّنْيَا الْبَلَايَا وَالنَّقْصُ وَالْآلَامُ وَالْمِحْنُ، وَ مَا يَجِدُونَ مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَاتِ فَمَشُوبَةٌ بِالْأَفَاتِ إِذَا اعْتَبَرَهَا كُلُّ عَاقِلٍ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ إِنْ كَانَ مَوْفِقًا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ» خُصُوصًا ذَلِكَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ غَيْرِ لِقَاءِ اللَّهِ».

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «النَّبِيُّ مُلْجَمٌ». وَمَعَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْعَيَانِ كَيْفَ يُدْعَى طَيْبُ عَيْشٍ فِي الدُّنْيَا فَالرَّاحَةُ كُلُّ الرَّاحَةِ فِي الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ مُوَافَقَتِهِ وَالْإِسْتِطْرَاحَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَكُونُ الْعَبْدُ بِذَلِكَ خَارِجًا مِنَ الدُّنْيَا فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الدُّلُّ رَافَةً وَرَاحَةً وَلُطْفًا وَصَدَقَةً وَفَضْلًا.

«فَالدُّنْيَا كَالنَّهْرِ الْعَظِيمِ الْجَارِي الَّذِي ذَكَرْنَاهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي زِيَادَةِ مَائِهَا، وَهِيَ شَهَوَاتُ بَنِي آدَمَ» فِي الدُّنْيَا «وَلَذَائِهُمُ فِيهَا وَالذَّوَاهِي الَّتِي تُصِيبُهُمْ» تِلْكَ اللَّذَاتِ «مِنْهَا» أَيُّ مِنَ الدُّنْيَا. وَأَمَّا الرَّجُلُ الْمَحْبُوسُ فَهُوَ الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَأَمَّا التَّقْيِيدُ بِالْغُلِّ فِي الْعُنُقِ وَالرَّجْلِ فَهِيَ إِرَادَةُ الْحَقِّ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ «وَأَمَّا السَّهَامُ وَأَنْوَاعُ السِّلَاحِ

فَالْبَلَايَا الَّتِي يَجْرِي بِهَا الْقَدَرُ إِلَيْهِمْ، فَالْغَالِبُ عَلَى بَنِي آدَمَ فِي الدُّنْيَا الْبَلَايَا وَالنَّقْصُ «
 فِي النَفْسِ وَالْمَالِ «وَالْآلَامُ» النفسية والقربتية والمالية «وَالْمِحْنُ» فالخوف من
 الخلق والرجاء منه لا من الله تعالى كالخوف من ذلك الرجل المصلوب لا من ذلك
 الملك العظيم، والفاعل لهذا الفعل يعدُّ في قضية العقل عديم العقل كما يعد ذلك
 كذلك هناك، ولما كان هنا مظنة أنه في الدنيا كما يوجد الآلام يوجد النعيم أيضًا دفعه
 قدس سره بقوله «وَمَا يَجِدُونَ مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَاتِ فَمَشُوبَةٌ» أي مخلوطة
 «بِالْآفَاتِ إِذَا عَتَبَرَهَا كُلُّ عَاقِلٍ لَا حَيَوَةَ لَهُ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ إِنْ كَانَ» المعبر «مَوْقِنًا»
 بِالْآخِرَةِ «كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ» و على آله و صحبه «وسلم» يوم
 الخندق حين رأى الصحابة رضوان الله تعالى عنهم في محنة جوع و مشقة حفر و
 شدة خوف من الأعداء «لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ». اغفر اللهم الأنصار
 والمهاجرة.^(١) رواه البخاري

ثم ما ذكر من كون الغالب على بني آدم في الدنيا البلايا والنقص والآلام
 والمحن، و أن نعيمها و لذاتها مشوبة بالآفات إذا اعتبرها عاقل، حكم عام في حق
 المؤمن والكافر «خُصُوصًا ذَلِكَ» الحكم يوجد كثيرا «فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ»
 «كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَا رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ غَيْرِ لِقَاءِ اللَّهِ»
 رواه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل له عن وهب بن منبه بلفظ: ليس
 للمؤمن راحة دون لقاءه.^(٢)
 وَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

(١) لم نجد في الصحيح للبخاري. بهذا اللفظ، ونصه في باب: لا عيش إلا عيش الآخرة عن
 أنس رضي الله عنه: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة، برقم: ٤٦١٣،
 وفي موضع من نفس الباب: فاغفر الأنصار والمهاجرة برقم: ٦٤١٤. وفي باب البيعة في الحرب
 برقم: ٢٩٦١: فأكرم الأنصار والمهاجرة، وانظر هكذا في باب دعا النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم: أصلح الأنصار والمهاجرة برقم: ٣٧٩٥، و، ٣٧٩٦، و، ٣٧٩٧، وفي باب غزوة الخندق
 برقم: ٤٠٩٨، و، ٤٠٩٩، محمود على المشاهدي
 (٢) انظر: المقاصد المحسنة فيما اشتهر على الألسنة، برقم: ١٢٥٢، والزهد لأحمد بن حنبل،
 برقم: ٨٤٣، وكذا ابن المبارك في الزهد برقم: ١٧.

الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ». رواه مسلم في صحيحه.^(١)

و لا يشكل هذا بما يرى في الظاهر لبعض المؤمنين من التعيش لسعة الرزق، و صحة البدن، وكثرة الأولاد والحشم والخدم، وكثرة القبيلة، و لبعض الكفرة من ضيق المعيشة والآلام والأسقام البدنية بلا معين و لا نصير، لأن المراد أن الله تعالى ما ادخر للمؤمن في الآخرة من الإنعام والإكرام والعيش الدائم في الجنة مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر فما يوجد في الدنيا من العيش و إن كان كثيراً لكن بالنسبة إليه قليل بل لا نسبة لها إلى ذلك، ولهذا قيل: لو عرف المؤمن ما له من الكرامة والمنزلة عند الله تعالى ليقول في كل لحظة و لمحة أمتني يا رب، أمتني، و أنه تعالى ادخر للكافر من العذاب والعقاب بأنواعها و أصنافها من سعي جهنم والزمهرير والزقوم والسلاسل والأغلال فما يوجد من الألم في الدنيا و إن كان كثيراً قليل بل راحة فصدق أن الدنيا سجن المؤمن بالنسبة إلى ما ادخر له في الآخرة، و جنة الكافر بالنسبة إلى ما ادخر له في الآخرة.

«وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: التَّقِيُّ مُلْجِمٌ»^(٢) يعني المتقي محارب مع نفسه دائماً، و بهذا المعنى قال صلى الله تعالى عليه و على آله و صحبه: حين رجوعه من الغزوات: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.^(٣) و ذلك لأن العدو الخارجي يكون في وقت دون وقت، و يمكن الاحتراز عنه، والعدو الداخلي معه في كل وقت، و لا يمكن الاحتراز عنه إلا بكد و مشقة تامة سيما إذا كان محبوباً؛ فإنه لا يطلع على قبائحه و معاداته حتى يحتز عنه «وَمَعَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ» الصحيحة الصادقة «و» مع هذا «الْعَيَانِ» الشاهد لمحنة الدنيا «كَيْفَ يُدْعَى طَيْبٌ عَيْشٍ فِي الدُّنْيَا، فَالرَّاحَةُ كُلُّ الرَّاحَةِ» للحاذق الطالب الصادق «فِي الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ»

(١) انظر الصحيح لمسلم، كتاب الزهد والرفاق، برقم: ٢٩٥٦.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، التاسع والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في المطاعم، الفصل الثالث في طيب المطعم والملبس، برقم: ٥٣٥٧.

(٣) أخرجه البيهقي في الزهد برقم: ٣٨٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٣، وقال البيهقي: إسناده ضعيف.

من الخلق والنفس «وَمُؤَافَقَتِهِ» تعالى في إرادته وقدره «وَالْإِسْتِطْرَاحَ بَيْنَ يَدَيْهِ»
 تعالى لحكمه، والرضاء بقضائه، والصبر على بلائه، والشكر على نعمائه «فِيَكُونُ
 الْعَبْدُ بِذَلِكَ» الانقطاع والاستطراح «خَارِجًا مِنَ الدُّنْيَا» و آفاتِها و محنها
 «فَحَيِّئِيذٍ» أي حين خرج من الدنيا و محنها «يَكُونُ الدُّلُّ» الظاهر الحاصل بقضاء
 الله تعالى وقدره في نظر ذلك العبد المنقطع المستطرح نفسه لكونه رائيًا جميع ما يصل
 إليه «رَافَةً وَ رَاحَةً» من الله تعالى «وَلُطْفًا وَ صَدَقَةً» أي إعطاء بغير عوض بل
 تفضلاً «وَفَضْلًا» من الله تعالى.

جعلنا الله سبحانه ممن رضي عنهم و هم عنه راضون مع الذين لا خوف
 عليهم و لا هم يحزنون.

الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ عَشَرَ

فِي النَّهْيِ عَنِ الشُّكْوَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الرَّضِيَّةُ أَنْ لَا تَشْكُونَ إِلَى أَحَدٍ مَا نَزَلَ بِكَ مِنْ ضَرٍّ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ صَدِيقًا أَوْ عَدُوًّا، وَلَا تَتَّهِمَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا فَعَلَ بِكَ وَ أَنْزَلَ بِكَ مِنَ الْبَلَايَا، بَلْ أَظْهِرِ الْخَيْرَ وَالشُّكْرَ فَكَذَّبَكَ بِإِظْهَارِ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ نِعْمَةٍ عِنْدَكَ خَيْرٌ مِنْ صِدْقِكَ فِي إِخْبَارِكَ جَلِيَّةَ الْحَالِ بِالشُّكْوَى.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الرَّضِيَّةُ» بمعنى الرضا بقضاء الله تعالى وقدره «أَنْ لَا تَشْكُونَ إِلَى أَحَدٍ» من خلقه «مَا نَزَلَ بِكَ مِنْ ضَرٍّ» من الحوادث اليومية «كَأَنَّكَ» ذلك الأحد «مَنْ كَانَ صَدِيقًا» لك «أَوْ عَدُوًّا» لك بأن تظهر الكراهة من نفسك لما نزل أما مجرد إظهارها والإخبار عنها فلا يعدونها شكوى «وَلَا تَتَّهِمَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا فَعَلَ بِكَ وَ أَنْزَلَ بِكَ مِنَ الْبَلَايَا» بأنه فعل غضبا عليك «لِيُخْزِيكَ بَلْ أَظْهِرِ الْخَيْرَ وَالشُّكْرَ» من نفسك للرب تعالى عند خلقه جبرا وقهرا، وإن لم يساعدك نفسك ولا تتركه بتخييل أنه كذب «فَكَذَّبَكَ بِإِظْهَارِ الشُّكْرِ» بطريق جبر النفس «مِنْ غَيْرِ نِعْمَةٍ» جديدة حاصلة «عِنْدَكَ» الان «خَيْرٌ مِنْ صِدْقِكَ فِي إِخْبَارِكَ» للخلق «جَلِيَّةَ الْحَالِ» أي واقع الحال و حقيقته «بِالشُّكْوَى» وإنما كان خيرا؛ لأنه موافق لمراد الله تعالى فإن رضاه في أن ترضى عنه مع أن تخييل الكذب غلط، فإن نعم الله تعالى على خلقه مفاضة فيضا كثيرا في كل حين وزمان.

مَنْ ذَا الَّذِي خَلَى مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَ إِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم، رقم
السورة: ٣٤، رقم الآية: ١٤]

فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ عِنْدَكَ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهَا، لَا تَسْكُنُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ
الْخَلْقِ، وَلَا تَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا تُظْلِعُ أَحَدًا عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ بَلْ يَكُونُ
أُنْسُكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ سُكُونُكَ إِلَيْهِ وَ فِرَارُكَ وَ شِكْوَاكَ مِنْهُ وَ إِلَيْهِ
لَا تَرْتَالِثَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ إِلَى أَحَدٍ ضَرٌّ وَلَا نَفْعٌ وَلَا جَلْبٌ وَلَا دَفْعٌ وَلَا
عِزٌّ وَلَا ذِلٌّ وَلَا رَفْعٌ وَلَا خَفْضٌ وَلَا فَقْرٌ وَلَا غِنَاءٌ وَلَا تَحْرِيكٌ وَلَا
لَا تَسْكِينٌ. الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى وَ بِأَمْرِهِ وَ إِذْنِهِ
جَزْيًا نَهَا، وَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًى وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ لَا مُقَدِّمَ
لِهَا آخَرٌ وَ لَا مُؤَخَّرَ لَهَا قَدَمٌ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ يَسْأَلُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس، رقم
السورة: ١٠، رقم الآية: ١٠٧]

«مَنْ ذَا الَّذِي خَلَى» أي شخص خلى «مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟» بل كل
شيء غريق في بحر أفضاله وإنعامه كما «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:»

وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا. [إبراهيم، رقم السورة: ١٤، رقم الآية: ٣٤]

«فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ» من الله تعالى «عِنْدَكَ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهَا» فلو أظهرت نعم
الله تعالى بالشكر حال الابتلاء كنت صادقاً «لَا تَسْكُنُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ»
بالسكون القلبي «وَلَا تَسْتَأْنِسُ بِهِ» أنسة قلبية، وإن كنت في الظاهر معهم «وَلَا
تُظْلِعُ أَحَدًا» منهم «عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ» من حالك مع الله تعالى «بَلْ يَكُونُ أُنْسُكَ
بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ سُكُونُكَ» و راحتك «إِلَيْهِ، وَ فِرَارُكَ وَ شِكْوَاكَ مِنْهُ وَ إِلَيْهِ لَا تَرْتَالِثَا»
أنت غير الله تعالى و غيرك «ثَالِثًا» تلتجئ إليه، و أما النبي والشيخ فالتوجه إليهما
توجه إلى الله تعالى. و إنما نُهييت عن رؤية الثالث فيما بينك و بين الله تعالى لِرَفْعِ
الحاجة «فَإِنَّهُ لَيْسَ» يُفَوِّضُ «إِلَى أَحَدٍ ضَرٌّ وَلَا نَفْعٌ وَلَا جَلْبٌ» خير «وَلَا دَفْعٌ»
لِضَرٍّ «وَلَا عِزٌّ وَلَا ذِلٌّ وَلَا رَفْعٌ وَلَا خَفْضٌ وَلَا فَقْرٌ وَلَا غِنَاءٌ وَلَا تَحْرِيكٌ وَلَا
تَسْكِينٌ» كيف تتوهم الانتفاع من غير الله تعالى، فإنه خطأ إذ «الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا خَلَقَ

الله تَعَالَى وَبَيَدِ اللهِ « تَعَالَى » بِأَمْرِهِ وَإِذْنِهِ جَزَائُهَا، وَكُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، لَا مُقَدِّمَ لِمَا آخَرَ، وَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ» [يونس، رقم السورة: ١٠، رقم الآية: ١٠٧]

فَإِنْ شَكَوْتَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مُعَافٍ وَعِنْدَكَ نِعْمَةٌ مِمَّا طَلَبْتَ
لِزِيَادَةٍ وَتَعَامِيًا عَمَّا لَهُ عِنْدَكَ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ اسْتِزْرَاءً بِهِمَا
غَضَبَ عَلَيْكَ وَأَزَالَهُمَا عَنْكَ وَحَقَّقَ شُكُوكَكَ وَضَاعَفَ بَلَاءَكَ، وَ
شَدَّدَ عَقُوبَتَكَ وَمَقَّتَكَ وَقَلَّاكَ وَأَسْقَطَكَ مِنْ عَيْنِهِ إِحْذِرِ الشُّكُوى
جِدًّا وَلَوْ قُطِعَتْ وَقُرِضَ لَحْمُكَ بِمِقَارٍ يُضَى إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ اللهُ ثُمَّ
اللهُ الْتَجَا الْتَجَا الْخَذَرِ الْخَذَرِ فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَنْزِلُ بِإِبْنِ آدَمَ مِنْ أَنْوَاعِ
الْبَلَاءِ وَالْمَحَنِ لِشُكُوهِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَيْفَ يَشْتَكِي مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ
وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَخَيْرُ الْحَاكِمِينَ حَلِيمٌ خَبِيرٌ رَوُوفٌ رَحِيمٌ
لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ

فَإِنْ شَكَوْتَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْ فِي حَالِ بَلَاءٍ « وَأَنْتَ مُعَافٍ » بعافية القلب
والبدن التي هي أعز النعم « وَعِنْدَكَ نِعْمَةٌ مِمَّا » من نعمة جملة حالية « طَلَبْتَ لِزِيَادَةٍ، وَ
تَعَامِيًا عَمَّا لَهُ » تَعَالَى «عِنْدَكَ مِنَ النِّعْمَةِ» التي لا يخلو عنها أحد «وَالْعَافِيَةِ» قوله
طلباً و تعامياً مفعول له لشكوت «اسْتِزْرَاءً» مفعول له لتعامياً أي تحقيراً «بِهِمَا»
أي بالنعمة والعافية «غَضَبَ» الرب «عَلَيْكَ وَأَزَالَهُمَا عَنْكَ وَحَقَّقَ شُكُوكَكَ»
بإزالتها؛ فَإِنَّ الشُّكُوى إنما يتحقق إذا لم يوجد النعمة والعافية «وَضَاعَفَ بَلَاءَكَ»
بضم زوالهما مع ما لحقك أولاً «وَشَدَّدَ عَقُوبَتَكَ» بسلبهما «وَمَقَّتَكَ» بشكوك
«وَقَلَّاكَ» تركك في بلاءك فلا يرفع عنك «وَأَسْقَطَكَ مِنْ عَيْنِهِ» أي قبوليته
«إِحْذِرِ الشُّكُوى جِدًّا، وَلَوْ قُطِعَتْ» بصيغة المجهول «وَقُرِضَ لَحْمُكَ بِمِقَارٍ يُضَى
إِيَّاكَ إِيَّاكَ» أي بَعْدَهُ نَفْسُكَ مِنَ الشُّكَايَةِ وَالشُّكَايَةِ مِنْكَ «ثُمَّ إِيَّاكَ» أي بَعْدَ نَفْسِكَ

من الشكاية تبعيدا بعد تبعيد «الله الله» أي احذر الله في الشكوى «تُمُّ الله» أي ثم احذر الله حذرا بعد حذر «الْتَجَا الْتَجَا» أي اطلب النجا بترك الشكوى «الْحَذَرُ الْحَذَرُ» أي احذر الحذر الكامل من الشكوى «فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَنْزِلُ بِإِثْنِ آدَمَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَالْمِحْنِ لِشِكْوَاهُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ» بإصابة ما لا يوافق طبعك «كَيْفَ يَشْتَكِي مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فلا يخلو من وصول رحمته إليك «وَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» إنما حكم عليك ببلاء لحكمة «حَلِيمٌ» لا يؤاخذ بما صدر عنك كثيرا «خَيْرٌ» عالم بحالك غير غافل عنك «رَوْفٌ رَحِيمٌ» فلا يتركك في بلاءك «لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ» يلطف بك بإزالة ما بك من المحن «لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ» فما أنزل بك من البلاء ليس ظلما منه حتى تشكو بل بشؤم معصيتك فلا تلو من إلا نفسك

كَطَيْبٍ حَلِيمٍ شَفِيقٍ لَطِيفٍ قَرِيبٍ، هَلْ يَتَّهَمُ الْوَالِدُ
الشَّفِيقُ أَوْ الْوَالِدَةُ الشَّفِيقَةَ الرَّحِيمَةَ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ
سَلَّمَ: "اللَّهُ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلَدِهَا"^(١) أَحْسَنِ الْأَدَبِ يَا
مُسْكِينُ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِفِئَةٍ يُخْسِبُهُ الظَّنُّ مَاءٌ ط
حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ﴾ [النور، رقم السورة: ٢٤، رقم الآية: ٣٩]

فاعلم أن حال ربك معك «ك» حال «طَيْبٍ حَلِيمٍ شَفِيقٍ لَطِيفٍ

(١) لم نجد بهذا اللفظ، ورواه الشيخان: عن عمر بن الخطاب، أنه قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبيافي السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللَّهُ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا" انظر الصحيح لمسلم كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى برقم: ٢٧٥٤، الصحيح للبخاري في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٥٩٩٩، واللفظ لمسلم.

قَرِيبٍ» فيما فعلك^(١) بك من عطاء دواء مُرّ بشيع^(٢) و منع طعامٍ لذيذ، و شرب حلو بارد لعلمه أن نفعك فيه؛ فإنك لا تتهمه بأنه فعل بك ذلك بغضا أو عداوة فكيف تتهم ربك الذي خلقك و رباك و أكرمك و عززك و كبرك في إعطاء ما لا يوافق طبعك مع كمال حلمه و علمه و لطفه فاعتبر بذلك ثم اعتبر. «هَلْ يُتَّهَمُ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ أَوْ الْوَالِدَةُ الشَّفِيقَةُ الرَّحِيمَةُ» بأن يعذب هو ولده أو هي ولدها فكيف تتهم الرب تعالى و هو أرحم الراحمين من كل شيء.

«قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ» مبتدأ مصدر بلام التأكيد «أَرْحَمُ بَعْدَهُ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلَدِهَا. أَحْسَنُ الْأَدَبِ يَا مَسْكِينُ» مع الرب تعالى.

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ» الأرض جمع قاع أي فلاة و هو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري «يَحْسَبُهُ» يظنه «الظَّمْآنُ» العطشان «مَاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا» مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات و قدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه «وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ» عند عمله «فَوَفَّهُ حِسَابَهُ» أي أنه جازاه عليه في الدنيا «وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» أي المجازاة، القiecie بمعنى القاع و هو الأرض المستوية و قيل جمعه.

تَصَبَّرْ عِنْدَ الْبَلَاءِ إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الصَّبْرِ ثُمَّ اصْبِرْ إِنْ ضَعُفْتَ
عَنِ الرِّضَا وَالْمُوَافَقَةِ، ثُمَّ إِزْضَ وَوَافِقْ إِنْ وَجَدْتَ، ثُمَّ أَفِنْ إِنْ فَقَدْتَ
أَيُّهَا الْكَبِيرُ الْأَخْمَرُ أَيْنَ أَنْتَ تُوْجَدُ وَتُرَى، أَمَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ ۖ وَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَخَيْرُهُ لَكُمْ ۖ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

«تَصَبَّرْ» بالتشديد «عِنْدَ الْبَلَاءِ» أي تكلف الصبر «إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الصَّبْرِ

(١) في المخطوطة "فعلك" والصواب ما أثبتنا، ١٢، المشاهدي

(٢) البشيع: طعام بشيع من البشيع: كرهه بأخذ بالخلق بين البشاعة، فيه حفوف و مرارة كا لإهليج ونحوه. المشاهدي

ثُمَّ اصْبِرْ» بعد عادتكَ على الصبر بالتكلف «إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الرِّضَاءِ» بالقضاء «وَالْمُؤَافَقَةِ» للقدر «ثُمَّ ارْضَ» بالقضاء «وَوَافِقُ» للقدر «إِنْ وُجِدَتْ» أي إن كنت شَعُرْتَ بنفسك ولم يحصل لك الغناء «ثُمَّ افْنِ» عن البلاء «إِنْ فُقِدَتْ» عنك وعن الخلق في الله تعالى «أَيُّهَا الْكَبِيرُيْتُ الْأَحْمَرُ» أي الكامل في نفسه المكمل لغيره كما هو شأن الكبريت الأحمر «أَيَّنَ أَنْتَ» إن دَقَقْتَ النظر «أَيَّنَ تُوجَدُ وَتُزَى» إن تعمقت الفكر فما هذا الوجود لما سوى الله عز وجل إلا كسراب بقية الأرض أي المستوية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً مما حسبه ووجد الله عنده محاسباً إياه فوفاه حسابه أي جزاء عمله، والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب حتى يقتضي طول المدة. «أَمَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ٢١٦]

طَوَى عَنْكَ عِلْمَ حَقِيقَةِ الْأَشْيَاءِ وَحَجَبَكَ عَنْهُ فَلَا تُسَيِّءِ
الْأَدَبَ فَتَكْرَهُ بِكَ أَوْ تُحِبَّ بِكَ إِيَّابِيعَ الشَّرْعِ فِي جَمِيعِ مَا يَنْزِلُ بِكَ إِنْ
كُنْتَ فِي حَالَةِ التَّقْوَى الَّتِي هِيَ الْقَدَمُ الْأُولَى، وَاتَّبِعِ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ فِي
حَالَةِ الْوِلَايَةِ وَتَحْمُودِ وَجُودِ الْهَوَى وَلَا تَجَاوِزْهُ وَهِيَ الْقَدَمُ الثَّانِيَّةُ،
وَارْضَ بِالْفِعْلِ وَوَافِقُ وَافِقٍ فِي حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ وَالْغَوَيَّْةِ وَالصِّدِّيقِيَّةِ وَ
هِيَ الْمُنتَهَى، تَنَحَّ عَنْ طَرِيقِ الْقَدْرِ، خَلِّ عَنْ سَبِيلِهِ، رُدِّ نَفْسَكَ وَ
هَوَاكَ، كُفِّ لِسَانَكَ عَنِ الشُّكْوَى فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا
زَادَكَ الْمَوْلَى طَيِّبَةً وَلَذَّةً وَسُرُورًا، وَإِنْ كَانَ شَرًّا حَفِظَكَ فِي طَاعَتِهِ
فِيهِ، وَازَالَ عَنْكَ الْمَلَامَةَ وَأَقْقَدَكَ فِيهِ حَتَّى يَتَجَاوَزَ عَنْكَ وَيَزْحَلَ
عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِهِ كَمَا يَنْقُضِي اللَّيْلُ فَيُسْفِرُ عَنِ النَّهَارِ، وَالْبَرْدُ فِي
السَّيِّئَةِ فَيُسْفِرُ عَنِ الصَّيْفِ ذَلِكَ أَلْمُؤَذِّجُ عِنْدَكَ فَاعْتَبِرْ بِهِ، ثُمَّ ذُنُوبُكَ وَ

أَقَامَ وَ أَجْرَامَ وَ تَلَوِيثَ بِأَنْوَاعِ الْمُحَاصِنِ وَالْخَطِيئَاتِ وَ لَا يَصْلُحُ
لِمَجَالَسَةِ الْكَرِيمِ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَّا الظَّاهِرُ عَنْ الْأَنْجَاسِ الدُّنُوبِ وَالزُّلَّاتِ
وَ لَا يَقْبَلُ سُدَّتَهُ إِلَّا الطَّيِّبُ مِنْ دَرَنِ الدَّعَاوِي وَالْهَلُوسَاتِ^(١) كَمَا لَا
يَصْلُحُ لِمَجَالِسِ الْمُلُوكِ إِلَّا الظَّاهِرُ مِنَ الْأَنْجَاسِ وَ أَنْوَاعِ النَّتَنِ
وَالْأَوْسَاحِ. وَ الْبَلَايَا مُكْفِّرَاتٌ مُطَهَّرَاتٌ.
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
”مُحْيَى يَوْمٌ كَفَّارَةٌ سَنَةٌ“^(٢).

«طَوَى عَنْكَ» أيها الإنسان «عِلْمَ حَقِيقَةِ الْأَشْيَاءِ وَ حَجَبَكَ عَنْهُ» و قد علمت أن الله تعالى بكل شيء عليم فاتبع أمره و فعله و أحله على علمه تعالى «فَلَا تُسِيءُ الْأَدَبَ» معه «فَتَكْرَهُ» شيئا «بِكَ» أي بنفسك و رأيك و هواك «أَوْ تُحِبَّ» شيئا «بِكَ» كذلك «إِتَّبَعَ الشَّرْعَ فِي جَمِيعِ مَا يَنْزِلُ بِكَ إِنْ كُنْتَ فِي حَالَةِ التَّقْوَى الَّتِي هِيَ الْقَدَمُ الْأُولَى» للسالكين «وَ اتَّبَعَ الْأَمْرَ الْبَاطِنِي إِنْ كُنْتَ فِي حَالَةِ الْوِلَايَةِ وَ خُجُودِ الْوُجُودِ الْهَوَى» عنك «وَ لَا تَجَاوِزُهُ» أي أمر الله تعالى بل كل ما أمرك في الباطن مما لم يحكم فيه الشرع بالوجوب والاستحسان، و لا بالحرمة والكراهة «وَ هِيَ» أي حالة الولاية «الْقَدَمُ الثَّانِيَّةُ» في السلوك «وَ اِرْضَ بِالْفِعْلِ» أي فعل الله تعالى بك بقضائه الأزلي «وَ وَافِقُ» قدره «وَ أَفْنِ» عنك إن كنت «فِي حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ وَالْعَوَاقِبَةِ وَالصِّدْقِيَّةِ وَ هِيَ» أي هذه الحالة الثالثة هي «الْمُنْتَهَى» في السلوك إلى الله تعالى تَنَحَّ أَي بَعْدَهُ «عَنْ طَرِيقِ الْقَدْرِ» فلا تزاحمه بالدفع بالدعاء والدواء «خَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» في مجيئه إليك بما علمه ربك «رُدَّ نَفْسَكَ وَ هَوَاكَ» فلا تتبع ما أمراك «كُفَّ لِسَانَكَ عَنِ الشُّكْوَى» في فعله تعالى بك إلى أحد «فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ» المذكور أولا

(١) هلوسة (علوم النفس) أخيلة يظنها الإنسان وقائع في حين أنها اخلاق ذهني مرضي ينتج عن اختلال عقلي، أو نتيجة لإدمان المحذرات. المشاهدي
(٢) انظر المقاصد الحسنة ”وحي ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة“ وله شاهد عن أبي الدرداء موقوفا، ورواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات. ١٢. المشاهدي

من السلوك في الأحوال الثلاث حالة التقوى، و حالة الولاية، و حالة البدلية، و أخيراً من رد النفس والهوى والكف عن الشكوى.

«فَإِنْ كَانَ» ما نزل بك «خَيْرًا زَادَكَ الْمَوْلَى» بفعلك الجميل لك في ذلك الأمر الخير «طَيِّبَةً وَلَذَّةً وَسُرُورًا» في جميع أمورك ويرزقك المشاهدة «وَأِنْ كَانَ» ما نزل بك «شَرًّا حَفِظَكَ» مولاك «فِي طَاعَتِهِ فِيهِ» أي فيما نزل بك «وَأَزَالَ عَنْكَ الْمَلَامَةَ» والعار فلا يظن الخلق في حقك أن ربك أخذك بذنبك بل «وَأَفْقَدَكَ فِيهِ» أي فيما نزل بك عنك، أو عما نزل بك «حَتَّى يَتَجَاوَزَ» ما نزل بك «عَنْكَ، وَ يَرْحَلَ» و يسافر «عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِهِ كَمَا يَنْقُضِي اللَّيْلُ فَيُسْفِرُ أَي يَظْهَرُ» عَنِ النَّهَارِ «فَيَظْهَرُ النَّهَارُ بِضِيَاءِهِ، «و» ينقضي «الْبَرْدُ فِي الشِّتَاءِ، فَيُسْفِرُ» أي يَظْهَرُ «عَنِ الصَّيْفِ» فيَظْهَرُ الصَّيْفُ بِحَرَارَتِهِ «ذَلِكَ» المذكور من انقضاء الليل والبرد، وإسفار الصبح و الصيف «أَتُمُودِّجُ» معرب نمونه «عِنْدَكَ فَأَعْتَبِرْ» أنت «بِهِ» و لا تظن أن في حقوق الشربك ليس إلا مجرد التقدير بل اعلم «ثُمَّ ذُنُوبٌ» جمع ذنب «وَأَثَامٌ» جمع إثم «وَأَجْرَامٌ» جمع جرم «وَتَلَوِيثٌ» أي خلط «بِأَنْوَاعِ الْمُعَاصِي وَالْخَطِيئَاتِ» فيك «وَلَا يَصْلُحُ لِمُجَالَسَةِ الْكَرِيمِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا الظَّاهِرُ عَنِ الْأَنْجَاسِ الذُّنُوبِ وَالزَّلَّاتِ، وَ لَا يَقْبَلُ سُدَّتَهُ» أي سدة باب قبوليته «إِلَّا الطَّيِّبُ مِنْ دَرَنِ الدَّعَاوِي» أي دعوى كان؛ فإن المدعي يطلب بالبرهان، وإقامة البرهان مما يشكل في كل حين و زمان وَالْهَلُوسَاتِ فإن الهلوس لا يصل إلى كنه المراد «كَمَا لَا يَصْلُحُ لِمُجَالَسِ الْمُلُوكِ إِلَّا الظَّاهِرُ مِنَ الْأَنْجَاسِ وَ أَنْوَاعِ النَّثَنِ وَالْأَوْسَاحِ» فهو أيضاً أنموذج، و لذا قيل خدمة الملوك نصف السلوك؛ فإن الأداب الدنيوية أنموذج للأدب الدينية. «و» اعْلَمْ أَنَّ «الْبَلَايَا» من الله تعالى «مُكْفِّرَاتٌ» للذنوب «مُظْهِرَاتٌ» عنها.

«قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حُمِّي يَوْمَ كَفَّارَةِ سَنَةٍ»^(١)

الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ عَشَرَ

في بيان وفاء ما وعد الله تعالى أَلْبَتَّةَ لِلْعَبْدِ حِينَ ضَعُفَ إِيمَانُهُ،
وَالْإِتِّقَالَ مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ حِينَ قُوَّةَ إِيمَانِهِ وَكَمَالَ يَقِينِهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا كُنْتَ ضَعِيفَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَ
وَعَدْتَ بِوَعْدٍ وَفَّ بِوَعْدِكَ، وَ لَا تُخْلَفَ لِئَلَّا يَزُولَ إِيمَانُكَ، وَيَذْهَبَ
يَقِينُكَ، وَإِذَا قَوِيَ ذَلِكَ وَتَمَكَّنْتَ وَخُوطِبْتَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:
{إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف، رقم السورة: ١٢،
رقم الآية: ٥٤]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا كُنْتَ» أيها السالك «ضَعِيفَ الْإِيمَانِ
وَالْيَقِينِ» لقصور نظرك في عظمة الله، و ضعف محبته في قلبك «و وَعَدْتَ» من
جانب الله تعالى في تلك الحالة الضعيفة «بِوَعْدٍ» في أي أمر من أمورك «وَفَّ» وفاءً
حتمًا «بِوَعْدِكَ، وَ لَا تُخْلَفَ لِئَلَّا يَزُولَ إِيمَانُكَ وَ يَذْهَبَ يَقِينُكَ» بعدم حصول
الموعد لك «وَ إِذَا قَوِيَ ذَلِكَ» أي الإيمان واليقين «فِي قَلْبِكَ وَ تَمَكَّنْتَ» بصيغة
المجهول أي جعلك الله ذا تمكين و وقار لا يحركك الجلال والجمال والحصول
والزوال «وَ خُوطِبْتَ» من سرادقات القرب والمعرفة «بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ»: «
إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ». [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٥٤]

وَ تَكَرَّرَ هَذَا الْخِطَابُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَكُنْتَ مِنَ الْخَوَاصِ بَلْ
مِنْ خَاصِ الْخَاصِ وَ لَمْ يَتَّقْ لَكَ إِرَادَةُ وَ لَا مَطْلَبُ وَ لَا عَمَلٌ تُعْجِبُ
بِهِ، وَ لَا قُرْبَةٌ تَرَاهَا، وَ لَا مَنَزِلَةٌ تَلْمَحُهَا فَتَسْمُو هِمَّتُكَ إِلَيْهَا فَصُرَتْ
كَالِإِنَاءِ الْمُنْتَلَمِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ فِيهِ مَا نَبَغَ فَلَا يَثْبُتُ فِيكَ إِرَادَةُ وَ لَا
خَلْقٌ وَ لَا هِمَّةٌ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ دُنْيَا وَ أُخْرَى، وَ ظَهَرَتْ بِمَا سِوَى

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأُعْطِيتَ رِضَاكَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوُعِدْتَ
بِرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْكَ، وَلِدِدْتَ وَنُعِمْتَ بِأَفْعَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
أَجْمَعٍ فَحِينَئِذٍ تُؤْعَدُ بِوَعْدِهِ.

«وَتَكَرَّرَ هَذَا الْخِطَابُ» منه تعالى «حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَكُنْتَ مِنَ الْخَوَاصِ بَلْ صُرْتَ «مِنْ خَاصِ الْخَاصِ» الَّذِي فَنِي فِيهِ فَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ غَيْرُهُ «وَلَمْ يَتَّقِ لَكَ إِرَادَةً» غَيْرَ إِرَادَتِهِ «وَلَا مَطْلَبَ» غَيْرِ ذَاتِهِ تَعَالَى «وَلَا عَمَلٌ تُعْجِبُ بِهِ» لَأَنَّكَ مَا رَأَيْتَ الْعَمَلَ مِنْكَ حَتَّى تَعْجِبَ بِهِ «وَلَا» يَبْقَى لَكَ «قُزْبَةٌ تَرَاهَا» تَطْمَعُ فِي حَصُولِهَا لَكَ «وَلَا مَنَزِلَةٌ تَلْمَحُهَا» بِالْوَصُولِ إِلَيْهَا «فَتَسْمُو» أَي تَعْلُو «هَمَّتُكَ إِلَيْهَا» إِذْ لَا يَمِيلُ قَلْبُكَ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ إِلَى شَيْءٍ «فَصِرْتَ كَالْإِنَاءِ الْمُتَنَلِّمِ» أَي الَّذِي حَصَلَ فِيهِ الثَّلْمَةُ وَالثَّقْبَةُ «الَّذِي لَا يَثْبُتُ فِيهِ مَائِعٌ» ذُو سِيلَانٍ وَرِقَّةٌ «فَلَا يَثْبُتُ فِيكَ إِرَادَةٌ وَلَا خَلْقٌ وَلَا هِمَّةٌ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ دُنْيَا» كَانَ «وَأُخْرَى، وَظَهَرَتْ مِمَّا سَوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأُعْطِيتَ رِضَاكَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَوُعِدْتَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْكَ» وَصُرْتَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ». [المجادلة، رقم السورة: ٥٨، رقم الآية: ٢٢]

«وَلِدِدْتَ» بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ وَظُهُورِ أَسْرَارِهِ «وَنُعِمْتَ» أَي جَعَلْتَ مَنْعَمًا «بِأَفْعَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَجْمَعٍ» لَطْفًا وَاحْسَانًا^(١) وَقَهْرًا وَامْتِحَانًا «فَحِينَئِذٍ» جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: «إِذَا قَوَى ذَلِكَ فِي قَلْبِكَ» أَي حِينَ صُرْتَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ «تُؤْعَدُ» مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى «بِوَعْدِهِ» مِنْ أَيِّ جَنْسٍ كَانَ فَلَا يَخْلُو حَالُكَ مِنْ أَنْ تَطْمَنَ إِلَى ذَلِكَ الْوَعْدِ وَتَطْلُبَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الطَّلَبُ مِنْكَ بِكَ بَلْ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَوْ لَا تَمِيلُ إِلَيْهِ وَلَا تَطْلُبُهُ.

فَإِذَا أَظْهَرْتَ إِلَيْهِ، وَوَجَدْتَ فِيكَ إِمَارَةً إِرَادَةً مَّا تُفْعَلُ عَنْ
ذَلِكَ الْوَعْدِ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، وَصَرَفْتَ إِلَى أَشْرَفِ مِنْهُ، وَعَوَّضْتَ

(١) في المخطوطة "واحسان" والصواب ما أثبتنا. المشاهدي

عَنِ الْأَوَّلِ بِالْغِنَاءِ عَنْهُ، وَفُتِحَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ، وَ أُظْلِمَتْ عَلَى غَوَامِضِ الْأُمُورِ وَ حَقَائِقِ الْحِكْمَةِ وَ الْمَصَالِحِ الْمَذْفُوتَةِ فِي الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى مَا يَلِيهِ وَ يُزَادُ حِينَئِذٍ فِي مَكَاتِنِكَ فِي حِفْظِ الْحَالِ ثُمَّ الْمَقَامِ وَ فِي أَمَانَتِكَ فِي حِفْظِ الْأَسْرَارِ وَ شَرْحِ الصَّدْرِ وَ تَنْوِيرِ الْقَلْبِ وَ فِي فَصَاحَةِ اللِّسَانِ وَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَ فِي إِقْنَاءِ الْمُحَبَّةِ عَلَيْكَ فَجَعَلْتُ مَحْبُوبَ الْخَلِيقَةِ أَجْمَعِ الثَّقَلَيْنِ وَ مَا سِوَاهُمَا دُنْيَا وَ أُخْرَى؛ إِذْ صِرْتُ مَحْبُوبَ الْحَقِّ تَعَالَى وَ الْخَلْقِ تَابِعٍ لِلْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ مَحَبَّتُهُمْ مُنْذَرِجَةٌ فِي مَحَبَّتِهِ كَمَا أَنَّ بُغْضَهُمْ مُنْذَرِجَةٌ فِي بُغْضِهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

«فَإِذَا أَظْهَرْتُ إِلَيْهِ، وَ وَجِدْتُ فِيكَ إِمَارَةً إِرَادَةً مَا نَقُلْتُ عَنْ ذَلِكَ الْوَعْدِ الَّذِي وَعَدْتُ بِهِ «إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ» أَيِّ مِمَّا وَعَدْتُ «وَ صُرِفْتُ إِلَى» شَيْءٍ أَشْرَفَ مِنْهُ، وَ عَوِّضْتُ عَنِ الْأَوَّلِ بِالْغِنَاءِ عَنْهُ» فوجدت فيك مكان الطلب الغنى فحصل لك بدل هي نعم البدل «وَ فُتِحَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ وَ أُظْلِمَتْ عَلَى غَوَامِضِ الْأُمُورِ وَ حَقَائِقِ الْحِكْمَةِ وَ الْمَصَالِحِ الْمَذْفُوتَةِ» المخزونة «فِي الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْأَوَّلِ» الموعود «إِلَى مَا يَلِيهِ» الَّذِي أعطاك الله تعالى «وَ يُزَادُ حِينَئِذٍ فِي مَكَاتِنِكَ» و قرارك «فِي حِفْظِ الْحَالِ» الَّذِي وهب لك «ثُمَّ» يزداد في مكانتك في حفظ «الْمَقَامِ» الَّذِي أقمت فيه «وَ» يزداد «فِي أَمَانَتِكَ فِي حِفْظِ الْأَسْرَارِ» التي أفيضت عليك «وَ» يزداد في «شَرْحِ الصَّدْرِ» لك و للخلق بك «وَ» يزداد في «تَنْوِيرِ الْقَلْبِ» لك و للخلق بك «وَ» يزداد «فِي فَصَاحَةِ اللِّسَانِ» لك و للخلق بك «وَ» يزداد «فِي إِقْنَاءِ الْمُحَبَّةِ عَلَيْكَ، فَجَعَلْتُ» أنت «مَحْبُوبَ الْخَلِيقَةِ» أي الخلق «أَجْمَعِ الثَّقَلَيْنِ» أي الجن والإنس «وَ مَا سِوَاهُمَا دُنْيَا وَ أُخْرَى» فقلوه: «الثقلين و ما سواهما» بيان لقلوه: «الخليقة أجمع» و إنما جعلت محبوب الخلق كله «إِذْ صِرْتُ مَحْبُوبَ الْحَقِّ تَعَالَى، وَ الْخَلْقِ تَابِعٍ لِلْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» في المحبة والكرامة فما يكون محبوبه يكون محبوبه، و

ما يكون مكروهه يكون مكروهه « وَ مُحَبَّتُهُمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي مُحَبَّتِهِ كَمَا أَنَّ بُغْضَهُمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي بُغْضِهِ عَزَّ وَ جَلَّ » فإذا حصل الشامل حصل المشمول.

كَذَلِكَ إِذَا بَلَغْتَ هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي لَيْسَ لَكَ فِيهِ إِرَادَةُ شَيْءٍ
الْبَيِّنَةُ جُعِلَتْ لَكَ إِرَادَةُ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَإِذَا تَحَقَّقْتَ إِرَادَتَكَ لِذَلِكَ
الشَّيْءِ أُرِيْلَ الشَّيْءُ وَ أُعْذِمَ وَ صُرِفَتْ عَنْهُ فَلَمْ تُعْطَهُ فِي الدُّنْيَا وَ
عَوِّضَتْ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ بِمَا يَزِيدُكَ قُرْبَةً وَ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى،
وَ بِمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ فِي الْجَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَ جَنَّةِ الْهَآوَى، وَإِنْ كُنْتَ
لَمْ تَطْلُبْ ذَلِكَ الشَّيْءَ وَلَمْ تَأْمَلْهُ وَلَمْ تَرْجُهِ وَ أَنْتَ فِي دَارِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ
دَارُ الْفَنَاءِ وَ التَّكَالُيفِ وَ الْعَنَاءِ بَلْ رَجَاءُكَ وَ أَنْتَ فِيهَا وَجْهَ الَّذِي خَلَقَ
وَ بَرَأَ وَ مَنَعَ وَ أَعْطَى وَ بَسَطَ الْأَرْضَ وَ رَفَعَ السَّمَاءَ إِذْ ذَاكَ هُوَ الْمُرَادُ
وَ الْمَطْلُوبُ وَ الْمُتَى، وَ رَبُّمَا عَوِّضَتْ عَنْ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ أَوْ
مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ انْكِسَارِ قَلْبِكَ بِصَدِّكَ عَنْ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ وَ الْمُرَادِ
وَ الْمُتَى وَ تَحَقُّقِ الْعَوِّضِ فِي الْآخِرَى، عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَ بَيَّنَّا.

« وَ كَذَلِكَ » أي كما انتقلت من الموعود المخصوص إلى آخر أعلى منها كذلك
« إِذَا بَلَغْتَ هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي لَيْسَ لَكَ فِيهِ إِرَادَةُ شَيْءٍ الْبَيِّنَةُ جُعِلَتْ لَكَ إِرَادَةُ شَيْءٍ مِنَ
الْأَشْيَاءِ » من غير وعد بذلك، فالمراد بالصورة الأولى موعود و هنا غير موعود، و
هذا وجه الفرق بينهما، فتأمل « وَ إِذَا تَحَقَّقْتَ » فيك « إِرَادَتُكَ لِذَلِكَ الشَّيْءِ » الَّذِي
جعلت لك إرادته « أُرِيْلَ » ذلك « الشَّيْءِ » المراد « وَ أُعْذِمَ » ذلك الشيء « وَ
صُرِفَتْ عَنْهُ » أي عن ذلك الشيء « فَلَمْ تُعْطَهُ » أي ذلك الشيء « فِي الدُّنْيَا وَ
عَوِّضَتْ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ » أي القيامة « بِمَا يَزِيدُكَ قُرْبَةً وَ زُلْفَى » عطف تفسيري
« إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى وَ بِمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ فِي الْجَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَ جَنَّةِ الْهَآوَى »
علم لواحد من الجنات، والفردوس أيضا علم لواحد منها « وَ إِنْ كُنْتَ » عطف
على قوله: « فَإِذَا اطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ » الدال على الطلب أي فإذا طلبت ذلك الشيء

واطمأنت إليه نُقِلْتُ عن ذلك، وإن كنت أيها السالك «لَمْ تَطْلُبْ ذَلِكَ الشَّيْءَ»
 الَّذِي وَعَدْتَهُ «وَلَمْ تَأْمَلْهُ وَلَمْ تَرْجُهُ، وَأَنْتَ فِي دَارِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ دَارُ الْفَنَاءِ وَالتَّكَالُفِ
 وَالْعَنَاءِ بَلْ رَجَاءُكَ» و مطلوبك «وَأَنْتَ فِيهَا» جملة حالية والخبر قوله «وَجْهَهُ»
 الله «الَّذِي خَلَقَ وَبَرَأَ» كل شيء «وَمَنْعَ» لمن أراد منعه «وَأَعْطَى» لمن أراد
 عطاءه «وَبَسَطَ الْأَرْضَ» بساطا و فراشا للخلق «وَرَفَعَ السَّمَاءَ» سقفا محفوظا
 للخلق، وإنما كان رجاءك وجه الله تعالى «إِذْ ذَاكَ» أي وجه الله تعالى «هُوَ الْمُرَادُ
 وَالْمَطْلُوبُ وَالْمُتَى، وَرُبَّمَا عَوِّضَتْ» جواب لقوله: «إِنْ كُنْتَ لَمْ تَطْلُبْ» كما أن
 قوله: «نُقِلْتُ» في قسيمه جواب: «إِذَا اطمأنت» «عَنْ ذَلِكَ» أي الموعود «بِمَا هُوَ
 أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ» الموعود «أَوْ مِثْلُهُ» أي الموعود «فِي الدُّنْيَا بَعْدَ انْكِسَارِ قَلْبِكَ
 بِصَدِّكَ» أي حفظ الله تعالى إياك «عَنْ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ وَالْمُرَادِ وَالْمُتَى» الَّذِي وَعَدْتَ
 به «وَعَنْ ذَلِكَ» تَحَقُّقِ الْعَوِّضِ فِي الْآخِرَى «أَيِ الْقِيَمَةِ» عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَبَيَّنَّا.

من أنك عوضت عنه في الآخرة بما يزيدك قربة و زلفى إلى العلى الأعلى، و
 ما تقرُّ به عينك في الفردوس الأعلى، فهذه الحالة أعلى من الأولى، ولذا جُوزِيَ فيها
 عاجلا بإعطاء مثله و آجلا بالعوض عنها أعلى، والقسم الثاني الَّذِي اقتضاه ربما
 عوضت محذوف هو كقولنا: وربما لم تعوض به في الدنيا بل في الآخرة فقط، فتأمل.

الْمَقَالَةُ الْعِشْرُونَ

فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْ مَا يُرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيئُكَ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «دَعْ مَا يُرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيئُكَ»^(١) إِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مَا
 يُرِيئُكَ مَعَ مَا لَا يُرِيئُكَ فَخُذْ بِالْعَزِيمَةِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا رَيْبٌ وَلَا
 شَكٌّ وَدَعْ مَا يُرِيئُكَ، وَآمَّا إِذَا تَجَرَّدَ الْمُرِيبُ الْمَشُوبُ لَمْ يَصِفْ عَنْ
 حَزِّ الْقَلْبِ وَحِكْمِهِ فَتَوَقَّفْ فِيهِ وَانْتَظِرِ الْأَمْرَ فِيهِ، فَإِنْ أَمِرْتَ بِتَنَاوُلِهِ
 فَذُنُوكَ وَإِنْ مُنِعْتَ فَكُفَّ عَنْ تَنَاوُلِهِ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَكَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
 وَلَمْ يُوجَدْ، إِزْجِعْ إِلَى الْبَابِ وَابْتَغِ عِنْدَ رَبِّكَ الرِّزْقَ إِنْ ضَعُفَتْ عَنِ
 الصَّبْرِ أَوِ الْمَوَافَقَةِ وَالرِّضَا أَوِ الْفَنَاءِ فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُذَكَّرَ
 فَإِنَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْكَ وَلَا عَنْ غَيْرِكَ، هُوَ عَزَّ وَجَلَّ يُطْعِمُ الْكُفَّارَ
 وَالْمُتَافِقِينَ وَالْمُتَرَدِّينَ فَكَيْفَ يَنْسَاكَ إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ الْمُقْبِلُ عَلَى
 طَاعَتِهِ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِ فِي آثَاءِ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:»

«دَعْ مَا يُرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيئُكَ» مِنْ رَابِ يَرِيبُ بِفَتْحِ حَرْفِ الْمُضَارَعَةِ وَ
 ضَمِّهَا بِمَعْنَى يَوْقَعُكَ فِي الشَّكِّ لَكِنْ الْفَتْحُ أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ صَرَحَ بِهِ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي
 آخِرِ أَرْبَعِينَهِ، وَجَاءَ أَرَابُ يُرِيبُ بِضَمِّهَا أَيْضًا بِمَعْنَاهُ أَيْ اِتْرَكَ مَا يَوْقَعُكَ فِي الشَّكِّ
 ذَاهِبًا «إِلَى مَا لَا يُرِيئُكَ. إِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مَا يُرِيئُكَ مَعَ مَا لَا يُرِيئُكَ» يَعْنِي إِذَا

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي أَوَّلِ بَابِ «تَفْسِيرِ الْمَشَبَّهَاتِ». وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ
 فِي أَبْوَابِ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بِرَقْمِ: ٢٥١٨، وَالنَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ فِي الْحَثِّ عَلَى تَرْكِ
 الشَّبَهَاتِ، بِرَقْمِ: ٥١١، وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِرَقْمِ: ١٧٢٣، وَ١٧٢٧، وَ١٢٠٩٩، وَ،
 ١٢٥٥٠. الْمَشَاهِدِيُّ

اجتمع عندك أمران و أنت تعرف أن واحدا منهما عزيمة، و هو المراد بما لا يريبك، والآخر رخصة، و هو المراد بما يريبك «فَخُذْ بِالْعَزِيمَةِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا» في الواقع «رَيْبٌ وَلَا شَكٌّ» والرخصة قلما يصفو عن الشك «وَدَعْ مَا يُرِيئُكَ» و طريق معرفة العزيمة إذا اشتبه أن تنظر أيها أثقل على النفس فما كان أثقل فاتبعه، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا، «وَأَمَّا إِذَا تَجَرَّدَ الْمُرِيبُ» أي المشكوك «الْمَشُوبُ» المخلوط «لَمْ يَصْفُ عَنْ حَزِّ الْقَلْبِ وَ حَكِّهِ» قال في الصحاح كل شيء حك في صدرك فقد حزه، و قال في الحك حككت الشيء أحكته، و ما حك في صدري منه شيء أي ما خالج في القلب، و حكه عطف تفسيري أي عند شيء و له وجه واحد، و لا ينشرح صدرك في فعله و تناوله، فاعلم أن ذلك لا يخلو عن إثم كما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِلَّا تُمْ حَزَّازُ الْقُلُوبِ»^(١) و أيضا عنه عليه الصلوة والسلام: «إِذَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعَهُ»^(٢)

«فَتَوَقَّفْ فِيهِ» أي في ذلك المشكوك «وَأَتْتَظِرِ الْأَمْرَ» أي أمر الله تعالى «فيه» في ذلك المريب كما هو شأن أولياء الله تعالى «فَإِنْ أُمِرْتَ» في باطنك «بِتَنَائُلِهِ فَدُونَكَ» اسم فعل بمعنى خذ ذلك الأمر «وَإِنْ مُنِعْتَ» في باطنك عن تناول ذلك الأمر «فَكَفَّ» نفسك «عَنْ تَنَائُلِهِ» فإنه شر «فَلْيَكُنْ ذَلِكَ» المريب

(١) روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «الإثم حواز القلوب» وفي رواية: حواز الصدور أخرجه الطبراني في الكبير برقم: ٨٧٤٧، والبيهقي في الشعب برقم: ٧٢٧٧، وذكره الهيثمي في المجمع، وقال: رواه الطبراني بأسانيد رجالها ثقات، وفي معناه قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٣٧٧) هي الأمور التي تحز فيها، أي تؤثر كما يؤثر الحز في الشيء، وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصي لفقد الطمانينة إليها أي يحوزها و يملكها و يغلب عليها، و يروى «حزاز القلوب» مأخوذاً من الحز و هو القطع من الشيء في غير إبانة كما يقال هذا الأمر حز في صدري أي في قلبي أي أثر فيه، ومقصود ذلك أن الإثم له أثر في صد القلب و ظلمة عن الحق، و جرأته على الظلم والعدوان، والآثام، هي الذنوب والمعاصي التي تحز في القلب و تؤثر فيه كما يؤثر الحز في الشيء، وعلى العاقل أن يحذر مغبة الآثام، فإن نارها تحت الرماد، ولا خير في الدنيا إذا كان في القلب طريق مفتوح لتحصيل الذنوب، وقد أمر الله تعالى بترك الإثم الظاهر والخفي. المشاهدي (٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: ٢٢١٦٦، عن أبي أمامة رضي الله عنه. المشاهدي

المشكوك «عِنْدَكَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ» تفسيره قوله: «وَلَمْ يُوجَدْ، إِرْجِعْ» بعد الكف عما منعت «إِلَى الْبَابِ» أي باب ربك تعالى «وَابْتَغِ» أي اطلب «عِنْدَ رَبِّكَ الرِّزْقَ إِنْ ضَعُفَتْ عَنِ الصَّبْرِ» عن الطلب كما هو شأن المتقين «أَوِ الْمُؤَافَقَةَ» للقدر «وَالرِّضَاءَ» بالقضاء كما هو شأن الأولياء «أَوِ الْفَنَاءَ» عن نفسك و عما نزل بك كما هو شأن البدلاء والأبدال، وإن قويت على شيء من هذه الحالات الثلاث فلا تبتغ عند الله تعالى أيضًا «فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُذَكَّرَ» فتذكره مرادك بطلبك عنه وكيف يحتاج إلى التذكير «فَإِنَّهُ» تعالى «لَيْسَ بِغَافِلٍ» عن أحد من المخلوقات «لَا عَنْكَ وَلَا عَنْ غَيْرِكَ» وكيف تظن به تعالى أن يتغافل عنك إذ «هُوَ عَزَّ وَجَلَّ يُطْعِمُ الْكُفَّارَ وَالْمُتَافِقِينَ وَالْمُزْتَدِينَ فَكَيْفَ يَنْسَاكَ؟ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْمُؤَحَّدُ الْمُتَقَبِّلُ عَلَى طَاعَتِهِ» تعالى «الْقَائِمُ بِأَمْرِهِ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَاطْرَافِ النَّهَارِ» فقلوه: “فهو” عز وجل جملة معللة لمحذوف مدلول عليه بالشرطية الأولى، وقوله: “ليس بغافل” علة لعدم الاحتياج إلى التذكر، وقوله: “وهو يعظم” علة لعدم الغفلة، فتأمل. وهذا الوجه الذي ذكر في تفسير الحديث مما يقتضيه ظاهر لفظه جلي الحال عند أهل العلم.

و فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ: دَعَا مَا يُرِيئُكَ لِمَا لَا يُرِيئُكَ، دَعَا مَا فِي يَدِ الْخَلْقِ فَلَا تَطْلُبُهُ وَلَا تَعْلِقُ قَلْبَكَ بِهِ وَلَا تَرْجُو الْخَلْقَ وَلَا تَخَافُهُمْ، وَ خُذْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَهُوَ مَا لَا يُرِيئُكَ فَلْيَكُنْ لَكَ مَسْتَوْلٌ وَاحِدٌ وَ مُعْطَى وَاحِدٌ وَ مَرْجُوٌّ وَاحِدٌ وَ مُخَوَّفٌ وَاحِدٌ وَ هِمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي تَوَاصَى الْمَلُوكُ بِيَدِهِ تَعَالَى وَ قُلُوبُ الْخَلْقِ بِيَدِهِ الْيَنِيِّ هِيَ أُمَرَاءُ الْأَجْسَادِ. وَ أَمْوَالُ الْخَلْقِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ الْخَلْقُ وَكَلَاثَةُ وَ أَمْنَانُهُ وَ حَرَكََةُ أَيْدِيهِمْ بِالْعَطَاءِ لَكَ بِأَذْنِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ أَمْرِهِ وَ نَحْرُ يَكُمِ وَ كَفُّهَا عَنْ عَطَائِكَ كَذَلِكَ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

﴿وَاسْتَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء، رقم السورة: ٤، رقم

[الآية: ٣٢]

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا
عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
[العنكبوت، رقم السورة: ٢٩، رقم الآية: ١٧]

وَقَالَ:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٨٦]

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ط﴾ [غافر، رقم السورة: ٤٠، رقم
الآية: ٦٠]

وَقَالَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذريت، رقم
السورة: ٥١، رقم الآية: ٥٨]

وَقَالَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [أل عمران، رقم
السورة: ٣، رقم الآية: ٣٧]

«وَفِيهِ» أي في شرح الحديث «وَجْهٌ آخَرٌ» أدق من الأول وهو أن مراده عليه الصلوة والسلام «دَعَّ مَا يُرِيئُكَ لِمَا لَا يُرِيئُكَ» بمعنى «دَعَّ مَا فِي يَدِ الْخَلْقِ» من التنعيمات والتلذذات «فَلَا تَطْلُبْهُ» عنهم «وَلَا تَعْلَقْ قَلْبَكَ بِهِ، وَلَا تَرْجُو الْخَلْقَ، وَلَا تَخَافُهُمْ وَخُذْ» مرادك ومطلوبك «مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» تعالى «وَهُوَ» أي الله أو فضل الله «مَا لَا يُرِيئُكَ» وأن الله تعالى أعطى لك قلبا واحدا فإذا كان لك قلب واحد «فَلْيَكُنْ لَكَ مَسْئُولٌ وَاحِدٌ» هو فضل الله «وَمُعْطَى وَاحِدٌ» هو الله «وَمَرْجُو وَاحِدٌ» هو الله «وَمُخَوَّفٌ وَاحِدٌ» هو الله تعالى «وَهِمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي نَوَاصِي الْمُلُوكِ» وهو شعر مقدم الرأس «بِيَدِهِ تَعَالَى، وَقُلُوبُ الْخَلْقِ

بِيَدِهِ الَّتِي « أَي القلوب « هِيَ أَمْرَاءُ الْأَجْسَادِ » فَإِنْ حَرَكَةَ الْأَجْسَادَ وَ سَكُونَهَا بِإِرَادَاتِ الْقُلُوبِ التَّابِعَةِ لِإِرَادَاتِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء.^(١)

« وَأَمْوَالُ الْخَلْقِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْخَلْقُ وَكَلَائُهُ وَ أَمَنَاتُهُ » لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ لِأَنْفُسِهِمْ فَأَيْنَ أَنْتَ وَ آخِرُ « وَ حَرَكَةُ أَيْدِيهِمْ بِالْعَطَاءِ لَكَ بِإِذْنِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ أَمْرِهِ » أَي إِرَادَتِهِ « وَ تَحْرِيكِهِ » إِيَّاهَا إِلَيْكَ لَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ حَتَّى تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ « وَ كَفَّهَا » أَي مَنَعَ حَرَكَةَ أَيْدِي الْخَلْقِ « عَنْ عَطَائِكَ كَذَلِكَ » أَي بِإِذْنِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوَجَّهْ وَجْهَكَ إِلَى الْحَقِّ تَعَالَى مَعْرُضًا عَنِ الْخَلْقِ « كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: »

وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. [النساء، رقم السورة: ٤، رقم الآية: ٢٣]

« وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ » فِي صَرْفِ التَّوَجُّهِ عَنِ الْغَيْرِ:

إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ ط إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. [العنكبوت، رقم السورة: ٢٩، رقم الآية: ١٧]

« وَقَالَ » سُبْحَانَهُ بَيَانًا لِقُرْبِهِ وَ إِظْهَارًا لِلطَّفَةِ:

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ط أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ. [البقرة،

رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٨٦]

« وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: »

« أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ط ». [غافر، رقم السورة: ٤٠، رقم الآية: ٦٠]

« وَقَالَ » تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ:

« إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ». [الذريت، رقم السورة: ٥١، رقم الآية: ٥٨]

« وَقَالَ » عَزَّ وَجَلَّ:

« إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ». [أل عمران، رقم السورة: ٣، رقم الآية: ٣٧]

(١) لم نجد بهذا اللفظ، وروى الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ: عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، انظر كتاب القدر، باب تصريح الله تعالى القلوب كيف يشاء، برقم: ٢٦٥٤.

الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ

فِي رُؤْيَا قُدَّسَ سِرُّهُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ فِي الْمَنَامِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَأَيْتُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ فِي الْمَنَامِ وَأَنَا فِي
جَمْعٍ كَثِيرٍ فَهَمَمْتُ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: لِمَ تَقْتُلُنِي؟ وَمَا ذَنْبِي؟ إِنْ جَرَى الْقَدَرُ
بِالشَّرِّ لَا أَقْدِرُ أَنْ أُغَيِّرَهُ إِلَى خَيْرٍ وَأَنْقُلَهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ جَرَى الْقَدَرُ بِالْخَيْرِ
فَلَا أَقْدِرُ أَنْ أُغَيِّرَهُ وَأَنْقُلَهُ إِلَى الشَّرِّ، وَ أَيْ شَيْءٍ بِيَدِي. وَ رَأَيْتُ
صُورَتَهُ عَلَى صُورَةِ الْخُتَّانَا لَتَيْنِ الْكَلَامِ مَسْنُونِ الْوَجْهِ طَاقَاتٍ شَعِرٍ
فِي ذَقْنِهِ حَقِيرِ الصُّورَةِ دَمِيمِ الْخَلْقِ ثُمَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ تَبَسُّمٌ خَجِلٍ
وَوَجِلٍ وَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ ثَانِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ أَحَدٍ وَتِسْعِينَ
وَ أَرْبَعِ مِائَةٍ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَأَيْتُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ فِي الْمَنَامِ، وَأَنَا فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ
فَهَمَمْتُ بِقَتْلِهِ» بتأييد الله تعالى وتمكينه، «فَقَالَ» إبليس لي: «لِمَ تَقْتُلُنِي؟ يَا غَوِثَ
الْأَعْظَمِ» وَمَا ذَنْبِي إِنْ جَرَى الْقَدَرُ «أَيِ تَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَيْ مَادَةٍ كَانَ «بِالشَّرِّ»
فَإِنِّي «لَا أَقْدِرُ أَنْ أُغَيِّرَهُ إِلَى خَيْرٍ، وَأَنْقُلَهُ» أَيِ ذَلِكَ الشَّرِّ الْمَقْدَرِ «إِلَيْهِ» أَيِ إِلَى الْخَيْرِ
«وَ إِنْ جَرَى الْقَدَرُ بِالْخَيْرِ فَلَا أَقْدِرُ أَنْ أُغَيِّرَهُ» أَيِ ذَلِكَ الْخَيْرِ «وَأَنْقُلَهُ إِلَى الشَّرِّ»
فَأَيُّ تَصَرُّفٍ لِي «وَ أَيْ شَيْءٍ بِيَدِي» فتجاوزت عنه و لقد صدق إبليس في هذا
الكلام وإن كان كاذباً؛ فإن الكَذُوبَ قد يصدق كما ورد في حديث رواه ابن عدي
في الكامل والعقيلي في الضعفاء عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم أنه قال:

بُعِثْتُ دَاعِيًا وَ مُبَلِّغًا وَ لَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْهُدَى شَيْءٌ وَ خُلِقَ إِبْلِيسُ مُزَيَّنًا وَ لَيْسَ

إليه من الضلالة شيء.^(١)

«وَرَأَيْتُ صُورَتَهُ» أي إبليس «عَلَى صُورَةِ الْخُنَاثَا» لا على صورة الذكران والأنثى، «لَيْتَ الْكَلَامِ» مثل الأنثى بل الخنثى «مَسْنُونٌ الْوَجْهَ» أي طويله ففي الصحاح: رجل مسنون إذا كان في أنفه ووجهه طول، وفي القاموس: رجل مسنون الوجه مملّسه حسنه سهله، أو في وجهه وأنفه طول «طَاقَاتُ» جمع طاق بمعنى حلقات «شَعْرٍ فِي ذَقْنِهِ» بدل من فيه «حَقِيرُ الصُّورَةِ دَمِيمُ الْخَلْقِ» أي قبيحه ففي الصحاح: الدميم القبيح فاستحي مني، «ثُمَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ تَبَسُّمٌ خَجِلٌ» لعلمه بأنه لا يقدر على حيلة في شيء من أمري «وَوَجِلَ» لما رأى من القوة والقدرة على أخذه و بطشه حين هممت بقتله «وَذَلِكَ» الرؤيا كان «فِي لَيْلَةٍ الْأَحَدِ ثَانِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ أَحَدٍ وَتِسْعِينَ وَارْبَعِ مِائَةٍ» وقد يعلم من كلام المشائخ أن إبليس يظهر للسالكين في اليقظة عيانا للتلبيس والإغواء، ويتمثل بصور الصالحين كثيرا ولا يقدر التمثل بصورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا بصورة شيخ إذا كان الشيخ تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم مأذونا بالإرشاد من شيخه المأذون هكذا إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) انظر "الضعفاء الكبير" (٢/٩/٤١٩) ترجمة خالد بن عبد الرحمن أبو الهيثم، وقال العقيلي: خالد ليس بمعروف بالنقل، وحديثه غير محفوظ، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/٩١٠) من طريق آخر من خالد. المشاهدي

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ

في بيان أن ابتلاء الله تعالى المؤمنين على قدر إيمانهم

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ فَمَنْ عَظَّمَ إِيمَانَهُ وَكَثَّرَ وَتَزَايَدَ عَظَمَ بَلَاؤُهُ وَ الرَّسُولُ بَلَاءُهُ أَعْظَمُ، مِنْ بَلَاءِ النَّبِيِّ لِأَنَّ إِيمَانَهُ أَعْظَمُ وَ النَّبِيُّ بَلَاءُهُ أَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ الْبَدَلِ، وَ بَلَاءُ الْبَدَلِ أَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ الْوَلِيِّ، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَ يَقِينُهُ وَ أَصْلُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمَ: «إِنَّا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مِثْلَ».

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ فَمَنْ عَظَّمَ إِيمَانَهُ وَ كَثَّرَ» ثمراته «وَ تَزَايَدَ» يقينه «عَظَمَ بَلَاؤُهُ، وَ» لذا كان «الرَّسُولُ بَلَاءُهُ أَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ النَّبِيِّ لِأَنَّ إِيمَانَهُ أَعْظَمُ» من إيمان النبي حتى كان أولوا العزم من الرسل و هم خمسة سيدنا محمد و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى صلوات الله و سلامه عليهم بلاء هم أشد من بلاء إخوانهم من النبيين عليهم السلام «وَ النَّبِيُّ بَلَاءُهُ أَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ الْبَدَلِ» لأن مرتبة النبوة أعظم من مرتبة البدلية، لأن النبي والولي لا يبلغ درجة النبوة عند العلماء والمشائخ بالإجماع، لأن النبي مع ماله من الولاية معصوم عن المعاصي مأمون عن سوء العاقبة، والولي محفوظ لا معصوم «وَ بَلَاءُ الْبَدَلِ أَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ الْوَلِيِّ كُلُّ وَاحِدٍ» من المقربين مبتلى «عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَ يَقِينُهُ» فمن إيمانه أعظم و يقينه أزيد يكون بلاءه أعظم.

ثم اعلم أن الإيمان يزداد و ينقص عند الشافعي فلا إشكال حينئذ، و عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه الإيمان لا يزداد و لا ينقص فعلى مذهبه يكون المراد بالإيمان واليقين ههنا الخصوصية التي لكل واحد مع الله تعالى؛ فإنها متفاوتة جدا

على قدر مراتبهم عند الله تعالى «وَأَصْلُ ذَلِكَ» أي حجة أن ابتلاء كل على قدر إيمانه «قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ».

و مثله ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء؟

قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلba اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة هُوَنَ عليه فما زال كذلك حتى يمشي على الأرض ما له ذنب. رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي.^(١)

فَيَدِينُ اللَّهُ تَعَالَى الْبَلَاءَ لِلْهَوَلَاءِ السَّادَاتِ الْكَرَامِ حَتَّى يَكُونُوا أَبَدًا فِي الْحُضْرَةِ وَ لَا يَغْفَلُوا عَنِ الْيَقَظَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى يُجِبُّهُمْ فَهُمْ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ مَحْبُوبُ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْمَحَبِّ أَبَدًا لَا يَخْتَارُ بَعْدَ مَحَبَّتِهِ، إِذَا الْبَلَاءُ خُطَافٌ. لِقُلُوبِهِمْ وَ قَيْدٌ لِنَفُوسِهِمْ يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْمِيلِ إِلَى غَيْرِ مَظْلُونِهِمْ وَ الشُّكُونِ وَ الْإِزْتِكَانِ إِلَى غَيْرِ خَالِقِهِمْ، فَإِذَا دَامَ الْبَلَاءُ فِي حَقِّهِمْ ذَابَتْ أَهْوَاءُهُمْ وَ انْكَسَرَتْ نَفُوسُهُمْ وَ تَمَيَّزَ الْحَقُّ عَنِ الْبَاطِلِ فَتَزُولُ الشَّهَوَاتُ وَ الْإِرَادَاتُ وَ الْمِيلُ إِلَى اللَّذَاتِ وَ الرَّاحَاتِ دُنْيَا وَ أُخْرَى بِأَجْمَعِهَا إِلَى مَا يَلِي النَّفْسَ وَ يَصِيرُ الشُّكُونُ إِلَى وَغْدِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَ الْقَنَاعَةُ بِعَطَائِهِ، وَ الصَّبْرُ عَلَى بَلَائِهِ، وَ الْأَمْنُ

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ماجاء في الصبر على البلاء، برقم: ٢٣٩٨ وقال: حديث حسن صحيح، ابن ماجه في سننه، باب الصبر على البلاء، برقم: ٤٠٢٣، والدارمي في سننه باب في أشد الناس بلاء، برقم: ٢٨٢٥. واللفظ عندهم
عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. فيبتلي الرجل على حسب دينه. فإن كان دينه صلba اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة، وأخت حذيفة بن اليمان. وفي المخطوطة: عب أبي سعيد الخدري. المشاهدي

مَنْ شَرَّ خَلْقِهِ إِلَى مِمَّا يَلِي الْقَلْبَ وَالْيَقِينَ فَتَقَوَى شَوْكَةُ الْقَلْبِ فَتَصِيرُ
الْوَلَايَةُ عَلَى الْجَوَارِحِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْبَلَاءَ يَقْوِي الْقَلْبَ وَالْيَقِينَ، وَيُحَقِّقُ
الْإِيمَانَ وَالصَّبْرَ، وَيُضْعِفُ النَّفْسَ وَالْهَوَى؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا وَصَلَ الْأَلَمَ وَ
وَجَدَ مِنَ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ لِفِعْلِ الرَّبِّ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ وَشَكَرَهُ فَجَاءَهُ الْمُدُّ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّوْفِيقُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [ابراهيم، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٧]

«فَيَدِينُ اللَّهُ تَعَالَى الْبَلَاءَ لِهَؤُلَاءِ السَّادَاتِ الْكَرَامِ حَتَّى يَكُونُوا أَبَدًا فِي
الْحَضْرَةِ» أي الحضور مع الله تعالى «وَلَا يَغْفُلُوا عَنِ الْيَقِظَةِ» واليقظ في ساحة عز
الحضور حتى لا يفوتهم أدب من الآداب مع الرب تعالى «لِأَنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّهُمْ» أزيد
من حبهم إياه «فَهُمْ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ» والوداد والخلة «مَحْبُوبُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُحِبُّ
أَبَدًا لَا يَخْتَارُ بَعْدَ مَحَبَّتِهِ» فيبتليهم ببلاء ليقر بهم به إليه «إِذَا الْبَلَاءُ حُطَّافٌ».

لِقُلُوبِهِمْ» الخطاف بالفتح الشيطان، وبالضم الطائر أو الحديدة المعوجة
كالكوب يختطف به الشيء و يجمع على خطاطيف كذا في اللغة، والأخير هو
المناسب ههنا فالخطاف كالقَلَابِ أي البلاء قَلَاب لقلوبهم يجذب الله تعالى به
القلوب من الذهاب إلى الغير «وَقَيْدٌ لِنُفُوسِهِمْ» عن التوجه إلى ماسوى الله تعالى
«يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى غَيْرِ مَظْلُوبِهِمْ» الَّذِي هُوَ اللَّهُ سبحانه «وَالسُّكُونِ» أي
القرار «وَالْإِزْتِكَانِ» أي الميلان «إِلَى غَيْرِ خَالِقِهِمْ» وبهذا المعنى قال المشائخ:
الأولياء أطفال في حجر الحق أي في حفظه يحفظهم عما يوجب حط مرتبتهم «فَإِذَا
دَامَ الْبَلَاءُ» و في بعض النسخ: «فَإِذَا دَامَ ذَلِكَ» أي البلاء «فِي حَقِّهِمْ ذَابَتْ
أَهْوَاءُهُمْ» و في بعض النسخ: «أَهْوِيَّتُهُمْ» «وَانْكَسَرَتْ نُفُوسُهُمْ» عن التوجه إلى
غير الله تعالى «وَتَمَيَّزَ الْحَقُّ» عندهم وهو الله تعالى «عَنِ الْبَاطِلِ» وهو غير الله
تعالى، فلما جاء الحق وزهق الباطل «فَتَزَوَّلُ الشَّهَوَاتُ» الهوائية «وَالْإِرَادَاتُ»
النفسانية «وَالْمَيْلُ إِلَى اللَّذَاتِ وَالرَّاحَاتِ» الجسمانية الحيوانية «دُنْيَا» كما لا بناء

الدنيا «وَأُخْرَى» كما لطالب الأخرى، فإن طالب المولى فارغ عنها «بِاجْمَعِهَا إِلَى» غير ذلك من «مَا يَلِي النَّفْسَ» من الصفات المشتهاة لها؛ فإن النفس كما تشتهي لذات الدنيا تشتهي لذات الأخرى «وَيَصِيرُ السُّكُونُ» لهم بعد انكسار النفوس و زوال. شهواتها، وإرادتها الدنيوية والأخروية «إِلَى وَعْدِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَالرَّضَاءِ بِقَضَائِهِ، وَالْقَنَاعَةَ بِعَطَائِهِ، وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِهِ» لملاحظتهم قول الله تعالى: «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَشْكُرْ عَلَى نِعَمَائِي وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي فليخرج من تحت سمائي، و ليطلب ربًّا سِوَايَ» «و» يصير لهم «الْأَمْنُ مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ» لعدم رؤيتهم للخلق في تحقق الأشياء بل يرون الكل من الله تعالى «إِلَى» غير ذلك «بِمَا يَلِي الْقُلْبَ» من الصفات الحميدة كالشكر والثناء والتواضع والطاعة والصدق «وَالْيَقِينَ» والاطمينان «فَتَقْوَى» حينئذٍ «شَوْكَةُ الْقُلْبِ» و سلطنته «فَتَصِيرُ الْوِلَايَةُ عَلَى الْجَوَارِحِ» التصرف فيها من النفس والهوى^(١) «إِلَيْهِ» أي إلى القلب، و ذلك «لِإِنَّ الْبَلَاءَ يَقْوِي الْقُلْبَ وَالْيَقِينَ» لما ذكر أنه موجب للتوجه إلى جناب الحق، و التضرع إليه، والخشوع له «وَيُحَقِّقُ الْإِيمَانَ» بأن الله وحده مصرف الأمور «وَالصَّبْرَ» على ذلك البلاء؛ فإن الله تعالى ما ابتلاه غضبا بل رحمة «وَيُضَعِّفُ النَّفْسَ وَالْهَوَى؛ لِأَنَّهُ» أي الشان «كُلَّمَا وَصَلَ الْأَلَمَ» للمؤمن «وَوُجِدَ مِنَ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ وَالرَّضَاءُ وَالتَّسْلِيمُ لِفِعْلِ الرَّبِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ» أي عن ذلك المؤمن المولم الصابر «وَشَكَرُهُ» هو أي جزاه الله تعالى جزاء الشاكرين «فَجَاءَهُ» أي المؤمن المبتلى الصابر «الْمَدَدُ» من جانب الله بإعطاء الصبر الجميل، أو بإزالة البلاء اللاحق «وَالزِّيَادَةُ» في الاطمينان والقرار «وَالتَّوْفِيقُ» للرضاء والتسليم والتوجه إلى الله تعالى في حالة لحوق البلاء، وحالة زوالها عنه «كَمَا قَالَ تَعَالَى:

«لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» [إبراهيم: ١٢ / ٧]

وَإِذَا تَحَرَّكَتِ النَّفْسُ بِطَلَبِ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَدَّ مِنْ لَدَّاتِهَا
مِنَ الْقُلْبِ، فَاجَابَ الْقُلْبُ إِلَى مَطْلُوبِهَا وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَمْرِ مِنَ اللَّهِ

(١) يعني معزولي وتغيير نفس وهوى بسوء قلب سپرده شود۔ من الشارح

تَعَالَى وَمِنْ غَيْرِ إِذْنٍ مِنْهُ، حَصَلَتْ بِذَلِكَ غَفْلَةٌ عَنِ الْحَقِّ، وَ شِرْكٌ
وَمَعْصِيَةٌ فَعَمَّهَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخُذْلَانِ وَالْبَلَايَا وَتَسْلِيْطِ الْخَلْقِ وَالْأَوْجَاعِ
وَالْأَمْرَاضِ فَيَبَالُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ حَظَّهُ مِنْ ذَلِكَ.

«وَ إِذَا تَحَرَّكَتِ النَّفْسُ» من العبد «بِطَلَبِ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِهَا، وَ لَذَّةٍ مِنْ
لَذَاتِهَا مِنَ الْقَلْبِ» و ترغيبها للقلب على طلب ذلك من الله «فَأَجَابَ الْقَلْبُ»
لِلنَّفْسِ «إِلَى مَظْلُوبِهَا، وَ» كان «ذَلِكَ» الإجابة منه إلى مطلوبها «مِنْ غَيْرِ
أَمْرِ» ظاهري أو باطني «مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ مِنْهُ» تعالى ظاهرا و باطنا
«حَصَلَتْ» للقلب «بِذَلِكَ» الإجابة الغير المأمورة «غَفْلَةٌ عَنِ الْحَقِّ وَ شِرْكٌ»
خفي «وَمَعْصِيَةٌ» بالانهماك في الشهوات واللذات «فَعَمَّهَ» أي النفس بالطلب،
والقلب بالإجابة «اللَّهُ تَعَالَى بِالْخُذْلَانِ وَالْبَلَايَا وَ تَسْلِيْطِ الْخَلْقِ» بالتحقير والإهانة
«وَالْأَوْجَاعِ وَالْأَمْرَاضِ» لذلك المؤمن الَّذِي طلب نفسه بشهواتها، و أجاب قلبه إلى
مطلوبها بغير إذن الله تعالى «فَيَبَالُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ حَظَّهُ» الدنيوية
الفانية الخسيسة «مِنْ ذَلِكَ» المطلوب، أو نصيبه المقدر من ذلك الخذلان.

وَإِنْ لَمْ يُجِبِ الْقَلْبُ النَّفْسَ إِلَى مَظْلُوبِهَا حَتَّى يَأْتِيَهُ الْإِذْنُ مِنْ
قِبَلِ الْحَقِّ تَعَالَى بِإِلْهَامٍ فِي حَقِّ الْأَوْلِيَاءِ وَ وَحْيٍ صَرِيحٍ فِي حَقِّ
الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ فَيَعْمَلُ عَلَى ذَلِكَ عَطَاءً وَ مَنَعًا عَمَّهَ اللَّهُ تَعَالَى
بِالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَاتِ وَالطَّاعَةِ وَالرَّضَا وَالتَّوَرُّدِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْقُرْبِ وَالْغِنَى
وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ وَالتَّضَرُّعِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ، وَاحْفَظْهُ،
وَاحْذَرِ الْبَلَاءَ جِدًّا فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَى إِجَابَةِ النَّفْسِ وَالْهَوَى بَلْ تَوَقَّفْ
وَ تَرَقَّبْ فِي ذَلِكَ إِذْنِ الْمَوْلَى فَتَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

«وَ إِنْ لَمْ يُجِبِ الْقَلْبُ النَّفْسَ إِلَى مَظْلُوبِهَا» بل توقف في ذلك و توجه إلى
الله «حَتَّى يَأْتِيَهُ الْإِذْنُ» له «مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ تَعَالَى بِإِلْهَامٍ» منه تعالى «فِي حَقِّ الْأَوْلِيَاءِ
وَ وَحْيٍ صَرِيحٍ فِي حَقِّ الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ» و ظهور رخصة شرعية بالتبع

والاستفسار للمتقين وصالحى المؤمنين «فَيَعْمَلُ» القلب بذلك المطلوب «عَلَى ذَلِكَ» الإذن «عَطَاءً وَ مَنَعًا» بأن يؤذن له بالفعل أو بالمنع «عَمَّهُمَا» أي النفس الطالبة والقلب المتوقفة المتوجهة «اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ» أما للقلب فلتوقفه وتوجهه إلى الله تعالى، و أما للنفس فلعدم غلبتها على القلب في إنجاح مطلوبها «وَالْبَرَكَهَ وَالطَّاعَةَ وَالرَّضَاءَ وَالتُّورَ وَالْمُعْرِفَةَ وَالْقُرْبَ وَالْغِنَى وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْآفَاتِ وَالتُّصْرَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فَاعْلَمْ» أيها السالك «ذَلِكَ» المذكور من أن إجابة القلب للنفس موجبة للغفلة والمعصية، و عدم إجابته لها متوقفا إلى حصول الإذن من الله ثمرة للرضاء والعافية والبركة «وَاحْفَظْهُ» أي ذلك المذكور من الحالين في جميع حالاتك «وَاحْذَرِ الْبَلَاءَ» نِقْمَةً من الله تعالى «جِدًّا» البتة «فِي الْمُسَارَعَةِ» من قلبك «إِلَى إِجَابَةِ النَّفْسِ وَالْهَوَى» في ما طلبتا من مشتيهاتهما «بَلْ تَوَقَّفْ» أنت بقلبك وإن طلبت نفسك إلى مطلوب «وَتَرَقَّبْ فِي ذَلِكَ» الأمر المطلوب للنفس «إِذْنِ الْمُؤَلَّى» الَّذِي تولى أمرك من بدأ فطرتك إلى الآن «فَتَسْلِمَ» أنت بالتوجه إلى الله تعالى «فِي الدُّنْيَا وَالْعُقْبَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» لأنك ما ابتدأت في أمرٍ من أمورك بنفسك بل بإذن ربك، والله تعالى لا يؤاخذك بفعل أمرك به فاتبع أمره لتخلص عن عتابه.

الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ

في بيان الْقَنَاعَةِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِرْضَ بِالْذُّونِ وَالزَّمَّةُ جِدًّا حَتَّى يَبْلُغَ
الْكِتَابَ أَجَلَهُ فَتَنْقَلُ إِلَى الْأَعْلَى وَالْأَنْفَسِ، وَبِهِ تَهْتَأُ، وَفِيهِ تُبْقَى وَ
تُحْفَظُ بِلَا عَنَاءٍ وَلَا تَبَعَةٍ وَلَا عَدُوٍّ دُنْيَا أَوْ أُخْرَى ثُمَّ تَتَرَقَّى مِنْ ذَا إِلَى مَا
هُوَ أَقَرُّ عَيْنًا مِنْهُ وَأَهْنَأُ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَيُّهَا السَّالِكُ «إِرْضَ» فِي الدُّنْيَا «بِالْذُّونِ» أَي
قليل من الرزق «وَالزَّمَّةُ» أَي ذَلِكَ الدُّون «جِدًّا» الْبَتَّةُ بِهَمَّتِكَ الْعَلِيَّةِ «حَتَّى يَبْلُغَ
الْكِتَابَ» أَي مَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الضِّيقِ لَكَ «أَجَلَهُ» أَي وَقْتَهُ الْمَقْدَرُ، فَإِذَا بَلَغَ
ذَلِكَ الْوَقْتَ الْمَقْدَرُ «فَتَنْقَلُ» مِنْ ذَلِكَ الْمَضِيقِ الدُّنْيَا «إِلَى الْأَعْلَى» السَّنِيِّ، «و» مِنْ
ذَلِكَ الْأَخْسِ إِلَى «الْأَنْفَسِ» الشَّهِي الْبَهِيِّ، وَهُوَ ثُبُوتُ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ وَمُشَاهَدَةُ
الرَّبِّ الْوَلِيِّ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ وَتَعَبٍ مِنْكَ بِتَقْدِيرِهِ الْأَزَلِيِّ «وَبِهِ» أَي بِذَلِكَ الْأَعْلَى وَ
الْأَنْفَسِ «تُهْتَأُ» تَبَارَكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ «وَفِيهِ» أَي فِي ذَلِكَ الْأَعْلَى الْأَنْفَسِ «تُبْقَى» وَ
لَا تَزَالُ عَنْكَ ذَلِكَ الْأَعْلَى «وَتُحْفَظُ» عِنْدَكَ «بِلَا عَنَاءٍ» مِنْكَ فِي حَصُولِهِ وَإِبْقَائِهِ وَ
حِفْظِهِ «وَلَا تَبَعَةٍ» وَمُشَقَّةٍ وَمُحَنَةٍ وَتَكْلَفٍ «وَلَا عَدُوٍّ» وَتَجَاوُزُ لَكَ مِنَ الْأَعْلَى وَ
الْأَنْفَسِ إِلَى غَيْرِهِ «دُنْيَا» كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ «أَوْ أُخْرَى» أَوْ لَا تَجَاوُزُ لَكَ عَنْ ذَلِكَ
الْأَعْلَى إِلَى أَدُونِ غَيْرِهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْأُخْرَى «ثُمَّ تَتَرَقَّى» بِعِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى «مِنْ
ذَا» الْأَعْلَى «إِلَى مَا» أَي أَمْرٍ «هُوَ أَقَرُّ عَيْنًا» وَأَشْرَحُ صَدْرًا «مِنْهُ» أَي مِنْ ذَلِكَ
الْأَعْلَى الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلًا «وَأَهْنَأُ» لَكَ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى بِصَدَقِكَ مَعَهُ،
وَعَدَمِ تَطْلُعِكَ إِلَى مَا دُونِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْقِسْمَ لَا يَفُوتُكَ بِتَرْكِ الطَّلَبِ وَمَا لَيْسَ بِقِسْمٍ لَا

تَنَالَهُ بِحِزْمِكَ فِي الطَّلَبِ وَالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ فَاضْبِرْ وَالزِّمِ الْحَالَ
وَارْضَ بِهِ وَلَا تَأْخُذْ بِكَ فَتَبْتَلي، وَلَا تُعْطِ بِكَ حَتَّى تُؤْمَرَ وَلَا تَتَحَرَّكَ
بِكَ وَلَا تَسْكُنْ بِكَ فَتَبْتَلي بِكَ وَيَمْنُ هُوَ شَرُّ مِّنْكَ مِنَ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّكَ
بِذَلِكَ تَظْلِمُ وَالظَّالِمُ لَا يُغْفَلُ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[الانعام، رقم السورة: ٦، رقم الآية: ١٢٩]

وَأَنْتَ فِي دَارِ مَلِكٍ عَظِيمٍ أَمْرُهُ، شَدِيدٌ شَوْكَتُهُ، كَثِيرٌ جُنْدُهُ،
نَافِذٌ مَشِيتَتُهُ، قَاهِرٌ حُكْمُهُ، بَاقٍ مُلْكُهُ، دَائِمٌ سُلْطَانُهُ، دَقِيقٌ عِلْمُهُ،
بَالِغٌ حِكْمَتُهُ، عَدْلٌ قَضَائُهُ، لَا يَغْرُبُ عَنْهُ عَزٌّ وَجَلٌّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، لَا يُجَاوِزُهُ ظُلْمُ ظَالِمٍ وَأَنْتَ أَعْظَمُ الظَّالِمَةِ وَ
أَكْبَرُهُمْ جَرِيمَةً. لِأَنَّكَ أَشْرَكْتَ بِتَصْرِفِكَ فِيكَ وَفِي خَلْقِهِ عَزٌّ وَجَلٌّ
بِهَوَاكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[النساء، رقم السورة: ٤، رقم الآية: ١١٦]

فاجتهد بصرف التوجه عن غير الله تعالى «وَأَعْلَمُ» يقينا «أَنَّ الْقِسْمَ
الْمُقَدَّرَ» والنصيب الموقت لك في علم الله تعالى «لَا يَفُوتُكَ» البتة «بِتَرْكِ الطَّلَبِ»
والسعي منك «وَأَعْلَمُ أَيْضًا يَقِينًا أَنْ «مَا لَيْسَ بِقِسْمٍ» ونصيب لك في علم الله
تعالى «لَا تَنَالَهُ بِحِزْمِكَ» وجهدك «فِي الطَّلَبِ وَالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ» والمشقة
والتردد في التحصيل، فإذا تيقنت بالأمرين «فَاضْبِرْ» أنت بما أعطاك ربك
«وَالزِّمِ الْحَالَ الْمَوْهوبَ» لك الَّذِي أَنْتَ فِيهِ «وَارْضَ بِهِ» وسَلِّمْ أَمْرَكَ إِلَى مَوْلَاكَ
الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَرَبَّاكَ «وَلَا تَأْخُذْ» شيئا «بِكَ» بنفسك وإرادتك وهواك
«فَتَبْتَلي» بسبب ذلك إما بفوات ذلك المأخوذ عنك أو بوصول المحنة في حصوله،
والعتاب من الله تعالى في وصوله «وَلَا تُعْطِ» شيئا لأحد «بِكَ» أي بهواك و

نفسك «حَتَّى تُؤْمَرَ» من جانب الله تعالى إما بالأمر الظاهر الشرعي إن كنت في مرتبة التقوى، وإما بالأمر الباطني الخفي إن كنت في مقام الولاية «وَلَا تَتَحَرَّكْ» في شيء من أمورك ولا عن شيء منها «بِكَ» بهواك «وَلَا تَسْكُنْ» في شيء منها «بِكَ» بنفسك «فَتُبْتَلَى بِكَ» أي جعلك الله مبتلى باتباع نفسك وهواك فتقع في ذلك الاتباع بعيدا عن مولاك، وتصير عبد الهوى «وَلَا تَبْتَلَى» «بِمَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْكَ مِنَ الْخَلْقِ» جئنا كان أو إنسا «لِإِنَّكَ بِذَلِكَ» أي الفعل بهواك «تَظْلِمُ» على نفسك حيث وضعت اتباعك لهواك محلّ اتباعك لأمر مولاك فصرت بذلك ظالما «وَالظَّالِمُ لَا يُغْفَلُ عَنْهُ» لأن الغفلة والإعراض عن الظالم مناف لصفة العدل الواجب رعايته، فوجب أخذه إما بتسليط عادل عليه أو ظالم آخر مثله، ثم يسلط على ذلك أيضًا كذلك، «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى»

«وَكَذَلِكَ» أي كما أخذنا عصاة الجن والإنس بجعل بعضهم مسلطا على بعض «نُؤَلِّى بِغَضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أي نسلط بعضهم على بعض كما ورد «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١) أو معناه: تتبع بعضهم بعضا في النار، أو نكل بعضهم إلى بعض فيغويهم، والأول هو الموافق لغرض الكتاب «وَأَنْتَ فِي دَارِ مَلِكٍ» هذه الجملة، حالية والمعنى أنك صرت باتباع هواك ظالما، والظالم لا يغفل عنه، والحال أنك في دارملك «عَظِيمِ أَمْرُهُ، شَدِيدِ شَوْكَتُهُ» وقهره وغلبيه «كَثِيرِ جُنْدُهُ، نَافِذِ مَشِيئَتِهِ، قَاهِرِ حُكْمِهِ، بَاقٍ مُلْكُهُ، دَائِمِ سُلْطَانَتِهِ، دَقِيقِ عِلْمِهِ، بِالِغَةِ حِكْمَتُهُ، عَدْلٍ قَضَاءُهُ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَزٌّ وَجَلٌّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ لَا يُجَاوِزُهُ ظُلْمٌ ظَالِمٍ» بأن يفوته ولا يدركه «وَأَنْتَ أَعْظَمُ الظَّالِمَةِ وَأَكْبَرُهُمْ جَرِيمَةً» مثل الجرم بمعنى الذنب «لِإِنَّكَ أَشْرَكْتَ» في الطريقة والحقيقة مع الله تعالى «بِتَصَرُّفِكَ فِيكَ» بنفسك «وَلَا يَخْلُقُهُ عَزٌّ وَجَلٌّ بِهَوَاكَ» والتصرف خاصة حق الله تعالى، والشرك غير مغفور.

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:»

(١) انظر كنز العمال للمتقي برقم: ٥٧٩٣

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.» [النساء، رقم
السورة: ٤، رقم الآية: ١١٦]

المراد في الآية هو الشرك الجلي لكن الشرك الخفي أيضًا كفر في الطريقة
والحقيقة يجب المحافظة عنه عند الكاملين، والمراد بما دون الشرك في الشريعة هو
سائر المعاصي، وفي الطريقة هو التكاثر والتساهل بل السهو والنسيان أيضًا.

إِتَّقِ الشِّرْكَ جِدًّا وَلَا تَقْرُبْهُ وَاجْتَنِبْهُ فِي حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ وَ
لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي خَلُوتِكَ وَجَلُوتِكَ، وَاحْذَرِ الْمَعْصِيَةَ فِي جُمْلَةِ
الْجَوَارِحِ وَالْقُلُوبِ وَاتْرُكِ الْإِثْمَ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَمَا بَطَنَ وَلَا تَهَرَّبْ مِنْهُ عَزًّا
وَجَلًّا بِمُخَالَفَتِكَ لَهُ عَزًّا وَجَلًّا فَيَذَرِكَ، وَلَا تُتَارِعْهُ فِي قَضَائِهِ
فَيَقْصِمَكَ، وَلَا تَتَّهِمُهُ فِي حُكْمِهِ فَيُحْذِلَكَ، وَلَا تَغْفُلَ عَنْهُ فَيُنْسِيكَ
فَيُتْلِيكَ، وَلَا تُحْدِثْ فِي دَارِهِ حَادِثَةً فِيهِلِكَ، وَلَا تُثْقَلْ فِي دِينِهِ بِهَوَاكَ
فَيُرْدِيكَ وَيُظْلِمَ قَلْبَكَ وَيَسْلُبَ إِيمَانَكَ وَمَعْرِفَتَكَ وَيُسَلِّطَ عَلَيْكَ
شَيْطَانَكَ وَنَفْسَكَ وَهَوَاكَ وَشَهَوَاتِكَ وَاهْلَكَ وَجَيْرَانِكَ وَ
أَصْحَابَكَ وَأَخْلَاقَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِهِ حَتَّى عَقَارِبَ دَارِكَ وَحَيَاتِهَا وَجَنَّتِهَا
وَبَقِيَّةَ هَوَائِهَا فَيَنْغُصَ عَيْنَكَ فِي الدُّنْيَا وَيُطِيلَ عَذَابَكَ فِي الْآخِرَةِ.

«إِتَّقِ الشِّرْكَ» جليا كان أو خفيا «جِدًّا وَلَا تَقْرُبْهُ» البتة «وَاجْتَنِبْهُ» في
جميع «حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ وَلَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي خَلُوتِكَ وَجَلُوتِكَ» حتى يستوي
سرك وعلئك، فإنه المقصود عند الكاملين «وَاحْذَرِ الْمَعْصِيَةَ» القلبية والقلبية «في
جُمْلَةِ الْجَوَارِحِ» أي جميع الأعضاء «وَالْقُلُوبِ، وَاتْرُكِ الْإِثْمَ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَمَا بَطَنَ، وَ
لَا تَهَرَّبْ مِنْهُ عَزًّا وَجَلًّا بِمُخَالَفَتِكَ لَهُ عَزًّا وَجَلًّا فَيَذَرِكَ» بالغضب والأخذ «وَلَا
تُتَارِعْهُ فِي قَضَائِهِ» بإرادتك خلاف ما أَرَادَهُ «فَيَقْصِمَكَ» أي يكسر عظمًا عظمًا
«وَلَا تَتَّهِمُهُ» تعالى «فِي حُكْمِهِ» بأنه حَكَمَ ما لا يليق أو فَعَلَ في غير محله
«فَيُحْذِلَكَ» ويذل بسوء أدبك معه «وَلَا تَغْفُلَ عَنْهُ تَعَالَى فَيُنْسِيكَ» عن رحمته

«فِيئْتَلِيكَ» بلاء لا دواء له «وَلَا تَحْدَثْ فِي دَارِهِ» الدنيوية «حَادِثَةً» من الحوادث فيك أو في غيرك بنفسك «فِيهِلْكُكَ» هلاكاً لا صلاح بعده «وَلَا تَقُلْ فِي دِينِهِ» شيئاً «بِهَوَاكَ فِرْدِيكَ» أي يهلك و يخذلك؛ فإن تبت عن ذلك تاب الله عليك، وإن أصررت على فعلك يفضيك ذلك الفعل إلى قساوة القلب، فيعرض عنك ربك «وَيُظْلِمُ قَلْبَكَ» فيسود القلب بتمامه «وَيَسْلُبُ إِيمَانَكَ» أي يسلب عنك إيمانك فقلوله: «إيمانك» مفعول يسلب، والكاف منصوب بنزع الخافض «وَلَا يَسْلُبُ مَعْرِفَتَكَ» بالله فيؤدي إلى الكفر والإنكار «وَيُسَلِّطُ عَلَيْكَ شَيْطَانَكَ وَنَفْسَكَ» كما سلط على الكفار «وَلَا يَسْلُبُ عَلَيْكَ هَوَاكَ وَشَهَوَاتَكَ وَ أَهْلَكَ وَ جِيرَانَكَ وَ أَصْحَابَكَ وَ أَخِلَاءَكَ» أي أصدقائك و أحبائك «وَجَمِيعَ خَلْقِهِ» تعالى «حَتَّى عَقَارِبَ دَارِكَ وَ حَيَاتَهَا وَ جِثَّتَهَا وَ بَقِيَّةَ هَوَائِهَا» فيؤديك كل من هؤلاء «فَيَنْعِصُ عَيْشَكَ فِي الدُّنْيَا وَ يُطِيلُ عَذَابَكَ» الأليم «فِي الْآخِرَى».

الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْحَذَرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَخَذَرُ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جِدًّا، وَ
الْزَمَ بَابَهُ حَقًّا، وَابْدُلْ طَوْقَكَ وَجَهْدَكَ فِي طَاعَتِهِ مُعْتَذِرًا مُتَضَرِّعًا
مُفْتَقِرًا خَاضِعًا مُتَخَشِّعًا مُطِرِقًا غَيْرَ نَاطِرٍ إِلَى خَلْقِهِ وَ لَا تَابِعٍ لِهَوَاهُ وَ
لَا طَالِبٍ لِلْأَعْوَاضِ دُنْيَا وَ أُخْرَى وَ لَا إِزْتِقَاءَ إِلَى الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ
وَالْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ، وَاقْطَعْ بِأَنَّكَ عَبْدُهُ، وَالْعَبْدُ وَ مَا مَلَكَ لِمَوْلَاهُ لَا
يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ، أَحْسِنِ الْأَدَبَ وَ لَا تَتَّهِمْ
مَوْلَاكَ فِكْلُ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ لَا مُقَدِّمَ لِمَا آخَرَ وَ لَا مُؤَخَّرَ قَدَّمَ،
يَأْتِيكَ مَا قَدَّرَ لَكَ عِنْدَ وَقْتِهِ وَ أَجَلِهِ إِنْ شِئْتَ أَوْ أَبَيْتَ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَخَذَرُ» أيها الطالب «مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
جِدًّا» البتة «وَالْزَمَ بَابَهُ» تعالى «حَقًّا» أي لزوما حقا، أو حال كون ذلك اللزوم
حقا، أو من حيث الحقيقة «وَابْدُلْ طَوْقَكَ» أي طاقتك «وَجَهْدَكَ» و سعيك
«فِي طَاعَتِهِ» تعالى «مُعْتَذِرًا» إليه عن التقصير في أداء حقوقها «مُتَضَرِّعًا» فإن
التضرع أدعى إلى القبول «مُفْتَقِرًا» إلى الرب في جميع أمورك سيما في التوفيق على
الطاعة «خَاضِعًا» خضوع القلب «مُتَخَشِّعًا» مظهرًا للخشوع على الجوارح
«مُطِرِقًا» رأسك حياء من حضور ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، به
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الإحسان في العبادة «غَيْرَ نَاطِرٍ إِلَى خَلْقِهِ» تعالى
«وَلَا تَابِعٍ لِهَوَاهُ» أي الخلق و لا لهواك حتى تتخلص عن الرياء والعجب فإنهما
مبطلان للأعمال «وَلَا طَالِبٍ لِلْأَعْوَاضِ دُنْيَا وَ أُخْرَى» على أعمالك كالأجير الَّذِي
لا يعمل إلا بالأجر «وَلَا» طالب «إِزْتِقَاءٍ إِلَى الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ وَالْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ»

فلا تعمل إلا لامثال أمره تعالى «وَاقْطَعْ» أيها العبد «بِأَنَّكَ عَبْدُهُ» تعالى «وَالْعَبْدُ وَ مَا مَلَكَ لِوَلَاةٍ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ عَلَيْهِ» أي على مولاه في عمله «شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ» وأجرا من الأجور.

«أَحْسِنِ الْأَدَبَ» مع مولاك في جميع أمورك فلا تخالط عملك غرضا «وَلَا تَنْهَمُ مَوْلَاكَ» في شيء مما فعله بك وبغيرك «فَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ» تعالى «بِمُقَدَّارٍ» أي تقدير معين و حد معلوم لا يجاوزه فطلب الزيادة مما أعطى، والاستعجال قبل وقته عبث «لَا مُقَدِّمَ» أحد «لِأَخَرٍ» الله تعالى «وَلَا مُؤَخَّرَ» أحد «لِأَقْدَمَ» الله إذ في ذلك تغيير للتقدير وهو على الله تعالى محال «يَأْتِيكَ» أيها الطالب «مَا قَدَّرَ لَكَ» مولاك «عِنْدَ وَقْتِهِ» أي وقت ما قدر «وَأَجَلِهِ إِنْ شِئْتَ» أنت «أَوْ أُبَيِّتَ».

لَا تَشْرَهُ عَلَى مَا سَيَكُونُ لَكَ وَلَا تَطْلُبُ وَلَا تَلْهَفُ عَلَى مَا هُوَ لِعَيْرِكَ فَمَا لَيْسَ هُوَ عِنْدَكَ فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ أَوْ لِعَيْرِكَ، فَإِنْ كَانَ لَكَ فَهُوَ إِلَيْكَ صَائِرٌ وَأَنْتَ إِلَيْهِ مُقَادٌ وَمُسِيرٌ فَالِلِقَاءِ عَنْ قَرِيبٍ حَاصِلٌ وَمَا لَيْسَ لَكَ فَأَنْتَ عَنْهُ مَضْرُوفٌ وَهُوَ عَنْكَ مُوَلَّى فَأَلَى لَكُمَا التَّلَاقُ وَالِلِقَاءِ فَاشْتَغِلْ بِأَحْسَانِ الْأَدَبِ فِيمَا أَنْتَ بِصَدَدِهِ مِنْ طَاعَةِ مَوْلَاكَ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَقْتِكَ الْحَاضِرِ وَلَا تَرْفَعْ رَأْسَكَ، وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا سِوَاهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى﴾ [طه، رقم

السورة: ٢٠، رقم الآية: ١٣١]

«لَا تَشْرَهُ» ففي القاموس: شَرِهَ كَفَرِحَ غَلَبَهُ حِرْصُهُ فَهُوَ شَرِهٌ وَ شَرِهَانٌ فَمَعْنَى لَا تَشْرَهُ: لَا تَغْلِبْ حِرْصَكَ «عَلَى مَا سَيَكُونُ لَكَ» في الزمان الآتي فَإِنْ مَا لَمْ يَأْتِ وَقْتُهُ لَا يَحْصُلُ الْبَتَّةُ «وَلَا تَطْلُبُ» ذَلِكَ «وَلَا تَلْهَفُ» فِي الْقَامُوسِ لَهْفٌ كَفَرَحٌ حَزَنٌ وَ تَحْسَرُ أَيْ لَا تَحْزَنُ «عَلَى مَا هُوَ لِعَيْرِكَ فَمَا» أَيْ شَيْءٌ «لَيْسَ هُوَ

عِنْدَكَ» الْآنَ «فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ» ذَلِكَ الشَّيْءُ «لَكَ» فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى «أَوْ لِعَيْرِكَ فَإِنْ كَانَ» ذَلِكَ الشَّيْءُ «لَكَ» فِي عِلْمِ اللَّهِ «فَهُوَ إِلَيْكَ صَائِرٌ» بَكَ وَاصِلُ الْبَتَّةِ بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ «وَأَنْتَ إِلَيْهِ مُقَادٌّ» قَوْدا حَتْمًا «وَعَلَيْهِ «مُسَيَّرٌ» سَيْرًا جَبْرًا لَا تَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ أَصْلًا «فَالِلِقَاءِ» أَيُّ لِقَائِكَ بِهِ «عَنْ قَرِيبٍ» وَهُوَ وَقْتُهُ الْمَقْدَرُ «حَاصِلٌ» وَهُوَ بِكَ وَاصِلٌ «وَالْقِسْمُ الثَّانِي وَهُوَ «مَا لَيْسَ لَكَ» بَلْ لِعَيْرِكَ أَوْ لَيْسَ لِأَحَدٍ «فَأَنْتَ عَنْهُ مَضْرُوفٌ وَهُوَ عَنْكَ مُوَلَّى» مَدْفُوعًا «فَأَنْتَ لِكُلِّ» أَيُّ لَكَ وَلِذَلِكَ الشَّيْءِ فَغَلِبَ الْمُخَاطَبُ «التَّلَاقِي وَالِلِقَاءِ» فَإِذَا عَرَفْتَ حَالَ الْقَسْمَيْنِ «فَاسْتَعْلُ» أَنْتَ «يَا حَسَنَ الْأَدَبِ» مَعَ مَوْلَاكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ سِيمَا «فِيمَا أَنْتَ بِصَدَدِهِ مِنْ طَاعَةِ مَوْلَاكَ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَقْتِكَ الْحَاضِرِ وَلَا تَرْفَعُ رَأْسَكَ» إِلَى الْمُرَحرفَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ «وَلَا تُمَدِّدَنَّ عَيْنَكَ إِلَى مَا سِوَاهُ» أَيُّ سِوَى مَا أَنْتَ بِصَدَدِهِ مِنْ طَاعَةِ مَوْلَاكَ «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» خُطَابًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَنَهَى أُمَّتَهُ بِسَبَبِ اتِّبَاعِهِ،

«وَلَا تُمَدِّدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ» أَيُّ أَصْنَافًا مِنَ الْكُفْرَةِ «زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» زِينَةً وَبَهْجَةً زَائِلَةً «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» أَيُّ لِنَجْعَلَ ذَلِكَ الْمَتَمَتَّعَ بِهِ فِتْنَةً وَبَلَاءً لَهُمْ «وَرِزْقُ رَبِّكَ» الَّذِي أَعْطَاكَ فِي الدُّنْيَا وَمَا يُعْطِيكَ فِي الْآخِرَةِ «خَيْرٌ» لَكَ «وَأَبْقَى».

فَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ مَا أَقَامَكَ فِيهِ وَرَزَقَكَ مِنْ طَاعَتِهِ وَأَعْطَاكَ مِنْ قِسْمِهِ وَرِزْقِهِ وَفَضْلِهِ، وَكَبَّهَكَ أَنْ مَاسِوَى ذَلِكَ فِتْنَةً افْتَنَنَهُمْ بِهِ، وَرِضَاكَ بِقِسْمِكَ خَيْرٌ لَكَ وَأَبْقَى وَابْرَكَ وَآخَرَى وَأَوَّلَى، فَلْيَكُنْ هَذَا دَائِبَكَ وَمُنْقَلَبَكَ وَمَنَوَاكَ وَشِعَارَكَ وَدَنَازَكَ وَمَرَامَكَ وَشَهْوَتَكَ وَمُنَاكَ تَنَالُ مِنْهُ كُلُّ الْمَرَامِ، وَتَصِلُ بِهِ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ، وَتَزُفِي بِهِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَنَعِيمٍ وَطَرِيفٍ وَسُرُورٍ وَنَفِيسٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ

قُرَّةُ أَعْيُنٍ جَ جَزَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢: ١٧﴾ (السجدة ١٧: ٣٢)
 فَلَا عَمَلَ بَعْدَ الْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ وَ بَعْدَ تَرْكِ الذُّنُوبِ أَجْمَعِ
 أَغْظَمُ وَلَا أَشْرَفُ وَلَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا أَزْطَى عِنْدَهُ بِمَا
 ذَكَرْتُ لَكَ، وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ بِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى بِمِثْلِهِ.

«فَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ مَا أَقَامَكَ فِيهِ وَ رَزَقَكَ مِنْ طَاعَتِهِ وَ أَعْطَاكَ مِنْ قِسْمِهِ» تعالى الَّذِي قَسَمَ بَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ «وَرِزْقِهِ» المقسوم «وَفَضْلِهِ» المقسوم «وَتَبَّهَكَ» الله تعالى «أَنَّ مَا سَوَى ذَلِكَ» المعطى لك «فِتْنَةً افْتَنَّهُمْ بِهِ، وَرِضَاكَ» عن ربك «بِقِسْمِكَ» ونصيبك الَّذِي أَعْطَاكَ ربك «خَيْرٌ لَّكَ» مما سواه «وَأَبْقَى» عنك «وَأَبْرَكَ» أي أفضل لك «وَأُخْرَى» أي أَلْيَقُ بِكَ «وَأَوَّلَى» لك من غيره «فَلْيَكُنْ هَذَا» الأدب المذكور والرضاء المشكور «ذَائِكَ» عادتكَ «وَمُنْقَلَبُكَ وَ مَثْوَاكَ وَ شِعَارُكَ» في الظاهر «وَدِثَارُكَ» في الباطن «وَمَرَامُكَ» مقصودك «وَشَهْوَتُكَ» مشتهاك «وَمُنَاكَ» مطلوبك «تَنَالُ» أنت «مِنْهُ» أي من هذا الرضى المرضي «كُلُّ الْمُرَامِ، وَ تَصِلُ بِهِ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ، وَ تَوْفِي بِهِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَ» كل «نَعِيمٍ وَ طَرِيفٍ» أي حسن «وَ» كل «سُرُورٍ وَ» كل «نَفِيسٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» في بيان جزاء الأعمال المرضية والأفعال المستحسنة:

«فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ» من النفوس «مَّا أَخْفَى لَهُمْ» أي للذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا سجداً و سبحوا بحمده و هم لا يستكبرون الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً من عقابه و طمعاً في ثوابه و مما رزقهم ربهم ينفقون «مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» أي مما تقر به عيونهم «جَزَاءً» فقلوه: جزاء إما مفعول له لقوله: أخفي، أو مفعول مطلق لفعل محذوف أي أخفي جزاءً أو جُوزُوا جَزَاءً «بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» و روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و على آله وسلم:

قال تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا

خطر على قلب بشر فاقروا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾^(١) انتهى.

«فَلَا عَمَلَ بَعْدَ الْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ» من الإقرار بالتوحيد والصلوات و الصوم والزكاة والحج كما ذكر في حديث: بني الإسلام على خمس «وَبَعْدَ تَرْكِ الدُّنُوبِ» ظاهرها و باطنها «أَجْمَعُ» تأكيد للذنوب «أَعْظَمُ» خبر لا «وَلَا» عمل «أَشْرَفُ وَلَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَرْضَى عِنْدَهُ تَعَالَى بِمَا ذَكَرْتُ لَكَ» من الملازمة لبابه تعالى و بذل الطاقة في طاعته مع الاعتذار والتضرع والافتقار والخضوع والخشوع وإطراق الرأس لقضائه وقدره من غير نظر إلى الخلق و لا اتباع للهوى، و لا طلب للعوض دنيا و أخرى، و لا ارتقاء إلى المنازل العالية والقطع بعبوديتك له تعالى من غير استحقاق شيء عليه تعالى، و حسن الأدب معه تعالى مع عدم الاتهام و عدم الحرص على ما سيكون، و عدم التحسر على ما أعطى للغير والرضاء بالقسمة «وَفَقَّنَا اللَّهُ تَعَالَى وَ إِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّ وَ يَرْضَى» من الأعمال القلبية والأفعال الجوارحية «بِمَنْنِهِ» وكرمه و بجرمة النبي و خدَمه.

(١) انظر الصحيح للبخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، برقم: ٣٢٤٤، والصحيح لمسلم في أوائل كتاب الجنة وصفة نعيمها و أهلها، برقم: ٢٨٢٤.

الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

فِي تَشْكِينِ الْفَقِيرِ الْمُهَانَ بِالْطَّافِ الْمَلِكِ الْمَثَانِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَقُولَنَّ يَا فَقِيرُ الْيَدِ، يَا مُوَلَّى عَنْهُ الدُّنْيَا وَ أَرْبَابُهَا، يَا حَامِلَ الدُّكْرِ بَيْنَ مُلُوكِ الدُّنْيَا وَ أَرْبَابِهَا يَا جَائِعُ يَا نَائِعُ يَا غُرْيَانُ يَا ظَلَمَانَ الْكِبِدِ يَا مُتَشَبِّهًا فِي كُلِّ رَاوِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مَسْجِدٍ وَ بَقَاعِ خَرَابٍ، وَ يَا مَزْدُودًا مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَ يَا مَذْفَعًا عَنْ كُلِّ مُرَادٍ، وَ يَا مُنْكَسِرًا وَ يَا مُزْدَحِمًا قَلْبُهُ كُلُّ حَاجَةٍ وَ مَرَامٍ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَفْقَرُنِي، وَ زَوَى عَنِّي الدُّنْيَا وَ عَثَرَنِي وَ تَرَكَنِي وَ قَلَانِي وَ فَرَقَنِي وَ لَمْ يَجْمَعْني وَ أَهَانَنِي وَ لَمْ يُعْطِنِي مِنَ الدُّنْيَا كِفَايَةً وَ خَمَلَنِي وَ لَمْ يَرْفَعْ ذِكْرِي بَيْنَ الْخَلِيقَةِ وَ إِخْوَانِي وَ أَسْبَلَ عَلَى غَيْرِي نِعْمَةً مِنْهُ سَابِغَةً يَتَقَلَّبُ فِيهَا لَيْلَةً وَ نَهَارَةً، فَضَّلَهُ عَلَيَّ وَ عَلَى أَهْلِ دِيَارِي. وَ كِلَانَا مُسْلِمَانِ مُؤْمِنَانِ وَ يَجْمَعُنَا أُمْنَا حَوَاءَ وَ أَبُونَا آدَمُ خَيْرُ الْأَنَامِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ طِيبَتَكَ حُرَّةٌ وَ نَدَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى مُتَدَارِكٌ عَلَيْكَ مِنَ الصَّبْرِ وَ الْيَقِينِ وَ الْمَوَافَقَةِ وَ الْعِلْمِ، وَ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ وَ التَّوْحِيدِ مُتَرَكِمٌ لَدَيْكَ، فَشَجَرَةُ إِيْمَانِكَ وَ غَرْسُهَا وَ بَذْرُهَا ثَابِتَةٌ مَكِينَةٌ مُورِقَةٌ مُثْمِرَةٌ مُسْتَزِيدَةٌ، مُتَشَعِّبَةٌ مُظِلِّلَةٌ مُتَفَرِّعَةٌ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ فِي رِيَادَةٍ وَ نَمُوٍّ فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى سُبَاطَةٍ وَ عُلْفٍ لِيَتَنَمَّى بِهَا وَ تُزَلَّى، وَ قَدْ فَرَّغَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَمْرِكَ عَلَى ذَلِكَ وَ أَعْطَاكَ فِي الْآخِرَةِ دَارَ الْبَقَاءِ وَ خَوَّلَكَ فِيهَا وَ أَجْزَلَ عَطَاءَكَ فِي الْعُقْبَى مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ. قَالَ اللَّهُ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(السجدة: ٣٢/١٧)

أَيُّ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ آدَاءِ الْأَوَامِرِ وَالصَّبْرِ عَلَى تَرْكِ
الْمُنَاهِي وَالْتِسْلِيمِ وَالتَّقْوِي نِصْ إِيَّاهُ فِي الْمَقْدُورِ وَالْمُوَافَقَةَ لَهُ فِي جَمِيعِ
الْأُمُورِ

« قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَقُولَنَّ » بلسانك و لا يخطر بجنانك « يَا فَقِيرَ
الْيَدِ » أي الخالي عن الأموال الظاهرية « يَا مُوَلَّى » و مصروفا « عَنْهُ الدُّنْيَا » و
معروضا عنه « أَرْبَابُهَا، يَا خَامِلَ الذِّكْرِ » بل منسيه « بَيْنَ مَلُوكِ الدُّنْيَا وَ أَرْبَابِهَا، يَا
جَائِعٌ » بطنك عن الطعام « يَا نَائِعٌ » أمعاءك عن الماء « يَا عُزِيَانٌ » الجسد عن الثياب
« يَا ظِمَانُ الْكَبِدِ » عن المشتبهات من الشراب « يَا مُتَشَبِّتًا » و متفرقا « فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ
مِّنَ الْأَرْضِ مِنْ مَسْجِدٍ وَ بَقَاعٍ » جمع بقعة « وَ خَرَابٍ » أي مفازة لا سكنى فيها « وَ يَا
مَرْدُودًا مِنْ كُلِّ بَابٍ » لا يدخلك أحد في بابه « وَ يَا مَذْفَعًا » أي مدفوعا « عَنْ كُلِّ
مُرَادٍ » فلا يصل إليك مراد من المرادات « وَ يَا مُنْكَسِرًا » إرادته عن كل مراد « وَ يَا
مُزْدَحِمًا قَلْبُهُ كُلُّ حَاجَةٍ وَ مَرَامٍ » أي اجتمع كل حاجة و مرام قلبك فالقلب مفعول
الازدحام و كل حاجة فاعله و عكسه يحتاج إلى ارتكاب المجاز « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى » مقول
قوله « لَا تَقُولَنَّ » أي لا تقولن يا فقير اجتمع فيه هذه الصفات: إن الله « أَفْقَرَنِي » في
أُمُورِي و أحوجني في حاجاتي « وَ زَوَى » أي قبض و صرف « عَنِّي الدُّنْيَا » و لم
يعطني « وَ عَثَرَنِي » في القاموس عثر كضرب و نصر و علم و كرم عثرا و عثرا فصله
بهذا التفصيل و لم يبين معنا. و قال في الصحاح: العثر الزَّلَّةُ « وَ تَرَكَنِي » لا يخبر عن
حالي و لا يصلحني « وَ قَلَانِي » أي أبغصني فلا يرحمني « وَ فَرَّقَنِي » بتشتت الحاجات
و تفرق القلب « وَ لَمْ يَجْمَعْني » حاجة و خاطرا و قلبا « وَ أَهَانَنِي » بالفقر و الاحتياج
« وَ لَمْ يُعْطِنِي مِنَ الدُّنْيَا كِفَايَةً » لما أحتاج إليه « وَءَخْمَلَنِي » أي أسقطني عن أعين
الخلق. قال في الصحاح: الخامل الساقط الَّذِي لَا بُاهُةَ أَي شرف له في الخلق « وَ لَمْ
يَرْفَعْ ذِكْرِي بَيْنَ الْخَلِيقَةِ » بحيث يعلمني عظماء الخلق و يذكرونني في مجالسهم بمحاسن

الأخلاق و الشرف والعظمة «و» بين «إِخْوَانِي» بحيث يعظموني و يعرفوا قدري «و» إن الله تعالى «أَسْبَلَ عَلَى غَيْرِي» من أشراف الناس و أوسا طهم «نِعْمَةً» كثيرة «مِنْهُ» أي من عنده «سَابِغَةً» أي كاملة وافية ففي الصحاح: سَبَغَتِ النعمة تسبغ بالضم سبوغا اتسعت، و أسبغ الله عليه النعمة أتمها بالغي و إقبال الدنيا و أهلها إليه و رفع الذكر بينهم و سَعَةِ الحال و فراغ البال و تعظيم الرجال «يَتَقَلَّبُ» ذلك الغير المنعم عليه «فِيهَا» أي في تلك النعم السابغة «لَيْلَهُ وَ نَهَارُهُ» أي دائما «و» أن الله تعالى «فَضَّلَهُ» أي غيري «عَلَيَّ وَ عَلَى أَهْلِ دِيَارِي» بأن جعلنا فقراء ذاالحاجات، و جعل غيرنا أغنياء مُرَفَّه الحال منشرح البال «وَ كِلَانَا» أي والحال أنا في الفقر و غيري في الغنى «مُسْلِمَانِ» منقادان بالأوامر والنواهي و «مُؤْمِنَانِ» بما جاء به رسولنا من عند ربنا «وَ يَجْمَعُنَا أُمَمًا حَوَاءَ وَ أَبْنَا أَدَمَ خَيْرُ الْأَنَامِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» يعني أن الله تعالى أهانني و أكرم غيري مع استوائنا في شرف الحسب بالإسلام والإيمان، و شرف النسب، لأننا من أولاد آدم و حواء عليهما السلام «أَمَّا أَنْتَ» أيها الفقير «فَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَ ذَلِكَ» الفقر والابتلاء والمحنة والخمول و تشتت الحال و تفرق البال «لِأَنَّ طِينَتَكَ» أي تراب أصل جبلتك «حُرَّةٌ» طيبة المنبت قوية صالحة للخير، والحررة من الطين والرمل الطيب، كذا في القاموس «وَ نَذَى رَحْمَةً اللَّهُ تَعَالَى» أي مطرُها و بللُها كما صرح به في الصحاح، و كمال لطف الله «مُتَدَارِكٌ» و مفاض «عَلَيْكَ» بأنواع النعم والعطايا «مِنَ الصَّبْرِ» على المحن «وَالْبِقَيْنِ» والثقة بالله والتوكل على الله «وَالْمُؤَافَقَةِ» لقدّر الله «وَالْعِلْمِ» بالله «وَ أُنْوَارِ الْإِيمَانِ وَ» أنوار «التَّوْحِيدِ مُتَرَكِمٌ» و مجتمع و مزدحم «لَدَيْكَ فَشَجَرَةُ إِيْمَانِكَ وَ غَرْسُهَا» في قلبك «وَ بَذْرُهَا» في روحك «ثَابِتَةٌ مَكِينَةٌ» متقررة «مُورِقَةٌ» بالطاعات «مُثْمِرَةٌ» للقبولية عند الله تعالى «مُسْتَزِيدَةٌ» في الارتفاع كل حين و زمان «مُتَشَعِّبَةٌ» بالشعب الحسنة «مُظِلِّلَةٌ» تظلك و تظل من تبعك و وافقك عن حرّ الخطيئات «مُتَفَرِّعَةٌ» بالفروع المستحسنة «فَهْيُ» أي الشجرة الموصوفة بتلك الصفات «كُلُّ يَوْمٍ فِي زِيَادَةٍ وَ نُمُوٍّ» عند الله تعالى «فَلَا حَاجَةَ بِهَا» بتلك الشجرة في

إصلاحها إلى «سُبَاطَة» أي كثرة مطر قال في القاموس: مطر سَبِطٌ سَحٌّ و سباطته كثرته و سعته، و قال: السح الصب و السيلان «و عَلَفٍ» بفتح العين و سكون اللام الشُّرْبُ الكثير من الماء به صرح في القاموس «لِتُنْمَى بِهَا» أي بالسبابة التي هي كثرة المطر والعلف^(١) الَّذِي هو شرب الماء «و تُزْبَى» أي تزداد من ربى الشيء يربو أي زاد، كذا في الصحاح أي فلا حاجة لشجرة إيمانك إلى مطر الرزق و شرب الشهرة بين الناس لنموها و زيادتها «و قَدْ فَرَعَ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَمْرِكَ» في الرزق والشهرة و قضاء الحاجة «عَلَى ذَلِكَ» الحال الَّذِي وجدت من عدم احتياج شجرة إيمانك إلى مطر الرزق و شرب الشهرة لطيب طينتك و قوة يقينك في علم الله تعالى، فهذا حال ما أعطاك الله تعالى في الدنيا «و أَعْطَاكَ فِي الْآخِرَةِ دَارَ الْبَقَاءِ» وهو الجنة دار الخلد التي كان من دخله أمنا «و خَوَّلَكَ» أي مَلَكَكَ «فِيهَا» ملكا أزيد من تمام الدنيا أضعافا مضاعفة «و أَجْرَلَ» أي أعظم و أكثر «عَطَاءَكَ فِي الْعُقْبَى مَا لَا عَيْنٌ» أي عين أحد من المخلوقات «رَأَتْ، وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ» تلك العطاء العظيم الكثير «عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» به ورد الحديث النبوي، ثم أكد ذلك بالقرآن فقال «قَالَ اللهُ:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[السجدة، رقم السورة: ١٧، رقم الآية: ٣٢]

«أَيَّ» جزاء «مَّا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَدَاءِ الْأَوَامِرِ» الإلهي والنبوي «و» من «الصَّبْرِ عَلَى تَرْكِ الْمُنَاهِي» الإلهي والنبوي «والتَّسْلِيمِ وَالتَّقْوِيضِ إِلَيْهِ فِي الْمُنْدُورِ» الَّذِي قدر الله تعالى في حقهم «وَالْمُؤَافَقَةِ لَهُ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ» فهذا حالك.

وَأَمَّا الْغَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الدُّنْيَا وَخَوَّلَهُ وَتَعَمَّهُ فِيهَا وَ
أَسْبَغَ عَلَيْهِ فَضْلَهُ فَعَلَّ بِهِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مُحَلَّ إِيمَانِهِ أَرْضٌ سَبَخَتْ صَخْرٌ لَا
يَكَادُ يَنْبُثُ فِيهَا الْمَاءُ وَ لَا تَنْبُثُ فِيهَا الْأَشْجَارُ وَ لَا يَتَرَبَّى فِيهَا الزُّرُوعُ
وَالنَّجَارُ فَصَبَّ عَلَيْهِ أَنْوَاعُ سُبَاطَةٍ وَ غَيْرَهَا بِمَا يُزْبَى بِهِ النَّبَاتُ وَ هِيَ

(١) في مخطوطة "العف" و الصواب ما أثبتنا. المشاهدي

الدُّنْيَا وَحُطَامُهَا لِيَحْفَظَ بِذَلِكَ مَا أَثْبَتَ فِيهَا مِنْ شَجَرَةِ الْإِيمَانِ وَ
 غَرْسِ الْأَعْمَالِ فَلَوْ قَطَعَ ذَلِكَ عَنْهَا لَجَفَّتِ النَّبَاتُ وَالْأَشْجَارُ
 وَانْقَطَعَتِ الثَّمَارُ فَخَرَبَتِ الدِّيَارُ، وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يُرِيدُ عِمَارَتَهَا
 فَشَجَرَةُ إِيْمَانِ الْغَنِيِّ ضَعِيفُ الْمُثَبَّتِ خَالٍ عَمَّا هُوَ مَشْحُونٌ بِهِ شَجَرَةُ
 إِيْمَانِكَ يَا فَفِيرُ، فَقَوَّثَهَا وَبَقَائُهَا بِمَا تَرَى عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْوَاعِ
 النَّعِيمِ فَلَوْ قَطَعَهَا مَعَ ضَعْفِ الشَّجَرَةِ جَفَّتِ الشَّجَرَةُ الْإِيْمَانِي فَكَانَ
 كُفْرًا وَجَحُودًا وَإِلْحَاقًا بِالْمُنَافِقِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ وَالْكَفَّارِ.
 اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَتَعَثَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْغَنَى عَسَاكِرَ مِنَ الصَّبْرِ
 وَالرِّضَا وَالْيَقِينِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْعِلْمِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ فَيَقْوَى الْإِيْمَانُ
 بِهَا حَتَّى لَا يُبَالِيَ بِانْقِطَاعِ الْغَنَى وَالنَّعِيمِ.

«وَأَمَّا الْغَيْرُ الَّذِي» غبطته و تمنيت نعمته و طلبت حالته بما «أَعْطَاهُ اللَّهُ»
 تعالى «مِنَ الدُّنْيَا» الدنية «وَحَوْلَهُ» بما ترى من الأمور الخسيسة «وَنَعَمَهُ فِيهَا»
 من الحطام الدنيوية «وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ فَضْلَهُ» في قضاء حوائجه و شهرة ذكره فاعلم
 حقيقته أن الله تعالى «فَعَلَ بِهِ» أي بذلك الغير «ذَلِكَ» العطاء الدنيوية
 الفانية «لِأَنَّ مَحَلَّ إِيْمَانِهِ» و هو قلبه «أَوْضُ سَبْخَةٍ» كثر فيه مُلَوحة التلوث بالدنيا
 الدنية «وَصَخْرٍ» صعب «لَا يَكَادُ يَثْبُتُ فِيهَا الْمَاءُ» العذب اليقيني والتوكلي
 والتفويضي و التسليمي «وَلَا» يقرب «تَثْبُتُ فِيهَا الْأَشْجَارُ» الطاعاتي
 والعباداتي «وَلَا» يكاد «يَتَرَبَّيُّ» ويزداد «فِيهَا الرُّزْغُ» من العبادات «وَالثَّمَارُ»
 من النبات فإذا كان حال بستانه خرابا تداركه نعمة من ربك «فَصَبَّ عَلَيْهِ أَنْوَاعُ
 سُبَاظَةٍ» أي مطر «وَوَغَّرَهَا» من الطل و الندى «مِمَّا يُؤْبَى بِهِ النَّبَاتُ» التي هي
 مرعى الحيوانات العجم، و لا يميل إليها الإنسان العالم بحسن الأشياء و قبحها «وَوَ
 بِذَلِكَ» المطر و نحوها من الطل و الندى «مَا أَثْبَتَ فِيهَا» أي في تلك الأرض
 السبخة «مِنْ شَجَرَةِ الْإِيْمَانِ وَ غَرْسِ الْأَعْمَالِ» فإن ذلك الغير أيضا عبد من عباد

الله تعالى و مؤمن من أولاد آدم و حواء عليهما السلام كما اعترفت «فَلَوْ قَطَعَ ذَلِكَ» المطر والطل الدنيوي «عَنْهَا» أي عن تلك الأرض السبخة والصخرة الصماء القلبي «لَجَفَّ النَّبَاتُ» أي نبات العبادات «و» جف «الأشجار» أي أشجار الطاعات المغروسة في تلك الأرض السبخة لضعف بنيتها و عدم الماء المجتمعة «وَأَنْقَطَعَتِ النَّجْمُ» أي ثمار تلك العبادات والطاعات و هي الجزء الأخرى بجفاف النبات والأشجار المثمرة لها من العبادات والطاعات «فَخَرَّبَتِ الدِّيَارُ» و هي قلوب أولئك العباد الضعيفة اليقين التي جعلها بستانا «وَهُوَ» الله «عَزَّ وَ جَلَّ» يُرِيدُ عِمَارَتَهَا» بحيث يصير بستانا خضراء نُزْهَةً للناظرين «فَشَجَرَةُ إِيْمَانِ الْغَنِيِّ ضَعِيفُ الْمُتَبَتِّ خَالٍ عَمَّا هُوَ مُشْحُونٌ» مملو «بِهِ شَجَرَةُ إِيْمَانِكَ» من جهة الطين و تدارك ندى رحمة الله تعالى و تراكم الأنوار «يَا فَقِيرُ، ف» لأجل ذلك الضعف صار «قُوَّتُهَا وَ بَقَائُهَا بِمَا تَرَى عِنْدَهُ» أي عند الغني «مِنْ الدُّنْيَا وَ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ» لأن الله تعالى يريد إصلاح جميع المؤمنين «فَلَوْ قَطَعَهَا» أي تلك الدنيا و أنواع النعيم التي بمنزلة الماء لتلك الشجرة «مَعَ ضَعْفِ الشَّجَرَةِ جَفَّتِ الشَّجَرُ الْإِيْمَانِي» فضاع الإيْمَان «فَكَانَ» أي صار ذلك الشجر الإيْمَانِي «كُفْرًا وَ جَحْوَدًا وَ الْحَقَّاقَ بِالْمُتَافِقِينَ وَ الْمُتَرَدِّينَ وَ الْكُفَّارِ».

و قد نرى ذلك مشاهدا في ضعفاء اليقين، و لهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم: كاد الفقر أن يكون كفرا.^(١) والمراد الضعفاء. «اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ» بكمال لطفه و رحمته «إِلَى الْغَنِيِّ» وقت الغنى و عند سلب الغناء عنه «عَسَاكِرُ مِنَ الصَّبْرِ» على محنة الفقر «وَالرِّضَاءِ» به «وَالْيَقِينِ» بوعده الله تعالى «وَالْتَوْفِيقِ» لذلك «وَالْعِلْمِ» بأن الكل من الله «وَأَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ فِيَقْوِي الْإِيْمَانُ» لذلك الغني في حال الغنى و حال الفقر «بِهَا» أي بتلك النعم التي أنعم الله تعالى عليه بِهَا «حَتَّى لَا يُبَالِي» ذلك الغني المؤيد من الله تعالى بمدد العساكر «بِإِنْقِطَاعِ الْغَنِيِّ وَ النَّعِيمِ» فصار بقاءها و زوالها عنده بتأييد الله تعالى سَيَّان كما هو حال العارف بالله تعالى.

(١) انظر حلية الأولياء، ج: ٣، ص: ١٠٩. فمن الطبقة الأولى من التابعين، منهم المأخوذ عن العاجلة، المردود إلى الآجلة، الحجاج بن الفراضة.

الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

في تَفْرِيعِ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَكْشِفِ الْبُرْقَعَ وَالْقِنَاعَ عَنْ وَجْهِكَ حَتَّى تَخْرُجَ عَنِ الْخَلْقِ وَتُوَلِّيَهُمْ ظَهْرَكَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَتَزُولَ هَوَاكَ، ثُمَّ تَزُولَ إِرَادَتُكَ وَتُنَاكَ فَتَقْنِي عَنِ الْأَكْوَانِ دُنْيَاوَ أُخْرَى فَتَصِيرُ كَأَنَّا مُنْتَلَمٍ لَا يَبْقَى فِيكَ غَيْرُ إِرَادَةِ رَبِّكَ فَتَمْتَلِ بِرَبِّكَ فَلَا يَكُونُ بَعْضُ رَبِّكَ فِي قَلْبِكَ مَكَانٌ وَلَا مَدْخَلٌ، وَجُعِلَتْ بَوَابُ قَلْبِكَ، وَ أُعْطِيَتْ سَيْفُ التَّوْحِيدِ وَ مُطَالَعَةُ الْعَظَمَةِ وَ الْجَبَرُوتِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:» أيها السالك «لَا تَكْشِفِ الْبُرْقَعَ» أي برقع العزلة عن الخلق «وَالْقِنَاعَ» أي قناع الخلوة «عَنْ وَجْهِكَ» بمخالطة الخلق للتوجه إلى الحق تعالى، و لا تدخل في الجلوة و مخالطة العالم «حَتَّى تَخْرُجَ» بقلبك «عَنِ الْخَلْقِ» فلا تراهم إلا قائمين بالحق «وَتُوَلِّيَهُمْ ظَهْرَكَ» أي تولي ظهرك إليهم، و تولي وجهك عنهم فلا تلاحظهم في «جَمِيعِ الْأَحْوَالِ» والأعمال والأقوال الصادرة منك و لا منهم «وَتَزُولَ» عنك «هَوَاكَ» فلا تكون تابعا لها «ثُمَّ تَزُولَ» عنك «إِرَادَتُكَ» النفسية «وَمُنَاكَ» الشهوية والغضبية «فَتَقْنِي» أنت بزوال الهوى والإرادة «عَنِ الْأَكْوَانِ» كلها فلا يراحك شيء منها في توجهك إلى خالقك بل ترى الكل مظاهر الحق «دُنْيَاوَ أُخْرَى» أي سواء كان الأكوان دنيويا أو أخرويا و لا يكون شيء منها ساترا لك عن معرفتك بربك «فَتَصِيرُ» أنت «كَأَنَّا مُنْتَلَمٍ» مكسور «لَا يَبْقَى فِيكَ» شيء لا كون و لا إرادة «غَيْرُ إِرَادَةِ رَبِّكَ فَتَمْتَلِ بِرَبِّكَ» معرفة و حضورا و سرورا «فَلَا يَكُونُ بَعْضُ رَبِّكَ فِي قَلْبِكَ» بسبب

صرف التوجه عنه «مَكَانٌ وَلَا مَدْخَلٌ»، وَجُعِلَتْ بَوَابُ قَلْبِكَ «و صار قلبك بيت ربك» «و أُعْطِيتَ» من عند الله تعالى «سَيْفُ التَّوْحِيدِ وَ» سيف «مُطَالَعَةِ الْعَظَمَةِ» في ذاته و صفاته قاطعة رأس الغير حتى لا يدخل في حرم الله تعالى «و» كذا سيف ملاحظة «الْجَبْرُوتِ» و هو القهر والغلبة في صفاته و أفعاله الجلالية المانعة عن خطور الغير بالقلب الَّذِي هو حريم الله تعالى.

فَكُلُّ مَنْ رَأَيْتَهُ دَنَى مِنْ سَاحَةِ صَدْرِكَ إِلَى بَابِ قَلْبِكَ نَدَرْتَ رَأْسَهُ مِنْ كَاهِلِهِ فَلَا يَكُونُ لِنَفْسِكَ وَ هَوَاكَ وَ إِرَادَتِكَ وَ مُتَاكَ فِي دُنْيَاكَ وَ أُخْرَاكَ عِنْدَكَ رَأْسٌ مَشْأَاءَ وَلَا كَلِمَةٌ مَسْمُوعَةٌ وَلَا رَأْيٌ مُتَّبَعٌ إِلَّا إِيْتَابُ أَمْرِ الرَّبِّ تَعَالَى وَ تَقَدُّسُ وَ الْوَقُوفُ مَعَهُ وَ الرِّضَا بِقَضَائِهِ بَلْ الْفَنَاءُ فِي قَضَائِهِ وَ قَدَرِهِ فَتَكُونُ حِينَئِذٍ عَبْدَ الرَّبِّ وَ عَبْدَ أَمْرِهِ تَعَالَى لَا عَبْدَ الْخَلْقِ وَ عَبْدَ أَرَائِهِمْ فَإِذَا اسْتَمَرَ الْأَمْرُ فِيكَ كَذَلِكَ ضُرِبَتْ حَوْلَ قَلْبِكَ سُرَادِقَاتُ الْغَيْرَةِ وَ خَنَادِقُ الْعَظَمَةِ وَ سُلْطَانُ الْجَبْرُوتِ وَ حُفٌّ بِجُنُودِ الْحَقِيقَةِ وَ التَّوْحِيدِ، وَ يُقَامُ دُونَ ذَلِكَ حُرَّاسٌ مِنَ الْحَيِّ عَزَّ وَ جَلَّ كَيْلًا يُخَلِّصُ الْخَلْقَ إِلَى الْقَلْبِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَ النَّفْسِ وَ الْهَوَى وَ الْإِرَادَةِ وَ الْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ وَ الدَّعَاوِي الْكَاذِبَةِ النَّاشِئَةِ مِنَ الطَّبَاعِ وَ النَّفْسِ الْأَمْرَةِ بِالسُّوءِ وَ الضَّلَالَةِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَهْوِيَّةِ.

«فَكُلُّ مَنْ رَأَيْتَهُ» من أفراد العالم و أشخاصه و أصنافه و أنواعه و أجناسه «دَنَى» و قرب «مِنْ سَاحَةِ صَدْرِكَ» الَّذِي هو بمنزلة حول الحريم «إِلَى بَابِ قَلْبِكَ» الَّذِي هو بيت ربك تعالى و حريمه «نَدَرْتَ» أي قطعت «رَأْسَهُ» أي رأس ذلك الغير من أفراد العالم «مِنْ كَاهِلِهِ» لإساءة الأدب مع مولاك بالقرب من حرمة فإذا قطعت رأس الغير مطلقاً أي غير كان «فَلَا يَكُونُ لِنَفْسِكَ وَ هَوَاكَ وَ إِرَادَتِكَ وَ مُتَاكَ دُنْيَاكَ فِي وَ أُخْرَاكَ عِنْدَكَ» بعد قطعك رأسه «رَأْسٌ مَشْأَاءَ» ظهور فلا تظهر رأس شيء منها إلا قطعها بتلك السيوف؛ لأنها من جملة الأغيار «و لَا»

يكون عندك «كَلِمَةُ مَسْمُوعَةٍ» أي متبوعة مقبولة فإن السماع عبارة عن القبول و بهذا المعنى ورد "سمع الله لمن حمده" أي قبل «وَلَا» يكون عندك «رَأْيٌ مُتَّبِعٌ» تتبع تلك الراي «إِلَّا إِتِّبَاعُ أَمْرِ الرَّبِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَالْوُقُوفُ مَعَهُ» أي مع أمر الرب «وَالرِّضَاءُ بِقَضَائِهِ» تعالى «بَلْ» يكون لك «الْفَنَاءُ فِي قَضَائِهِ وَ قَدْرُهُ» تعالى فتخلص عنك و عن غيرك «فَتَكُونُ حِينَئِذٍ عَبْدَ الرَّبِّ وَ عَبْدَ أَمْرِهِ تَعَالَى لَا عَبْدَ الْخَلْقِ وَ عَبْدَ أَرَائِهِمْ» كما هو حال طلاب الدنيا «فَإِذَا اسْتَمَرَّ الْأَمْرُ فِيكَ كَذَلِكَ» المذكور من صرف التوجه عن الخلق و تخليصها للحق تعالى بل الفناء في القدر والقضاء عن النفس والهوى والإرادة والمنى صرت من خالص عبيده و رفعت إلى أعلى مراتب المحبوبة. والمحب أبدا غيور على محبوبه عن التوجه إلى الأغيار و مداخلة الأغيار فلذلك «ضُرِبَتْ حَوْلَ قَلْبِكَ سُرَادِقَاتُ الْغَيْرَةِ» الربانية «وَحَنَادِقُ الْعَظَمَةِ» السلطانية «وَسُلْطَانُ الْجَبَرُوتِ» الإلهية «وَحُفَّتْ» قلبك «بِجُنُودِ الْحَقِيقَةِ وَالتَّوْحِيدِ» ليمنع جميع ذلك من مداخلة الغير في قلبك مطلقا حتى نفسك و هواك و إرادتك و مناك أيضا «وَيَقَامُ دُونَ ذَلِكَ» أي عند ضرب السرادقات و حفر الحنادق والحف بالجنود «حُرَّاسٌ» جمع حارس بمعنى حافظ «مِنَ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ» و قد كان في أول حالك فوض دفع الغير إليك و جُعِلَتْ أنت بواب قلبك فبعد أدائك كمال حقوق التفويض تَوَلَّى الْحَقُّ تَعَالَى بِنَفْسِهِ لمحافظتك و منع مداخلة الغير فيك «كَثِيلًا يُخْلِصُ الْخَلْقَ» و لا يجد الطريق «إِلَى الْقَلْبِ» أي قلبك الَّذِي هُوَ بَيْتُ الرَّبِّ تَعَالَى «مِنَ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَةِ وَالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ وَالدَّعَاوِي الْكَاذِبَةِ النَّاشِئَةِ مِنَ الطَّبَاعِ» البهيمية السبعية «وَالنَّفُوسِ» الشهوية «الْأَمْرَةِ بِالسُّوءِ وَالضَّلَالَاتِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَهْوِيَةِ» الردية الخسيسة فلا يجد الخلق إلى قلبك سبيلا، و لا يخطر ببالك شيء شاغل عن الحق عَزَّ وَجَلَّ.

فَحِينَئِذٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَدْرِ مَحْيَى الْخَلْقِ وَ تَوَاتُرُهُمْ إِلَيْكَ وَ

تَتَابَعُهُمْ وَتَطَابُقُهُمْ عَلَيْكَ لِيُصِيبُوا مِنَ الْأَنْوَارِ اللَّائِيحَةِ عَلَيْكَ وَمِنَ
الْعَلَامَاتِ الْمُئَيَّرَةِ وَالْحِكَمِ الْبَالِغَةِ، وَلَيَرَوْا مِنَ الْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَ
خَزَقِ الْعَادَاتِ الْمُسْتَمَرَّةِ، وَيَزْدَادُوا بِذَلِكَ مِنَ الْقُرْبِ وَالطَّاعَاتِ وَ
الْمُجَاهِدَاتِ وَالْمُكَابِدَاتِ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِمْ حُفِظَتْ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَ
عَنْ مَيْلِ النَّفْسِ إِلَى هَوَاهَا وَغُجْبِهَا وَمُبَاهَاتِهَا وَتَعَاظِمِهَا بِالتَّكْثِيرِ
بِهِمْ وَبِقُبُولِهِمْ لَكَ وَإِقْبَالِ وَجْهِهِمْ إِلَيْكَ.
وَكَذَلِكَ إِنْ قُدِّرَ لَكَ مَجِيئُ زَوْجَةٍ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ كَمِيلَةٍ بِكِفَايَتِهَا
وَسَائِرِ مُؤَيَّتِهَا حُفِظَتْ مِنْ شَرِّهَا وَتَحْمِلُ أَثْقَالَهَا وَأَتْبَاعِهَا وَأَهْلِهَا وَ
صَارَتْ عِنْدَكَ مَوْهَبَةً مُكْفَاءَ مُهَنَّاةٍ مُصَفَّاءَ مِنَ الْغَشِّ وَالْخُبْثِ
وَالدَّخْلِ وَالْحَقْدِ وَالْغَضَبِ وَالْحِيَانَةِ فِي الْغَيْبِ فَتَكُونُ مُسَخَّرَةً لَكَ
هِيَ وَأَهْلُهَا، مَحْمُولَةً عَنْكَ مُؤَيَّتَةً، مَذْفُوعَةً عَنْكَ إِذِ بَيْتُهَا.

«فَحَيِّئْ» أي حين صرت محفوظا بالعناية الرباني واللفظ الصمداني «إِنْ
كَانَ فِي الْقَدْرِ» أي تقدير الله الأزلي «مَجِيئُ الْخَلْقِ» عندك «وَتَوَاتُرُهُمْ» وتوجههم
«إِلَيْكَ وَتَتَابُعُهُمْ وَتَطَابُقُهُمْ» وهجومهم وعكوفهم «عَلَيْكَ لِيُصِيبُوا مِنَ الْأَنْوَارِ
اللَّائِيحَةِ عَلَيْكَ وَ» يستفيدوا «مِنَ الْعَلَامَاتِ الْمُئَيَّرَةِ» والدلائل الواضحة بقرب
الحق «وَالْحِكَمِ الْبَالِغَةِ» مرتبة الكمالية والقرب عند الرب تعالى «وَلَيَرَوْا مِنَ
الْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَخَزَقِ الْعَادَاتِ الْمُسْتَمَرَّةِ وَيَزْدَادُوا بِذَلِكَ» الرؤية «مِنَ
الْقُرْبِ» إلى الله تعالى «وَالطَّاعَاتِ» الفرضية والنفلية «وَالْمُجَاهِدَاتِ» في
تحصيلها «وَالْمُكَابِدَاتِ» والمشقة «فِي عِبَادَةِ رَبِّهِمْ»

وقوله: «حُفِظَتْ» جواب لقوله «إِنْ كَانَ» أي إن كان في القدر مجيئهم
لتحصيل نفعهم واستفادتهم منك حفظت «عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ» بحفظ الله فلا يضر لك
صحبتهم «وَ» حفظت «عَنْ مَيْلِ النَّفْسِ إِلَى هَوَاهَا وَغُجْبِهَا وَمُبَاهَاتِهَا» أي
فخرها «وَتَعَاظِمِهَا بِالتَّكْثِيرِ بِهِمْ» بأن تقول ما أعظم كثرة رجوع الخلق إلي، و

اجتماعهم لدي «وَبِقُبُولِهِمْ لَكَ وَاقْبَالِ وُجُوهِهِمْ إِلَيْكَ، وَكَذَلِكَ» أي كما إن كان في تقدير الله تعالى مجيء الخلق عندك يجيئون وتحفظ من شرهم كذلك «إِنْ قُدِّرَ لَكَ» في علم الله الأزلي «مَجِيئُ زَوْجَةٍ حَسَنَاءَ» عينا كحلاء «بِجَمِيلَةٍ» الوجه جليلة القدر «كَمِيلَةٍ» الخلق أي كاملة الخلق حسنة الخلق «بِكِفَايَتِهَا» أي مع كفاية ذاتها «وَسَائِرِ مُؤَنَّتِهَا» التي هي لوازم الزوجية من البيت والجارية ومتاع البيت «حُفِظَتْ» أي تجمي عندك كما ذكرنا وحفظت أنت «مِنْ شَرِّهَا» في خلقها وقبيلتها «وَتَحْمُلِ أَثْقَالَهَا» في إنفاقها ولوازمها «وَأَتْبَاعِهَا» من أولادها وجواريا «وَأَهْلِهَا» وقبيلتها «وَصَارَتْ» تلك الزوجة «عِنْدَكَ مُؤَهَّبَةً» من ربك «مُكْفَأَةً» في جميع ما تحتاج إليها «مُهَيَّأَةً» هناك الله تعالى وهناك الخلق كله من غير تعيير وتعيب «مُصَفَّاءَ مِنَ الْغَشِّ» الإزدواجي وَالْحُبْثِ» النفسي «وَالدَّخْلِ» الطبيعي «وَالْحَقْدِ» الخُلُقِي «وَالْغَضَبِ» الخُلُقِي «وَالْحَيَانَةِ» الجِلِّي «فِي الْغَيْبِ» أي في غيبتك «فَتَكُونُ مُسَخَّرَةً لَكَ هِيَ وَأَهْلُهَا» كله بتسخير ربك «مَحْمُولَةً عَنْكَ» مُؤَنَّتُهَا مَدْفُوعَةٌ عَنْكَ أَذِيَّتُهَا» الحسبية والنسبية فقله: محمولة ومدفوعة خبر بعد خبر بحذف العاطف فزوجتك الموصوفة بهذه الصفات جنتك الدنياوية.

وَإِنْ قُدِّرَ مِنْهَا وَلَدٌ كَانَ صَالِحًا وَذُرِّيَّةً طَيِّبَةً وَفُرَّةً عَيْنٍ، قَالَ
الله تعالى:

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ ط. [الأنبياء، رقم السورة، ٢١، رقم
الآية: ٩٠]

وَقَالَ تَعَالَى:
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَ

اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان. رقم السورة: ٢٥، رقم الآية: ٧٤]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم، رقم
السورة: ١٩، رقم الآية: ٥-٦]

فَتَكُونُ هَذِهِ الدَّعَوَاتُ الَّتِي فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَعْمُولًا بِهَا مُسْتَجَابَةً فِي حَقِّكَ إِنْ دَعَوْتَ بِهَا أَوْ لَمْ تَدْعُ، إِذْ هِيَ فِي مَحَلِّهَا وَ أَهْلِهَا، وَ أَوَّلَى مَنْ يُعَامَلُ بِهِذِهِ النِّعْمَةُ وَ يُقَابَلُ بِهَا مَنْ كَانَ قَدْ أَهْلًا لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، وَ أُقِيمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَ قُدِّرَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ وَ الْقُرْبِ هَذَا الْمِقْدَارُ، وَ كَذَلِكَ إِنْ قُدِّرَ لَكَ مَجِيئُ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا لَا يَصُرُّ إِذْ ذَاكَ، فَمَا هُوَ قِسْمُكَ مِنْهَا لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَنَاوُلِهِ وَ تَصَفِيَّتِهِ لَكَ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ الْأَمْرِ بِتَنَاوُلِهِ فَتَنَاوُلُهُ وَ أَنْتَ مُمْتَلِئٌ لِلْأَمْرِ مَغَابٌ عَلَى تَنَاوُلِهِ كَمَا تُنَابِتُ عَلَى فِعْلِ الصَّلَوَاتِ الْفُرُضِ وَ الصِّيَامِ الْفُرُضِ، وَ تُؤَمِّرُ فِيهَا فِيمَا هُوَ لَيْسَ بِقِسْمِكَ مِنْهَا بِصَرْفِهَا إِلَى أَوْبَائِهَا مِنَ الْأَصْحَابِ وَ الْجِيرَانِ وَ الْإِخْوَانِ الْمُسْتَحَقِّينَ الْفُقَرَاءِ مِنْهُمْ وَ أَصْحَابِ الْقِسْمَةِ عَلَى مَا يَفْتَضِي الْحَالُ فَالْحَالُ تُكْشِفُهَا وَ تُمَيِّزُهَا وَ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ.

«وَ إِنْ قُدِّرَ مِنْهَا» أي من تلك الزوجة في العلم الأزلي «وَلَدٌ كَانَ» ذلك الولد ولدا «صَالِحًا وَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» لك «وَ قُرَّةَ عَيْنٍ» لك فقلوله: ذرية وقرّة عين خبر بعد خبر كما «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» في حق زكريا عليه السلام: وَ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ هَبْنَا لَهُ يَحْيَى. [الأنبياء، رقم السورة: ٢١، رقم الآية: ٩٨-٩٠]

﴿وَ أَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ط﴾ [الأنبياء، رقم السورة: ٢١، رقم الآية: ٩٠]

«وَ قَالَ تَعَالَى» في وصف عباده المختصين:

وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَ قِيَامًا. [الفرقان، رقم السورة: ٢٥، رقم الآية: ٦٣-٦٤]

وَ عَدَّ أَوْصَافَهُمُ الْجَمِيلَةَ إِلَى أَنْ ذَكَرَ طَلِبَهُمْ بِقَوْلِهِ:

«وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» [الفرقان، رقم السورة: ٢٥، رقم الآية: ٧٤]
 «وَقَوْلُهُ تَعَالَى» حكاية عن نبيه زكريا عليه السلام في دعائه:
 «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» «وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» [مريم، ١٩ / ٥-٦]

«فَتَكُونُ هَذِهِ الدَّعَوَاتُ الَّتِي فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَعْمُولا بِهَا مُسْتَجَابَةً فِي حَقِّكَ»
 أعطاك الله ما دُعي فيها و طلب بها «إِنْ دَعَوْتَ بِهَا» إظهارا للعبودية «أَوْ لَمْ تَدْعُ»
 بها ثقة برضا مولاك «إِذْ هِيَ فِي مَحَلِّهَا» إِنْ وَقَعْتَ فِيكَ «وَأَهْلِهَا» إِنْ حَصَلَتْ لَكَ
 «و» ذَلِكَ لِأَنَّ «أَوَّلَى مَنْ يُعَامِلُ بِهِذِهِ النِّعْمَةَ» المذكورة فيها بالإعطاء «وَيُقَابِلُ
 بِهَا» بالاستجابة «مَنْ كَانَ قَدْ أَهْلًا» أي جعله الله تعالى «أَهْلًا لِهَذِهِ الْمُثْلَةِ»
 الرفيعة «و» مَنْ كَانَ «أَقِيمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ» العظيم «وَقَدَّرَ لَهُ» بفضل الله «مِنْ
 الْفَضْلِ» الجسيم «وَالْقُرْبِ» العظيم البالغ «هَذَا الْمِقْدَارِ» من العظمة والرفعة و
 أنت كذلك فوقوعها فيك في محلها وأهلها «وَكَذَلِكَ» أي كما قدر لك مجيء الخلق
 عندك مجيء و حَفِظْتَ مِنْ شَرِّهِ، و قدر لك مجيء الزوجة محفوظا عن شرها، و قدر
 لك ولد يكون صالحا كذلك «إِنْ قُدِّرَ لَكَ» في العلم الأزلي «مَجِيئُ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا»
 عندك «لَا يَضُرُّ» لك «إِذْ ذَاكَ» أي وقت مجيئها بتقدير الله تعالى «فَمَا هُوَ قِسْمُكَ
 مِنْهَا» أي من الدنيا «لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَنَاوُلِهِ» أي تناول ذلك القسم «وَتَصْفِيَّتِهِ لَكَ
 بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى» وإرادته «وَالْأَمْرُ بِتَنَاوُلِهِ» فالمأمور في الاختيار معذور و بلذة
 الامتثال مسرور «فَتَنَاوُلْهُ» أي تناول أنت ذلك القسم الدنياوى «وَأَنْتَ»
 والحال أنك «مُمْتَثِلٌ لِلْأَمْرِ» الإلهي «مُثَابٌ عَلَى تَنَاوُلِهِ» بسبب امتثال الأمر الرباني
 «كَمَا تُثَابُ» لامتثال الأمر الإلهي «عَلَى فِعْلِ الصَّلَوَاتِ الْفَرَضِ وَالصِّيَامِ
 الْفَرَضِ» فحظك من ما هو قسمك منها لا تعب لك فيها «وَتُؤَمَّرُ» من جانب
 الله تعالى «فِيهَا» أي في الدنيا «فِيمَا هُوَ لَيْسَ بِقِسْمِكَ مِنْهَا بِصَرَفِهَا» أي تؤمر
 بصرف القسم الَّذِي لَيْسَ لَكَ فِي الدُّنْيَا «إِلَى أَرْبَابِهَا» المستحقين «مِنَ الْأَصْحَابِ

وَالْجِيرَانِ وَالْإِخْوَانَ» والخلان «الْمُسْتَحَقِّينَ الْفُقَرَاءَ» والضعفاء «مِنْهُمْ» دون الأغنياء والأقوياء «وَ» ليس تلك القسمة على هؤلاء على السوية بل تقسم «على أصحاب الْقِسْمَةِ» من هؤلاء المذكورين «عَلَى مَا» أي الوجه الَّذِي «يَقْتَضِي الْحَالُ» إياها و أن الله تعالى يطلعك على مقتضى الحال، فإن توجهت إلى الحال «فَالْحَالُ تُكْشِفُهَا وَتُمَيِّزُهَا» لك كشفا واضحا وتميزا تاما فإذا انكشفت لك الحال تطلع على حقيقة ما تسمع من هذا المقال «وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ»

فَجِئْتَنِي بِكَ بِأَمْرٍ عَلَى بَيْضَاءَ نَفْسٍ لَا غُبَارَ عَلَيْهَا وَلَا تَلَيُّسَ وَلَا تَخْلِيْطَ وَلَا شَكَّ وَلَا إِزْتِيَابَ فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ، وَالرِّضَا الرِّضَا، وَحِفْظُ الْحَالِ حِفْظُ الْحَالِ، وَالْحَمُولُ الْحَمُولُ، وَالْحَمُودُ الْحَمُودُ، وَالشُّكُوتُ الشُّكُوتُ وَالصَّمُوتُ الصَّمُوتُ، وَالْحَذَرُ الْحَذَرُ، وَالنَّجَا النَّجَا، وَالْوَجَا الْوَجَا، اللَّهُ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ وَالْإِطْرَاقُ الْإِطْرَاقُ، وَالْإِغْمَاضُ الْإِغْمَاضُ، وَالْحَيَا الْحَيَا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ فَيُؤْخَذُ بِيدِكَ فَتَقْدَمُ وَيُزْعَجُ عَنْكَ مَا عَلَيْكَ ثُمَّ تُغَوَّصُ فِي بَحَارِ الْفَضَائِلِ وَالْمِنَّنِ وَالرَّحْمَةِ ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْهَا فَتُخْلَعُ عَلَيْكَ خِلْعُ الْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ وَالْعُلُومِ وَالْغَرَائِبِ اللَّدُنِيَّةِ فَتَقْرَبُ وَتُحَدِّثُ وَتُكَلِّمُ وَتُعْطَى وَتُغْنَى وَتُسَبِّحُ وَتُزْفَعُ وَتُخَاطَبُ:

﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢،

رقم الآية: ٥٤]

فَجِئْتَنِي بِكَ بِأَمْرٍ حَالَةٍ يُؤَسِّفُ الصِّدِّيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خُوِطِبَ بِهَذَا الْخِطَابِ عَلَى لِسَانِ مَلِكٍ مُضَرٍّ وَعَظِيمِهَا وَفِرْعَوْنِهَا، كَانَ لِسَانُ الْمَلِكِ قَائِلًا وَمُعَبِّرًا بِهَذَا الْخِطَابِ وَالْمُخَاطَبُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَلَى سُلَّمِ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَهُوَ مُلْكُ الْمُضَرِّيِّ وَهُوَ مُلْكُ النَّفْسِ وَهُوَ مُلْكُ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُرْبَةِ وَالْخُصُوصِيَّةِ وَهُوَ الْمُنْزِلَةُ عِنْدَهُ عَزَّ

وَجَلَّ قَالَ اللَّهُ فِي مُلْكِ الْمَلِكِ:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف، رقم
السورة: ١٢، رقم الآية: ٥٦] أي في أرض مصر
﴿يَبْكُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم
الآية: ٥٦]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُلْكِ النَّفْسِ:

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٢٤]
وَقَالَ مِنْ مُلْكِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ:
﴿ذَلِكُمْ بِمَا عَلَّمَنِي رَبِّي، إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٣٧]
فَإِذَا خُوطِبْتَ بِهَذَا الْخِطَابِ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ أُعْطِيتَ الْحُظَّ
الْأَوْفَرَ مِنَ الْعِلْمِ الْأَعْظَمِ وَمُنِخَتْ بِالتَّوْفِيقِ وَالْمِنَّةِ وَالْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ
وَالدَّلَالَةِ الْعَامَّةِ وَالْأَمْرِ النَّافِذِ عَلَى النَّفْسِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَ
التَّكْوِينِ بِإِذْنِ إِلَهِ الْأَشْيَاءِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَى. وَأَمَّا فِي الْآخِرَى
فِي دَارِ السَّلَامِ وَالْجَنَّةِ الْعُلْيَا فَالْتَّظَرُّ إِلَى وَجْهِ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ فِيهَا زِيَادَةٌ
وَمِنَّةٌ وَهُوَ الْمُلَى الَّذِي لَا غَايَةَ لَهَا وَلَا مُنْتَهَى.

«فَحِينِيذٍ» أي حين عاينت الأمر «يَكُونُ الْأَمْرُ» أي أمر الدنيا الواصلة بك
بكلا قسميه أي القسمة التي هي لك خاصة، والقسمة التي تقسمها على أربابها
المستحقين «عَلَى» حالة «بَيِّضَاءَ نَفِيَّةٍ» عن دنس المعصية والعتاب «لَا غُبَارَ عَلَيْهَا
وَلَا تَلَيُّيسَ وَلَا تَخْلِيْظَ وَلَا شَكَّ وَلَا إِزْتِيَابَ» في أنها هل هي جائزة التصرف لك
في حقك خاصة أو في أربابها عامة أم لا يجوز، وذلك لأنها لو لم تكن جائزة
التصرف لك لماساقها الله تعالى إليك، فإن الله تعالى لا يعطي لخواص عباده إلا

الطيبات من الرزق كما قال تعالى: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور، رقم السورة: ٢٤، رقم الآية: ٢٦]

فإذا أطلعك الله تعالى بلسان أوليائه أنه إن كان في تقديره تعالى مجيء الخلق إليك و مجيء النساء إليك و مجيء الولد و مجيء الدنيا يجيء كل منها إليك حال كونك محفوظا من شره و من التعب في تحصيله «فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ» أي الزم الصبر و لا تتحرك بنفسك حتى يفتح الله تعالى عليك ما يريد.

«و» اطلب «الرِّضَاءَ الرِّضَاءَ وَ» الزم «حِفْظَ الْحَالِ حِفْظَ الْحَالِ» الَّذِي أعطاك «و» الزم «الْخُمُولَ الْخُمُولَ» حتى يرفع الله تعالى ذكرك «و» الزم «الْخُمُودَ الْخُمُودَ» عن إرادتك النفسانية حتى يعطيك الله تعالى إرادة من عنده «و» الزم «السُّكُوتَ السُّكُوتَ» حتى يؤذنك الله تعالى بالتكلم «و» الزم «الصَّمُوتَ الصَّمُوتَ» حتى يأمرك الله في النصيحة واحذر «الْحَذَرَ الْحَذَرَ» من إرادتك «و» ترك الصبر عن مشتيتها و اطلب «الْتِّجَا التِّجَا» من سخط الله تعالى «و» اطلب «الْوَجَا الْوَجَا» أي اترك لإرادتك واحذر «الله الله ثُمَّ اللهُ اللهُ» في جميع حالاتك «و» الزم «الْإِطْرَاقَ الْإِطْرَاقَ» لأوامر الله تعالى «و» الزم «الْإِغْمَاضَ الْإِغْمَاضَ» عن هتك أستار الأسرار «و» الزم «الْحَيَا الْحَيَا» في جميع أمورك «إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» وهو تقدير الله تعالى في كل شيء فإذا حان وقت ما أراد الله تعالى بك من مجيء الخلق والزوجة والولد والدنيا إليك «فِيؤْخَذُ» من جانب الله تعالى «بِيَدِكَ فَتَقْدَمُ» إلى ما أراد الله تعالى بك «وَيُزْعُ عَنْكَ» بلطفه و كرمه «مَا عَلَيْكَ» من الإثم في مخالطته فتخلط بكل ما أراد الله تعالى بك حال كونك محفوظا من شره «ثُمَّ تُغَوَّضُ» بفضلته تعالى في «بِحَارِ الْفَضَائِلِ وَالْمِنَّ وَالرَّحْمَةِ» الظاهرية «ثُمَّ تُخْرِجُ مِنْهَا» أي من بحار الفضائل والمن والرحمة «فَتُخْلَعُ عَلَيْكَ خِلْعُ الْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ وَالْعُلُومِ وَالْغَرَائِبِ اللَّدُنِيَّةِ» التي هي الفضائل والمن والرحمة الباطنية «فَتَقَرَّبُ» قربة الحق «وَتُحَدِّثُ» من عند الله تعالى بالأحاديث القدسية «وَتُكَلِّمُ» بالكلام الرباني «وَتُعْطَى» عطاء سبحانيا «وَتُغْنَى غِنَاءً» سلطانيا

«وَتُسَبِّحُ» بلسان الخلق بذكر المحامد والثناء «وَتُرْفَعُ» ذكرك ورتبتك عند خالقك «وَتُخَاطَبُ» بالخطاب الإلهي:

«يَا نَّكَ» أيها العبد المختص «الْيَوْمَ» الَّذِي أعطيناك ما أعطينا «لَدَيْنَا مَكِينٌ» صاحب قرار و وقار «أَمِينٌ» على ما أعطيناك محفوظ من خيانة نفسانية «فَجِيئْتُ» أي حين إذ تخاطب بهذا الخطاب العظيم، وتشرف بهذا الإكرام الجسيم «إِعْتَبِرْ» في حقلك «حَالَةَ يُوسُفَ» النبي «الصِّدِّيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خُوطِبَ» من جانب الله تعالى «بِهَذَا الْخُطَابِ» أي خطاب «إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» «عَلَى لِسَانِ مَلِكٍ مُضَرٍّ وَعَظِيمٍهَا وَفِرْعَوْنِهَا» المسمى بقطفير كان كافرا لكن ذا عقل وراي وراي في المنام ما حكى الله تعالى عنه في القرآن بقوله:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٤٣] «كَانَ» بحسب الظاهر «لِسَانُ الْمَلِكِ قَائِلًا» بهذا القول «وَمُعَبَّرًا بِهَذَا الْخُطَابِ وَالْمُخَاطَبُ» في الحقيقة «هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» وقد فضل الله تعالى يوسف عليه السلام من أصل فطرته، وأعطاه معرفة كاملة «فَعَلَى» تلك المعرفة «سُلِّمَ إِلَيْهِ الْمُلْكُ الظَّاهِرُ وَهُوَ» أي الملك الظاهر «مُلْكُ الْمُضَرِّ، وَ» سلم إليه من جانب الله تعالى «مُلْكُ النَّفْسِ وَ مُلْكُ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُرْبَةِ وَالْخُصُوصِيَّةِ» الربوبية «وَعُلُوُّ الْمُنْزَلَةِ عِنْدَهُ عَزَّ وَجَلَّ» كما «قَالَ اللَّهُ فِي» بيان ما أعطاه من «مُلْكِ الْمَلِكِ الْمُضَرِّ» «وَكَذَلِكَ» أي مثل ذلك التمكين الظاهر من جانب الملك من الإجلال على سرير المملكة وتولي الأمر «مَكْنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ». «أَي فِي أَرْضِ مُضَرٍّ» و كانت أربعين فرسخا في أربعين.

«يَتَّبَعُ مِنْهَا» أي يجعل مكانه من بلادها «حَيْثُ يَشَاءُ» وهذا كناية عن التصرف التام من غير خوف المؤاخذه «وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى» في بيان ما أعطاه من «مُلْكِ النَّفْسِ: كَذَلِكَ» أي مثل ذلك الثبوت عن الهم بامرأة العزيز بإراءة البرهان قيل بظهور جبرئيل، وقيل بتمثيل يعقوب عليه السلام عاضا على أنامله، وقيل بسماع نداء هاتف يا يوسف أنت مكتوب في ديوان الأنبياء وتعمل عمل

السفهاء ثبتناه «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ» مطلقاً، ومنها خيانة السيد «وَالْفَحْشَاءَ ط» ومنها الرنا «إِنَّهُ» أي يوسف عليه السلام «مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» الذين أخلصناهم لطاعتنا، أول الذين أخلصوا دينهم وأعمالهم لنا على قراءتي فتح اللام وكسرها. «وَقَالَ» الله تعالى في بيان ما أعطاه عليه السلام «مِنْ مُلْكِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ» حكاية لجوابه لفتيانه الذين دخلوا معه في السجن وسألا منه تاويل رؤياهما فبين تأويله وقال: «ذَلِكُمَا» أي ذلك العلم بالتأويل «بِمَا عَلَّمَنِي رَبِّي» بالإلهام والوحي كما هو شأن الأنبياء لا من التكهّن والتنجم «إِنِّي» أي لأنى «تَرَكْتُ» من أول الأمر «مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» وتوجهت إلى الرب الَّذِي لا رب سواه فكما خاطب الله تعالى يوسف عليه السلام خاطبك «فَإِذَا خُوطِبْتَ بِهَذَا الْخُطَابِ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ أُعْطِيتَ» من جانب الله «الْحُظَّ الْأَوْفَرَ مِنَ الْعِلْمِ الْأَعْظَمِ وَمُنِحْتَ» بصيغة المجهول أي أعطيت «بِالتَّوْفِيقِ وَالْمِنَّةِ وَالْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ وَالذَّلَالَةِ الْعَامَّةِ وَالْأَمْرِ النَّافِذِ عَلَى النَّفْسِ» أي نفسك «وَوَ غَيْرِهَا مِنْ الْأَشْيَاءِ، وَ» منحت «التَّكْوِينِ» أي إيجاد الأشياء من كتم العدم «بِإِذْنِ إِلَهِ الْأَشْيَاءِ» لا بك و منك، هذا العطاء كله «فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَى، وَ أَمَّا فِي الْآخِرَى» فيعطيك ربك «دَارَ السَّلَامِ وَالْجَنَّةَ الْعُلْيَا فَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الْمُؤَلَّى الْكَرِيمِ فِيهَا» أي النظر إلى وجهه الكريم في الجنة «زِيَادَةٌ» أي يعطيك ذلك النظر تفضلاً «وَمِنَّةٌ» منه تعالى عليك لا جزاء لأعمالك كما قال تعالى:

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ. [يونس، رقم السورة: ١٠، رقم الآية: ٢٦]

فسروا الحسنى بجزاء الأعمال والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم «وَهُوَ» أي النظر إلى وجه الله الكريم «الْمُنَى» والمطلوب «الَّذِي لَا غَايَةَ لَهَا وَلَا مُنْتَهَى».

الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

في بيان أن الخير والشر ثمرتان من غصنين: أحدهما: الحلو، والآخر: المر.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: اجْعَلِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ثَمَرَتَيْنِ مِنْ غُصْنَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، أَحَدُ الْغُصْنَيْنِ يَتَمَرُّ حُلُوءًا، وَالْآخَرُ يَتَمَرُّ مُرًّا، فَكُنْ، وَاتْرِكِ الْبِلَادَ وَالْأَقَالِيمَ وَنَوَاحِيَ الْأَرْضِ الَّتِي تَنْشَأُ وَتُحْمَلُ إِلَيْهَا هَذِهِ الثِّمَارُ الْمَأْخُودَةُ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَابْعُدْ مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا، وَأَقْرُبْ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَكُنْ سَائِسَهَا وَخَادِمَهَا أَلْقَائِمَ عِنْدَهَا، وَاعْرِفِ الْغُصْنَيْنِ وَالثَّمَرَتَيْنِ وَالجَانِبَيْنِ فَكُنْ إِلَى جَانِبِ الْغُصْنِ الْمُثْمِرِ حُلُوءًا فَحْ يَكُونُ غِذَاءَكَ وَفَوْتُكَ مِنْ ثَمَرَتِهِ، وَاجْتَنِبْ أَنْ تَقْدَمَ إِلَى جَانِبِ الْغُصْنِ الْآخَرِ فَتَأْكُلَ مِنْ ثَمَرَتِهِ فَتَهْلِكَ مَرَارَتُهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: اجْعَلِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ثَمَرَتَيْنِ مِنْ غُصْنَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ» الشجرة الواحدة القدر الذي هو منشأ كل الموجودات من الخير والشر، والغصنان هما قصد الخير والشر، «أَحَدُ الْغُصْنَيْنِ» وهو قصد الخير «يَتَمَرُّ» ثمرًا «حُلُوءًا» وهو رضى الله تعالى في الدنيا والآخرة «وَالْآخَرُ» وهو قصد الشر «يَتَمَرُّ» ثمرًا «مُرًّا» وهو سخط الله تعالى «فَكُنْ» أنت أيها السالك ملاحظًا «وَاتْرِكِ الْبِلَادَ وَالْأَقَالِيمَ وَنَوَاحِيَ الْأَرْضِ الَّتِي تَنْشَأُ وَتُحْمَلُ إِلَيْهَا هَذِهِ الثِّمَارُ» الحلو والمر «الْمَأْخُودَةُ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» التي هو القدر، والمراد بالبلاد والأقاليم خلق الله تعالى، فإن قصد الخير والشر المنشأة من قدر الله تعالى المثمرة رضى الله تعالى و سخطه صادر منهم و تحمل إليهم «وَابْعُدْ» أنت «مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا» المراد من أهلها الطمع والحرص والثناء وغير ذلك من الصفات الذميمة الموجبة لملاحظة الخلق، فإنها عامرة لتلك البلاد، والأهل هو العامر، والمراد من البعد عنها قطع

النظر عنها و عن ملاحظتها بل الواجب رؤية فنائها في تقدير الله تعالى يقلبها كيف يشاء «وَ اقْرُبْ مِنَ الشَّجَرَةِ» القدرية «وَ كُنْ» في جميع أوقاتك «سَائِسَهَا» أي حافظها «وَ خَادِمَهَا أَلْقَائِمَ عِنْدَهَا» في كل الأوقات بأن ترى الخلق مضمحلة في سر القدر فلا ترى في أرض الوجود إلا شجرة القدر «وَ اعْرِفِ الْغُصْنَيْنِ» اللذين هما عبارتان عن قصد الخير والشر «وَ» اعرف «الثَّمَرَتَيْنِ» اللذين هما عبارتان عن رضى الله تعالى وسخطه، «وَ» اعرف «الجَانِبَيْنِ» لتلك الغصنين اللذين هما عبارتان عن الصفات الحميدة والذميمة، فإذا عرفت الغصنين والثمرتين والجانبين «فَكُنْ» أنت ذاهبا «إِلَى جَانِبِ الْغُصْنِ الْمُثْمِرِ حُلُوًا فَحَيْثُذِ» أي حين كنت إلى تلك الغصن «يَكُونُ غِذَاءُكَ وَ قُوَّتُكَ» ليلا و نهارا و لحظة و آثا «مِنْ ثَمَرَتِهِ» أي ثمرة ذلك الغصن المثمر للحلو الذي هو رضى الله تعالى فتكون رضى الله تعالى فايضة عليك في كل حين و زمان، و تكون أنت أبدا مرضى الرب الرحمان «وَ اجْتَنِبْ» أنت أيها الحاذق «أَنْ تَقْدَمَ» بتسويل النفس و وسواس الشيطان «إِلَى جَانِبِ الْغُصْنِ الْأَخْرِ» الَّذِي هو قصد الشر المثمر للثمر المر الَّذِي هو سخط الله تعالى فتقرب من تلك الغصن «فَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَرَتِهِ فَتَهْلِكُ مَرَاتُهَا» المخالفة لمزاجك.

فَإِذَا دُمْتَ عَلَى هَذَا كُنْتَ فِي دَعْوَةٍ وَأَمْنٍ وَسَلَامَةٍ مِنَ الْآفَاتِ؛
إِذَا الْآفَاتُ وَأَنْوَاعُ الْبَلَايَا تَتَوَلَّدُ مِنْ تِلْكَ الثَّمَرَةِ الْمُرَّةِ، فَإِذَا غِبْتَ
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَهَمَمْتَ فِي الْآفَاقِ وَ قُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ تِلْكَ
الْثَّمَرَةِ هِيَ مُخْتَلِطَةٌ غَيْرُ مُتَمَيِّزَةٍ الْحُلُوِّ مِنَ الْمُرِّ فَتَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا فَرُبَّمَا
وَقَعْتَ يَدُكَ عَلَى الْمُرِّ فَأَذْنَيْتَهَا مِنْ فَيْكِ فَأَكَلْتَ مِنْهَا جُزْءًا وَ مَضَعْتَهُ
سَرِّ الْمَرَارَةِ إِلَى أَعْمَاقِ لَهْوَاتِكَ وَ بَاطِنِ حَلِيقِكَ وَ دِمَاعِكَ وَ
خَيَاشِيمِكَ فَعَمِلْتَ فَيْكِ وَ سَرَّثَ فِي عُرْوَقِكَ وَ أَجْزَأَ جَسَدِكَ
فَهَلَكْتَ بِهَا وَإِنْ لَفَظْتَ الْبَاقِيَ مِنْ فَيْكِ وَ غَسَلْتَ أَثَرَهُ لَا يَذْفَعُ عَنْكَ
مَا قَدْ سَرَى فِي جَسَدِكَ وَ لَا يَنْفَعُ، وَإِنْ أَكَلْتَ إِبْدَاءً مِنَ الثَّمَرَةِ الْحُلْوَةِ

سَرَتْ حَلَاوَتُهَا فِي أَجْزَاءِ جَسَدِكَ وَانْتَفَعْتَ بِهَا وَسَرَرْتَ فَلَا يَكْفِيكَ ذَلِكَ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَنَاوَلَ غَيْرَ مَا أَكَلْتَ ثَانِيًا، فَلَا تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةَ مِنَ الْمُرَّةِ فَيَحِلُّ بِكَ مَا ذَكَرْتَهُ لَكَ.

«فَإِذَا دُمْتَ عَلَى هَذَا» الحال من ملاحظة الغصنين و معرفة الثمرتين والجانبين والقرب من الغصن المثمر للحلو، والبعد من الغصن المثمر للمرّ «كُنْتُ» أبدا «فِي دَعَةٍ» أَي سَعَةٍ مِنَ الْحَالِ وَ انْشِرَاحِ مِنَ الْبَالِ «وَأَمِنْ» مِنَ الْمَهْلَكَاتِ «وَسَلَامَةٍ مِنَ الْآفَاتِ» كُلُّهَا الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَاوِيَّةِ «إِذَا الْآفَاتُ» كُلُّهَا «وَأَنْوَاعُ الْبَلَايَا» بِأَجْمَعِهَا «تَتَوَلَّدُ مِنْ تِلْكَ الثَّمَرَةِ الْمُرَّةِ» الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى «فَإِذَا غَبَّتْ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ» الْقَدْرِيَّةِ بِاتِّبَاعِ هَوَى النَّفْسِ وَ وَسُوسَةِ الشَّيْطَانِ «وَهَمَمْتَ فِي الْآفَاقِ» مَلَا حِظًا لِلخَلْقِ غَافِلًا عَنْ سِرِّ الْقَدْرِ الرَّبَّانِيِّ وَالْعِلْمِ بِالْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ «وَقُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ» الْحَلْوِ وَالْمَرِّ «وَهِيَ مُخْتَلِطَةٌ» لَا تَعْرِفُ حَلْوَاهَا مِنْ مَرِّهَا «غَيْرُ مُتَمَيِّزَةِ الْحُلْوِ مِنَ الْمُرِّ فَتَتَنَاوَلْتَ مِنْهَا» عَلَى غَرَّةٍ وَ غَفْلَةٍ أَيْ مِنْهَا «فَرُبَّمَا وَقَعْتَ يَدَكَ عَلَى الْمُرِّ» وَ أَنْتَ لَا تَعْرِفُهَا لَغْفَلَتِكَ عَنْ مَلَا حِظَتِهَا وَ تَمَيِّزِهَا «فَأَذْنَيْتَهَا مِنْ فَيْكِ فَأَكَلْتَ مِنْهَا» رَجَاءً أَنْ يَكُونَ لَكَ غِذَاءٌ نَافِعًا أَكَلًا «جُزْءًا» أَي قِطْعًا بِالْأَسْنَانِ «وَمَضَعْتَهُ» مَضْغًا قَلِيلًا فَمَا ابْتَلَعْتَ تِلْكَ اللَّقْمَةَ حَتَّى «سَرَتْ الْمَرَارَةُ» الْمَخَالَفَةُ لِمَزَاجِكَ «إِلَى أَعْمَاقِ لَهَوَاتِكَ» جَمْعُ لَهَاتٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ مَنْقَطَعِ أَصْلِ اللِّسَانِ إِلَى مَنْقَطَعِ الْقَلْبِ، كَذَا فِي الْقَامُوسِ «وَبَاطِنِ حَلْقِكَ وَ دِمَاعِكَ وَ خِيَاشِيمِكَ» الْخِيشُومُ أَقْصَى الْأَنْفِ جُمْعٌ لِلْمَبَالِغَةِ «فَعَمِلْتَ» تِلْكَ الْمَرَارَةَ تَأْثِيرَ إِفْسَادِ الْمَزَاجِ «فَيْكِ وَ سَرَتْ فِي عُرْوَقِكَ وَ أَجْزَاءِ جَسَدِكَ فَهَلَكْتَ» أَي قَرَبْتَ إِلَى الْهَلَاكِ «بِهَا وَ إِنَّ لَفُظْتَ» مِنْ فَيْكِ مُتَصِلَةٌ أَي يُوَصِّلُكَ إِلَى الْهَلَاكِ وَإِنْ رَمِيتَ «الْبَاقِي مِنْ فَيْكِ» أَي مَا بَقِيَ فِي فَمِكَ مِنْ تِلْكَ اللَّقْمَةِ الْمُرَّةِ «وَ غَسَلْتَ أَثَرَهُ» مِنْ فَيْكِ بِالْغُرَفَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ «لَا يَذْفَعُ عَنْكَ» بِإِلْقَاءِ مَا بَقِيَ، وَ غَسَلَ الْفَمَ «مَا قَدْ سَرَى فِي جَسَدِكَ» إِلَّا بَدَوَاءَ مِنْ طَبِيبٍ حَازِقٍ «وَلَا يَنْفَعُ» تِلْكَ الْإِلْقَاءُ وَالْغَسْلُ إِلَّا

بالرياضة في كسب ما يضاده، فهذا تمثيل لارتكاب الحرام، فإنك إذا غفلت عن المحافظة على التميز بين قصد الخير والشر فربما قصدت إلى الشر المثمر لغضب الله تعالى فارتكبته و باشرت به فذهب صفاء وقنك و حلاوة طاعتك، و هو المراد بتأثيرها في الباطن، فسقطت عن ربتك و منزلتك عند ربك، و هو المراد من القرب إلى الهلاك، و لا يدفع عنك تلك التأثير مجرد الانحلاع عن تلك المعصية حتى تتوب توبة نصوحا فيتوب الله عليك إنه هو التواب الرحيم، و لا كذلك حال أكل الحلو والمباشر بالطاعة، فإن المباشرة به مرة واحدة لا ينفع كما أن مباشرة المرو الخطيئة مرّة يضرّك، و لذا قال «وَإِنْ أَكَلْتَ» فرضا «إِتْدَاءً» من غير ارتكاب بالنقيض «مِنَ الثَّمَرَةِ الْخُلُوءِ سَرَتْ حَلَاوَتُهَا فِي أَجْزَاءِ جَسَدِكَ وَانْتَفَعْتَ بِهَا» بتلك اللقمة الحلوة المأكولة مرة واحدة «وَسَرَزْتَ» سرورا ظاهرا «فَلَا يَكْفِيكَ» لإصلاح مزاجك «ذَلِكَ» الأكل مرة واحدة ما لم تتعود بذلك، و صار ذلك الحلو غذاء لك مدة متطاولة حتى يتركب من ذلك مزاج للاعتدال، كذلك الطاعة لا تنفع التلبس بها مرّة واحدة ما لم تستقيم، و حدّ الاستقامة أن يجمع بين أداء الطاعة و الاجتناب عن المعاصي.

و قال المشائخ: حقيقة الاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء و أكابر الأولياء؛ لأن الاستقامة الخروج عن المعهودات والمألوفات، و مفارقة الرسوم والعادات، والقيام في أمر الله تعالى بالنوافل والمكتوبات و بالجملة هي جامعة للمتابعة النبوية و التوجه إلى الحضرة الإلهية.

و في العوارف: كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك في طلب الكرامة و ربك يطلب منك الاستقامة، انتهى.

و قد اشتهر أن الاستقامة فوق الكرامة، فالاستقامة هي المثمرة للقبول؛ و لذا قال «فَلَا بُدَّ» لك بعد ما أكلت من الثمرة الحلوة «أَنْ تَتَنَاوَلَ غَيْرَ مَا أَكَلْتَ» أي غير ما أكلت أول مرة أكلا «ثَانِيًا» أو وقتا ثانيا، والمراد به الاستمرار؛ لأن الغذاء محتاج إليه في كل حين و زمان «فَلَا تَأْمَنْ» من «أَنْ تَكُونَ» المأكولة «الثَّانِيَةَ» مرّة ثانية «مِنَ» الثمرة «الْمَرَّةِ فِيحِلُّ بِكَ» بهذا الأكل الثاني «مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ» أول

مرة من سريان مرارتها إلى أقصى حلقك و باطن دماغك و عروقك و أجزاء جسدك فيقرّبك إلى الهلاك فكن ملاحظا من الخلط والاختلاط بين الحلوة والمرّة و مميزا بين الطيب والخبيث.

فَلَا خَيْرَ فِي الْبُعْدِ عَنِ الشَّجَرَةِ وَالْجَهْلِ بِثَمَرَتِهَا وَالسَّلَامَةِ فِي قُرْبِهَا وَالْقِيَامِ مَعَهَا، فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِفِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ هُوَ فَاعِلُهُمَا وَنَجْرِيهِمَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ. [الصافات، رقم السورة: ٣٦، رقم الآية: ٩٦]

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهُ خَلَقَ الْجَاوِزَ وَجُرُورَهُ». فَأَعْمَالُ الْعِبَادِ خَلَقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَسْبُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. [النحل، رقم السورة: ١٦، رقم الآية: ٣٢]

فإذا وجبت الملاحظة «فَلَا خَيْرَ فِي الْبُعْدِ عَنِ الشَّجَرَةِ» القدرية، والغفلة عنها، واتباع الهوى «وَالْجَهْلِ بِثَمَرَتِهَا» وأخذها مختلطة «و» تحقق «السَّلَامَةِ فِي قُرْبِهَا» و ملاحظتها و تمييز خيرها من شرها «وَالْقِيَامِ مَعَهَا» تحرزا عن اختلاط بعضها ببعض «فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِفِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ فَاعِلُهُمَا» بتقديره و علمه و إرادته و مشيئته الأزلية «وَنَجْرِيهِمَا» بأيدي عبيده و إمائه بل خلقه كله كما «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» كاشفا عن هذا السر القدرى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الصافات، الرقم السورة: ٣٦، رقم

الآية: ٩٦]

أي خلقكم و خلق أعمالكم، و به استدل أهل السنة والجماعة على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى «و» كما «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» في بيان تعميم

يَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ»^(١) هذا الحديث ورد بروايات متعددة «و» إنما «ذَلِكَ» أي وضع اليد على الرأس «مَرْوِيٌّ فِي حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، فَإِذَا كُنْتُ» أيها الطالب «طَائِعًا لِلَّهِ تَعَالَى مُتَّبِعًا» مطيعا «لِأَمْرِهِ، مُنْتَهِيًا لِنَهْيِهِ، مُسَلِّمًا لَهُ» نفسك مع جميع أمورك «فِي قَدَرِهِ» تعالى لا تظهر من نفسك شيئا، ولا تشتهي مشتتها «حَمَاكَ» الله و حفظك «مِنْ شَرِّهِ» أي شر قدره تعالى «و تَفَضَّلَ عَلَيْكَ بِخَيْرِهِ» بل «و حَمَاكَ عَنِ الْأَسْوَءِ» جمع سوء «جَمِيعِهَا دُنْيَا وَ دِينًا» أي سوء كان سوء ادنيويا أو دينيا كما هو شأن الولي المحفوظ.

أَمَّا دُنْيَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٢٤]

وَأَمَّا دِينًا فَقَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ﴾ [النساء، رقم السورة: ٤، رقم الآية: ١٤] مُؤْمِنٌ شَاكِرٌ مَا يَفْعَلُ الْبَلَاءُ عِنْدَهُ وَ هُوَ إِلَى الْعَافِيَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْبَلَاءِ وَ هُوَ إِلَى الْمُرِيدِ إِنَّمَا لِآيَةِ شَاكِرٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم، رقم السورة: ١٤، رقم الآية: ٧]

فَإِنَّمَا تِلْكَ يُطْفِئُ لَهَبَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ عِقُوبَةُ كُلِّ عَاصٍ.

«أَمَّا» الحماية «دُنْيَا ف» كما دل عليه «قَوْلُهُ تَعَالَى» في حق يوسف عليه السلام «كَذَلِكَ» مثل ذلك التثبيت عن الميل إلى امرأة العزيز مع كثرة مراودتها ثبتناه «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ» مطلقا منها الميل إلى زليخا و خيانة العزيز «وَالْفَحْشَاءَ» مطلقا منها الزنا، وكيف لا نصرف عنه السوء والفحشاء، «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» الذين أخلصناهم لطاعتنا، أو الذين أخلصوا دينهم لنا على قراءتي الفتح والكسر.

«وَأَمَّا» الحماية «دِينًا ف» كما دل عليه «قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ»

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة «إِنْ شَكَرْتُمْ» على نعمائه. «وَأَمْنْتُمْ» بما جاء به رسوله يعني لا يعذبكم ليدفع به ضررا عن نفسه، أو يستجلب به نفعاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فمن أخرج نفسه و طهرها عن خساستها الكفرية الباعثة للمذلة فلا يهان ولا يُخذل، فالشكر: الاعتراف بالنعمة، والإيمان: معرفة المنعم، والكفر بالمنعم والنعمة عناد فالعبد الذي هو «مُؤْمِنٌ شَاكِرٌ مَا يَفْعَلُ الْبَلَاءُ عِنْدَهُ» فإن الشكر على النعمة يدفع البلاء عن الشاكر «وَهُوَ» أي العبد المؤمن الشاكر «إِلَى الْعَافِيَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْبَلَاءِ» يعني العافية أقرب إليه من البلاء بل «وَهُوَ إِلَى الْمُرِيدِ» أي مريد النعماء «أَنْفًا» حين شكره على نعمائه المعطى له «لِأَنَّهُ شَاكِرٌ» والشكر يطلب المزيد كما «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [ابراهيم، رقم السورة: ١٤، رقم الآية: ٧]

«فَإِنَّمَا تُنْكِرُ» يَا مُؤْمِنُ «يُطْفِئُ لَهَبَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ عَقُوبَةُ كُلِّ عَاصٍ»

قال النبي صلى الله عليه و على آله و سلم:

«إِنْ نَارَ جَهَنَّمَ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِ جُزْءًا مُؤْمِنٌ فَقَدْ أَطْفَأَ نَوْرَكَ لَهْيَ»^(١)

فَكَيْفَ لَا يُطْفِئُ نَارَ الْبَلَاءِ فِي الدُّنْيَا؟ أَلَلَّهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الْمُجْدُوبِينَ الْمُخْتَارِينَ لِلْوَلَايَةِ وَالْإِصْطِفَاءِ وَالْإِجْتِبَاءِ فَلَا بُدَّ مِنْ بَلَاءٍ لِيَصْفَى بِهِ خُبْتُ الْأَهْوَاءِ، وَالْمِيلُ إِلَى الطَّبَاعِ، وَالرُّكُونُ إِلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَلَذَائِهَا وَالطَّمَأِينَةُ إِلَى الْخُلُقِ وَالرِّضَا بِقُرْبِهِمْ، وَالشُّكُونُ إِلَيْهِمْ، وَالثَّبُوتُ مَعَهُمْ، وَالْفَرَحُ بِهِمْ فَيَنْتَلِي حَتَّى يَذُوبَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَيَنْظِفُ الْقَلْبَ بِخُرُوجِ الْكُلِّ، وَ يَنْفَى تَوْحِيدُ الرَّبِّ وَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَ مَوَارِدُ الْغَيْبِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَسْرَارِ وَالْعُلُومِ وَأَنْوَارِ الْقُرْبِ؛ لِأَنَّهُ بَيْتٌ لَا يَسْغُ اثْنَيْنِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب، رقم السورة: ٣٣، رقم الآية: ٤]

وَقَالَ: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعْرَءَ

(١) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، ٩/ ٣٢٩

أَمَلَهَا إِذْ لَمْ [النمل، رقم السورة: ٢٧، رقم الآية: ٣٤]
 أَخْرَجُوا الْأَعْرَءَةَ مِنْ طَيْبِ الْمَنَازِلِ وَ نَعِيمِ الْعَيْشِ إِذْ كَانَتْ
 الْوَلَايَةُ عَلَى الْقَلْبِ لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَى وَ النَّفْسِ وَ الْجَوَارِحِ مُتَحَرِّكَةً
 بِأَمْرِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُعَاصِي وَ الْآبَاطِيلِ وَ التُّرَاهَاتِ فَزَالَتْ تِلْكَ
 الْوَلَايَةُ فَسَكَنَتْ الْجَوَارِحُ وَ فَرَعَتْ دَارُ الْمُلْكِ الَّتِي هِيَ الْقَلْبُ وَ
 تَنَظَّفَتِ السَّاحَةُ الَّتِي فِي الصَّدْرِ فَأَمَّا الْقَلْبُ فَصَارَ مَسْكَنًا لِلتَّوْحِيدِ
 وَ الْمَعْرِفَةِ وَ الْعِلْمِ، وَ أَمَّا السَّاحَةُ فَمَحُطَّ الْمَوَارِدِ وَ الْعَجَائِبِ مِنَ
 الْغَيْبِ كُلِّ ذَلِكَ تَبِيحَةُ الْبَلَايَا وَ تَمَرَّاتُهَا.
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 "إِنَّا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ".
 وَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا أَغْرَفُكُمْ بِاللَّهِ وَ
 أَشَدُّكُمْ مِنْهُ خَوْفًا".
 فَكُلُّ مَنْ قَرُبَ مِنَ الْمُلْكِ اشْتَدَّ خَطَرُهُ وَ حَدَرُهُ لِأَنَّهُ فِي مَرَايِ
 مِنَ الْمُلْكِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ تَصَارِيفُهُ وَ حَرَكَاتُهُ وَ لَحْظَاتُهُ.

فإذا أطفأ إيمانك نار جهنم «فَكَيْفَ لَا يُطْفِئُ نَارَ الْبَلَايَا فِي الدُّنْيَا» التي هي
 أدون منها. وهذا الحكم عام لجميع المؤمنين. «اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ» المبتلى
 «مِنَ الْمُجْدُوبِينَ» الذين جذبهم الله تعالى إليه «الْمُخْتَارِينَ» أي الذين اختارهم
 الله تعالى «لِلْوَلَايَةِ وَالْإِصْطِفَاءِ وَالْإِجْتِبَاءِ فَلَا بُدَّ» له «مِنْ بَلَاءٍ لِيُصَفِّي بِهِ خُبثُ
 الْأَهْوَاءِ» النفسية «وَ الْمَيْلِ إِلَى الطَّبَاعِ» البشرية «وَالرُّكُونِ» أي الميل «إِلَى
 شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَ لَذَائِهَا وَ الطَّمَائِنَةِ» والقرار «إِلَى الْخَلْقِ وَ الرِّضَى بِقُرْبِهِمْ
 وَ السُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَ الثُّبُوتَ مَعَهُمْ وَ الْفُرْجَ بِهِمْ» كما هو عادة أبناء الدنيا فيبتلى ببلاء
 في جسده أو ولده أو زوجته و من كان متعلقاً به «حَتَّى يَذُوبَ» بتلك البلاء «بِجَمِيعِ
 ذَلِكَ» المذكور من خبث الأهواء إلى آخر ما ذكر «فَيَنْظَفُ» و يتطهر «الْقَلْبُ
 بِخُرُوجِ الْكُلِّ وَ يَبْقَى» في قلبه «تَوْحِيدُ الرَّبِّ وَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ» تعالى «وَ مَوَارِدُ
 الْغَيْبِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَسْرَارِ وَ الْعُلُومِ وَ أَنْوَارِ الْقُرْبِ، لِأَنَّهُ» أي قلب ذلك العبد

«بَيْتٌ» من بيوت الرب والبيت الواحد «لَا يَسْعُ اثْنَيْنِ» كما «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْتَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب، رقم السورة: ٣٣، رقم الآية: ٤] «و» كما «قَالَ» في قصة سليمان حكاية عن بلقيس: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ (النمل، رقم السورة: ٢٧، رقم الآية: ٣٤)

و صدق الله تعالى تلك المقولة بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٢٧ / ٣٤] فإذا دخل التوحيد والمعرفة و موارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم و أنوار القرب الذين هم ملوك الدين «أَخْرَجُوا الْأَعِزَّةَ» الهوائية والنفسانية والشيطانية «مِنْ طِيبِ الْمَنَازِلِ» القلبي والروحي والسري «وَنَعِيمَ الْعَيْشِ» الشهوي والبهيمي والحيواني «إِذْ كَانَتْ الْوِلَايَةُ» والسلطنة أولا في المملكة البدنية «عَلَى الْقَلْبِ» والروح «لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَ» كانت «الْجَوَارِحُ مُتَحَرِّكَةً بِأَمْرِهُمْ» أي الشيطان والهوى والنفس بالردائل «مِنْ أَنْوَاعِ الْمُحَاصِي» النفسانية «وَالْأَبَاطِيلِ» الشيطانية «وَالْتُرَهَاتِ» جمع ترهة، قال في الصحاح فارسي معرب استعير في الباطل فقيل: الترهات البساس، و الترهات الصحاح، و هي من أسماء الباطل «فَزَالَتْ تِلْكَ الْوِلَايَةُ» والسلطنة من هؤلاء الجهلة الحمقى فتعطل أمرهم عن النفوذ على القلب «فَسَكَنَتِ الْجَوَارِحُ» عن إطاعة أمرهم؛ فإن الحاكم المعزول لا يطاع سيما إذا كان ظالما، و سيما عند حضور العازل «وَفَرَعَتْ دَارُ الْمُلْكِ الَّتِي هِيَ الْقَلْبُ» والقالب والروح والسر «وَتَنَظَّفَتِ السَّاحَةُ الَّتِي فِي الصَّدْرِ» عن تصرف الحكام الظلمة الجائرة السوء «فَأَمَّا الْقَلْبُ فَصَارَ مَسْكَنًا لِلتَّوْحِيدِ» الحقيقي «وَالْمُعْرِفَةِ» التحقيقي «وَالْعِلْمِ» اليقيني الرباني «وَأَمَّا السَّاحَةُ» الصدري «فَمَحَطُّ الْمَوَارِدِ» أي محل نزول الواردات «وَالْعَجَائِبِ مِنَ الْغَيْبِ، كُلُّ ذَلِكَ» المذكور من زوال ولاية الحكام السوء، وصيرورتها إلى الحكام الحقاني والأمراء الرباني «نَتِيجَةُ الْبَلَايَا وَثَمَرَاتُهَا» حين صبر عليها، و إنما يكون ذلك لمن أراد الله تعالى القربة والمرتبة عنده، ولذا «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:»

« إِنَّا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ »^(١).
 « وَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمَ: أَنَا أَعَرَفُكُمْ بِاللَّهِ وَ أَشَدُّكُمْ خَوْفًا »^(٢).
 « فَكُلُّ مَنْ قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ اشْتَدَّ خَطَرُهُ وَ حَدَرُهُ » في جميع أموره « لِأَنَّهُ » في كل لحظة و لمحة « في مزأى » أي محل رؤية « مِنَ الْمَلِكِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ تَصَارِيفُهُ وَ حَرَكَاتُهُ وَ لِحَظَاتُهُ »

فَإِنْ قُلْتَ: فَالْحَلِيقَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِاجْتِمَاعِهِمْ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ تَعَالَى مِنْهُمْ شَيْءٌ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لِهَذَا الْكَلَامِ؟
 قِيلَ لَكَ: لَمَّا عَلَتْ مَنَزِلَتُهُ وَ أَشْرَفَتْ رُتْبَتُهُ عَظُمَ خَطَرُهُ، لِأَنَّهُ وَجِبَ عَلَيْهِ شُكْرُ مَا أَوْلَاهُ مِنْ جَسِيمِ نِعَمِهِ وَ عَظِيمِ فَضْلِهِ فَأَذْنَى الْإِلْتِقَاتِ عَنْ خِدْمَتِهِ تَقْصِيرُهُ فِي شُكْرِهِ وَ ذَلِكَ تَقْصَانٌ فِي طَاعَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب، رقم السورة: ٣٣، رقم الآية: ٣٠]
 وَ قَالَ ذَلِكَ لَهَنْ لِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهِنَ بِاتِّصَالِهِنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَكَيْفَ مَنْ كَانَ مُوَاصِلًا بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ قُرْبَهُ تَعَالَى اللَّهُ عُلُوقًا كَبِيرًا عَنِ الشَّيْءِ بِخُلُقِهِ. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

« فَإِنْ قُلْتَ » إن صفات الله تعالى لا يجوز عليها التعطيل، و إنها لا يختلف أثرها بنسبة شخص، دون شخص. فإذا لم تختلف « فَالْحَلِيقَةُ » أي الخلق « عِنْدَ اللَّهِ »

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة، رقم الحديث: ١٨٤، وفيه: « وَأَخَوْفُكُمْ مِنْهُ » بدل « وَأَشَدُّكُمْ مِنْهُ خَوْفًا »، وفيه: قال شيخنا: صحيح، يعني فقد ترجم البخاري في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله... ولفظ الترجمة لأبي ذر: «أنا أعرّفكم» بدل «أعلمكم»، وكأنه مذكور بالمعنى حملا على ترادفهما هنا.

تَعَالَى بِأَجْمَعِهِمْ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ تَعَالَى مِنْهُمْ شَيْءٌ» كما قال: مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ [لقمن، رقم السورة: ٣١، رقم الآية: ٢٨] «فَأَيُّ فَائِدَةٍ لِهَذَا الْكَلَامِ؟» وهو أن من كان قريبا من الملك كان بمرأى من الملك لا يخفي عليه تصاريفه و حركاته، فإن عدم خفاء تصاريف جميع الأشخاص و حركات جميع الأشخاص بالنسبة إليه تعالى سواء لا يختص بالمقرب دون غيره.

«قِيلَ لَكَ» في الجواب: «لَمَّا عَلَتْ مَنَزِلَتُهُ» أي منزلة من جذبه الله تعالى بكمال لطفه إليه «وَأَشْرَفَتْ رُتَبُهُ عَظَمَ خَطَرُهُ؛ لِأَنَّهُ وَجِبَ عَلَيْهِ شُكْرُ مَا أَوْلَاهُ» الله تعالى «مِنْ جَسِيمِ نِعَمِهِ وَ عَظِيمِ فَضْلِهِ فَادْنَى الْإِلْتِقَاتِ» إلى المشتبهات و أقل الإعراض بل الغفلة «عَنْ خَدَمَتِهِ تَقْصِيرُهُ فِي شُكْرِهِ وَ ذَلِكَ» التقصير القليل من ذلك المقرب «تُقْصَانُ» منه «فِي طَاعَتِهِ» والنقصان في الطاعة من المقرب يؤخذ البتة و لا يؤخذ مثله من البعيد، فإن القرب يقتضي التيقظ و من ههنا تسمع المشايخ يقولون: حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ ولذا «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» لأمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن:

«يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ» كبيرة «مُبَيَّنَةٍ» ظاهر قبحها، فسرهما ابن عباس رضى الله عنه بالنشوز والمخالفة و سوء الخلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم «يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» عذاب غيرهن في نشوزهن مع أزواجهن، فإن الذنب من الكامل أقبح كما قيل كبائر الصغير صغائر، و صغائر الكبير كبائر «وَ» إنما «قَالَ» الله تعالى «ذَلِكَ لَهُنَّ لِتَمَامِ نِعْمَتِهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهِنَّ بِاتِّصَالِهِنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» الَّذِي هُوَ أَكْمَلُ المخلوقات. فإذا كان هذا حال المواصل بالنبي صلى الله عليه وسلم و على آله وسلم «فَكَيْفَ مَنْ كَانَ مُوَاصِلًا بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ قُرْبِهِ تَعَالَى اللَّهُ عُلُوقًا كَبِيرًا عَنِ التَّشْبِيهِ بِمَخْلُوقِهِ» إذ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى، رقم السورة: ٤٢، رقم الآية: ١١] و لا كذلك شيء من المخلوقات فأين التشبيه.

الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ

فِي بَيَانِ الْمُجَاهِدَةِ وَالرِّيَاضَةِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَارْضَاهُ: أَتُرِيدُ الرَّاحَةَ وَالسُّرُورَ وَالِدَّعَةَ
وَالْحُبُورَ وَالْأَمْنَ وَالسَّكُونَ وَالنَّعِيمَ وَالذَّلَالَ وَ أَنْتَ بَعْدُ فِي
كَيْرِ السَّبَكِ وَالتَّدْوِيبِ وَتَمَوُّتِ النَّفْسِ وَ مُجَاهِدَةِ الْهَوَى وَ إِرَالَةِ
الْمُرَادَاتِ وَالْأَغْرَاضِ دُنْيَا وَ أُخْرَى وَ قَدْ بَقِيَ فِيكَ بَقِيَّةٌ مِنْ ذَلِكَ
ظَاهِرَةٌ لَاحِظَةٌ عَلَى رِسْلِكَ يَا مُسْتَعِجِلًا مَهَلًا يَا مُتَرَقِّبًا وَ مُنْتَظَرًا
بَابُ مَسْدُودٌ إِلَى ذَلِكَ وَ قَدْ بَقِيََتْ عَلَيْكَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ وَ فِيهِ ذِكْرٌ مِنْهُ
الْمُكَاتَّبُ عَبْدٌ مَا بَقِيََ عَلَيْهِ دِرْهَمٌ. أَنْتَ مَسْدُودٌ عَنْ ذَلِكَ مَا بَقِيََ
عَلَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا مَقْدَارُ مَصِّ نَوَاقٍ، وَ الدُّنْيَا هَوَاكَ وَ مُرَادُكَ وَ مُتَاكَ وَ
رُؤْيَاكَ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَ تَشْوُوقُ نَفْسِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ
دُنْيَا وَ أُخْرَى.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَارْضَاهُ: «يَا طَالِبُ الْحَقِّ» أَتُرِيدُ الرَّاحَةَ وَالسُّرُورَ
وَالِدَّعَةَ «أَيُّ السَّعَةِ» وَالْحُبُورَ «هُوَ كَثْرَةُ السُّرُورِ» وَالْأَمْنَ وَالسَّكُونَ «الْأُخْرَى
«وَالنَّعِيمَ» الْمَقِيمَ «وَالذَّلَالَ» وَهُوَ كَثْرَةُ الرَّاحَةِ «وَأَنْتَ بَعْدُ فِي كَيْرِ السَّبَكِ» كِيرُ
الْحَدَادِ هُوَ زَقٌّ^(١) أَوْ جِلْدٌ غَلِيظٌ ذُو حَافَاتٍ كَذَا فِي الصَّحَاحِ، وَ يُقَالُ لَمَّا يَذَابُ فِيهِ
الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنَّحَاسُ، وَالسَّبَكُ الْإِذَابَةُ، تَقُولُ: سَبَكْتُ الْفِضَّةَ وَغَيْرَهَا
أَسْبَكُهَا سَبَكًا إِذَا أَذْبَتَهَا كَذَا فِي الصَّحَاحِ، وَالْمَعْنَى أَتُرِيدُ الرَّاحَةَ وَالْأَمْنَ الْأُخْرَى
وَالْحَالُ أَنَّكَ بَعْدَ فِي إِذَابَةِ النَّفْسِ عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّدِيَّةِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ
«وَالتَّدْوِيبِ» هُوَ بِمَعْنَى الْإِذَابَةِ قَالَ فِي الصَّحَاحِ: ذَابَ الشَّيْءُ ذَوْبًا وَ ذَوْبَانًا نَقِيضٌ

(١) فِي الْمَخْطُوطَةِ: «زَقٌّ» وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا. الْمَشَاهِدِي

جَمَدَ وَاذَابَهُ غَيْرُهُ وَذَوَّبَهُ بِمَعْنَى «وَتَمَوَّيْتُ النَّفْسِ» وَإِمَاتَتَهَا عَنْ مَشْتَهَاتِهَا «وَمُجَاهَدَةِ الْهَوَى» وَمَنْعَهَا عَنْ مَقْتَضِيَّاتِهَا «وَإِزَالَةَ الْمُرَادَاتِ» النَّفْسَانِيَّةِ «وَالْأَغْرَاضِ دُنْيَا وَآخِرَى» أَيْ دُنْيَاوَيَا كَانَتِ الْأَغْرَاضُ أَوْ آخِرُوَيَا وَلَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ بَلْ «وَقَدْ بَقِيَ فِيكَ بَقِيَّةٌ مِّنْ ذَلِكَ» الْمَذْكُورِ مِنَ الْمُرَادَاتِ وَالْأَغْرَاضِ «ظَاهِرَةٌ لِإِثْنَةٍ» فَكَيْفَ تَطْلُبُ الرَّاحَةَ وَالْأَمْنَ بَلْ تَأَنَّ وَاسْلُكْ «عَلَى رِسْلِكَ يَا مُسْتَعْجِلًا مَهْلًا مَهْلًا» أَيْ امْهَلْ امْهَلْ وَتَأَخَّرْ تَأَخَّرْ فِي طَلْبِكَ الرَّاحَةَ، قَالَ فِي الصَّحَاحِ: قَوْلُهُمْ مَهْلًا يَا رَجُلَ بِمَعْنَى امْهَلْ «يَا مُتَرَقِّبًا وَ مُنْتَظِرًا» لِفَتْحِ «بَابِ مَسْدُودٍ» مِنْ مَشَاهِدَةِ مَوْلَاكَ «أَتَى» لَكَ «ذَلِكَ» الْفَتْحُ بِدُونِ حَصُولِ الْغِنَاءِ عَنْكَ وَ عَنْ جَمِيعِ مُرَادَاتِكَ «وَ» الْحَالُ أَنَّهُ «قَدْ بَقِيََتْ عَلَيْكَ مِنْهُ» أَيْ مِنَ الْغَرَضِ وَالْمُرَادِ «بَقِيَّةٌ وَ فِيهِ ذَرَّةٌ مِنْهُ» أَمَا سَمِعْتَ مَسْئَلَةَ فَهِيَّةً «الْمُكَاتَبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ ذِرْهَمٌ» الْمَكَاتِبُ الْعَبْدُ الَّذِي يَخْلُصُ نَفْسَهُ مِنَ الرِّقَّةِ بِأَدَاءِ قِيمَتِهِ وَهُوَ مَا لَمْ يُوَدَّ تَمَامَ الْقِيَمَةِ لَمْ يَخْلُصْ عَنْ قَيْدِ الرِّقَّةِ فَكَمَا أَنَّ الْمَكَاتِبَ لَا يَخْلُصُ عَنْ الرِّقَّةِ مَا دَامَ بَقِيَ عَلَيْهِ ذِرْهَمٌ كَذَلِكَ لَا تَدْخُلُ أَنْتَ فِي الْمَشَاهِدَةِ وَالرَّاحَةِ وَالْأَمَنِ مَا لَمْ تَخْلُصْ عَنْ قَيْدِ الْبَشَرِيَّةِ. «أَنْتَ مَسْدُودٌ عَنْ ذَلِكَ» مَحْمُولٌ عَلَى الْقَلْبِ يَعْنِي أَنَّ فِي الْعِبَارَةِ قَلْبًا وَ عَكْسًا أَيْ مَسْدُودٌ ذَلِكَ الْبَابُ عَنْكَ، أَوْ يَجْعَلُ «مَسْدُودٌ» بِمَعْنَى مَمْنُوعٌ أَيْ أَنْتَ مَمْنُوعٌ عَنْ ذَلِكَ الْبَابِ «مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا مَقْدَارُ مَصْرِ نَوَاقٍ وَالدُّنْيَا هَوَاكَ» بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ «وَ مُرَادُكَ» لِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ «وَ مُنَاكَ» وَ مَطْلُوبُكَ لِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ «وَ رُؤْيُكَ لِشَيْءٍ مِّنَ الْأَشْيَاءِ وَ تَشَوُّقُ نَفْسِكَ إِلَى شَيْءٍ مِّنَ الْأَغْرَاضِ دُنْيَا وَ آخِرَى» فَإِنَّ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتُ كُلُّهَا عَمَّا وَسَمَ بِالسُّوَى فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي الدُّنْيَا.

فَمَا دَامَ فِيكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَأَنْتَ فِي بَابِ الْفَنَاءِ فَاسْكُنْ حَتَّى
يَخْضَلَ الْفَنَاءُ عَلَى التَّامِّ وَالْكَمَالِ فَتُخْرَجَ مِنَ الْكِبَرِ وَ تَكْمُلَ
صِيَاغَتُكَ وَ تُحْلَى وَ تُكَلِّى وَ تُطَيَّبَ وَ تُبَخَّرَ، ثُمَّ تُرَفَّعَ إِلَى الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ
فَتُخَاطَبَ:

﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢،

رقم الآية: ٥٤]

فَتَوَكَّلْ وَتَلَطَّفْ وَتُطْعَمْ مِنَ الْفَضْلِ وَمِنْهُ تُسْقَى وَتُقَرَّبُ وَ تُدْنَى وَ تُطْلَعُ عَلَى الْأَسْرَارِ وَ هِيَ عَنْكَ لَا تُخْفَى فَتُغْنَى بِمَا تُغْنَى مِنْ ذَلِكَ عَنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا تَرَى إِلَى قُرَاضَةِ الذَّهَبِ مُتَقَرِّقَةً وَ مُتَبَدِّلَةً غَادِيَةً وَ رَائِحَةً فِي أَيْدِي الْعِطَّارِينَ وَ الْبَقَالِينَ وَ الْقَصَابِينَ وَ الدَّبَاغِينَ وَ الْتَقَاطِينَ وَ الْكَتَافِينَ أَصْحَابِ الصَّنَائِعِ الْتَفَيْسَةِ وَ الرِّذِيلَةِ الدَّيِّئَةِ الْحَسِيسَةِ ثُمَّ تُجْمَعُ فَتُجْعَلُ فِي كَيْبَرِ الصَّائِغِ فَتَذُوبُ هُنَاكَ بِاشْتِعَالِ النَّارِ عَلَيْهَا ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْهُ فَتُطْرَقُ وَ تُرَفَّقُ وَ تُطْبَعُ فَتُصَاغُ فَتُجْعَلُ مِنْهُ حُلِيِّاً ثُمَّ تُحْلَى وَ تُطَيَّبُ فَأَمَّا تُتْرَكُ فِي خَيْرِ الْمَوَاضِعِ وَ الْأَمَكَنَةِ مِنْ وَرَاءِ الْأَغْلَاقِ فِي الْخُرَائِنِ وَ الصَّنَادِيقِ وَ الْأَحْقَاقِ أَوْ تُحْلَى بِهَا الْعُرُوسُ وَ تُزَيَّنُ وَ تُكْرَمُ وَ قَدْ تَكُونُ الْعُرُوسُ لِلْمَلِكِ الْأَعْظَمِ فَتُنْقَلُ الْقُرَاضَةُ مِنْ أَيْدِي الدَّبَاغِينَ إِلَى قُرْبِ الْمَلِكِ وَ يَجْلِسُ بِهِ بَعْدَ السَّنِكِ وَ الدَّقِّ فَهَكَذَا أَنْتَ يَا مُؤْمِنُ إِذَا صَبَرْتَ عَلَى مَجَارَى الْأَقْدَارِ وَ رَضِيتَ بِالْقَضَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ قُرْبَتْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

فَتَتَنَعَّمُ بِالْمَعْرِفَةِ وَ الْعُلُومِ وَ الْأَسْرَارِ فَتُسَكِّنُ فِي الْآخِرَةِ كَرَامَةً دَارَ السَّلَامِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ فِي جَوَارِ اللَّهِ وَ دَارِهِ وَ قُرْبِهِ وَ الْأُنْسِ بِهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَاضْبِرْ وَ لَا تَسْتَجْعِلْ وَ ارْضَ بِالْقَضَاءِ وَ لَا تَتَّهِمْ فَيُنَالَكَ بَزْدُ عَفْوِهِ وَ حِلَاوَةُ مَعْرِفَتِهِ وَ لُطْفِهِ وَ كَرَمِهِ وَ مَنِّهِ.

«فَمَا دَامَ فِيكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ» المذكور أنفاً من الأمور الدنيوية «فَأَنْتَ» لست بفنانٍ بل أنت أدخلت قدمك «فِي بَابِ الْفَنَاءِ» لنفسك و هواك و مرادك بل الخلق كله من دائرة الوجود على التمام والكمال «فَأَسْكُنْ» في الإفناء برهة من

الزمان، و لا تستعجل في طلب القرار والراحة «حَتَّى يَحْضَلَ» لك «الْفَنَاءُ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ فَتُخْرِجَ» بعد حصوله «مِنَ الْكَبِيرِ» التي تذاب فيه بالمجاهدة لتصفو فضة وجودك «وَتَكْمُلَ صَيَاغَتُكَ» فإن الصياغة المستحسنة إنما يصاغ من الذهب والفضة الخاصة «وَتُحْلَى» بالحلى اللائقة للعروس «وَتُكْنَى» بكسوة أهل الحسن «وَتُطَيَّبَ» بطيب العروسية «وَتُبَخَّرَ» بالبخور الأنسية «ثُمَّ تُزْفَعُ» بكمال الزينة «إِلَى الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ فَتُخَاطَبُ» من عند ملك مقتدر بخطاب:

﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٥٤]

«فَتَوْنَسُ» بأنسة ربانية «وَتُلَطَّفُ» بالطفاف رحمانية «وَتُطْعَمُ مِنْ الْفَضْلِ» ما لا يُحَوِّجُكَ إِلَى الْخَلْقِ بَعْدَ الْفَنَاءِ عَنْهُ وَالْخِلَاصُ مِنْهُ «وَمِنْهُ» أي من الفضل «تُسْقَى» سقاء تكون به رِيَانًا «وَتُقَرَّبُ» قربا كاملا «وَتُدْنَى» أي زيد في القرب «وَتُظْلَعُ عَلَى الْأَسْرَارِ» الإلهي «وَهِيَ» أي الأسرار «عَنْكَ لَا تُخْفَى فَتُعْنَى» غناء مطلقا «بِمَا تُعْطَى مِنْ ذَلِكَ» الفضل «عَنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ» المسمى بالغير و وُسم بالسوى «أَلَا تَرَى إِلَى قُرَاضَةِ الذَّهَبِ» أي قِطْعِهَا فِي الصَّحَاحِ: الْقِرَاضَةُ مَاسِقُطٌ بِالْقَرْضِ أَيِ الْقِطْعِ وَمِنْهُ قِرْضَةُ الذَّهَبِ «مُتَفَرِّقَةٌ وَ مُتَبَدِّلَةٌ غَادِيَةٌ وَ رَائِحَةٌ» أي أول النهار والآخرة كالفلوس «فِي أَيْدِي الْعِطَّارِينَ وَالْبِقَالِينَ وَالْقَصَابِينَ وَالدَّبَاغِينَ وَالتَّفَاطِينَ» أي صانع النفط و هو بكسر النون و فتحهاو سكون الفاء دهن معروف «وَالْكَنَافِينَ» أي المذهبيين يقال للمذهب^(١) كنيف وكناف و مادة ك ن ف للإحاطة والصيانة والستر. «أَصْحَابُ الصَّنَائِعِ النَّفِيسَةِ» كالعطّار والكناف «وَالرَّذِيلَةِ الدَّنِيَّةِ الْخَسِيسَةِ» كالقصاب والدباغ و بين بين كالبقال والنفط «ثُمَّ تُجْمَعُ» تلك القراضة الذهبية «فَتُجْعَلُ فِي كَبِيرِ الصَّائِغِ فَتَذُوبُ» تلك القراضة «هُنَاكَ» أي في كبر الحداد «بِاشْتِعَالِ النَّارِ عَلَيْهَا» ذوبانا كاملا «ثُمَّ تُخْرِجُ مِنْهُ» أي من الكير «فَتُطْرَقُ» أي تضرب بالمطرقة «وَتُرَفَّقُ» أي تجعل رقيقا «وَتُطْبَعُ» أي تعمل من طبعت السيف و الدرهم أي عملته، كذا في

(١) المذهب: كار ذهب كنده. من الشارح.

الصباح، «فَتَصَاغُ» أي تعمل الصياغة «فَتُجْعَلُ مِنْهُ حُلِيًّا» بأنواعها «ثُمَّ تُحْلَى» أي تزين تلك الحلي المستحسن للناظرين «وَتُطَيَّبُ فَأَمَّا تُتْرَكُ فِي خَيْرِ الْمَوَاضِعِ وَالْأَمَكَةِ مِنْ وَرَاءِ الْأَغْلَاقِ» و تحت الستار «فِي الْخَزَائِنِ» هي جمع خزانة وهي تكسر و لا تفتح «وَالصَّنَادِيقِ» جمع صندوق «وَالْأَحْقَاقِ» جمع حقة «أَوْ تُحْلَى بِهَا» أي بتلك الحلى المتزين «الْعُرُوسُ وَتُزَيَّنُ» بها «وَتُكْرَمُ» بها العروس «وَقَدْ تَكُونُ» تلك «الْعُرُوسُ» المتزين بتلك الحلى عروسا «لِلْمَلِكِ الْأَعْظَمِ فَتُنْقَلُ» تلك «الْقَرَاظَةُ» الذهبية «مِنْ أَيْدِي الدَّبَاغِينَ إِلَى قُرْبِ الْمَلِكِ» الأعظم الَّذِي يطلب أهل الفضل قربه «وَمَجْلِسِهِ» الَّذِي يرجو أهل الكمال حضوره «بَعْدَ السَّبَكِ» في الكير «وَالدَّقِّ» بالمطرقة و صوغه حلية «فَهَكَذَا» أي مثل هذه القراضة الذهبية والتعمل بها بما ذكر «أَنْتَ يَا مُؤْمِنُ» الكامل «إِذَا صَبَرْتَ عَلَى مَجَارِي الْأَقْدَارِ» الإلهية «وَرَضِيتَ بِالْقَضَاءِ» الرباني «فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ» الواردة عليك مسرة و مضرة و سعة و ضيقا و فرحا و غما «قُرْبْتُ إِلَى مَوْلَاكَ» قربا كاملا لا بُعْدَ بَعْدَهَا «فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» أما في الدنيا «فَتُنْعَمُ» إنعاما لطيفا «بِالْمَعْرِفَةِ وَالْعُلُومِ» اليقينية «وَالْأَسْرَارِ» الربانية الموهبية، و أما في الآخرة «فَتُسَكِّنُ فِي الْآخِرَةِ كَرَامَةً» أي لأجل كرامة رحمانية و رحيمية «دَارَ السَّلَامِ» الَّذِي من دخله كان آمنا «مَعَ الْأَنْبِيَاءِ» عليهم الصلوة والسلام «وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ» عليهم رحمة رب الأنام «فِي جَوَارِ اللَّهِ» الملك العلام «وَدَارِهِ وَقُرْبِهِ وَالْأَنْسِ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ» الَّذِي لا لذة فوقه بل و لا مثله «فَاصْبِرْ» يا مؤمن على جدك و اجتهدك في سبيل ربك «وَلَا تَسْتَجْعِلْ» بحصول مقصودك «وَأَرْضْ بِالْقَضَاءِ» الرباني في تأخير مطلوبك «وَلَا تَتَّهِمْ» مولاك انه لا يوصلك إلى منك «فِيئَالِكَ» و يصل إليك بلطفه «بَرْدُ عَفْوِهِ وَحِلَاوَةُ مَعْرِفَتِهِ وَ لُطْفِهِ وَ كَرَمِهِ وَ مَنِّهِ». هذه الثلاثة الأخيرة تحتمل الرفع بالعطف على المضاف، والجر بالعطف على المضاف إليه.

الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

في بيان قول النبي ﷺ كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَارْضَاهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى
إِلِهِ وَسَلَّمَ "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا" يُؤْمِنُ الْعَبْدُ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ
يُسَلِّمُ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَعْتَقِدُ تَسْهِيلَ الرِّزْقِ مِنْهُ تَعَالَى
وَ إِنْ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَ مَا أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ط وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق، رقم السورة: ٦٥، رقم الآية: ٢-٣]
يَقُولُ ذَلِكَ وَ يَعْتَقِدُهُ وَ هُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي حَالِ الْعَافِيَةِ وَالْفَنَاءِ ثُمَّ
يَتَّبِعُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَلَاءِ وَالْفَقْرِ فَيَأْخُذُ فِي السُّؤَالِ وَ التَّضَرُّعِ فَلَا يَكْشِفُهُمَا
مِنْهُ فَحِ تَحَقَّقَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى إِلِهِ وَسَلَّمَ: "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ
كُفْرًا" فَمَنْ تَلَطَّفَ اللَّهُ بِهِ وَ كَشَفَ عَنْهُ مَا بِهِ فَأَذْرَكَ بِالْعَافِيَةِ وَالْغِنَاءِ وَ
وَقَّعَهُ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ وَ الثَّنَاءِ فَيَدِينُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى اللَّقَاءِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَارْضَاهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى إِلِهِ وَسَلَّمَ:
"كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا" يُؤْمِنُ الْعَبْدُ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يُسَلِّمُ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَ جَلَّ وَ يَعْتَقِدُ تَسْهِيلَ الرِّزْقِ مِنْهُ تَعَالَى وَ إِنْ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ» وَ لو سعى
كل سعي و دبر ألف تدبير «وَ مَا أَخْطَاهُ» أي لم يصل إلى ذلك العبد «لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ
وَ» يعتقد أن ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في جميع أحواله و أقواله و أفعاله و أعماله ﴿يَجْعَلْ لَهُ﴾
ربه ﴿مَخْرَجًا﴾ من جميع المكاره من شبهات الدنيا و من غمرات الموت و من شدائد
يوم القيمة ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ في الدارين ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
تعالى في جميع أمور بقطع الطمع عن غيره حتى عن تدبير نفسه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافي

في الدارين، ثم بين الله تعالى وجه وجوب التوكل عليه وتفويض الأمر إليه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ لا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب، ولا يراحمه مزاحم، ولا يقابله أحد ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ تقديرًا وتوقيتًا.

فإن كان العبد «يَقُولُ ذَلِكَ» الَّذِي ذَكَرْنَاهُ بِلِسَانِهِ «وَيَعْتَقِدُهُ» بِقَلْبِهِ «وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ» عَلَى ذَلِكَ «فِي حَالِ الْعَافِيَةِ وَالْفَنَاءِ ثُمَّ يَتَّبِعُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَلَاءِ» بَدَلَ الْعَافِيَةِ «وَالْفَقْرِ» مَكَانَ الْغِنَى وَيَأْخُذُ مِنْهُ عَنَانُ الصَّبْرِ «فِيأْخُذُ فِي السُّؤَالِ» بِالْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ «وَعَلَى يَشْرَعُ» فِي التَّضَرُّعِ فَلَا يَكْشِفُهُمَا «اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ» لِأَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ مَخْتَارٌ فَعَالٌ لَمَّا يَرِيدُ فَيَضْطَرُّ قَلْبُهُ وَيَضِيقُ صَدْرُهُ فَرَبَّمَا يَتَكَلَّمُ بِهِذِيَانَاتٍ مَفْضِيَّةٍ إِلَى الْكُفْرِ «فَحَيِّثُذِ» أَيَّ حِينٍ إِذَا اضْطَرَّ قَلْبُهُ، وَضَاقَ صَدْرُهُ، وَتَكَلَّمَ بِهِذِيَانَاتٍ «تَحَقَّقَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا"، فَمَنْ» أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقِيمَهُ عَلَى الْإِيمَانِ «تَلَطَّفَ اللَّهُ» تَعَالَى بِهِمْ وَكَشَفَ عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنْ الْإِضْطِرَارِ وَالضِّيقِ «فَأَذْرَكَ بِالْعَافِيَةِ» مَكَانَ الْبَلَاءِ «وَالْغِنَاءِ» بَدَلَ الْفَقْرِ، وَالسَّكِينَةِ بَدَلَ الْإِضْطِرَارِ «وَوَفَّقَهُ بِالشُّكْرِ» عَلَى ذَلِكَ «وَالْحَمْدِ» عَلَى النِّعَمِ الْوَاصِلَةِ «وَالثَّنَاءِ» وَرَزَقَهُ التَّوْبَةَ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ «فَيَدِيمُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ» كَرَمًا وَرِزْقًا لِاسْتِقَامَةِ «إِلَى» أَنْ يَصِلَ وَقْتُ «الِلِّقَاءِ» أَيَّ الْمَوْتِ فَيَمِيتُهُ مَوْمِنًا كَامِلًا هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ.

وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ أَدَامَ بَلَاءَهُ وَفَقْرَهُ فَيَنْقَطِعُ عَنْهُ مَدَدُ إِيْمَانِهِ
فَيَكْفُرُ بِالْإِعْتِرَاضِ عَلَى اللَّهِ وَالتُّهْمَةِ لِلْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَالشُّكِّ فِي
وَعْدِهِ فَيَمُوتُ كَافِرًا بِاللَّهِ جَاحِدًا لِآيَاتِهِ مُتَسَخِّطًا عَلَى رَبِّهِ وَإِلَيْهِ
أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ رَجُلٌ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ فَقْرٍ
الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ" نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْفَقْرُ الْمُنْسِي
الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالرَّجُلُ الثَّالِثُ هُوَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِصْطِفَائَهُ،
وَاجْتِبَائَهُ وَجَعَلَهُ مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَحْبَائِهِ وَأَخْلَائِهِ وَوَارِثِ أَنْبِيَائِهِ وَ
سَيِّدِ أَوْلِيَائِهِ وَمِنْ عَظِيمِ عِبَادِهِ وَعُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ وَشُفَعَائِهِمْ وَ
شَحَنِهِمْ وَمُعَلِّمِهِمْ وَهَادِيهِمْ وَمُرْشِدِهِمْ إِلَى سَنَنِ الْهُدَى وَاجْتِنَابِ
سَبِيلِ الرَّدَى فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ جِبَالَ الصَّبْرِ وَبَحَارَ الرِّضَا وَالْمُوَافَقَةِ
وَالْفَنَاءِ فِي فِعْلِ الْمَوْلَى ثُمَّ يَذْكُرُهُ بِحَزْنٍ لَيْلٍ عَطَائِهِ وَنَوَالِهِ فِي أَنْاءِ اللَّيْلِ وَ
أَطْرَافِ النَّهَارِ فِي الْجُلُوءِ وَإِذَا خَلَا وَفِي الظَّاهِرِ مَرَّةً وَفِي الْبَاطِنِ
أُخْرَى بِأَنْوَاعِ اللَّطْفِ وَفُتُونِ الْحُزْنِ يَأْتِصِلُ ذَلِكَ إِلَى حِينِ اللَّقَاءِ.

«و» الرجل الثاني «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ» ابتلاه بالبلاء والفقر و«أَدَامَ بَلَاءَهُ وَ
فَقَرَهُ» فيضطر في ذلك ويزيد جزعه «فَيَنْقَطِعُ عَنْهُ مَدَدُ إِيمَانِهِ» فيأخذ إيمانه في
النقص حتى يفني «فَيَكْفُرُ بِالْإِعْتِرَاضِ عَلَى اللَّهِ» سبحانه وينسى ما أنعم عليه من
نعم لا تحصى «و» يصير إلى «التَّهْمَةِ لِلْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ» و ييأس من رحمته «و»
يبقى في «الشَّكِّ فِي وَعْدِهِ» الحق الذي لا خلف فيه إلى أن يأتيه الموت «فَيَمُوتُ
كَافِرًا بِاللَّهِ بِحَاجِدًا لِآيَاتِهِ مُتَسَخِّطًا عَلَى رَبِّهِ» فلا يرحم الله عليه وألقاه في نار جهنم
خالد فيها «وَالْيَهُ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» بقوله: «إِنَّ أَشَدَّ
النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ رَجُلٌ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ فَقْرِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ» نَعُودُ بِاللَّهِ
مِنْ ذَلِكَ «الْفَقْرُ الْمَفْضِي إِلَى الْكُفْرِ» «و» هذا «هُوَ الْفَقْرُ الْمُنْسِي» أي الذي ينسي
الله عز وجل وهو الذي «إِسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» في أدعيته.

«وَالرَّجُلُ الثَّالِثُ هُوَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِصْطِفَائَهُ وَاجْتِبَائَهُ» كلاهما
بمعنى الاختيار «وَجَعَلَهُ» الله تعالى «مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَحْبَائِهِ وَأَخْلَائِهِ» جمع خليل
«وَوَارِثِ أَنْبِيَائِهِ وَ سَيِّدِ أَوْلِيَائِهِ» أي وارث سيد أوليائه هو سيد الجن والإنس
محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى إخوانه من الأنبياء وعلى آله وصحبه وأتباعه
«و» جعله الله «مِنْ عَظِيمِ عِبَادِهِ وَعُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ وَشُفَعَائِهِمْ» إلى الله تعالى

في الدنيا والآخرة «وَشَحْنِهِمْ» الشحن جمع شحنة بكسر الشين بمعنى الكافي الضابط لأمر العباد ومتبوعهم «وَمُعَلِّمِهِمْ» الخير «وَهَادِيهِمْ» إلى مولا هم «وَمُرْشِدِهِمْ» إلى سَنَنِ الْهُدَى «بفتح السين: الطريق «وَأَجْتَنَابِ سَبِيلِ الرَّدَى» الَّذِي هو ميلان الهوى والنفس الأماره وإغواء الشياطين المكارة «فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ» أي ذلك العبد المصطفى المجتبي «جِبَالَ الصَّبْرِ» فلا يضطرب بالشدائد والمحن «وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ» بِحَارِ الرِّضَا «فيغرق فيها «و» بحار «الْمُؤَافَقَةِ وَالْفَنَاءِ فِي فِعْلِ الْمُؤَلَى» فلا يرى نفسه ولا شدتها ومحتتها وألمها بل لا يرى في الوجود إلا فعل الله تعالى «ثُمَّ يُدْرِكُهُ» الله تعالى بعد فنائه في فعله «بِحَزَائِلِ عَطَائِهِ وَنَوَالِهِ» الظاهرية والباطنية «فِي أَنْاءِ اللَّيْلِ وَاطْرَافِ النَّهَارِ فِي الْجُلُوءِ» أي في المحافل والمجالس والمدارس «وَإِذَا خَلَا» أي وقت الخلوة والمراقبة والمناجاة «وَفِي الظَّاهِرِ مَرَّةً» بما يظهر للخلائق «وَفِي الْبَاطِنِ» مَرَّةً «أُخْزَى» بحيث لا يطلع عليه غيره «بِأَنْوَاعِ اللَّطْفِ» الخارجة عن الحصر «وَفُتُونِ الْحُزْيَا» أي السرور والعلم والارتفاع والشرف.

قال في القاموس: أُخْزَى^(١) بالشيء علمه وارتفع و أشرف ذكره بالحاء المهملة والزاي فلا يختص فيضان النعم عليه بوقت دون وقت بل «يَتَّصِلُ ذَلِكَ» الفيضان «إِلَى حِينِ اللَّقَاءِ» أي حين لقاء ذلك العبد المختار بالله الكريم الرب الرؤوف الرحيم.

(١) في المخطوطة: "أحرف" والصواب ما أثبتنا ١٢. المشاهدي

الْمَقَالَةُ الثَّلَاثُونَ

في الجَوَابِ عَنِ الْجَزَعِ وَالْفَزَعِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَارْضَاهُ: مَا أَكْثَرُ مَا تَقُولُ: أَيَشْ أَعْمَلُ؟ وَ
مَا الْحِيلَةُ؟ فَيَقَالُ لَكَ: قِفْ مَكَانَكَ وَ لَا تَجَاوِزْ حَدَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْفَرْجُ بِمَنْ أَمَرَكَ بِالْقِيَامِ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. [آل عمران، رقم السورة: ٣ رقم الآية: ٢٠٠]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَارْضَاهُ: مَا أَكْثَرُ مَا تَقُولُ أَيَشْ» تعجب من كثرة هذه
المقالة، و أَيَشْ تخفيف: أي شيء «أَعْمَلُ؟ وَ مَا الْحِيلَةُ؟» في دفع المضرة والفقر و
الابتلاء اللاحقة بي «فَيَقَالُ لَكَ» في جواب سؤالك أيها المؤمن العاجز الضعيف
اليقين والقليل الصبر «قِفْ مَكَانَكَ وَ لَا تَجَاوِزْ حَدَّكَ» يا مسكين «حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْفَرْجُ بِمَنْ أَمَرَكَ» أي من الله الأمر «بِالْقِيَامِ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ» من الحالة «قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى» خطاباً للمؤمنين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على مشاق الطاعات و ما يصيبكم من الشدائد
﴿وَ صَابِرُوا﴾ أي غالبوا أعداء الله تعالى في الصبر على شدائد الحرب، و غالبوا
أنفسكم التي هي أعدى عدوكم على مخالفة الهوى «وَ رَابِطُوا» أبدانكم و
خيولكم في الثغور مترصدين للغزو و أنفسكم على الطاعة منتظرين للقبول
«وَ اتَّقُوا اللَّهَ» بالتبري عما سواه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تفلحوا غاية الفلاح.

أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّبْرِ يَا مُؤْمِنُ ثُمَّ بِالصَّابِرَةِ وَ الْمُرَابِطَةِ وَ الْمَحَافِظَةِ
وَ الْمَلَازِمَةِ ثُمَّ حَدَّرَكَ تَرْكُهَا فَقَالَ: ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ترك ذلك أي لَا
تتركوا الصَّبْرَ فَإِنَّ الْخَيْرَ وَ السَّلَامَةَ فِي الصَّبْرِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»

وَ قِيلَ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَوَابُهُ بِمِقْدَارٍ مَعِينٍ إِلَّا ثَوَابَ الصَّبْرِ فَإِنَّهُ
جُزْأَتٌ غَيْرُ مُقَدَّرٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿أَنَّمَا يُؤْفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر، رقم
السورة: ٣٩، رقم الآية: ١٠]

فَإِذَا اتَّقَيْتَهُ فِي حِفْظِكَ لِلصَّبْرِ وَ مُحَافَظَةِ الْحُدُودِ أَجَزَ لَكَ مَا
وَعَدَكَ فِي كِتَابِهِ:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يُزِدْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢/٦٥]

وَ كُنْتَ بِصَبْرِكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْفَرَجُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ
الْمُتَوَكِّلِينَ قَدْ وَعَدَكَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِالْكَفَايَةِ، فَقَالَ:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: رقم
السورة: ٢، رقم الآية: ٦٥]

وَ كُنْتَ مَعَ صَبْرِكَ وَ تَوَكُّلِكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَ قَدْ وَعَدَكَ
بِالْجَزَاءِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف، رقم

السورة: ١٢، رقم الآية: ٢٢]

وَ يُجِئُكَ اللَّهُ مَعَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.
[المائدة، رقم السورة: ٥، رقم الآية: ١٣]

«أَمَرَكَ اللَّهُ» تَعَالَى «بِالصَّبْرِ يَا مُؤْمِنُ» أَوَّلًا «ثُمَّ» أَمَرَكَ «بِالْمَصَابِرَةِ» وَ
هُوَ الْمَغَالِبَةُ فِي الصَّبْرِ ثَانِيًا «وَالْمُرَابَاطَةَ وَالْمُحَافَظَةَ وَالْمُلَازِمَةَ» ثَالِثًا «ثُمَّ حَذَّرَكَ تَوَكُّلَهَا»
أَي تَرَكَ الصَّبْرَ وَ أَخْوِيهِ «فَقَالَ:» وَاتَّقُوا اللَّهَ «فِي تَرْكِ ذَلِكَ» الْمَذْكُورِ مِنَ الصَّبْرِ
وَالْمَصَابِرَةِ وَ الْمُرَابَاطَةِ «أَي لَا تَتَرَكُوا الصَّبْرَ» وَ أَخْوِيهِ «فَإِنَّ الْخَيْرَ وَ السَّلَامَةَ فِي

الصَّبْرُ» ولذا «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»^(١)

فكما أن الجسد المقطوع الرأس عار عن أكثر المنافع بل ربما يفضي إلى قطع الحياة كذلك الإيمان العاري عن الصبر خال عن أكثر المنافع بل ربما يفضي عدم الصبر إلى الكفر «وَقِيلَ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَوَابُهُ بِمِقْدَارٍ» معين «إِلَّا ثَوَابَ الصَّبْرِ فَإِنَّهُ جَزَافٌ غَيْرُ مُقَدَّرٍ» لا يعرفه إلا الله تعالى «كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر، رقم السورة: ٣٩، رقم الآية: ١٠]

«فَإِذَا» أمنت بالله و«اتَّقَيْتَهُ» عز وجل في جميع أمورك لا سيما «في حِفْظِكَ لِلصَّبْرِ» على المصائب والبلايا وعن المعاصي والشبهات «و» سعيت في «مُحَافَظَةِ الْحُدُودِ» ولا تحوم حولها «أَنْجَزَ لَكَ» الله تعالى «مَا وَعَدَكَ» على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «فِي كِتَابِهِ» العزيز وأنه لا يخلف الميعاد وهو قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق، رقم السورة: ٦٥، رقم الآية: ٢، ٣]

«و» إذا «كُنْتَ بِصَبْرِكَ» مستقيما «حَتَّى يَأْتِيَكَ الْفَرَجُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» عدك الله «مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ» ولا يحوم حولك جزع وفزع إذ «قَدْ وَعَدَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْكَفَايَةِ» عن المؤنة ﴿فَقَالَ: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق، رقم السورة: ٦٥، رقم الآية: ٣]

وإذا أحكمت صبرك واثقنت توكلك «وَكُنْتَ» دائرا «مَعَ صَبْرِكَ وَ» مستقيما على «تَوَكُّلِكَ» عدك «مِنَ الْمُحْسِنِينَ» ولا يرهق وجهك قتر ولا ذلة إذ «وَقَدْ وَعَدَكَ» الله تعالى «بِالْجَزَاءِ» في الآخرة «فَقَالَ تَعَالَى» في كتابه العزيز في غير موضع:

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٧٢/٦، والبيهقي في الشعب ١٤٦/١، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٨١/١

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٢٢] «و» إذا كنت من المحسنين رفعك الله قدرك، لأنه «يُحِبُّكَ اللَّهُ مَعَ ذَلِكَ» الصبر والتوكل «لَا تَنْتَهِ قَالَ» في كتابه المجيد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة، رقم السورة: ٥، رقم الآية: ١٣]

وَالصَّبْرُ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ وَ سَلَامَةٌ دُنْيَا وَ أُخْرَى مِنْهُ يَتَرَقَّى
الْمُؤْمِنُ إِلَى حَالَةِ الرِّضَا وَ الْمُؤَافَقَةِ ثُمَّ الْفَنَاءِ فِي أَعْمَالِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ
حَالَةَ الْبَدَلِيَّةِ وَ الْغَيْبَةِ، فَاحْذَرُ أَنْ تَتْرُكَهَ فَتُخْذَلَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ
يَقُوتَكَ خَيْرُهُمَا.

فحينئذ يحصل لك السلامة من الآفات فإذا وصلت إلى مرتبة المحبة بالإيمان والتقوى والصبر والتوكل والإحسان فالإيمان والتقوى رأس كل خير للعوام والخواص «وَالصَّبْرُ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ وَ سَلَامَةٌ» للخواص «دُنْيَا وَ أُخْرَى» ولا تقف في هذه المرتبة بل اطلب الترقى منها إذ «مِنْهُ» أي من الصبر «يَتَرَقَّى الْمُؤْمِنُ» الصابر «إِلَى حَالَةِ الرِّضَا» فلا يصدر عنه خلاف مَرْضَاتِهِ «و» يصل إلى حالة «الْمُؤَافَقَةِ» مع الله «ثُمَّ» يترقى من حالة الرضا والموافقة إلى «الْفَنَاءِ فِي أَعْمَالِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» ويصل إلى «حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ وَ» يترقى إلى حالة «الْغَيْبَةِ» عن نفسه فيحصل له البقاء بالله عز وجل فعليك أن تسعى في الترقى من مقام إلى مقام ولا تقف في مقام، تلتذ به «فَاحْذَرُ أَنْ» تقف في مقام تلتذ به، و «تَتْرُكُهُ» أي تترك الصبر والترقى «فَتُخْذَلَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» ولا تكون من طالبي الدنيا ولا من طالبي العقبى فتصير مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء «وَيَقُوتَكَ خَيْرُهُمَا» فتكون من الخاسرين.

الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ

في دَفْعِ الْبُغْضِ عَنِ الْقَلْبِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ بُغْضَ شَخْصٍ
 أَوْ حُبَّهُ فَأَعْرِضْ أَعْمَالَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانَتْ فِيهِمَا
 مَبْغُوضَةٌ فَأَبَشِّرْ بِمُؤَافَقَتِكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ فِيهِمَا
 مُحِبُّوبَةً وَأَنْتَ تُبْغِضُهُ فَأَعْلَمْ أَنَّكَ صَاحِبُ هَوًى تُبْغِضُهُ بِهَوَاكَ، وَ
 ظَالِمٌ لَهُ بِبُغْضِكَ إِيَّاهُ، وَعَاصٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُخَالَفٌ لَهُمَا فَتَبَّ إِلَى اللَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بُغْضِكَ وَاسْأَلْهُ عَزَّ وَجَلَّ حُبَّهُ ذَلِكَ الشَّخْصِ وَغَيْرِهِ
 مِنْ أَحْبَابِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ لِتَكُونَ
 مُوَافِقًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحَبَّتِهِ فَيُحِبُّكَ اللَّهُ كَمَا يُحِبُّهُمْ، وَكَذَلِكَ أَفْعَلْ
 بِمَنْ تُحِبُّهُ فَأَعْرِضْ أَعْمَالَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانَتْ مُحِبُّوبَةً فِيهِمَا
 فَأَحِبَّهُ وَإِنْ كَانَتْ مَبْغُوضَةً فَأَبْغِضْهُ كَيْلًا تُحِبَّهُ بِهَوَاكَ وَلَيْلًا تُبْغِضُهُ
 بِهَوَاكَ وَقَدْ أَمَرْتَ بِمُخَالَفَةِ هَوَاكَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص، رقم
 السورة: ٣٨، رقم الآية: ٢٦]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا وَجَدْتَ» يا طالب في «قَلْبِكَ بُغْضَ شَخْصٍ»
 أي أنت تبغضه «أَوْ» وجدت فيه «حُبَّهُ فَ» لا تُحِلْ أَنَّ ما وجدته في قلبك حق لا
 بد لك من البقاء عليه بل «أَعْرِضْ أَعْمَالَهُ» التي كان يعملها «عَلَى الْكِتَابِ» الَّذِي
 هو تبيان لكل شيء «و» على «السُّنَّةِ» فإنها مبينة للكتاب و موضحة له «فَإِنْ
 كَانَتْ» أعماله «فِيهِمَا» أي في الكتاب والسنة «مَبْغُوضَةً» لكونها مخالفة لهما
 «فَأَبَشِّرْ» بأن بغضك كان في موقع «بِمُؤَافَقَتِكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» و اسأله عَزَّ وَجَلَّ

بالهداية «وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ» التي عرضته على الكتاب والسنة «فِيهِمَا مَحْبُوبَةٌ» موافقة لهما «وَأَنْتَ تُبْغِضُهُ» بلا جهة بغض «فَاعْلَمْ أَنَّكَ» يبغض ذلك الشخص «صَاحِبُ هَوًى تُبْغِضُهُ بِهَوَاكَ وَ» أنت «ظَالِمٌ لَهُ بِبُغْضِكَ إِيَّاهُ وَ» مع ذلك أنت «عَاصٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» لأنه تعالى يحبه وأنت تبغضه «وَإَيْضًا أَنْتَ مُخَالِفٌ لَّهُمَا» أي للكتاب والسنة «فَقُتِبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بُغْضِكَ» إياه بلا سبب «وَأَسْأَلُهُ عَزَّ وَجَلَّ مَحَبَّةَ ذَلِكَ الشَّخْصِ وَ» محبة «غَيْرِهِ» من أمثاله «مِنْ أَحْبَابِ اللَّهِ وَ أَوْلِيَائِهِ وَ أَصْفِيَائِهِ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ» ولا بد لك من محبتهم «لِتَكُونَ مُوَافِقًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَحَبَّتِهِ» إياهم «فِيحُبُّكَ اللَّهُ كَمَا يُحِبُّهُمْ، وَ» كما فعلت فيمن تبغضه «كَذَلِكَ أَفْعَلْ بِمَنْ تُحِبُّهُ فَأَعْرِضْ أَعْمَالَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانَتْ» أعماله «مَحْبُوبَةً فِيهِمَا فَاحِبَّهُ» لأنه تعالى يحبه «وَإِنْ كَانَتْ» أعماله «مَبْغُوضَةً» فيهما «فَابْغِضْهُ» فإنه تعالى يبغضه و ليس لك أن تحب شخصا، أو تبغضه من غير عرض أعماله على الكتاب والسنة «كَثِيرًا تُحِبُّهُ بِهَوَاكَ» من غير محبة الله تعالى إياه «وَ لِئَلَّا تُبْغِضَهُ بِهَوَاكَ» من غير بغض الله تعالى إياه «وَ» لا تكون عاصيا باتباع الهوى لأنك «قَدْ أَمَرْتَ بِمُخَالَفَةِ هَوَاكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» خطابا لداود عليه السلام:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ﴾ هَوَاكَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

أوصاه الله تعالى بأن لا يتبع في الحكم هواه تنبيهها على أن أعظم جنایات العبد و أقبح خطاياها متابعتها لهواه.

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي الْجَوَابِ عَنْ سُبْهَةِ عَدَمِ بَقَاءِ الصُّحْبَةِ وَالْمُؤَدَّةِ وَفَنَاءِ الْمَالِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَكْثَرُ مَا تَقُولُ كُلُّ مَنْ أَحْبَبَهُ لَا تَدُومُ
صُحْبَتِي لَهُ فَيَحَالُ بَيْنَنَا إِمَّا بِالْغَيْبَةِ أَوْ بِالمَوْتِ أَوْ الْعَدَاوَةِ وَأَنْوَاعِ
الْأَمْوَالِ بِالتَّلَفِ وَبِالْفَوَاتِ مِنَ الْيَدِ، فَيَقَالُ لَكَ: أَمَا تَعْلَمُ يَا مُحِبُّوبَ
الْحَقِّ الْمَعْنَى الْمُنْتَظَرُ إِلَيْهِ الْمَغَارَ لَهُ وَعَلَيْهِ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيُورٌ
خَلَقَكَ لَهُ وَتَرُومُ أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِهِ، وَأَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. [المائدة، رقم السورة: ٥، رقم الآية: ٥٤]
وَقَوْلُهُ:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريت، رقم
السورة: ٥١، رقم الآية: ٥٦]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَكْثَرُ مَا تَقُولُ» بلسان الحال والمقال «كُلُّ مَنْ أَحْبَبَهُ»
بأمر ديني أو دنيائي «لَا تَدُومُ صُحْبَتِي لَهُ» بل يحصل المفارقة «فَيَحَالُ بَيْنَنَا إِمَّا
بِالْغَيْبَةِ» بالسفر أو المرض أو بغير ذلك فيرجى عوده «أَوْ بِالمَوْتِ» فلا يرجى
لقاءه «أَوْ» بحصول «الْعَدَاوَةِ» والبغضاء فيمكن تبديله «و» كذا لا يدوم
«أَنْوَاعُ الْأَمْوَالِ» من النقود والأقمشة والأمتعة إِمَّا «بِالتَّلَفِ» المراد أنه ضاع بحيث
لم يبق قابلاً للانتفاع «و» إِمَّا «بِالْفَوَاتِ مِنَ الْيَدِ» وحصول يد آخر عليه «فَيَقَالُ
لَكَ» من جانب الله تعالى بواسطة الشيخ المرشد، أو بلسان الغيب أو الإلهام أو
الهاتف: «أَمَا تَعْلَمُ يَا مُحِبُّوبَ الْحَقِّ» الَّذِي أَحْبَبَهُ الْحَقُّ تَعَالَى «الْمَعْنَى بِهِ» أَي الَّذِي
عناهُ الله تعالى وقصده «الْمُنْتَظَرُ إِلَيْهِ» أَي الَّذِي نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ عَرْشَهُ
«الْمَغَارَ لَهُ» أَي الَّذِي أَغَارَ اللَّهُ أَنْ يَلْتَفَّ بِغَيْرِهِ وَيَنْبَسِطَ بِمَا سِوَاهُ «و» الْمَغَارُ
«عَلَيْهِ» أَي الَّذِي أَغَارَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَحَفَظَهُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ غَيْرُ «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

غَيُورٌ» وَلِمَ لَا يَغَارُ عَلَيْكَ: لَأَنَّهُ «خَلَقَكَ» لِأَن تَكُونَ خَاصَا «لَهُ وَ» أَنْتَ «تَرُومُ أَنْ تَكُونَ» طَالِبَا «لِغَيْرِهِ» فَعَلَيْكَ أَنْ تَنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ «أَمَّا سَمِعْتَ» بِأَذَانِ الْقَلْبِ «قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ:»

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة، رقم السورة: ٥، رقم الآية: ٥٤]

فعليك أن تنظر إلى عنايات الله سبحانه وألطافه أنه ذكر محبته بهم أولاً، ثم ذكر محبتهم به ثانياً فستان بين مقدم ومؤخر «وَ» أما تعقلت «قَوْلَهُ:»
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريت، رقم السورة: ٥١، رقم الآية: ٥٦]

فإذا أحببت غيره وطلبت سواه كنت عابداً له فكيف تكون عابداً لله الَّذِي خلقك لذلك.

أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ فَإِنْ صَبَرَ ابْتِغَاءَهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا ابْتِغَاءُهُ؟ قَالَ: لَمْ يَذُرْ لَهُ مَالًا وَلَا وَلَدًا.^(١) وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَدٌ أَحَبَّهُمَا فَتَشَبَّعَتْ حُبَّتُهُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَنْتَهَضُ وَتَتَجَرَّى فَتُصِيرُ مُشْتَرَكَةً بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ الشَّرِيكَ وَهُوَ غَيُورٌ قَاهِرٌ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ غَالِبٌ لِكُلِّ شَيْءٍ فِيهِلِكُ شَرِيكَهُ وَيُعْدِمُهُ لِيُخْلِصَ قَلْبَ عَبْدِهِ لَهُ مِنْ غَيْرِ شَرِيكَ فَيَتَحَقَّقُ حِينَئِذٍ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة، رقم السورة: ٥، رقم الآية: ٥٤]

و «أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ»

(١) أخرجه الطبراني، ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيراً ابتلاه، وإذا ابتلاه اقتناه لنفسه، قالوا: يا رسول الله! وما اقتناه؟ قال: «لا يترك له مالا ولا ولداً». قال الهيثمي في المجمع ٢/ ٢٩١ كتاب الجنائز، باب فيمن يبتلى، ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيراً ابتلاه، إذا ابتلاه أضناه، قال يا رسول الله! وما أضناه؟ قال: لا يترك له أهلاً ولا مالا. وقال: رواه الطبراني في الكبير.

يعنى ابتله على حسب مرتبته «فَإِنْ صَبَرَ» ذلك العبد في الابتلاء «إِقْتَنَاهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا اقْتَنَاهُ؟ قَالَ: لَمْ يَذَرْ» ولم يترك «لَهُ مَالًا» يعيش به «وَلَا وَلَدًا» يبقى بعده «وَلَا» إنما يكون له ذلك «لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَدٌ أَحَبَّهُمَا» على مقتضى جبلته «فَتَشَبَّعَتْ» وانقسمت «مَحَبَّتُهُ» التي كانت خاصة «لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ» إلى محبته ومحبة المال والولد «فَتَنْتَقِصُ وَتَتَجَزَّى فَتُصَيِّرُ» محبته الخاصة «مُشْتَرَكَةً بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ وَ اللَّهِ تَعَالَى» كما لا يقبل الشريك في ذاته «لَا يَقْبَلُ الشَّرِيكَ» في صفاته وأفعاله، وكيف يقبل الشريك «وَهُوَ غَيْرُ» خضع كل شيء تحت غيرته «قَاهِرٌ» أحاطه قهره «فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ» فلا يخرج عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء «غَالِبٌ» على أمره مدبر «لِكُلِّ شَيْءٍ فِيهِلُكَ شَرِيكَهُ وَ يُعْدِمُهُ لِيُخْلِصَ قَلْبَ عَبْدِهِ» الَّذِي هُوَ عَرْشُهُ «لَهُ» أي لذاته المقدسة «مِنْ غَيْرٍ» بقاء «شَرِيكَ» فيه «فَيَتَحَقَّقُ حِينَئِذٍ» أي حين إذ خلص قلب العبد لمحبة الحق عَزَّ وَجَلَّ واجتمع محبة الله للعبد ومحبة العبد لله «قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥ / ٥٤]

حَتَّى إِذَا تَنَظَّفَ الْقَلْبُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ وَاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَ طَلَبِ الْوَلَايَاتِ وَ طَلَبِ الرِّيَاسَاتِ وَالْكَرَامَاتِ وَالْحَالَاتِ وَالْمَنَازِلِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْجَنَّاتِ وَ الدَّرَجَاتِ وَ الرُّلُفَاتِ فَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْقَلْبِ إِرَادَةٌ وَلَا أُمِّيَّةٌ فَصَارَ كَالْإِنَاءِ الْمُنْقَلَبِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ فِيهِ مَائِعٌ فَلَا يَثْبُتُ فِيهِ إِرَادَةٌ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّهُ انْكَسَرَ بِفِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّمَا تَجَمَّعَتْ فِيهِ إِرَادَةٌ كَسَرَهَا فِعْلُ اللَّهِ وَ غَيْرَتُهُ ضَرَبَتْ حَوْلَهُ سُرَادِقَاتُ الْعَظَمَةِ وَ الْجَبَرُوتِ وَ حُفِرَتْ مِنْ دُونِهَا خَنَادِقُ الْكِبَرِيَاءِ وَالسَّطَوَةِ فَلَمْ يَخْلُصْ إِلَى الْقَلْبِ إِرَادَةٌ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَح لَا يَضُرُّ الْقَلْبَ الْأَسْبَابُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ وَ الْكَرَامَاتِ وَ الْحِكَمِ وَالْعِبَارَاتِ فَإِنَّ بِجَمِيعِ

ذَلِكَ يَكُونُ خَارِجَ الْقَلْبِ فَلَا يَغَارُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ يَكُونُ جَمِيعُ ذَلِكَ
كَرَامَةً مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِعَبْدِهِ وَ لُطْفًا بِهِ وَ نِعْمَةً وَ رِزْقًا وَ مَنْفَعَةً
لِّلْوَارِدِينَ إِلَيْهِ فَيَكْرُمُونَ بِهِ يُوَحِّمُونَ وَ يُحْفَظُونَ لِكِرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ
جَلَّ فَيَكُونُ خَفِيرًا لَهُمْ وَ شَحْنَةً وَ كَهْفًا وَ حِزْرًا وَ شَفِيعًا دُنْيَا وَ
آخِرَى.

و لا يليق قلبه للمحبة الإلهية «حَتَّى» تطهر و تنظف عما سواه ثم «إِذَا
تَنَظَّفَ» و خلا «الْقَلْبُ» عن جميع الأحوال الدينية والدنيوية «مِنْ
الشُّرَكَاءِ» من بني نوعه «وَالْأَنْدَادِ مِنَ الْأَهْلِ» الَّذِي هُوَ مَوْضِعُ الْأَلْفَةِ «وَالْهَالِ»
الَّذِي هُوَ سَبَبُ تَعِيشِهِ «وَالْوَلَدِ» الَّذِي مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ «وَاللَّدَاتِ»
النفسانية «وَالشَّهَوَاتِ» الجسمانية «وَوَطْلِبِ الْوَلَايَاتِ» على من تحته من العبيد
والخدام «وَوَطْلِبِ الرِّيَّاسَاتِ» على الأقران «وَوَ» إِرَادَةُ «الْكَرَامَاتِ» لجذب
قلوب العوام «وَوَ» روم «الْحَالَاتِ» التي للأولياء «وَوَ» ابتغاء «الْمَنَازِلِ» التي
للأصفياء «وَوَ» ادعاء «الْمَقَامَاتِ» التي للمشايخ «وَوَ» طلب «الْجَنَّاتِ» التي
هي دارالنعيم والخلود للمؤمنين «وَوَ» طلب نيل «الدَّرَجَاتِ» في الجنات «وَوَ»
طلب حصول «الرُّلْفَاتِ» أي الْقُرْبَاتِ عند الله تعالى حصل^(١) له صفاء «فَلَا
يَبْقَى فِي» ذلك «الْقَلْبِ إِرَادَةٌ وَ لَا أُمْنِيَّةٌ» فَإِنْ جَمِيعُ ذَلِكَ مَانِعَةٌ مِنْ حُلُولِ الْمَحَبَّةِ
فِيهِ «فَصَارَ» ذَلِكَ الْقَلْبُ «كَأَلِنَاءِ الْمُثَلِّمِ الَّذِي» فِيهِ ثَقْبٌ كَثِيرَةٌ بِحَيْثُ «لَا يَتُبْتُ»
و لا يستقر فيه «مَائِعٌ فَلَا يَتُبْتُ فِيهِ» أَي ذَلِكَ الْقَلْبُ الْمُثَلِّمُ «إِرَادَةُ شَيْءٍ مِّنَ
الْأَشْيَاءِ؛ لِأَنَّهُ» أَي ذَلِكَ الْقَلْبُ «إِنْكَسَرَ بِفِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَ لَا يَرْجَى سَدَهُ؛ لِأَنَّهُ
«كُلَّمَا نَجَحَتْ» أَي ظَهَرَتْ «فِيهِ إِرَادَةٌ» مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ «كَسَرَهَا فِعْلُ اللَّهِ وَ» مَحْتَهَا
«غَيْرَتُهُ ف» حَفَظَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَنْ وَصُولِ الْإِرَادَةِ إِلَيْهِ بِأَنْ «ضُرِبَتْ حَوْلُهُ» أَي
حَوْلَ الْقَلْبِ «سُرَادِقَاتُ الْعِظَمَةِ وَ» أَحِيطَ جَوَانِبُهُ بِمَحْجَبِ «الْجَبْرُوتِ وَ» مَعَ ذَلِكَ
«حُفِرَتْ مِنْ دُونِهَا» أَي وَرَائِهَا «خَنَادِقُ الْكِبَرِيَاءِ وَالسَّطَوَةِ» أَي الْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ،

(١) جواب «إِذَا». من الشارح

في القاموس سطا عليه و به سطوا و سطوة: صال أو قهر بالبطش «فَلَمْ يَخْلُصْ» أن يصل «إِلَى الْقَلْبِ إِرَادَةُ شَيْءٍ مِّنَ الْأَشْيَاءِ» فإذا تنظف القلب، و حصل له الصفاء، و لم يبق فيه مدخل للغير، و استقر محبة الله فيه «فَحِينَئِذٍ لَا يَضُرُّ الْقَلْبَ» أن يسعى البدن في الأمور الدنيوية والأخروية و يحصل له «الْأَسْبَابُ مِنَ الْمَالِ» الَّذِي به عيش البدن «وَالْوَلَدِ» الَّذِي به بقاء النسل «وَالْأَهْلِ» الَّذِي هو موضع الألفة «و» لا يضره الصعبة مع «الْأَصْحَابِ» من المريدين و الطالبين و غيرهم «و» لا يضر ظهور «الْكِرَامَاتِ» لتميل قلوب الخلق إليه «و» ظهور «الْحِكَمِ وَالْعِبَادَاتِ، فَإِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ» إنما يضر إذا كان في القلب و هنا إنما «يَكُونُ خَارِجَ الْقَلْبِ» و لا تعلق له بالقلب «فَلَا يَغَارُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ» بحصول تلك الأمور له «بَلْ يَكُونُ جَمِيعُ ذَلِكَ كِرَامَةً مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لِعَبْدِهِ» المحب المحبوب «و» يكون ذلك «لُطْفًا بِهِ» منه سبحانه «و» يكون «نِعْمَةً» منه عليه «و» يكون «رِزْقًا» رزقه الله على عبده «و» يكون «مَنْفَعَةً لِلْوَارِدِينَ» من المريدين و الطالبين «إِلَيْهِ فَيُكْرَمُونَ» على صيغة المجهول و كذا ما بعد، أي يُكْرَم الوارِدُونَ «بِهِ وَ يُزَحْمُونَ» بسببه «و يُحْفَظُونَ» بدعائه عن البليات «لِكِرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَكُونُ» هذا العبد «خَفِيرًا لَهُمْ» في القاموس: خفره و به و عليه يخفر و يخفر أجاره و منعه و أمنه، و الخفير: المجار و المجير «و شِئْنَةً» لهم من جانب الله تعالى لكفاية مهماتهم، و الشحنة بالكسر الضابط الحافظ الكافي لمصالح البلد «و كَهْفًا» أي ملاذا لهم «و حِزْرًا» لهم بالكسر العوذة و الموضع الحصين، لأنهم يلتجئون إليه في أمورهم «و» يكون «شَفِيعًا» لهم «دُنْيَا وَ أُخْرَى»

الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ

في بيان أنواع الرجال بأنّها أَرْبَعَةٌ عَدِيدُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ جَمِيعًا،
وَلِسَانٌ بِلَا قَلْبٍ وَقَلْبٌ بِلَا لِسَانٍ، وَالْجَامِعُ لَهُمَا، وَالْأَوَّلَانِ شَرَّانِ، وَالْآخِرَانِ
خَيْرَانِ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: النَّاسُ أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ لَا لِسَانَ لَهُ وَلَا
قَلْبَ، وَهُوَ الْعَاصِي الْغُرُّ الْغَيُّ سَفْسَافٌ لَا يَغْبَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ وَلَا
خَيْرَ فِيهِ، هُوَ وَآمَنَالَهُ حَقَالَةٌ وَلَا وَزْنَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ
فِيَهْدِي قُلُوبَهُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَيُحَرِّكَ جَوَارِحَهُمْ بِالطَّاعَةِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ.
فَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ وَلَا تَلْدُوا بِهِمْ وَلَا تَكْتَرِثُوا بِهِمْ وَلَا تَقُمْ فِيهِمْ
فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْعَذَابِ وَالْغَضَبِ وَالسَّخَطِ سُكَّانُ النَّارِ وَأَهْلُهَا
نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُعَلِّمِي
الْخَيْرِ وَهُدَاةِ الدِّينِ وَقَوَادِمِهِمْ وَدُعَاتِهِ فِدْوَنَكَ فَأْتِيَهُمْ وَادْعُهُمْ إِلَى
طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَذَرِهِمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَكُنْتَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى
جَهْدًا فَتُغْفَرَ ثَوَابُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِأَنَّ
يَهْدِي اللَّهُ بِهَذَاكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ بِمَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: النَّاسُ» أصناف «أَرْبَعَةٌ» أحدها «رَجُلٌ» المراد
به الشخص ذكرًا كان أو أنثى «لَا لِسَانَ لَهُ» بحيث ينطق بالحق و بما ينتفع به هو
وغيره «وَلَا قَلْبَ» لَهُ لِيَعْرِفَ لِمَا خُلِقَ لَهُ «وَهُوَ الْعَاصِي الْغُرُّ» وَهُوَ الَّذِي لَا تَجْرِبَةُ
لَهُ «الْغَيُّ» وَهُوَ الَّذِي لَا فِطْنَةَ لَهُ الْمَشَارِإِلِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ط
 أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿[الاعراف، رقم السورة: ٧، رقم الآية: ١٧٩]

لأنه «سَفْسَافٌ» وهو الردي من كل شيء والأمر الحقيقير وما دق من التراب، كذا في القاموس «لَا يَغْبَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ» ولا يعتبره لأنه «لَا خَيْرَ فِيهِ» إذ «هُوَ وَآمَثَالُهُ حُثَالَةٌ» بالحاء المهملة والشاء المثناة ككُنَاسَةِ الْقُشَارَةِ وما لا خير فيه و الردي من كل شيء، كذا في القاموس «وَلَا وَزْنَ لَهُمْ» عند الله تعالى «إِلَّا أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ» الرحمن الرحيم، «بِرَحْمَتِهِ» فإن رحمته وَسَعَتْ كل شيء «فِيهِدِي قُلُوبَهُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ» وبما جاء الرسل من عنده «وَيُحَرِّكْ بِجَوَارِحِهِمْ بِالطَّاعَةِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ» فيكونون مؤمنين مسلمين «فَاخْذَرْ» يا سالك «أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» أي من العصاة الغراليغي «وَلَا تَلُدْ بِهِمْ» إن احتجت في السلوك «وَلَا تَكْتَرِثْ» أي لا تبال «بِهِمْ» إن اجتمعت معهم «وَلَا تَقُمْ فِيهِمْ» يحتمل أن يكون من القيام أو من الإقامة والمآل واحد أي لا تخالطهم «فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْعَذَابِ وَالْغَضَبِ وَالسَّخَطِ سُكَّانُ النَّارِ وَأَهْلُهَا» خالدين فيها «نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهُمْ» ولا بد لك أن تبعد عنهم، فإن للصحة تأثيرا بليغا «إِلَّا أَنْ تَكُونَ» يا سالك الطالب «مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» فَحِينَئِذٍ لَا بَأْسَ لَكَ أَنْ تَصْحَبَهُمْ، لأنك «مِنْ مُعَلِّمِي الْخَيْرِ وَ» لا بد لك من اختلاطهم لأنك من «هُدَاةِ الدِّينِ» جمع هاد فعل اختلاطك يكون سببا لهدايتهم إلى الدين «وَ» من «قُودِهِمْ» جمع قائد أي تقودهم إلى الدين «وَ» من «دُعَاتِهِ» جمع داع أي تدعوهم إلى الدين وإذا كنت كذلك «فَدُونُكَ» اسم فعل بمعنى خُذْ أي خذهم «فَاتِبِهِمْ» وخالطهم «وَادْعُهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» لأنك أمر بالمعروف «وَخَذَرُهُمْ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ» لأنك ناه عن المنكر «فَكُنْتُ» بهذا الاختلاط والدعوة والتحذير «عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى جِهْدًا» بالكسر النقاد الخبر، كذا في القاموس «فَتُعْطَى ثَوَابُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ»

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

”لَإِنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهَذَاكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَّكَ مِمَّا طَلَعْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ“^(١)
وهذا الرجل اما كافر او فاسق غال في الفسق يخشى عليه سوء الخاتمة.

وَالرَّجُلُ الثَّانِي: رَجُلٌ لَهُ لِسَانٌ بِلَا قَلْبٍ فَيَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَسْتَقْبِحُ عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَدُومُ عَلَى مِثْلِهِ فِي نَفْسِهِ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ تَشُّكًا وَيُبَارِزُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعِظَائِمِ مِنَ الْمَعَاصِي، إِذَا خَلَا ذُنُوبَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهُوَ الَّذِي حَدَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ:
أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُتَافِقٍ عَلَيْهِمُ اللِّسَانِ.
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: ”أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عُلَمَاءُ الشُّوءِ“
نَعُوذُ بِاللَّهِ،
فَابْعُدْ مِنْهُ وَهَزِوْنِ لِئَلَّا يَخْطِفَكَ بِلَذِيذِ لِسَانِهِ فَيَحْرِقَكَ نَارَ
مَعَاصِيهِ وَيَقْتُلَكَ نَفْسُ بَاطِنِهِ وَقَلْبِهِ.

«وَالرَّجُلُ الثَّانِي رَجُلٌ لَهُ لِسَانٌ بِلَا قَلْبٍ فَيَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ» و يتكلم بالموعظة و يذكر أقوال الأكابر «و» هو بنفسه «لَا يَعْمَلُ بِهَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» و يأمرهم بالخلوة والمجاهدة والتقوى «وَهُوَ» بنفسه «يَفِرُّ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ» لا اشتغاله في الخلوة بالمعاصي والملاهي و يزين نفسه بصورة الصلحاء والأتقياء و يدعي الخرافات «فَيَسْتَقْبِحُ عَيْبَ غَيْرِهِ» و يظهره عند الناس «و» لا يسعى في تطهير باطنه بل «يَدُومُ عَلَى مِثْلِهِ» أي مثل عيب غيره و هو «فِي نَفْسِهِ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ تَشُّكًا» أي عبادة و ليس في قلبه إلا اهتمام تزيين الظاهر رياء و سمعة «و يُبَارِزُ اللَّهَ» العليم الخبير «عَزَّ وَجَلَّ بِالْعِظَائِمِ مِنَ الْمَعَاصِي» والملاهي «إِذَا خَلَا» فهو في الظاهر إنسان بصورة الصالحين، و في الباطن «ذُنُوبٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ» فعوام الناس يغترون بظاهره و إبليس و جنوده يعينونه في باطنه من اقتدى به ضل «وَهُوَ

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب جامع لنشر العلم، رقم الحديث: ٧٧٤،

الذي « قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيه:

﴿اتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ط أَ فَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ٤٤]
و قال أيضًا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف، رقم السورة: ٦١، رقم الآية: ٢-٣]

و « حَدَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » أيضًا « يَقُولُهُ: أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ »^(١) فإن لسانه حباله الشيطان « وَ » حَدَّرَ مِنْهُ أَيْضًا « فِي حَدِيثٍ آخَرَ: ”أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عِلْمَاءُ السُّوءِ“ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ، وَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ فَأَنْتَ يَا طَالِبُ إِذَا وَجَدْتَ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ «فَابْعُدْ مِنْهُ» بُعْدَكَ مِنَ الْأَسَدِ بَلْ أَشَدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ الْأَسَدَ إِنَّمَا يُؤْذِي بَدَنَكَ، وَ هَذَا الرَّجُلُ يَسْلُبُ عَنْكَ دِينَكَ « وَ هَزُولُ » مِنْهُ « لِيَأْخُذَ بِحَبْلِ لِسَانِهِ » وَ يَذْهَبُ بِكَ « بِلَذِيذِ لِسَانِهِ » وَ حَلُو كَلَامِهِ فَإِنَّ الصَّحْبَةَ تَوَثَّرَ « فَيَحْرِقُكَ نَارُ مَعَاصِيهِ » الْبَاطِنَةُ « وَ يَقْتُلُكَ نَرُّ بَاطِنِهِ » الْخَبِيثِ « وَ قَلْبِهِ » الْخَسِيسِ.

وَ هَذَا الرَّجُلُ إِمَّا مُنَافِقٌ أَوْ مُلْحِدٌ يُرَى فِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ وَ هُوَ فِي الْبَاطِنِ مَعَ الشَّيْطَانِ، وَ إِلَيْهِ أَشِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ط فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجن، رقم السورة: ٤٥، رقم الآية: ٢٣]

وَالرَّجُلُ الثَّالِثُ: قَلْبٌ بِلَا لِسَانٍ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ سَتَرَهُ اللَّهُ عَنْ خَلْقِهِ، وَ أَسْبَلَ عَلَيْهِ كِنْفَهُ، وَ بَصَرَهُ بِغُيُوبِ نَفْسِهِ، وَ نَوَّرَ قَلْبَهُ، وَ عَرَفَهُ غَوَائِلَ مُحَاظَةِ النَّاسِ وَ سُوءِ الْكَلَامِ وَ النُّطْقِ وَ تَبَيَّنَ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الصَّمْتِ وَ الْإِنْرَاءِ وَ الْإِنْفِرَادِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث: ١٤٣، ١/٢٨٨

وَعَلَى إِلِهِ وَسَلَّم: مَنْ صَمَتَ نَجَا.
وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِنَّ الْعِبَادَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمَتِ.
فَهَذَا رَجُلٌ وَلِيُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سِرِّ اللَّهِ مَحْفُوظٌ ذُو سَلَامَةٍ وَ
ذُو عَقْلِ وَافِرٍ جَلِيسُ الرَّحْمَنِ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ فَالْحَيْزُ كُلُّ الْحَيْزِ عِنْدَهُ
فَذُنُوكَ مُصَاحِبَتُهُ وَتُخَالِطَتُهُ وَخِدْمَتُهُ وَالتَّحَبُّبُ إِلَيْهِ بِقَضَاءِ حَوَائِجِ
تَسْنُحِ لَهُ وَمُرَافِقِ يَزْتَفِقُ بِهَا، فَيَحْبِبَكَ اللَّهُ وَيَضْطَفِيكَ وَيُدْخِلُكَ فِي
زُمرَةِ أَحِبَّائِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ بِرِكَابِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

«وَالرَّجُلُ الثَّالِثُ: قَلْبٌ بِلَا لِسَانٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ولي الله عارف بالله «سَتَرَهُ اللَّهُ عَنْ عِيُونِ» «خَلَقَهُ» فلا يظنونونه إلا من أحاد الناس كما ورد في الحديث القدسي:
أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري.^(١)

«وَاسْتَبَلَّ عَلَيْهِ كَيْفَهُ» فلا يعرفه جن ولا إنس ولا ملك «و» أعرضه عن الناس و أشغله بتصفية نفسه إذ «بَصَّرَهُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ، وَ» لا يرى عيب غيره لأن الله تعالى «نَوَّرَ قَلْبَهُ» فلا يرى ما يُقْبِحُهُ إِلَّا فِي نَفْسِهِ فَيَسْعَى فِي دَفْعِهِ «و» حُبَّ إِلَيْهِ التفرد والآنزواء لانه تعالى «عَرَفَهُ غَوَائِلَ مُخَالَطَةِ النَّاسِ» و صحبتهم «و» أعلمه «شُؤْمَ الْكَلَامِ» الدنيوي «و» أفات «التَّنَطُّقِ» بما لا يعني «و» تفرد عن الخلق لأنه «تَيَقَّنَ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الصَّمَتِ» والسكوت «وَالْآنْزِوَاءِ وَالْإِنْفِرَادِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».^(٢)

وأيضاً: «مَنْ سَكَتَ سَلِمَ وَمَنْ سَلِمَ نَجَا» وأيضا: «الصَّمْتُ زَيْنٌ لِلْعَالَمِ وَ سِرٌّ لِلْجَاهِلِ»^(٣). «وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أَيضاً:

(١) انظر تفسير الآسوي ج: ١٧، ص: ٢١٢

(٢) رواه الترمذي برقم: ٢٥٠١، وأحمد، ١٥٩/٢، برقم: ٦٤٨١، والدارمي برقم: ٢٧٥٥، من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن سفيان بن عيينة، ٨٦/٧، برقم: ٤٧٠١.

«إِنَّ الْعِبَادَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ.» وقيل: لما كان أمر اللسان أصعب جعل في حجابين الأسنان والشفيتين. و كان الصديق رضي الله تعالى عنه يجعل حجرا في الفم، وهذا حجاب ثالث «فَهَذَا رَجُلٌ وَلِيُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» عارف بالله دائم «فِي سِتْرِ اللَّهِ» يفاض عليه أُلطافه «مُحْفُوظٌ» عن الآفات «ذُو سَلَامَةٍ» عما يوحشه «وَذُو عَقْلٍ وَافِرٍ» و حظ كامل «بِجَلِيسِ الرَّحْمَنِ» أي مقرب منه «مُنْعَمٌ عَلَيْهِ» بأنواع العناية «فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ عِنْدَهُ» فإذا وصلت إلى هذا الرجل «فَدُونُكَ» أي خذ «مُصَاحِبَتَهُ» فلا تفارقه «وَعَلَيْكَ» مُخَالَطَتُهُ «فَلَا تَغِبْ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ.» «وَعَلَيْكَ» اغتنم «خِدْمَتَهُ» اقصد «التَّحَبُّبَ إِلَيْهِ بِقَضَاءِ حَوَائِجِ تَسْنُحٍ لَهُ» و تعرض «وَعَلَيْكَ» هيئ له «مُرَافِقٍ» أي منافع «يَزْتَفِقُ بِهَا» و ينتفع «فِيحِبُّكَ اللَّهُ» بمحبة ولي الله «وَيَصْطَفِيكَ» بخدمته «وَيُدْخِلُكَ فِي زُمْرَةِ أَحِبَّائِهِ» لمصاحبه «وَعَلَيْكَ» يجعلك من «عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ» وإنما يحصل لك جميع ذلك «بِرَكَتِهِ» إن شاء الله تعالى.

وَالرَّجُلُ الرَّابِعُ: لِسَانٌ وَ قَلْبٌ وَ هُوَ الرَّجُلُ الْمَدْعُوُّ فِي الْمَلَكُوتِ بِالْعِظَمَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ تَعَلَّمَ وَعَمِلَ وَعَلِمَ دُعِيَ فِي الْمَلَكُوتِ عَظِيمًا» وَ هُوَ الْعَالِمُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ آيَاتِهِ، اسْتَوْدَعَ اللَّهُ قَلْبَهُ غَرَائِبَ عِلْمِهِ، وَ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْرَارِ طَوَاهَا عَنْ غَيْرِهِ، وَ اضْطَفَّاهُ وَاجْتَبَاهُ وَ جَذَبَهُ إِلَيْهِ وَ هَدَاهُ وَ وَقَاهُ إِلَيْهِ وَ شَرَحَ صَدْرَهُ لِقَبُولِ تِلْكَ الْأَسْرَارِ وَالْعُلُومِ وَ جَعَلَهُ جِهْدًا وَ دَاعِيًا لِلْعِبَادِ وَ بَشِيرًا نَذِيرًا لَهُمْ وَ حُجَّةً فِيهِمْ هَادِيًا مَهْدِيًا شَافِعًا مُشَفِّعًا صَادِقًا مُصَدِّقًا صِدِّيقًا بَدَلًا لِرُسُلِهِ وَ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُهُ وَ تَحِيَّاتُهُ. وَ بَرَكَاتُهُ فَهَذَا هُوَ الْغَايَةُ وَ الْمُنْتَهَى فِي بَنَى آدَمَ، لَا مَنَزِلَةَ فَوْقَ مَنَزِلَتِهِ إِلَّا التَّوْبَةُ، فَعَلَيْكَ بِهِ وَ احْذَرُ أَنْ تُخَالِفَهُ وَ تُتَافِرَهُ وَ تُجَانِبَهُ، وَ ابْعُدْ أَنْ تُعَادِيَهُ وَ تُتْرِكَ الْقَبُولَ مِنْهُ وَ الرَّجُوعَ إِلَى قَوْلِهِ وَ نَصِيحَتِهِ فَإِنَّ السَّلَامَةَ

فِيمَا يَقُولُ عِنْدَهُ وَالْهَلَاكَ وَالضَّلَالَ عِنْدَ غَيْرِهِ إِلَّا مَنْ يُوقِنُ أَنَّ اللَّهَ وَبِعَدَّةِ
بِالسَّادِدِ وَالرَّحْمَةِ.
فَقَدْ قَسَمْتُ لَكَ النَّاسَ فَاظْطَرُّ لِنَفْسِكَ إِنْ كُنْتَ نَاطِرًا، وَ
اخْتَرْتُ لَهَا إِنْ كُنْتَ مُحْتَزًّا لَهَا شَفِيقًا عَلَيْهَا هَدَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُجِبُهُ وَ
يَرْضَاهُ دُنْيَا وَآخِرَى بِرَحْمَتِهِ.

«وَالرَّجُلُ الرَّابِعُ لِسَانٌ وَ قَلْبٌ وَهُوَ» فوق الكل إذ هو «الرَّجُلُ الْمَدْعُوُّ فِي
الْمَلَكُوتِ» والعالم العلوي بالعظيم و يوصف «بِالْعَظَمَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: مَنْ
تَعَلَّمَ» علما «وَعَمِلَ بِهِ وَ عَلَّمَ النَّاسَ دُعِيَ فِي الْمَلَكُوتِ عَظِيمًا، وَ» هذا الرجل
«هُوَ الْعَالِمُ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ» العارف بأسرار «آيَاتِهِ» وَ هُوَ الَّذِي «إِسْتَوْدَعَ اللَّهُ
قَلْبَهُ غَرَائِبَ عِلْمِهِ» وَ هُوَ الْعِلْمُ اللَّدْنِي «وَ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْرَارِ طَوَاهَا عَنْ غَيْرِهِ
وَ» انما استودعها فيه لأنه «اضْطَفَأَهُ» من بين عباده «وَاجْتَبَاهُ» من بين أوليائه
«وَ» انما أطلعه على الأسرار لأنه «جَذَبَهُ إِلَيْهِ» وَ جَعَلَ قَلْبَهُ أَمِينًا عَلَيْهَا «وَ هَذَا»
إلى الصراط المستقيم «وَ وَقَاهُ» من الالتفات إلى غيره بالسكون «إِلَيْهِ وَ» انما
أعطاه ذلك لأنه «شَرَحَ صَدْرَهُ» وَ وَسَّعَ قَلْبَهُ «لِقَبُولِ تِلْكَ الْأَسْرَارِ وَالْعُلُومِ وَ
جَعَلَهُ جَهْدًا» بالكسر أي نقادا خبيرا «وَ دَاعِيًا» إِلَى اللَّهِ «لِلْعِبَادِ» بِأَذْنِهِ «وَ»
جعله «بَشِيرًا وَ نَذِيرًا لَهُمْ وَ حُجَّةً فِيهِمْ» من عند الله وَ رَقَّه إِلَى أَنْ صَارَ «هَادِيًا»
لِلطَّالِبِينَ «مَهْدِيًا» لَهُمْ «شَافِعًا» لَهُمْ «مُشَفِّعًا» مَقْبُولُ الشَّفَاعَةِ فِيهِمْ «صَادِقًا»
فِي الْقَوْلِ «مُصَدِّقًا» عِنْدَ النَّاسِ «صِدِّيقًا» عِنْدَ اللَّهِ أَرْسَلَهُ إِلَى عِبَادِهِ «بَدَلًا لِرَسُولِهِ وَ
أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُهُ وَ تَحِيَّاتُهُ وَ بَرَكَاتُهُ فَهَذَا» التَّرْقِي «هُوَ الْغَايَةُ» فِي الْمَرَاتِبِ «وَ
الْمُنْتَهَى فِي» تَرْقِي «بَنِي آدَمَ» إِذ «لَا مَنْزِلَةَ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ إِلَّا النَّبُوَّةُ» إِذَا وَجَدْتَ هَذَا
الرَّجُلَ «فَعَلَيْكَ بِهِ» وَ اغْتَنِمْ صَحْبَتَهُ «وَ اخْذِرْ أَنْ تُخَالِفَهُ» قَوْلًا أَوْ فِعْلًا «وَ» لَا
تَنْظُرْ إِلَى مَا «تُنَافِرُهُ وَ تُجَانِبُهُ وَ ابْعُدْ أَنْ تُعَادِيَهُ وَ تَتْرَكَ الْقَبُولَ مِنْهُ وَ» عَلَيْكَ «الرَّجُوعُ
إِلَى قَوْلِهِ وَ» الإِصْغَاءُ إِلَى «نَصِيحَتِهِ فَإِنَّ» اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ خَلِيفَةً لَهُ فِي أَرْضِهِ وَ وَضَعَ

«السَّلامَةُ فِيمَا يَقُولُ» وَ هِيَ الْكَمَالُ «عِنْدَهُ وَ» جَعَلَ «الْهَلَاكَ وَالضَّلَالَ عِنْدَ غَيْرِهِ» لَأَنَّكَ إِنْ عَادَيْتَهُ أَضْرَكَ وَ إِنْ أَحْبَبْتَهُ لَمْ يَنْفَعَكَ وَ إِنْ صَحَبْتَهُ لَمْ يَفِدَكَ «إِلَّا» إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ «مَنْ يُؤَفِّقُهُ اللَّهُ وَ يَمُدُّهُ بِالسَّدَادِ وَالرَّحْمَةِ» فَلَعَلَّ صَحْبَتَهُ تَفِيدُكَ وَ إِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْكَمَالَ.

إِذَا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ «فَقَدْ» عَلِمْتَ أَنِّي «قَسَمْتُ لَكَ النَّاسَ» وَ ذَكَرْتُ أَقْسَامَهُ الْأَرْبَعَةَ «فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ» وَ تَدَبَّرْ قَلْبَكَ «إِنْ كُنْتَ نَاطِرًا» أَنْكَ مِنْ أَيِّ قِسْمٍ مِنْهَا «وَ احْتَرِزْ لَهَا» عَمَّا يَضُرُّكَ «إِنْ كُنْتَ مُحْتَزًّا لَهَا» وَ كُنْ «شَفِيقًا عَلَيْهَا هَدَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهُ» مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ «وَ يَرْضَاهُ» بِهِ «دُنْيَا وَ أُخْرَى بِرَحْمَتِهِ»

الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي دَفْعِ السَّالِكِ سَخَطَهُ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى وَالتُّهْمَةَ لَهُ وَالتَّشَكِّيَ عَنْهُ تَعَالَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَا أَعْظَمَ تَسَخُّطَكَ عَلَى رَبِّكَ
تُهِمَّتْكَ لَهُ وَاعْتَرَاضَكَ عَلَيْهِ وَائْتِسَابَكَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الظُّلْمِ وَ
اسْتِبْطَاءِكَ سُبْحَانَهُ فِي الرِّزْقِ وَالْغِنَى وَفِي كَشْفِ الْكَرْبِ وَ الْبَلْوَى
أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا وَلِكُلِّ بَلِيَّةٍ وَكُزْبَةٍ غَايَةٌ وَمُنْتَهَى وَنَفَادًا
لَا يَتَقَدَّمُ ذَلِكَ وَلَا يَتَأَخَّرُ، أَوْقَاتُ الْبَلَايَا لَا تَنْقَلِبُ فِيصِيرُ عَوَافِي وَ
وَقْتُ الْبُؤْسِ لَا يَنْقَلِبُ نِعْمَةً، وَحَالَةُ الْفَقْرِ لَا يَسْتَحِيلُ غِنًا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَا أَعْظَمَ تَسَخُّطَكَ» يا مضطرب «عَلَى رَبِّكَ» وما
أعظم «تُهِمَّتْكَ لَهُ» عَزَّ وَجَلَّ في تأخير حصول المطلوب «و» ما اعظم
«اعْتَرَاضَكَ عَلَيْهِ» بأنه لا يوصلك إلى مطلوبك «و» ما أعظم «ائْتِسَابَكَ لَهُ عَزَّ وَ
جَلَّ إِلَى الظُّلْمِ» حيث أيسر من حصوله «و» ما أعظم «اسْتِبْطَاءَكَ سُبْحَانَهُ» في
إيصال الرِّزْقِ اليك «و» ما أعظم استعجالك في حصول «الْغِنَى» قبل وقته «و»
ما أضيّق صدرك «فِي كَشْفِ الْكَرْبِ وَ» دفع «الْبَلْوَى» قبل حلول زمان انقضائه
«أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ» قرر «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا» لا تغير فيه ولا تبدل «و» عَيْنَ «لِكُلِّ
بَلِيَّةٍ وَكُزْبَةٍ غَايَةٌ وَمُنْتَهَى وَنَفَادًا» أي انقضاء «لَا يَتَقَدَّمُ ذَلِكَ» البلاء والكربة على
تلك الغاية والمنتهى ووقت النفاذ «وَلَا يَتَأَخَّرُ» عنه إذ «أَوْقَاتُ الْبَلَايَا لَا تَنْقَلِبُ»
بالدعاء والحيل «فِيصِيرُ عَوَافِي وَ وَقْتُ الْبُؤْسِ» والشدة «لَا يَنْقَلِبُ نِعْمَةً» ورخاء
«و» كذا «حَالَةُ الْفَقْرِ لَا يَسْتَحِيلُ غِنًا» فلا فائدة للاضطراب وضيّق الصدر.

أَحْسِنِ الْأَدَبَ وَالزَّمِ الصَّمْتَ وَ الصَّبْرَ وَ الرِّضَا وَ الْمَوَافَقَةَ
لِرَبِّكَ، وَ تُبْ عَنْ سَخَطِكَ عَلَيْهِ وَ عَنْ تُهِمَّتِكَ لَهُ فِي فِعْلِهِ إِذْ لَيْسَ

هُنَاكَ إِسْتِيفَاءٌ وَإِنْتِقَامٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَ عَلَى الطَّنْعِ كَمَا هُوَ فِي حَقِّ الْعَبِيدِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ، هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ مُتَمَرِّدٌ بِالْأَزَلِ وَ سَبَقَ الْأَشْيَاءَ وَ خَلَقَهَا وَ خَلَقَ مَصَالِحَهَا وَ مَفَاسِدَهَا فَعَلِمَ إِبْدَاءَهَا وَ إِنْهَاءَهَا وَ انْقِضَاءَهَا وَ عَاقِبَتَهَا، وَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ حَكِيمٌ فِي فِعْلِهِ مُتَمَرِّدٌ فِي صُنْعِهِ لَا تَنَاقُضُ فِي فِعْلِهِ، لَا يَفْعَلُ عَبَثًا وَ لَا يَخْلُقُ بَاطِلًا وَ لَا لَعِبًا، وَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّقَايُصُ وَ لَا اللَّوْمُ فِي أَفْعَالِهِ فَانْتَظِرِ الْفَرْجَ إِنْ عَجَزْتَ عَنْ مُوَافَقَتِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَنِ الرِّضَا وَ الْغِنَا فِي فِعْلِهِ إِلَى أَنْ يَتْلُعَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ فَتُسْفِرُ الْحَالَةُ عَنْ ضِدِّهَا بِمُزُورِ الزَّمَانِ وَ انْقِضَاءِ الْأَجَالِ كَمَا يَنْقُضِي الشِّتَاءُ عَنِ الصَّيْفِ وَ يَنْقُضِي اللَّيْلُ فَيُسْفِرُ عَنِ النَّهَارِ، فَإِذَا طَلَبْتَ ضَوْءَ النَّهَارِ وَ نُورَهُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ لَمْ تُعْطَهُ بَلْ يَزْدَادُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الظُّلْمَةُ غَايَتَهَا وَ طَلَعَ الْفَجْرُ وَ جَاءَ النَّهَارُ بِضَوْوِهِ طَلَبْتَ ذَلِكَ وَ أَرَدْتَهُ أَوْ سَكَتَ عَنْهُ وَ كَرِهْتَهُ، فَإِنْ طَلَبْتَ إِعَادَةَ اللَّيْلِ حِينَئِذٍ لَمْ تُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ لَمْ تُعْطِ لَأَنَّكَ حِينَئِذٍ طَلَبْتَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ حِينِهِ وَ وَقْتِهِ فَتَبْقَى حَسِيرًا وَ مُنْقَطِعًا مُتَسَخِّطًا خَجَلًا

فعلبك أن «أَحْسِنِ الْأَدَبَ» مع الرب عَزَّ وَ جَلَّ «وَالرَّمِ الصَّمْتَ» بالقلب واللسان «و» داوم «الصَّبْرَ» على ما أنت فيه «و» لازم «الرِّضَا» بما ورد عليك «و» عليك «المُؤَافَقَةَ لِرَبِّكَ» فان الخير كل الخير في ذلك «و تُب» إلى الله العزيز الغفار «عَنْ سَخَطِكَ عَلَيْهِ وَ» اغسل قلبك «عَنْ تُهْمَتِكَ لَهُ» سبحانه «فِي فِعْلِهِ إِذْ لَيْسَ» لك عليه تعالى حق تطلبه فلا يوجد «هُنَاكَ إِسْتِيفَاءٌ» لك منه تعالى «و» تب إليه عن الاعتراض عليه و الانتساب إلى الظلم إذ لا يكون منه «إِنْتِقَامٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ» من العبد «و» ليس انتقامه «عَلَى» مقتضى «الطَّنْعِ» و ذاته لينتقم من العبد بلا ذنب منه «كَمَا هُوَ» أي الانتقام يظهر «فِي حَقِّ الْعَبِيدِ بَعْضِهِمْ فِي» حق «بَعْضٍ» فإن الانتقام في بعض العباد طبعي والله تعالى منزّه عن ذلك إذ «هُوَ عَزَّ

وَ جَلَّ « متصف بالكمال «مُتَفَرِّدٌ» بذاته و صفاته «بِالْأَزَلِ وَ» لذا «سَبَقَ
الْأَشْيَاءَ» كلها «وَ خَلَقَهَا» بلا إعانة معين «وَ خَلَقَ» في جميعها «مَصَالِحَهَا وَ
مَفَاسِدَهَا» فإذا استعملها العبد في محلها الصالح صلحت و نفعت، و في محلها
الفاسد فسدت و ضرت «فَعَلِمَ إِبْتِدَاءَهَا وَ انْتِهَاءَهَا وَ انْقِضَاءَهَا وَ عَاقِبَتَهَا» على
مقتضى علمه الأزلي «وَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ» إنما فعل ذلك لأنه «حَكِيمٌ فِي فِعْلِهِ» ما
فعل شيئاً إلا على مقتضى حكمته «مُتَقِنٌ فِي صُنْعِهِ» ما صنع شيئاً إلا على وجه
الاتقان «لَا تَنَاقُضُ فِي فِعْلِهِ» أصلاً لأن لكل فعل من أفعاله موضعاً على حدة «لَا
يَفْعَلُ عَبَثًا» كل فعله و صنعه مشتمل على حكم و مصالح «وَ لَا يَخْلُقُ بَاطِلًا وَ لَا
لَعِبًا» كما قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص، رقم السورة: ٣٨. رقم

الآية: ٢٧]

«وَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّقَائِصُ وَ لَا» يسوغ «اللُّومُ فِي أَفْعَالِهِ» لأنها كلها على
منهج الصواب إذا علمت ذلك «فَ» عليك أن «إِنْتَظِرِ الْفَرَجَ» مما أهمك و ما
ضاق به صدرك «إِنْ عَجَزْتَ عَنْ مُوَافَقَتِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» والصبر عليه «وَ عَنِ
الرِّضَا» فيما قسمه لك «وَ» عن «الْغِنَا فِي فِعْلِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابَ» الَّذِي كَتَبَ
الله لك «أَجَلَهُ» وأمهده فإذا بلغ الكتاب أجله «فَتُسْفَرُ» سفر الصبح، يسفر أضواء
و أشرق كذا في القاموس أي تكشف «الْحَالَةَ» التي تريدها و تنظرها «عَنِ
ضِدِّهَا» الَّذِي كَانَ قَبْلَ «بِمُرُورِ الزَّمَانِ» المعلوم عند الله تعالى «وَ انْقِضَاءِ
الْأَجَالِ» التي تقررته عنده سبحانه فتبدل حالة البلاء و الفقر والحزن والمرض
بالنعمة والغناء والفرح والصحة «كَمَا» ترى في هذا العالم أنه «يُنْقَضِي الشِّتَاءُ»
عند انقضاء أجله و أمده «فَيُسْفَرُ» وينكشف «عَنِ الصَّيْفِ وَ» كما أنه «يُنْقَضِي
اللَّيْلُ فَيُسْفَرُ عَنِ النَّهَارِ فَإِذَا طَلَبْتَ ضَوْءَ النَّهَارِ وَ نُورَهُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ» أو بعده «لَمْ
تُعْطَهُ» البتة «بَلْ» يَعُدُّكَ النَّاسُ مِنَ الْمَجَانِينِ وَالسُّفَهَاءِ لِأَنَّ هَذَا الْوَقْتَ «يَزْدَادُ فِي
ظُلْمَةِ اللَّيْلِ» على ما جرت به العادة الإلهية «حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الظُّلُمَةُ غَايَتَهَا» و

وصل وقت انقضائها «و» ذلك حين «طَلَعَ الْفَجْرُ» ذهب الليل بظلمته «وَجَاءَ النَّهَارُ بِضَوْئِهِ» هكذا جرت عادة الله تعالى سواء «طَلَبْتَ ذَلِكَ» الضوء «وَأَرَدْتَهُ أَوْ سَكَتَ عَنْهُ وَكَرِهْتَهُ» وليس لأحد مدخل في ذلك «فَإِنْ طَلَبْتَ إِعَادَةَ اللَّيْلِ حِينَئِذٍ» أي حين ظهر النهار «لَمْ تُجِبْ دَعْوَتَكَ وَلَمْ تُعْطَ» مطلوبك «لِإِنَّكَ حِينَئِذٍ طَلَبْتَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ حِينِهِ وَ» ضيعت عمرك في الطلب من غير «وَقْتِهِ» وهكذا لو كنت طلبت المطالب في غير أوقاتها «فَتَبْقَى حَسِيرًا» قال في القاموس حسر البصر يحسر حسورا وهو حسير ومحسور كل وانقطع من طول مدى، وحسر عليه حسرة وحسرا فهو حسير تلهف، وحسِر: أعيا «و» تصوير «مُنْقَطِعًا» عن الرب عزَّ وجلَّ وتكون «مُتَسَخِّطًا» عليه «خَجَلًا» في نفسك.

فَارْخُ هَذَا كُلَّهُ وَالزَّمِ الْمُوَافَقَةَ وَحُسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ وَالصَّبْرَ الْجَمِيلَ فَمَا كَانَ لَكَ لَا تُسَلِّبَ وَمَا لَيْسَ لَكَ لَا تُعْطَى لَعَمْرِي إِنَّكَ تَدْعُو وَتَبْتَهِلُ إِلَى رَبِّكَ بِالْدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ عِبَادَةً وَطَاعَةً إِمْتِثَالًا لِأَمْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. [المؤمن، رقم السورة: ٤٠، رقم الآية: ٦٠]

وَفِي قَوْلِهِ: وَاسْتَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. [النساء، رقم السورة: ٤، رقم الآية: ٣٢]

وَعَبْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ أَنْتَ تَدْعُوهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَسْتَجِيبُ لَكَ عِنْدَ حِينِهِ وَوَقْتِهِ وَأَجَلِهِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ كَانَ لَكَ فِي ذَلِكَ مَضْلِحَةٌ دُنْيَاكَ وَآخِرَاكَ أَوْ وَافَقَ قَضَائُهُ وَإِنْتِهَاءُ أَجَلِهِ فَعَلَيْكَ لَا تَتَّهِمُهُ فِي تَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ وَلَا تَسْأَمَ مِنْ دُعَائِكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَزْبَحْ لَمْ تُخْسَرْ فِيهِ، إِنْ لَمْ يُجِبْكَ عَاجِلًا أَثَابَكَ أَجَلًا فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْعَبْدَ يَرَى فِي صَحَائِفِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حَسَنَاتٍ لَا يَعْرِفُهَا

فَيَقَالُ لَهُ إِنَّهَا بَدَلُ سُؤَالِكَ فِي الدُّنْيَا الَّذِي لَمْ يَقْدَرْ قَضَائُهُ فِيهَا "أَوْ كَمَا
وَرَدَ. ثُمَّ أَقْلُ أَحْوَالِكَ أَنَّكَ تَكُونُ ذَاكِوَا لِرَبِّكَ مُوَحِّدًا لَهُ حَيْثُ تَسْأَلُهُ
وَلَمْ تَسْأَلْ غَيْرَهُ وَلَمْ تُنْزِلْ حَاجَتَكَ بِغَيْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَنْتَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ
فِي زَمَانِكَ كُلِّهِ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ صِحَّتِكَ وَسُقْمِكَ وَبُوسِكَ وَنَعْمَاتِكَ
وَشِدَّتِكَ وَرَخَائِكَ، وَأَمَّا أَنْ تُنْسِكَ عَنِ السُّؤَالِ وَتَرْضَى وَتَوَافِقَ وَ
تَسْتَرْسِلَ لِفِعْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ، وَ الطِّفْلِ
الرَّضِيعِ فِي يَدِ الطُّفْرِ، وَ الْكُرَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْفَارِسِ يُقَالِبُهَا بِالصُّوْلِحَانِ
فَيَقْبَلُكَ الْقَدَرُ كَيْفَ يَشَاءُ إِنْ كَانَ التَّعْمَاءُ فَمِنْكَ الشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ وَمِنْهُ
عَزَّ وَجَلَّ الْمُرِيدُ فِي الْعَطَاءِ كَمَا قَالَ ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾
[إبراهيم، رقم السورة: ١٤، رقم الآية: ٧]

وَإِنْ كَانَ الْبَأْسَاءُ فَالصَّبْرُ وَ الْمَوَافَقَةُ مِنْكَ بِتَوْفِيقِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ
التَّشْيِيتُ وَ النَّصْرَةُ وَ الصَّلَوةُ وَ الرَّحْمَةُ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ
مِنْ قَائِلٍ:

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. [البقرة. رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٥٣]
بِالنَّصْرِ وَ التَّشْيِيتِ وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ الْحَقُّ مَعَ الصَّابِرِينَ بِنَصْرِهِ وَ
تَشْيِيتِهِ وَ هُوَ لِعَبْدِهِ نَاصِرٌ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَ عَلَى هَوَاهُ وَ عَلَى شَيْطَانِهِ قَالَ:
إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ. [محمد، رقم
السورة: ٤٧، رقم الآية: ٧]

فَإِذَا نَصَرَتْ اللَّهُ فِي مُخَالَفَةِ نَفْسِكَ وَ هَوَاكَ بِزَكِّ الْإِعْتِرَاضِ
عَلَيْهِ وَ التَّسَخُّطِ لِفِعْلِهِ فِيكَ وَ كُنْتَ خَصِمًا عَلَى نَفْسِكَ سَيِّئًا لَهُ
عَلَيْهَا كُلَّمَا تَحَرَّكَتْ بِكُفْرِهَا وَ شُرْكِهَا وَ رَعْوَتِهَا جَزَّزَتْ رَأْسَهَا
بِصَبْرِكَ وَ مُوَافَقَتِكَ لِرَبِّكَ وَ الطَّمَأِينَةِ إِلَى فِعْلِهِ وَ وَعْدِهِ وَ الرِّضَا بِهِمَا
كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ مُعِينًا وَ نَاصِرًا.

إذا ثبت على لوح قلبك ما قلنا «فَارْخُ هَذَا» الَّذِي ذَكَرَ من التسخط والتهمة و الاعتراض والانتساب إلى الظلم و غير ذلك، قال في القاموس: أَرَاخُ الأمر: قضاه، والشيء: أَرَاغُه من موضعه ونحاه يعني ادفع ذلك «كُلُّهُ» عن قلبك «وَالزَّمِ الْمُوَافَقَةَ» مع الرب سبحانه «وَأَدِمِ حُسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ وَ» عليك «الصَّبْرَ الْجَمِيلَ فَمَا كَانَ» الله قدر «لَكَ» في الأزل «لَا تُسَلِّبْ» عنك «وَمَا لَيْسَ» مقدرا «لَكَ» في علمه «لَا تُعْطَى» و مع ذلك لا تظن أن ليس لدعائك فائدة «لَعَمْرِي إِنَّكَ» مأمور بالدعاء و أن للدعاء حالتين أحدهما إنك «تَدْعُو وَتَبْتَهِلُ» أي تجتهد و تخلص «إِلَى رَبِّكَ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ» لكونه «عِبَادَةٌ» لربك «وَوَطَاعَةٌ» له «إِمْتِثَالًا لِأَمْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ» راجيا منه الاستجابة و ذلك الأمر «فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ط إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴿» أي دعائي ﴿سَيَذْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَخِرِينَ﴾ [المؤمن، رقم السورة: ٤٠. رقم الآية: ٦٠] وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَسُئِلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢ / ٤]

«وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ» الواردة في الدعاء، و «أَنْتَ تَدْعُوهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ تَعَالَى» اما «يَسْتَجِيبُ لَكَ عِنْدَ حَيْثُ وَ وَقْتِهِ وَ أَجَلِهِ» كما قال:

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٨٦]

و إما يؤخر استجابته لتظهر «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» قريبا كان أو بعيدا «أَوْ» يبدله و يعوض إذا «كَانَ لَكَ فِي» تعويض «ذَلِكَ» و تبديله «مَصْلِحَةً دُنْيَاكَ وَ أُخْرَاكَ، أَوْ» يؤخر إذ «وَأَفَقَ» ذلك التأخير «قَضَائِهِ» في الأزل «وَإِنْتِهَاءَ أَجَلِهِ» المعلوم له «فَعَلَيْكَ» أن «لَا تَتَّهِمُهُ فِي تَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ» و تبديله بل «و» عليك أن «لَا تَسَامَ مِنْ دُعَائِكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْبُحْ» بدعائك «لَمْ تُخْسِرْ فِيهِ» لأنه تعالى «إِنْ لَمْ يُجِبْكَ عَاجِلًا أَثَابَكَ أَجَلًا» و دعاء المومن لا يرد «فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ الْعَبْدَ يَرَى فِي صَحَائِفِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حَسَنَاتٍ لَا يَعْرِفُهَا» و ذلك لأنه يعلم أنه لم يعمل تلك الحسنات في الدنيا «فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّهَا بَدَلُ سُؤَالِكَ فِي الدُّنْيَا الَّذِي لَمْ يَقْدَرْ قَضَائِهِ فِيهَا، أَوْ كَمَا وَرَدَ» فيكون هذا الحديث نقلا بالمعنى «ثُمَّ أَقْلُ أَحْوَالِكَ» في الدعاء إن لم يستجب

«أَنَّكَ تَكُونُ ذَاكِرًا لِرَبِّكَ» فيعطيك ثواب الذاكرين «مُوحِّدًا لَهُ حَيْثُ تَسْأَلُهُ وَ لَمْ تَسْأَلْ غَيْرَهُ» وأنزلت حاجتك إليه «وَلَمْ تُنْزِلْ حَاجَتَكَ بِغَيْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ» فتكون من الموحيدين «فَأَنْتَ» مذ خلقك الله إلى انقضاء عمرك جعلك «بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ» مضاد تين «فِي زَمَانِكَ» و عمرك «كُلُّهُ لَيْلِكَ» للسكون «وَنَهَارِكَ» للكسب «صِحَّتِكَ» في بدنك «وَسُقْمِكَ» السقم كجبل وقفل: المرض «وَبُؤْسِكَ وَ نَعْمَائِكَ وَ شِدَّتِكَ وَ رَخَائِكَ» فإما أن تفتح أبواب السؤال عن الخلق على نفسك و تسخط على ربك و تتهمه و تعرض عليه «وَأَمَّا أَنْ تُنْسِكَ عَنِ السُّؤَالِ» من الخلق «وَتَرْضَى وَ تَوَافَقَ» ربك فيما فعل فيك «وَتَسْتَرْسِلَ» أي تنبسط و تستأنس «لِفِعْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ» فيك و تكون «كَالْمَيْتِ» الموضوع «بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ» يحركه كيف يشاء «و» مثل «الطِّفْلِ الرَّضِيعِ فِي يَدِ الظُّرِّ تُرَبِّيهِ» كيف يشاء و هو لا يعقل «و» مثل «الْكُرَّةِ بَيْنَ يَدَيِ الْفَارِسِ يُقَلِّبُهَا بِالصَّوْلَجَانِ» بفتح الصاد واللام معرب چوكان كيف يشاء «فِيَقْلِبُكَ الْقَدْرُ كَيْفَ يَشَاءُ إِنْ كَانَ» حالتك «التَّعْمَاءُ» والصحة والرخا «فَمِنْكَ» يطلب «الشُّكْرُ» عليها «وَالثَّنَاءُ» على الله تعالى «و» يكون «مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُرِيدُ فِي الْعَطَاءِ» والنعماء «كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم، رقم

السورة: ١٤. رقم الآية: ٧]

قال الإمام القشيري: أَعْلَمَ رَبُّكُمْ أَنْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ إِنْعَامِي لِأَزِيدَنَّكُمْ مِنْ إِكْرَامِي وَإِنْ كَفَرْتُمْ إِحْسَانِي لِأَعَذَّبَنَّكُمْ الْيَوْمَ بِامْتِحَانِي وَغَدًا بِفِرَاقِي وَهَجْرَانِي «وَأِنْ كَانَ» حالتك «الْبَاسَاءُ» والشدة والسقم «فَالصَّبْرُ» لازم عليك «وَالْمُؤَافَقَةُ» مع القدر مطلوب «مِنْكَ بِتَوْفِيقِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّشْيِيتُ» هو البقاء على الاستفاء^(١) وترك العوج «وَالنُّصْرَةُ» على تحمل ما أصابك «وَالصَّلَوةُ وَالرَّحْمَةُ» عليك «مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(١) هكذا في المخطوطة، ولعل الصواب: الاستقامة.

[البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٥٣]

يعني كونه تعالى معهم إنما هو «بِالنَّصْرِ» لهم «وَالْتَثِيَّتِ» إياهم «وَكَيْفَ لَا يَكُونُ الْحَقُّ» عز وجل «مَعَ الصَّابِرِينَ بِنَصْرِهِ» لهم «وَتَثْيِيَّتِهِ» إياهم «وَهُوَ» أي الله تعالى «لِعَبْدِهِ نَاصِرٌ لَهُ» في جميع أموره فينصره «عَلَى نَفْسِهِ» الأماره «و» يغلبه «عَلَى هَوَاهُ وَ» يظفره «عَلَى شَيْطَانِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:»

«إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [محمد: ٤٧]

«فَإِذَا» صبرت على ما أصابك و وافقت مع الرب عَزَّ وَجَلَّ و «نَصَرْتِ اللَّهَ» أي طلبت النصره منه «فِي مُخَالَفَةِ نَفْسِكَ» الأماره بالسوء «و» مخالفة «هُوَ أَكْ بَتَرِكَ الْأَعْتَزَاضِ عَلَيْهِ» سبحانه فيما ضاق به صدرك «و» في ترك «التَّسَخُّطِ» عليه تعالى «لِفِعْلِهِ فِيكَ» على ما أراد «وَكُنْتَ خَصَمًا عَلَى نَفْسِكَ سَيَافًا لَهُ» أي لله تعالى و من جانبه «عَلَيْهَا» أي على النفس و لا تغفل بل تنتظر أنها «كُلَّمَا تَحَرَّكَتْ بِكُفْرِهَا» للنعم «وَشَرِكُهَا» الجلي والخفي «وَرَعَوْتَهَا جَزَزْتَ رَأْسَهَا» أي قطعته «بِصَبْرِكَ» على ما أصابك «و» قتلتها بسبب «مُؤَافَقَتِكَ لِرَبِّكَ» فيما قضاه «و» طَرَدْتَهَا لِأَجْلِ «الظَّمَانِيَّةِ» والسكينة «إِلَى فِعْلِهِ» عَزَّ وَجَلَّ «و» لا تلتفت إلى مكرها بالثقة على «وَعْدِهِ» سبحانه «و» ادفع حيلها باختيار «الرِّضَا بِهِمَا» أي بفعل الله و وعده «كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» جواب إذا «لَكَ مُعِينًا وَ نَاصِرًا» فتظفر على النفس والشيطان والهوى فتكون من الفائزين.

وَأَمَّا الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٥٦ إلى ١٥٨]

وَالْحَالَةُ الْأُخْرَى أَنَّكَ تَبْتَهِلُ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ بِالدُّعَاءِ وَالتَّصَرُّعِ اعْظَامًا لَهُ وَامْتِنَالًا لِأَمْرِهِ وَفِيهِ وَضَعُ الشَّيْءِ مَوْضِعَهُ لِأَنَّهُ

تَعَالَى نَدْبَكَ إِلَى سُؤَالِهِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ وَجَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَرَاْحًا وَ
رَسُولًا مِنْكَ إِلَيْهِ وَمَوَاصِلَةً وَوَسِيلَةً لَدَيْهِ بِشَرَطِ تَرْكِ التُّهْمَةِ لَهُ وَ
التَّسَخُّطِ عَلَيْهِ عِنْدَ تَاخِيرِ الْإِجَابَةِ إِلَى حِينِهَا، اِعْتَبِرْ مَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ وَ
لَا تَكُنْ مِمَّنْ يُجَاوِزُ حَدَّهُمَا فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ حَالَةٌ أُخْرَى فَاحْذَرُ أَنْ
تَظْلُبَ وَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ فِيهِلِكَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يُبَالِي
كَمَا أَهْلَكَ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ فِي الدُّنْيَا بِتَشْدِيدِ بَلَائِهِ وَفِي
الْآخِرَةِ بِأَلِيمِ عَذَابِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ يَا عَالِمًا بِحَالِي عَلَيْكَ إِتْكَانِي.

«وَأَمَّا الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ» النازلان من الله تعالى «فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ» يدل عليه:
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ﴾ [البقرة، رقم
السورة: ٢، رقم الآية: ١٥٦ إلى ١٥٨] «و» أما «الحالة الأخرى» فهي «أَنَّكَ
تَبْتَهِلُ» وتجتهد «إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ بِالدُّعَاءِ وَالتَّصَرُّعِ إِعْظَامًا لَهُ» بذكر أسمائه
الحسنى وصفاته العليا «وَأَمِثَالًا لِأَمْرِهِ» الَّذِي ورد في كتابه العزيز «و» لأن فِيهِ
وَضَعُ الشَّيْءِ مَوْضِعَهُ» و ذلك «لِأَنَّهُ تَعَالَى نَدْبَكَ» أي جذبك «إِلَى سُؤَالِهِ» منه
«وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ وَ» لأنه «جَعَلَ ذَلِكَ» الدعاء لك «مُسْتَرَاْحًا وَ» جعله «رَسُولًا
مِنْكَ إِلَيْهِ تَعَالَى وَ» جعله «مَوَاصِلَةً» للرب عَزَّ وَجَلَّ «وَوَسِيلَةً لَدَيْهِ» و جميع
ذلك «بِشَرَطِ تَرْكِ التُّهْمَةِ لَهُ» وترك القول بأني أسأله ولا يعطيني «و» ترك
«التَّسَخُّطِ عَلَيْهِ عِنْدَ تَاخِيرِ الْإِجَابَةِ إِلَى» مجيء «حِينِهَا» ووقتها لا بد لك أن تدعو
و أنت موقن بالإجابة فعليك يا أيها الداعي الموقن «اعْتَبِرْ مَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ» و
احفظهما «وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُجَاوِزُ حَدَّهُمَا» و يطلب حالة ثالثة فيأْس «فَإِنَّهُ لَيْسَ
هُنَاكَ» أي في مقام الدعاء «حَالَةٌ أُخْرَى» مغائرة لهما «فَاحْذَرُ أَنْ تَظْلُبَ» حالة
ثالثة «وَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ فِيهِلِكَ» ربك «عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يُبَالِي
بِأَهْلَاكَ» كَمَا أَهْلَكَ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ «فَإِنَّهُ تَعَالَى أَهْلَكَهُمْ» فِي الدُّنْيَا

بِتَشْدِيدِ بَلَائِهِ» و أنواع نكاله «و» يهلكهم «في الأخرّة بِالْيَمِّ عَذَابِهِ» و عظيم عقابه «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَأَعَدَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ «يَا عَالِمًا بِحَالِي» اكفني من سؤالي و لا تنظر إلى مقالي و ارزقني «عَلَيْكَ إِتْكَالِي»

الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي الْوَرَعِ بِتَرْكِ الرُّخْصَةِ وَاخْتِيَارِ الْعَظِيمَةِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ وَإِلَّا فَالْهَلَاكُ فِي رَيْبِكَ مُلَازِمٌ لَكَ لَا تَنْجُو مِنْهُ أَبَدًا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَكَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ:

إِنَّ مَلَكَ الدِّينِ الْوَرَعَ وَهَلَاكَةَ الظَّمْعِ، وَإِنَّ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ كَالرَّاعِ إِلَى جَنْبِ الرُّزْغِ يُوشِكُ أَنْ يَمُدَّ فَاهُ إِلَيْهِ لَا يَكَادُ أَنْ يَسْلَمَ الرُّزْغُ مِنْهُ.^(١)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا نَتْرُكُ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي الْحَرَامِ.^(٢)

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كُنَّا نَتْرُكُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْمُبَاحِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي الْجُنَاحِ.^(٣)

- (١) لم نجد في كتب الحديث حديثاً بهذا السياق، وروى البيهقي عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ملاك الدين الورع". وفي الصحيحين وغيرهما عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضعة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب. انظر الصحيح للبخاري برقم: ٥٢، باب فضل من استبرأ لدينه، كتاب الإيمان، والصحيح لمسلم في المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم: ١٥٩٩. المشاهدي
- (٢) ذكره الغزالي في الإحياء ٩٥ / ٢. عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه بلفظ: "تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا" ١٥٢ / ٨، برقم: ١٤٦٨٣، كتاب البيوع، باب طعام الأمراء وأكل الربا.
- (٣) ذكره القشيري في رسالة القشيرية.

فَعَلُّوا ذَلِكَ تَوَرُّعًا مِنْ مُقَارَبَةِ الْحَرَامِ أَخْذًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
 «أَلَا إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَحِمَى اللَّهِ تَعَالَى مُحَارِمُهُ فَمَنْ حَامَ حَوْلَ
 الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»^(١)

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ» أي لازم الورع واستمسك به، و هو في اللغة: التقوى، وفي الطريقة: ترك الرخصة والأخذ بالعزيمة «وَالَا» أي و إن لم تلازم ولا تستمسك به «فَالْهَلَاكُ» متحقق «فِي رَبِّكَ» أي رقتك كناية عن الذات «مُلَازِمٌ لَكَ» لا يفارقك الهلاك «لَا تَنْجُو مِنْهُ أَبَدًا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَكَ اللَّهُ» تعالى «بِرَحْمَتِهِ» فيعفو زلتك ويغفر معصيتك وفي جنته أدخلك، وكيف لا يكون الورع من أفضل الخصال وأحسن الفعال إذ نطق به الأخبار والآثار، أما الأخبار «فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ» النبوي «الْمُرُويُّ» عن خير البرية عليه أفضل الصلوة و أكمل السلام:

«إِنَّ مَلَكَ الدِّينِ» أي ما يملك به الدين «الْوَرْعُ، وَهَلَاكُهُ» أي هلاك الدين بمعنى مهلكه «الطَّمَعُ» في الدنيا ولوازمها «وَأَنْ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ» أي يقرب «أَنْ يَقَعَ فِيهِ كَالرَّاتِعِ إِلَى جَنْبِ الزَّرْعِ» أي الزراعة «يُوشِكُ» أي يقرب «أَنْ يَمْدَفَأَهُ إِلَيْهِ» أي الزرع «لَا يَكَادُ أَنْ يَسْلَمَ الزَّرْعُ مِنْهُ» أي فم الراتع.

و قد ورد في الحديث القدسي: أما الورعون فإني أستحيي أن أحاسبهم.^(٢)
 «و» أما الآثار فقد «قَالَ» أمير المؤمنين «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا نَتْرُكُ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَلَالِ» أي نجعل الحلال عشرة أجزاء نترك تسعة منها «مُخَافَةً أَنْ نَقَعَ فِي الْحَرَامِ» فنبعد عن قبول الملك العلام «و» روي «عَنْ» أمير المؤمنين «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَيْهِ كُنَّا نَتْرُكُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْمُبَاحِ مُخَافَةً أَنْ نَقَعَ

(١) ذكره الكاساني في البدائع ٢/ ١٠٥، وقد مر جزء منه أنفا.

(٢) ذكر الحكيم الترمذي في نوادر الأصول نحوه ١/ ٤١٨، وذكر الغزالي في الإحياء نحوه في كتاب الخوف والرجاء.

في الجَنَاحِ «أي الإثم فهو لاء السادات كلهم» فَعَلُوا ذَلِكَ «أي ترك الحلال» تَوَرَّعًا مِنْ مُقَارَبَةِ الْحَرَامِ أَخَذَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
 «أَلَا إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ جَمِيٍّ وَ جَمِيٍّ اللَّهُ تَعَالَى مُحَارِمُهُ فَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»

فَمَنْ دَخَلَ حِصْنَ الْمَلِكِ فَجَاوَزَ الْبَابَ الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثَ حَتَّى قَرَبَ مِنْ سُدَّتِهِ خَيْرٌ يَمُنُّ وَقَفَ عَلَى الْبَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي يَلِي الْبَرَّ فَإِنَّهُ إِنْ أُغْلِقَ عَنْهُ الْبَابُ الثَّلَاثُ لَمْ يَضُرَّهُ إِذْ هُوَ مِنْ وَرَاءَ بَابَيْنِ مِنَ أَبْوَابِ الْقُصْرِ وَ مِنْ دُونِهِ حُرَّاسُ الْمَلِكِ وَ جُنُودُهُ وَ أَمَا إِذَا كَانَ عَلَى الْبَابِ الْأَوَّلِ فَعُلِقَ عَنْهُ بَقِيٌّ فِي الْبَرِّ وَحَدَهُ وَ أَخَذَتْهُ الدِّيَابُ وَ الْأَعْدَاءُ فَكَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ فَهَكَذَا مَنْ سَلَكَ الْعَرِيْمَةَ وَ لَا زَمَهَا إِنْ سَلَبَ عَنْهُ مَدَدُ التَّوْفِيقِ وَ الرِّعَايَةِ وَ انْقَطَعَتْ عَنْهُ حَصَلُ الرُّخْصِ وَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الشَّرْعِ فَإِنْ أَذْرَكَهُ الْمِيَّةُ كَانَ عَلَى الطَّاعَةِ وَ الْعِبَادَةِ وَ يُشْهَدُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِخَيْرِ الْعَمَلِ.

«فَمَنْ دَخَلَ حِصْنَ الْمَلِكِ فَجَاوَزَ الْبَابَ الْأَوَّلَ» الَّذِي هُوَ رَمْتُهُ وَ قُوفُ الدُّوَابِّ وَ الْمَشَاةِ وَ الْإِنْفَارِ، «ثُمَّ» جَاوَزَ الْبَابَ «الثَّانِي» الَّذِي هُوَ رَمْتُهُ عَوَامُ الْجَيْشِ «ثُمَّ» جَاوَزَ الْبَابَ «الثَّلَاثَ» الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْخَوَاصِّ وَ أَعْيَانِ الْمَمْلَكَةِ وَ فِي بَعْضِ نَسَخِ الْمَتْنِ «وَقَفَ عَلَى الثَّلَاثِ» وَ هَذَا هُوَ الصَّوَابُ الْمُوَافِقُ لِمَا بَعْدَهُ مِنَ الْكَلَامِ.
 «حَتَّى قَرَبَ مِنْ سُدَّتِهِ» أَي سِدَّةُ الْمَحَلِّ الْخَالِصِ لِدَاتِ الْمَلِكِ «خَيْرٌ يَمُنُّ وَقَفَ عَلَى الْبَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي يَلِي الْبَرَّ» وَ الْمَفَازَةُ. ثُمَّ عَلَّلَ خَيْرِيَّةَ الدَّخْلِ مِنَ الْخَارِجِ بِقَوْلِهِ: «فَإِنَّهُ» أَي الدَّخْلُ فِي الْبَابَيْنِ «إِنْ أُغْلِقَ عَنْهُ» أَي احْتِرَازًا عَنْ دَخُولِهِ «الْبَابِ الثَّلَاثِ لَمْ يَضُرَّهُ» أَي ذَلِكَ الدَّخْلُ غَلَقُهَا «إِذْ هُوَ مِنْ وَرَاءَ» أَي خَلْفَ «بَابَيْنِ مِنَ أَبْوَابِ الْقُصْرِ» بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخَارِجِ «وَ مِنْ دُونِهِ» أَي عَقِيبَ الْبَابِ الثَّلَاثِ أَوْ عَقِيبَ ذَلِكَ الدَّخْلِ فِي الْبَابَيْنِ «حُرَّاسُ الْمَلِكِ» جَمْعُ حَارِسٍ «وَ جُنُودُهُ» فَإِنَّهُمْ يَقِفُونَ

عند كل باب و في كل باب فإذا تيسر له دخول البابين فقد حفظ و حرس عن هوام الأرض و سوامها «وَأَمَّا إِذَا» لم يدخل في الباب بل «كَانَ عَلَى الْبَابِ الْأَوَّلِ فَعُلِقَ» ذلك الباب «عَنْهُ» أي عن دخوله «بَقِي» ذلك الواقف على الباب «في الْبَرِّ وَحْدَهُ، وَ» لا يكون معه أحد يستأنس به و يحفظه «أَخَذَتْهُ الذِّيَابُ» جمع ذئب و هو حيوان مفترس له مخالب فيفتسه و يهلكه «وَ» أخذته «الْأَعْدَاءُ» و هم شياطين الإنس و الجن فيضلونه عن طريق الحق «فَكَانَ» ذلك الواقف على الباب الَّذِي أَخَذَتْهُ الذِّيَابُ و الأعداء «مِنَ الْهَالِكِينَ فَهَكَذَا مَنْ سَلَكَ الْعَزِيمَةَ» من السالكين في سبيل الله «وَ لَا زَمَهَا إِنْ سُلِبَ عَنْهُ» أي عن ذلك السالك «مَدَدُ التَّوْفِيقِ» الإلهي «وَالرَّعَايَةِ» الربانية المبلّغ إلى مرتبة الولاية «وَ انْقَطَعَتْ عَنْهُ» مدد التوفيق و الرعاية «حَصَلَ» ذلك السالك «في الرُّخْصِ وَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الشَّرْعِ فَإِنْ أَذْرَكَهُ الْمَنِيَّةُ» أي الموت «كَانَ» موته «عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَ يُشْهَدُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِخَيْرِ الْعَمَلِ» فيحصل له النجاة و يدخل في الجنة

وَ مَنْ وَقَفَ مَعَ الرُّخْصِ وَ لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَى الْعَزِيمَةِ إِنْ سُلِبَ
التَّوْفِيقُ فَقُطِعَتْ عَنْهُ إِمْدَادُهُ فَغَلَبَ الْهَوَى عَلَيْهِ وَ شَهَوَاتُ النَّفْسِ
فَتَنَاوَلَ الْحَرَامَ خَرَجَ مِنَ الشَّرْعِ فَصَارَ فِي زُمْرَةِ الشَّيَاطِينِ أَعْدَاءُ اللَّهِ
الضَّالِّينَ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى فَإِنْ أَذْرَكَهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ التَّوْبَةِ كَانَ مِنَ
الْهَالِكِينَ إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ وَ فَضْلِهِ فَالْخَطَرُ كُلُّ الْخَطَرِ
فِي الْقِيَامِ مَعَ الرُّخْصِ، وَالسَّلَامَةُ فِي الْقِيَامِ مَعَ الْعَزِيمَةِ.

«وَ مَنْ وَقَفَ مَعَ الرُّخْصِ وَ لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَى الْعَزِيمَةِ» أصلاً «إِنْ سُلِبَ التَّوْفِيقُ»
الإلهي المبقى له في الرخصة «فَقُطِعَتْ عَنْهُ إِمْدَادُهُ» أي إمداد التوفيق الإلهي «فَغَلَبَ
الْهَوَى عَلَيْهِ وَ شَهَوَاتُ النَّفْسِ» فتنزل عن الرخص و يقع في هاوية الحرام «فَتَنَاوَلَ
الْحَرَامَ خَرَجَ مِنْ» قيد «الشَّرْعِ، فَصَارَ» بخروجه عن الشرع «فِي زُمْرَةِ الشَّيَاطِينِ أَعْدَاءُ
اللَّهِ الضَّالِّينَ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى» فلا يهتدي إلى الصراط المستقيم.

«فَإِنْ أَدْرَكَتْهُ الْمَيِّتَةُ» حال خروجه عن قيد الشرع و وقوعه في هاوية الحرام
«قَبْلَ التَّوْبَةِ كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ» في الدين المستحقين للعذاب الأليم في نار الجحيم
«إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ» الكائنة منه «وَفَضْلِهِ» فيعفو عن سيئاته ويدخله
في جنته «فَالْخَطَرُ كُلُّ الْخَطَرِ فِي الْقِيَامِ مَعَ الرُّخْصِ، وَالسَّلَامَةُ» كل السلامة «في
الْقِيَامِ مَعَ الْعَزِيمَةِ» ولذا أجمع المشائخ والمجتهدون على أن الأولى والأليق لطالب
الدين اختيار الأحوط دون الرخصة.

الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ

في جعل الأجرة رأس المال والدنيا ربحه

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِجْعَلْ أَخْرَتَكَ رَأْسَ مَالِكَ وَدُنْيَاكَ رِبْحَهُ، وَاصْرِفْ جَمِيعَ زَمَانِكَ أَوَّلًا فِي تَحْصِيلِ أَخْرَتِكَ ثُمَّ إِنْ فَضَلَ مِنَ الزَّمَانِ شَيْءٌ اصْرِفْهُ فِي دُنْيَاكَ فِي طَلَبِ مَعَاشِكَ، وَ لَا تَجْعَلَ دُنْيَاكَ رَأْسَ مَالِكَ وَ أَخْرَتَكَ رِبْحَهُ فَتَصْرِفْ زَمَانَكَ أَوَّلًا فِي تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ ثُمَّ إِنْ فَضَلَ مِنَ الزَّمَانِ فَضْلَةٌ صَرَفْتَهَا فِي أَخْرَتِكَ تَقْضِي فِيهَا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ تَسْبِيحُهَا سَبِّحَةً وَاحِدَةً سَاقِطَةً الْأَرْكَانِ مُخْتَلَةً الْوَاجِبَاتِ مِنْ غَيْرِ زُكُوعٍ وَ سُجُودٍ وَ طَهَائِنَةٍ وَ قَرَارٍ بَيْنَ الْأَرْكَانِ أَوْ يُلْحَقُكَ التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ فَتَنَامَ عَنِ الْقَضَاءِ جُمْلَةً، جِيفَةً فِي اللَّيْلِ بَطَالًا فِي النَّهَارِ تَابِعًا لِنَفْسِكَ وَ هَوَاكَ وَ شَيْطَانِكَ وَ بَايَعَا أَخْرَتَكَ بِدُنْيَاكَ عَبْدًا لِنَفْسٍ وَ مَطِيئَتِهَا وَ مَرْكَبَتِهَا وَ قَدْ أُمِرْتَ بِرُكُوبِهَا وَ تَهْدِيئِهَا وَ رِيَاضَتِهَا وَ السُّلُوكِ بِهَا فِي سُبُلِ السَّلَامَةِ وَ هِيَ طَرِيقُ الْآخِرَةِ وَ طَاعَةُ مَوْلَاهَا فَظَلَمْتَهَا بِقُبُولِكَ مِنْهَا وَ سَلَمْتَ زَمَانَهَا إِلَيْهَا وَ بَعِثْتَهَا فِي شَهَوَاتِهَا وَ لَذَائِهَا وَ مُوَافَقَتِهَا وَ شَيْطَانِهَا وَ هَوَاهَا فَفَاتَكَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ خَسِرْتَهُمَا فَدَخَلْتَ الْقِيَمَةَ أَفْلَسَ النَّاسِ وَ أَخْسَرَهُمْ دُنْيَا وَ دِينًا وَ مَا وَصَلَتْ بِمَتَابَعَتِهَا إِلَى أَكْثَرِ مِنْ قِسْمِكَ مِنَ الدُّنْيَا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِجْعَلْ أَخْرَتَكَ رَأْسَ مَالِكَ» يعني أن الحياة والأعمال تجارة فاجعل آخرتك فيها رأس المال «و دُنْيَاكَ رِبْحَهُ» فإن حصل الربح فنعم المراد، وإن لم يحصل لا يكون التجارة خاسرة فإن كنت مهتديا في التجارة فليتنجر على وجه لا يضيع الآخرة، فإن حصل الدنيا فبها وإلا فلا تخسر فلا تحظ ذلك

«وَاصْرِفْ جَمِيعَ زَمَانِكَ» و طيب أوقاتك و سعة عيشك و فراغ خاطرك «أَوَّلًا فِي تَحْصِيلِ أُخْرَتِكَ» الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَالِكَ «ثُمَّ إِنْ فَضِّلَ مِنَ الزَّمَانِ شَيْءٌ» فَضْلُهُ «إِصْرِفْهُ فِي دُنْيَاكَ فِي طَلَبِ مَعَاشِكَ» و معاش من تعلق بك من الزوجة والولدان والغلمان «وَلَا تَجْعَلْ دُنْيَاكَ رَأْسَ مَالِكَ وَ أُخْرَتَكَ رِجْلَهُ فَتَصْرِفَ زَمَانَكَ أَوَّلًا فِي تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ ثُمَّ إِنْ فَضِّلَ مِنَ الزَّمَانِ فَضْلَةً صَرَفْتَهَا فِي أُخْرَتِكَ تَقْضِي فِيهَا» أَي فِي فَضْلَةِ الزَّمَانِ «الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ تَسْبُكُهَا» أَي تَجْمَعُ تِلْكَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَةَ «سَبِيكَةً وَاحِدَةً» أَي جَمْلَةً نَاقِصَةً فَإِنَّ السَّبِيكَةَ هِيَ الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ الْغَيْرُ الْمَذَابِ، وَ فِيهِ نَقْصَانٌ لَا يَخْفَى، تَفْسِيرُهُ قَوْلُهُ: «سَاقِطَةٌ الْأَرْكَانِ مُخْتَلَّةُ الْوَاجِبَاتِ مِنْ غَيْرِ رُكُوعٍ وَ سُجُودٍ» فَيَفْضِي إِلَى فُسَادِ الصَّلَوَاتِ «و» مِنْ غَيْرِ «طَمَإِنِينَ وَ قَرَارٍ بَيْنَ الْأَرْكَانِ» فَيَفْضِي إِلَى كِرَاهَتِهَا «أَوْ يُلْحَقَكَ التَّعَبُ وَالْإِغْيَاءُ» أَي الْمَحَنَةُ وَالشَّدَّةُ لِكَسَلِكَ وَ عَدَمِ الْمَبَالَاتِ بِالْمَفْرُوضِ عَلَيْكَ «فَتَنَامُ عَنِ الْقَضَاءِ» وَ الْأَدَاءِ لِلصَّلَوَاتِ «جُمْلَةً» حَالُ كَوْنِكَ «جَيْفَةً فِي اللَّيْلِ بَطَالًا فِي النَّهَارِ تَابِعًا لِنَفْسِكَ وَ هَوَاكَ وَ شَيْطَانِكَ وَ بَاطِلًا أُخْرَتَكَ بِدُنْيَاكَ عَبْدَ النَّفْسِ» وَ هَوَاها وَ شَيْطَانِها «وَ مَطِيئَتِها وَ مَرْكَبَتِها» كِلَاهُمَا بِمَعْنَى تَجَرُّكَ نَفْسَكَ فِي كُلِّ مَهْلَكَةٍ وَ مَظْلَمَةٍ وَ مَزْبَلَةٍ وَ مَطْرَدَةٍ فَتَهِيمٍ فِي كُلِّ وَادٍ مِنَ الدُّنْيَا وَ تَتَحِيرُ فِي كُلِّ نَادٍ مِنَ الدِّينِ أَتَرْضَى أَنْ تُصِيرَ مَرْكُوبَ النَّفْسِ وَ الْهَوَى وَ الشَّيْطَانِ «و» الْحَالُ أَنَّكَ «قَدْ أَمَرْتُ» مِنْ جَانِبِ رَبِّكَ وَ رَسُولِ رَبِّكَ «بِرُكُوبِهَا وَ تَهْذِيبِهَا وَ رِيَاضَتِهَا» بِمَنْعِهَا عَنْ مُشْتَهَاتِهَا الْمُخَالَفَةِ لِلشَّرِيعَةِ «و» أَمَرْتُ «السُّلُوكَ بِهَا» أَي جَعَلْتُهَا سَالِكَةً «فِي سُبُلِ السَّلَامَةِ وَ هِيَ طُرُقُ الْآخِرَةِ» الَّتِي أَهْدَتْ إِلَيْهَا الشَّرِيعَةُ «وَ طَاعَةَ مَوْلَاهَا فَظَلَمْتُهَا» أَي ظَلَمْتُ نَفْسَكَ «بِقَبُولِكَ مِنْهَا» مَا أَمَرْتُكَ بِهَا «وَ سَلَّمْتُ زَمَانَهَا إِلَيْهَا» وَ تَرَكْتُهَا تَرْتَعُ فِي مَرْعَى رَوْضِ الْأَمَالِ وَ الْأَمَانِي «وَ تَبَغَّتْهَا فِي شَهَوَاتِهَا وَ لَذَائِهَا وَ مُوَافَقَتِهَا وَ شَيْطَانِهَا وَ هَوَاها فَفَاتَكَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ خَسِرْتَهُمَا فَدَخَلْتَ الْقِيَمَةَ أَفْلَسَ النَّاسُ وَ أَخْسَرَهُمْ دُنْيَا وَ دِينًا» فَإِنَّ مَا جَمَعْتَهَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَ الْجَاهِ لَا تَذْهَبُ مَعَكَ فِي الْآخِرَةِ فَمَا نَفَعَكَ مُوَافَقَةُ النَّفْسِ شَيْئًا «وَ مَا وَصَلْتَ بِمُتَابَعَتِهَا إِلَى أَكْثَرِ مِنْ قِسْمِكَ مِنَ الدُّنْيَا» الَّذِي قَدَرُ

الله تعالى لك منها في علمه الأزلى. فهذا حالك حين سلكت بالنفس طريق الدنيا.

وَلَوْ سَلَكَتْ بِهَا طَرِيقَ الْآخِرَةِ وَجَعَلْتُهَا رَأْسَ مَالِكَ رِمَحَتِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَوَصَلَ إِلَيْكَ قِسْمُكَ مِنَ الدُّنْيَا هَنِئًا مَرِيئًا وَأَنْتَ
مُصَانٌ مُكْرَمٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا عَلَى نِيَّةِ الْآخِرَةِ وَلَا يُعْطِي الْآخِرَةَ
عَلَى نِيَّةِ الدُّنْيَا.^(١)

وَكَيفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَنِيَّةُ الْآخِرَةِ هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ
النِّيَّةَ رُوحَ الْعِبَادَةِ وَذَاتُهَا. فَإِذَا أَطَعْتَ اللَّهَ تَعَالَى بِزُهْدِكَ فِي الدُّنْيَا وَ
طَلَبِكَ دَارَ الْآخِرَةِ كُنْتَ مِنْ خَوَاصِّ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَ مَحَبَّتِهِ،
وَ حَصَلَتْ لَكَ الْآخِرَةُ وَ هِيَ الْجَنَّةُ وَ جَوَازُ اللَّهِ، وَ خَدَمْتُكَ
الدُّنْيَا فَيَا تَيْكَ قِسْمُكَ الَّذِي قَدَّرَ مِنْهَا، إِذَا الْكُلُّ تَبَعَ لِحَالِقِهَا وَمَوْلَاهَا
وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

«وَلَوْ سَلَكَتْ بِهَا طَرِيقَ الْآخِرَةِ وَجَعَلْتُهَا» أي الآخرة «رَأْسَ مَالِكَ رِمَحَتِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَوَصَلَ إِلَيْكَ قِسْمُكَ مِنَ الدُّنْيَا هَنِئًا مَرِيئًا وَأَنْتَ مُصَانٌ» أي
والحال أنك مصان محفوظ من العتاب والعقاب «مُكْرَمٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا عَلَى نِيَّةِ الْآخِرَةِ وَلَا يُعْطِي الْآخِرَةَ عَلَى نِيَّةِ الدُّنْيَا. «
وَكَيفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ» أي يعطي الدنيا على نية الآخرة «وَ نِيَّةُ الْآخِرَةِ
هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ النِّيَّةَ رُوحَ الْعِبَادَةِ وَذَاتُهَا فَإِذَا أَطَعْتَ اللَّهَ تَعَالَى بِزُهْدِكَ فِي
الدُّنْيَا» و عدم توجهك إليها «وَ طَلَبِكَ دَارَ الْآخِرَةِ كُنْتَ مِنْ خَوَاصِّ اللَّهِ تَعَالَى وَ
أَهْلِ طَاعَتِهِ وَ مَحَبَّتِهِ وَ حَصَلَتْ لَكَ الْآخِرَةُ وَ هِيَ الْجَنَّةُ» الخلد التي وعد المتقون «وَ
جَوَازُ اللَّهِ» الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ:

(١) انظر الجامع الصغير للسيوطي رقم الحديث 1917.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر، رقم
السورة: ٥٤، رقم الآية: ٥٥]

«وَحَدَمْتُكَ الدُّنْيَا» خدمة عبيد وإماء كما ورد في الحديث:

يا دنيا من أطاعني فأخدمته ومن أطاعك فأتعبته. ^(١)

«فِيَأْتِيكَ قِسْمُكَ الَّذِي فَدَرَمْتَهَا» في الأزل «إِذْ الْكُلُّ» أي ما سواه تعالى من
المخلوقات «تَبْعٌ لِّخَالِقِهَا وَ مَوْلَاهَا وَ هُوَ اللهُ» الَّذِي لا اله إلا هو «عَزَّ» عن كل
نقص «وَجَلَّ» عن كل عيب.

وَ إِنْ اشْتَغَلْتَ بِالدُّنْيَا وَ أَعْرَضْتَ عَنِ الْآخِرَةِ غَضِبَ الرَّبُّ
عَلَيْكَ فَفَاتَتْكَ الْآخِرَةُ وَ تَغَاَضَبَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ وَ تَعَسَّرَتْ وَ أُنْعَبَتْكَ
فِي إِيصَالِ قِسْمِكَ لِغَضَبِ اللهِ لِأَنَّهَا تَمْلُوكُكُمْ، تُهِينُ مَنْ عَصَاهُ وَ تُكْرِمُ
مَنْ أَطَاعَهُ. فَيَتَحَقَّقُ حَيْثُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ضَرَّتَانِ إِذَا أَرْضَيْتَ إِحْدَاهُمَا أَسَخَطْتَ عَلَيْكَ
الْآخَرَى.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ. [آل عمران،
رقم السورة: ٣، رقم الآية: ١٥٢]

يَعْنِي بِهِ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَ أَبْنَاءُ الْآخِرَةِ فَانْظُرْ مِنْ أَبْنَاءِ آيَتِهِمَا
أَنْتَ ؟ وَ مِنْ أَيِّ الْقَبِيلَتَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ وَ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا؟ ثُمَّ
إِذَا صِرْتَ فِي الْآخِرَةِ،

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى ٤٢: ٧]

فَرِيقٌ فِي الْمَوْقِفِ قِيَامٌ فِي طُولِ الْحِسَابِ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ تَمَّا تَعْدُونَ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: «وَفَرِيقٌ فِي ظِلِّ

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٩٤، بلفظ: "أوحى الله تعالى إلى الدينا أن اخدمي من
خدمني، وأتبعي من خدمك".

الْعَرْشِ عَكُوفٌ عَلَى الْمَوَائِدِ عَلَيْهَا أَطَائِبُ الطَّعَامِ وَالْفَوَاكِهِ وَالشَّهَدِ
أَبْيَضٌ مِنَ الثَّلْجِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يُنْظَرُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ فِي
الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلْقِ دَخَلُوا الْجَنَّةَ يَهْتَدُونَ إِلَى
مَنَازِلِهِمْ كَمَا يَهْتَدِي أَحَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْزِلِهِ».

«وَإِنْ اشْتَغَلْتَ بِالدُّنْيَا وَاعْرَضْتَ عَنِ الْآخِرَةِ غَضِبَ الرَّبُّ» تعالى
«عَلَيْكَ» لأنك اشتغلت بمغضوب الرب، فإذا تصير مغضوب الرب «فَقَاتَتْكَ
الْآخِرَةُ وَتَغَاضَبَتِ الدُّنْيَا» أيضا «عَلَيْكَ وَتَعَسَّرَتْ» في حصولها لك «وَأَثَعَبَتْكَ
فِي إِیْصَالِ قِسْمِكَ» و نصيبك المقدر منها إليك و إنما تغاضبت عليك «لِغَضَبِ
الله» تعالى عليك «لِأَنَّهَا تَمْلُوكُتَهُ» تعالى «تُهِنُ مِنْ عَصَاهُ وَتُكْرِمُ مِنْ أَطَاعِهِ» فإذا
تحقق فوات الآخرة باشتغالك بالدنيا «فَيَتَحَقَّقُ حِينَئِذٍ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ صَرَّتَانِ إِذَا أُرْضِيَتْ إِحْدَاهُمَا دُنِيََا كَانَ أَوْ أُخْرَى «أَسْحَطَتْ
عَلَيْكَ الْآخِرَى»

«قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران، رقم

السورة: ٣، رقم الآية: ١٥٢]

يَعْنِي بِهِ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَ أَبْنَاءُ الْآخِرَةِ فَانْظُرْ مِنْ أَبْنَاءِ أَيْتَهُمَا أَنْتَ؟» يا أيها الطالب
الراغب «وَ» انظر «مِنْ أَيِ الْقَبِيلَتَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ وَ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا» أي والحال
أنك في الحياة الدنيا فلا أظن بك أن تحب أن تكون من أبناء الدنيا بل ينبغي
لصاحب الهمة العلية أن لا يكون طالب العقبى أيضًا بل اللائق بحاله أن يكون
طالب المولى «ثُمَّ إِذَا» ارتحلت من الدنيا وَ «صِرْتَ فِي الْآخِرَةِ» فيكون هناك كما
قال تعالى:

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى، رقم السورة: ٤٢، رقم

الآية: ٧]

و قبل دخولهما في الجنة والسعير تُعَرَفُ حالهما هكذا «فَرِيقٌ فِي الْمَوْقِفِ قِيَامٌ فِي طُولِ الْحِسَابِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا» في كتابه العزيز «وَفَرِيقٌ» آخر «فِي ظِلِّ الْعَرْشِ عَكُوفٌ عَلَى الْمَوَائِدِ عَلَيْهَا أَطَائِبٌ» جمع أطيب «الطَّعَامِ وَ أَلَذُّ الْفَوَاكِهِ وَالشَّهْدُ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ كَمَا جَاءَ» وصف الموائد «فِي الْحَدِيثِ» و هولاء العاكفون «يُنْظَرُونَ» حال وقوفهم في الموقف «إِلَى مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا فَرَغَ» الله عَزَّ وَ جَلَّ «مِنْ حِسَابِ الْخَلْقِ» جميعا في مقدار حلبة الشاة كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٠٢] و أن كل أحد يعلم أنه تعالى يحاسب به «دَخَلُوا الْجَنَّةَ يَهْتَدُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ» من غير احتياج إلى معرّف «كَمَا يَهْتَدِي أَحَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْزِلِهِ»

فَهَلْ وَصَلُوا إِلَى هَذَا إِلَّا بِتَرْكِهِمْ الدُّنْيَا وَ اِسْتِغَالِهِمْ بِطَلَبِ
الْآخِرَةِ وَ الْمَوَلَى. وَ هَلْ وَقَعُوا أَوْلَيْكَ فِي طُولِ الْحِسَابِ وَ أَنْوَاعِ
الشَّدَائِدِ وَ الدَّلِّ إِلَّا لِاسْتِغَالِهِمْ بِالدُّنْيَا وَ رَغْبَتِهِمْ فِيهَا وَ زُهْدِهِمْ فِي
الْآخِرَةِ وَ قَلَّةِ الْمُبَالَاةِ بِأَمْرِهَا وَ نِسْيَانِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَ مَا سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ
عَدَا مِمَّا ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ الشَّنَّةِ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَ اخْتَرْ لَهَا خَيْرَ
الْقَبِيلَتَيْنِ وَ أَفْرِدْهَا عَنْ أَقْرَانِ الشُّوءِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ
وَ اجْعَلِ الْكِتَابَ وَ الشَّنَّةَ أَمَامَكَ وَ انْظُرْ فِيهِمَا وَ اعْمَلْ بِهِمَا وَ لَا تَغْتَرَّ
بِالْقَالِ وَ الْقِيلِ وَ الْهُوسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا
اللَّهَ. [الحشر، رقم السورة: ٥٩، رقم الآية: ٧]

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تُخَالِفُوهُ فَتَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا جَاءَ بِهِ وَ تُخْتَرِعُوا
لِأَنْفُسِكُمْ عَمَلًا وَ عِبَادَةً، كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي حَقِّ قَوْمٍ صَلُّوا عَنْ
سَوَاءِ السَّبِيلِ:

﴿وَرَهْبَانِيَّةٍ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد، رقم
 السورة: ٥٧، رقم الآية: ٢٧]
 ثُمَّ قَدْ زَكَّىٰ هُوَ نَبِيَّهٗ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَّهَهُ مِنَ الْبَاطِلِ
 وَالزُّورِ فَقَالَ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾
 [النجم، رقم السورة: ٥٣، رقم الآية: ١ إلى ٤]
 أَيْ مَا آتَاكُمْ فَهُوَ مِنْ عِنْدِي لَا مِنْ هَوَاهُ وَنَفْسِهِ فَاتَّبِعُوهُ ثُمَّ قَالَ:
 ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران،
 رقم السورة: ٣، رقم الآية: ٣١]
 فَبَيَّنَ أَنَّ طَرِيقَ الْمَحَبَّةِ اتِّبَاعُهُ قَوْلًا وَفِعْلًا.

«فَهَلْ وَصَلُوا» أي أهل الجنة «إلى هذا» المقام العليّ والقرب السيّ «إِلَّا
 يَتَزَكَّيْهِمُ الدُّنْيَا» الخسيسة الرذيلة «وَاشْتَغَالِهِمْ بِطَلَبِ الْآخِرَةِ وَ» بطلب «الْمَوْلى
 وَهَلْ وَقَعُوا أَوْلِيَّكَ» اسم الإشارة إمّا عطف بيان أو بدل من ضمير وقعوا على مثل
 قولهم أكلوني البراغيث، والاستفهام للانكار أي ما وقع أهل الموقف «في طُولِ
 الْحِسَابِ وَانْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَالذُّلِّ إِلَّا لاشْتَغَالِهِمْ بِالدُّنْيَا وَرَغْبَتِهِمْ فِيهَا وَزُهْدِهِمْ فِي
 الْآخِرَةِ وَقِلَّةِ الْمُبَالَاةِ بِأَمْرِهَا» أي أمر الآخرة لألفتهم بالدنيا بل «وَنِسْيَانِ يَوْمِ
 الْقِيَمَةِ وَنِسْيَانِ «مَا سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ غَدًا مِمَّا ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ» العزيز والقرآن
 المجيد، «وَ» مما ذكره «السُّنَّةِ» المحمدية فإن الكتاب والسُّنَّة قد بينا بيانا كافيا
 شافيا بما فيه صلاح المعاد والمعاش و الخلاص عن كيد النفس والشیطان الداعيين
 إلى إصلاح الدنيا وإفساد الآخرة فَانْظُرْ أَيُّهَا الْعَاقِلُ «لِنَفْسِكَ وَاخْتَرْ لَهَا» أي لأجل
 نفسك «خَيْرَ الْقَبِيلَتَيْنِ وَافْرِدْهَا» أي اجعل نفسك منفردا متوحدا «عَنْ أَقْرَانِ
 الشُّوْءِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَاجْعَلِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ أَمَامَكَ» و قد املك
 «وَانْظُرْ فِيهِمَا وَاعْمَلْ بِهِمَا وَلَا تَعْتَرَّ بِالْقَالِ وَالْقِيلِ» هما اسمان لما يذكر من قيل وقال
 «وَ» لا تغرب «الْهَوَسِ» النفسي. ويدل على التمسك بالكتاب والسنة ما «قَالَ

الله تعالى: «

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ من المال في قسمة الغنائم و من الأقوال والأفعال
﴿فَخُذُوهُ﴾ بالقلب والجوارح فاعتقدوه حقاً واعملوا به ﴿وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ
فَانْتَهُوا﴾ عنه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

هذه الآية الكريمة وإن نزل في بعض الحروب في قسمة الغنائم لكن العلماء
حملوها على العموم؛ لأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص الواقعة على ما تقرر في
علم الأصول «فَاتَّقُوا اللَّهَ» في مخالفة رسوله «وَلَا تُخَالِفُوهُ» أي الله تعالى بمخالفة
الرسول عليه الصلوة والسلام أو الضمير للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم
«فَتَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا جَاءَ بِهِ» الرسول من الكتاب والسنة «وَتَخْتَرِعُوا لِأَنفُسِكُمْ
عَمَلًا وَعِبَادَةً» قلوباً وقالباً «كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَقِّ قَوْمٍ» من الأمم السالفة:
﴿ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٥/٧٧] باختراع العبادات من عند
انفسهم وعدم إتمامهم في سورة الحديد:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۗ وَرَهَابَاتٍ ۖ فَاِتَّبَعُوا مَا
كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ۖ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦-٢٧]

«ثُمَّ قَدْ زَكَّىٰ هُوَ» الله «نَبِيَّهٖ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَّهَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَالرُّؤُورِ
فَقَالَ: «

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ
هُوَ إِلَّا مَا هُوَ أَيْ لَيْسَ مَا يَنْطِقُ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»
[النجم: ٥٣/ ١ إلى ٤]

«أَيَّ مَا آتَاكُمُ» الرسول من الأقوال والأفعال والأموال «فَهُوَ مِنْ عِنْدِي لَا
مِنْ هَوَاهُ وَنَفْسِهِ» فإذا عرفتم أنه من عندي «فَاتَّبِعُوهُ، ثُمَّ قَالَ: «

«قُلْ» يا محمد لمن يدعى محبتي «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»

[آل عمران: ٣/ ٣١]

«فَبَيَّنَ» الله تعالى «أَنَّ طَرِيقَ الْمَحَبَّةِ» مع الله تعالى «إِتِّبَاعُهُ» صلى الله عليه وسلم «قَوْلًا وَفِعْلًا».

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: من ادعى محبة الله تعالى و خالف سنة رسول الله فقد كذبه القرآن الكريم.

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِلَّا كَسَابَ سُنَّتِي وَالتَّوَكَّلُ حَالَتِي».

فَأَنْتَ بَيْنَ سُنَّتِهِ وَحَالَتِهِ إِنْ ضَعُفَ إِيمَانُكَ فَالْكَسَابُ الَّذِي هُوَ سُنَّتُهُ، وَإِنْ قَوِيَ إِيمَانُكَ فَحَالَتُهُ الَّتِي هِيَ التَّوَكُّلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: رقم السورة:

٥، رقم الآية ٢٣]

وَقَالَ:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق، رقم السورة: ٦٥،

رقم الآية ٣]

وَقَالَ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران.

رقم السورة: ٣، رقم الآية: ١٥٩]

فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّوَكُّلِ وَبِكَهْكَ عَلَيْهِ كَمَا أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّبِعْ أَوْامِرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْمَالِكَ وَإِلَّا فَهِيَ مَزْدُودَةٌ إِلَيْكَ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ زِدٌّ.^(١)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأطأ. الخ. و مسلم أيضا في صحيحه برقم: ١٧١٨، باب نقض الأحكام الباطلة في كتاب الأفضية.

هَذَا يَعْطُ طَالِبُ الرِّزْقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، لَيْسَ لَنَا نَبِيٌّ غَيْرُهُ
فَتَتَّبِعُهُ وَ لَا كِتَابَ غَيْرَ الْقُرْآنِ فَتَعْمَلُ بِهِ. فَلَا تَخْرُجَ عَنْهَا فَتَهْلِكَ
فِيضِلُّكَ هَوَاكَ وَالشَّيَاطِينُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. [ص،
رقم السورة: ٣٨، رقم الآية: ٢٦]
فَالسَّلَامَةُ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْهَلَاكُ مَعَ غَيْرِهِمَا، وَ بِهِمَا
يَتَرَقَّى الْعَبْدُ إِلَى حَالَةِ الْوِلَايَةِ وَالْبَدَلِيَّةِ وَالْغَوْثِيَّةِ.

«فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:»

«الْإِكْسَابُ سُنَّتِي» أَي طَرِيقِي فِي الظَّاهِرِ «وَالْتَّوَكُّلُ» عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

«حَالَتِي».

«فَأَنْتَ» أَيُّهَا الطَّالِبُ «بَيْنَ سُنَّتِي» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَحَالَتِي» وَ لَا
تَجَاوِزْهُمَا «إِنْ ضَعُفَ إِيمَانُكَ فَ» عَلَيْكَ «الْكَسْبُ الَّذِي هُوَ سُنَّتُهُ، وَإِنْ قَوِيَ
إِيمَانُكَ» فَعَلَيْكَ «حَالَتُهُ» الَّتِي هِيَ التَّوَكُّلُ

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:»

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥/ ٢٣]

«وَقَالَ» تَعَالَى أَيْضًا:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيُزِدْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ^ط وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ.^ط إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعَامِرِ^ط قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢٥/ ٢-٣]
«وَقَالَ» تَعَالَى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ.

[آل عمران: ١٥٩/ ٣]

«فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّوَكُّلِ وَ تَبَهَّكَ عَلَيْهِ كَمَا أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَاتَّبِعْ أَوَامِرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ « أَوَامِرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْمَالِكَ وَالْأَمْرِ أَيُّهُمَا لَمْ تَتَّبِعْ أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهِيَ » أَيُّ الْحَالَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَكَ فِي الظَّاهِرِ أَوْ فِي الْبَاطِنِ أَوْ فِيهِمَا « مَرْدُودَةٌ إِلَيْكَ ». « قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: »

« مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا » أَيُّ طَرِيقِنَا يَعْنِي غَيْرَ مَا خُوِذَ مِنْ كِتَابِنَا وَ سُنَّتِنَا « فَهُوَ » أَيُّ ذَلِكَ الْعَامِلِ أَوْ عَمَلِهِ « رَدُّ » أَيُّ مَرْدُودٍ، « هَذَا » الْحُكْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَعْمُ طَالِبُ الرِّزْقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ » إِذْ « لَيْسَ لَنَا نَبِيٌّ غَيْرُهُ فَتَتَّبِعُهُ وَلَا » لَنَا « كِتَابٌ غَيْرُ الْقُرْآنِ » الْمَجِيدِ « فَتَعْمَلُ بِهِ » رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ أَنَسٍ مَرْسَلًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمَا بِهِمَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ. « فَلَا تَخْرُجْ » أَنْتَ أَيُّهَا الطَّالِبُ « عَنْهَا » أَيُّ عَنْ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَتَهْلِكَ فَيَضِلُّكَ هَوَاكَ وَالشَّيَاطِينُ » « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى » لَنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٣٨ / ٢٦]

« فَالْسَّلَامَةُ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْهَلَاكُ مَعَ غَيْرِهِمَا » أَيُّ طَرِيقِ كَانَ « وَ » قَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ « بِهِمَا يَتَرَفَّقُ الْعَبْدُ إِلَى حَالَةِ الْوِلَايَةِ وَالْبَدَلِيَّةِ وَالْعَوْنِيَّةِ » الَّتِي لَا مَرْتَبَةَ فَوْقَهَا إِلَّا النَّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ.

الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي الْمَنْعِ عَنِ الْحَسَدِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا لَكَ أَرَاكَ يَا مُؤْمِنُ حَاسِدًا لِجَارِكَ فِي مَطْعَمِهِ وَ مَشْرَبِهِ وَ مَلْبَسِهِ وَ مَنْكَحِهِ وَ مَسْكَنِهِ وَ تَقْلُبِهِ أُنَاءَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ فِي غِنَاهُ وَ فِي نِعَمِ مَوْلَاهُ وَ فِي قِسْمِهِ الَّذِي قَسَّمَهُ لَهُ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لَكَ أَرَاكَ يَا مُؤْمِنُ حَاسِدًا» أي مريدا لزوال النعمة «لِجَارِكَ فِي مَطْعَمِهِ وَ مَشْرَبِهِ وَ مَلْبَسِهِ وَ مَنْكَحِهِ وَ مَسْكَنِهِ وَ تَقْلُبِهِ أُنَاءَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ فِي غِنَاهُ وَ فِي نِعَمِ مَوْلَاهُ» الَّذِي أُولَاهُ بِهَا «وَ فِي قِسْمِهِ» وَ نصيبه «الَّذِي قَسَّمَهُ» وَ عَيْنُهُ «لَهُ».

اعلم أن الله تعالى إذا أنعم على أحد بنعمة، فإن أراد غيره زوالها فهذا هو الحسد. وله مراتب:

الأولى: أن يحب الحاسد زوال النعمة عن المحسود و إن لم تحصل له و هذه أحب أقسامه.

الثانية: أن يحب زوالها عنه إليك كرغبته في داره الحسنة أو امرأته الحسنة، أو ولايته فالمطلوب بالذات حصوله له، فأما زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض.

الثالثة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما، و قد يطلق الحسد على طلب حصول النعمة الكائنة على أحد من غير إرادة زوالها عنه، و هو المسمى بالغبطة و المنافسة، و بهذا عُدَّ للحسد أنواع أربعة.

و الثلثة الأول منهيات عنها، والرابع فهو معفو عنه إن كان في أمر الدنيا و مندوب إليه إن كان في الدين و إليه يشير قوله تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين، رقم السورة: ٨٣، رقم الآية: ٢٦]

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا بِمَا يُضْعِفُ إِيمَانَكَ وَيُسْقِطُكَ مِنْ عَيْنِ مَوْلَاكَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُغْضِبُكَ إِلَيْهِ؟ أَمَا سَمِعْتَ الْحَدِيثَ الْمَرْوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعَمَتِي»^(١).
 أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «إِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»^(٢).
 ثُمَّ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَحْسُدُهُ أَوْ عَلَى قِسْمِهِ أَوْ عَلَى قِسْمِكَ؟ فَإِنَّ حَسَدَتَهُ عَلَى قِسْمِهِ الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي قَوْلِهِ:
 ﴿لَنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزخرف، رقم السورة: ٣٢، رقم الآية: ٤٣)
 فَقَدْ ظَلَمْتَهُ، رَجُلٌ يَتَّقِلُ فِي نِعْمَةِ مَوْلَاهُ الَّتِي تَفْضِلُ بِهَا عَلَيْهِ وَقَدَّرَهَا لَهُ وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهَا حِظًّا وَتَصِيًّا فَمَنْ يَكُونُ أَظْلَمَ مِنْكَ وَابْخَلَّ وَأَوْعَنَ وَأَقْصَعَ عَقْلًا مِنْكَ؟
 وَإِنْ حَسَدْتَهُ عَلَى قِسْمِكَ فَقَدْ جَهِلْتَ غَايَةَ الْجَهْلِ فَإِنَّ قِسْمَكَ لَا يُعْطَى غَيْرَكَ وَلَا يَنْتَقِلُ مِنْكَ إِلَيْهِ حَاشَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» [ق: ٥٠/٢٩]
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُكَ فَيَأْخُذُ مَا قَسَمَهُ وَقَدَّرَهُ لَكَ فَيُعْطِي غَيْرَكَ فَهَذَا جَهْلٌ مِنْكَ وَظُلْمٌ لِإِخِيكَ.

«أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا» الحسد «بِمَا يُضْعِفُ إِيمَانَكَ وَيُسْقِطُكَ مِنْ عَيْنِ مَوْلَاكَ عَزَّ وَجَلَّ» لانه اعتراض منك على ربك في إعطائه النعمة على محسودك «وَيُغْضِبُكَ إِلَيْهِ تَعَالَى. أَمَا سَمِعْتَ الْحَدِيثَ» القدسي «الْمَرْوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» حكاية عن الله تعالى «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعَمَتِي».

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٩/٢٨، برقم: ٦١٢٦، الثالث والأربعون من شعب الإيمان.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، ٤/٢٧٦، برقم: ٤٩٠٣، باب في الحسد، وكذا أخرجه ابن ماجه.

«أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ».

ثم بين عدم معقولية الحسد بقوله: «ثُمَّ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَحْسُدُهُ أَعْلَى قِسْمِهِ» أي قسم المحسود «أَوْ عَلَى قِسْمِكَ فَإِنْ حَسَدْتَهُ عَلَى قِسْمِهِ الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي قَوْلِهِ:»

﴿لَنُحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِرِيًّا ط﴾ أي مُسَخَّرًا بِالْمَلِكِ أَوْ الْأَجْرَةِ فَيَصِيرُ الْبَعْضُ لِلْبَعْضِ مَمْلُوكًا أَوْ أَجِيرًا ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

«فَقَدْ ظَلَمْتَهُ» جواب إن، وإنما تكون ظالما اذ هو «رَجُلٌ يَتَّقَلَّبُ فِي نِعْمَةٍ مَوْلَاهُ الَّتِي تَفْضِلُ بِهَا عَلَيْهِ وَقَدَّرَهَا لَهُ وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهَا حِطًّا وَنَصِيْبًا» وأنت تريد سلبها منه و جذبها إليك «فَمَنْ يَكُونُ أَظْلَمَ مِنْكَ وَ أَبْخَلَ وَ أَرْعَنَ» من الرعونته وهي الحماقة «وَأَنْقَصَ عَقْلًا مِنْكَ» إليه تعالى.

«وَإِنْ حَسَدْتَهُ عَلَى قِسْمِكَ فَقَدْ جَهِلْتَ غَايَةَ الْجَهْلِ فَإِنَّ قِسْمَكَ لَا يُعْطَى» الله تعالى «غَيْرُكَ وَ لَا يَنْتَقِلُ مِنْكَ إِلَيْهِ حَاشَ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» أي تنزيها له تعالى من أن يعطى لشخص ما قدره لغيره. «قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى:»

﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩، الآية: ٥٠]

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُكَ فَيَأْخُذُ مَا قَسَمَهُ» لك «وَ قَدَّرَهُ لَكَ فَيُعْطِي غَيْرَكَ فَهَذَا» الاعتقاد «جَهْلٌ مِنْكَ وَ ظُلْمٌ لِأَخِيكَ» أي ظلم منك لأخيك المحسود بالتهمة أنه أخذ نصيبك وهو بريء من ذلك.

ثُمَّ حَسَدُكَ لِلْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مَعْدِنُ الْكُنُوزِ وَالْذَّخَائِرِ مِنْ أَنْوَاعِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ مِمَّا جَمَعَتْهُ الْمُلُوكُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ كِسْرَى وَ قَيْصَرَ أَوَّلِي مِنْ حَسَدِكَ لِأَخِيكَ.

وَ مَا مِثْلُكَ إِلَّا مِثْلَ رَجُلٍ رَأَى مَلِكًا مَعَ سُلْطَانِهِ وَ جُنُودِهِ وَ حَشَمِهِ وَ مُلْكِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَ جَبَايَةِ خِرَاجِهَا إِلَيْهِ وَ إِزْتِفَاعِهَا لَدَيْهِ

وَتَنْعُمُهُ بِأَنْوَاعِ النَّعِيمِ وَاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَلَمْ تَحْسُدْهُ عَلَى ذَلِكَ.

ثم بين ما هو الأولى والأليق بالحسد بقوله: «ثُمَّ حَسَدُكَ لِلْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مَعْدِنُ الْكُنُوزِ وَالذَّخَائِرِ مِنْ أَنْوَاعِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ مِمَّا جَمَعَتْهُ الْمُلُوكُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَكَسْرَى وَقَيْصَرَ أُولَى مِنْ حَسَدِكَ لِأَخِيكَ».

ثم بين للحاسد وحسده تمثيلاً بقوله: «وَمَا مَثَلُكَ» يا حاسد «إِلَّا مَثَلُ رَجُلٍ رَأَى مَلِكًا مَعَ سُلْطَانِهِ» أي سلطنته «وَجُنُودِهِ وَحَشَمِهِ وَمُلْكِهِ، عَلَى الْأَرْضِ وَجَبَايَةِ خِرَاجِهَا» أي جذب خراج تلك الأراضي «إِلَيْهِ وَارْتِفَاعِهَا» أي ارتفاع تلك الأراضي «لَدَيْهِ وَتَنْعُمُهُ بِأَنْوَاعِ النَّعِيمِ وَاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَلَمْ تَحْسُدْهُ» أي ذلك الملك «عَلَى ذَلِكَ» المملكة والسلطنة.

ثُمَّ رَأَى رَجُلًا يَخْدُمُ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ ذَلِكَ الْمَلِكِ يَقُومُ وَيَبِيتُ وَ يُصْبِحُ مَعَهُ فَيُعْطَى مِنْ مَطْبَخِ الْمَلِكِ بَقَايَةَ طَعَامٍ وَرَدَاءَتَهُ فَيَتَقَوَّتُ بِهِ فَآخَذَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَحْسُدُهُ وَيُعَادِيهِ وَيَتَمَتَّى مَوْتَهُ وَهَلَاكَهُ وَكَوْنَهُ مَكَانَهُ وَأَنْ يَخْلُقَهُ خِسَّةً وَدِنَاءَةً لَا زُهْدًا وَدِينًا وَفَنَاءَةً فَهَلْ يَكُونُ فِي الزَّمَانِ رَجُلٌ أَحْمَقُ مِنْهُ وَأَزْعَنُ وَأَجْهَلُ.

«ثُمَّ رَأَى» ذلك الرجل الرائي للسلطان «رَجُلًا يَخْدُمُ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ ذَلِكَ الْمَلِكِ يَقُومُ وَيَبِيتُ وَ يُصْبِحُ مَعَهُ» أي مع ذلك الكلب «فَيُعْطَى» ذلك الخادم لِلْكَلْبِ «مِنْ مَطْبَخِ الْمَلِكِ بَقَايَةَ طَعَامٍ وَرَدَاءَتَهُ» وهو ما يلصق بالقدر من الحرقه «فَيَتَقَوَّتُ بِهِ» أي يجعل تلك البقايا من الطعام قوتا لنفسه «فَآخَذَ» أي شرع «ذَلِكَ الرَّجُلُ» الرائي «يَحْسُدُهُ» أي خادم الكلب «وَيُعَادِيهِ وَيَتَمَتَّى مَوْتَهُ وَهَلَاكَهُ وَكَوْنَهُ مَكَانَهُ» أي مكان خادم الكلب «وَأَنْ يَخْلُقَهُ» أي يكون خليفة لخادم الكلب، يطلب ذلك المنصب «خِسَّةً وَدِنَاءَةً» من نفسه الخسيسة الدنية «لَا زُهْدًا وَدِينًا وَفَنَاءَةً» بالأدنى من الدنيا كما يفعله الزهاد إذ لا لالنفس الأمانة بخدمة الكلب «فَهَلْ يَكُونُ فِي الزَّمَانِ رَجُلٌ أَحْمَقُ مِنْهُ وَأَزْعَنُ» من الرعونة وهي الحماقة

«وَأَجْهَلَ» منه.

ثُمَّ لَوْ عَلِمْتَ يَا مُسْكِينُ مَا سَيَلْفِي جَارُكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَطَاعَ اللَّهَ
فِيمَا خَوَّلَهُ مِنْ نِعَمِهِ وَأَدَّى حَقَّهُ فِيهَا وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ وَانْتَهَى نَهْيَهُ فِيهَا وَ
اسْتَعَانَ بِهَا عَلَى عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَمَا يَتِمَّنِي أَنَّهُ لَمْ يُعْطِ مِنْ ذَلِكَ ذَرَّةً وَ
لَا رَأَى نَعِيمًا يَوْمًا مَا قَطُّ. أَمَا سَمِعْتَ مَا قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ:
لَيَتِمَّنِينَ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَنْ تُفَرَّضَ لِحُومُهُمْ بِالْمَقَارِ يَضِ عَمَّا يَرُونَ مِنْ
أَصْحَابِ الْبَلَاءِ مِنَ الثَّوَابِ.

فَيَتِمَّنِي جَارُكَ غَدًا مَكَانَكَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ طُولِ حِسَابِهِ وَ
مُنَاقَشَتِهِ وَقِيَامِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي حَرِّ الشَّمْسِ فِي الْقِيَمَةِ لِأَجْلِ مَا
تَمَتَّعَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ فِي مَعْرَلٍ عَنْ ذَلِكَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ
أَكِلًا شَارِبًا مُتَنَعِّمًا فَرِحًا مَسْرُورًا مُسْتَرْحًا لَصَبْرِكَ عَلَى شِدَائِدِ الدُّنْيَا وَ
ضَيْقِهَا وَآفَاتِهَا وَفَقْرِهَا وَبُؤْسِهَا وَرِضَاكَ بِقِسْمِكَ وَمُوَافَقَتِكَ
لِرَبِّكَ فِيمَا دَبَّرَ وَقَضَى مِنْ فَقْرِكَ وَغِنَاءِ غَيْرِكَ وَسُقْمِكَ وَعَافِيَةِ
غَيْرِكَ وَشِدَّتِكَ وَرَخَاءِ غَيْرِكَ وَذَلِكَ وَعِزُّ غَيْرِكَ جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَ
إِيَّاكَ يَمُنُّ صَبَرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَشَكَرَ عَلَى النِّعْمَاءِ وَأَسْلَمَ وَفَوَّضَ الْأَمْرَ
إِلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

«ثُمَّ لَوْ عَلِمْتَ يَا مُسْكِينُ مَا سَيَلْفِي جَارُكَ» الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَأَنْتَ
تَحْسُدُهُ عَلَيْهَا مِنْ طُولِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ «إِنْ لَمْ يَكُنْ» جَارُكَ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِ «أَطَاعَ اللَّهُ
تَعَالَى فِيمَا خَوَّلَهُ» اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْطَاهُ «مِنْ نِعَمِهِ وَ» إِنْ لَمْ يَكُنْ «أَدَّى حَقَّهُ» أَيَّ حَقِّ اللَّهِ
تَعَالَى «فِيهَا وَ» مَا «امْتَثَلَ أَمْرَهُ» تَعَالَى «وَ» مَا «انْتَهَى نَهْيَهُ» تَعَالَى «فِيهَا وَ» مَا
«اسْتَعَانَ بِهَا عَلَى عِبَادَتِهِ» تَعَالَى «وَ طَاعَتِهِ» بَلْ أَطَاعَ نَفْسَهُ وَهُوَ وَاسْتَوْفَى حَظَّهُ وَ
مَشْتَهَاهُ «وَ» لَوْ عَلِمْتَ يَا مُسْكِينُ «مَا يَتِمَّنِي» جَارُكَ حِينَ جَازَاهُ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ النِّعَمِ
الْمَصْرُوفَةِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا «أَنَّهُ» تَعَالَى «لَمْ يُعْطِ» إِنْ قُرِئَ بِصِيغَةِ الْمَعْرُوفِ فَالضَّمِيرُ فِيهِ

وفي أنه لله تعالى أي يتمنى أن الله تعالى لم يعط له «مِنْ ذَلِكَ» المذكور من النعم المعطى له في الدنيا «ذَرَّةً وَلَا رَأْيَ» هو «نَعِيمًا يَوْمًا مَا قَطُّ» وإن قُرئ بصيغة المجهول فالضميران للجار أي يتمنى ذلك الجار أنه لم يُعْطَ من جانب الله من ذلك ذرة، وهذا التمني ثابت مقرر «أَمَا سَمِعْتَ مَا قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: "لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَنْ تُقَرَّضَ لِحُومُهُمْ بِالْمَقَارِ يُضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ أَصْحَابِ الْبَلَايَا مِنَ الثَّوَابِ"». وروي الترمذي عن جابر رضي الله عنه بهذا اللفظ:

قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يود أهل العافية يوم القيمة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقار يض.^(١)

«فَيَتَمَنَّى جَارُكَ غَدًا» لما يرى من شِدَّةِ حالة بتلك النعم التي لم يصرفها في تحالها «مَكَانَكَ» و منزلتك من السقم و تقفیر الرزق الحالة بك «فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ طُولِ حِسَابِهِ وَ مُنَاقَشَتِهِ» أي المناقشة والتفتيش معه فالمصدر مضاف إلى المفعول «وَقِيَامِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» التي هي مدة يوم القيمة «فِي حَرِّ الشَّمْسِ فِي» يوم «الْقِيَمَةِ لِأَجْلِ» شَوْم «مَا تَمَتَّعَ بِهِ مِنَ النَّعْمِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ» أي هو واقع في هذه الشدة والحال أنك «فِي مَعْرَلٍ» أي بُعْدٍ «عَنْ ذَلِكَ» المحنة والشدة مُستريح «فِي ظِلِّ الْعَرْشِ» الَّذِي لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ «أَكِلًا شَارِبًا مُتَنَعِمًا فَرِحًا مَسْرُورًا مُسْتَرِيحًا» بما أعطاك ربك من النعم «لِصَبْرِكَ عَلَى شِدَائِدِ الدُّنْيَا وَ ضِيقِهَا وَ آفَاتِهَا وَ فَقْرِهَا وَ بُؤْسِهَا، وَ رِضَاكَ بِقِسْمِكَ» و نصيبك «و مُوَافَقَتِكَ لِرَبِّكَ» أي مع ربك «فِيمَا» أراد به اختياره لك و «دَبَّرَ» لك «وَقَضَى» عليك «مِنْ فَقْرِكَ وَ غِنَاءِ غَيْرِكَ وَ سُقْمِكَ وَ عَافِيَةِ غَيْرِكَ وَ شِدَّتِكَ وَ رَخَاءِ غَيْرِكَ» و سعته «و ذَلِكَ وَ عِزِّ غَيْرِكَ» و جواب لو محذوف أي لو علمت حال جارك في الشدة وحالك في السرور يوم القيمة لما حسدته على تلك النعم الموجهة لتلك الشدة بل شكرت ربك فيما فعل بك.

«جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَ إِيَّاكَ مِمَّنْ صَبَرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَ شَكَرَ عَلَى النِّعَمَاءِ وَ أَسْلَمَ» و انقاد «وَفَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ».

(١) انظر الجامع للترمذي ٤/٦٠٣، برقم: ٢٤٠٢، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب منه.

الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي الصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَنْ عَامَلَ مَعَ مَوْلَاهُ بِالصِّدْقِ
وَالنِّصَاحِ اسْتَوْحَشَ مِمَّا سِوَاهُ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ. يَا قَوْمُ لَا تَدْعُوا مَا
لَيْسَ لَكُمْ وَوَجِدُوا وَلَا تُشْرِكُوا وَاهْدِفُوا لِسَهَامِ الْقَدْرِ تُصِيبَكُمْ
خَذَشًا لَا قَتْلًا وَمَنْ كَانَ فِي اللَّهِ تَلَفُهُ كَانَ عَلَى اللَّهِ خَلْفُهُ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ لَمْ تُوَاقِعُوا مَجَارِيَ الْأَقْصِيَةِ إِلَّا قَصَمْتَكُمْ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَنْ عَامَلَ مَعَ مَوْلَاهُ بِالصِّدْقِ وَالنِّصَاحِ» أي
النصح بمعنى الخلوص والإخلاص «اسْتَوْحَشَ» ذلك العامل المخلص واستغنى
«مِمَّا سِوَاهُ» تعالى «فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ. يَا قَوْمُ لَا تَدْعُوا» لأنفسكم «مَا لَيْسَ لَكُمْ»
من المرتبة «وَوَجِدُوا» الله توحيداً خالصاً عن الشرك الجلي والخفي «وَلَا
تُشْرِكُوا» بالله شيئاً لا في الألوهية ولا في الوجود فإن الوجود الحقيقي الأصلي إنما
هو الله تعالى والخلق إنما وجد بظل وجوده فصار به موجوداً ظاهرياً ظلياً «وَوَ
اهْدِفُوا» أي صيروا هدفاً، وفي بعض النسخ بصيغة المضارع فهو أيضاً بمعنى الأمر
وإن كان بصيغة الخبر «لِسَهَامِ الْقَدْرِ تُصِيبَكُمْ» تلك السهام «خَذَشًا» أي
جراحة «لَا قَتْلًا وَمَنْ كَانَ فِي اللَّهِ» أي في سبيل الله وطلبه «تَلَفُهُ كَانَ عَلَى اللَّهِ
خَلْفُهُ» أي عوضه «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَمْ تُوَاقِعُوا مَجَارِيَ الْأَقْصِيَةِ» أي مجاري قضاء الله
تعالى وقدره «إِلَّا قَصَمْتَكُمْ» أي كسرتكم تلك الأقضية فنسبة إرادات الخلق
بالنسبة إلى إرادة الحق نسبة الخلق إلى الحق فقضاء الله تعالى سلطان الأقضية وحكم
الله تعالى أمير الأحكام فمن خالف من الرعية السلطان فقد تصدى للهلاك.

وَأَنَّهُ لَا يُصْطَفَى الْقَلْبُ حَتَّى تُصْطَفَى النَّفْسُ وَتَصِيرُ مِثْلَ كَلْبٍ
 أَهْلٍ رَابِضَةٍ عَلَى الْبَابِ وَتُنَادَى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى
 رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾. [الفجر: ٣٠] فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ الْقَلْبُ الْحُضْرَةَ وَيَصِيرُ
 كَعَبَّةٍ لَطَوَافِ الرَّبِّ تَعَالَى وَيكْشِفُ لَهُ الرَّبُّ عَنْ جَلَالِ الْمَلِكِ، وَ
 كَمَالِ الْمَلِكِ وَيَسْتَوْطِنُ خِيَمَةَ الْقُرْبِ وَيَقْرُشُ فِي جَوَارِ الْمَلِكِ وَيُظْهِرُ
 نَجَاحَتَهُ وَيُخْرِجُ الْفَاقَةَ وَسَلَّمَ: إِلَيْهِ دَرَائِئُهُ وَيَسْمَعُ النِّدَاءَ مِنَ الرَّفِيقِ
 الْأَعْلَى يَا عَبْدِي أَنْتَ لِي وَأَنَا لَكَ فَإِذَا طَالَكَ صُحْبَتُهُ صَارَ بِطَاةَ الْمَلِكِ
 وَخَلِيفَتَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ وَآمِنَتَهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْبَحْرِ لِيُنْقِذَ الْغُرْفَى
 وَإِلَى الْبَرِّ لِيَهْدِيَ الضَّالَّ فَإِنْ مَرَّ عَلَى الْمَيِّتِ أَحْيَاهُ أَوْ عَلَى عَاصِرٍ ذَكَرَهُ أَوْ
 عَلَى بَعِيدٍ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ أَوْ عَلَى شَقِيٍّ أَسْعَدَهُ.

«و» اعلّموا «أنّه» أي الشأن «لا يُصْطَفَى الْقَلْبُ اصطفاءً» يوجب
 القبولية عند الله تعالى «حَتَّى تُصْطَفَى النَّفْسُ» باتباع الحق في الشريعة والطريقة
 والحقيقة «وَتَصِيرُ» النفس «مِثْلَ كَلْبٍ أَهْلٍ رَابِضَةٍ» أي أهل محلة «عَلَى الْبَابِ»
 فإنه لا يمنع أحداً من دخول الباب إن كان من أهل المعرفة ويمنع الأجنبي، والمراد هنا
 أن النفس يصير مثل ذلك الكلب لا تمنع أعمال الخير الموجبة لرضا الله تعالى وتمنع
 أعمال الشر الموجبة لسخط الله تعالى فيصير النفس الأمانة مطمئنة «وَتُنَادَى» من
 جانب الله تعالى بخطاب:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي.
 وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ [الفجر: ٢٧/٨٩ إلى ٣٠]

قيل تلك الجنة جنة لا حور فيها ولا تصور بل إنما فيها مشاهدة الرب بسرور
 وحضور «فَحِينَئِذٍ» أي حين تصطفى النفس وتصبح أهلاً لهذا الخطاب الجسيم
 «يَدْخُلُ الْقَلْبُ الْحُضْرَةَ» الألوهية التي تسمى باللاهوتية «وَيَصِيرُ كَعَبَّةٍ لَطَوَافِ
 الرَّبِّ تَعَالَى» أي محلاً لتجلياته كأنّ التجليات تحوم حول هذا القلب كما تحوم

الحُجَّاج حول الكعبة «وَيَكْشِفُ لَهُ» أي لهذا القلب «الرُّبُّ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ جَلَالِ الْمَلِكِ وَكَمَالِ الْمَلِكِ» إقامة للظاهر مقام الضمير والقياس جلاله وكماله «وَيَسْتَوْطِنُ خَيْمَةَ الْقُرْبِ» أي يجعل خيمة القرب وطنا ومقرا له «وَيَفْرُشُ» لهذا القلب «فِي جَوَارِ الْمَلِكِ وَيُظْهِرُ» الملك له «نَجَائِيَهُ» أي نفائسه جمع نجيب وهو الخالص من كل شيء «وَيُخْرِجُ» الملك له «الْفَاقَةَ» من خرائئه «وَسَلَّمَ» الملك «إِلَيْهِ» أي إلى هذا القلب «دِرَائَتَهُ» المراد بالفاقة الافتقار والاحتياج الذي هو مقام العبودية وهي أعلى المقامات وأسناها «وَيَسْمَعُ» هذا القلب البالغ إلى هذه المرتبة «النِّدَاءَ مِنَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» أي من المقربين إلى الله حكاية عن الله تعالى أو من الله تعالى بلا واسطة «يَا عَبْدِي» وَكُلُّ من المخلوقات عَبْدِي «أَنْتَ لِي وَأَنَا لَكَ» عبارة عن كمال الاختصاص الذي لا مرتبة فوقها لكن أولياء الله تعالى يتفاوتون في هذه المرتبة.

وقد نقل عن قطب الوقت وغوث الزمان السيد محمد المخاطب من عند الله ب "شاه عالم" لما أجلسه قطب الوقت وغوث الزمان مخدوم شيخ أحمد كهتو في الخلوة الأربعينية يسمع في الأربعين الأولى أنت لي وفي الثانية أنا لك فسأله الشيخ عن واقعات الخلوة فقال: هكذا أسمع نداء الغيب بلا شك ولا ريب، فقال الشيخ: اخرج فقد حصل مقصودك وصل مطلوبك

«فَإِذَا طَالَكَ صُحْبَتُهُ» أي صحبة هذا القلب مع الله «صَارَ بِطَانَةَ الْمَلِكِ» أي صاحب سره «وَخَلِيفَتُهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ وَآمِنَتُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَأَرْسَلَهُ» الملك «إِلَى الْبَحْرِ لِيُنْقِذَ» الجماعة «الْعُرْفَى وَ» أرسله «إِلَى الْبَرِّ لِيَهْدِيَ» الفريقة الْهَلُكَى «الضَّالَّ» طريق الإيمان والعرفان «فَإِنْ مَرَّ» هذا العبد «عَلَى الْمَيِّتِ أَحْيَاهُ» بإذن الله تعالى «أَوْ» مر «عَلَى عَاصٍ ذَكَرَهُ» طريق التَّوْبَةِ «أَوْ» مر «عَلَى بَعِيدٍ» من الله تعالى «قَرَبَهُ إِلَيْهِ» تعالى «أَوْ» مر «عَلَى شَقِيٍّ أَسْعَدَهُ» كل ذلك بإذن الله تعالى وأثر كمال متابعتة للنبي صلى الله عليه وسلم.

أَلُوَيْ غُلَامُ الْبَدَلِ، وَالبَدَلُ غُلَامُ النَّبِيِّ، وَالنَّبِيُّ غُلَامُ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مِثَالُ الْوَلَايَةِ مِثَالُ مُسَامِرِ
الْمَلِكِ وَ مُبَاطِنِ حَضْرَتِهِ لَا تَزَالُ فِي صُحْبَتِهِ إِلَّا إِذَا رَكِبَ الْخُلُوةَ
مِنْصَبَةَ عُرُوسِهِ وَاللَّيْلَ سَرِيرَ مَلِكِهِ، وَالتَّهَارَ يُقَرِّبُهُمْ.

﴿يُنِي لَا تَقْضُضُ رُءُ يَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف، رقم

السورة: ١٢، رقم الآية: ٥]

«أَلُوَيْ غُلَامُ الْبَدَلِ» فإن البدلية أعلى المراتب بعد النبوة «وَالْبَدَلُ غُلَامُ النَّبِيِّ» إذ يصل إليه فيضه وهو سائر على قدمه «وَالنَّبِيُّ غُلَامُ الرَّسُولِ» إذ هو في شريعته و تابع لحكمه و يبلغ الكمال بكمال متابعتة و سائر الرسل توابع لسيدهم و خاتمهم أفضل البشر سيدنا حبيب الله محمد رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، مِثَالُ» أهل «الْوَلَايَةِ مِثَالُ مُسَامِرِ الْمَلِكِ» أي خواصه «وَمُبَاطِنِ حَضْرَتِهِ لَا تَزَالُ» تلك المسامر «فِي صُحْبَتِهِ إِلَّا إِذَا رَكِبَ الْخُلُوةَ» أي في الخلوة «مِنْصَبَةَ عُرُوسِهِ» منصة العروس: هي ما يجلس العروس عليه للجلوة بعد ما تُزَيَّنُ فِي الْخُلُوةِ «وَاللَّيْلَ» أي ركب في الليل «سَرِيرَ مَلِكِهِ» فإنهم يفارقونه فيها فإن جلساء الملك و ندمائه لا يزالون في خدمته إلا في هذين الوقتين فإنهما وقت الخلوة عن الجميع «وَالْتَّهَارَ» أي وفي النهار «يُقَرِّبُهُمْ» الملك إليه.

و هذه الجملة معطوفة على مجموع الجملة السابقة غير داخلة تحت الاستثناء فمن بلغ هذه المرتبة ينبغي بل يجب أن يحافظ على الأسرار، فإن إفشاء سر الربوبية كفر، و إلى هذا أشار بقوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام لابنه المحبوب إليه يوسف عليه السلام حين أخبره عن منامه ب،

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ. قَالَ يُنِي لَا تَقْضُضُ رُءُ يَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٤-٥] أي لا تخبر بما أطلعت عليه من الأسرار إخوتك من بني آدم. و فيه تلميح أي اشارة إلى قصة يعقوب و يوسف عليهما السلام من غير جري ذكرها.

الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي الْأَخْذِ مَعَ الْهَوَى وَالْأَخْذِ بِدُونِ الْهَوَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الْأَخْذُ مَعَ وُجُودِ الْهَوَى مِنْ غَيْرِ
الْأَمْرِ عِنَادٌ وَشِقَاقٌ. وَالْأَخْذُ مَعَ عَدَمِ الْهَوَى وَفَاقٌ وَاتِّفَاقٌ وَتَوَكُّهُ
رِيَاءٌ وَنِفَاقٌ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الْأَخْذُ» أي أخذ الفتوح أو المراد به الشروع في
الأفعال قلبية كانت أو جارية «مَعَ وُجُودِ الْهَوَى مِنْ غَيْرِ الْأَمْرِ» شرعياً ظاهرياً
أو حقيقياً باطنياً «عِنَادٌ وَشِقَاقٌ» أي خلاف مع الله تعالى فإن الله أمر للعوام
بالأخذ بأمر الشرع كما قال عَزَّ وَجَلَّ

﴿وَمَا أَتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ ۖ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر، رقم

السورة: ٥٩، رقم الآية: ٧]

و للخواص بالأخذ بالأمر الباطني كما مرّ ذكره في المقالات السابقة «وَالْأَخْذُ
مَعَ عَدَمِ الْهَوَى وَفَاقٌ وَاتِّفَاقٌ» مع الله تعالى فإنه لما خلص من الهوى لم يكن إرادته
إلا بإرادة الله تعالى فالفعل على مقتضاها وفاق و اتفاق البتة «وَتَوَكُّهُ» بملاحظة
اختياره «رِيَاءٌ وَنِفَاقٌ» مع الله تعالى لأن الفعل حينئذ ليس بملاحظة الله والفعل
الخالى عن ملاحظة الله تعالى رياء و نفاق عند أهل البصيرة.

والأقسام أربعة: الهوى مع الأمر، أو بدونه، و عدم الهوى مع الأمر، أو
بدونه، و الأمر الذي يكون مع الهوى يفيد الإباحة إن لم يكن الأمر للوجوب و لا
الندب. والإباحة بمخالطة الهوى يستحب تركها في الشريعة و يجب في الطريقة،
و الأمر الذي يكون بدون الهوى يفيد الوجوب في الطريقة، بملاحظة الأمر أي أمر
كان للإباحة أو الندب أو الوجوب. و أما في الشرع فبحسب الأمر و هذا هو القسم

الأخير في المتن، والهوى بدون الأمر يفيد الحرمة والرد عند أهل الطريقة، والإباحة في الشريعة إن لم يكن منهيًا عنه، وعدم الهوى مع عدم الأمر أيضًا يفيد الإباحة في الشريعة والترك وجوبًا في الطريقة إن كان من أهل البدلية، فالواجب واحد، والمردود واحد، والمباح اثنان.

الْمَقَالَةُ الْأَرْبَعُونَ

فِي الْمُنْعِ لِلْسَّالِكِ عَنْ ادِّخَالِ نَفْسِهِ فِي الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ بَقَاءِ بَشَرِيَّتِهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَظْمَعُ أَنْ تَدْخُلَ فِي رُفْرَةِ
الرُّوحَانِيَّةِ حَتَّى تُعَادِيَ جُمَّلَتَكَ وَتُبَايِنَ جَمِيعَ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ وَ
تَنْفَرِدَ عَنْ وُجُودِكَ وَحَرَكَاتِكَ وَسَكُنَاتِكَ وَسَمْعِكَ وَبَصَرِكَ وَ
كَلَامِكَ وَبَطْشِكَ وَسَعْيِكَ وَعَمَلِكَ وَعَقْلِكَ وَجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْكَ
قَبْلَ وُجُودِ الرُّوحِ فِيكَ وَمَا أَوْجَدَ فِيكَ بَعْدَ تَفْخِخِ الرُّوحِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ
ذَلِكَ حِجَابُكَ عَنْ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا صِرْتَ رُوحًا مُتَفَرِّدًا، سِرَّ
السِّرِّ وَغَيْبَ الْغَيْبِ مُبَايِنًا لِلْأَشْيَاءِ فِي سِرِّكَ، مُتَّخِذًا لِلْكَلِّ عَدُوًّا وَ
حِجَابًا وَظُلْمَةً كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
فَانْتَهُم عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. [الشعراء. رقم السورة: ٢٦،
رقم الآية: ٧٧]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَظْمَعُ» أيها السالك «أَنْ تَدْخُلَ فِي رُفْرَةِ
الرُّوحَانِيَّةِ» الكاملين من عباد الله «حَتَّى تُعَادِيَ جُمَّلَتَكَ» أي مجموع ذاتك من
النفس مع الخطرات و أفعال الجوارح على مقتضى مشتهاها عداوةً كاملةً «وَتُبَايِنَ
جَمِيعَ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ» مبائنة ظاهرة «وَتَنْفَرِدَ عَنْ وُجُودِكَ وَحَرَكَاتِكَ وَ
سَكُنَاتِكَ وَسَمْعِكَ» أي سماعك «وَبَصَرِكَ» أي رؤيتك «وَكَلَامِكَ» أي تكلمك
فإن هذه الكلمات تستعمل بالمعنى المصدري، وبالقوة التي هي منشأها في الأولين، و
بمعنى الحاصل بالمصدر في الكلام، والمراد هنا المعنى المصدري الَّذِي هِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ وَ
لِذَا فسرنا بما يفيد ذلك «وَبَطْشِكَ وَسَعْيِكَ وَعَمَلِكَ وَعَقْلِكَ وَجَمِيعِ مَا كَانَ
مِنْكَ» أي ما خلق الله فيك من الأعضاء والقوى «قَبْلَ وُجُودِ الرُّوحِ فِيكَ وَمَا

أَوْجَدَ اللهُ تَعَالَى فِيكَ» من القوى «بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ» المذكور من المخلوق قبل وجود الروح و بعد نفخها «حِجَابُكَ عَنْ رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ» لأنك لقصور نظرك لا تتجاوز عن أفعالها و مقتضياتها و مشتبهاتها إلى خالقها و إلى ما خلق لأجلها «فَإِذَا صِرْتَ» بارتفاع النظر عنها إلى خالقها «رُوحًا مُنْفَرِّدًا» عن لوازم البشرية «و» صرت «سِرِّ السِّرِّ وَ غَيْبِ الْغَيْبِ» هما اسمان لمرتبة الذات والمراد هنا الفناء فيها «مُبَآئِنًا لِلْأَشْيَاءِ فِي سِرِّكَ» و إن خالطت معها بظاهرك «مُتَّخِذًا لِلْكَلِّ عَدُوًّا وَ حِجَابًا وَ ظُلْمَةً» مانعا من التوجه إلى الله الَّذِي هو خالق الكل و ربُّها «كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:»

«فَإِنَّهُمْ» أي معبوداتكم و أباءكم «عَدُوٌّ لِّي» العدو والصديق يميّزان في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا أعداء لي يوم القيمة كما حكاها الله تعالى ذلك في قوله:

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم، رقم السورة: ١٩،

رقم الآية: ٨٢]

«إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ»

استثناء منقطع لأنه لم يدخل تحت الأعداء كأنه قال لكن رب العالمين الَّذِي خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين لمناهج الدنيا و مصالح الدين.

قَالَ ذَلِكَ لِلْأَضْنَامِ فَاجْعَلْ أَنْتَ بِمُحَلَّتِكَ أَضْنَامًا مَعَ سَائِرِ الْخَلَائِقِ، وَ لَا تُطْعِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَ لَا تَتَّبِعْهُ بِمُحَلَّةٍ، فَحِينَئِذٍ تُؤْمِنُ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْعُلُومِ اللَّدِّيَّةِ وَ غَرَائِبِهَا، وَ يُرَدُّ إِلَيْكَ التَّكْوِينُ وَ خَوْقُ الْعَادَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْقُدْرَةِ الَّتِي تَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَتَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ كَأَنَّكَ أُحْيِيَتْ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْآخِرَةِ، فَتَكُونُ كُلِّئِثْنِكَ قُدْرَةً تَسْمَعُ بِاللَّهِ، وَ تَبْصُرُ بِاللَّهِ، وَ تَنْطِقُ وَ تَبْطِشُ بِاللَّهِ، وَ تَسْغِي وَ تَعْقِلُ بِاللَّهِ، وَ تَظْمِنُ وَ تَسْكُنُ بِاللَّهِ فَتَعْمَلُ عَمَّا سِوَاهُ وَ تَصُمُّ

عَنْهُ فَلَا تَرَى لِغَيْرِهِ وَجُودًا مَعَ حِفْظِ الْحُدُودِ وَ لُزُومِ الْأَوَامِرِ
وَالْتَوَاهِي، فَإِنْ انْخَرَمَ فِيكَ شَيْءٌ مِنَ الْحُدُودِ فَأَعْلَمْ أَنَّكَ مَفْتُونٌ
مُتَلَاعِبَةٌ بِكَ الشَّيَاطِينُ فَارْجِعْ إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ وَالزُّمَةِ وَ دَعِ عَنْكَ
الْهَوَسَ لِأَنَّ كُلَّ حَقِيقَةٍ لَا تُشْهِدُ لَهَا الشَّرِيعَةُ فَهِيَ زَنْدَقَةٌ.

«قَالَ» إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى نَبِيِّنَا وَ سَلَّمَ «ذَلِكَ» المقال أعني قوله:
«فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي» «لِلْأَصْنَامِ فَاجْعَلْ أَنْتَ جُمَّلَكَ» أي ذاتك و أجزاءك «أَصْنَامًا مَعَ
سَائِرِ الْخَلَائِقِ» فكن عدوا لهم و احذرهم أن يفتنوك عن ذكر الله تعالى و طاعته
فإن ما شغلك عن الحق فهو صنمك «وَلَا تُطِغْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ» المذكور من ذاتك
والأعضاء و الخلائق «وَلَا تَتَّبِعْهُ جُمَّلَةً» أي شيئا من المذكورات فالنفي بمعنى
السلب الكلي لا رفع الإيجاب الكلي «فَحَيِّنِيذٍ» أي حين جعلت الجميع أعداء و لا
تبعث شيئا منه «تُؤْمِنُ عَلَى الْأَسْرَارِ» الربانية «وَالْعُلُومِ اللَّدِّيَّةِ» الحَقَانِيَّةِ «وَوَ
غَرَائِبِهَا» و نفائسها «وَيُرَدُّ إِلَيْكَ» أي يفوض إليك «التَّكْوِينُ» أي إيجاد الأشياء
بإذن خالقها «وَوَحْزُ الْعَادَاتِ» التي هي مِنْ قَبِيلِ الْقُدْرَةِ التي تَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي
الْجَنَّةِ فَتَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ «الفائضة عليك في الدنيا «كَأَنَّكَ أُحْيِيَتْ» أي أحياك
الله تعالى «بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْآخِرَةِ» فإن ما يترتب للمؤمنين على تلك الحياة
الآخروية من مشاهدة جمال الله و القدرة التامة و رؤية ما لم يُرَ و سماع ما لم يُسْمَعِ
يترتب عليك في هذه الحياة الدنيا «فَتَكُونُ كَلَيْتُكَ» و جملتك «قُدْرَةً» لا
بالأعضاء و الجوارح الفانية الضعيفة العاجزة حتى تقف في محل «تَسْمَعُ» كل
مسموع «بِاللهِ وَ تَبْصُرُ» كل مبصر «بِاللهِ وَ تَنْطِقُ» كل كلام «بِاللهِ، وَ تَبْطِشُ» كل
ما تبطش «بِاللهِ، وَ تَسْعَى» كل سعي «بِاللهِ، وَ تَعْقُلُ» كل معقول «بِاللهِ وَ تَطْمَئِنُّ
وَ تَسْكُنُ بِاللهِ» كما ورد ذلك في الحديث الصحيح الَّذِي مَرَّ ذَكَرُهُ فِي الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ.
فإذا صار جميع أفعالك القلبية و القالبية بالله تعالى «فَتَعْمِي عَمَّا سِوَاهُ» تعالى من
المخلوقات «وَ تَصُمُّ عَنْهُ» أي عما سوى الله تعالى «فَلَا تَرَى» و لا تسمع «لِغَيْرِهِ»

تعالى «وَجُودًا» لكمال فنائك في الله بل الفناء في الأحد «مَعَ حِفْظِ الْحُدُودِ» الشرعية والطريقية والحقيقة «وَلُزُومِ الْأَوَامِرِ وَالتَّوَاهِي» الشرعية فإن الكمال إنما هو في ذلك «فَإِنْ إِنْخَرَمَ» أي هَتَكَ وَانْكَسَرَ «فِيكَ» أي في أمر من أمورك من الأفعال القلبية والقالية «شَيْءٌ مِّنَ الْحُدُودِ» الشرعية «فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَفْتُونٌ» أراد الله تعالى بك فتنة ليضلِكَ عن سبيل المستقيم وهو الشرع المحمدي الَّذِي ليس للشيطان إليه سبيل «مُتَلَاعِبَةٌ بِكَ الشَّيَاطِينُ» وَجِدُوا عَلَيْكَ يَدًا بِخَزَقِ السَّيْرِ الشرعي «فَارْجِعْ إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ» بالتوجه التام «وَالزَّمْهُ وَدَعْ عَنكَ الْهَوَسَ» والهوى «لَإِنَّ كُلَّ حَقِيقَةٍ لَا تُشْهَدُ لَهَا الشَّرِيعَةُ فَهِيَ» عند الصوفية المحققين «زَنْدَقَةٌ» قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس، رقم السورة: ١٠، رقم الآية ٣٢]

الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي بَيَانِ الْمَثَلِ لِلْغِنَى وَالْفَقْرِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: نَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا فِي الْغِنَى فَنَقُولُ: أَلَا تَرَى الْمَلِكَ يُؤْتَى رَجُلًا مِنَ الْعَوَامِ وَلَايَةً عَلَى بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ وَيَعْقِدُ لَهُ الْوِيَّةَ وَرَايَاتٍ وَيُعْطِيهِ الْكُوسَ وَالطُّبْلَ وَالْجُنْدَ فَيَكُونُ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى إِذَا اظْمَنَّ وَاعْتَقَدَ بَقَائِهِ وَثُبَاتِهِ وَعَجِبَ بِهِ وَنَسِيَ حَالَتَهُ الْأُولَى وَتَقْصَاتِهِ وَذُلَّهُ وَفَقْرَهُ وَحُمُولَهُ وَدَاخِلَتُهُ النَّخْوَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ جَاءَهُ الْعَزْلُ مِنَ الْمَلِكِ فِي أَسْرٍ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ طَالَبَتْهُ الْمَلِكُ بِجَرَائِمِ صَنَعَتِهَا وَتَعَدَّى أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ فِيهَا فَحَسِبَتْهُ فِي أَضْيَقِ الْحَبُوسِ وَأَشَدِّهَا وَطَالَ حَبْسُهُ وَدَامَ ضَرْهُ وَذُلُّهُ وَفَقْرُهُ وَذَابَتْ نَخْوَتُهُ وَكِبْرِيَاءُهُ وَانْكَسَرَتْ نَفْسُهُ وَحُمِدَتْ نَائِرَةُ الْهَوَى وَكُلُّ ذَلِكَ بِعَيْنِ الْمَلِكِ وَعِلْمِهِ ثُمَّ يُعْطِفُ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَنَظَرَ بِعَيْنِ الرَّافَةِ وَالرَّحْمَةِ فَأَمَرَهُ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الْحَبْسِ وَبِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْخُلْعَةِ عَلَيْهِ وَرَدِّ الْوَلَايَةِ إِلَيْهِ وَمِثْلِهَا مَعَهَا وَجَعَلَهَا مُوَهَّبَةً فَدَامَتْ لَهُ وَبَقِيَتْ مُصَفَّاءَ مُكَفَّاءَ مُهْنَاءَ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: نَضْرِبُ لَكَ» يا طالب السلوك «مَثَلًا فِي الْغِنَى» و أهل الغنى «فَنَقُولُ: أَلَا تَرَى الْمَلِكَ» من ملوك الدنيا «يُؤْتَى» أي يعطى «رَجُلًا مِنَ الْعَوَامِ وَلَايَةً» و حكومة «عَلَى بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ» خلع الخلافة والنيابة «وَيَعْقِدُ لَهُ الْوِيَّةَ وَرَايَاتٍ» و أعلاما «وَيُعْطِيهِ الْكُوسَ وَالطُّبْلَ» التي تضرب عند ركوب الملوك والسلاطين «وَالْجُنْدَ» والعسكر «فَيَكُونُ» ذَلِكَ الرجل الَّذِي عظمه الملك «عَلَى ذَلِكَ» الحال الرفيع «بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى إِذَا اظْمَنَّ» ذلك

الرجل إلى ذلك الحال والمقام والقرب عند الملك «وَأَعْتَقَدَ بَقَائَهُ وَثُبَاتَهُ وَعَجِبَ بِهِ وَنَسِيَ حَالَتَهُ الْأُولَى وَنُقْصَانَهُ» ما لا وجاها «وَذُلُّهُ» في الخلق «وَفَقْرُهُ» في حوائجه «وَحُمُولُهُ» في زاوية النكرة «وَوَ دَاخِلَتُهُ» في حال الغنى «التَّخَوُّةُ وَ الْكِبْرِيَاءُ» و جواب قوله: "حتى إذا اطمئن" قوله: «بِجَاءِ الْعَزْلِ مِنْ جَانِبِ الْمَلِكِ» عن حكومة ذلك البلاد «فِي أَسْرٍ مَا» أي حال «كَانَ مِنْ أَمْرِهِ» و أتم سرور كان في وقته فانعزل حكومته و ذهبت نيابته فذهب بحضرة الملك فحاسبه و خاطبه و عاتبه «ثُمَّ طَالَبَهُ الْمَلِكُ بِجَرَائِمِ» بالنصب لأنه غير منصرف و قوله «صَنَعَهَا» بصيغة الماضي جملة وقعت صفة لقوله: "جرائم" و قوله «وَتَعَدَّى أَمْرُهُ وَ نَهْيُهُ» بصيغة المصدر معطوف على قوله: "جرائم" أي و طالبه الملك بتعدى أمره و نهيه «فِيهَا» أي في تلك الولاية والحكومة «فَحَبَسَهُ» الملك «فِي أَضْيَقِ الْحُبُوسِ» جمع حبس بمعنى السجن «وَأَشَدَّهَا» إيذاء «وَوَطَّأَ حَبْسُهُ» إضافة إلى المفعول والفاعل متروك أي حبس الملك لذلك الرجل «وَوَدَّامَ ضَرُّهُ» في تلك السجن الضيق «وَوَذُلُّهُ وَ فَقْرُهُ» لغضب الملك و عدم الشفاعة من أحد «وَوَذَابَتْ تَخَوُّتُهُ وَ كِبْرِيَاءَتُهُ» لذهاب موجبها من الشوكة والشكيمة العارضية «وَوَانْكَسَرَتْ نَفْسُهُ» لما رأى من ضَعْفِهَا وَ عَجْزِهَا «وَوَحَدَّثَ نَائِرَةُ الْهُوَى» أي غلبتها «وَوَ اشْتَعالها «كُلُّ ذَلِكَ» المذكور من الحالات الجارية على ذلك الرجل المعزول المحبوس والحالات الطارئة عليه «بِعَيْنِ الْمَلِكِ» أي في نظره و حضوره «وَوَعَلِمَهُ» فأبقاه الملك على ذلك الحال ما دام علم تنبُّهه بذلك و صلاحه في ذلك «ثُمَّ يَعْطِفُ الْمَلِكُ» و يرحم «عَلَيْهِ وَ نَظَرَ بِعَيْنِ الرَّافَةِ وَ» نظر «الرَّحْمَةِ» إليه بعد ما علم أنه إن أعطاه الدولة لا يكون فيها أَشْرًا بَطَرًا «فَأَمَرَهُ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الْحَبْسِ وَ» أمر «بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ الْحُلْعَةِ عَلَيْهِ وَ رَدِّ الْوِلَايَةِ» المذكورة المشتملة على تلك البلاد و حكومتها «إِلَيْهِ وَ مِثْلَهَا مَعَهَا» أي مع ضعف تلك البلاد «وَوَجَعَلَهَا» أي تلك الولاية مع المنضم معها كلها عطية «مَوْهَبَةً» لا حكومة و تعاملًا «فَدَامَتْ» تلك الولاية «لَهُ» أي لذلك الرجل لأن الموهبة لا ترد «وَوَبَقِيَتْ مُصَفَّاءً» من خوف

الذهاب والحساب والخطاب والجواب والعتاب والعقاب «مُكَفَّاةً» لدولته «مُهَنَّاةً» عن التلف فكما عرفت حال هذا الرجل مع الملك.

فكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ إِذَا قَرَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاجْتَبَاهُ فَتَحَ قُبَالَةَ عَيْنِ قَلْبِهِ وَنُجَاءَ بَصَرِهِ بِأَبِ الرَّحْمَةِ وَالْمِنَّةِ وَالْإِنْعَامِ فَيَرَى بِقَلْبِهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ مِنْ مُطَالَعَةِ الْغُيُوبِ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ تَقْرِيبِ وَ كَلَامِ لَذِيذِ لَطِيفٍ وَ وَعْدِ بَحْمِيلٍ وَ دَلَالٍ وَ إِجَابَةِ دُعَاءٍ وَ تَصْدِيقِ وَعْدٍ وَ وَفَائِهِ وَ كَلِمَاتِ حِكْمَتِهِ فَإِنَّهَا تُزْمَى إِلَى قَلْبِهِ قَدْ قَامَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فَتَظْهَرُ عَلَى لِسَانِهِ وَ مَعَ ذَلِكَ يَسْبِغُ عَلَيْهِ نِعَمُهُ ظَاهِرَةً عَلَى جَسَدِهِ وَ جَوَارِحِهِ، فِي الْمَأْكُولِ وَ الْمَشْرُوبِ وَ الْمَلْبُوسِ وَ الْمُتَكُونِ الْحَلَالِ وَ حِفْظِ الْحُدُودِ وَ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ فَيَدِينُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ ذَلِكَ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الْمَجْدُوبِ بِوَهَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى إِظْمَنَ الْعَبْدُ إِلَى ذَلِكَ وَاعْتَزَّ بِهِ وَاعْتَمَدَ دَوَامَهُ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَبْوَابَ الْبَلَاءِ وَ أَنْوَاعَ الْمِحْنِ فِي النَّفْسِ وَ الْمَالِ وَ الْأَهْلِ وَ الْوَلَدِ فَيَنْقَطِعُ عَنْهُ جَمِيعُ مَا كَانَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ فَيَنْقُصُ مُتَحَيِّرًا حَسِيرًا مُنْكَسِرًا مَقْطُوعًا بِهِ. إِنْ نَظَرَ إِلَى ظَاهِرِهِ رَأَى بِهِ مَا يَسُوؤُهُ، وَ إِنْ نَظَرَ إِلَى قَلْبِهِ رَأَى مَا يَحْزَنُهُ، وَ إِنْ سَأَلَ اللَّهُ كَشَفَ مَا بِهِ مِنَ الضَّرِّ لَمْ يَرِ إِجَابَةً، وَ إِنْ طَلَبَ وَعْدًا بَحْمِيلًا لَمْ يَجِدْهُ سَرِيعًا وَ إِنْ وَعَدَ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْثَرْ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ وَ إِنْ رَأَى زُورًا لَمْ يَظْفَرْ بِتَغْيِيرِهَا وَ تَصْدِيقِهَا، وَ إِنْ رَامَ الرُّجُوعَ إِلَى الْخَلْقِ لَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَ إِنْ ظَهَرَ لَهُ رُخْصَةٌ فِي ذَلِكَ فَعَمِلَ بِهَا تَسَارَعَتْ الْعُقُوبَاتُ نَحْوَهُ وَ تَسَلَّطَتْ أَيْدِي الْخَلْقِ عَلَى جِسْمِهِ وَ أَلَسَتْهُمْ عَلَى عِزِّهِ وَ إِنْ طَلَبَ الْإِقَالََةَ بِمَا قَدْ أُدْخِلَ فِيهِ مِنَ الْحَالَةِ وَ الرُّجُوعَ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى قَبْلَ الْإِجْتِبَاءِ لَمْ يَقْبَلْ، وَ إِنْ طَلَبَ الرِّضَا وَ الطَّيِّبَةَ وَ التَّعْنِيمَ بِمَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ

لَمْ يُعْطَ فَحِينَئِذٍ تَأْخُذُ النَّفْسُ فِي الدُّوْبَانِ وَالْهَوَى فِي الرُّوَالِ وَالْإِرَادَةُ
وَالْأَمَانِ فِي الرَّحِيلِ وَالْأَكْوَانُ فِي الثَّلَاثِينَ فَيَدَامُ لَهُ ذَلِكَ بَلْ يُزَادُ
تَشَدُّدًا وَعَضْرًا وَتَاكِيدًا حَتَّى إِذَا فَتَى الْعَبْدُ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّفْسَانِيَّةِ
وَالصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَبَقِيَ رُوحًا فَقَطْ يَسْمَعُ نِدَاءً فِي بَاطِنِهِ.

﴿أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص، رقم

السورة: ٣٨، رقم الآية: ٤٢]

كَمَا قِيلَ لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمْطَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَلْبِهِ
بِحَارَ رَحْمَتِهِ وَرَافَتِهِ وَلُطْفِهِ وَمِنْتَبَهَ فَأَحْيَاهُ اللَّهُ بِرُوحِهِ وَطَيَّبَ مَعْرِفَتِهِ وَ
دَقَائِقَ عُلُومِهِ، وَفَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ وَدَلَّاهُ وَأَطْلَقَ الْأَيْدِي إِلَيْهِ
بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، وَأَطْلَقَ الْأَلْسُنَ بِالْحَمْدِ
وَالثَّنَاءِ وَالذِّكْرِ الطَّيِّبِ فِي جَمِيعِ الْمَحَالِ وَالْأَرْجُلَ بِالزَّحَالِ، وَذَلَّلَ لَهُ
الرِّقَابَ وَسَخَّرَ لَهُ الْمُلُوكَ وَالْأَرْبَابَ وَاسْتَبَعَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ
بَاطِنَةً تَرْبِيَةً ظَاهِرَةً بِخَلْقِهِ وَنِعَمِهِ، وَاسْتَأْنَزَتْ تَرْبِيَةً بَاطِنَةً بِلُطْفِهِ وَ
كَرَمِهِ وَآدَامَ لَهُ ذَلِكَ إِلَى اللَّقَاءِ ثُمَّ يُدْخِلُهُ فِيمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ
سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة، رقم السورة: ٣٢، رقم الآية: ١٧]

«فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ» أي حاله مع الله تعالى «إِذَا قَرَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاجْتَبَاهُ فَتَحَ
قُبَالَةَ» أي مقابلة «عَيْنِ قَلْبِهِ وَتُجَاهَ بَصَرِهِ» بصيرته «بَابَ الرَّحْمَةِ» الربانية
«وَالْمِنَّةِ» السبحانية السلطانية «وَالْإِنْعَامِ» الإلهي «فِيْرَى» ذلك الرجل المقرب
المجتبى «بِقَلْبِهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ» بل «وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ» بل «وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ
بَشَرٍ مِنْ مُطَالَعَةِ الْعُيُوبِ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» التي لا يعلم كنهها إلا
خالقها «و» من «تَقَرُّيبٍ وَكَلَامٍ لَذِيذٍ لَطِيفٍ» بلا واسطة مخلوق أو بواسطته فإن

أحوال الأولياء بحسب الأشخاص بل حال الولي الواحد بحسب الأوقات مختلفة والكشوف الفائضة عليهم متنوعة «و» من «وَعْدِ جَمِيلٍ وَ دَلَالٍ» أي أسرار عندية كائنة بين المحبوب و محبيه «وَ إِبْجَابَةِ دُعَاءٍ» دَعَا بِهِ «وَ تَصْدِيقٍ» منه لما رأى من عظمة الله، و من الله لما هو حاله، و من الخلق لعظمته و «وَعْدٍ وَ وَقَائِهِ» من الله تعالى «وَ كَلِمَاتٍ حِكْمَتِهِ» أي حكمة الله تعالى «فَإِنَّهَا تُزْمَى» و ترسل «إِلَى قَلْبِهِ» و تُفَاض عليه «قَدْ فَا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» مرتبة لا يبلغه بل لا يفهمه إلا الخواص من أوليائه تعالى «فَتَظْهَرُ» تلك الكلمات الحكيمية «عَلَى لِسَانِهِ» أي لسان ذلك المؤمن المقرب المجتبي «وَ مَعَ ذَلِكَ» المذكور من النعم والعطايا «يَسْبُغُ» أي يفيض «عَلَيْهِ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى جَسَدِهِ» فكان صحيحا سليما غير مؤف «وَ جَوَارِحِهِ» أيضًا صحيحة سليمة جارية فيما خلق لها غير عاجزة عما يراد بها فالبصر سليمة رائية، والأذن سامعة، واللسان ذائقة و متكلمة و ذاكرة، واللامسة مدركة للمس، و الشامة مدركة للروائح، واليد باطشة، والقدم خاطئة و ماشية، وكذلك البواقي و إليه أشار بقوله «فِي الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ» الشهية «وَالْمَلْبُوسِ» البهية «وَالْمَنْكُوحِ الْحَلَالِ» من واحدة إلى أربع في الحرائر، وإلى أربعين في السراي «وَ حِفْظِ الْخُدُودِ وَالْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ» الشرعية «فَيَدِيمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ ذَلِكَ» العطاء «لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الْمُجْدُوبِ» بطريق العطاء ثم الافتقار ثم العطاء و يبقيه له «بُرْهَةً» أي قطعة و مدة «مِنَ الرِّمَانِ» قليلا أو كثيرا «حَتَّى إِظْمَنَ الْعَبْدُ إِلَى ذَلِكَ» المعطى «وَ اغْتَرَبَ بِهِ» أي بذلك المعطى، و أَمِنَ مِنْ زَوَالِهِ «وَ اغْتَقَدَ دَوَامَهُ» إِذْ «فَتَحَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَبْوَابَ الْبَلَاءِ وَ أَنْوَاعِ الْمِحْنِ فِي النَّفْسِ» فصارت علية مريضة «وَ» فِي «الْمَالِ» فصار ذاهبا «وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ» فصاروا متفرقين بعضها بالميات و بعضها بالفراق «فَيَنْقَطِعُ عَنْهُ» أي عن ذلك المؤمن المجذوب «جَمِيعُ مَا كَانَ قَدْ أَنْعَمَ» الله تعالى «عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ فَيَبْقَى مُتَحَيِّرًا» في أموره «حَسِيرًا» في حاجاته «مُنْكَسِرًا» قلبه عن جميع المرادات «مَقْطُوعًا بِهِ» العلائق فلا يمكنه التعلق بشيء من العلائق «إِنْ نَظَرَ إِلَى ظَاهِرِهِ» أي ظاهر حاله «رَأَى بِهِ» أي بظاهر حاله «مَا يَسُوؤُهُ» من الفقر

والذل و الاحتياج و عدم التفات الخلق «وَإِنْ نَظَرَ إِلَى قَلْبِهِ» هل يجد فيه جمعية «رَأَى مَا يَحْزُنُهُ» من التفرق والشتات «وَإِنْ سَأَلَ اللَّهُ كَشَفَ مَا بِهِ مِنَ الضَّرِّ لَمْ يَرِ إِجَابَةً» لذلك الدعاء «وَإِنْ طَلَبَ» من الله تعالى «وَعُدًّا جَمِيلًا» بكشف هذه المحنة الشديدة «لَمْ يَجِدْهُ» أي تلك الوعد «سَرِيعًا» انجاءه «وَإِنْ وُعِدَ بِشَيْءٍ» من جانب الله تعالى أو من الخلق «لَمْ يُعْثَرْ» ولم يقف «عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ وَإِنْ رَأَى رُؤْيَا» و مناما «لَمْ يَظْفَرْ» ولم يقف «بِتَغْيِيرِهَا وَتَصْدِيقِهَا، وَإِنْ رَامَ» أي قصد «الرَّجُوعَ إِلَى الْخَلْقِ» لدفع الوحشة و تحصيل الأنسة «لَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ» الدفع والتحصيل منهم «سَبِيلًا» إذ تنفر عنه الخلائق كلها بإرادة ربه تعالى «وَإِنْ ظَهَرَ ثَلَاثَةٌ» من جانب الشرع «رُخْصَةً فِي ذَلِكَ» الرجوع إلى الخلق كالرجوع إلى حاكم جائر أو تاجر فاسدة العقيدة أو طبيب يهودي أو نصراني أو مشرك ونحو ذلك «فَعَمِلَ بِهَا» أي بتلك الرخصة فإن الرجوع إلى هؤلاء و مصاحبتهم مع الكراهة القلبية لدفع الحوائج الضرورية رخص فيها، و هذا الشخص لما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من الابتلاء إن عمل بمثل هذه الرخصة «تَسَارَعَتِ الْعُقُوبَاتُ» الخالقية والخلقية «نَحْوَهُ» أي جانبه «وَتَسَلَّطَتْ أَيْدِي الْخَلْقِ» من جانب الله تعالى «عَلَى جِسْمِهِ» بالضرب «وَأَلَسَتْهُمْ عَلَى عِزِّهِ» وعزته بالشتم و هتك الحرمة «وَإِنْ طَلَبَ» ذلك الرجل المجدوب من الله تعالى «الْإِقَالَةَ» أي الخروج «مِمَّا قَدْ أُدْخِلَ فِيهِ مِنَ الْحَالَةِ» السيئة ظاهرا «وَ» طلب «الرَّجُوعَ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى» السنية ظاهرا «قَبْلَ الْإِجْتِبَاءِ» الأخير «لَمْ يُقْبَلْ» من جانب الله تعالى لأن الله تعالى يريد تطهير باطنه عن اللوثات الدنيوية، «وَإِنْ طَلَبَ» ذلك المؤمن المبتلى من الله تعالى «الرِّضَا» بتلك «وَالطَّيِّبَةَ» أي طيبة الخاطر و قرارها و لذتها بتلك البلية المسلطة عليه «وَالْتَنَعِيمَ» بما بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ» كما هو شأن الكمل من الأولياء «لَمْ يُعْطَ» من جانب الله تعالى فلم يجد الخلاص عن تلك البلية لا برفعها ولا بالصبر عليها «فَحِينَئِذٍ» أي حين عجز في تلك البلية من جميع الوجوه و لم يجد المخلص عنها أصلا بحيلة من الحيل «تَأْخُذُ» أي تشرع «النَّفْسُ فِي الدُّوْبَانِ» والنفسانية في الذهاب «وَالْهَوَى فِي الرِّوَالِ وَ»

تشرع «الإِرَادَةُ وَالْأَمَانِي» القلبية والنفسية «في الرَّحِيل» والارتحال عن هذا المبتلى إلى العدم «و» تشرع «الْأَكْوَانُ فِي الثَّلَاثِي» أو التفرق المراد به: إما الأكوان المصطلحة وهي أربعة: الحركة والسكون والافتراق والاجتماع، وإما اللغوية وهي: الأمكنة أو الحالات وحينئذ يكون الأكوان جمع كون بمعنى المصدر أي الحالة، والحاصل أنه لا يجد شيئاً من حالاته على القرار والثبات «فِيدَامُ لَهُ» أي لهذا المبتلى من جانب الله تعالى «ذَلِكَ» الحال الشديد المعجز «بَلْ يُزَادُ تَشَدُّدًا وَ عَضْرًا» العصر إخراج ما في الشيء «و تَاكِيدًا» في تطهيره عن دنس الدنيا وما فيها لئلا يبقى التوجه إلى غير الله تعالى «حَتَّى إِذَا فَتَى الْعَبْدُ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ» زكيا طاهرا عن دنس التوجه إلى الغير «و بَقِيَ رُوحًا قَقُظَ» ليس فيه شائبة النفس و لو ازمها يَسْمَعُ ذلك المؤمن المبتلى المجذوب «نِدَاءً» من جانب الله تعالى «في بَاطِنِهِ» لحصول الصفاء له:

«أُرْكَضُ» أي اضرب بعقب «بِرَجْلِكَ» الأرض تخرج منها عين صافية شافية فبعد ركضه الأرض قيل «هَذَا مُغْتَسَلٌ» أي ماء تغتسل به «بَارِدٌ» تبرد به باطنك و ظاهرك «و شَرَابٌ». تبرده ظاهرك و باطنك. «كَمَا قِيلَ» هذا القول «لَا يُؤُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» بعد ما وقع له مثل هذه الواقعة وهكذا جرت السنة الإلهية في حق بعض العبيد نبيا كان أو وليا أو أحادا من المؤمنين مع كل على قدر مرتبته ففعل بهذا المؤمن المجذوب المذكور أولا بإفاضة الإنعام ثم شدد عليه غاية التشديد، ثم أراد خلوصه عن تلك المحنة «فَأَمْطَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى قَلْبِهِ بِحَارِ رَحْمَتِهِ وَ رَافَتِهِ» الرافة شدة الرحمة و كثرتها «و لُطْفِهِ وَ مِتَّتِهِ فَأَحْيَاهُ اللَّهُ» تعالى «بِرُوحِهِ وَ طَيْبِ مَعْرِفَتِهِ» لذات الله و صفاته و أسمائه «و دَقَائِقَ عُلُومِهِ» اللدنية كما أحياه أولا بجسمه و نفسه «و فَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ» الباطنية و الظاهرية «و دَلَالِهِ» أي قربه «و أَطْلَقَ الْأَيْدِي» أي أيدي الخلائق «إِلَيْهِ بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَ الْحِدْمَةِ» كما أمسكها في الحالة الوسطانية بالقبض و إن أطلقها بالضرب والإهانة «في سَائِرِ الْأَحْوَالِ، وَ أَطْلَقَ الْأَلْسُنَ» أي ألسن الخلائق «بِالْحَمْدِ وَالشَّانِ وَالذِّكْرِ الطَّيِّبِ فِي جَمِيعِ الْمَحَالِ»

كما أطلقها أولاً بالشتم «و» أطلق «الْأَرْجُلَ بِالْثَّرْحَالِ» أي المجيء إليه كما أمسكها أولاً «وَذَلَّلَ لَهُ الرِّقَابَ» كما ذلل أولاً للرقاب.^(١) «وَسَخَّرَ لَهُ الْمُلُوكَ وَالْأَرْبَابَ» أي أرباب الدولة فالألف واللام عوض عن المضاف إليه «وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» من أي جنسٍ ونوعٍ وصنفٍ كان «وَتَوَلَّى» الله تعالى «تَرْبِيَةَ ظَاهِرِهِ بِخَلْقِهِ وَنِعَمِهِ» أي بتسخير خلقه ونعمه وإفاضة نعمه الظاهرية «وَأِسْتَأْثَرَ» أي اختار الله تعالى «تَرْبِيَةَ بَاطِنِهِ بِلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ» الذاتية الربانية الرحمانية «وَأَدَامَ لَهُ ذَلِكَ» المذكور من التريتين الظاهرية والباطنية «إِلَى اللَّقَاءِ» أي الموت الَّذِي هو سبب «ثُمَّ يُدْخِلُهُ» الله تعالى بعد موته «فِيمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ» بل «وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ» بل «وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:»
«فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

[السجدة: ٣٢/ ١٧]

(١) الرقاب رقبه گرفتن وبنده ساختن. من الشارح

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْأَرْبَعُونَ

في بيان أَنَّ لِلنَّفْسِ حَالَتَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهَا حَالَةُ الْعَافِيَةِ وَحَالَةُ الْبَلَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النَّفْسُ لَهَا حَالَتَانِ لَا ثَالِثَ لَهَا: حَالَةُ عَافِيَةٍ وَحَالَةُ بَلَاءٍ فَإِذَا كَانَتْ فِي بَلَاءٍ فَالْجُرْعُ وَالشُّكُوى وَالتَّسَخُّطُ وَالْإِعْتِرَاضُ وَالتَّهْمَةُ لِلْحَقِّ عَزٌّ وَجَلٌّ لَا صَبْرٌ وَلَا رِطْيٌ وَلَا مُوَافَقَةٌ بَلْ سُوءُ الْأَدَبِ وَالشِّرْكُ بِالْخَلْقِ وَالْأَسْبَابِ وَالْكُفْرُ، وَإِذَا كَانَتْ فِي عَافِيَةٍ فَالشَّرُّ وَالْبَطَرُ وَإِتْبَاعُ الشَّهَوَاتِ وَاللَّدَّاتِ كُلَّمَا نَالَكَ شَهْوَةٌ طَلَبْتَ أُخْرَى وَاسْتَحَقَرْتَ مَا عِنْدَهَا مِنَ النِّعَمِ مِنْ مَأْكُولٍ وَ مَشْرُوبٍ وَ مَنْكُوحٍ وَ مَلْبُوسٍ وَ مَسْكُونٍ وَ مَزْكُوبٍ فَتَخْرِجُ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ عُيُوبًا وَ نَقَصَاتًا، وَ تَطْلُبُ أَعْلَى مِنْهَا وَ أَسْفَى بِمَا لَا يُقَسَّمُ لَهَا، وَ تُعْرِضُ عَمَّا قَسَمَ لَهَا فَتَقَعُ فِي تَغِبٍ طَوِيلٍ وَ لَا تَرْضَى بِمَا فِي أَيْدِيهَا وَ مَا قَسَمَ لَهَا فَتَرْكِبُ الْعَمَرَاتِ وَ تَخْوُضُ الْمَهَالِكِ فِي تَغِبٍ طَوِيلٍ لَا نِهَاجَةَ لَهَا وَ لَا مُنْتَهَى فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ فِي الْآخِرَةِ كَمَا قِيلَ: إِنَّ مِنْ أَشَدِّ الْعُقُوبَاتِ طَلَبُ مَا لَمْ يُقَسَّمْ، فَإِذَا كَانَتْ فِي بَلَاءٍ لَا تَتَمَتَّى سِوَى انْكِشَافِهَا وَ تَنْسَى كُلَّ نَعِيمٍ وَ شَهْوَةٍ وَ لَذَّةٍ وَ لَا تَطْلُبُ شَيْئًا مِنْهَا فَإِذَا غُوفِيَتْ مِنْهَا رَجَعَتْ إِلَى رَغْوَتَيْهَا وَ شَرِّهَا وَ بَطَرِهَا وَ إِعْرَاضِهَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهَا وَ انْهِيَاجِهَا فِي مَعَاصِيهِ وَ تَنْسَى مَا كَانَتْ فِيهِ مِنَ الْبَلِيَّةِ وَ مَا حَلَّ بِهَا مِنَ الْوَيْلِ فَتَرُدُّ إِلَى أَشَدِّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَ الضَّرِّ عُقُوبَةً لَهَا بِمَا قَدْ اجْتَرَحَتْ الْعَافِيَةَ وَ رَكِبَتْ مِنَ الْعِظَائِمِ فَظَمًا لَهَا وَ كَفَا عَنِ الْمَعَاصِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ، إِذْ لَا تَصْلُحُ لَهَا الْعَافِيَةُ وَ النِّعْمَةُ بَلْ حِفْظُهَا فِي الْبَلَاءِ وَ الْبُؤْسِ، فَلَوْ أَحْسَنْتِ الْأَدَبَ عِنْدَ انْكِشَافِ

الْبَلِيَّةِ وَ لَازِمَتِ الطَّاعَةِ وَالشُّكْرِ وَالرِّضَا بِالْمَقْسُومِ لَكَانَ خَيْرًا لَهَا
 دُنْيَا وَ أُخْرَى فَكَانَتْ تَحْدُزُ يَادَهُ فِي التَّعْنِيمِ وَالْعَافِيَةِ وَالرِّضَا مِنْ اللَّهِ
 عَزَّ وَ جَلَّ وَ الطَّيِّبِ وَ التَّوْفِيقِ وَ اللُّطْفِ فَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ فِي الدُّنْيَا
 وَ الْآخِرَةِ فَعَلَيْهِ بِالصَّبْرِ وَ الرِّضَى وَ تَرْكِ الشِّكْوَى إِلَى الْخَلْقِ وَ انْزَالِ
 حَوَائِجِهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَزُومِ طَاعَتِهِ وَ انْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ
 وَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِذْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ،
 جِزْمَانُهُ عَطَاءً، فَعَقُوبَتُهُ نَعْمَاءٌ، فَبَلَاءُهُ دَوَاءٌ فَوَعْدُهُ نَقْدٌ فَنَسِئُهُ حَالَةٌ وَ
 قَوْلُهُ فِعْلٌ، إِنَّمَا قَوْلُهُ وَ أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»

[يسين، رقم السورة: ٣٦، رقم الآية: ٨٢]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النَّفْسُ لَهَا حَالَتَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا» وهما «حَالَةٌ عَافِيَةٍ وَ
 حَالَةٌ بَلَاءٍ» و أعمال عوام الناس الغافلين عن معرفة الله اثنان «فَإِذَا كَانَتْ» نفوس
 العوام «فِي بَلَاءٍ» فعملها في تلك الحالة «فَالْجُزْءُ» و هو عدم الصبر
 «وَالشِّكْوَى» من الخالق إلى الخلق بأن جعلنا في ضيق و شدة «وَالتَّسَخُّطُ
 وَ الْإِعْتِرَاضُ» على الرب تعالى بأنه تعالى جعلنا محرومين مع استحقاقنا و جعل
 غيرنا مرزوقين مع عدم الاستحقاق «وَالتَّهْمَةُ لِلْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» أي على الحق بأن
 لا يعطينا و لا يخلصنا من هذه المحنة «لَا صَبْرَ» لهم على البلاء «وَلَا رِضَى» من
 المولى «وَلَا مُوَافَقَةً» منهم مع الرب تعالى «بَلْ» شأنهم «سُوءُ الْأَدَبِ» مع الله
 تعالى «وَالشُّرْكُ» معه «بِالْخُلُقِ وَالْأَسْبَابِ» بل يعتمدون عليها أكثر مما يعتمدون
 على الله تعالى بل «وَلَا» شأنهم «الْكُفْرُ» بالله تعالى و بنعمه، فهذا حالهم في حالة
 الابتلاء «وَلِذَا كَانَتْ» نفوس العوام «فِي عَافِيَةٍ» من الله تعالى فعملهم «الشَّرُّ»
 و هي كثرة الحرص في المشتبهات «وَالْبَطَرُ» و هو الكبر والاستكبار «وَالْإِتْبَاعُ
 الشَّهَوَاتِ وَاللَّدَاتِ كُلَّمَا نَالَ» نفوسهم «شَهْوَةً» من المشتبهات «طَلَبَتْ»
 شهوة «أُخْرَى وَاسْتَحَقَرَّتْ مَا عِنْدَهَا مِنَ النِّعَمِ مِنْ مَأْكُولٍ وَ مَشْرُوبٍ وَ مَنْكُوحٍ وَ

مَلُئُوسٍ وَ مَسْكُونٍ وَ مَرْكُوبٍ فَتُخْرِجُ» نفوسهم أي تظهر «مِنْ هَذِهِ النَّعَمِ»
الحاصلة لها «عُيُوبًا وَ نُقْصَانًا» حتى يحصل لها عذر في طلب الأخرى بعد
حصولها «وَ تَطْلُبُ أَعْلَى مِنْهَا وَ أَسْفَى» أي أرفع مما أوتي حال كون تلك الأعلى
المطلوب والأسنى المرغوب «مِمَّا لَا يُقَسَمُ لَهَا» أي لتلك النفوس من جانب الله
تعالى «وَ تُعْرِضُ» نفوسهم «عَمَّا قُسِمَ لَهَا» من جانب الله إعراضا بالكلية
«فَتَقَعُ» نفوسهم من جانب الله تعالى بهذا الفعل الشنيع «فِي تَعَبٍ طَوِيلٍ وَ لَا
تَرْضَى بِمَا فِي أَيْدِيهَا» من النعم «وَ مَا قُسِمَ لَهَا فَتَرْكِبُ الْغَمَرَاتِ» جمع غمرة وهي
ما يُغْمَرُ صاحبه أي يُعْرِفُ «وَ تَخْوُضُ الْمَهَالِكَ» أي تدخل في أعماق المهالك فلا
يمكن لها الخروج منها بسهولة «فِي تَعَبٍ طَوِيلٍ» وويل عويل «لَا نِهَآيَةَ لَهَا وَ لَا
مُنْتَهَى فِي الدُّنْيَا ثُمَّ» بعد ذلك «فِي الْآخِرَةِ» فيكون هذا الحال «كَمَا قِيلَ: إِنَّ مِنْ
أَشَدِّ الْعُقُوبَاتِ» على الناس «طَلَبُ مَا لَمْ يُقَسَمْ» لكون الوصول إليه محالا فلا محالة
يكون طلبه هالكا «فَإِذَا كَانَتْ» الحالة الحاصلة لنفوس العوام «فِي بَلَاءٍ لَا تَتِمُّ»
لكمال عجزها فيها «سِوَى انْكِشَافِهَا» أي انكشاف تلك البلاء «وَ تَنْسَى» في
محنتها و طلب دفعها «كُلَّ نَعِيمٍ وَ شَهْوَةٍ» أي مشتهاة «وَ لَذَّةٍ وَ لَا تَطْلُبُ شَيْئًا
مِنْهَا» من النعيم والشهوات واللذات «فَإِذَا عُوْفِيَتْ» بإرادة الله تعالى «مِنْهَا» أي
من تلك البلية «رَجَعَتْ» هذه النفوس الغافلة «إِلَى رَعُونَتِهَا» أي حققها «وَ
شَرَّهَهَا» أي حرصها «وَ بَطَرَهَا» أي كبرها «وَ إِعْرَاضَهَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهَا وَ
إِنْهَامِكِهَا فِي مَعَاصِيهِ» بإغواء الهوى و إضلال الشيطان «وَ تَنْسَى مَا كَانَتْ فِيهِ مِنَ
الْبَلِيَّةِ» التي عجزت فيها «وَ مَا حَلَّ بِهَا مِنَ الْوَيْلِ» والهلاك فيها «فَتُرَدُّ» من
جانب الله تعالى «إِلَى أَشَدِّ مَا كَانَتْ» هذه النفوس «عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَ الضَّرِّ
عُقُوبَةً» وجزاء من الله «لَهَا» لسوء صنيعها «لِمَا قَدْ اجْتَرَحَتْ الْعَافِيَةَ» أي
كسبت لها «وَ رَكِبَتْ» عليها «مِنَ الْعَظَائِمِ» الجرائم «فَطَمًا لَهَا» أي منعا لهذه
النفوس «وَ كَفًّا عَنِ الْمُحَاصِي فِي» الزمان «الْمُسْتَقْبَلِ» لما أنها علمت إن عادت إلى
عاداتها عادت البلية من جانب الله. وإنما ترد إلى اشد البلاء «إِذْ لَا تَصْلُحُ لَهَا» أي

لهذه النفوس الغافلة «الْعَافِيَةُ وَالتَّعَمُّةُ» فإنها حين حصول العافية أشرت و بطرت «بَلْ حَفُظَهَا فِي الْبَلَاءِ وَالْبُؤْسِ» أي الشدة فإنها حين ابتليت اضطربت فتوجهت إلى الحق في إزالة البؤس «فَلَوْ» كانت هذه النفوس الأماراة بالسوء «أَحْسَنَتِ الْأَدَبَ» مع الله «عِنْدَ انْكِشَافِ الْبَلِيَّةِ وَ لَا زَمَتِ الطَّاعَةَ» لمولاها «وَالشُّكْرَ» لمعطي نعمها «وَالرِّضَا بِالْمُقْسُومِ» من جانب خالقها «لَكَانَ خَيْرًا لَهَا دُنْيَا وَ أُخْرَى» أما دنيا فبالخلاص عن محنة الطلب والتلذذ بما هو الحاصل عندها و ترتب المزيد بالشكر، و أما أخرى فبحصول الرضا و سكون الجنة مع ما فيها من النعيم «فَكَانَتْ تَجِدُ زِيَادَةً فِي التَّعِيمِ وَالْعَافِيَةِ» بالشكر على ما أعطاه «وَالرِّضَا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» عنها لرضائها عنه تعالى فدخلت في زمرة من رضي الله عنهم و رضوا عنه «وَ» تجد زيادة في «الطَّيِّبِ» أي طيب الوقت بتلذذ الموجود والرضا عن الله تعالى «وَ» زيادة في «التَّوْفِيقِ وَاللُّطْفِ» بفضل الله تعالى وكرمه و رضاه «فَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» عن مكارهها «فَعَلَيْهِ» التمسك «بِالصَّبْرِ» على البلوى والمكاره «وَالرِّضَى» عن الله تعالى بما أعطاه «وَ تَزَكِ الشُّكْوَى» من الخالق «إِلَى الْخَلْقِ وَ انْزَالِ حَوَائِجِهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» والطلب منه لا من غيره «وَ لَزُومِ طَاعَتِهِ وَ انْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ» من غيره، وكيف لا يكون السلامة بالتوجه والانقطاع إليه «إِذْ هُوَ» الله تعالى «خَيْرٌ» للعبد «مِنْ غَيْرِهِ» أي غير كان «مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ» فالتوجه إلى مخلوق مثله كيف يساوي التوجه إلى الخالق الَّذِي هو رب العالمين، وكيف لا يكون الله تعالى خيرا للعبد من جميع الخلق إذ «حِزْمَانُهُ عَطَاءٌ» فإنه إنما جعله محروما عن مطلوب خاص لإرادته أن يعطيه خيرا منه بل إنما جعله محروما لأجل العقوبة بالذنوب السابقة «فَعَقُّوْهُ نِعْمًا» إذ هي تطهير له من الذنوب و دفع لوبال الآخرة عنه كما دلت عليه الآيات و الأحاديث، و إن أنزل بلاء «فَبَلَاءُهُ دَوَاءٌ» إذ هي مانعة للنفس عن الذنوب في الاستقبال و مكفرة لها لما مضى و محصلة لها استعداد النعماء، و إن وعد بشيء «فَوَعْدُهُ نَقْدٌ» لأنه واجب الحصول والوفاء لأنه لا يخلف الميعاد و إن

آخر في إيصال المطلوب «فَنَسِئُهُ حَالَةً» لأن التوجه إليه تعالى يهون على النفس وقت التأخير وهذه الجملة عطف تفسيري لسابقها إذ نقد الوعد وحلول النسيء بمعنى واحد «وَقَوْلُهُ فِعْلٌ» إذ «أَمَّا قَوْلُهُ وَأَمْرُهُ» إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ ﴿﴾ أي لذلك الشيء «كُنْ» أي ادخل في الوجود وصر موجودا «فِيَكُونُ» أي فیدخل في الوجود ویصیر موجودا.

كُلُّ أَعْمَالِهِ حَسَنَةٌ وَحِكْمَةٌ وَمَصْلِحَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَوَى
عِلْمَ الْمَصَالِحِ عَنْ عِبَادِهِ وَتَفَرَّدَ بِهِ لِحِكْمَةٍ خَاصَّةٍ فَالْأَوَّلَى لِلْعَبْدِ
وَالْآخِرَى لِحَالِهِ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ وَالْإِنْقِيَادَ وَالِاسْتِغَالَ بِالْعِبُودِيَّةِ مِنْ
أَدَاءِ الْأَوَامِرِ وَانْتِهَاءِ النَّوَاهِي وَالتَّسْلِيمِ فِي الْقَدْرِ، وَتَرْكُ الْإِسْتِغَالِ فِي
الرَّبُوبِيَّةِ الَّتِي هِيَ عِلَّةُ الْأَقْدَارِ وَبَحَارِهَا وَأُصُولِهَا، وَالسَّكُوتُ
عَنْ لِمَ وَكَيْفَ وَمَتَى؟ وَالسَّكُوتُ عَنِ التَّهَمَةِ لِلْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمِيعِ
حَرَكَاتِهِ وَسَكَتَاتِهِ وَتَسْتَبْدُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ إِلَى حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ لِي:
يَا غُلَامُ! احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْهُ تَحِذُهُ أَمَامَكَ، فَإِذَا سَأَلَتْ فَاسْأَلِ
اللَّهَ تَعَالَى، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ وَلَوْ
جَهَدَ الْعِبَادُ أَنْ يُنْفَعُوا بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَلَوْ
جَهَدَ الْعِبَادُ أَنْ يُضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ فَإِنْ
اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ فَاعْمَلْ وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنْ فِي
الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا. وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ بِالصَّبْرِ وَالْفَرَجَ مَعَ
الْكُزْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(١) فَيُنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُجْعَلَ هَذَا

(١) رواه الإمام الترمذي ٤/ ٦٦٧، رقم الحديث: ٢٥١٦، ماجاء في صفة آواني الخوض، باب منه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع والحاكم في المستدرک ٣/ ٦٢٣. وأحمد في المسند ١٨/ ٥، رقم الحديث: ٢٨٣٠.

الْحَدِيثَ مِرَاةً لِقَلْبِهِ وَشِعَارَةً وَدِتَارَةً وَحَدِيثَهُ فَيَعْمَلُ بِهِ فِي جَمِيعِ
حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ حَتَّى يَسْلَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَجِدَ الْعِزَّةَ فِيهِمَا
بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

كُلُّ أَعْمَالِهِ «تعالى» حَسَنَةٌ وَحِكْمَةٌ وَمَصْلِحَةٌ «لأنه تعالى أحسن الخالقين
حكيم عليم، و بالناس رؤوف رحيم، و بعباده لطيف و لطفه شريف وإن كان
بالنسبة إلينا بعض أفعاله خيرا و بعض أفعاله شرا، فتأمل «غَيْرَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
طَوَى» أي أخفى «عِلْمَ الْمَصَالِحِ عَنْ عِبَادِهِ» بل خص نفسه بذلك «وَتَفَرَّدَ بِهِ
لِحِكْمَةٍ خَاصَّةٍ» و سر غامض و هو تمييز المطيع عن العاصي والمخلص الخاص عن
العامل العامي و إن أعطى علم البعض لبعض الكاملين من الأنبياء والأولياء
«فَالْأَوَّلَى لِلْعَبْدِ» في جميع الحالات «وَاللَّائِقُ بِحَالِهِ» في كل الأوقات «الرَّطِي»
عن الله «وَالْتَّسْلِيمُ وَالْإِثْقَادُ» لقدره «وَالْإِشْتِغَالُ بِالْعِبُودِيَّةِ مِنْ آدَاءِ الْأَوَامِرِ وَ
إِنْتِهَاءِ النَّوَهِى» الشرعية «وَالْتَّسْلِيمُ فِي الْقَدْرِ وَ» الْأَوَّلَى وَاللَّائِقُ بِحَالِهِ «تَزَكُّ
الْإِشْتِغَالِ» بتعلم أسرار «فِي الرَّبُوبِيَّةِ الَّتِي هِيَ عِلَّةُ الْأَقْدَارِ» جمع القدر بالنسبة إلى
كثرة المخلوقات «وَ» علة «مَجَارِيهَا» أي محل جريان التقديرات «وَ» هي
المخلوقات وَ علة «أَصُولِهَا» أي أصول الأقدار. و هي أسمائه الحسنى فإن كونه
تعالى ربا للعالمين يقتضى تقادير خاصة في كل مخلوق على حسب ما يقتضيه
الاستعدادات الخاصة به، واقتضى مربوبا حتى يكون مجاري الأقدار، واقتضى تعدد
أسمائه الحسنى ظهور آثارها، فإنه تعالى ربُّي كَلَّا من المخلوقات بأجناسها وأنواعها و
أصنافها و أشخاصها على حسب ما يقتضيه الاستعدادات المختلفة، و ترتب
مقتضاها عليها يقتضى أن يكون له تعالى أوصاف متعددة، فإن كونه ربا للعالم
يقتضى أن يكون هو خالقه و يكون موجودا إذ المعدوم لم يتصف بالوجود في نفسه
فلا يتصور منه إعطاء الوجود للغير، و يكون حيا إذ الميت لا يترتب عليه إعطاء
شيء، و يكون عالما قادرا إذ لا يتصور من غير العالم و غير القادر إيجاد شيء وإعطاء

شيء و منع شيء وإحياء شيء و إماتة شيء، و يكون سميعا لأقوالهم و بصيرا لأحوالهم حتى يعمل بهم على مقتضاها، و مريدا حتى يفعل ما يفعل بالاختيار، و يكون معطيا و مانعا رحيما و ستارا و قهارا و جبارا و غفارا و محببا و مميتا و رازقا و صبورا و شكورا و مؤمنا و مصورا و وهّابا و فتاحا و قابضا و باسطا و خافضا و رافعا و معزّا و مذلا و عادلا و لطيفا و حلّيبا و حفيظا و مقيتا و محببا و وليا و حميدا و محصيا و مبدئا و معيدا و مُنعمًا و مكرما و قيوما و مقدما و مؤخرا و توابا و منتقما و عفوا و جامعا و غنيا و مغنيا و ضارا و نافعا و هاديا و مضلا حتى يفعل بكل على حسب مقتضى استعدادة الَّذِي أعطاه بمقتضى ذاته الكاملة المستجمعة بجميع الصفات، فذاته المقدسة أصل الأصول، وإنما كان اللائق بحال العبد ترك الاشتغال بعلم أسرار الربوبية؛ لأنها مما لا يفي به القوة البشرية بل الطاقة المخلوقة و لو كان ملكا، و تحسين بعضها و تقبيح بعضها مما يؤدي إلى الاعتراض على خالق الخلق و نسبة الجهل إليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، و ربما يؤدي ذلك إلى الكفر و بهذا المعنى قال المشايخ: إفشاء سر الربوبية كفر.

وَ كَذَا اللَّائِقُ بِحَالِ الْعَبْدِ «السَّكُوتُ عَنْ لَمْ وَكَيْفَ وَ مَتَى» أَي لَمْ أُعْطِيَ اللَّهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ لِهَذَا الشَّخْصِ، وَلَمْ ابْتَلِ هَذَا الشَّخْصَ بِهَذَا الْبَلَاءِ، وَ كَيْفَ فَعَلَ هَذَا بِهَذَا وَ هَذَا بِهَذَا، وَ مَتَى يَكُونُ الْخِلَاصُ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ، وَ مَتَى يَكُونُ ابْتِلَاءُهُ بِبَلَاءٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ الدَّخْلِ فِي الرِّبُوبِيَّةِ «و» كَذَا اللَّائِقُ بِحَالِ الْعَبْدِ «السَّكُوتُ عَنِ التُّهْمَةِ لِلْحَقِّ» أَي عَلَى الْحَقِّ «عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَ سَكَنَاتِهِ» الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الظَّرْفَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «الْأَوَّلَى وَاللَّائِقُ» حَتَّى يَكُونَ قِيْدًا لِلْجَمِيعِ «وَ تَسْتَنِدُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ إِلَى حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» يَعْنِي حُجَّةَ هَذِهِ النَّصِيحَةِ كُلِّهَا هَذَا الْحَدِيثُ «وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَيِّنَا» أَي وَقْتُ مِنَ الْأَوْقَاتِ «أَنَا رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أَي رَاكِبٌ عَلَى مَرْكَبِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ «إِذْ قَالَ لِي» رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ» بِمَعْنَى يَا صَغِيرَ «إِحْفَظِ اللَّهَ» أَي لَاحِظِ اللَّهَ بِالْقَلْبِ وَاحْفَظْ عَظَمَتَهُ «يَحْفَظُكَ» عَنْ جَمِيعِ

المكاره «إِحْفَظْهُ» في كل حال واذكره فيها «تَجِدْهُ أَمَامَكَ» أي حاضرَكَ وناصرَكَ ومعينَكَ، ثم رتب عليه هذا المقال «فَإِذَا سَأَلْتَ» أي تريد أن تسأل شيئاً عن أحد «فَاسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى» دون غيره «وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» ثم بين صلى الله عليه وسلم ما يحثه على التوجه إلى الله تعالى فقط بقوله «جَفَّتِ الْقُلُومُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ» يعنى كتب الله تعالى في الأزل جميع ما يكون في العالم لا يقدر أحد على تغييره «وَلَوْ جَهَدَ الْعِبَادُ» كمال جهدي «أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ لَكَ» هذه الجملة صفة لشيء أي لم يُقَدِّرْ في حقك «لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَلَوْ جَهَدَ الْعِبَادُ أَنْ يُضِرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ» يا غلام «أَنْ تَعْمَلَ» الله في جميع أعمالك في السراء والضراء بالشكر والرضى «بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ» لأجل المصلحة «فَاعْمَلْ» فإنه أمر عظيم لا يتيسر إلا لخص عباده وكملهم «وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ» ذلك أي الشكر والرضا في البلاء والضراء فلا تترك الصبر أيضاً «فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرٌ كَثِيرًا» ثم بين ذلك بقوله «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ» من جانب الله لك «بِالصَّبْرِ» منك على ما يصل إليك من جانب الله تعالى مما يخالف طبعك «و» ان «الْفَرْجَ» من الله تعالى «مَعَ» حصول «الْكَرْبِ» منه لك يعني أن فتح باب الخيرات لك إنما يكون بعد وصول المحنة إليك بمقتضى جريان عادة الله تعالى بذلك في الأعم الأغلب إلا ما شاء الله تعالى بخرق العادة إظهاراً للقدره الكاملة «وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» إنتهى هنا لفظ الحديث «فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْحَدِيثَ مِرَاةً لِقَلْبِهِ وَشِعَارَةً وَدِثَارَةً» أي ظاهره وباطنه «وَ حَدِيثُهُ» أي قوله و تكلمه «فَيَعْمَلُ بِهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَ سَكَنَاتِهِ حَتَّى يَسْلَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» من غضب الله تعالى «وَيَجِدَ» المؤمن «الْعِزَّةَ فِيهِمَا» أي في الدنيا والآخرة «بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» و فضله لا باستحقاق من العبد بالصبر فإن ترتيب الجزاء على الفعل ليس بواجب على الله تعالى عند أهل السنة والجماعة بل ذلك فضل منه وكرم ورحمة وإحسان.

الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي بَيَانِ أَنَّ مَنْشَأَ السُّؤَالِ الْجَهْلُ وَمَنْشَأَ الْعِقَّةِ وَفُؤُورُ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَا سَأَلَ النَّاسَ مَنْ سَأَلَ إِلَّا لِجَهْلِهِ
بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعْفِ إِيمَانِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَيَقِينِهِ وَقِلَّةِ صَبْرِهِ وَمَا
تَعَفَّفَ مَنْ تَعَفَّفَ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا لَوْفُورِ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقُوَّةِ
إِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ وَتَزَايُدِ مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَحَيَاتِهِ مِنْهُ
عَزَّ وَجَلَّ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَا سَأَلَ النَّاسَ» حوائجه «مَنْ سَأَلَ إِلَّا لِجَهْلِهِ»
أي لجهل السائل «بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» بأنه سبحانه المعطي والمانع والقابض والباسط،
وأن قلوب العباد كلهم بيده، وأنه لا مانع لما أعطاه، ولا معطي لما منعه ولا راد
لقضائه «و» لأجل «ضَعْفِ إِيمَانِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَيَقِينِهِ» بالله تعالى وبقضائه وقدره و
فتحه ونصره «وَقِلَّةِ صَبْرِهِ» على تحمل المشاق وهذا في حق عوام الناس فإن منشأ
سؤالهم في الأعم الأغلب ما ذكر، وأما الخواص فهم قد يسألون لكن لا كذلك بل
إما لأن الله تعالى أعلمهم بأن التقدير جرى بذلك أو لأجل نفع المسئول عنه حيث
يؤجر على ما يعطيه «وَمَا تَعَفَّفَ مَنْ تَعَفَّفَ عَنْ ذَلِكَ» أي عن السؤال عن الخلق
«إِلَّا لَوْفُورِ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَتَزَايُدِ مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ
عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَحَيَاتِهِ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ» فإن من وقف على عظمة الله تعالى لا
يرتضى بالالتجاء إلى غيره.

الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي بَيَانِ عَدَمِ اسْتِجَابَةِ الْمُسْتَوْجِبِ لِلْعَارِفِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّمَا لَمْ يَسْتَجِبْ لِلْعَارِفِ كُلَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَمْ يُؤَفِّ بِكُلِّ وَعْدٍ لِنَلَّا يَغْلِبُ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ فِيهِلِكَ لِأَنَّهُ مَا مِنْ حَالَةٍ وَ مَقَامٍ إِلَّا وَ لِذَلِكَ خَوْفٌ وَ رَجَاءٌ هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِمَا وَ كَذَا الْحَالُ وَ الْمَقَامُ غَيْرُ أَنَّ خَوْفَ كُلِّ حَالَةٍ وَ رَجَاءَ هُمَا يَمَّا يَلِيقُ بِهَا فَالْعَارِفُ مُقَرَّبٌ وَ حَالَتُهُ وَ مَقَامُهُ أَنْ لَا يُرِيدَ شَيْئًا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَا يَزُكُّ وَ لَا يَظْمَنُ إِلَى غَيْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَا يَسْتَأْنِسُ بِغَيْرِهِ فَطَلَبُهُ لِاجَابَةِ سُؤَالِهِ وَ الْوَفَاءُ بِعَهْدِهِ غَيْرُ مَا هُوَ بِصَدْدِهِ وَ لَا يَتَّقِي بِحَالِهِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّمَا لَمْ يَسْتَجِبْ لِلْعَارِفِ كُلَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَمْ يُؤَفِّ بِكُلِّ وَعْدٍ» حصل له من جانب الله تعالى «لِنَلَّا يَغْلِبُ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ» بأنه تعالى يعطي كلما يسأل «فِيهِلِكَ» لحصول الأمن من مكره تعالى و ذهاب الخوف، والإيمان بين الخوف والرجاء و الله تعالى غني عن العالمين، و لا يبالي بإخراج الولي عن ولايته بل عن إيمانه نعوذ بالله من الحور بعد الكور، والنكرة بعد المعرفة، و إنما يهلك بغلبة الرجاء «لِأَنَّهُ مَا مِنْ حَالَةٍ وَ مَقَامٍ إِلَّا وَ لِذَلِكَ» الحال والمقام «خَوْفٌ وَ رَجَاءٌ» و إِنَّ «هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ» فكما لا يمكن طيران الطائر بدون الجناحين «لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِمَا، وَ كَذَا الْحَالُ وَ الْمَقَامُ» لا يتمان إلا بهما، و ذلك لأن الله تعالى صفات جلال و جمال فالجلال يقتضي التغير والانتقال من حال إلى حال و تخريبا و إهلاكا، والجمال يقتضي الرحمة والإبقاء، و صفات الجمال كثيرة، و صفات الجلال أشد تأثيرا فالنظر إلى الجلال يوجب الخوف والنظر إلى الجمال يوجب الرجاء فلا

جَرَمَ العبد يكون بينهما، والعارفون الكاملون لكمال عرفانهم ظهرت لهم عظمة الله تعالى و عظمة صفاته فهم بينهما أشد من سائر المؤمنين فكما أن أصل الإيمان بينهما فكذلك الحال والمقام بينهما.

«غَيْرَ أَنَّ خَوْفَ كُلِّ حَالَةٍ وَ رَجَاءَهُمَا يَلْتَقِي بِهَا» أي بتلك الحالة كما أن توبة كل نوع من الأشخاص مختلفة فتوبة الكافر عن كفره، و توبة المؤمن عن فسقه و معصيته، والراهد عن الميل إلى الدنيا، والعارف عن التوجه إلى غير الله تعالى فهكذا الخوف والرجاء بالنسبة إلى كل حالة «فَالْعَارِفُ مُقَرَّبٌ» عند الله تعالى «و حَالَتُهُ وَ مَقَامُهُ أَنْ لَا يُرِيدَ شَيْئًا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يَزْكَنُ» أي لا يميل «و لَا يَظْمِنُ إِلَى غَيْرِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يَسْتَأْنِسُ بِغَيْرِهِ» تعالى لاستيلاء محبته لله تعالى «فَطَلَبُهُ لِجَابَةِ سُؤَالِهِ وَ الْوَفَاءُ بِعَهْدِهِ غَيْرَ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ وَ» غير «لَا تَقِي بِحَالِهِ» إذ هو بصدد صرف التوجه عن الغير.

فَفِي ذَلِكَ أَمْرَانِ إِثْنَانِ: أَحَدُهُمَا لِئَلَّا يَغْلِبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ
وَالْغَرَّةُ بِمَكْرِ رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَغْفُلَ عَنِ الْقِيَامِ بِالْأَدَبِ فِيهِلِكَ، وَ
الْآخَرُ شُرْكُهُ بِرَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِشَيْءٍ سِوَاهُ، إِذْ لَا مَعْصُومَ فِي الْعَالَمِ فِي
الظَّاهِرِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَا يُجِيبُهُ وَ لَا يَفِي لَهُ
كَفَى لَا يَسْأَلُ عَادَةً وَ يُرِيدُهُ طَبْعًا لَا إِمْتِنَانًا لِلْأَمْرِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ
الشَّرِكِ الْخَفِيِّ، وَالشَّرِكِ كَثِيرٌ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا وَ الْأَقْدَامِ عَلَى
جَمْعِيَّتِهَا وَ فِي الْمَقَامَاتِ بِأَسْرَرِهَا.
وَ أَمَّا إِذَا كَانَ السُّؤَالُ بِأَمْرِ فَذَلِكَ بِمَا يَرِيدُهُ قُوبًا كَالصَّلَاةِ
وَالصَّوْمِ وَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْفَرَائِضِ وَ النَّوَافِلِ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ
مُتَمَثِّلًا لِلْأَمْرِ.

«فَفِي ذَلِكَ» أي عدم إنجاح الطلب «أَمْرَانِ إِثْنَانِ أَحَدُهُمَا» أنه تعالى لم يعط مسئوله «لِئَلَّا يَغْلِبَ عَلَيْهِ» أي على ذلك العارف «الرَّجَاءُ وَالْغَرَّةُ» أي الغرور

«يَمَكِّرُ رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» بعبطاء كل مسئوله «فَيَغْفُلُ» ذلك العارف المعطى كل مسئوله «عَنِ الْقِيَامِ بِالْأَدَبِ» الَّذِي يقتضيه العبودية والألوهية «فِيهِلِكَ» بالوقوع عن رتبته «و» الأمر «الْأَخِرُ» أنه تعالى لم يعط له جميع مسئوله لئلا يغلب عليه «شُرْكُهُ بِرَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِشَيْءٍ سِوَاهُ» أي يميل طبعه إلى شيء سوى الرب تعالى. هذا غاية ما تكلفت لتوجيه العبارة و إلا فظاهرها مشكل؛ لأن الأمرين المذكورين أولهما سبب لعدم انجاح المطلوب من جانب الله تعالى، و ثانيهما سبب لطلب العارف فلو جعل المشار إليه في قوله: «ففي ذلك» الأول أعني عدم إنجاح الطلب لا يناسبه الثاني، و إن جعل الثاني أعني طلب العارف لا يناسب الأول فجعلت المشار إليه الأول و قدرت في الثاني لفظ «لئلا يغلب» كما كان في الأول لتوافق العلتان و ينتظم البيان، «إِذْ لَا مَعْصُومَ فِي الْعَالَمِ فِي الظَّاهِرِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَا يُجِيبُهُ» الله تعالى مسئوله «وَلَا يَفِي لَهُ» موعوده «كَئِنْ لَا يَسْأَلُ» العارف المسئولات والمرادات «عَادَةً وَ» لا «يُرِيدُهُ» المطالب والمقاصد «طَبْعًا لَا إِمْتِنَانًا لِلْأَمْرِ لِمَا فِي ذَلِكَ» السؤال العادي الكائن بدون الامتثال «مِنَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ» فإن العارف و إرادته كلاهما من الغير فيكون ملاحظة الإرادة والطبع شركا مع الله تعالى «وَالشِّرْكَ» ذنب «كَبِيرٌ» و ظلم عظيم «فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا» بداية كانت الحال أو نهاية «وَفِي الْإِقْدَامِ عَلَى جَمْعِهَا» سواء كانت إقدام العارف أو السالك «و» في «الْمَقَامَاتِ بِأَسْرِهَا» للعارفين كانت تلك المقامات أو للسالكين «وَأَمَّا إِذَا كَانَ السُّؤَالُ» الصادر من العارف «بِأَمْرِ» من الله تعالى «فَذَلِكَ» السؤال «بِمَا يَزِيدُهُ» أي ذلك العارف السائل «قُرْبًا» عند الله تعالى و قبولا لديه «كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ» تزيده قربا و قبولا «لِأَنَّهُ» أي العارف السائل «يَكُونُ فِي ذَلِكَ» السؤال الأمرى «مُتَمَثِّلًا لِلْأَمْرِ» الإلهي.

الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي بَيَانِ حَالِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ وَحَالِ الْمُبْتَلَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِغْلَمْ أَنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ: مُنْعَمٌ عَلَيْهِ وَ مُبْتَلَى بِمَا قَضَى رَبُّهُ تَعَالَى، فَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِ لَا يَخْلُو مِنَ النُّعْصَةِ وَالتَّكْدُرِ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، فَهُوَ فِي أَنْعَمَ مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ إِذْ جَاءَ الْقَدْرُ بِمَا يُكَدِّرُهُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّزَايَا وَالبَلَايَا مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ وَ الْمَصَائِبِ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِغْلَمْ أَنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ» أي صنفان، رجل «مُنْعَمٌ عَلَيْهِ» بأنواع النعم مع ابتلائه بشيء من البلاء «و» رجل «مُبْتَلَى بِمَا قَضَى رَبُّهُ تَعَالَى» و تقدس عليه من أنواع البلايا في المال والأهل والنفس، وإن كان هذا المبتلى أيضا منعمًا عليه بكثير من النعم فإن نعم؛ الله تعالى فائضة على كل مخلوق و ابتلاؤه ببعض ببعض الوجوه «فَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِ لَا يَخْلُو مِنَ النُّعْصَةِ وَالتَّكْدُرِ» كلاهما بمعنى واحد هو نقيض الصفا «فِيمَا أَنْعَمَ» الله «عَلَيْهِ» من النعم «فَهُوَ» أي المنعم عليه ربما في «أَنْعَمَ مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ» أي أطيب أوقات كونه منعمًا عليه بمعنى كونه متلذذا أكثر تلذذ بنعم الله سبحانه المفاضة عليه «إِذْ جَاءَ الْقَدْرُ» أي فأجاء التقدير الأزلي «بِمَا يُكَدِّرُهُ» أي بشيء يكدر التمتع «عَلَيْهِ» أي على المنعم عليه «مِنْ أَنْوَاعِ الرِّزَايَا» أي المصائب جمع رزية وهي المصيبة «والبَلَايَا مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ» القلبية والقلبية «وَالْمَصَائِبِ فِي النَّفْسِ» بالمرض «وَالْمَالِ» بالتلف «وَالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ» إما بالتلف أو بالتفرق أو بالاختلاف.

فَيَتَنَغَّصُ عَيْشُهُ بِذَلِكَ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْعَمْ عَلَيْهِ قَطُّ وَ يَسْلَى ذَلِكَ النَّعِيمَ وَ حَلَاوَتَهُ وَإِنْ كَانَ الْغِنَى قَاصِحًا بِالْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ وَ

الْأَمْنِ مِنَ الْأَعْدَاءِ فَهُوَ فِي حَالِ التَّغْمَاءِ كَانَ لَا بَلَاءَ فِي الْوُجُودِ وَكَانَ لَا نَعِيمَ فِي الْوُجُودِ وَكُلُّ ذَلِكَ لِجَهْلِهِ بِمَوْلَاهُ فَلَوْ عَلِمَ أَنَّ مَوْلَاهُ تَعَالَى، فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ. [البروج، رقم السورة: ٨٥، رقم الآية: ١٦]

يُغَيِّرُ وَيُبَدِّلُ وَيُحِلُّ وَيُحَرِّمُ وَيُغْنِي وَيُفْقِرُ وَيُزِفُّ وَيُخْفِضُ وَيُعِزُّ وَيَذِلُّ وَيُنْجِي وَيُمَيِّتُ وَيَقْدِمُ وَيُؤَخِّرُ لِمَا إِظْمَنَ إِلَى مَا بِهِ مِنَ النَّعِيمِ وَلَمَّا اعْتَزَّ وَلَمَّا آيَسَ مِنَ الْفَرَجِ فِي حَالَةِ الْبَلَاءِ، وَجَهْلِهِ أَيْضًا بِالدُّنْيَا إِنَّهَا دَارُ بَلَاءٍ وَتَنْغِيصٍ وَتَكَالُيفٍ وَتَكْدِيرٍ وَإِنَّ أَصْلَهَا بَلَاءٌ وَطَارِقُهَا نِعْمَاءٌ فَهِيَ كَشَجَرَةِ الصَّبْرِ أَوَّلُ ثَمَرَتِهَا مُرَّةٌ وَآخِرُهَا شَهْدٌ حُلُوٌّ، لَا يَصِلُ الْمُرَّةُ إِلَى حَلَاوَتِهَا حَتَّى يَتَجَرَّعَ مَرَارَتَهَا فَلَنْ يَبْلُغَ الشَّهْدَ إِلَّا بِالصَّبْرِ فَمَنْ صَبَرَ عَلَى بَلَائِهَا حَلَّ لَهُ نَعِيمُهَا، وَإِنَّمَا يُعْطَى الْأَجِيرُ أَجْرَهُ بَعْدَ عَزَقِ جَبِينِهِ وَتَغَبِّ جَسَدِهِ وَكَرْبِ رُوحِهِ وَضَيْقِ صَدْرِهِ وَذَهَابِ قُوَّتِهِ وَإِذْلَالِ نَفْسِهِ وَكَسْرِ هَوَاهُ فِي خِدْمَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ، فَلَمَّا تَجَرَّعَ هَذِهِ الْمَرَارِثَ أَغْقَبَتْ لَهُ طَيْبُ طَعَامٍ وَإِدَامٍ وَفَاكِهَةٍ وَلَبَاسٍ وَرَاحَةٍ وَسُرُورٍ وَلَوْ أَقَلَّ قَلِيلٍ فَالدُّنْيَا أَوَّلُهَا مُرَّةٌ كَالصَّفْحَةِ الْعُلْيَا مِنْ عَسَلٍ فِي ظَرْفٍ مَشُوبَةٍ بِمَرَارَةٍ فَلَا يَصِلُ الْأَكِلُ إِلَى قَرَارِ الظَّرْفِ وَتَتَأَوَّلُ الْحَالِصُ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ تَتَاوُلِ الصَّفْحَةِ الْعُلْيَا فَإِذَا صَبَرَ الْعَبْدُ عَلَى آدَاءِ أَوَامِرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَانْتِهَاءِ نَوَاهِيهِ وَالسَّلَامِ وَالْقَنُوقِ يُنْضِ فِيهَا يَجْرِي بِهِ الْقَدَرُ، وَتَجَرَّعَ مَرَارِثَ ذَلِكَ وَتَحَمَّلَ أَثْقَالَهَا وَخَالَفَ هَوَاهُ وَتَرَكَ مُرَادَهُ أَغْقَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ طَيْبَ عَيْشٍ فِي آخِرِ عُمرِهِ وَالدِّالَ وَالرَّاحَةَ وَالْعِزَّةَ وَبِتَوَلَّاهُ كَمَا يُغْذِي الطِّفْلُ الرِّضِيعُ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فِيهِ وَتَحْمِلُ مُوْنَهُ وَتَبِعَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبِتَلَدُّ بِهِ كَمَا يَتَلَدَّدُ أَكِلُ الْمَرْءِ مِنَ الصَّفْحَةِ الْعُلْيَا بِأَكْلِهِ مِنْ قَرَارِ الظَّرْفِ فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ الْمُتَعَمِّ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَأْمَنَ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَغْتَرَّ بِالنِّعْمَةِ وَيَقْطَعُ بِدَوَامِهَا وَيَغْفُلُ عَنْ شُكْرِهَا وَيُزِيحِي قَبْدَهَا بِتَرْكِه

لشُكْرِهَا. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْتَّعَمَةُ وَخَشْيَةُ فَقْدِهَا بِالشُّكْرِ»^(١).

فَشُكْرُ نِعْمَةِ الْمَالِ الْإِعْزَافُ بِهَا لِلْمُنْعِمِ الْمُتَوَضِّلِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّحَدُّثُ بِهَا لِنَفْسِهِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَرُؤْيَا فَضْلِهِ وَ مَنَّتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْ لَا يَتَمَلَّكَ عَلَيْهِ وَلَا يَتَجَاوَزَ حَدَّهُ فِيهِ، وَلَا يَتْرَكَ أَمْرَهُ فِيهِ بِإِدَاءِ حُقُوقِهِ مِنَ الزَّكَاةِ وَالْكَفَّارَةِ وَالتُّذْرِ وَالصَّدَقَةِ وَ إِعَاةَةِ الْمَلْهُوفِ وَ إِعَاةَةِ إِفْتِقَارِ أَرْبَابِ الْحَاجَاتِ وَ أَهْلِهَا فِي الشَّدَائِدِ عِنْدَ تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ وَ تَبَدُّلِ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ، أَغْنِي تَبَدُّلَ سَاعَاتِ النَّعِيمِ وَالرَّخَاءِ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَ شُكْرِ آدَاءِ نِعْمَةِ الْعَافِيَةِ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَغْضَاءِ بِالِاسْتِعَاةِ بِهَا وَ فِي الْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَقَامِ

«فَيَتَنَعَّصُ» أي يتكدر «عَيْشُهُ بِذَلِكَ» البلاء المقدر من جانب الله تعالى «فَكَانَهُ» أي هذا المنعم عليه الذي جاءه البلاء «لَمْ يُنْعَمْ عَلَيْهِ قَطُّ» فيما مضى من الزمان «وَيُنْسَى ذَلِكَ النَّعِيمَ وَحَلَاوَتَهُ» التي حصلت له بتلك النعم في مدة من الزمان «وَإِنْ كَانَ الْغِنَى قَائِمًا» حاصلًا الآن «بِالْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْأَعْدَاءِ فَهُوَ فِي حَالِ النَّعْمَاءِ» قبل لحوق البلاء مغرورا متلذذا بالغفلة «كَأَنَّ لَا بَلَاءَ فِي الْوُجُودِ» وإذا لحقه البلاء فهو يعجز ويتحير و يضطرب في حالِ الْبَلَاءِ «وَكَأَنَّ لَا نَعِيمَ فِي الْوُجُودِ وَكُلُّ ذَلِكَ» الظن والاعتذار والغفلة إنما هو «لِحُطْلِهِ بِمَوْلَاهُ» وقدرته تعالى «فَلَوْ عَلِمَ» المنعم عليه وكذا المبتلى «أَنَّ مَوْلَاهُ تَعَالَى»

﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ٨٥/١٦]

«يُغَيِّرُ» الأحوال «وَيُبَدِّلُ» الأحوال «وَيُجِلُّ» المُرَّ «وَيُزِيلُ» الْحَالِي^(٢) «وَيُغْنِي» الْفَقِيرَ «وَيُفْقِرُ» الْغَنِي «وَيُزِفُّ» الْمُنْخَفِضَ «وَيُخَفِّضُ» الْمُرْتَفِعَ «وَيُعِزُّ»

(١) لم نجد في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) الحالى اسم فاعل من الحلو بمعنى شيرين، من الشارح

الذليل «وَيَذُلُّ» العزيز «وَيُخَيِّ» الأموات «وَيُمِيتُ» الأحياء «وَيُقَدِّمُ» المؤخر
«وَيُؤَخِّرُ» المقدم وكذا يصصح المريض ويمرض الصحيح «لَمَّا اِظْمَنَّ» جواب
«لو» أي لو علم المنعم عليه والمبتلى كمال تصرف المولى لما اطمأن، كل منهما «إِلَى مَا بِهِ
مِنَ النَّعِيمِ» والبلايا «وَلَمَّا اغْتَرَّتْ» المنعم عليه بالنعمة «وَلَمَّا آيَسَ» المبتلى «مِنَ
الْفَرَجِ فِي حَالَةِ الْبَلَاءِ، وَلِجَهْلِهِ» أي كان اغترار المنعم عليه وياس المبتلى لجَهْلِهِ
بمولاه «وَلِجَهْلِهِ أَيْضًا بِالدُّنْيَا» وعدم علم «إِنَّهَا دَارُ بَلَاءٍ وَتَنْغِيصٍ وَتَكَالِيفٍ وَ
تَكْدِيرٍ وَ» جهله «إِنَّ أَصْلَهَا» أي أصل الدنيا «بَلَاءٌ وَطَارِقُهَا» أي عارضها
«نَعْمَاءٌ فَهِيَ» أي الدنيا «كَشَجَرَةِ الصَّبْرِ» وهو شيء مُرٌّ مشهور. وفي القاموس:
والصبر ككتف ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر عصارة شجر مُرٍّ «أَوَّلُ ثَمَرَتِهَا مُرَّةٌ
وَآخِرُهَا شَهْدٌ» أي غسل به صرح في القاموس «حُلُوٌّ لَا يَصِلُ الْمُرُّ إِلَى» ذوق
«حَلَاوَتِهَا حَتَّى يَتَجَرَّعَ» أولا «مَرَارَتِهَا فَلَنْ يَبْلُغَ الشَّهْدَ إِلَّا بِالصَّبْرِ فَمَنْ صَبَرَ عَلَى
بَلَائِهَا» أي بلاء الدنيا التي هي بمنزلة المرارة بل أشدها «حَلٌّ لَهُ» وصول
«نَعِيمِهَا» أما تعلم في معاملة العالم أن الأجر بعد الكسب «وَأَنَّمَا يُعْطَى الْأَجِيرُ
أَجْرُهُ بَعْدَ عَزَقِ جَبِينِهِ وَتَغَبِّ جَسَدِهِ وَكَزْبِ رُوحِهِ وَضَيْقِ صَدْرِهِ» في تحمل تلك
المشقة الحاصلة له في كسبه «وَذَهَابِ قُوَّتِهِ وَإِذْلَالِ نَفْسِهِ وَكَسْرِ هَوَاهُ فِي خِدْمَةِ
مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ فَلَمَّا تَجَرَّعَ هَذِهِ الْمَرَارِ» المذكورة «أَغْقَبَتْ لَهُ طَيِّبُ طَعَامٍ وَإِدَامٌ وَفَاكِهَةٌ
وَلِبَاسٌ وَرَاحَةٌ وَسُرُورٌ وَ لَوْ أَقَلَّ قَلِيلٌ» على قدر تعب ومشقة ومحنة «فَ»
كذلك حال «الدُّنْيَا أَوَّلُهَا مُرَّةٌ كَالصَّفْحَةِ الْعُلْيَا مِنْ عَسَلٍ» كائن «فِي ظَرْفٍ
مَشُوبَةٍ» أي مخلوطة «بِمَرَارَةٍ» بأن يكون المرُّ عاليا والعسل سافلا «فَلَا يَصِلُ»
الشخص «إِلَى الْأَكْلِ» من تلك الظرف المشوب عسلها بالمرارة «إِلَى قَرَارِ الظَّرْفِ»
الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْعَسَلِ «وَ» إِلَى «تَنَاوُلِ الْخَالِصِ مِنْهُ» أي من العسل «إِلَّا بَعْدَ
تَنَاوُلِ الصَّفْحَةِ الْعُلْيَا» المرة «فَإِذَا صَبَرَ الْعَبْدُ عَلَى آدَاءِ أَوَامِرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَانْتِهَاءِ
نَوَاهِيهِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّقْوِي يَصُ» لأمر الله تعالى «فِيمَا يَجْرِي بِهِ الْقَدَرُ وَتَجَرَّعَ مَرَارِ ذَلِكَ
وَ تَحَمَّلَ أَثْقَالَهُ وَ خَالَفَ هَوَاهُ وَ تَرَكَ مُرَادَهُ أَغْقَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ» المذكور من

المحن والشدائد في الأعم الأغلب « طِيبَ عَيْشٍ فِي آخِرِ عُمْرِهِ وَالدِّالَ » أي التمتع
« وَالرَّاحَةَ وَالْعِزَّةَ وَيَتَوَلَّاهُ » الله تعالى « كَمَا يُغْذِي الطِّفْلُ الرَّضِيعُ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ »
و مشقة و سعي من الطفل « فِيهِ » أي تحصيل الغذاء « وَتَحْمِلُ مُؤْنَهُ » جمع مؤنة و
هي ما يحتاج إليه « وَتَبِعَهُ » أي مشقة « فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَتَلَدَّدُ بِهِ » بتلك الغذاء
« كَمَا يَتَلَدَّدُ أَكِلُ الْمُرِّ مِنَ الصَّفْحَةِ الْعُلْيَا بِأَكْلِهِ » الحلو « مِنْ قَرَارِ الظَّرْفِ فَيُنْبَغِي
لِلْعَبْدِ » المؤمن « الْمُتَنَعِمَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَأْمَنَ » في جميع حالاته « مِنْ مَكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فِيَعْتَزُّ بِالنِّعْمَةِ » أي فإن أمن فيغتر بنعمة الله تعالى عليه « وَيَقْطَعُ بِدَوَامِهَا » أي يجزم
بدوام حصولها له « وَ يَغْفِلُ » هذا المنعم عليه « عَنْ شُكْرِهَا » لله تعالى « وَ
يُزْحِي » أي يهمل « قَيْدَهَا » أي قيد تلك النعمة « بِتَرْكِهَا » إضافة إلى الفاعل
« لِشُكْرِهَا » فإن شكر النعمة قيد لها، و كفرانها تضييع لها و بهذا المعنى « قَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: »

« النَّعْمَةُ وَحَشِيَّةُ فَقَيْدُهَا بِالشُّكْرِ »

« فَشُكْرُ نِعْمَةِ الْمَالِ » عن المنعم عليه « الْإِعْتِرَافُ بِهَا لِلْمُنْعِمِ » بأنها أعطاهها
« الْمُتَفَضِّلِ » في إعطائه من غير استحقاق من المنعم عليه، « وَ » ذلك المنعم
المتفضل « هُوَ اللَّهُ » الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ « عَزَّ » من كل عزيز « وَ جَلَّ » من كل
جليل « وَالتَّحَدُّثُ بِهَا لِنَفْسِهِ » أي بنفسه أو بالخلق لإصلاح نفسه فعلى الأول اللام
بمعنى الباء، و على الثاني بمعنى لأجل « فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَرُؤْيَا فَضْلِهِ وَ مَنَّتِهِ عَزَّ وَ
جَلَّ، وَ أَنْ لَا يَتَمَلَّكَ عَلَيْهِ » تملك به جعل نفسه مالكا بسببه، و تملك عليه لا يريد
أن يخرج عن ملكه فحاصله أن لا يخل به « وَ لَا يَتَجَاوَزَ حَدَّهُ فِيهِ » أي لا يتجاوز
حد الله في ذلك المال بأن يسرف و ينفق في غير محل الإنفاق بحسب هوى نفسه « وَ لَا
يَتْرُكُ أَمْرَهُ » أي أمر الله تعالى « فِيهِ » و ذلك « بِإِدَاءِ حُقُوقِهِ » تعالى الكائنة في ذلك
المال « مِنَ الزَّكَاةِ وَالْكَفَّارَةِ وَالنَّذْرِ وَالصَّدَقَةِ وَ إِعَانَةِ الْمُتَهَوِّفِ » الملهوف واللهيف
واللهفان واللاهف: المضطر يسغيث و يتحير « وَ إِعَانَةِ إِفْتِقَارِ أَرْبَابِ الْحَاجَاتِ وَ
أَهْلِهَا » أي أهل الحاجات عطف تفسيري الكائنة « فِي الشَّدَائِدِ » و غلبة الفقر

والحزن «عِنْدَ تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ» أي أحوالهم من الغنى إلى الفقر ومن العز إلى الدل
«وَتَبَدُّلِ الْحَسَنَاتِ» التي فعلوها في الرخاء والسعة «بِالسَّيِّئَاتِ» بالعجز عن
الصبر والتصبر بل بالتشكي والاضطرار «أَعْنَى» بتبدل الحسنات بالسيئات
«تَبَدُّلَ سَاعَاتِ النَّعِيمِ وَالرَّخَاءِ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَشُكْرِ آدَاءِ نِعْمَةِ الْعَافِيَةِ فِي
الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهَا» أي بالجوارح والأعضاء «فِي الطَّاعَاتِ»
البدنية كالصلوة والتلاوة والعبادة والمشي إلى الجمعة والجماعات وإلى غير ذلك
«و» الاستعانة بها «فِي الْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْإِثَامِ» فلا ينظر
إليها بالعين ولا يسمعها بالأذن ولا يقولها باللسان ولا يبطش باليد ولا يمشي إلى
تحصيل الحرام إلى غير ذلك.

فَذَلِكَ قَيْدُ النَّعْمَاءِ عَنِ الرِّحْلَةِ وَالذَّهَابِ، وَسَقْمَى شَجَرَتِهَا وَ
تَنْمِيَةِ أَغْصَانِهَا وَأَوْرَاقِهَا، وَتَحْسِينِ ثَمَرَتِهَا، وَحِلَاوَةِ طُعْمِهَا، وَ
سَلَامَةِ عَاقِبَتِهَا، وَلَذَّةِ مَضْغِهَا، وَسَهْوَةِ بَلْعِهَا، وَتَعَقُّبِ عَافِيَتِهَا وَ
رَيْعِهَا فِي الْجَسَدِ وَقُوَّتِهَا بِهَا، ثُمَّ ظُهُورُ بَرَكَتِهَا عَلَى الْجَوَارِحِ مِنْ أَنْوَاعِ
الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ وَالْأَذْكَارِ، ثُمَّ دُخُولُ الْعَبْدِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي
الْآخِرَةِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخُلُودِ فِي الْجَنَانِ مَعَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا فَإِنْ لَمْ
يَفْعَلْ وَاعْتَرَّ بِمَا ظَهَرَ مِنْ زَيْنَتِهَا وَذَاقَ مِنْ لَذَائِهَا وَاطْمَنَّ إِلَى
بَرِيقِ سَرَابِهَا وَمَا لَاحَ مِنْ بَزْوِهَا وَمَا هَبَّ مِنْ نَسِيمِ أَوَّلِ نَهَارِ
قَيْظِهَا وَتُعُومَةِ جُلُودِ حَيَاتِهَا، وَعَقَارِ بِهَا وَغَفَلَ عَنْ سَمُومِهَا الْقَاتِلَةِ
الْمُودَعَةِ فِي أَعْمَاقِهَا وَمَكَامِنِهَا وَ عَنْ مَصَائِدِهَا الْمَنْصُوبَةِ لِأَخْذِهِ وَ
حَبْسِهِ وَهَلَاقِهِ فَلْيَهْتَأْ بِالرَّذَى وَلْيَسْتَبْشِرْ بِالْعَطَبِ وَالْفَقْرِ الْعَاجِلِ
مَعَ الدُّلِّ وَالْهَوَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْأَجَلِ فِي النَّارِ وَلَطَى.

«فَذَلِكَ» المذكور من الاعتراف والتحدث ورؤية الفضل من الله تعالى، و

عدم التملك عليه، و عدم تجاوز الحد فيه و عدم ترك الأمر لله فيه بأداء حقوقه من الزكوة و أخواتها و أداء شكر نعمة العافية باستعانة الجوارح في الطاعات و في الكف عن المعاصي هو «قَيْدُ النَّعْمَاءِ عَنِ الرَّحْلَةِ» أي عن ارتحائها «وَالذَّهَابِ وَ سَقْمُ شَجَرَتِهَا» أي شجرة النعماء «وَتَنْمِيَةُ أَغْصَانِهَا وَ أَوْرَاقِهَا وَ تَحْسِينُ ثَمَرَتِهَا» و هي رضا الله تعالى و رسوله في الدنيا والآخرة «وَ حَلَاوَةُ طُعْمِهَا، وَ سَلَامَةُ عَاقِبَتِهَا، وَ لَذَّةُ مَضْغِهَا، وَ سَهْوَةٌ بَلْعِهَا» أي ابتلاعها في الحلق «وَ تَعَقُّبُ» ذلك الشكر «عَافِيَتِهَا، وَ رِيْعُهَا» أي سريانها «في الجَسَدِ وَ قُوَّتُهَا بِهَا ثُمَّ» تعقب ذلك الشكر «ظُهُورُ بَرَكَتِهَا عَلَى الْجَوَارِحِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَ الْقُرْبَاتِ وَ الْأَذْكَارِ ثُمَّ دُخُولُ الْعَبْدِ» أي ثم تعقب ذلك الشكر دخول العبد «بَعْدَ ذَلِكَ» أي بعد ما ذكرنا من فوائد الدنيا و آية «في الْآخِرَةِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» و رضوانه «وَ الْخُلُودُ فِي الْجَنَانِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا» فظهر بما ذكر أن العبد إن فعل الشكر في النعمة يصل إلى هذه المرتبة «فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ» العبد المنعم عليه الشكر بالوجه الَّذِي ذكر بل بطر «وَ اغْتَرَّتْ بِمَا ظَهَرَتْ مِنْ زِينَتِهَا» أي الدنيا التي أعطها الله تعالى «وَ ذَاقَ مِنْ لَذَائِهَا» المستحسنة للطباع البشرية «وَ اطمئنَّ إِلَى بَرِيقِ سَرَابِهَا» السراب ما يُتَرَاءَى وَ قَتَّ الهجيرة في الميادين و يظنه العطشان ماء، و البريق اللمعان «وَ مَا لَاحَ» أي ظهر «مِنْ بَرَقِهَا» و قد تقول: إن السراب لا حقيقة له و البريق لا ثبات له «وَ مَا هَبَّ مِنْ نَسِيمِ أَوَّلِ نَهَارٍ قَيْظُهَا»، القَيْظُ فصل الصيف و هي حارة، و الريح أول نهارها باردة يستطيع بها الأنفس، ثم إذا ارتفع النهار تنقلب حارة، في القاموس القَيْظُ صميم الصيف من طلوع الشرا إلى طلوع سهيل جمعه أقياظ و قيوط، وكذلك الدنيا لا حقيقة لها و لا ثبات لها و تنقلب سرءاءها مضرة و غناءها فقرا «وَ» اطمئن إلى «نُعُومَةٍ» أي غاية لين «مَجْلُودِ حَيَاتِهَا وَ عَقَارِ بِهَا» و هي الجاه و الغرور و وصول المشتريات و نيل المرادات لا على وفق الشرع و اللعب و اللهو فهي كلها حيات و عقارب يُتَرَاءَى في الظاهر مستحسنة للطباع السخيفة «وَ غَفَلَ عَنْ سَمُومِهَا الْقَاتِلَةِ الْمُؤَدَّةِ فِي أَغْمَاقِهَا وَ

مَكَامِنَهَا» أي باطنها فإن الدنيا إذا لم تكن تابعة للشرع تكون ظاهرها مستحسنا و باطنها موجبة للهلاك البتة «و» غفل «عَنْ مَصَائِدِهَا» جمع مَصِيد والمراد شبكاتهما و حبالها و حَيْلُهَا «الْمُتَّصُوبَةُ لِأَخْذِهِ» أي العبد الغافل المغرور «و حَيْسِهِ وَ هَلَاقِهِ» كما أن الصيد يغفل عن حباله الصائد و يغتر بما وضع الصائد من مشتريات الصيد فيقع فيها محبوسة مفضى إلى الهلاك كذلك المغترين بالدنيا فإنهم يقعون في حبالها محبوسين هالكين «فَلْيَهْتَأْ بِالرَّدَى» أي ليجعل العبد الغافل المنهمك في الدنيا الناسي للآخرة لنفسه الردى مهتأ مباركا «و لِيُسْتَبَشِّرَ بِالْعَطَبِ» أي الهلاك من عَطَب كفريح لا من عطب كَنَصَر فإنه بمعنى اللين صرح به في القاموس. «وَالْفَقْرُ الْعَاجِلُ مَعَ الدُّلِّ وَ الْهُوَانِ فِي الدُّنْيَا وَ الْعَذَابُ الْأَجَلِ» المتأخر في الآخرة «فِي النَّارِ وَ لَظَى» أي لهبها هذا حال المنعم عليه في الحالين شكر النعمة وكفرانها.

وَأَمَّا الْمُبْتَلَى فَتَارَةً يُبْتَلَى عُقُوبَةً وَ مُقَابَلَةً بِجَرِيمَةٍ اِزْتَكَبَهَا وَ مَعْصِيَةٍ اِفْتَرَفَهَا، وَ أُخْرَى يُبْتَلَى تَكْفِيرًا وَ تَمْحِيطًا، وَ أُخْرَى يُبْتَلَى لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ وَ تَبْلِيغِ الْمُنَازِلِ الْعَالِيَاتِ لِيَلْحَقَ بِهِ بِأُولَى الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحَالَاتِ وَ الْمَقَامَاتِ، وَ هُمْ يَمُنُّنَ سَبَقَتْ لَهُمْ عَنَائِدُ رَبِّ الْحَقِيقَةِ وَ الْبَرِيَّاتِ، وَ يَمُنُّنَ سَيَّرَهُمْ فِي مَيَادِينِ الْبَلِيَّاتِ عَلَى مَطَايَا الرُّفُقِ وَ الْأَلْطَافِ، وَ رَوَّحَهُمْ بِنَسِيمِ النَّظَرَاتِ وَ اللَّحْظَاتِ فِي الْحَرَكَاتِ وَ السَّكِّنَاتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ إِبْتِلَاءُهُمْ لِلْهَلَاكِ وَ الْإِهْوَاءِ فِي الدَّرَكَاتِ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ اخْتَبَرَهُمْ بِهَا لِلْإِضْطِفَاءِ وَ الْاجْتِنَاءِ وَ اسْتَخْرَجَ بِهَا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَ صَفَاهَا وَ مَيَّزَهَا مِنَ الشَّرِكِ وَ الدَّعَاوِي وَ التَّنَاقُيِ، وَ حَمَلَهُمْ بِهَا أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَ الْأَسْرَارِ وَ الْأَنْوَارِ فَلَمَّا خَلَصُوا فِي الظَّاهِرِ وَ الْبَاطِنِ وَ تَطَهَّرَتْ سَرَائِرُهُمْ جَعَلَهُمْ مِنَ الْخُلُصِ الْخَوَاصِّ مِنْ أَصْحَابِ الشَّدَّةِ وَ مَجْلَسَاءِ الرَّحْمَنِ دُنْيَا وَ أُخْرَى فِي الدُّنْيَا يَقْلُوبُهُمْ وَ فِي الْآخِرَةِ بِأَجْسَامِهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الْفُقْرَةُ الصَّبْرُ مُجْلَسَاءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ.^(١)

«وَأَمَّا الْمُتَبَتَّلُ فَ» له أيضًا حالات «تَارَةً يُتَبَتَّلُ عُقُوبَةً وَ مُقَابَلَةً بِجَرِيْمَةٍ» أي ذنب «إِذْ تَكَبَّهَ وَ مَعْصِيَةً اقْتَرَفَهَا» أي كسبها «و» تارة «أُخْرَى يُتَبَتَّلُ تَكْفِيرًا» للذنوب «وَتَمْحِيصًا» أي محوآلها «و» تارة «أُخْرَى يُتَبَتَّلُ لِإِزْتِفَاعِ الدَّرَجَاتِ» الرفيعة إلى كمالها «وَتَبْلِيغِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَاتِ» إلى غاياتها «لِيُلْحَقَ» العبد المتبتل «بِهِ» أي بسبب ذلك الابتلاء «بِأُولَى الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحَالَاتِ» السنية «وَالْمَقَامَاتِ» العلية «وَهُمْ يَمُنُّنَ سَبَقَتْ لَهُمْ عِنَايَاتُ رَبِّ الْخَلْقَةِ وَالْبَرِيَّاتِ» كلاهما بمعنى الخلق «وَيَمُنُّنَ سَيَّرَهُمْ» أي جعلهم سائرين في «مَيَادِينِ الْبَلِيَّاتِ عَلَى مَطَايَا» جمع مطية بمعنى المركب «الرُّفْقِ وَالْأَلْطَافِ، وَ رَوَّحَهُمْ بِنَسِيمِ النَّظَرَاتِ وَاللَّحْظَاتِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ» أي حفظ الرب بعنايته في جميع الحالات «إِذْ لَمْ يَكُنْ إِبْتِلَاؤُهُمْ» بالبلايا من جانب الله تعالى «لِلْهَلَاكِ» بها «وَالْإِهْوَاءِ» أي الإسقاط «فِي الدَّرَكَاتِ» وهي المنازل النازلة الخسيصة، والدرجات هي المنازل الرفيعة النفسية «وَلِكِنَّ اللَّهَ» تعالى لكمال لطفه بهم ورحمته عليهم «إِخْتَبَرَهُمْ» أي امتحنهم «بِهَا» أي بالبلايا «لِلْإِصْطِفَاءِ وَالْإِجْتِبَاءِ، وَاسْتَخْرَجَ بِهَا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ» الكامل «وَصَفَّاهَا» تصفية كاملة «وَمَيَّزَهَا» تمييزا بليغا «مِنْ» حقيقة «الشَّرِّكَ وَالِدَّعَاوِي وَالْتِفَاقِ، وَحَمَلَهُمْ بِهَا أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ وَالْأَنْوَارِ» تحميلا جميلا «فَلَمَّا خَلَصُوا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ» عما لا يلبق بحال المقربين العارفين الكاملين «وَتَطَهَّرَتْ سَرَائِرُهُمْ» جمع سريرة بمعنى الباطن من أدناس البشرية و أرجاس الطبيعية «جَعَلَهُمْ» الله تعالى «مِنْ الْخُلَصِّ الْخَوَاصِّ» أي بعضا من الخاص الخواص لعل هذا التركيب توصيفي بحذف كلمة من أي الخالص الكائنة من الخواص «مِنْ أَصْحَابِ السُّدَّةِ» بدل من الخالص والسدة العتبة، والمراد أهل القرب والحضور، فإن من لازم السدة كان حاضرا مقربا و يفسره قوله «وَجُلَسَاءِ الرَّحْمَنِ» أي المقربين فإن الله تعالى منزه عن الجليس، فإن الذاكر والمشاهد كأنه

(١) انظر الرسالة القشيرية ١/ ١٤٧. هذا حديث مرفوع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

جليس معه «دُنْيَا وَ أُخْرَى» فَإِنَّ الْعَارِفِينَ الْكَامِلِينَ يَشَاهِدُونَ رَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَا «فِي الدُّنْيَا» فَيَشَاهِدُونَ «بِقُلُوبِهِمْ وَ» أَمَا «فِي الْآخِرَةِ» فَيَشَاهِدُونَ بِحَاسَةِ «أَجْسَامِهِمْ» يَدُلُّ عَلَى كِلْتَا الْمَقْدَمَتَيْنِ الْآحَادِيثُ الصَّحَاحُ. ثُمَّ أُورِدَ عَلَى كَوْنِهِمْ جُلَسَاءَ الرَّحْمَنِ فِي الْآخِرَةِ شَاهِدًا مِنَ الْحَدِيثِ فَقَالَ «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:»

«الْفَقْرَةُ الصَّبْرُ» مِبَالِغَةُ الصَّابِرِ أَيْ كَثِيرِ الصَّبْرِ «جُلَسَاءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ».

وَ كَانَ الْبَلَاءُ مُطَهِّرَةً لِقُلُوبِهِمْ مِنْ دَرَنِ الشَّرِّكَ وَ التَّعَلُّقِ وَ
بِالْخَلْقِ بِالْأَسْبَابِ وَ الْأَمَانِيِّ وَ ذَوَابَّةٍ وَ سَبَاكَةٍ مِنَ الدَّعَاوِي
وَ الْهَوَسَاتِ وَ طَلَبِ الْأَعْوَاضِ بِالطَّاعَاتِ مِنَ الدَّرَجَاتِ وَ الْمُنَازِلِ
الْعَالِيَاتِ فِي الْآخِرَةِ فِي الْفُرُودِ وَ الْجِنَانِ.
فَعَلَامَةُ الْإِتِّلَاءِ عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ وَ الْعُقُوبَاتِ عَدَمُ الصَّبْرِ
عِنْدَ وَجُودِهَا وَ الْجَزَعُ وَ الشُّكُوى إِلَى الْخَلِيقَةِ وَ التَّوْبَاتِ.
وَ عَلَامَةُ الْإِتِّلَاءِ تَمَحُّيْصًا وَ تَكْفِيرًا وَ لِيَخْطِئَاتِ وَ جُودِ الصَّبْرِ
الْجَمِيلِ مَعَ عَدَمِ الشُّكُوى وَ إِظْهَارِ الْجَزَعِ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ وَ الْجِيرَانِ وَ
التَّضَجُّرِ بِأَدَاءِ الْأَمْرِ وَ الطَّاعَاتِ.
وَ عَلَامَةُ الْإِتِّلَاءِ لَا رَفَاعَ الدَّرَجَاتِ وَ جُودِ الرِّضَى
وَ الْمُوَافَقَةِ وَ طَمَئِنَّةِ النَّفْسِ وَ الشُّكُونِ لِفِعْلِ إِلَهٍ إِلَهُ الْأَرْضِ
وَ السَّمَوَاتِ، وَ الْفَنَاءِ فِيهَا إِلَى حِينِ الْإِنْكَشَافِ بِمُزُورِ الْأَيَّامِ وَ السَّاعَاتِ.

والمراد من الجلوس القرب والحضور والمشاهدة و إلا فالرب تعالى عن صفات الأجسام «وَ كَانَ الْبَلَاءُ مُطَهِّرَةً لِقُلُوبِهِمْ مِنْ دَرَنِ الشَّرِّكَ» الجلي والخفي «وَ التَّعَلُّقِ بِالْخَلْقِ» غفلة عن الحق «وَ» التعلق «بِالْأَسْبَابِ» غفلة عن رب الأرباب الَّذِي هُوَ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ «وَ الْأَمَانِيِّ» أي الأمال والإرادات «وَ ذَوَابَّةٍ» أي ذوبانا «وَ سَبَاكَةٍ» بمعناه والمراد منها الخلاص «مِنَ الدَّعَاوِي وَ الْهَوَسَاتِ وَ

طَلَبِ الْأَعْوَاضِ بِالطَّاعَاتِ مِنَ الدَّرَجَاتِ وَالْمَنَازِلِ الْعَالِيَاتِ فِي الْآخِرَةِ فِي الْفِرْدَوْسِ وَالْجَنَّاتِ» فَإِنْ طَالِبَ الْمَوْلَى لَا يَلْتَفِتُ إِلَى الدُّنْيَا وَالْعَقَبَى.

وإذا علمت أن الابتلاء على وجوه مختلفة و أنحاء شتى فاعلم أن لكل قسم علامة «فَعَلَامَةُ الْإِبْتِلَاءِ عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ وَالْعُقُوبَاتِ» والانتقام من الحق تعالى غضبا على عبده «عَدَمُ الصَّبْرِ عِنْدَ وُجُودِهَا وَالْجَزَعُ وَالشُّكُوى» من الخالق «إِلَى الْخَلِيقَةِ وَالْبَرِيَّاتِ» فحاله في الدنيا خراب و في العقبى خراب إلا أن يتغمده الله تعالى بغفرانه و أدخله في جنانه. «وَعَلَامَةُ الْإِبْتِلَاءِ تَمْحِصًا» أي محوا «وَتَكْفِيرًا» أي إزالة «لِلْخَطِيئَاتِ وَجُودُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ» وهو الصبر «مَعَ عَدَمِ الشُّكُوى وَ» من غير «إِظْهَارِ الْجَزَعِ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ وَالْجِيرَانِ وَ» من غير «التَّضَجُّرِ» والتحزن «بِأَدَاءِ الْأَوَامِرِ وَالطَّاعَاتِ» إما متعلق بتضجر و إما بمحذوف أي حال كونه مشغلا بأداء الأوامر والطاعات.

«وَعَلَامَةُ الْإِبْتِلَاءِ لِرِزْقِ الدَّرَجَاتِ وَجُودُ الرِّضَى» بتلك البليات «وَالْمُتَوَافَقَةِ» مع الرب تعالى في قضائه و قدره و إرادته و مشيئته «وَطَمَائِنَةِ النَّفْسِ» و قرارها «وَالسُّكُونِ» منها «لِفِعْلِ الْإِلَهِ إِلَهُ الْأَرْضِ» بدل من الإله «وَالسَّمَوَاتِ، وَ الْفَنَاءِ فِيهَا» أي في البلية اللاحقة بذلك المؤمن «إِلَى حِينِ الْإِنْكَشَافِ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ».

الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

في بيان فضيلة الذكر

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْئَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أَعْطَيْتُ السَّائِلِينَ.^(١)

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِصْطِفَاءَهُ وَاجْتِبَاءَهُ سَلَكَ بِهِ فِي الْأَحْوَالِ وَامْتَحَنَهُ بِأَنْوَاعِ الْمِحْنِ وَالْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ فَيُفْقِرُهُ بَعْدَ الْغِنَاءِ فَيُضْطَرُّهُ إِلَى مَسْئَلَةِ الْخَلْقِ فِي الرِّزْقِ عِنْدَ سَدِّ جِهَاتِهِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَصُونُهُ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ فَيُضْطَرُّهُ إِلَى الْقَرْضِ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَصُونُهُ فَيُضْطَرُّهُ إِلَى الْكَسْبِ وَيُسَهِّلُهُ وَيُسِّرُهُ فَيَأْكُلُ بِالْكَسْبِ الَّذِي هُوَ السُّنَّةُ، ثُمَّ يُعَسِّرُهُ عَلَيْهِ فَيُلْهِمُهُ السُّؤَالَ لِلْخَلْقِ وَيَأْمُرُهُ بِأَمْرِ بَاطِنٍ يُعَلِّمُهُ وَيُعْرِفُهُ وَيَجْعَلُ عِبَادَتَهُ فِيهِ وَمَعْصِيَتَهُ فِي تَرْكِهِ لِيُزُولَ بِذَلِكَ هَوَاهُ وَتُتَكَبَّرَ نَفْسُهُ وَهِيَ حَالَةٌ الرِّيَاضَةِ فَيَكُونُ السُّؤَالُ عَلَى وَجْهِ الْإِجْبَارِ لَا عَلَى وَجْهِ الشَّرِكِ بِالْجَبَّارِ، ثُمَّ يَصُونُهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَأْمُرُهُ بِالْقَرْضِ مِنْهُمْ أَمْرًا جُزْئًا لَا يُكِنُّ تَرْكُهُ كَالسُّؤَالِ مِنْ قَبْلُ وَثُمَّ يُنْقِلُهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَقْطَعُهُ عَنِ الْخَلْقِ وَمُعَامَلَتِهِمْ فَيَجْعَلُ رِزْقَهُ فِي السُّؤَالِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَسْأَلُهُ تَعَالَى جَمِيعَ مَا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ فَيُعْطِيهِ عَزَّ وَجَلَّ حَوَائِجَهُ وَلَا يُعْطِيهِ إِنْ سَكَتَ وَأَعْرَضَ عَنِ السُّؤَالِ.

(١) أخرجه الترمذي ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن عن ذكري ومسئلي أعطيتته أفضل ما أعطي السائلين. أبواب فضائل القرآن، باب منه، برقم: ٢٩٢٦.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي» بَيَان «قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»
حكاية «عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ:»

«مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْئَلَتِي أُعْطِيَتهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَتْ السَّائِلِينَ» .

روى الترمذي والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يقول الرب تبارك و تعالى من شغله القرآن عن ذكري و مسئلتى أعطيته
أفضل ما أعطى السائلين و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على
خلقه.^(١) ثم علل غوث الأعظم أفضلية إعطاء الذاكر الذي شغله ذكر ربه عن
مسئلته عما أعطى السائلين بقوله: «و ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ» المراد به بعض المؤمن «إِذَا
أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِصْطِفَاءَهُ وَاجْتِبَاءَهُ» كلاهما بمعنى الاختيار أي اختياره على سائر
الناس «سَلَّكَ بِهِ فِي الْأَحْوَالِ» أي حَوَّلَهُ فِي الْأَحْوَالِ بنقله من حال إلى حال
«وَامْتَحَنَهُ بِأَنْوَاعِ الْمِحْنِ وَالْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ فَيُفْقِرُهُ» أي يجعله فقيرا «بَعْدَ الْغِنَاءِ»
الَّذِي أُعْطَاهُ و سلبه «فَيُضْطَرُّهُ إِلَى مَسْئَلَةِ الْخَلْقِ» فلا يقدر على الصبر بل يسأل
الخلق «فِي» أمر «الرِّزْقِ عِنْدَ سِدِّ جِهَاتِهِ عَلَيْهِ» و يبقيه في هذه الحالة ماشاء «ثُمَّ
يَصُونُهُ» بإعطاء قوة العار لا التوكل على الرب تعالى «عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ فَيُضْطَرُّهُ إِلَى
الْقَرْضِ مِنْهُمْ ثُمَّ يَصُونُهُ» بإعطاء العار عن القرض «فَيُضْطَرُّهُ إِلَى الْكَسْبِ» و
يعطيه قوة الكسب «و يُسَهِّلُهُ» عليه «و يُيسِّرُهُ فَيَأْكُلُ» ذلك المؤمن «بِالْكَسْبِ
الَّذِي هُوَ السُّنَّةُ» النبوية فيحصل له صفاء الباطن باتباع السنة «ثُمَّ يَعْسِرُهُ عَلَيْهِ»
أي يعسر الله تعالى الكسب على ذلك المؤمن الذي حصل له صفاء الباطن إما بسلب
قوة الكسب أو بمنع الخلق عن استيجاره و استكسابه «فِيْلَهُمُ السُّؤَالُ» أي يوقع
في قلبه أمر السؤال «لِلْخَلْقِ» أي منهم «و يَأْمُرُهُ» الله تعالى «بِهِ» أي بالسؤال
«بِأَمْرِ بَاطِنٍ يُعَلِّمُهُ» الله تعالى «و يُعَرِّفُهُ» تعليما و تعريفا يَعْلَمُ و يَعْرِفُ به ذلك
العبد أنه أمر إلهي حتمي لا شك فيه و لا تلبس بطريق معهود للعارفين إما بخلق

(١) تقدم تخريجه.

العلم الضروري أو طريق آخر «وَيَجْعَلُ» الله تعالى «عِبَادَتَهُ» أي عبادة ذلك المؤمن العارف «فيه» أي في السؤال عن الخلق من حيث الامتثال للأمر الإلهي «وَمَعْصِيَتَهُ فِي تَرْكِهِ» إذ في تركه ترك الأمر الإلهي، وإنما أمر الله تعالى ذلك العبد بالسؤال «لِيَرْزُؤَ بِذَلِكَ» السؤال «هَوَاهُ» المانعة له عن الارتقاء إلى ذروة الكمال «وَتُكْرِ نَفْسُهُ» الأمانة بالسوء المائلة إلى اللذات البهيمية والشهوات الحيوانية «وَهِيَ» أي حالة السؤال بأمر الله تعالى «حَالَةُ الرِّيَاضَةِ» والمشقة بترك الهوى والهوس والنخوة والتفاخر وتحمل العار والذل من الإخوان والأقران «فِيَكُونُ السُّؤَالُ» الامتثالي «عَلَى وَجْهِ الْجَبَّارِ» بأمر القدير القهار «لَا عَلَى وَجْهِ الشَّرِّكَ» بالجليل «الْجَبَّارِ» بأن يعلم أن الخلق معطي له كما يعطي الله تعالى إذ ليس اختيار السؤال من نفسه بل للامتثال الأمر الإلهي الَّذِي فِيهِ مَخَالِفَةُ النَّفْسِ «ثُمَّ» أي بعد زوال هواه وانكسار نفسه «يَصُونُهُ» الله تعالى و يحفظه «عَنْ ذَلِكَ» السؤال بالنهي الباطني «وَيَأْمُرُهُ» الله تعالى في الباطن «بِالْقَرَضِ مِنْهُمْ أَمْرًا جَزْمًا لَا يُمَكِّنُ تَرْكُهُ» لذلك العبد «كَ» أمر «السُّؤَالِ مِنْ قَبْلُ» أي قبل النهي عنه كان أمرا جزما لا يمكن تركه له، و يبقيه فيه ما شاء «ثُمَّ يَنْقُلُهُ مِنْ ذَلِكَ» الأمر القرضي «وَيَقْطَعُهُ عَنِ الْخَلْقِ وَمُعَامَلَتِهِمْ» ويرفع توجهه إلى الخلق «فَيَجْعَلُ رِزْقَهُ فِي السُّؤَالِ لَهُ» أي عن الله «عَزَّ وَجَلَّ فَيَسْأَلُهُ تَعَالَى جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَيُعْطِيهِ عَزَّ وَجَلَّ حَوَائِجَهُ» بالسؤال، و جعل عطاء حوائجه مشروطا بالسؤال منه تعالى «وَلَا يُعْطِيهِ» الله تعالى «إِنْ سَكَتَ وَاعْرَضَ عَنِ السُّؤَالِ» و يبقيه في هذه الحالة ما شاء الله تعالى.

ثُمَّ يَنْقُلُهُ مِنَ السُّؤَالِ بِاللِّسَانِ إِلَى السُّؤَالِ بِالْقَلْبِ فَيَسْأَلُهُ بِقَلْبِهِ
جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَيُعْطِيهِ حَتَّى لَوْ سَأَلَهُ بِلِسَانِهِ لَمْ يُعْطِهِ أَوْ سَأَلَ الْخَلْقَ
لَمْ يُعْطِهِ ثُمَّ يُغَيِّبُهُ عَنْهُ وَعَنِ السُّؤَالِ بِجُمْلَةٍ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَيَنَادِمُهُ بِجَمِيعِ
مَا يُضْلِحُهُ وَيَقُومُ بِهِ أَوْدَهُ مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَجَمِيعِ مَصَالِحِ
الْبَشَرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُوَ فِيهَا أَوْ يَخْطُرُ بِبَالِهِ، فَيَتَوَلَّاهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ

هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۚ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾
[الاعراف، رقم السورة: ٧. رقم الآية: ١٩٦]
فَيَتَحَقَّقُ حِينَئِذٍ قَوْلُهُ:

”مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسَالِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ
السَّائِلِينَ“^(١).

وَهِيَ حَالَةُ الْفَنَاءِ الَّتِي هِيَ غَايَةُ أَحْوَالِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ.
ثُمَّ قَدْ يَرُدُّ إِلَيْهِ التَّكْوِينُ فَيَكُونُ جَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ:
”يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ
أَطِيعْنِي أَجْعَلْ لَكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ“.

«ثُمَّ يُنْقَلُهُ مِنَ السُّؤَالِ بِاللِّسَانِ إِلَى السُّؤَالِ بِالْقَلْبِ فَيَسْأَلُهُ» تَعَالَى «بِقَلْبِهِ جَمِيعَ
مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَيُعْطِيهِ» تَعَالَى بِسُؤَالِ الْقَلْبِ بَلْ جَعَلَ الْعَطَاءَ مَشْرُوطًا بِالسُّؤَالِ الْقَلْبِيِّ
مِنْهُ تَعَالَى «حَتَّى لَوْ سَأَلَهُ» تَعَالَى «بِلِسَانِهِ لَمْ يُعْطِهِ أَوْ سَأَلَ الْخَلْقَ لَمْ يُعْطِهِ»، وَبِبقِيَةِ
اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مَا شَاءَ «ثُمَّ يُغَيِّبُهُ عَنْهُ» أَيُّ عَنْ نَفْسِهِ «وَعَنِ السُّؤَالِ» بِكَثْرَةِ
الِاشْتِغَالِ بِذِكْرِهِ تَعَالَى «جُمْلَةً» أَيُّ بِالْكُلِّيَّةِ «ظَاهِرًا وَبَاطِنًا» فَلَا يَرَى وَجُودَ نَفْسِهِ
وَلَا الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ «فَيَنَادِمُهُ» أَيُّ يَجْعَلُهُ تَعَالَى نَدِيمًا بِإِعْطَاءِ الْحُضُورِ وَالْفَنَاءِ فِيهِ وَ
فِي أَفْعَالِهِ عَنْ غَيْرِهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَيَعَامَلُ مَعَهُ مَعَامَلَةَ النَّدِيمِ «بِ» إِعْطَاءِ «جَمِيعِ مَا
يُصْلِحُهُ وَ يَقُومُ بِهِ أَوْدُهُ» أَيُّ بَنِيَّتِهِ «مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَ جَمِيعِ مَصَالِحِ
الْبَشَرِ» مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْخَادِمِ وَالْبَيْتِ وَمَتَاعِ الْبَيْتِ «مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُوَ» أَيُّ ذَلِكَ
الْمُؤْمِنِ الْمُصْطَفَى «فِيهَا» أَيُّ فِي جَمِيعِ مَا يَصْلِحُهُ بِالطَّلَبِ مِنْهُ «أَوْ يَحْطُرُ بِبَالِهِ» ذَلِكَ
الطَّلَبُ «فَيَتَوَلَّاهُ عَزَّ وَجَلَّ» تَوَلِيَّةَ الْوَلِيِّ لِمَنْ يَتَوَلَّاهُ «وَهُوَ» أَيُّ هَذَا التَّوَلَّى هُوَ الَّذِي
يُشِيرُ إِلَيْهِ «قَوْلُهُ تَعَالَى:»

(١) مَرَّ تَخْرِيجُهُ.

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ زَوْهُوَ يَتَوَلَّى الصُّلِحِينَ﴾. [الأعراف، ١٩٦]
 «فَيَتَحَقَّقُ حِينَئِذٍ» أي حين يتولى الحق للعبد المؤمن ولا يكون وجوده في
 البين في طلب شيء وسؤاله بالفناء في الذكر بكثرة الاشتغال به «قَوْلُهُ» صلى الله
 عليه وسلم حكاية عن الله تعالى «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتهُ أَفْضَلَ مَا
 أُعْطِيَ السَّائِلِينَ».

«وَهِيَ» أي هذه الحالة التي لا يوجد المؤمن فيها «حَالَةُ الْفَنَاءِ» في الله تعالى
 «التي هي غَايَةُ أَحْوَالِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ».

«ثُمَّ» بعد حصول الغناء يبلغ إلى مرتبة «قَدْ يَرُدُّ إِلَيْهِ» أي يعطي الله سبحانه
 وتعالى ذلك المؤمن العارف الفاني في الله والباقي به «التَّكْوِينُ» أي إيجاد الأشياء
 بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ «فَيَكُونُ» أي يوجد ويدخل في الوجود «جَمِيعَ مَا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ»
 المؤمن العارف «يَاذُنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ» أي رد التكوين إليه هو «قَوْلُهُ عَزَّ وَ
 جَلَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ» المنزلة:

«يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ أَطْعَمِي» أنت حق
 الطاعة «أَجْعَلْ لَكَ» بحيث تبلغ مرتبة «تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ» وقد سبق مثله.

الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

في سؤال شيخ عنه فُدِسَ سرُّه في المنام عن سبب التقرب
إلى الله تعالى بأي شيء هو وجوابه فُدِسَ سرُّه عنه في المنام

قال رضي الله تعالى: سألتني رجلٌ شيخٌ في المنام فقال: أي شيء يقرب العبد إلى الله عزَّ وجلَّ؟ فقلت: لذلك ابتداءً وإنهاءً فابتداءه الورع وإنهاؤه الرضا والتسليم والتوكل.

«قال رضي الله تعالى سألتني رجلٌ شيخٌ» أي كبير السن «في المنام فقال: أي شيء يقرب العبد إلى الله عزَّ وجلَّ؟ فقلت» في جوابه: «لذلك» التقرب «ابتداءً وإنهاءً فابتداءه الورع» وهو في الأصل الكف عن المحارم، ثم استعير للكف عن المباح والحلال وهو ملاك الدين كما ورد في الحديث «وإنهاؤه الرضا والتسليم» لقضاء الله تعالى وقدره في جميع أفعاله وأقواله وأحواله «والتوكل» في جميع الأمور على الله عزَّ وجلَّ.

الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي بَيَانِ كَيْفِيَةِ السُّلُوكِ بِالْإِشْتِغَالِ بِالْفَرَائِضِ أَوْ لَا ثُمَّ بِالسَّنَنِ
ثُمَّ بِالنَّوَافِلِ ثُمَّ بِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يُنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَشْتَغَلَ أَوَّلًا
بِالْفَرَائِضِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا اشْتَغَلَ بِالسَّنَنِ ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِالنَّوَافِلِ
وَالْفَضَائِلِ. فَمَا لَمْ يَفْرُغْ مِنَ الْفَرَائِضِ فَلَا يَشْتَغَلُ بِالسَّنَنِ مُحَقٌّ وَرَعُونَةٌ
فَإِنْ اشْتَغَلَ بِالسَّنَنِ وَالنَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرَائِضِ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَأُهِنَ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: يُنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَشْتَغَلَ أَوَّلًا بِالْفَرَائِضِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا اشْتَغَلَ» أي يشتغل فإن الشرط والجزاء إن وقع ماضيا فهو بمعنى الاستقبال إذ هو من لوازمه «بِالسَّنَنِ» سواء كانت مؤكدة أو زائدة فإن تكميل الفرائض ثمرة للفناء في الله والبقاء به، و تكميل السنن يوجب زيادة ارتباط برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمَ و جميع الأسرار إنما تفاض بوسيلته عليه الصلوة والسلام فالارتباط به ارتباط بالحق تعالى، و هي سبب لمحبة الله تعالى، للمرتبطين كما دل عليه قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل

عمران، رقم السورة: ٣، رقم الآية: ٣١]

«ثُمَّ» بعد كمالها «يَشْتَغِلُ بِالنَّوَافِلِ وَالْفَضَائِلِ» والتكميل فيها يوجب فناء قوى السالك عنه كما دل عليه حديث القرب بالنوافل وقد سبق^(١) ذكره في المقالة السادسة «فَمَا لَمْ يَفْرُغْ» المؤمن «مِنَ الْفَرَائِضِ» و تكميلها «فَلَا يَشْتَغَلُ بِالسَّنَنِ مُحَقٌّ وَرَعُونَةٌ» كلاهما بمعنى واحد ففي القاموس رعن ككرم و يثلاث رعونة ورعنًا

(١) في الأصل: حديث قرب النوافل قد سبق إلخ ولعل الصواب ما أثبتنا، المشاهدي

محركة الحلق « فَإِنْ اشْتَغَلَ بِالسِّنِّ وَالتَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرْضِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَ أَهَيْنَ » من جانب الله تعالى فالسنن إنما سُنَّ لتكميل الفرض غاية الأمر أن بعض السنن من المبادي و بعضها من المتممات فما كان من المبادي فحقها أن يؤدي قبل الفرائض كركعتي الفجر و أربع الظهر والعصر والعشاء، و ما كان من المتممات فإنما يؤدي بعد الفرائض كسنة الظهر و ثماني المغرب، و ما كان مسنونا في خلال الفرائض فيؤدي فيها كثلث غسل الأعضاء في الوضوء و كمسح تمام الرأس والرقبة وتحليل الأصابع، فالمراد من قوله قدس سره العزيز: ”فما لم يفرغ من الفرائض فالاشتغال بالسنن حمق“ عدم الفراغ بالقصد الأوَّلي لا الشروع في النفل، وكذا المراد من قوله: ”فإن اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرض لم يقبل منه وأهين“ الاشتغال بها بالقصد الأوَّلي من غير ملاحظة الفرائض، فإن السنن والنوافل كلها سواء كانت من المبادي أو المتحللات أو المتممات إنما هي لتكميل الفرائض فإن الاستنجاء و غسل اليد والسواك قبل الوضوء لتكميل الوضوء فلو لم يحمل كلامه على ما ذكرنا يشكل ما سن فيه قبل الفرائض على أن من الفرائض ما لم يصح السنن والنوافل و شيء من العبادة قبل الاشتغال به كالإيمان بالله تعالى و ملائكته و كتبه و رسله واليوم الآخر والقدر خيره و شره من الله تعالى و ترك الاعتراض على قضاء الله و قدره، فإن شيئا من الأعمال لا يصح بدون استحكام هذه الأمور فلا حاجة إلى ذلك التكلف لكن ما ذكرنا من المعنى يُصَحِّح الحكم في الكل.

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ يَدْعُوهُ الْمَلِكُ إِلَى خِدْمَتِهِ فَلَا يَأْتِي إِلَيْهِ وَيَقِفُ فِي
خِدْمَةِ الْأَمِيرِ الَّذِي هُوَ عَلَامُ الْمَلِكِ وَخَادِمُهُ وَتَحْتَ يَدِهِ وَلَا يَتَمَّ.
عَنْ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
”إِنَّ مَثَلَ مُصَلِّي النَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرَائِضِ كَمَثَلِ حُبْلَى حَمَلَتْ فَلَمَّا
دَلَّى نِفَاسُهَا أَسْقَطَتْ فَلَا هِيَ ذَاتُ حَمْلٍ وَلَا هِيَ ذَاتٌ وَلَدٍ، كَذَلِكَ

الْمُصَلِّي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ نَافِلَةٌ حَتَّى يُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ وَ مَثَلُ الْمُصَلِّي
كَمَثَلِ التَّاجِرِ لَا يَخْصِلُ لَهُ رِبْحُهُ حَتَّى يَأْخُذَ رَأْسَ الْمَالِ كَذَا الْمُصَلِّي
بِالنَّوَافِلِ لَا يَقْبَلُ لَهُ نَافِلَةٌ حَتَّى يُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ^(١) وَكَذَلِكَ مَنْ تَرَكَ
السُّنَّةَ وَاشْتَغَلَ بِالنَّوَافِلِ الَّتِي لَمْ تَرْتَبْ مَعَ الْفَرَائِضِ وَلَمْ يَنْصَحْ عَلَيْهَا وَ
لَمْ يُؤَكِّدْ.

«فَمَثَلُهُ» أي مثل المشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض «كَمَثَلِ رَجُلٍ
يَدْعُوهُ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الَّذِي تَحْتَ تَصَرُّفِهِ الْأُمَرَاءُ «إِلَى خِدْمَتِهِ فَلَا يَأْتِي» ذَلِكَ
الرَّجُلُ الْمَدْعُو «إِلَيْهِ» أَي إِلَى الْمَلِكِ «وَيَقِفُ فِي خِدْمَةِ الْأَمِيرِ الَّذِي هُوَ غَلَامُ الْمَلِكِ وَ
خَادِمُهُ وَتَحْتَ يَدِهِ وَوَلَايَتِهِ» فَإِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِحَقِّهِ.

«عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «
«إِنَّ مَثَلَ مُصَلِّي النَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرَائِضِ» وَ فِي بَعْضِ النُّسخ: «إِنْ مَثَلَ الْمُصَلِّي
نَافِلَةٌ وَ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ «كَمَثَلِ حُبْلَى حَمَلَتْ فَلَمَّا دَنَى نِفَاسُهَا» أَي وَلادَتِهَا الْمَوْجِبَةُ
لِلنَّفَاسِ «فَأُطْلِقَ الْمُسَبَّبُ وَ أُرِيدَ السَّبَبُ أَسْقَطَتْ» حَمَلُهَا «فَلَا هِيَ» أَي تِلْكَ الْمَرْأَةُ
الَّتِي أَسْقَطَتْ حَمَلَهَا وَقْتَ وَلادَتِهَا «ذَا تُحْمَلُ» أَي رَاجِيَةً لِلْوَلَدِ «وَلَا هِيَ ذَاتُ
وَلَدٍ» لِسُقُوطِ حَمَلِهَا وَ عَدَمِ وَلادَتِهَا. «كَذَلِكَ الْمُصَلِّي» لِلنَّوَافِلِ بِدُونِ أَدَاءِ
الْفَرَائِضِ «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ نَافِلَةٌ حَتَّى يُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ» فَلَيْسَ هُوَ مُصَلِّي الْفَرَائِضِ
لِعَدَمِ أَدَائِهَا وَ لَا هُوَ مُصَلِّي النَّوَافِلِ لِعَدَمِ مَقْبُولِيَّتِهَا وَ وَجْهُ الشُّبْهِ بَيْنَهُمَا حَصُولُ الْكَدِّ
وَالْمَشَقَّةِ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ.

ثم بين مثلاً آخر فقال: «وَمَثَلُ الْمُصَلِّي كَمَثَلِ التَّاجِرِ لَا يَخْصِلُ لَهُ رِبْحُهُ» مِنْ

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة، باب ما روي في إتمام الفريضة من التطوع في الآخرة، برقم ٤٠٠٤، ولفظه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا علي مثل الذي لا يتم صلاته كمثله حبلى حملت فلما دنى نفاسها أسقطت فلا هي ذات ولد ولا هي ذات حمل، ومثل المصلي كمثله التاجر لا يخلص له ربحه حتى يخلص له رأس ماله كذلك المصلي لا تقبل نافلة حتى يؤدي الفريضة.

التجارة « حَتَّى يَأْخُذَ رَأْسَ الْمَالِ كَذَا الْمُصَلِّي بِالتَّوَافِلِ لَا يَقْبَلُ لَهُ نَافِلَةٌ حَتَّى يُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ » فَإِنَّ الْفَرِيضَةَ رَأْسَ الْمَالِ وَالتَّوَافِلَ رَجْحُهُ وَالتَّجَارَةُ الْمُضِيْعَةُ رَأْسُ الْمَالِ لَيْسَتْ بِتَّجَارَةٍ بَلْ هِيَ خَسْرَانٌ « وَكَذَلِكَ » أَيُّ كَمَا كَانَ حَالُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْفَرَائِضِ وَالسَّنَنِ كَذَلِكَ حَالُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ السَّنَنِ وَالتَّوَافِلِ « فَمَنْ تَرَكَ السُّنَّةَ وَاشْتَغَلَ بِالتَّوَافِلِ الَّتِي لَمْ تَرْتَّبْ مَعَ الْفَرَائِضِ وَلَمْ يُنَصَّ عَلَيْهَا » مِنْ جَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَلَمْ يُؤَكِّدْ » مِنْ جَانِبِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ .

فَمِنْ الْفَرَائِضِ تَرْكُ الْحَرَامِ وَالشِّرْكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ وَ
الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ فِي قَدْرِهِ وَ قَضَائِهِ وَ إِجَابَةِ الْخُلُقِ وَ طَاعَتِهِمْ
وَالْإِعْرَاضِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَ طَاعَتِهِ .
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي
مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى » .^(١)

ثم إن الفرائض ليست منحصرة فيما هو فعل بل بعض التروك أيضا فرض « فَمِنْ الْفَرَائِضِ تَرْكُ الْحَرَامِ، وَ » ترك « الشِّرْكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ » فإن جعل شيء من خلقه معبودا فهو شرك جلي، وإن جعل شيء منه مؤثرا فهو شرك خفي « وَ » ترك « الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ تَعَالَى فِي قَدْرِهِ » تعالى « وَ قَضَائِهِ وَ » ترك « إِجَابَةِ الْخُلُقِ، وَ » ترك « طَاعَتِهِمْ » في معصية الخالق « وَالْإِعْرَاضِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَ طَاعَتِهِ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) انظر الجامع الصغير، رقم الحديث: ٩٩٠٣، والمسند للإمام أحمد: ٤٣٢١٦، برقم: ٣٨٨٩.

الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

في بيان فضيلة السَّهْرِ عَلَى النَّوْمِ وَحَالِ مَنْ اخْتَارَ النَّوْمَ عَلَى السَّهْرِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَنْ اخْتَارَ النَّوْمَ عَلَى السَّهْرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْيَقَظَةِ فَقَدْ اخْتَارَ النَّقْصَ وَالْأَذَى وَاللُّحُوقَ بِالْمَوْتِ وَالْغَفْلَةَ عَنْ جَمِيعِ الْمَصَالِحِ لِأَنَّ النَّوْمَ أَخُ الْمَوْتِ وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ النَّوْمُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا انْتَفَى عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّقَائِصُ أَجْمَعُ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ لِمَا قَرَّبُوا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ نُفْيَ عَنْهُمْ النَّوْمُ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لِمَا كَانُوا فِي أَرْفَعِ الْمَوَاضِعِ وَأَطْهَرِهَا وَأَنْفَسِهَا وَأَكْرَمِهَا نُفْيَ النَّوْمِ عَنْهُمْ لِكَوْنِهِ نَقْصًا فِي حَالَتِهِمْ، فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي الْيَقَظَةِ وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ فِي النَّوْمِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْمَصَالِحِ فَمَنْ أَكَلَ بِهَوَاهُ أَكَلَ كَثِيرًا وَشَرِبَ كَثِيرًا فَتَمَّ كَثِيرًا وَقَاتَهُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَنْ اخْتَارَ النَّوْمَ» الظاهري أو الباطني أو كليهما «عَلَى السَّهْرِ» الظاهري أو الباطني أو كليهما «الذي هُوَ سَبَبُ الْيَقَظَةِ» والتفهم والشعور والعلم والخبرة ظاهرا و باطنا «فَقَدْ اخْتَارَ النَّقْصَ وَالْأَذَى وَاللُّحُوقَ بِالْمَوْتِ وَالْغَفْلَةَ عَنْ جَمِيعِ الْمَصَالِحِ» الدينية والديناوية «لِأَنَّ النَّوْمَ أَخُ الْمَوْتِ» في تعطيل الحواس و ذهاب الشعور الحسي «وَلِهَذَا» أي لأجل أنه نقص و لحوق بالموت و غفلة عن المصالح «لَا يَجُوزُ النَّوْمُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا انْتَفَى عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّقَائِصُ أَجْمَعُ، وَكَذَلِكَ» أي كما لا يجوز النوم على الله تعالى لتنزهه عن النقص كذلك «الْمَلَائِكَةُ لِمَا قَرَّبُوا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ نُفْيَ عَنْهُمْ النَّوْمُ» لأنهم براء من النقص «وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لِمَا كَانُوا فِي أَرْفَعِ الْمَوَاضِعِ وَأَطْهَرِهَا وَأَنْفَسِهَا» بفتح الفاء من النفاسة «وَأَكْرَمِهَا نُفْيَ النَّوْمِ عَنْهُمْ لِكَوْنِهِ نَقْصًا فِي حَالَتِهِمْ» فإن حالتهم في الجنة

على أكمل الوجوه و أعلاها فكل ما هو من صفات النقص كالبول والغائط والأمراض والأوجاع والكدورات النفسانية و الخطرات الشيطانية منتفية عنهم بالكلية بل ليس فيها إلا ما يشتهيها الأنفس و تلذ الأعين من الخيرات الحسان والخور والقصور والغلمان و جريان النفس بذكر الملك المثنى ذى الفضل والإحسان.

فإذا عرفت حال النوم «فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي الْيَقَظَةِ» فإنها سبب الذكر والعلم والمعرفة والفهم والقراءة والصلوة والحضور «وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ فِي النَّوْمِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْمَصَالِحِ» الدينية والدنياوية «فَمَنْ أَكَلَ بِهَوَاهُ» و بمقتضى طبيعته الحيوانية «أَكَلَ كَثِيرًا وَ شَرِبَ كَثِيرًا فَتَمَّ كَثِيرًا وَ فَاتَهُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ».

وَمَنْ أَكَلَ قَلِيلًا مِنَ الْحَرَامِ كَانَ كَمَنْ أَكَلَ كَثِيرًا مِنَ الْمُبَاحِ بِهَوَاهُ؛ لِأَنَّ الْحَرَامَ يُعْطَى الْإِيمَانَ وَ يُظْلِمُهُ كَالْحُمْرِ يُظْلِمُ الْعُقُولَ وَ يُعْطِيهِ فَإِذَا أَظْلَمَ الْإِيمَانَ فَلَا صَلَوةَ وَ لَا عِبَادَةَ وَ لَا خَلَاصَ.
وَمَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ كَثِيرًا بِالْأَمْرِ كَانَ كَمَنْ أَكَلَ مِنْهُ فِي النَّشَاطِ فِي الْعِبَادَةِ وَ الْقُوَّةِ فَالْحَلَالُ نُورٌ فِي نُورٍ وَ الْحَرَامُ ظِلْمَةٌ فِي ظِلْمَةٍ لَا خَيْرَ فِيهِ فَكُلُّ الْحَلَالِ بِهَوَاهُ كَأَكْلِ الْحَرَامِ فِي الْجُمْلَةِ مُسْتَعْجِلٌ لِلنَّوْمِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ.

«وَمَنْ أَكَلَ قَلِيلًا مِنَ الْحَرَامِ كَانَ كَمَنْ أَكَلَ كَثِيرًا مِنَ الْمُبَاحِ بِهَوَاهُ» في حصول الندم و فوات الخير الكثير، و إنما كان قليل الحرام مثل كثير الحلال في حصول الندم «لِأَنَّ الْحَرَامَ يُعْطَى الْإِيمَانَ وَ يُظْلِمُهُ» للمنافاة بينهما «كَالْحُمْرِ يُظْلِمُ الْعُقُولَ وَ يُعْطِيهِ» لأن العقل يقتضي الشعور والسكر يدفعه فبينهما التنافي فمن غلب منهما سلب الآخر «فَإِذَا أَظْلَمَ الْإِيمَانَ فَلَا صَلَوةَ وَ لَا عِبَادَةَ وَ لَا خَلَاصَ» في الأعمال والأقوال على وجه الكمال؛ لأنها فرع الإيمان الكامل، فإذا صار الأصل مغلوبا صار الفرع مسلوبا.

«وَمَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ كَثِيرًا بِالْأَمْرِ» الإلهي «كَانَ كَمَنْ أَكَلَ مِنْهُ» أي من

الحلال قليلا لا للهوى بل «في النَّشَاطِ» أي لأجل النشاط «في الْعِبَادَةِ» الرباني «و» حصول «الْقُوَّة» الروحاني الطالبة للقوة الأبداني في تحصيل الأعمال، فإن البدن مركب الروح فكلما كان المركب قويا يحصل من الراكب أعمال كثيرة بجولانه في أي مكان يريد، وإن كان المركب ضعيفا لا يمكن من راكمه جولانه في ميادين الطاعة والخدمة، وإن كان عالي الهمة شجاعا باسلا فالظاهر أن كلمة «في» في قوله: «في النشاط» تعليلية كما في قوله عليه الصلوة والسلام: إن امرأة دخلت في النار في هرة حبستها^(١) قالوا: معناه لأجل هرة. فان الأكل الكثير بأمر الإله والقليل من الحلال لأجل النشاط في عبادته كلاهما عبادتان و نافعان «فَالْحَلَالُ» في هذين الصورتين «نُورٌ فِي نُورٍ» وذلك لأن الحلال في نفسه نور ولأجل الغرض الصحيح وهو امتثال الأمر في الصورة الأولى، وتحصيل النشاط في الثانية يكون نورا آخر فهو إذن نور في نور «وَالْحُرَامُ ظُلْمَةٌ فِي ظُلْمَةٍ» وذلك لأن الحرام في نفسه ظلمة واستعماله الموجب لمخالفة النهي الشرعي ظلمة أخرى «لَا خَيْرَ فِيهِ» قليلا كان أو كثيرا.

«فَأَكُلُ الْحَلَالِ بِهَوَا» بغير الأمر الشرعي الظاهري أو الباطني لأهلها «كَأَكُلِ الْحُرَامِ فِي الْجُمْلَةِ» أي يكون أكل الحلال بالهوى مشابها لأكل الحرام لا من جميع الوجوه بل في بعضها وهو حصول الندم وفوات الخير الكثير «مُسْتَجْلِبٌ لِلنُّومِ» أي الغفلة «فَلَا خَيْرَ فِيهِ» أي في أكل الحلال بالهوى بل ينبغي أن يكون أكله لأجل النشاط في العبادة والقوة في أدائها وتحصيلها إن كان من أهل الظاهر ولأجل الامتثال للأمر الإلهي إن كان من أهل الباطن.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، ولفظه: عن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً. ورواه غير واحد من الأئمة.

الْمَقَالَةُ الْخَمْسُونَ

في بيان القُرْبِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْوُصُولِ بِهِ وَالْغَيْبَةِ مِنَ الْقُرْبِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا يَخْلُو أَمْرُكَ مِنْ قِسْمَيْنِ:

إِمَّا أَنْ تَكُونَ غَائِبًا عَنِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاصِلًا إِلَيْهِ، فَإِنْ كُنْتَ غَائِبًا فَمَا قُعودُكَ وَتَوَانِيكَ وَتَكَاهُلُكَ عَنِ الْحُظِّ الْوَافِرِ وَالتَّعْنِيمِ وَالْعِزِّ الدَّائِمِ وَالكِفَايَةِ الْكُبْرَى وَالسَّلَامَةِ وَالْغِنَى وَالِدَّلَالِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ فَقُمْ وَاسْرِعْ فِي الطَّيْرَانِ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَجْنَحَيْكَ. أَحَدُهُمَا: تَرْكُ اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَرَامِ وَالْمُبَاحِ وَالرَّاحَاتِ أَجْمَعِ.

وَالْآخَرُ إِحْتِمَالُ الْأَذَى وَالْمُكَارِهِ وَرُكُوبُ الْعَزِيمَةِ وَالْأَشَدِّ وَالخُرُوجُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَاتِ وَالْمُلَى دُنْيَا وَآخِرَى حَتَّى تَظْفَرَ بِالْوُصُولِ وَالْقُرْبِ فَتَجِدَ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعَ مَا تَتَمَتَّى، وَيَحْصُلُ لَكَ الْكَرَامَةُ وَالْعِزَّةُ الْكُبْرَى.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَا يَخْلُو أَمْرُكَ» وَحَالُكَ وَشَأْنُكَ «مِنْ قِسْمَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ غَائِبًا عَنِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ «أَوْ» تَكُونَ «قَرِيبًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاصِلًا إِلَيْهِ فَإِنْ كُنْتَ غَائِبًا» مِنْ قُرْبِهِ الَّذِي هُوَ الْمَقْصَدُ الْأَقْصَى وَالْمَطْلَبُ الْأَعْلَى «فَمَا قُعودُكَ وَتَوَانِيكَ وَتَكَاهُلُكَ» وَتَكَاسَلُكَ «عَنِ الْحُظِّ الْوَافِرِ وَالتَّعْنِيمِ وَالْعِزِّ الدَّائِمِ» الْمَقِيمِ «و» مَا تَبَاعَدُكَ وَغَفَلَتَكَ عَنِ «الكِفَايَةِ الْكُبْرَى» عَنْ جَمِيعِ مَا تَتَمَنَاهُ «وَالسَّلَامَةِ وَالْغِنَى» عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ «وَالِدَّلَالِ» أَيِ الْإِسْتِغْنَاءِ «فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» يَعْنِي مَا السَّبَبُ فِي قُعُودِكَ عَنْ هَذَا الْمَقْصَدِ، أَيِ لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا الْغَفْلَةُ وَالْمِيلُ إِلَى الدُّنْيَا الدُّنْيَا وَهَذَا لَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ «فَقُمْ» أَيِهَا الطَّالِبُ

«وَأَسْرَعُ فِي الظَّيْرَانِ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ بِجَنَاحَيْكَ أَحَدُهُمَا تَرُكُ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَرَامِ وَالْمُبَاحِ وَالرَّاحَاتِ أَجْمَعِ» غير ما يقتضيه الحاجة البشرية والضرورة الإنسانية «وَالْآخِرُ إِحْتِمَالُ الْأَذَى وَالْمُكَارِهِ وَرُكُوبُ الْعَزِيمَةِ» وترك الرخصة «و» ركوب «الْأَشَدِّ» على النفس «وَالْخُرُوجُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَاتِ وَالْمُنَى دُنْيَا وَ أُخْرَى» فإن طالب المولى لا يميل إلى ما سواه من الدنيا والعقبى «حَتَّى تَظْفَرَ بِالْوُضُولِ» غاية الإسراع إلى هذه الأمور أي اقصد إلى تحصيل هذه الأمور حتى تظفر بالوصول «وَالْقُرْبُ فَتَجِدُ عِنْدَ ذَلِكَ» الظفر بالوصول والقرب «بِجَمِيعِ مَا تَمَنَّى وَ يَحْصُلُ لَكَ الْكَرَامَةُ وَالْعِزَّةُ الْكُبْرَى» في الخلايق كلها إنسانا كان أو جنا، ملكا كان أو ملكوتا، برا كان أو بحرا، دنيا كان أو أخرى.

وَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الْوَاصِلِينَ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْ
أَذْرَكَتْهُمْ الْعِنَايَةُ وَ شَمَلَتْهُمْ الرِّعَايَةُ وَ جَذَبَتْهُمْ الْمُحَبَّةُ وَ نَالَتْهُمْ الرَّحْمَةُ
وَالرَّافَةُ فَأَحْسِنِ الْأَدَبَ وَ لَا تَغْتَرَّ بِمَا أَنْتَ فِيهِ فَتَقْصُرَ فِي الْخِدْمَةِ وَ لَا
تُسَيِّئِ الْخِدْمَةَ وَ لَا تُخِلِّدْ إِلَى الرُّعُونَةِ الْأَصْلِيَّةِ مِنَ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ
وَالْعُجْلَةِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب، رقم
السورة: ٣٣، رقم الآية: ٧٢]

وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الاسراء، رقم
السورة: ١١، رقم الآية: ١٧]

«وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الْوَاصِلِينَ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْ» أي من الجماعة
الكاملين الذين «أَذْرَكَتْهُمْ الْعِنَايَةُ» الإلهية الأزلية «وَ شَمَلَتْهُمْ الرِّعَايَةُ» الربانية
السرمدية «وَ جَذَبَتْهُمْ الْمُحَبَّةُ» الرحمانية السابقة «وَ نَالَتْهُمْ الرَّحْمَةُ» الرحيمية
الشاملة «وَالرَّافَةُ» الرؤفية الكاملة «فَأَحْسِنِ الْأَدَبَ» مع الرب تعالى «وَ لَا تَغْتَرَّ
بِمَا أَنْتَ فِيهِ» من الرتبة العالية والمناصب الغالية «فَتَقْصُرَ فِي الْخِدْمَةِ وَ لَا تُسَيِّئِ

الْحُدْمَةَ» بالاغترار بما حصل لك من المراتب والمناصب «وَلَا تُخْلِدْ» بل لا تُثَلَّ «إِلَى الرَّعُونَةِ الْأَضْلِيَِّّةِ» الجبلية «مِنَ الْجُهْلِ» بعواقب الأمور و بأن ما تحمل على نفسك يمكن حمله منها «وَالظُّلْمِ» على نفسك بحمل ما لا تطيقه «وَالْعُجَلَةِ» في الاختيار لأمر مجهولة العواقب «كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى» عن الصفتين الأولين «فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:»

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ أي التكليف الفرضي ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها فهمًا ونطقًا ﴿فَابْتِئَنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ أي خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ أي آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بتحملة ما يشق عليها ﴿جَهُولًا﴾ بوحامة عاقبته.

و هذا من المعنى ما عليه أكثر السلف كما روي أن الله تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها عقلاً وفهماً و قال لها: إني فرضت فريضة و خلقت جنة لمن أطاعني و ناراً لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحمل فريضة و لا نبغي ثواباً و لا عقاباً و ضججن إلى ثلاثة أيام و قلن لا طاقة لنا بالعمل و لا نريد الثواب.^(١) فعلى هذا المراد بالعرض: العرض الحقيقي، و بالأمانة التكليف الفرضي، و بالإباء الإباء الحقيقي، و بالحمل الحمل الحقيقي.

ثم قالوا: الوصف بالظلم والجھول للجنس باعتبار بعض أفرادہ لا باعتبار الجميع فإن النبين والصديقين والشهداء والصالحين ليسوا كذلك «و» قد أخبر الله تعالى عن صفة العجلة «فِي قَوْلِهِ تَعَالَى» ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾.

يسارع إلى ما لا يعلم خيريته و لكن الله صبور لطيف رؤف رحيم لا يجيب جميع مسأله لطفاً و كرمًا فكن أنت مراقباً لأحوالك و أعمالك.

وَاحْفَظْ قَلْبَكَ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا قَدْ تَرَكْتَهُ مِنَ الْخَلْقِ
وَالْهَوَى وَالْإِرَادَةِ وَالتَّخْيِيرِ وَالتَّذْيِيرِ وَتَرْكِ الصَّبْرِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالرِّضَا

(١) انظر تفسير البيضاوي في سورة الأحزاب تحت الآية: ٧٢.

عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ بَلِ اسْتَطْرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ كَالْكُرَةِ بَيْنَ يَدَيِ
الْفَارِسِ يُقَلِّبُهَا بِصَوْلِحَانِهِ، وَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ، وَالطِّفْلِ
الرَّضِيعِ فِي حَجَرِ أُمِّهِ وَظَنِّهِ وَتَعَامٍ عَمَّنْ سِوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا تَرَى
لِغَيْرِهِ وَجُودًا وَلَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا عَطَاءً وَلَا مَنَعًا وَاجْعَلِ الْخَلِيقَةَ
وَالْأَسْبَابَ عِنْدَ الْأَذِيَّةِ وَالْبَلِيَّةِ كَسَوَاطِئِهِ عَزَّ وَجَلَّ يَضْرِبُكَ بِهِ وَعِنْدَ
النِّعْمَةِ وَالْعَطِيَّةِ كَيْدِهِ يُلْقِمُكَ بِهَا.

«وَاحْفَظْ قَلْبَكَ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا قَدْ تَرَكْتَهُ مِنَ الْخُلُقِ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَةِ»
لشيء «وَالْتَّخَيَّرِ وَالتَّدَبَّرِ» في شيء «وَتَرُكِ الصَّبْرَ» على المحن والشدائد
«وَالْمُؤَافَقَةَ وَالرِّضَا» لفعل الخالق «عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ بَلِ اسْتَطْرَحَ» وَالْقِيَامَ نَفْسَكَ
«بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ كَالْكُرَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْفَارِسِ يُقَلِّبُهَا بِصَوْلِحَانِهِ، وَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ
الْغَاسِلِ، وَالطِّفْلِ الرَّضِيعِ فِي حَجَرِ أُمِّهِ وَظَنِّهِ» لا يوجد شيء منها إلا التسليم
والانقياد للمتصرف فيها «وَتَعَامٍ» من العمى «عَمَّنْ سِوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا تَرَى
لِغَيْرِهِ وَجُودًا وَلَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا عَطَاءً وَلَا مَنَعًا» بل خص كل ذلك بالله تعالى
فإنه الموجود و سائر الموجودات ظل وجوده تعالى «وَاجْعَلِ الْخَلِيقَةَ» أي
المخلوقات كلها «وَالْأَسْبَابَ» بأسرها «عِنْدَ الْأَذِيَّةِ وَالْبَلِيَّةِ» اللاحقة بك والنازلة
عليك من جانب الله بهذه الوسيلة «كَسَوَاطِئِهِ عَزَّ وَجَلَّ يَضْرِبُكَ بِهِ» لتأديبك ودفع
الغفلة عن بصيرتك «و» كذا اجعل الخليفة والأسباب «عِنْدَ» وصول «النِّعْمَةِ
وَالْعَطِيَّةِ» من الله تعالى بهذه الوسائل «كَيْدِهِ» تعالى «يُلْقِمُكَ» أي يعطيك لقمة و
يدخلها في فمك «بِهَا» أي بالخليقة والأسباب فعظم يده و سوطه فتعظيم الخلق
أثر تعظيم الله تعالى كما أن وجودهم ظل وجوده و صفا تهم أثار صفاته فلا مؤثر إلا
الله ولا موجود إلا الله.

الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالْخَمْسُونَ

في بيان الزَّاهِدِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ لَهُ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الزَّاهِدُ يُثَابُ بِسَبَبِ الْأَقْسَامِ مَرَّتَيْنِ
يُثَابُ فِي تَرْكِهَا أَوْ لَا فَلَا يَأْخُذُهَا بِهَوَاهُ وَ مُوَافَقَةُ النَّفْسِ، بَلْ يَمْجَرِدُ
الْأَمْرَ يَأْخُذُهَا فَإِذَا تَحَقَّقَتْ عِدَاوَتُهُ لِنَفْسِهِ وَ مُخَالَفَتُهُ لِهَوَاهُ وَ عُدَّ مِنْ
الْمُحَقِّقِينَ وَ أَهْلِ الْوِلَايَةِ وَ أُذْخِلَ فِي رُؤْمَةِ الْأَبْدَالِ وَ الْعَارِفِينَ أَمْرَ ح
بِتَنَاوُلِهَا وَ التَّلَاسُّ بِهَا، إِذْ هِيَ قِسْمَةٌ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِهِ، وَ
جَفَّتْ بِهَا الْقَلَمُ وَ سَبَقَ بِهَا الْعِلْمُ الْأَزَلِيُّ فَإِذَا اِمْتَكَلَ الْأَمْرَ فَتَنَاوَلَهَا
أَوْ اطَّلَعَ بِالْعِلْمِ فَتَلَكَّسَ بِهَا بِجُزْأَيْنِ الْقَدْرِ وَ الْفِعْلِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَكُونَ هُوَ فِيهِ لَا هَوَى وَ لَا إِرَادَةَ وَ لَا هِمَّةَ أُثِيبَ بِذَلِكَ ثَابِتًا إِذْ هُوَ
مُمْتَلِكٌ لِلْأَمْرِ أَوْ مُوَافِقٌ لِفِعْلِ الْحَقِّ فِيهِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الزَّاهِدُ» وَ هُوَ الَّذِي يَتْرَكُ الْحُظُوظَ النَفْسَانِيَّةَ الَّتِي
يَمِيلُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ الطَّبْعُ طَلِبًا لِرَضَى اللَّهِ تَعَالَى وَ إِعْرَاضًا عَنِ الدُّنْيَا
«يُثَابُ» مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى «بِسَبَبِ الْأَقْسَامِ» جَمْعُ قِسْمٍ وَ هُوَ الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي سَابِقَةِ عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ «مَرَّتَيْنِ» مَرَّةً «يُثَابُ فِي تَرْكِهَا أَوْ لَا» لَا بِمَعْنَى عَدَمِ الْمُبَاشَرَةِ
أَصْلًا وَ رَأْسًا بَلْ بِالمَعْنَى الْمَذْكُورِ بِقَوْلِهِ «فَلَا يَأْخُذُهَا» أَيِ الزَّاهِدِ تِلْكَ الْأَقْسَامِ
«بِهَوَاهُ وَ مُوَافَقَةِ النَّفْسِ» الطَّالِبَةِ لَهَا مِنْ حَيْثُ طَبَعَهَا «بَلْ يَمْجَرِدُ الْأَمْرَ» إِلَهِي
«يَأْخُذُهَا فَإِذَا تَحَقَّقَتْ عِدَاوَتُهُ لِنَفْسِهِ» بَتَرَكَ مُشْتَهَاتِهَا «وَ مُخَالَفَتُهُ لِهَوَاهُ» بِالْبَعْدِ
عَنِ مَقْتَضِيَّاتِهَا «وَ عُدَّ» ذَلِكَ الزَّاهِدُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِسَبَبِ تِلْكَ الْعِدَاوَةِ «مِنْ
الْمُحَقِّقِينَ وَ أَهْلِ الْوِلَايَةِ» مِنَ الْكَامِلِينَ «وَ أُذْخِلَ» ذَلِكَ الزَّاهِدُ «فِي رُؤْمَةِ
الْأَبْدَالِ» الَّذِينَ هُمْ الْكَامِلُونَ مِنَ الرِّجَالِ «وَ الْعَارِفِينَ» لَهُ تَعَالَى الْفَانِينَ فِيهِ وَ الْبَاقِينَ

به تعالى «أَمَرَ» جواب الشرط «حِينَئِذٍ» أي حين حصل ما ذكرنا أمرا باطنيا «بِتَنَاوُلِهَا» أي الأقسام التي تركها الزاهد بميلان النفس و اشتهاه الهوى «وَالْتَلَبَّسَ بِهَا» وإنما أمر بتناولها والتلبس بها «إِذْ هِيَ» أي تلك الأقسام «قِسْمَةٌ» أزلية في خلقه من جانب الله تعالى «لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا» أي من تناولها «لَمْ تُخْلَقْ» تلك الأقسام «لِغَيْرِهِ» أي لغير ذلك الزاهد «وَجَفَّ بِهَا» أي بتناولها «الْقَلَمُ» التقديري «وَسَبَقَ بِهَا الْعِلْمُ الْأَزَلِيُّ» فتكون واجبة الحصول «فَإِذَا امْتَثَلَ» أي أراد امتثال «الْأَمْرِ» الإلهي «فَتَنَاوَلَهَا» بملاحظة امتثال الأمر الإلهي «أَوِاطَّلَعَ بِالْعِلْمِ» من جانب الله تعالى بالكشف لا بالأمر أنها واجبة التلبس «فَتَلَبَّسَ بِهَا بِ» ملاحظة «جِرْيَانِ الْقَدْرِ» أي التقدير الأزلي بتناولها والتلبس بها فلا جرم أن يتحقق ذلك «و» بملاحظة جريان «الْفِعْلِ مِنْهُ» تعالى «مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُوَ» أي ذلك الزاهد نفسه «فِيهِ» أي في الأخذ والتناول «لَا هَوَى وَلَا إِرَادَةً وَلَا هِمَّةً» بل بملاحظة امتثال الأمر الإلهي، وبملاحظة جريان القدر بذلك، وملاحظة الفعل من الله تعالى «أُثِيبَ» جواب قوله: «فَإِذَا امْتَثَلَ» أي فإذا تناول الزاهد تلك الأقسام بملاحظة امتثال الأمر و جريان القدر بذلك أُثِيبَ ذلك الزاهد «بِذَلِكَ» التناول والأخذ «ثَانِيًا» من جانب الله تعالى «إِذْ هُوَ» أي ذلك الزاهد «مُتَمَثِّلٌ لِلْأَمْرِ» الإلهي بذلك التناول والأخذ إن كان التناول والأخذ بسبب الأمر الإلهي «أَوْ مُوَافِقٌ لِفِعْلِ الْحَقِّ فِيهِ» أي في ذلك التناول والأخذ إن كان التناول والأخذ بالاطلاع على سر القدر و جريان القلم و ثبوت العلم الأزلي بذلك التناول لا بالأمر الإلهي فالتقابل بين الصورتين ظاهر.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ أَطْلَقْتَ الْقَوْلَ بِالنَّوَابِ لِمَنْ هُوَ فِي الْمَقَامِ الْأَكْبَرِ
الَّذِي ذَكَرْتَهُ مَنْ أَنَّهُ أَدْخَلَ فِي رُومَةِ الْأَبْدَالِ وَالْعَارِفِينَ الْمَقْبُولِ مِنْهُمْ
الْقَائِنِينَ عَنِ الْخَلْقِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَهْوِيَّةِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْحُظُوظِ وَالْأَمَانِي
وَالْأَعْوَاضِ عَلَى الْأَعْمَالِ الَّذِينَ يَرَوْنَ بِجَمِيعِ طَاعَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ فِعْلًا

مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَرَحْمَةً وَتَوْفِيقًا وَتَيْسِيرًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَعْتَقِدُونَ أَنََّّهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى مَوْلَاهُ حَقًّا إِذْ هُوَ بِرَقَبَتِهِ مَعَ حَرَكَاتِهِ وَ سَكَنَاتِهِ وَ اِكْتِسَابِهِ مِلْكًا لِمَوْلَاهُ فَكَيْفَ يُقَالُ فِي حَقِّهِ أَنَّهُ يُثَابُ وَ هُوَ أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ ثَوَابًا وَ لَا عَوَضًا عَلَى فِعْلِهِ وَ لَا يَرَى لَهُ عَمَلًا بَلْ يَرَى نَفْسَهُ مِنَ الْبَطَالَيْنِ وَ أَفْلَسِ الْمُفْلِسَيْنِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

«فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ أَطْلَقْتَ الْقَوْلَ بِالثَّوَابِ» الَّذِي هُوَ اسْمُ جِزَاءِ الْعَمَلِ «لِمَنْ هُوَ فِي الْمَقَامِ الْأَكْبَرِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ» أَوْ لَا «مَنْ أَنَّهُ» أَيِ ذَلِكَ الزَّاهِدِ «أَدْخَلَ فِي زُمْرَةِ الْأَبْدَالِ وَالْعَارِفِينَ» وَ هُمْ لَا يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ لِلْجِزَاءِ «الْمَقْبُولُ مِنْهُمْ» عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ أَدْخَلَ أَيِ أَنَّهُ الْمَقْبُولُ مِنْهُمْ أَيِ الَّذِي قَبْلَ مِنْ جَمْعَةِ الْأَبْدَالِ وَالْعَارِفِينَ «الْفَانِينَ عَنِ الْخُلُقِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْحُطُوظِ وَالْأَمَانِيِّ وَالْأَعْوَاضِ عَلَى الْأَعْمَالِ» فَقَوْلُهُ: «الْفَانِينَ» إِمَّا صِفَةً لِلْعَارِفِينَ وَقَوْلُهُ «الْمَقْبُولُ مِنْهُمْ» جَمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ جِيئَ لِمَدْحِ الزَّاهِدِ الَّذِي أَدْخَلَ فِي زَمْرَتِهِمْ أَوْ بَدَلَ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «مِنْهُمْ». فَإِنْ هُوَ لَاءُ الْعُرَفَاءِ لَا يَرُونَ الْعَمَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ لَا يَطْلُبُونَ الْجِزَاءَ عَلَيْهِ بَلْ هُمْ «الَّذِينَ يَرَوْنَ بِجَمِيعِ طَاعَاتِهِمْ وَ عِبَادَاتِهِمْ فِعْلًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَ نِعْمَةً وَ رَحْمَةً وَ تَوْفِيقًا وَ تَيْسِيرًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ يَعْتَقِدُونَ أَنََّّهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى مَوْلَاهُ» الْمَوْجِدُ «حَقًّا إِذْ هُوَ» أَيِ الْعَبْدِ «بِرَقَبَتِهِ» أَيِ بَكَلِيَّتِهِ «مَعَ حَرَكَاتِهِ وَ سَكَنَاتِهِ وَ اِكْتِسَابِهِ» أَيِ مَكْتَسِبَاتِهِ «مِلْكًا لِمَوْلَاهُ» فَإِذَا لَمْ يَتَصَوَّرِ الْجِزَاءَ فِي حَقِّهِ «فَكَيْفَ يُقَالُ فِي حَقِّهِ» أَيِ فِي حَقِّ هَذَا الزَّاهِدِ «أَنَّهُ يُثَابُ وَ هُوَ» أَيِ وَالْحَالِ «أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ ثَوَابًا وَ لَا عَوَضًا عَلَى فِعْلِهِ وَ لَا يَرَى لَهُ عَمَلًا» أَيِ لَا يَرَى أَنَّ الْعَمَلَ صَدَرَ مِنْهُ عَلَى اسْتِقْلَالِهِ «بَلْ يَرَى نَفْسَهُ مِنَ الْبَطَالَيْنِ» الَّذِينَ لَمْ يَعْمَلُوا الْخَيْرَ قَطُّ «وَ» يَرَى نَفْسَهُ مِنَ «أَفْلَسِ الْمُفْلِسَيْنِ مِنَ الْأَعْمَالِ» لِأَنَّهُ تَحَقَّقَ عِنْدَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا أَوْجَدَ نَفْسَهُ أَوْجَدَ أَعْمَالَهُ فَلَيْسَ نَفْسُهُ مِنْهُ وَ لَا عَمَلُهُ مِنْهُ.

قِيلَ: صَدَقْتَ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ يُوَاصِلُهُ وَيُدَلِّلُهُ
بِنِعْمِهِ وَيُرَبِّيهِ بِلُطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَبِرِّهِ وَكَرَمِهِ إِذْ كَفَتْ يَدُهُ عَنْ
مَصَالِحِ نَفْسِهِ وَطَلَبِ الْحُظُوظِ لَهَا فَهُوَ كَالطِّفْلِ الرَّضِيعِ الَّذِي لَا
حَرَكَ بِهِ فِي مَصَالِحِ نَفْسِهِ وَهُوَ مُدَلَّلٌ بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرِزْقِهِ
الدَّارِ عَلَى يَدَيِ وَالِدَيْهِ الْوَكِيلَيْنِ الْكَفِيلَيْنِ، فَلَمَّا سَلَبَ عَنْهُ مَصَالِحِ
نَفْسِهِ عَطَفَ قُلُوبَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ وَأَوْجَدَ رَحْمَةً وَشَفَقَةً لَهُ فِي الْقُلُوبِ
حَتَّى كُلُّ أَحَدٍ يَرْحَمُهُ وَيَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ وَيَبْرُهُ فَهَكَذَا الْكُلُّ فَإِنْ عَمَّا سِوَى
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُجْرِكُهُ غَيْرُ أَمْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ غَيْرِ فِعْلِهِ مُوَاصِلُ
بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دُنْيَا وَآخِرَى مُدَلَّلٌ فِيهِمَا مَذْفُوعٌ عَنْهُ الْأَذَى
مُتَوَلَّى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

[الأعراف، رقم السورة: ٧، رقم الآية: ١٩٦]

«قِيلَ» للسائل في جوابه الأمر كما ذكرت وإنك «صَدَقْتَ» فيما قلت «غَيْرَ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ يُوَاصِلُهُ وَيُدَلِّلُهُ بِنِعْمِهِ وَيُرَبِّيهِ بِلُطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَبِرِّهِ وَكَرَمِهِ إِذْ كَفَتْ يَدُهُ عَنْ مَصَالِحِ نَفْسِهِ» بارتفاع نظر بصيرته عن رؤية نفسه في البين
«وَ طَلَبِ الْحُظُوظِ لَهَا» أي للنفس سواء كانت من الحظوظ الفانية أو الباقية
الْمُدَّخَرَةِ فَإِنَّ أَهْلَ اللَّهِ لَا يَرِيدُونَ شَيْئًا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «فَهُوَ» أي ذلك الزاهد
بالنسبة إلى أفعال الله تعالى «كَالطِّفْلِ الرَّضِيعِ الَّذِي لَا حَرَكَ بِهِ» أي لا حركة له
«فِي مَصَالِحِ نَفْسِهِ» لعدم علمه بنفسه و بمصالح نفسه «وَ هُوَ» أي ذلك الطفل
«مُدَلَّلٌ بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ بِرِزْقِهِ الدَّارِ» أي المفاض من دَرِّ اللبن إذا كثر «عَلَى
يَدَيِ وَالِدَيْهِ» أي بواسطتهما «الْوَكِيلَيْنِ الْكَفِيلَيْنِ» بتربيته من جانب الله تعالى
«فَلَمَّا سَلَبَ عَنْهُ» أي عن الطفل «مَصَالِحِ نَفْسِهِ عَطَفَ» أي مال قُلُوبَ الْخَلْقِ
عَلَيْهِ وَأَوْجَدَ رَحْمَةً وَ شَفَقَةً لَهُ» أي لذلك الطفل «فِي الْقُلُوبِ حَتَّى كُلُّ أَحَدٍ» يَرَاهُ

أو يسمع ذكره «يُزَحِّمُهُ وَيَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ وَيَبْرُهُ» أي يُحْسِنُهُ «فَهَكَذَا» أي مثل ما فعل الله تعالى بهذا الطفل الَّذِي لَا يَعْرِفُ النَّفْسَ وَلَا مَصَالِحَ النَّفْسِ فَعَلَّ «الْكُلُّ فَإِنْ عَمَّاسَوْىَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» الَّذِي «لَا يُجْرِكُهُ غَيْرُ أَمْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ» غير «فِعْلِهِ» جَلَّ وَ عَلَا «مُوَاصَلٌ» بصيغة المفعول «بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دُنْيَا وَأُخْرَى مُدَلِّلٌ» أي مُرَبِّىً بِالْتَعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ «فِيهِمَا» أي الدنيا والآخرة «مَذْفُوعٌ عَنْهُ الْأَذَى» هذا التركيب من الصفة الجارية على غير من هي له فَإِنْ قَوْلُهُ مَذْفُوعٌ وَقَعَ فِي اللَّفْظِ صِفَةٌ لِكُلِّ فَإِنْ وَ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ وَ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلْأَذَى «مُتَوَلَّى» بلطف الله تعالى أي تَوَلَّاهُ لَطْفُهُ كَمَا صَرَحَ بِهِ فِي كَلَامِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ» أي الله تعالى «يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ».

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْخَمْسُونَ

فِي بَيَانِ سَبَبِ إِبْتِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَحْبَابِهِ بِالْبَلَايَا

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّمَا يَبْتَلِي اللَّهُ طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَحْبَابِ مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ وَالْمَعْرِفَةِ لِيَرُدَّهُمْ بِالْبَلَاءِ إِلَى السُّؤَالِ فَيُجِبُ سُؤَالَهُمْ فَإِذَا سَأَلُوا يُجِبُ إِيَّابَهُمْ لِيُعْطِيَ الْكَرَمَ وَالْجُودَ حَقَّهُمَا، لِأَنَّهُمَا يُطَالِبَانِهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ سُؤَالِ الْمُؤْمِنِ بِالْإِجَابَةِ، وَقَدْ يَخْصُلُ الْإِجَابَةُ وَلَمْ يَخْصُلِ التَّقْدُّ وَالتَّقَادُّ لِتَغْوِيْقِ الْقَدْرِ لَا عَلَى وَجْهِ عَدَمِ الْإِجَابَةِ وَالْحِزْمَانِ، فَلْيَتَأَذَّبِ الْعَبْدُ الْمُبْتَلَى عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ وَلِيُفْتِشْ عَنْ ذُنُوبِهِ فِي تَزَكِّي الْأَوَامِرِ وَازْتِكَابِ الْمُنَاهِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَ الْمُنَازَعَةِ فِي الْقَدْرِ إِذَا الْغَالِبُ عَلَيْهِ إِنَّمَا يَبْتَلِي لِذَلِكَ مُقَابَلَةً فَإِنْ انْكَشَفَ الْبَلَاءُ وَإِلَّا فَلْيُخْلِدْ إِلَى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْإِعْتِدَارِ فَيَدِينُ بِالسُّؤَالِ لِحَوَازِ أَنْ يَكُونَ إِبْتِلَاءُهُ لِيَسْأَلَهُ لَا يَتَّهِمُهُ لِتَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ كَمَا بَيَّنَّا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: وَ إِنَّمَا يَبْتَلِي اللَّهُ» تعالى «طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَحْبَابِ مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ وَالْمَعْرِفَةِ» والتوكل والتسليم الذين اكتفوا بعلمه عن سؤاله «لِيَرُدَّهُمْ بِالْبَلَاءِ إِلَى السُّؤَالِ» في كشف ذلك البلاء من الله تعالى «فَيُجِبُ سُؤَالَهُمْ» فيضطرهم في البلاء حتى يسألوا «فَإِذَا سَأَلُوا» الله تعالى حاجتهم «يُجِبُ» الله تعالى «إِجَابَتَهُمْ» لحاجتهم «لِيُعْطِيَ» الله تعالى «الْكَرَمَ وَالْجُودَ» الذين هما من صفاته «حَقَّهُمَا» فإن كل صفة الكمال في الله تعالى يقتضي ظهورها إذ لا يصح عليها التعطيل «لِأَنَّهُمَا» أي الكرم والجود «يُطَالِبَانِهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ سُؤَالِ الْمُؤْمِنِ» مطالبة ذاتية «بِالْإِجَابَةِ» وقضاء الحاجة وإنجاح المطلوب وإعطاء

المرغوب «وَقَدْ يَحْصُلُ الْإِجَابَةُ وَلَمْ يَحْصُلِ النَّقْدُ وَالتَّقَادُّ» كلاهما مصدران بمعنى المفعول أي حصل الإجابة من جانب الله تعالى ولم يحصل المسئول «لِتَعْوِيقِ الْقَدْرِ» أي منعها عن حصول المطلوب فورا فإن الله تعالى جعل لكل شيء أجلا لا يمكن تغييرها و تبديلها تقدما و تأخيرا «لَا عَلَى وَجْهِ عَدَمِ الْإِجَابَةِ وَالْحُزْمَانِ» والصد عن السؤال «فَلْيَتَأَدَّبِ الْعَبْدُ الْمُبْتَلَى عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ وَ لِيُفْتِشَ» أيها المبتلى «عَنْ ذُنُوبِهِ» الصادرة منك «فِي تَرْكِ الْأَوْامِرِ وَارْتِكَابِ الْمَنَاهِي» الشرعية «مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَ» عن ذنوبه تعالى في «الْمُنَازَعَةِ فِي الْقَدْرِ إِذَا الْغَالِبُ» الأكثر «عَلَيْهِ» أي على العبد أنه «إِنَّمَا يُبْتَلَى لِذَلِكَ» أي لأجل ترك الأوامر و ارتكاب المناهي أو المنازعة في القدر «مُقَابَلَةً» أي جزاء لأعماله السوء «فَإِنْ انْكَشَفَ الْبَلَاءُ» من ذلك العبد المبتلى فهو المطلوب والمراد «وَالْأَلَا» أي وإن لم ينكشف «فَلْيُخْلِدْ» أي فليستمر «إِلَى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْإِغْتِدَارِ» عما سلف من الذنوب «فَيَدِيمُ بِالسُّؤَالِ» من الله تعالى في كشف ما به من الضر والابتلاء «لِحَوَازِ أَنْ يَكُونَ ابْتِلَاءُهُ لِيَسْأَلَهُ» فإن الله تعالى يؤخر حوائج كثيرة من عباده لأجل أنه تعالى يحب سؤاله و يعجبه تضرعه، به نطق الحديث «لَا يَتَّهِمُهُ» أي الرب تعالى «لِتَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ» و عدم انجاحها في الحال، فإنه تعالى ما أخر قضاء حاجته لعدم الإجابة والقبول بل إما لأجل تعويق القدر و عدم حصول وقته و إما لأن الله تعالى يحب سؤاله «كَمَا بَيَّنَّا».

الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الرِّضَا بِالْقَضَا وَالْفَنَاءِ فِي فِعْلِ الْمَوْلَى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَطْلُبُوا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ أَوْ الْفَنَاءِ فِي فِعْلِ الْمَوْلَى؛ لِأَنَّهُ هُوَ الرَّاحَةُ الْكُبْرَى وَهُوَ الْجَنَّةُ الْعَالِيَةُ الْمُتَفَرِّدَةُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ عَلَّةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ لَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ فِيهِ اللُّحُوقُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْوُضُوءُ إِلَيْهِ وَالْأُنْسُ بِهِ، وَلَا تَشْتَغِلُوا بِطَلَبِ الْحُظُوظِ وَأَقْسَامِ لَمْ تُقَسِّمْ أَوْ قُسِّمَتْ، فَإِنْ كَانَتْ لَمْ تُقَسِّمْ فَالِإِشْتِغَالُ بِطَلَبِهَا مُحَقٌّ وَ رُغْوَةٌ وَ جَهْلٌ وَ هُوَ أَشَدُّ الْعُقُوبَاتِ كَمَا قِيلَ: مِنْ أَشَدِّ الْعُقُوبَاتِ طَلَبُ مَا لَمْ يُقَسِّمْ، وَإِنْ كَانَتْ مَقْسُومَةً فَفِي الْإِشْتِغَالِ بِهَا شَرٌّ وَ حِرْصٌ وَ شِرْكٌ فِي بَابِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ الْإِشْتِغَالَ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شِرْكٌ، وَ طَالِبُ الْحُظِّ لَيْسَ بِصَادِقٍ فِي مَحَبَّتِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَ لِأَنَّهُمْ فَمَنْ اخْتَارَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرَهُ فَهُوَ كَذَّابٌ وَ طَالِبُ الْعَوَاضِ عَلَى عَمَلِهِ غَيْرُ مُخْلِصٍ، وَ إِنَّمَا الْمُخْلِصُ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِيُعْطَى الرُّبُوبِيَّةَ حَقَّهَا لِلْمَالِكِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الْحَقَّ عَزَّ وَجَلَّ يَمْلِكُكَ وَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْعَمَلَ وَالطَّاعَةَ لَهُ إِذْ جَمِيعُهُ لَهُ بِحَرَكَاتِهِ وَ سَكَنَاتِهِ وَ سَائِرِ اكْتِسَابِهِ وَالْعَبْدُ وَ مَا مَلَكَ لِمَوْلَاهُ وَ قَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الْعِبَادَاتِ بِأَسْرَها نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَ فَضْلٌ مِنْهُ إِذْ وَفَّقَهُ لَهَا وَ أَقْدَرَهُ عَلَيْهَا فَاشْتَغَالُهُ بِالشُّكْرِ لِرَبِّهِ خَيْرٌ وَ أَوْلَى مِنْ طَلَبِهِ مِنْهُ الْأَعْوَاضِ وَالْجَزَاءِ عَلَيْهَا

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَطْلُبُوا» أَيُّهَا الطَّلَابُ «مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرِّضَا

بِالْقَضَاءِ» إِنْ كُنْتُمْ فِي بَدَاءِ السُّلُوكِ فَإِنَّ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَاجِبٌ فِي الشَّرِيعَةِ
«أَوْ» اطْلُبُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى «الْفَنَاءَ فِي فِعْلِ الْمَوْلَى» إِنْ كُنْتُمْ فِي وَسْطِ السُّلُوكِ وَلَمْ
يَذْكُرْ حَالِ النِّهَايَةِ، لِأَنَّ تَمَامَ السُّلُوكِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بَعْدَ الْفَنَاءِ ذَاتًا وَصِفَةً وَحِينَئِذٍ فَلَا
طَلِبَ هُنَاكَ، وَكَلِمَةُ أَوْ لَمَنْعُ الْخَلْوِ فَالْمَعْنَى: لَا يَكُونُ طَلِبُكُمْ أَيُّهَا الطُّلَّابُ خَالِيًا مِنْ
هَذَيْنِ الْأُمُورَيْنِ وَ أَمَّا الْجَمْعُ فَلَا مَنَعَ مِنْهُ. وَ إِنَّمَا أَمَرُوا بِطَلْبِ هَذَيْنِ الْأُمُورَيْنِ أَوْ
الْأَخِيرِ «لِأَنَّهُ» أَيُّ طَلِبَهُمَا أَوْ طَلِبَ الْآخِرِ «هُوَ الرَّاحَةُ الْكُبْرَى وَهُوَ الْجَنَّةُ الْعَالِيَةُ
الْمُنْفَرَدَةُ» عَنْ سَائِرِ الْجَنَّاتِ الْحَاصِلَةِ «فِي الدُّنْيَا وَهُوَ عِلَّةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبْدِهِ
الْمُؤْمِنِينَ» وَ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى «فَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الدُّنْيَا»
لَا بِمَعْنَى لَا يُوَصِّلُهُ الْمَحَنَ وَالشَّدَائِدَ إِذْ هِيَ مَوْكَلَةٌ بِهِمْ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْحَدِيثُ بَلْ بِمَعْنَى تَأَلَّمَ
الْقَلْبُ بِحَيْثُ يَشْتَكِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْعَذَابَ هُوَ الْعَذَابُ وَ أَمَّا تَأَلَّمَ
الْجَسَدَ فَهُوَ وَاقِعٌ كَثِيرٌ بَلْ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْمَحَبَّةِ فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْمَحَنَةَ تَوَاقُفَانِ «وَلَا فِي
الْآخِرَةِ» هُوَ بِمَعْنَى الْعَمُومِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعَذِّبُ مَنْ أَحَبَّهُ فِي الْآخِرَةِ بِشَيْءٍ مِنَ
الْعَذَابِ لَا قَلْبِيًّا وَلَا قَالِبِيًّا، وَكَيْفَ لَا يُؤْمَرُ الطُّلَّابُ بِطَلْبِ الْفَنَاءِ فَإِنَّ «فِيهِ» أَيُّ فِي
الْفَنَاءِ فِي فِعْلِ الْمَوْلَى «اللُّحُوقُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» بِمَعْنَى قُرْبِهِ وَ حُضُورِهِ بِالْقَلْبِ
«وَالْوُضُوءُ إِلَيْهِ وَالْأُنْسُ بِهِ» بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ غَيْرِهِ مُطْلَقًا «وَلَا تَشْتَغِلُوا» أَيُّهَا
الطُّلَّابُ «بِطَلْبِ الْخُطُوطِ» النَّفْسَانِيَةِ «وَلَا بِطَلْبِ» أَقْسَامِ لَمْ تُقَسِّمْ «لَكُمْ فِي
سَابِقَةِ عِلْمِ اللَّهِ «أَوْ» لَا يَطْلُبُ أَقْسَامَ «قُسِمَتْ» لَكُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى «فَإِنْ
كَانَتْ» الْأَقْسَامُ الَّتِي طَلَبْتُمْ مِنْ أَقْسَامِ «لَمْ تُقَسِّمْ فَالْإِشْتِغَالُ بِطَلْبِهَا حَقٌّ وَرُغْوَةٌ»
كِلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ «وَجَهْلٌ» لِأَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ فِي الْوُجُودِ إِلَّا مَا سَبَقَ فِي الْعِلْمِ
وُجُودُهُ «وَهُوَ أَشَدُّ الْعُقُوبَاتِ كَمَا قِيلَ: مِنْ أَشَدِّ الْعُقُوبَاتِ طَلَبُ مَا لَمْ يُقَسِّمْ» فِي
عِلْمِ اللَّهِ لِلطَّالِبِ «وَإِنْ كَانَتْ» الْأَقْسَامُ الَّتِي طَلَبْتُمُوهَا «مَقْسُومَةً» لَكُمْ فِي عِلْمِ
اللَّهِ تَعَالَى «فَنِي الْإِشْتِغَالِ بِهَا شَرٌّ وَ حِرْصٌ» كِلَاهُمَا بِمَعْنَى «وَشِرْكٌ فِي بَابِ
الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْحَقِيقَةِ» لِأَنَّ حَقَّ جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ يَقْتَضِي التَّسْلِيمَ وَ عَدَمَ
التَّوَجُّهِ إِلَى الْغَيْرِ «لِأَنَّ الْإِشْتِغَالَ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شِرْكٌ وَ طَالِبُ الْخَطِّ لَيْسَ

بِصَادِقٍ فِي مُحَبَّتِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَوَلَايَتِهِ» معه «فَمَنْ اخْتَارَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرَهُ» أي غير كان والدا كان أو زوجة أو دنيا أو غير ذلك حتى النفس والهوى «فَهُوَ كَذَّابٌ» في دعوى المحبة والإخلاص «وَ طَالِبُ الْعَوَاضِ عَلَى عَمَلِهِ غَيْرُ مُخْلِصٍ وَإِنَّمَا الْمُخْلِصُ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِيُعْطَى الرُّبُوبِيَّةُ» الثابتة له تعالى «حَقَّهَا» وحق العبودية الثابتة للعبد المخلص تَعْبُدُهُ عَزَّ وَجَلَّ «لِلْمِلِكِيَّةِ» الثابتة له عليك «وَالْحَقِيقَةُ» الثابتة له عليك «لِأَنَّ الْحَقَّ عَزَّ وَجَلَّ يَمْلِكُهُ» أي العابد خلقا وملكا «وَيَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْعَمَلَ وَالطَّاعَةَ لَهُ إِذْ جَمِيعُهُ» أي جميع العابد بوجود ذاته وقواه «لَهُ» تعالى «بِحَرَكَاتِهِ وَسَكَتَاتِهِ وَسَائِرِ اكْتِسَابِهِ» وكيف لا يكون له ذلك «وَالْعَبْدُ وَمَا مَلَكَ» العبد «لِمَوْلَاهُ» وكيف لا يكون كذلك «وَقَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ» يعني مواضع متعددة متكررة «إِنَّ الْعِبَادَاتِ بِأَسْرَهَا نِعْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى» على عبده حاصلة بتوفيقه «وَفَضْلٌ مِنْهُ» تعالى على عبده «إِذْ وَفَّقَهُ لَهَا وَاقْدَرَهُ عَلَيْهَا فَاشْتَغَلَّ» أي العبد «بِالشُّكْرِ لِرَبِّهِ خَيْرٌ وَأَوْلَى» للعبد «مِنْ طَلَبِهِ» أي العبد «مِنْهُ» أي الرب «عَزَّ وَجَلَّ الْأَعْوَاضَ» جمع عوض «وَالْجَزَاءَ عَلَيْهَا» أي الأعمال والعبادات، فإنَّ العبد بذلك الطلب يكون أجيرا فيفوته الإخلاص.

ثُمَّ كَيْفَ تَشْتَغِلُ بِطَلَبِ الْحُظُوظِ وَقَدْ تَرَى خَلْقًا كَثِيرًا كُلَّمَا كَثُرَتِ الْحُظُوظُ عِنْدَهُمْ وَتَوَاتَرَتْ وَتَتَابَعَتِ اللَّذَائِكُ وَالنِّعَمُ وَالْأَقْسَامُ إِلَيْهِمْ زَادَ سَخَطُهُمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَتَضَجُّرُهُمْ وَكُفْرُهُمْ بِالنِّعَمِ وَكَثُرَتْ هُمُومُهُمْ وَغُمُومُهُمْ وَفَقْرُهُمْ إِلَى أَقْسَامٍ لَمْ تُقَسِّمْ لَهُمْ غَيْرَ مَا عِنْدَهُمْ وَحَقَّرَتْ وَقَبَّحَتْ أَقْسَامُهُمْ عِنْدَهُمْ وَعَظَّمَتْ وَحَسَنْتِ أَقْسَامَ غَيْرِهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَعْيَيْنَهُمْ فَشَرَعُوا فِي طَلَبِهَا وَهِيَ غَيْرُ مَقْسُومَةٍ لَهُمْ فَذَهَبَتْ أَعْمَارُهُمْ وَانْحَلَّتْ قُورَاهُمْ وَكَبُرَتْ سِنِينُهُمْ وَفَنِيَتْ أَمْوَالُهُمْ وَتَعَبَتْ أَجْسَادُهُمْ وَعَرَقَتْ جَبَاهُهُمْ وَاسْوَدَّتْ صَحَائِفُهُمْ بِكَثْرِ آثَامِهِمْ وَإِزْتِكَابِ عَظَائِمِ الذُّنُوبِ فِي طَلَبِهَا وَتَرْكِ

أَوَامِرِ رَبِّهِمْ فَلَمْ يَتَالُوهَا وَخَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مَفَالَيْسَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَ
لَا إِلَى هَؤُلَاءِ، لَا شَكَرُوا رَبَّهُمْ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ أَقْسَامِهِمْ فَاسْتَعَانُوا
بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَلَا نَالُوا مَا طَلَبُوا مِنْ أَقْسَامِ غَيْرِهِمْ بَلْ ضَيَّعُوا
دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتَهُمْ فَهُمْ أَشْرُ الْخَلِيقَةِ وَ أَجْهَلُهُمْ وَ أَمَقُّهُمْ وَ أَحْسَنُهُمْ
عُقُوبًا وَ بَصِيرَةٌ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا بِالْقَضَاءِ وَ قَنَعُوا بِالْعَطَاءِ وَ أَحْسَنُوا طَاعَةَ
الْمَوْلَى لَا تَتَّهَمُ أَقْسَامُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ تَغَيُّبٍ وَ لَا عَنَاءٍ ثُمَّ يَهْلُوا
إِلَى جَوَارِ الْعُلَى الْأَعْلَى فَوَجَدُوا عِنْدَهُ كُلَّ مُرَادٍ وَمُنَى.
جَعَلَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ بِمَنْ رَضِيَ بِالْقَضَاءِ وَ جَعَلَ سُؤَالَ ذَلِكَ
وَ الْفَنَاءِ وَ حِفْظَ الْحَالِ وَ التَّوْفِيقَ لِمَا يُجِبُّهُ وَ يَرْضَاهُ.

«ثُمَّ كَيْفَ تَشْتَغِلُ بِطَلَبِ الْخُطُوطِ وَ قَدْ تَرَى خَلْقًا كَثِيرًا» جملة حالية أي
والحال أنك ترى خلقا كثيرا بهذه الصفة «كُلَّمَا كَثُرَتِ الْخُطُوطُ عِنْدَهُمْ وَ تَوَاتَرَتْ وَ
تَتَابَعَتِ اللَّذَاتُ وَ النَّعَمُ وَ الْأَقْسَامُ إِلَيْهِمْ زَادَ سَخَطُهُمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَ تَضَجَّرُ هُمْ»
التضجر ضيق القلب «وَ كَفَّرُهُمْ بِالنِّعَمِ» لما أنهم طالبون لمزيد من ذلك لحرصهم
على الزيادة و عدم وصول مقتضى الحرص يزيدهم سخطا و تضجروا و كفرا
للعنم «وَ كَثُرَتْ هُمُومُهُمْ وَ غُمُومُهُمْ وَ فَقْرُهُمْ» أي احتياجهم «إِلَى أَقْسَامٍ» أي
نعم موصوفة بأنها «لَمْ تُقَسِّمْ لَهُمْ» في الإرادة الأزلية، و موصوفة بأنها «غَيْرَ مَا
عِنْدَهُمْ» أي غير نعم كائنة عندهم و حاصلة لهم «وَ حَقَّرَتْ» معطوف على قوله:
«زاد سخطهم» أي كلما كثرت الخطوط عندهم حقرت و صغرت «وَ قُبِحَتْ
أَقْسَامُهُمْ» الكائنة «عِنْدَهُمْ وَ عَظُمَتْ وَ حَسُنَتْ أَقْسَامُ غَيْرِهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ وَ
أَعْيُنِهِمْ» فاشتاقوا إليها «فَشَرَعُوا فِي طَلِبِهَا» بالتوجه إلى الله تعالى أو بالتوجه إلى
الخلق و جمع الأسباب بالحيلة والحركة من عند أنفسهم «وَ هِيَ» جملة حالية أي
والحال أنها «غَيْرُ مَقْسُومَةٍ لَهُمْ» من جانب الله «فَدَهَبَتْ أَعْمَارُهُمْ وَ انْحَلَّتْ قُورَاهُمْ

وَكَبُرَتْ سِنِينُهُمْ» في هذا الحال «وَفَنِيَتْ أَمْوَالُهُمْ وَتَعَبَتْ أَجْسَادُهُمْ وَعَرَقَتْ جِبَاهُهُمْ» في طلبها «وَأَسْوَدَّتْ صَحَائِفُهُمْ» الأعمالية عند الله تعالى «بِكَثْرِ أَثَامِهِمْ وَازْتِكَابِ عَظَائِمِ الدُّنُوبِ فِي طَلِبِهَا» برعاية الأسباب في تحصيلها «وَتَرَكِ أَوَامِرَ رَبِّهِمْ» فإنه تعالى أمرهم بعدم التوجه إلى غيره «فَلَمْ يَنَالُوا» أي تلك الأقسام «وَخَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مَفَالَيْسَ» لا مال ولا طيب خاطر ولا رضى المولى «لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ» بمعنى «لَا شَكَرُوا رَبَّهُمْ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ أَقْسَامِهِمْ فَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ» ويحصل لهم الزيادة بذلك الشكر بمقتضى قوله:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٤، الآية: ٧]

«وَلَا نَالُوا مَا طَلَبُوا مِنْ أَقْسَامِ غَيْرِهِمْ بَلْ ضَيَّعُوا دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتَهُمْ» في طلب ما ليس بمقسوم لهم «فَهُمْ أَشَرُّ الْخَلِيقَةِ وَاجْهَلُهُمْ وَأَحَقُّهُمْ وَأَخْسَهُمْ عُقُولًا وَبَصِيرَةً» بتضييع النعم الحالية وبذل الحياة النفيسة في طلب ما لا يحصل لهم أصلا بل يحصل بدله سخط الرب تعالى «وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا بِالْقَضَاءِ وَقَنَعُوا بِالْعَطَاءِ وَأَحْسَنُوا طَاعَةَ الْمُؤَلَّى لَأَتَتْهُمْ أَقْسَامُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ وَلَا عَنَاءٍ» أي محنة ومشقة منهم «ثُمَّ نَقَلُوا» بصيغة المجهول «إِلَى جَوَارِ الْعُلَى الْأَعْلَى» سبحانه وتعالى «فَوَجَدُوا عِنْدَهُ تَعَالَى كُلَّ مُرَادٍ وَمُنَى» أي مطلوب إذ لم ينقلوا إلى ذلك الرتبة إلا بالقبول، والقبولية سبب لفيضان جميع المطالب والمقاصد «جَعَلَنَا اللَّهُ» سبحانه «وَأَيَّاكُمْ مِمَّنْ رَضِيَ بِالْقَضَاءِ وَجَعَلَ سُؤَالَ ذَلِكَ» أي الرضا بالقضاء «وَالْفَنَاءِ» في فعل المولى «وَحِفْظَ الْحَالِ» الفائض عليه من الله تعالى «وَالْتَوْفِيقَ» من الله تعالى «لِمَا يُحِبُّهُ» الله تعالى «وَيَرْضَاهُ» من الأعمال في الدنيا والآخرة.

الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ

في الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا،
وَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ فَعَلَيْهِ بِالزُّهْدِ فِي الْآخِرَةِ، فَيُتْرَكُ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَآخِرَتُهُ
لِرَبِّهِ، فَمَا دَامَ فِي قَلْبِهِ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَّةٌ مِنْ لَذَاتِهَا أَوْ طَلَبُ
رَاحَةٍ مِنْ رَاحَتِهَا مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَمَلْبُوسٍ وَ
مَنْكُوحٍ وَمَسْكُونٍ وَمَرْكُوبٍ وَوَلَايَةٍ وَرِيَاسَةٍ وَطَبَقَةٍ فِي عِلْمٍ مِنْ
فُنُونِ الْعِلْمِ مِنَ الْفِقْهِ فَوْقَ الْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ وَمِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَ
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِرَوَايَاتٍ وَمِنْ التَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَ
زَوَالِ الْفَقْرِ وَوُجُودِ الْغِنَى وَذَهَابِ الْبِلْيَةِ وَبَحْثِ الْعَافِيَةِ، وَفِي
الْجُمْلَةِ انْكِشَافِ الضَّرَرِ وَبَحْثِ النِّفَعِ فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ حَقًّا؛ لِأَنَّ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِيهِ لَذَّةُ النَّفْسِ وَمُوَافَقَةُ الْهَوَى وَرَاحَةُ
الطَّلْعِ وَحُبُّ لَهْ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمِمَّا يُحِبُّ الْبَقَاءَ فِيهَا وَمِمَّا
يُخْصَلُ بِهِ السُّكُونُ وَالطَّمَانِينَةُ إِلَيْهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ» إرادة قلبية صادقة «فَعَلَيْهِ
بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا» بَأَنْ لَا يَمِيلَ إِلَيْهَا بِقَلْبِهِ «وَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ» تعالى ولقائه ورضوانه و
عرفانه «فَعَلَيْهِ بِالزُّهْدِ فِي الْآخِرَةِ» فلا يميل إليها بالقلب فإن طلب المَكُونِ خارج
عن الكونين «فَيُتْرَكُ» الطالب «دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَ» يترك «آخِرَتُهُ لِرَبِّهِ» تعالى «فَمَا
دَامَ فِي قَلْبِهِ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَّةٌ مِنْ لَذَاتِهَا» بدنيا أو نفسيا «أَوْ طَلَبُ
رَاحَةٍ مِنْ رَاحَتِهَا مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ مِنْ مَأْكُولٍ» أي مأكول كان «وَمَشْرُوبٍ» أي
مشروب كان «وَمَلْبُوسٍ» أي ملبوس كان «وَمَنْكُوحٍ وَمَسْكُونٍ وَمَرْكُوبٍ وَ»

وَلَايَةٍ وَرِيَّاسَةٍ» لِأَقْلِيمٍ أَوْ بَلَدٍ أَوْ قَرْيَةٍ أَوْ مُحَلَةٍ «وَوَطْبَقَةٍ» أَي طَلَبِ دَرَجَةٍ وَمَرْتَبَةٍ «فِي عِلْمٍ مِنْ فُتُونِ الْعِلْمِ مِنْ» عِلْمِ «الْفَقْهِ فَوْقَ الْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ» وَهِيَ الْعَقِيدَةُ وَالصُّومُ وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَجُّ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ:

بَنِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجُّ، وَصُومُ رَمَضَانَ.^(١)

«وَمِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِرَوَايَاتٍ» أَي قِرَاءَاتٍ فَإِنَّهَا كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِرَوَايَاتٍ «وَمِنْ» عِلْمِ «التَّخَوُّو» عِلْمِ «اللُّغَةِ وَ» عِلْمِ «الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ» وَهُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ «وَ» طَلَبِ «زَوَالِ الْفَقْرِ وَوُجُودِ الْغِنَى وَذَهَابِ الْبَلِيَّةِ وَنَجْيِ الْعَافِيَةِ وَفِي الْجُمْلَةِ» أَي أَقُولُ فِي الْجُمْلَةِ وَالْإِجْمَالِ مَا دَامَ فِي قَلْبِ الْمُرِيدِ طَلَبُ «إِنْكَشَافِ الضَّرَرِ وَ» طَلَبِ «نَجْيِ النَّفْعِ فَلَيْسَ» ذَلِكَ الْمُرِيدُ «بِرَاهِدٍ حَقًّا» أَي فِي الْحَقِيقَةِ وَإِنْ كَانَ زَاهِدًا شَرَعًا وَعَرَفَا «لَأنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ» الْمَنْهِيَّةِ طَلَبُهَا «فِيهِ لَذَّةُ النَّفْسِ وَتُؤَافِقُهُ الْهَوَى وَرَاحَةُ الطَّنْبِ وَحُبُّ لَهُ وَكُلُّ ذَلِكَ» الْمَذْكُورِ مِنْ الْأَشْيَاءِ «مِنَ الدُّنْيَا وَمِمَّا يُحِبُّ» الْمُرِيدُ «الْبَقَاءَ» بِسَبَبِهِ «فِيهَا» أَي فِي الدُّنْيَا «وَمِمَّا يَخْصُلُ بِهِ» أَي بِسَبَبِهِ «السُّكُونُ وَالطَّمَانِينَةُ إِلَيْهَا» أَي إِلَى الدُّنْيَا.

فَيَنْبَغِي أَنْ يُجَاهِدَ فِي إِخْرَاجِ بِجَمِيعِ ذَلِكَ عَنِ الْقَلْبِ، وَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بِإِزَالَةِ ذَلِكَ وَقَلْعِهِ وَالرِّضَا بِالْعَدَمِ وَالْإِفْلَاسِ وَالْفَقْرِ الدَّائِمِ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ مِنْ ذَلِكَ مِقْدَارُ مَصْرٍ نَوَافٍ لِيَخْلُصَ زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ زَالَتِ الْهُمُومُ وَالْأَخْزَانُ مِنَ الْقَلْبِ وَالْكَزْبُ عَنِ الْأَحْشَاءِ، وَجَاءَتِ الرَّاحَاتُ وَالطَّيِّبُ وَالْأَنْسُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

”الرُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ“.

فَمَا دَامَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَالْهُمُومُ وَالْغُمُومُ وَالْخَوْفُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: ٨، كتاب الإيمان ومسلم في صحيحه برقم: ١٦. كتاب الإيمان

وَالْوَجَلُ قَائِمٌ فِي الْقَلْبِ وَالْخِذْلَانُ لَا زِمَ لَهُ، وَالْحِجَابُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ
جَلَّ وَ عَنِ قُرْبِهِ مُتَكَاثِفٌ وَ مُتَرَاكِمٌ فَلَا يَنْكَشِفُ جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَّا بِزَوَالِ
حُبِّ الدُّنْيَا عَنِ الْقَلْبِ عَلَى الْكَمَالِ وَقَطْعِ الْعَلَائِقِ بِأَسْرِهَا.

فإذا أراد المريد تحقق حصول الزهد له «فَيَنْبَغِي أَنْ يُجَاهِدَ فِي إِخْرَاجِ جَمِيعِ
ذَلِكَ» المذكور من الأمور المعدودة في الدنيا «عَنِ الْقَلْبِ وَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بِإِزَالَةِ ذَلِكَ
وَقَلْعِهِ» عن القلب «وَالرِّضَا» أي ينبغي أن يجاهد في الرضا أي في تحصيل الرضا
«بِالْعَدَمِ» أي عدم هذه الأمور «وَالْإِفْلَاسِ» عن هذه الأمور «وَالْفَقْرِ الدَّائِمِ»
إلى الله تعالى. فإذا حصل للمريد هذه المرتبة «فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ مِنْ ذَلِكَ» المذكور
من الأمور الدنيوية «مِقْدَارُ مَصِّ نَوَاةٍ» مثل في القلة كجَنَاحِ بَعُوضَةٍ. وإنما كان
ينبغي له المجاهدة «لِيُخْلَصَ زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا تَمَّ لَهُ» أي للمريد «ذَلِكَ» أي
إخراج جميع المذكورات من القلب «زَالَتِ الْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ مِنَ الْقَلْبِ وَالْكَرْبُ
عَنِ الْأَحْشَاءِ» لفراغ القلب عن جميع ذلك «وَجَاءَتِ الرَّاحَاتُ وَالطَّيْبُ وَالْأَنْسُ
بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:»
الرُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ.^(١)

«فَمَا دَامَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ» المذكور من الأمور الدنيوية «فَالْهُمُومُ
وَالْعُمُومُ وَالْخَوْفُ وَالْوَجَلُ قَائِمٌ فِي الْقَلْبِ» إما لأجل تحصيلها و حصولها وإما
لزوالها وزوال أسبابها «وَالْخِذْلَانُ لَا زِمَ لَهُ» لأنه يحتاج في تحصيله إياها إلى تواضع
أشخاص من بني نوعه وتحمل ذل وأذى منهم «وَالْحِجَابُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ عَنِ
قُرْبِهِ مُتَكَاثِفٌ» لا يمكن رفعها «وَمُتَرَاكِمٌ» لا يمكن كشفها «فَلَا يَنْكَشِفُ جَمِيعُ
ذَلِكَ» من الهموم والغموم والخوف والوجل والخذلان «إِلَّا بِزَوَالِ حُبِّ الدُّنْيَا
عَنِ الْقَلْبِ عَلَى» وجه «الْكَمَالِ» بحيث لا يبقى شائبة ذلك فيه «وَقَطْعِ الْعَلَائِقِ
بِأَسْرِهَا» فلا يبقى شيء منها.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان: ٩٨٣٧

ثُمَّ يَزْهَدُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يَطْلُبُ الدَّرَجَاتِ وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَاتِ
وَلَا الْخُورَ وَالْقُصُورَ وَالْوِلْدَانَ وَالْدُّورَ وَالْبَسَاتِينَ وَلَا الْمَرَائِبَ
وَالْحُلُلَ وَالْحُلِيِّ وَالْمَاكِلَ وَالْمَشَارِبَ وَغَيْرَ ذَلِكَ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى
لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَطْلُبُ عَلَى عَمَلِهِ جَزَاءً وَآجُرًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَ
جَلَّ أَلْبَتَّةَ دُنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ فَحِينَئِذٍ يَجِدُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيُوفِيهِ اللَّهُ
حِسَابَهُ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَرَحْمَةً فَيَقَرُّ بِهِ مِنْهُ وَيُذِنُّهُ وَيُلَطِّفُ بِهِ وَيَتَعَرَّفُ
إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الطَّافِهِ وَبِرَّهِ كَمَا هُوَ دَابَّةُ عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَمَعَ
أَوْلِيَائِهِ وَخَوَاصِّهِ وَأَحِبَّائِهِ أَوْلَى الْعِلْمِ بِهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَكُونُ الْعَبْدُ كُلُّ
يَوْمٍ فِي مَرِيدٍ مِنْ أَمْرِهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ. ثُمَّ يَنْقَلُ إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ إِلَى مَا لَا عَيْنٌ
رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بِشَرٍّ بِمَا يُضَيِّقُ عَنْهُ الْأَفْهَامُ
وَتَعْجِزُ عَنْهُ الْعِبَارَاتُ.

فإذا تحقق ما ذكرنا تحقق الزهد في الدنيا «ثُمَّ» إن كان صاحب الهمة ويريد
الترقى إلى ذروة الكمال لا يقنع بهذا بل بعد زهد في الدنيا «يَزْهَدُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا
يَطْلُبُ الدَّرَجَاتِ» العاليات «وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَاتِ وَلَا الْخُورَ وَالْقُصُورَ وَالْوِلْدَانَ
وَالدُّورَ» جمع دار وهي ما يشمل البيوت والحجرات «وَالْبَسَاتِينَ» جمع بستان و
هي مجتمع الأشجار المتنوعة «وَلَا الْمَرَائِبَ وَالْحُلُلَ» من الحلي والاستبرق
والسندس الخضر «وَالْحُلِيِّ» من الذهب والفضة والجواهر واليواقيت. واللؤلؤ
والمرجان «وَلَا» «الْمَاكِلَ وَالْمَشَارِبَ» من الفواكه ولحوم الطيور والعسل والماء
البارد الحلو واللبن والخمر المملد للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون «وَلَا
غَيْرَ ذَلِكَ» كما قال تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾. [حم السجدة: ٤١،

[الآية: ٣١]

«بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر

على قلب بشر كما نطق به الحديث الصحيح عن النبي الفصيح «فَلَا يَطْلُبُ عَلَى عَمَلِهِ جَزَاءً وَ أَجْرًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَلَبَتَهُ دُنْيَا» أي في الدنيا من الدنيا «وَلَا» في «أُخْرَى» من الآخرة «فَحَيِّئْ» أي حين زهد في الدنيا وفي الآخرة و قطع توجه القلب عن الكونين «يَجِدُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ» الَّذِي هُوَ مَكُونُ الْأَكْوَانِ مُعْزًّا لَهُ مَكْرَمًا إِيَّاهُ مُتَوَلِيًّا لِأُمُورِهِ مُتَكَفِّلًا لِمَصَالِحِهِ «فِيَوْفِيهِ اللَّهُ» تَعَالَى «حِسَابُهُ» وَ يُعْطِي بِكُلِّ حَسَنَةٍ سَبْعَ مِائَةٍ ضِعْفٍ بَلْ أَزِيدُ مِنْهُ «تَفَضُّلاً مِنْهُ» تَعَالَى «وَرَحْمَةً فَيَقْرُبُهُ مِنْهُ» تَقَرُّبًا عِنْدِيًّا «وَيُذِنِّيهِ» إِدْنَاءَ رَبِّيَّا «وَيُلَطِّفُ بِهِ» لُطْفًا رَبَّانِيًّا «وَيَتَعَرَّفُ نَفْسَهُ» ذَاتَهُ مَعَ مَا لَهَا مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَ نَعَوَاتِ الْجَلَالِ «إِلَيْهِ» إِلَى ذَلِكَ الزَاهِدِ «بِأَنْوَاعِ الْإِطْفَافِ وَ بَرِّهِ» وَ إِحْسَانِهِ «كَمَا هُوَ دَائِبُهُ» أَي عَادَتِهِ «عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ رُسُلِهِ وَ أَنْبِيَائِهِ» عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُهُ وَ سَلَامُهُ «وَمَعَ أَوْلِيَائِهِ وَ خَوَاصِّهِ وَ أَحِبَّائِهِ أُولَى الْعِلْمِ» وَ الْمَعْرِفَةِ «بِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» قَدَسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ «فَيَكُونُ الْعَبْدُ» الزَاهِدُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ «كُلَّ يَوْمٍ» مِنَ اللَّهِ تَعَالَى «فِي مَزِيدٍ مِنْ أَمْرِهِ» فِي الْإِطْفَافِ وَ الْإِحْسَانِ «مُدَّةَ حَيَاتِهِ» فَيَكُونُ كَائِنًا فِي الْخَلْقِ بَائِنًا مِنْهُمْ وَ يَكُونُ فِي حَضُورِ الْحَقِّ مُشَاهِدًا إِيَّاهُ بِالْقَلْبِ فَانِيًا فِيهِ بِاقِيًا بِهِ مُحْفُوظًا عَنْ جَمِيعِ الْمَكَارِهِ «ثُمَّ يُثَقَّلُ» ذَلِكَ الْعَبْدُ الزَاهِدُ «إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ إِلَى مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِمَّا يُضِيقُ عَنْهُ الْأَفْهَامُ وَ تَعَجُّزُ عَنْهُ الْعِبَارَاتِ» اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْكَ عَمَّا سِوَاكَ.

الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْخَمْسُونَ

فِي تَرْكِ الْحُظُوظِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: تَرَكَ الْحُظُوظَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:-

الْأُولَى: بِأَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مَا زَا فِي عَشْوَاهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُّدٍ لِرَبِّهِ وَلَا زِمَامَ لَهُ فِي الشَّرْعِ يَرُدُّهُ وَلَا حَدًّا مِنْ حَدُودٍ يَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ حُكْمِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ يُنْظَرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ نَظْرًا بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ فَيَنْعَثُ إِلَيْهِ وَاعْظَا مَنْ خَلَقَهُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ فَيُثْنِيهِ بِوَاعِظٍ مِنْ نَفْسِهِ فَيَتَظَاوَرُ الْوَاعِظَانِ عَلَى نَفْسِهِ وَطَبْعِهِ فَتَعْمَلُ الْمُوعِظَةُ عَمَلَهَا فَيَتَبَيَّنُ عِنْدَهَا غَيْبُ مَا هِيَ فِيهِ مِنْ رَكُوبٍ مَطِيَّةٍ الطَّيِّعِ وَ الْمُخَالَفَةِ فَتَمِيلُ حِينَئِذٍ إِلَى الشَّرْعِ فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهَا فَيَصِيرُ الْعَبْدُ مُسْلِمًا قَائِمًا مَعَ الشَّرْعِ قَائِمًا عَنِ الطَّيِّعِ، فَيُتْرَكُ حَرَامَ الدُّنْيَا وَ شُبُهَاتِهَا وَمَنْنَ الْخَلْقِ، فَيَأْخُذُ مُبَاحَ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَ حَلَالَ الشَّرْعِ فِي مَأْكَلِهِ وَ مَشْرَبِهِ وَ مَلْبَسِهِ وَ مَنَكَحِهِ وَ مَسْكَنِهِ وَ جَمِيعِ أَحْوَالٍ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ لِيَتَحَفَظَ الْبَيْتَةَ وَ يَتَقَوَّى عَلَى طَاعَةِ الرَّبِّ تَعَالَى وَ لِيَسْتَوْفِيَ قِسْمَهُ الْمَقْسُومَ لَهُ الَّذِي لَا يَتَجَاوَزُهُ وَ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ تَنَاوُلِهِ وَ قَبْلَ التَّلَبُّسِ بِهِ وَ اسْتِنْفَائِهِ فَيَسِيرُ عَلَى مَطِيَّةِ الْمُبَاحِ وَ الْحَلَالِ بِالشَّرْعِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ هَذِهِ الْمَطِيَّةُ إِلَى عَتَبَةِ الْوِلَايَةِ وَ الدُّخُولِ فِي زُمْرَةِ الْمُحَقِّقِينَ وَ الْخَوَاصِّ أَهْلِ الْعَزِيمَةِ مُرِيدِي الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَأْكُلُ بِالْأَمْرِ فَحِينَئِذٍ يَسْمَعُ النِّدَاءَ مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَاطِنِهِ: أَتْرُكُ نَفْسَكَ وَ تَعَالِ، أَتْرُكُ الْحُظُوظَ إِنْ أَرَدْتَ الْخَالِقَ وَ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ دُنْيَاكَ وَ أُخْرَاكَ، وَ تَجَرَّدْ عَنِ الْأَكْوَانِ وَ الْمُوْجُودَاتِ وَ مَا

سَيُوجَدُ وَ الْأَمَانِي بِأَسْرِهَا وَ تَعَزَّ عَنِ الْجَمِيعِ وَافِنٍ عَنِ الْكُلِّ وَ
تَطْلُبُ بِالتَّوْحِيدِ وَ تَزُكُّ الشَّرْكَ وَ صِدْقِ الْإِرَادَةِ.
ثُمَّ ادْخُلْ وَ طَاءِ السِّبَاطِ بِالْأَدَبِ مُطَرِّقًا وَ لَا تَنْتَظِرْ يَمِينًا إِلَى
الْآخِرَةِ وَ لَا شِمَالًا إِلَى الدُّنْيَا وَ لَا إِلَى الْخَلْقِ وَ لَا إِلَى الْحُظُوظِ.
فَإِذَا دَخَلَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَ تَحَقَّقَ لَهُ الْوُصُولُ بِجَاءِئِهِ الْخَلْعُ مِنْ
قَبْلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ غَشِيَتْهُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ وَ أَنْوَاعُ الْفَضْلِ، فَيَقَالُ
لَهُ: تَلَكَّبَسَ بِالْتَّعَمِّ وَالْفَضْلِ وَ لَا تُسِيءِ الْأَدَبِ بِالرَّدِّ وَ تَزُكُّ التَّلَكُّبِ،
لَآنَ فِي رَدِّ نَعَمِ الْمَلِكِ إِقْبِيئًا عَلَى الْمَلِكِ وَ اسْتِخْفَافًا لِحَضَرَتِهِ فَحِ
يَتَلَكَّبَسُ بِالْفَضْلِ وَالْقِسْمِ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُوَ فِيهِ وَ مِنْ قَبْلُ كَانَ
الْعَبْدُ يَتَلَكَّبَسُ بِهِوَاهُ وَ نَفْسِهِ وَ كُلَّمَا حَلَّ مَنْزِلًا تَغَيَّرَتْ حَالَتُهُ فَلَهُ أَرْبَعُ
حَالَاتٍ فِي تَنَاوُلِ الْحُظُوظِ وَالْأَقْسَامِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ تَزُكُّ الْحُظُوظِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:» يعني أن بعض السالكين
يعتري عليه حالات يتحقق منه باعتبارها ترك الحظوظ ثلاث مرات. مرة حين الخروج
من الجهالة إلى تعبد الشرع، و مرة حين الوصول إلى عتبة الولاية، و مرة حين الوصول
إلى الغوثية و البدلية، و إن كان الترك الثالث غير مصرح كما ستعرف.

«الْأُولَى:» أي المرة الأولى من الترك يتحقق «بِأَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مَارًّا فِي
عَشْوَاهُ» أي حال جهله لأوامر الشرع و نواهيه و التعامي عنها من العشو، و هو
ركوب الأمر على غير بيان كذا في القاموس «فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُّدٍ لِرَبِّهِ» و
تذلل لأمره «وَ لَا زِمَامَ» أي لا تقيد «لَهُ فِي الشَّرْعِ يَرُدُّهُ» من تلك التصرف
الطبعي «وَ لَا حَدٍّ مِنْ حُدُودٍ يَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ حُكْمِهِ» أي ليس لحكم طبعه حد من
الحدود ينتهي أمره إلى ذلك الحد فلا يمتنع عن أعماله و أفعاله لا بتعبد الرب تعالى، و
لا بتقيد الشرع، و لا بالانتهاء إلى حد من حدود الطبع «فَيَبِينَا هُوَ» أي ذلك
الشخص «عَلَى ذَلِكَ» الحال «إِذْ يَنْتَظِرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ» إلى ذلك الشخص «نَظَرًا

بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ» واللفظ والرفقة والعناية الكاملة «فِيَبْعَثُ إِلَيْهِ وَاعْظَا مَنْ خَلَقَهُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ» فيعظه و يمنعه من تلك الأفعال الشنيعة والأعمال القبيحة وعظ أب مشفق و مرشد ملطف «فِيُثَبِّتُهُ» الله تعالى «بِوَاعِظٍ مِنْ نَفْسِهِ» أي يبعث الله تعالى إلى ذلك الشخص مع ذلك الواعظ واعظا ثانيا من نفس ذلك العبد و هو عقله المغلوب أولا للقوة الشهوية والغضبية يمنعه الآن بتأييد الله من ارتكاب القبائح «فِيَتَّظَاقِرُ الْوَاعِظَانِ عَلَى نَفْسِهِ» أي نفس ذلك العبد «وَ طَبِعَهُ فَتَعْمَلُ الْمُؤَظَّةُ عَمَلَهَا» أي تؤثر الموعدة تأثيرها و نفعها و هو الامتناع عن مشتبهات النفس و مقتضيات الطبع «فِيَتَّبِعُنَّ عِنْدَهَا» أي عند نفس ذلك الشخص «عَيْبَ مَا» أي الأمور التي «هي» أي نفسه «فِيهِ مِنْ رَكُوبٍ مَطِيَّةٍ الطَّيْعِ وَ» مركب «الْمُخَالَفَةِ» للشرع «فَتَمِيلُ حِينَئِذٍ إِلَى الشَّرْعِ فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهَا» النفسية والمنزلية و ما يتعلق بهما «فِيَصِيرُ الْعَبْدُ مُسْلِمًا» إما بصيغة اسم الفاعل فمعناه مسلما نفسه و ما يلزمها من الأمور إلى الشرع، و إما بصيغة اسم المفعول فمعناه صحيحا سالما عن القبائح والمعاصي الشرعية بحفظ الله تعالى «قَائِمًا مَعَ الشَّرْعِ» يأمر بأوامره و ينتهي بنواهيه «فَائِيًا عَنِ الطَّيْعِ» فلا يجده مزاحما للأمور الشرعية مخالفا لها «فِيُتْرَكُ حَرَامَ الدُّنْيَا» أي الدنيا المحرمة فهو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف كأخلاق ثياب، أو ما هو حرام في الدنيا فالإضافة لأدنى ملابسة «وَشُبُهَاتِهَا» أي ما يكون فيه شبهة الحرام من الدنيا أو من أمور الدنيا «و» يترك «مِنَ الْخُلُقِ» أي ما فيها من الخلق «فِيَأْخُذُ مَبَاحَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» فيتناول «وَحَلَالَ الشَّرْعِ فِي مَأْكَلِهِ وَ مَشْرَبِهِ وَ مَلْبَسِهِ وَ مَنْكَحِهِ وَ مَسْكَنِهِ وَ جَمِيعِ أَحْوَالِ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ» من لوازم الانتظام والتعيش بالرفاهية «لِيَتَحَفَّظَ الْبَيِّنَةُ وَ يَتَّقُوْا عَلَى طَاعَةِ الرَّبِّ تَعَالَى» برفاهية الحال و فراغ البال «وَلِيُسْتَوْفَى قِسْمُهُ» أي يأخذ قسمه و نصيبه الأزلي الثابت له في علم الله تعالى على وجه الوفاء والتمام «الْمَقْسُومَ لَهُ الَّذِي لَا يَتَجَاوَزُهُ» أي لا يمكن له التجاوز عنه «وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ تَنَاوُلِهِ» أي ذلك القسم المقسوم «وَقَبْلَ التَّلَبُّسِ بِهِ وَ اسْتِيفَائِهِ» إلى أخذه على وجه التمام «فِيَسِيرُ عَلَى مَطِيَّةِ الْمُبَاحِ وَ» مركب

«الْحَالِلِ بِالشَّرْعِ» أي بموافقة الشرع «فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ هَذِهِ الْمَطِيَّةُ» أي يبلغه هذا المركب «إِلَى عَتَبَةِ الْوَلَايَةِ» فَإِنْ اتَّبَعَ ظَاهِرَ الشَّرْعِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ يُوَصِّلُ إِلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ بَاطِنُ الشَّرْعِ، وَهَذَا مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِيقَةِ «و» يُوَصِّلُهُ هَذَا الْمَرْكَبُ إِلَى «الدُّخُولِ فِي زُمْرَةِ الْمُحَقِّقِينَ وَ الْخَوَاصِّ أَهْلِ الْعَزِيمَةِ» الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ بِالرَّخْصِ «مُرِيدِي الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» لَا مَرِيدِي الدُّنْيَا وَلَا مَرِيدِي الْعَقْبَى «فِيَأْكُلُ» وَيَشْرَبُ وَيَبَاشِرُ الْأُمُورَ «بِالْأَمْرِ» الْإِلَهِيِّ الْبَاطِنِيِّ كَمَا يَكُونُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «فَحِينَئِذٍ يَسْمَعُ الْبِدَاءَ مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ بَاطِنِهِ: أَتْرُكُ نَفْسَكَ وَ تَعَالَى» إِلَى أَيِّ أَفْنٍ عَنْ نَفْسِكَ أَبْقِيكَ بِي «أَتْرُكُ الْحُطُوظَ» الْآخِرِي أَيْضًا «إِنْ أَرَدْتَ الْخَالِقَ وَ الْخَلْقَ نَعْلَيْكَ» وَ هُمَا «دُنْيَاكَ وَ آخِرَاكَ» فَإِنْ بَسَاطَ الْحُضُورِ يَقْتَضِي التَّادِبَ التَّامَّ وَ مِنْهُ خَلَعَ النِّعَالَ «وَ تَجَرَّدَ عَنِ الْأَكْوَانِ وَ الْمَوْجُودَاتِ» كُلُّهَا «وَ مَا سَيُوجَدُ وَ» أَتْرُكُ «الْأَمَانِي» وَالْأُمَالَ وَالْمَقَاصِدَ وَالْمَطَالِبَ «بِأَسْرِهَا وَ تَعَرَّ» أَيِ تَخْلُ «عَنِ الْجَمِيعِ وَ أَفْنٍ عَنِ الْكُلِّ» حَتَّى كَانَ شَيْئًا مِمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِي نَظَرِ بَصِيرَتِكَ لَا أَنْتَ وَلَا آخِرُ. وَ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْمَرَّاتِ الثَّلَاثِ لِتَرْكِ الْحُطُوظِ «وَ تَطْيِيبِ بِالتَّوْحِيدِ» الْوُجُودِيِّ «وَ تَرْكِ الشِّرْكِ» مَعَ الرَّبِّ شَيْئًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ «وَ صِدْقِ الْإِرَادَةِ» مَعَهُ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ «ثُمَّ» أَيِ بَعْدَ مَا ذَكَرَ مِنْ خَلَعَ النِّعَالَ وَ التَّجَرُّدِ عَنِ الْأَكْوَانِ وَ التَّعَرِّيِّ عَنِ الْجَمِيعِ وَ الْفَنَاءِ عَنِ الْكُلِّ وَ التَّطْيِيبِ بِمَا ذَكَرَ «أَدْخُلْ وَ طَاءَ الْبَسَاطِ بِالْأَدَبِ» التَّامِّ وَ الْحُضُورِ التَّامِّ «مُطَرِّقًا» أَيِ خَافِضًا رَأْسَكَ «وَ لَا تَنْظُرْ يَمِينًا» وَ هُوَ التَّوَجُّهُ «إِلَى الْأَخِرَةِ وَ لَا شِمَالًا» وَ هُوَ التَّوَجُّهُ «إِلَى الدُّنْيَا» مِنْ أَيِّ نَوْعٍ كَانَ، «وَ لَا إِلَى الْخَلْقِ» وَ لَا إِلَى الْحُطُوظِ فَإِنْ كَلَّا مِنْهُمَا مِنَ الدُّنْيَا، وَ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْمَرَّاتِ الثَّلَاثِ لِتَرْكِ الْحُطُوظِ فَتَأَمَّلْ، ثُمَّ تَأَمَّلْ فَقَدْ قِيلَ فِيهِ قَوْلٌ آخَرُ، وَ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّرَكِينِ أَنْ التَّرِكَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَّةِ كَانَ تَرَكَ قَلْبِيَا لَكِنْ النَّظَرَ إِلَيْهَا غَيْرَ مَنْهِيٍّ عَنْهُ، وَ هُنَا التَّرِكَ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ بِحَيْثُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا أَصْلًا فَالنَّظَرُ أَيْضًا مَنْهِيٌّ عَنْهُ.

«فَإِذَا دَخَلَ» الْعَبْدُ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ «فِي هَذَا الْمَقَامِ» الْعَظِيمِ «وَ تَحَقَّقَ لَهُ

الْوُصُولُ» بحضرة الخالق تعالى «جاءتُه الخُلُوعُ» الإنعامية والإكرامية والعرفانية «مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَغَشِيَتْهُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ وَأَنْوَاعُ الْفُضْلِ» بكثرتها وتنوعاتها «فَيَقَالُ لَهُ:» بلسان الحال و مقتضى العلم بما في القدر من التلبس الضروري هو كالأمر في إيجاب التلبس بما جرى به القلم «تَلَبَّسَ بِالنِّعَمِ وَالْفُضْلِ» التي أفيضت عليك لا أمر المقال من جانب الله تعالى كما كان في المرة الثانية، وهذا هو الفرق بين المرتين، أو يقال: هو في كلتا الحالتين «وَلَا تُسِيءُ الْأَدَبَ بِالرَّدِّ» لما أفيضت عليك «وَتَرْكُ التَّلَبُّسِ» بالأقسام المقضي لك في الأزل «لِأَنَّ فِي رَدِّ نِعَمِ الْمَلِكِ إِقْتِيَانًا» أي اقتدارا و ترفعا «عَلَى الْمَلِكِ» بإظهار الاستغناء عن نعمه من أوقات عليه بمعنى اقتدر صرح به في الصحاح «وَأَسْتَخْفَافًا لِحَضْرَتِهِ» أي جعلها خفيفا لا قدر لها، وهذا مستبعد عن العاقل فكيف من العارف «فَحِينَئِذٍ» أي حين أمره الحال بالتلبس «يَتَلَبَّسُ بِالْفُضْلِ» أي نعم الحق التي كانت مفاضة عليه بالفضل والإحسان «وَالْقِسْمِ» الأزلي الذي قدر الله تعالى في حقه «بِالله» أي بملاحظة أمر الله وقضائه وقدره الموجبة للتلبس الاضطراري «مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُوَ» أي ذلك العبد «فيه» أي في ذلك التلبس «وَمِنْ قَبْلُ» أي في الحالة الأولى والثانية والثالثة «كَانَ الْعَبْدُ يَتَلَبَّسُ بِهِوَاهُ وَنَفْسِهِ» أي باختياره موافقا للطبع في الأولى، و موافقا للشرع في الثانية، و موافقا للأمر الباطني في الثالثة، و لا اختيار في هذه الرابعة أصلا «وَكُلَّمَا حَلَّ» العبد «مَنْزِلًا» من منازل السلوك والتقرب إلى الحق تعالى «تَغَيَّرَتْ حَالَتُهُ» الأولوية إلى حالة أخرى و تبدل مقتضاها إلى مقتضى الأخرى، «فَلَهُ» للعبد السالك بهذا الأسلوب المذكور من مبدأ السلوك إلى منتهاه «أَرْبَعُ حَالَاتٍ فِي تَنَاوُلِ الْخُطُوطِ وَالْأَقْسَامِ» وثلاثة حالات في تركها أما الأربعة في التناول:

فَالأُولَى بِالطَّبَعِ: وَهُوَ الْحَرَامُ.
وَالثَّانِيَةُ بِالشَّرْعِ: وَهُوَ الْمُبَاحُ وَالْحَلَالُ.

وَالثَّالِثَةُ بِالْأَمْرِ: وَهِيَ حَالَةُ الْوَلَايَةِ وَتَرْكُ الْهَوَى.
وَالرَّابِعَةُ بِالْفَضْلِ: وَهِيَ حَالَةُ زَوَالِ الْإِرَادَةِ وَحُصُولِ الْبَدَلِيَّةِ.
وَكَوْنُهُ مُرَادًا قَائِمًا مَعَ الْقَدْرِ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَ
هِيَ حَالَةُ الْعِلْمِ وَالْإِتِّصَافِ بِالصَّلَاحِ، فَلَا يُسَمَّى صَاحِبًا عَلَى
الْحَقِيقَةِ إِلَّا مَنْ وَصَلَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:
إِنَّ وَلِيَیَ اللّٰهُ الَّذِیْ نَزَّلَ الْكِتٰبَ وَ هُوَ یَتَوَلّٰی الصّٰلِحِیْنَ.
[الأعراف: ١٩٦]

فَهُوَ الْعَبْدُ الَّذِي كَفَتْ يَدُهُ عَنْ جَلْبِ مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ وَ عَنْ
رَدِّ مَضَارِهِ وَ مَفَاسِدِهِ كَالطِّفْلِ الرَّضِيعِ مَعَ الظُّرِّ وَ كَالْمَيْتِ الْغَسِيلِ
مَعَ الْغَاسِلِ فَيَتَوَلَّى الْقَدْرُ تَرْبِيَّتَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِخْتِيَارٌ وَ تَذْيِيرٌ
فَإِنْ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ لَا حَالًا وَ لَا مَقَامًا وَ لَا إِرَادَةً بَلِ الْقِيَامُ مَعَ الْقَدْرِ،
تَارَةً يَبْسُطُهُ وَ أُخْرَى يَقْبِضُهُ وَ تَارَةً يُغْنِي وَ تَارَةً يَفْتَقِرُ وَ لَا يَخْتَارُ وَ لَا
يَتَمَتَّى زَوَالِ ذَلِكَ وَ تَغْيِيرَهُ بَلِ الرِّضَى الدَّائِمُ وَ الْمَوَافَقَةُ الْأَبَدِيَّةُ فَهُوَ
أَحْزَمُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ حَالُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ.

«فَالأُولَى»: تناولها «بِالطَّبْعِ» الحيواني «وَهُوَ» تناول «الحَرَامِ»
على العبد من حيث الشريعة والحقيقة، أو تناول الحرام وصفا وإضافة لكن الحرام
في الأخير مختلط بالحلال.^(١)

«وَالثَّانِيَّةُ»: تلبسه بها «بِالشَّرْعِ» أي بموافقته و حكمه «وَهُوَ» تناول
«الْمُبَاحِ وَالْحَلَالِ» أو تناول المباح والحلال الصرف الخالي عن الحرام من حيث
الشريعة وترك تناول الطبعي، فهذه الحالة الثانية من تناول حالة أولى من الترك
إذ الترقى من الأدنى إلى الأعلى ترك للأدنى فلا يتحقق إلا في المرتبة الثانية فلذا صارت
حالات تناول أربعا وحالات الترك ثلاثا، فتأمل.

(١) قوله: «وصفا وإضافة» يعني هذا التركيب إما توصيفي كما على التقدير الأول أو إضافي كما
على التقدير الثاني. من الشارح

«وَالثَّالِثَةُ»: تناوله إياها «بِالْأَمْرِ» الإلهي الباطني «وَهِيَ حَالَةُ الْوِلَايَةِ وَتَرْكُ الْهَوَى» من حيث الحقيقة، وهذه الحالة الثالثة من التناول حالة ثانية من الترك.
«وَالرَّابِعَةُ»: تلبسه بها «بِالْفَضْلِ» المحض من جانب الحق الفضل المنعم «وَهِيَ حَالَةُ زَوَالِ الْإِرَادَةِ» البشرية بالكلية «وَحُصُولِ الْبَدَلِيَّةِ» بالإرادة الحقيقة وهذه الحالة الرابعة من التناول حالة ثالثة من الترك، فتأمل.

«وَكَوْنِهِ» أي كون ذلك العبد «مُرَادًا» للحق فإن المقصود من إيجاد العالم و تكوينه وجود هؤلاء السادات الكرام والباقي طفيلي وتبع وكونه «قَائِمًا مَعَ الْقَدْرِ» يدور بدورانه «الذي هُوَ فِعْلُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ» أي هذه الرابعة «حَالَةُ الْعِلْمِ» بالله وأفعاله وقضائه وقدره «وَالْإِتِّصَافِ بِالصَّلَاحِ» الَّذِي يَطْلُبُهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ وَالْأَصْفِيَاءُ كَمَا تَسْمَعُ كُلَّ وَاحِدٍ يَقُولُ: رَبِّ ادْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ بَلْ يَقُولُ: رَبِّ تَوْفِنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ «فَلَا يُسَمَّى صَالِحًا عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا مَنْ وَصَلَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ» الْأَسْنَى الْأَعْلَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ الْمَقَامَاتِ «وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ» أي مدلول قوله:

﴿إِنَّ وَلِيَیَ اللّٰهُ الَّذِیْ نَزَّلَ الْكِتٰبَ وَهُوَ یَتَوَلَّى الصّٰلِحِیْنَ﴾

[الأعراف: ٧، الآية: ١٩٦]

«فَهُوَ» أي العبد البالغ إلى هذه المرتبة «الْعَبْدُ الَّذِي كَفَّتْ يَدُهُ» أي مُنِعَتْ وَ حُفِظَتْ لَطْفًا وَ كَرَمًا «عَنْ جَلْبِ مَصَالِحِهِ وَ مَنَافِعِهِ» إِلَى نَفْسِهِ بِاخْتِيَارِهِ «وَعَنْ كَفْتِ نَفْسِهِ وَ مَنَافِعِهِ» عَنْ نَفْسِهِ بِاخْتِيَارِهِ فَلَا هُوَ جَالِبُ نَفْعٍ وَلَا دَافِعُ ضَرٍّ إِلَى نَفْسِهِ وَ عَنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ «كَالطِّفْلِ الرَّضِيعِ مَعَ الظُّرِّ» بَلْ «وَعَنْ» هُوَ «كَالْمَيِّتِ الْغَسِيلِ مَعَ الْغَاسِلِ» وَ إِنَّمَا ذَكَرْتَ الثَّانِيَةَ بِكَلِمَةٍ بَلْ لِأَنَّ الرِّضِيعَ وَ إِنَّمَا لَمْ يَخْتَرْ لِنَفْسِهِ لَكِنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ شُعُورٍ وَ طَلَبٍ وَ الْمَيِّتَ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ «فَيَتَوَلَّى الْقَدْرُ» الْإِلَهِي «تَرْبِيَّتَهُ» أَي يَصِيرُ كَافِلًا لِتَرْبِيَّتِهِ «مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ» أَي لِذَلِكَ الْعَبْدِ «إِخْتِيَارٌ وَ تَدْبِيرٌ» بَلْ هُوَ «فَإِنْ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ» الْإِخْتِيَارُ وَ التَّدْبِيرُ «لَا حَالًا وَ لَا مَقَامًا وَ لَا إِرَادَةً» يَطْلُبُهُ بِاخْتِيَارِهِ «بَلِ الْقِيَامُ مَعَ الْقَدْرِ» الْإِلَهِي الْحَاصِلُ لَهُ «تَارَةً يَسُطُّهُ»

فيكون في مقام البسط «و» تارة «أُخْرِى يَقْبِضُهُ» فيكون في حالة القبض «و تَارَةً يُغْنِي» فيكون غنيا «و تَارَةً يَفْتَقِرُ» فيكون فقيرا كل ذلك بالقدر لا بنفسه «و لَا يَخْتَارُ» هو «و لَا يَتَمَتَّى» بنفسه «زَوَالَ ذَلِكَ وَ تَغْيِيرُهُ» أي ذلك البسط والقبض والغنى والفقر «بَلْ» يختار «الرِّضَى الدَّائِمُ وَالْمُؤَافَقَةُ الْأَبَدِيَّةُ فَهُوَ» أي هذا المقام «أَخِرُ مَا» أي مقامات «يُنْتَهِي إِلَيْهِ حَالُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ» لا مقام فوقها إلا النبوة.

الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ

في بيان أن الوصال إنما هو بعد الفناء عن الخلق والنفس والهوى

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا فَتَى الْعَبْدُ عَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوَى وَالنَّفْسِ
وَالْإِرَادَةِ وَالْأَمَانِي دُنْيَا وَآخِرَى وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَخَرَجَ
الْكُلُّ عَنِ قَلْبِهِ وَصَلَ إِلَى الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ فَاصْطَفَاهُ وَاجْتَبَاهُ وَآحَبَّهُ وَ
حَبَّبَهُ إِلَى الْخَلْقِ وَجَعَلَهُ يُحِبُّهُ وَيُحِبُّ قُرْبَهُ وَيَتَّعِمُ بِفَضْلِهِ وَيَتَّقَلَّبُ فِي
نِعَمِهِ، وَفَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَوَعْدِهِ وَلَا يُغْلِقُهَا عَنْهُ أَبَدًا فَيُخْتَارُ
الْعَبْدُ حِينَئِذٍ بِاخْتِيَارِ اللَّهِ، وَيُرِيدُ بِإِرَادَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُدَبِّرُ بِتَدْبِيرِهِ، وَ
يَشَاءُ بِمَشِئَتِهِ تَعَالَى، وَيَرْضَى بِرِضَاةٍ، وَيَكْتُمُ أَمْرَهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَلَا
يَرَى لِغَيْرِهِ وَجُودًا وَلَا فِعْلًا فَحِينَئِذٍ يَجُوزُ أَنْ يَعِدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
بِوَعْدٍ ثُمَّ لَا يَظْهَرُ لِلْعَبْدِ وَفَاءٌ بِذَلِكَ وَلَا يَبْلُغُهُ مَا قَدْ تَوَهَّمَهُ مِنْ ذَلِكَ،
لِأَنَّ الْغَيْرِيَّةَ قَدْ زَالَتْ بِزَوَالِ الْهَوَى وَالْإِرَادَةِ وَطَلَبِ الْخُطُوطِ عَنْهُ
فَصَارَ فِي فِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّ هَذِهِ صِفَةُ مَنْ لَهُ هَوَى وَإِرَادَةٌ
فَيَصِيرُ الْوَعْدُ حِينَئِذٍ فِي حَقِّهِ مَعَ اللَّهِ كَرَجُلٍ عَزَمَ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ فِي
نَفْسِهِ وَنَوَاهُ ثُمَّ صَرَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَكَالْتَأْسِخِ وَالْمَنْسُوخِ فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَوْلُهُ:

﴿مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٠٦]
لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْزُوعَ الْهَوَى وَالْإِرَادَةِ سِوَى
الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ:

﴿ثُمَّ يُدُونُ عَرْضَ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ. لَوْ لَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
[الأنفال، رقم السورة: ٨، رقم الآية: ٦٧، ٦٨]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا فَتَى الْعَبْدُ» بتوفيق الله و لطفه «عَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوَى»
الدينية والدنيوية «وَالنَّفْسِ وَالْإِرَادَةِ وَالْأَمَانِي» والمطالب «دُنْيَا» كان «وَأُخْرَى
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَخَرَجَ الْكُلُّ» أي جميع ما سوى الله عن قلبه «وَصَلَ إِلَى
الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ» فوصاله عَزَّ وَجَلَّ عبارة عن فناء الكل عن قلب العبد بحيث لا
يتوجه إلى غيره بالإرادة القلبية فإذا وصل «فَاضْطَفَاهُ» الله تعالى «وَاجْتَبَاهُ وَأَحَبَّهُ»
من خلقه فهو محبوب الحق تعالى «وَحَبَّبَهُ إِلَى الْخَلْقِ» فيكون محبوب الخلق أيضا
«وَجَعَلَهُ يُحِبُّهُ» أي يحب الله عَزَّ وَجَلَّ فيكون مُحِبًّا له تعالى كما كان محبوبا له تعالى
«وَيُحِبُّ قُرْبَهُ» فيفيض الله تعالى نعمه فيتلبس بتلك النعم «وَيَتَنَعَّمُ بِفَضْلِهِ» أي
إنعامه المفاض عليه بفضل الله تعالى «وَيَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِهِ» ليلا و نهارا «وَفَتَحَ» الله
تعالى «عَلَيْهِ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَوَعْدِهِ وَ لَا يُغْلِقُهَا» أي تلك الأبواب «عَنْهُ» أي عن
ذلك العبد «أَبَدًا فَيُخْتَارُ الْعَبْدُ حِينَئِذٍ» أي حين فنى عن نفسه وإرادة نفسه وهوى
من نفسه «بِاخْتِيَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُرِيدُ بِإِرَادَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ» إذ أعطاه الله حين فناء
الإرادة البشرية إرادة إلهية فيريد بتلك الإرادة «وَيُدَبِّرُ» في خلق الله تعالى
«بِتَدْبِيرِهِ» تعالى «وَيَشَاءُ بِمَشِئَتِهِ تَعَالَى، وَ يَرْضَى بِرِضَا» و يغضب بغضبه و
بالجملة جميع الصفات التي توجد فيه فهي من صفاته تعالى فيخالط الخلق بتلك
الصفات الموافقة لصفات الخلق من حيث الظاهر و هي من صفات الله تعالى في
الباطن، و لهذه الموافقة الظاهرية لا يتميز العارف عند الخلق من غيره «وَيَمْتَلِئُ
أَمْرَهُ» تعالى «دُونِ غَيْرِهِ» و إن كان يرى في الظاهر أنه يمتثل أمر المخلوقات في
بعض الأمور كيف «و» هو «لَا يَرَى لِغَيْرِهِ تَعَالَى وَجُودًا وَ لَا فِعْلًا» فلا موجود
إلا الله و لا فعل إلا الله، و إذا بلغ العبد هذه المرتبة «فَحِينَئِذٍ يَجُوزُ أَنْ يَعِدَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَ

جَلَّ بِوَعْدٍ» في أمر من الأمور «ثُمَّ لَا يَظْهَرُ لِلْعَبْدِ» الموعود له «وَفَاءٌ بِذَلِكَ» الوعد «وَلَا يُبْلَغُهُ مَا قَدْ تَوَهَّمَهُ مِنْ ذَلِكَ» أي لا يوصل الله تعالى إلى ذلك العبد الموعود الَّذِي تَوَهَّم العبد وصول ذلك الموعود إليه من ذلك الوعد «لِأَنَّ الْغَيْرِيَّةَ» بين الله و بين ذلك العبد «قَدْ رَأَتْ بِزَوَالِ الْهَوَى وَالْإِرَادَةِ وَ» زوال «طَلَبِ الْحُطُوطِ عَنْهُ» وإذا ارتفع الغيرة «فَصَارَ» العبد «في» نَفْسِهِ «فِعْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّ هَذِهِ» الوعد والخلف «صِفَةً مَنْ لَهُ هَوَى وَإِرَادَةٌ» ولا إرادة ولا هوى لهذا العبد فلا وعد في حقه ولا خلفه «فَيَصِيرُ الْوَعْدُ» الموعود «حِينَئِذٍ فِي حَقِّهِ مَعَ اللَّهِ» أي كأنه وعد مع نفسه فيكون مع الله خبرا لقوله يصير ويكون قوله كرجل تنظير له، أو يكون معنى «مع الله» بالنسبة إلى الله ويكون قوله كرجل خبره على حذف المضاف، ويكون المعنى فيصير الوعد مع ذلك العبد بالنسبة إلى الله «كَ» حال «رَجُلٍ عَزَمَ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ فِي نَفْسِهِ» أي من غير أن يخبر به أحدا «وَنَوَاهُ ثُمَّ صَرَفَهُ» أي ذلك العزم «إِلَى غَيْرِهِ» أي غير ذلك الفعل، فإن هذا الرجل لا يقال في حقه إنه أخلف ولا عيب له ولا كذب عليه فكذلك وعد الله تعالى مع عبده الفاني فيه لا يقال فيه ذلك «وَلَا» أيضا يصير الوعد مع ذلك العبد من الله تعالى «كَالتَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» من الأحكام «إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». فإن الله تعالى أمره بشيء ثم نسخ ذلك المأمور به بشيء آخر من غير لزوم شيء من العيوب كما يدل عليه «قَوْلُهُ:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾ [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٠٦]

فيكون ذلك الوعد الموعود به أولا كأنه نُسَخَ وأعطى مكانه شيئا آخر، ولا خلف في ذلك فيكون انتقالا له من حالة إلى حالة أخرى كما كان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنسبة إلى الأحكام الواردة عليه، وإليه أشار بقوله: «لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْزُوعَ الْهَوَى» أي نزع منه الهوى «وَالْإِرَادَةِ» البشرية «سِوَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ» مما وجد فيها الإرادة البشرية «مِنْ

الْأَسْرَ يَوْمَ بَدْرٍ» روي أن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاور مع أصحابه في أسارى بدر و تقرر رأيه و رأي أكثر أصحابه على أخذ الفدية و ذهب رأي عمر رضي الله عنه إلى قتلهم فكَرِهَ عليه الصلوة والسلام رأي عمر و عَمِلَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأيه و رأي الأكثر فعاتبه الله تعالى بقوله :

﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أي حطامها بأخذ الفداء ﴿وَالله يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. لَوْ لَا كَتَبَ مِنَ اللهِ سَبَقٌ بِإِحْلَالِ الْغَنَائِمِ وَالْأَسْرِ ﴿لَسَكُمُ فِيهَا أَخْذٌ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٨، الآية: ٦٧-٦٨]

وَعَزِيْزُهُ وَهُوَ مُرَادُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَمُحِبُّوْهُ لَمْ يَتْرُكُوْهُ عَلَى حَالِهِ وَاحِدَةً وَعَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ وَوَعْدٍ وَاحِدٍ بَلْ نَقَلَهُ إِلَى الْقَدْرِ فَاطْلَقَ عِنَانَ الْقَدْرِ إِلَيْهِ فَصَرَفَهُ فِي الْقَدْرِ وَقَلْبُهُ فِيهَا نَبْهَةٌ بِقَوْلِهِ:
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٠٦]
يَغْنِي أَتْلُكَ فِي بَحْرِ الْقَدْرِ ثَقَلِيْكَ أَمْوَاجُهُ تَارَةً كَذَا وَ تَارَةً كَذَا، فَمُنْتَهَى أَمْرِ الْوَلِيِّ إِبْدَاءُ أَمْرِ النَّبِيِّ إِذْ لَيْسَ مَا بَعْدَ الْوِلَايَةِ وَالْبَدَلِيَّةِ إِلَّا التُّبُوَّةُ.

«وَعَزِيْزُهُ» من المواضع العديدة فإنها وجد فيها الإرادة البشرية من النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها: إذنه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمنافقين في تخلفهم عن غزوة تبوك فعاتبه الله تعالى بقوله:

﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ جَ لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة ، رقم السورة: ٩، رقم الآية: ٤٣]

و منها قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ [التحریم ، رقم السورة: ٦٦، رقم الآية: ١]

ومنها :

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس ، رقم السورة: ٨٠، رقم الآية: ١، ٢] إلى غير ذلك « وَهُوَ » أي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مُرَادُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ » من إيجاد العالم « وَ مَحَبُّوْبُهُ لَمْ يَثْرُكْهُ » الله تعالى « عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ » من المراتب العالية بل في كل لحظة ولمحة في الترقى « وَعَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ » من الأحكام « وَوَعْدٍ وَاحِدٍ بَلْ نَقَلَهُ » الله تعالى « إِلَى الْقَدْرِ » فهو سار مع القدر عارفا بمقتضاه « فَأَظْلَقَ » رسول الله « عِنَانَ الْقَدْرِ إِلَيْهِ » تعالى فلا يزاحمه فيه ولا يريد سوا ما يقتضيه « فَصَرَفَهُ » الله تعالى « فِي الْقَدْرِ وَ قَلْبُهُ فِيهَا » بمقتضاها « وَ نَبَّهَهُ » الله تعالى « بِقَوْلِهِ: »

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٠٦] « يَعْنِي » الله تعالى بهذا الخطاب « أَنَّكَ » يا رسول الله عليك الصلوة والسلام « فِي بَحْرِ الْقَدْرِ تُقَلِّبُكَ أَمْوَاجُهُ تَارَةً كَذَا » أي إلى حالة و حكم « وَ تَارَةً كَذَا » أي إلى حالة و حكم آخر، فكذلك الولي ينقل من حال إلى حال « فَمُنْتَهَى أَمْرِ الْوَلِيِّ » في الحالات الواردة عليه « اِبْتِدَاءُ أَمْرِ النَّبِيِّ » فيها، وكيف لا يكون كذلك « إِذْ لَيْسَ مَا بَعْدَ الْوِلَايَةِ وَالْبَدَلِيَّةِ إِلَّا التُّبُّوَّةُ » فإذا ليس بعدها إلا هي لا جرم يكون منتهاها ابتداءها.

وما نقل من بعض المشائخ العظام قدس سرهم من أنهم قالوا نهاية الأنبياء بداية الأولياء فليس مرادهم بذلك المراتب بل المراد أن الولي لا يبلغ الولاية ولا يضع قدمه فيها إلا إذا تابع النبي في جميع أحكامه النازلة عليه والحاصلة له في آخر مراتبه مثلاً من تابع نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحكامه النازلة عليه قبل الهجرة و لم يتابعه فيما نزل بعدها لا يبلغ الولاية أصلاً بل إن أنكر يقع في الكفر فما نزل على سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر عمر من الأحكام المدلول عليها بقوله ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة، رقم السورة: ٥، رقم الآية: ٣] ما لم يتابعه الولي في جميع ذلك لا يضع قدمه في الولاية.

وقال الشيخ محي الدين ابن العربي قدس سره في الفصوص في فص حكمة قدرية في كلمة عَزَّيرية: فإذا سمعت أخرا من أهل الله يقول، أو ينقل إليك عنه أنه قال: الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرنا من أن ولاية النبي أعلى من نبوته لا أن ولاية الولي أعلى من نبوة النبي، أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول، فإنه يعني بذلك في شخص واحد، وهو أن الرسول من حيث أنه ولي أتم منه من حيث هو نبي ورسول لأن الولي التابع له ليس أعلى منه فإن التابع لا يدرك المتبوع أبدا فيما هو تابع إذ لو أدركه لم يكن تابعا له، فافهم انتهى.

الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ

في بيان أَنَّ الْأَحْوَالَ كُلَّهَا قَبْضٌ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْأَحْوَالَ قَبْضٌ كُلُّهَا.
لِأَنَّهُ يُؤَمَّرُ الْوَلِيُّ بِحِفْظِهَا وَكُلُّ مَا يُؤَمَّرُ بِحِفْظِهَا فَهُوَ قَبْضٌ،
وَالْقِيَامُ مَعَ الْقَدْرِ بَسْطٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُؤَمَّرُ بِحِفْظِهِ سِوَى
كَوْنِهِ مُوجُودًا فِي الْقَدْرِ فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُتَنَزَّعَ فِي الْقَدْرِ بَلْ يُوَافِقُ وَلَا
يُتَنَزَّعُ فِي جَمِيعِ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ بِمَا يُحِلُّ لِلْوَلِيِّ، وَيُمِرُّ، وَالْأَحْوَالَ مُحْدُودَةٌ
فَأَمَرٌ بِحِفْظِ مُحْدُودِهَا، وَالْفِعْلُ الَّذِي هُوَ الْقَدْرُ غَيْرُ مُحْدُودٍ فَيُحْفَظُ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الْأَحْوَالَ قَبْضٌ كُلُّهَا».

قال سيد الطائفة أبو القاسم جنيد البغدادي قدس الله روحه: الحال نازلة تنزل بالقلب ولا تدوم فمن ذلك (١) المراقبة (٢) ثم القرب (٣) ثم المحبة (٤) ثم الرجاء (٥) ثم الخوف (٦) ثم الحياء (٧) ثم الشرق (٨) ثم الأنس (٩) ثم الطمانينة (١٠) ثم اليقين (١١) ثم المشاهدة ثم يكون فواتح و لوائح و مفاتيح تعفو العبارة عنها وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، كذا نقله الشيخ ضياء الدين أبو النجيب السهروردي قدس سره

و فسر كل واحد منها في آداب المريدين فقال: (١) المراقبة: هو النظر بصفاء اليقين إلى المغيبات. و قال غيره من المشائخ: أن المراقبة هو أن يعلم العبد بقلبه أن الله تعالى ناظر إليه مطلع على أحواله فما دام ملاحظا لهذا كان مراقبا و قال: (٢) والقرب: هو جمع الهمم بين يدي الله تعالى بالغيبة عما سواه.

(٣) والمحبة موافقة المحبوب في محبوبه و مكروهه.

(٤) والرجاء: نوعان علمي و هو لعامة المؤمنين، و حالي و هو لخواصهم و هو

تصديق الحق فيما وعد

- (٥) والخوف: وهو مطالعة القلب بسطوات الله تعالى ونقامته
- (٦) والحياء: هو حصر القلب عن الانبساط و ذلك لأن القرب يقتضي هذه الأحوال
- (٧) والشرق: هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب
- (٨) والأنس: هو السكون إلى الله تعالى والإستعانة به في جميع الأمور
- (٩) والطمأنينة: هو السكون إلى الله تعالى في مجاري الأقدار
- (١٠) واليقين: هو التصديق مع إرتفاع الشك
- (١١) والمشاهدة: هي فصل ما بين رؤية اليقين و رؤية العيان لقوله عليه الصلوة والسلام:

كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

قال: وهي آخر الأحوال.

و إنما قال الغوث الأعظم الأحوال كلها قبض «لأنه» أي الشان «يؤمر» الولي «من جانب الله تعالى «بِحِفْظِهَا، وَ كُلُّ مَا يُؤْمَرُ بِحِفْظِهَا فَهُوَ قَبْضٌ» لأنه لا يمكن له التجاوز عن ذلك فيتقيد به والتقيد بالشيء أيًا كان قبض «وَالْقِيَامُ مَعَ الْقَدْرِ» الإلهي والسير مع موافقته «بَسْطٌ لِأَنَّهُ» أي الشان «لَيْسَ هُنَاكَ» أي في القيام مع القدر «شيء يُؤْمَرُ بِحِفْظِهِ» أي بحفظ ذلك الشيء «سَوَى كَوْنِهِ» أي كون ذلك الولي «مَوْجُودًا فِي الْقَدْرِ» بمعنى أنه غير غائب عنه بالغفلة لا بمعنى أنه يعرف وجوده متميزا؛ فإن الولاية يقتضي الفناء عن العلم بوجوديته فكيف يحفظ كونه موجودا «فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُتَنَازَعَ فِي الْقَدْرِ» بأن يريد خلافه «بَلْ يُوَافِقُ وَلَا يُتَنَازَعُ فِي جَمِيعِ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ» من أسرار القدر «بِمَا يُحِلِّي لِلْوَلِيِّ» حلاوة الظاهر أو الباطن أو كليهما «وَيُؤْمَرُ» مرارة كذلك «و» إنما أمر بحفظ الأحوال إذ «الْأَحْوَالُ مُحْدُودَةٌ فَأَمَرَ» الولي «بِحِفْظِ مُحْدُودِهَا» فلا يجوز له التجاوز عنها فيلزمه التقيد وهو عين القبض «وَالْفِعْلُ» أي فعل الله «الذي هُوَ الْقَدْرُ غَيْرُ مُحْدُودٍ فِيحْفَظُ» أي حتى يحفظ بل فيه التسليم لمقتضياته فالقدر كالماء الجاري والعبد العارف فيه كالذي يعلم

السباحة الملقى نفسه فيه فإنه لا يتحرج أصلاً، وإن كان العامي الذي لا يعلم السباحة فهو يضطرب بل يغرق.

وَعَلَامَةٌ أَنَّ الْعَبْدَ دَخَلَ فِي مَقَامِ الْقَدْرِ وَالْفِعْلِ وَالْبَسْطِ أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِالسُّؤَالِ فِي الْحُظُوظِ بَعْدَ أَنْ أُمِرَ بِتَرْكِهَا وَالرُّهْدِ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ لَمَّا بَاطِنُهُ مِنَ الْحُظُوظِ وَلَمْ يَتَّقَ فِيهِ غَيْرُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بُوَسْطِ فَأُمِرَ بِالسُّؤَالِ وَالتَّشَهُيِّ وَطَلَبِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ قِسْمُهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَنَاوُلِهَا وَالتَّوَصُّلِ إِلَيْهِ بِسُؤَالٍ لِيَتَحَقَّقَ كَرَامَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَتُهُ وَامْتِنَانُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِاجَابَتِهِ إِلَى ذَلِكَ السُّؤَالِ، وَالْإِظْلَاقِ مِنْ أَكْثَرِ عِلَامَاتِ الْبَسْطِ بَعْدَ الْقَبْضِ وَالْإِخْرَاجِ وَ مِنَ التَّكَلُّفِ فِي حِفْظِ الْحُدُودِ.

«وَعَلَامَةٌ أَنَّ الْعَبْدَ دَخَلَ فِي مَقَامِ الْقَدْرِ وَالْفِعْلِ وَالْبَسْطِ أَنَّهُ يُؤْمَرُ» من جانب الله تعالى «بِالسُّؤَالِ فِي» تحصيل «الْحُظُوظِ بَعْدَ أَنْ أُمِرَ» في مبدأ السلوك «بِتَرْكِهَا وَالرُّهْدِ فِيهَا» أي الإعراض عنها.

وإنما أمر بالسؤال في تحصيلها ثانيا «لِأَنَّهُ» أي ذلك الولي العارف «لَمَّا خَلَا بَاطِنُهُ مِنَ الْحُظُوظِ» البشرية بمقتضى الطبيعة امتثالاً لربه تعالى «وَلَمْ يَتَّقَ فِيهِ» أي في قلبه «غَيْرُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بُوَسْطِ» أي أعطى له البسط «فَأُمِرَ بِالسُّؤَالِ وَالتَّشَهُيِّ وَطَلَبِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ قِسْمُهُ» ونصيبه في الأزل «وَلَا بُدَّ» له «مِنْ تَنَاوُلِهَا» جملة تعليلية «وَالْتَّوَصُّلِ» والوصول «إِلَيْهِ بِسُؤَالٍ».

وفي بعض النسخ: يسأله أي بسؤال ذلك العبد، وأما إرجاعه إلى الأشياء بتناول المذكور بجعل إضافة المصدر إلى المفعول فمما لا حاجة إليه، وأما ضمير إليه فهو عائد إلى الأشياء إما باعتبار المذكور وإما باعتبار التعبير عنه بالقسم الذي هو مفرد مذكر «لِيَتَحَقَّقَ كَرَامَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» فإن غيره منهى عن السؤال وهو مأمور به، و غيره تحصيل الحظوظ منه مبعوض وهذا تحصيل الحظوظ منه محبوب،

فظهر كرامته عند الله عَزَّ وَجَلَّ «وَمَنْزِلَتُهُ وَإِمْتِنَانُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ» أي منته «عَلَيْهِ بِإِجَابَتِهِ إِلَى ذَلِكَ السُّؤَالِ» فأعطاه الله تعالى ما سأله ذلك العبد كما مر في حديث قرب النوافل من قوله: وإن سألتني لأعطينه «وَالْإِطْلَاقُ» أي الإذن و الرخصة «مِنْ أَكْثَرِ عِلَامَاتِ الْبَسْطِ بَعْدَ الْقَبْضِ» و روي لفظ أكبر بالباء الموحدة «وَالْإِخْرَاجُ» إما بالجر عطف على البسط أي الإطلاق المذكور من أكبر علامات البسط والإخراج من الأحوال والمقامات «وَالْإِخْرَاجُ» «مِنْ التَّكْلِيفِ» الكائن «فِي حِفْظِ الْخُدُودِ» أو بالرفع عطف على الإطلاق بتقدير الخبر من عطف جملة على جملة أي والإخراج المذكور أيضا من أكبر علامات البسط بعد القبض.

فَإِنْ قِيلَ: هَذَا يَدُلُّ عَلَى زَوَالِ التَّكْلِيفِ وَالْقَوْلِ بِالزُّنْدَقَةِ
وَالْخُرُوجِ عَنِ الْإِسْلَامِ.

وَرَدَّ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر، رقم السورة:

١٥، رقم الآية: ٩٩]

قِيلَ: لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ بَلِ اللَّهُ أَكْرَمُ وَلِيْلُهُ تَعَالَى
أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُدْخِلَهُ فِي مَقَامِ النَّقْصِ وَالْقَيْحِ فِي شَرْعِهِ وَدِينِهِ بَلِ
يَعِصِمُهُ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرَ وَيُضَرِّفُهُ عَنْهُ وَيَحْفَظُهُ وَيُنَبِّهُهُ وَيُسَدِّدُهُ
لِحِفْظِ الْخُدُودِ فَيَتَحَصَّلُ الْعِصْمَةُ وَيَتَحَفَّظُ الْخُدُودُ مِنْ غَيْرِ تَكْلِيفٍ
مِنْهُ وَمُسْقَافٍ وَهُوَ عَنْ ذَلِكَ فِي غَيْبِهِ فِي الْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ
عَزَّ وَجَلَّ:

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُخْلِصِينَ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية: ٢٤]

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر، رقم السورة:

١٥، رقم الآية: ٤٢، ٤١]

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. [الصافات، رقم
السورة: ٣٧، رقم الآية: ٤٠]
يَا مُسْكِينُ:

هُوَ مَحْمُولُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَ مُرَادُهُ وَهُوَ يُرِيْبُهُ فِي حَجَرٍ قُرْبِهِ
وَلُطْفِهِ أَلَّى يَصِلُ الشَّيْطَانُ إِلَيْهِ وَ يَنْطَرِقُ الْقَبَائِحَ وَالْمَكَارِهِ فِي الشَّرْعِ
نَحْوَهُ أَبْعَدَتْ التَّجَعُّعَ وَأَعْظَمَتْ الْقُرْبَةَ قُلْتُ قَوْلًا فَظِيْعًا هَائِلًا عَظِيمًا
تَبًّا لِهَذِهِ الْهَمَمِ الْحَسِيْسَةِ الدَّيْنِيَّةِ وَلِهَذِهِ الْعُقُولِ النَّاقِصَةِ الْبَعِيدَةِ وَ
الْأَرْءَاءِ الْفَاسِدَةِ الْمُخْتَلِفَةِ أَعَاذَنَا اللَّهُ وَالْإِخْوَانَ مِنَ الضَّلَالَاتِ
الْمُخْتَلِفَةِ بِقُدْرَتِهِ الشَّامِلَةِ وَالطَّافَةِ الْكَامِلَةِ وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ وَسَتَرْنَا
بِاسْتِثَارِهِ الثَّامَّةِ الْمَانِعَةِ الْحَامِيَةِ، وَ رَبَّانَا بِنِعَمِهِ السَّابِقَةِ وَ فَضَائِلِهِ
الدَّائِمَةِ بِمُنَّةٍ وَكَرَمِهِ.

«فَإِنْ قِيلَ: هَذَا» أي الإِطلاق بالسؤال في إعطاء الحظوظ، والإِخراج من
التكليف في حفظ الحدود «يَدُلُّ عَلَى زَوَالِ التَّكْلِيفِ» من ذلك العبد العارف «و»
على «الْقَوْلِ بِالزُّنْدَقَةِ وَالْحُزُوجِ عَنِ الْإِسْلَامِ» فإن الإسلام هو الانقياد للتكليفات
الشرعية و حفظ الحدود «وَرَدَّ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر، رقم السورة: ١٥، رقم الآية: ٩٩]
أي الموت، والزندقة عبارة عن التدين بدين الإسلام ظاهرا و إبطان عقائد
الكفر و اعتقاد زوال التكليف عن العاقل أيضا عُذَّ من الزندقة، لأن الله تعالى قال
لرسوله أفضل المخلوقات:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر، رقم السورة: ١٥، رقم الآية: ٩٩]
أجمع المفسرون على أن المراد به الموت لا كما يظنه البطله أن التكليف إنما كان
لتحصيل اليقين فإذا حصل اليقين بطل التكليف وارتفع
«قِيلَ» في الجواب عن تلك الشبهة أن ما ذكرنا من الإِطلاق في السؤال

والإخراج من التكليف في حفظ الحدود «لَا يَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ» الَّذِي ذَكَرْتَ مِنْ زَوَالِ التَّكْلِيفِ «وَلَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ» أَيْضًا «بَلِ اللَّهِ» سُبْحَانَهُ «أَكْرَمُ» مِنْ أَنْ يَغْوِيَ وَلِيهِ كَيْفَ «وَلِيُّهُ تَعَالَى أَعَزَّ عَلَيْهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يُدْخِلَهُ» أَيْ وَلِيهِ «فِي مَقَامِ النَّقْصِ وَ» فِيمَا هُوَ «الْقَبِيحِ فِي شَرِّهِ وَ دِينِهِ بَلْ يَعْصِمُهُ مِنْ جَمِيعِ مَا ذُكِرَ» مِنَ النِّقْصِ وَالتَّقْيِيحِ «وَيَضُرُّهُ» رَبِّهِ «عَنْهُ» أَيْ عَنْ جَمِيعِ مَا ذُكِرَ مِنَ النِّقْصِ وَالتَّقْيِيحِ الدِّينِيِّ «وَيَحْفَظُهُ» عَنْ ارْتِكَابِهِ «وَيُنِيهِ» عَلَى ذَلِكَ النِّقْصِ وَالتَّقْيِيحِ «وَيُسَدِّدُهُ» وَيُصْلِحُهُ وَيَقْوِيهِ تَقْوِيَةً مِنْ عِنْدِهِ «لِحِفْظِ الْحُدُودِ فَيَتَحَصَّلُ الْعِصْمَةُ» لَهُ «وَيَتَحَفَّظُ الْحُدُودُ» مِنْهُ «مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ مِنْهُ» أَيْ مِنْ ذَلِكَ الْوَلِيِّ «وَمُشَقَّةٍ» بَلْ كَانَتْ مِنْ طَبِيعَتِهِ وَجَبَلَتْهُ يَصْدُرُ عَنْهُ بِسَهُولَةٍ كَالْأَفْعَالِ الْعَادِيَةِ وَالْأَعْمَالِ الْجَبَلِيَّةِ «وَهُوَ» أَيْ ذَلِكَ الْوَلِيُّ «عَنْ ذَلِكَ» أَيْ تَحْصُلُ الْعِصْمَةُ وَتَحْفَظُ الْحُدُودُ «فِي غَيْبِهِ» تَعَالَى أَيْ غَيْرِ قَاصِدٍ لِلْعِصْمَةِ وَحِفْظِ الْحُدُودِ بِتَكْلُفٍ وَغَيْرِ مُتَوَجِّهِ وَغَيْرِ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهَا كَائِنْ «فِي الْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ» فَإِنْ اسْتَغْرَقَهُ فِي مَشَاهِدَةِ رَبِّهِ إِمَّا فِي أَفْعَالِهِ وَإِمَّا فِي صِفَاتِهِ وَإِمَّا فِي ذَاتِهِ عَلَى قَدَرِ مَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ مِنَ الْمَرَاتِبِ مَانِعٍ لَهُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى مَا سِوَاهُ حَتَّى نَفْسُهُ وَأَفْعَالُهُ نَفْسُهُ أَمَا تَرَى كَيْفَ «قَالَ» اللَّهُ «عَزَّ وَجَلَّ» فِي دَفْعِ النِّقْصِ وَالتَّقْيِيحِ عَنْ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «كَذَلِكَ» أَيْ مِثْلَ تَثْبِيْتِنَا إِيَّاهُ فِي دَفْعِ مَخَالَطَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَمُبَاشَرَتِهَا ثَبَتْنَاهُ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ «لِنُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ» ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ».

فَالدَّافِعُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ فَكَمَا يَحْفَظُ الْأَنْبِيَاءُ يَحْفَظُ الْأَوْلِيَاءُ، وَلَمَّا كَانَ إِخْلَاصُ الْأَنْبِيَاءِ أَمْتًا وَأَكْمَلَ كَانَ حِفْظُهُمْ كَذَلِكَ حَتَّى جُعِلُوا مَعْصُومِينَ، وَكَانَ إِخْلَاصُ الْأَوْلِيَاءِ تَامًا كَامِلًا جَعَلُوا مُحْفُوظِينَ دُونَ مَعْصُومِينَ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا هُوَ عَامٌ بِمَنْطُوقِهِ فَقَالَ: «وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» فِي جَوَابِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ حَيْثُ قَالَ فِي سُورَةِ الْحَجَرِ:

﴿رَبِّ بِنَا أَعُوْثِي لَأَرْيِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُعْوَِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ١٥، الآية: ٣٩-٤٠]

قال الله تعالى:

﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَوِينَ﴾ [الحجر: ١٥، الآية: ٤١-٤٢]

فإن جمهور العلماء على أن المراد بالعباد المومنون وبالسلطنة المنفية هو الإيقاع في الكفر، أو المراد بالعباد الكاملون وبالسلطنة المنفية هي المعصية. وقال الله تعالى مثل ذلك في سورة بنى إسرائيل أيضا.

ثم أورد دليلا ثالثا على حفظ الله تعالى أولياءه بقوله: «وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:»

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٢٧، الآية: ٤٠]

قال ذلك في سورة الصافات في أربعة مواضع وإنما استثناهم عما لا يليق بسبب الإخلاص؛ فإن الإخلاص هو سبب الحفظ والعصمة نبيا كان أو وليا. «يَا مَسْكِينُ» إن سألت عن حال أولياء الله تعالى حين أطلقهم الله تعالى بالسؤال في إعطاء الحظوظ، وأخرجهم من الأحوال والمقامات والتكليف وحفظ الحدود، واستبعدت ذلك، وتوهمته زندقة.

قلنا لك في الجواب: إن ما ذكرنا لا يؤدي إلى ذلك كيف «هُوَ مَحْمُولُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ» أي حفظه الرب بلطفه وكرمه «وَمُرَادُهُ وَهُوَ تَعَالَى يُرَبِّيهِ فِي حَجَرٍ قُرْبِهِ وَلُطْفِهِ» أشار قدس سره بهذا الكلام إلى قول المشائخ، وتوجيهه وهو أن أولياء الله تعالى أطفال في حجر الحق جل وعلا يحفظهم عن كل مكروه، ووجه التوجيه أن المراد بحجر الحق حجر قربه ولطفه.

فإذا كان حال الولي من القرب كذلك: «أَنَّى يَصِلُ الشَّيْطَانُ» المطرود المردود من القرب «إِلَيْهِ» أي إلى ذلك الولي «وَأَنَّى يَتَطَرَّقُ» أي يعرض «الْقَبَائِحُ وَالْمُكَارِهِ فِي الشَّرْعِ نَحْوَهُ» أي جانب ذلك الولي فإنه محفوظ عن جميع القبائح الشرعية وعن المكائد الشيطانية يا مسكين «أَبْعَدَتْ النَّجْعَةَ وَأَعْظَمْتَ الْقُرْبَةَ» أي ظننت أن قربة الله تعالى عظيمة كيف تحصل للعباد وأنها غيره منجعة لا يهضم بل «قُلْتَ قَوْلًا فَظِيحًا هَائِلًا عَظِيمًا» هو أن قربة تعالى تدل على زوال التكليف والقول بالزندقة والخروج عن الإسلام ورد قوله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ١٥، الآية: ٩٩]

«تَبًّا» هلاكا «لِهَذِهِ الْهَمَمِ الْحَسِيَسَةِ الدَّيَّةِ» المستبعدة لأحوال كَمَلَّة الرجال «و» هلاكا «لِهَذِهِ الْعُقُولِ النَّاقِصَةِ الْبُعِيدَةِ» عن إدراك كنه المقال «و» هلاكا لهذه «الْأَرْاءِ الْفَاسِدَةِ الْمُخْتَلِفَةِ» الجاهلة عن حقيقة الحال «أَعَاذَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَالْإِخْوَانُ» الكلمة «مِنْ الصَّلَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ» من الجهلة «بِقُدْرَتِهِ» تعالى «الشَّامِلَةِ» المدلولة عليها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢، الآية: ١٢٠]

«وَالطَّافِهِ الْكَامِلَةِ» على أوليائه المشار إليها بقوله تعالى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٤٢، الآية: ١٩] فإن الصفة المشبهة يدل على كمال المشتق منه و هو اللطف هنا «وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ» على جميع خلقه المصرحة بقوله: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ٧، الآية: ١٥٦] وهي من آثار سبق رحمة ربنا على غضبه المذكور في الحديث القدسي: سبقت رحمتي غضبي^(١) «وَسَتَرْنَا» معشر أهل العرفان بل أهل الإيمان «بِأَسْتَارِهِ الثَّامَّةِ» بحيث لا يمكن كشفها عن شياطين الإنس والجن «الْمَانِعَةِ» عن تطرق مكائدهما «الْحَامِيَةِ» الحافظة عن مكرهما «وَرَبَّانَا» رب الأرباب «بِنِعْمِهِ السَّابِقَةِ» كما ذكر ذلك في القرآن الكريم، هو الذي:

﴿أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٣١، الآية: ٢٠]

«وَفَضَائِلِهِ الدَّائِمَةِ» المشار إليها بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢، الآية: ٢٤٣]

«بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ» وامتنانه.

(١) رواه الإمام البخارى فى صحيحه برقم: ٧٤٢٢، ٩/ ١٢٥، باب (وكان عرشه على الماء) من كتاب التوحيد. والإمام مسلم فى صحيحه برقم: ١٨٩، ١٦٨، باب فى سعة رحمة الله تعالى من كتاب التوبة.

الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الْأَمْرِ بِتَعَامِي السَّالِكِ عَنِ الْجِهَاتِ كُلِّهَا حَتَّى يَصْلُحَ لِفَيْضَانِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ
قُرْبِهِ عَلَيْهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَامٍ عَنِ الْجِهَاتِ كُلِّهَا وَلَا تُبْصِرُ عَلَى
شَيْءٍ مِنْهَا، فَمَا دُمْتَ تَنْظُرُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَا يَفْتَحُ لَكَ جِهَةٌ فَضَّلَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ وَقُرْبِهِ، فَسَدَّ الْجِهَاتِ جَمِيعًا بِتَوْحِيدِكَ وَبِإِمْحَاءِ نَفْسِكَ وَ
فَنَائِكَ وَخَوْكَ وَعِلْمِكَ فَحِينَئِذٍ يُفْتَحُ فِي عَيْنِ قَلْبِكَ جِهَةٌ فَضَّلَ اللَّهُ
الْعَظِيمُ فَتَرَاهَا بِعَيْنِي رَأْسِكَ إِذْ ذَاكَ بِشُعَاعِ نُورِ قَلْبِكَ وَإِيمَانِكَ وَ
يَقِينِكَ وَعِلْمِكَ فَيُظْهِرُ عِنْدَ ذَلِكَ التُّورُ مِنْ بَاطِنِكَ عَلَى ظَاهِرِكَ كَنُورِ
السَّمْعَةِ الَّتِي فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ فِي لَيْلَةٍ ظُلُمَاءُ يَظْهَرُ مِنْ كُوى الْبَيْتِ وَ
مَنَافِذِهِ فَيَشْرِقُ ظَاهِرُ الْبَيْتِ بِنُورِ بَاطِنِهِ فَتَسْكُنُ النَّفْسُ وَالْجَوَارِحُ إِلَى
وَعْدِ اللَّهِ وَعَطَائِهِ عَنْ عَطَاءِ غَيْرِهِ وَوَعْدِ غَيْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ .

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَامٍ» أمر من العمى أي صِرَ أَعْمَى يَا سَالِك «عَنِ
الْجِهَاتِ» التي لا توصلك إلى الله تعالى «كُلِّهَا» أي جهة كان فإنه لما لا يؤدي إلى الله
تعالى كان سببا للبعد عنه تعالى وهو واجب الاحتراز للسالك «وَلَا تُبْصِرُ»
أي لا تفتح عينك «عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا» أي من الجهات بالتعلق القلبي «فَمَا دُمْتَ تَنْظُرُ
إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا» طامعا فيها «لَا يَفْتَحُ لَكَ» لأجل نفْعك «جِهَةٌ فَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَ
جَلَّ» وهو فيضه الخاص بأوليائه لا مطلق النعم، فإنها من فضل الله الفائض على
سائر خلقه «وَلَا يَكْشِفُ لَكَ جِهَةً» قُرْبِهِ فَسَدَّ الْجِهَاتِ جَمِيعًا «وَلَتَغْلِقَ الْأَبْوَابُ
كُلَّهَا» بِتَوْحِيدِكَ «لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ وَالذَّاتِ فَلَا تَعْلَمُ لغير الله فعلا و
لا صفة ولا ذاتا «وَلَا يَفْطَحُ نَظْرَ بَصِيرَتِكَ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ» بِإِمْحَاءِ نَفْسِكَ «فَلَا تَعْلَمُ

نفسك بأنها موجودة «و» إحماء «فَتَائِكَ وَ مَحْوِكَ» فلا تشعر بأنك صرت فانيا و محوا «و» إحماء «عِلْمِكَ» بأنك صرت فانيا فإن الفناء والمحو والعلم من صفاتك و إنك إذا فנית بذاتك فأين صفاتك، فإن الشعور بالشيء، والشعور بالشعور من صفات الشاعر فإن بقي شيء منها لم يحصل الفناء التام «فَحَيْنِئِذٍ» أي حين سذك الجهات جميعا بتوحيدك و إحماء نفسك ثم إحماء فنائك و محوك و علمك بذلك «يُفْتَحُ» من جانب الله تعالى بعنايته و لطفه «فِي عَيْنِ قَلْبِكَ» و نظر بصيرتك «جِهَةٌ فَضْلُ اللَّهِ الْعَظِيمِ فَتَرَاهَا» أي تلك الجهة الفضلية «بِعَيْنِي رَأْسَكَ إِذْ ذَاكَ» أي وقت حصول ذلك الحال لك «بِشُعَاعِ نُورِ قَلْبِكَ وَ إِيْمَانِكَ وَ يَقِينِكَ وَ عِلْمِكَ» كما ترى بنور الشمس المحسوسات ترى بنور القلب المنظور للحق المنور بنوره تعالى جهة فضله تعالى «فَيُظْهِرُ عِنْدَ ذَلِكَ» أي حين بلوغك إلى هذا الحال الرفيع والقدر المنيع لك «التُّورُ مِنْ بَاطِنِكَ عَلَى ظَاهِرِكَ كَنُورِ الشَّمْعَةِ الَّتِي فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ فِي لَيْلَةٍ ظُلُمَاءُ يَظْهَرُ مِنْ كُوى الْبَيْتِ وَ مَنَافِذِهِ فَيَشْرُقُ ظَاهِرُ الْبَيْتِ بِنُورِ بَاطِنِهِ» كذلك تنور ظاهرك بنور باطنك من منافذ الحواس وكوى القوى «فَتَسْكُرُ النَّفْسُ وَالْجَوَارِحُ» أي الظاهر والباطن «إِلَى وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَ عَطَائِهِ» الموعود بلسان أنبيائه وأوليائه معرضا «عَنْ عَطَاءٍ غَيْرِهِ وَ وَعْدِ غَيْرِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» لأنك تعلم فناء الغير و عطاءه و وعده فكيف تميل إليه فينبغي لك أن تحصل هذا الحال الرفيع الشأن فجد واسع في تحصيله بقطع التوجه والالتفات إلى الغير.

وَأَرْحَمَ نَفْسَكَ وَ لَا تَظْلِمَ عَلَيْهَا وَ لَا تُلْقِهَا فِي ظُلُمَاتٍ جَهْلِكَ
وَرَعُونَتِكَ فَتَنْظُرَ إِلَى الْجِهَاتِ إِلَى الْخَلْقِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَالْكَسْبِ
وَالْأَسْبَابِ فَتَكِلُ عَلَيْهَا فَيَنْسُدُّ عَنْكَ الْجِهَاتُ وَ لَمْ يُفْتَحْ لَكَ جِهَةٌ
فَضَّلِ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَقُوبَةً وَ مُقَابَلَةً لِشُرْكَكَ بِالنَّظَرِ إِلَى غَيْرِهِ عَزَّ وَ
جَلَّ فَإِذَا وَجَدْتَهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ نَظَرْتَ إِلَى فَضْلِهِ وَ رَجَوْتَهُ دُونَ غَيْرِهِ وَ
تَعَامَيْتَ قَرَبَكَ وَ أَذْنَاكَ وَ رَحِمَكَ وَ رَبَّاكَ وَ أَطْعَمَكَ وَ سَقَاكَ وَ

دَاوَاكَ وَ عَافَاكَ وَ أَعْطَاكَ وَ أَغْنَاكَ وَ نَصَرَكَ وَ وَلَّاكَ ثُمَّ مَحَاكَ عَنِ
الْخَلْقِ وَ عَنِ نَفْسِكَ وَ أَفْنَاكَ فَلَا تَرَى بَعْدَ ذَلِكَ لَا فَقْرَكَ وَلَا غِنَاكَ.

«وَأَرْحَمُ نَفْسِكَ» بتحصيل هذه الرتبة لها «وَلَا تَظْلِمُ عَلَيْهَا» بأن تجعلها محرومة عنها «وَلَا تُلْقِهَا فِي ظُلُمَاتٍ جَهْلِكَ وَ رَعُوبَتِكَ» أي حماقتك بترك التوجه والسعي إلى هذه الرتبة بكثرة الاشتغال بالأموال الدنيوية الخسيسة أو الأخروية الشريفة «فَيَنْظُرَ إِلَى الْجِهَاتِ» المُبَعَّدَةِ لك عن قرب ربك «وَوَ» هي النظر «إِلَى الْخَلْقِ وَالْحَوْلِ وَ الْقُوَّةِ وَالْكَسْبِ وَالْأَسْبَابِ» بأنها نافعة لك في مطالبك و يحصل لك بها مقاصدك «فَتَسْكُلُ» و تعتمد «عَلَيْهَا» في حصول مراداتك «فَيَنْسُدُّ عَنْكَ الْجِهَاتُ» المقربة لك إلى ربك تعالى «وَلَمْ يُفْتَحْ لَكَ جِهَةٌ فَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عُقُوبَةً» مفعول له لإثبات الفعل و نفيه فيكون علة لهما لا للفعل المنفي أي يكون انسداد الجهات و عدم فتح جهة فضله لك لأجل العقوبة عليك من جانب الله تعالى «وَمُقَابَلَةً» أي لأجل المجازاة والمكافأة «لِشْرِكَكَ» الصادر عنك «بِالنَّظَرِ» والالتفات «إِلَى غَيْرِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» من الخلق والحوال والقوة والكسب والاسباب «فَإِذَا وَجَدْتَهُ عَزَّ وَ جَلَّ» واحدا لا شريك له في الأفعال والصفات والوجود «وَنَظَرْتَ إِلَى فَضْلِهِ» تعالى دون فضل غيره «وَرَجَوْتَهُ دُونَ غَيْرِهِ وَ تَعَامَيْتَ» و غمزت عينيك عما سواه تعالى «فَرَبَّكَ» ربك «وَأَذْنَاكَ» أي زاد في تقريرك عنده «وَرَحْمَتَكَ» بتأييد من عنده بحفظك عن التوجه إلى غيره تعالى «وَرَبَّكَ» ربك بأنواع التربية الظاهرية والباطنية «وَأَطَعَمَكَ وَ سَقَاكَ» بطعام و شراب يصلح لغذاء الباطن وقوة الروح والعقل «وَدَاوَاكَ» بدواء يزيل مرض الحرمان عن وجدان كمال الإنسان «وَعَافَاكَ» عن مرض التنزل إلى رتبة الحيوان «وَأَعْطَاكَ» كمال العلم والعرفان «وَأَغْنَاكَ» عن جميع ما سواه تعالى من إنس و جان «وَنَصَرَكَ» على أعدائك من نفسك والشيطان «وَوَلَّاكَ» أي جعلك متوليا لأموال نفسك والخلق «ثُمَّ مَحَاكَ رَبُّكَ عَنِ الْخَلْقِ وَ عَنِ نَفْسِكَ وَ أَفْنَاكَ فَلَا تَرَى بَعْدَ ذَلِكَ لَا فَقْرَكَ وَلَا غِنَاكَ» وقد كنت أولا رائيا فقرك و معرضا بالتكلف عن تأثير الخلق والنفس والأسباب، والآن صرت عارفا أن لا وجود في الحقيقة إلا لله الَّذِي لا إله إلا هو.

المقالة التاسعة والخمسون

في بيان التصبر والصبر والرضا والموافقة والفناء

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَخْلُؤْ حَالَتَكَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ بِلَيْتَةٍ أَوْ نِعْمَةٍ: فَإِنْ كَانَتْ بِلَيْتَةً فَتُطَالِبْ فِيهَا بِالتَّصَبُّرِ وَهُوَ الْأَذَلُّ، وَالتَّصَبُّرُ، ثُمَّ الرِّضَا وَالْمُوَافَقَةُ، ثُمَّ الْفَنَاءُ وَهُوَ لِلْأَبْدَالِ وَالْعَارِفِينَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كَانَتْ نِعْمَةً فَتُطَالِبْ فِيهَا بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا، وَالشُّكْرُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ. أَمَّا بِاللِّسَانِ فَبِالْإِغْتِرَافِ بِالنِّعْمَةِ أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَزَكِ الْإِضَافَةَ إِلَى الْخَلْقِ لَا إِلَى نَفْسِكَ وَحَوْلِكَ وَفُوتِكَ وَحَرَكَتِكَ وَكَسْبِكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ مِنَ الَّذِينَ جَرَتْ تِلْكَ النِّعْمَةُ عَلَى أَيْدِيهِمْ؛ لِأَنَّكَ وَإِيَّاهُمْ أَسْبَابُ وَآلَاتُ وَآدَاءُ لَهَا، وَقَاسِمُهَا وَمُجَرِّئُهَا وَمُوجِدُهَا وَالْفَاعِلُ فِيهَا وَالْمُسَبِّبُ لَهَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِذَا كَانَ الْقَاسِمُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمُجَرِّئُ هُوَ، وَالْمُوجِدُ هُوَ، فَهُوَ تَعَالَى أَحَقُّ بِالشُّكْرِ مِنْ غَيْرِهِ. لَا نَظَرَ إِلَى الْعُلَامِ الْحَمَالِ لِلْهَدِيَّةِ إِنَّمَا النَّظَرُ إِلَى الْأُسْتَاذِ الْمُتَّقِدِ الْمُتَنَعِّمِ بِهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ عَدِمَ هَذَا النَّظَرَ:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٠، آيَةُ: ٧]

فَمَنْ نَظَرَ إِلَى الظَّاهِرِ وَالسَّبَبِ وَلَمْ يُجَاوِزْهُمَا عِلْمُهُ وَمَعْرِفَتُهُ فَهُوَ الْجَاهِلُ النَّاقِصُ قَاصِرُ الْعَقْلِ، وَإِنَّمَا سَمِيَ الْعَاقِلُ عَاقِلًا لِتَنَظُّرِهِ فِي الْعَوَاقِبِ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَخْلُؤْ حَالَتَكَ « يَا طَالِبَ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ فِي كُلِّ

وقت و زمان و كل منزل و مكان «إِمَّا أَنْ تَكُونَ» هي حالة «بَلِيَّةٌ» و هي ما يحزنك و يسؤك من أي جنس كانت «أَوْ» حالة «نِعْمَةٌ» و هي ما تسرك من أي جنس كانت «فَإِنْ كَانَتْ» حالتك «بَلِيَّةٌ» أي حالة بلية من أي جنس كانت «فَتُطَالَبُ» أنت من جانب الله تعالى «فِيهَا» أي في تلك الحالة «بِالتَّصَبُّرِ» و هو التكلف في الصبر و إظهاره و توطين النفس عليه بمحنة و مشقة «وَهُوَ» أي التصبر المرتبة «الْأَدْنَى» من مراتب عباد الله المؤمنين المرضيين المقبولين «وَالصَّبْرُ» و هو تحمل المكروه بقوة القلب من غير جزع و فزع و بث الشكوى عند الخلق كما كان حال أيوب عليه السلام «ثُمَّ» بعد الصبر «الرِّضَا» و هو ظهور البشاشة و السرور بوصول المكروه كما كان بوصول النعمة «وَالْمُؤَافَقَةُ» لقضاء الله تعالى و قدره من غير سعي في دفع ذلك المكروه بدواء أو دعاء كما كان حال إبراهيم حين أُلقي في نار نمرود، و قال له جبرئيل عليه السلام: ألك حاجة، قال: أما إليك فلا، قال: فاسأل ربك، قال: حسبي عن سؤالي علمه بحالي «ثُمَّ» بعد الرضا و الموافقة «الْفَنَاءُ» عن تلك البلية بالفناء عن النفس في الله تعالى فمن في عن النفس لا يجد النفس فأين لوازمها و متفرعاتها التي من جملتها البلية و المحنة بتلك البلية و السرور بها «وَهُوَ» أي الفناء إنما يكون «لِلْأَبْدَالِ وَ الْعَارِفِينَ» الكاملين من الأولياء «أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فإنهم ما بقي فيهم إلا العلم بالله عَزَّ وَ جَلَّ، و انتفى عنهم سائر العلوم و من جملتها العلم بالنفس و لوازمها «وَإِنْ كَانَتْ» حالتك «نِعْمَةٌ» أي حالة نعمة من أي جنس كانت «فَتُطَالَبُ» أنت من جانب الله تعالى «فِيهَا» أي في تلك الحالة «بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا» أي على تلك النعمة «وَالشُّكْرُ» يعم الموارد كلها «بِاللِّسَانِ وَ الْقَلْبِ وَ الْجَوَارِحِ»^(١) أما طريق أداء الشكر «بِاللِّسَانِ فَبِالْإِعْتِرَافِ بِالنِّعْمَةِ أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَرْكِ الْإِضَافَةِ إِلَى الْخُلُقِ» و إن وصلت تلك النعمة من جانبهم أي خلق كان فاترك الإضافة إليه فلا

(١) قال الشاعر: أفادتكم النعماء مني ثلاثة. يدي ولساني والضمير المحجبا. من شرح الشيخ عبدالعزيز رحمه الله.

تضيف «لَا إِلَى نَفْسِكَ وَحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَحَرَكَتِكَ وَكَسْبِكَ» وإن كانت نفسك بهذه الطرق في حصول تلك النعمة سببا بحسب الظاهر «وَلَا إِلَى غَيْرِكَ مِنَ الَّذِينَ جَرَتْ تِلْكَ النِّعْمَةُ عَلَى أَيْدِيهِمْ» وإنما أمّرت بترك الإضافة إلى الخلق مطلقا نفسك أو غيرك «لِأَنَّكَ وَإِيَّاهُمْ أَسْبَابٌ وَأَلَاتٌ وَأَدَاةٌ لَهَا» أي لتلك النعمة. الكلمات الثلاث كلها بمعنى واحد وكونها أسبابا وألاتا وأدواتا أيضًا يجعل الله تعالى لا لخاصية في ذواتهم كما بين ذلك بقوله «وَقَاسِمُهَا» أي قاسم النعمة مطلقا على جميع مخلوقاته «وَجُزْئُهَا» أي مجري النعمة مطلقا بيدي المخلوقات على المخلوقات «وَمُوجِدُهَا» أي موجد النعمة مطلقا «وَالْفَاعِلُ فِيهَا» أي المؤثر فيها «وَالْمُسَبِّبُ لَهَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» فوجب إضافة النعمة إليه تعالى وإضافتها إلى الوسائط من حيث الوساطة و أما إضافتها إليهم من حيث التأثير فهي جهل و حماقة «وَإِذَا كَانَ الْقَاسِمُ» للنعم على المخلوقات «هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُجْرِي» للنعم بيد العباد «هُوَ، وَالْمُوجِدُ» للنعم والعباد «هُوَ» الله تعالى «فَهُوَ تَعَالَى أَحَقُّ بِالشُّكْرِ مِنْ غَيْرِهِ» تعالى الَّذِي يظهر النعمة بيده وإن كان شكر السببية حقا له أيضًا على ما نطق به حديث:

مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ.^(١)

ثم بين له نظيرا فقال: «لَا نَظَرَ» من العاقل أي لا ينبغي النظر من المهدي الفطن العاقل «إِلَى الْغُلَامِ الْحَمَالِ لِلْهَدِيَّةِ» التي أرسله بها صاحب الغلام إلى شخص «إِنَّمَا النَّظَرُ» في إرسال تلك الهدية «إِلَى الْأُسْتَاذِ الْمُتَفِدِّ» أي المرسل «الْمُنْعِمِ بِهَا» أي بتلك الهدية، ويجب إضافة تلك الهدية إلى الأستاذ والامتنان بها منه لا إلى الغلام ولا منه «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ عَدِمَ هَذَا النَّظَرَ» وغفل عنها ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظُهُورًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ وهو

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم: ٤، ١٩٥٥/٣٣٩، باب ماجاء في الشكر من أبواب البر والصلة

التمتع بزخارفها و التنعم بملاذها، و باطن الدنيا هو كونها مزرعة الآخرة إذ به يحصل الآخرة إن لوحظ في أمورها ملاحظة أمر الله تعالى و رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ أي ما يفيدهم في الآخرة و هو معرفة المنعم و أداء شكره بما أنعم ﴿هُمْ غَافِلُونَ﴾

لا يخطر ذلك الَّذِي ذكرنا ببالهم «فَمَنْ نَظَرَ إِلَى الظَّاهِرِ وَالسَّبَبِ» و قصر النظر عليهما «وَلَمْ يُجَاوِزْهُمَا» أي الظاهر والسبب «عِلْمُهُ وَ مَعْرِفَتُهُ» إلى معرفة المنعم الحقيقي و أداء الشكر إليه والامتنان منه «فَهُوَ الْجَاهِلُ» لحقيقة النعمة و حق المنعم «التَّاقِصُ» في معرفة كنه الأشياء «قَاصِرُ الْعَقْلِ» عما خلق له، و ذلك لأن العقل على ما فسرهُ القوم هو نور أي قوة شبيهة بالنور يضيئ به طريق يتبدأ به من حيث ينتهي إليه أي من محل ينتهي إليه درك الحواس فيتبدل أي يظهر المطلوب للقلب أي الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة فيدركه القلب بتأمله أي التفاته إليه والتوجه نحوه بتوفيق الله تعالى وإلهامه لا بتأثير النفس أو توليدها كما ذهب إليه غير أهل السنة والجماعة، و محلها قيل: الرأس، و قيل: القلب، و قيل: بدن الإنسان فقاصر النظر على الظاهر غير مدرك للحقيقة فلا يكون إلا ناقص العقل بل لا يسمى عاقلا لعدم نظره في عواقب الأمور «وَأَمَّا سُمِّيَ الْعَاقِلُ عَاقِلًا لِتَنَظُّرِهِ فِي الْعَوَاقِبِ» فكان حق المنعم عليه أن ينظر إلى المنعم الحقيقي ويؤدي الشكر إليه والامتنان منه حتى يستحق المزيد فالنظر إلى الظاهر والسبب ليس نظرا في العواقب فلا يسمى الناظر إليهما عاقلا في الحقيقة بل جاهلا ناقصا.

وَأَمَّا الشُّكْرُ بِالْقَلْبِ فَبِالْإِعْتِقَادِ الدَّائِمِ وَالْعَقْدِ الْوَثِيقِ الشَّدِيدِ
الْمُتَبَرِّمِ إِنَّ جَمِيعَ مَا بِكَ مِنَ النِّعَمِ وَالْمَنَافِعِ وَاللَّذَاتِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ
فِي حَرَكَاتِكَ وَ سَكَاتِكَ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَا مِنْ غَيْرِهِ، وَ يَكُونُ
شُكْرُكَ بِلِسَانِكَ مُعَبَّرًا عَمَّا فِي قَلْبِكَ. وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ ﴿وَمَا بِكُمْ
مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٦، الآية: ٥٣]

وَقَالَ:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٣١، الآية: ٢٠]

وَقَالَ:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٦، الآية: ١٨]

فَمَعَ هَذَا لَا يَبْقَى لِلْمُؤْمِنِ مُنْعَمٌ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

«وَأَمَّا الشُّكْرُ بِالْقَلْبِ» أي طريق أداء الشكر بالقلب «ف» يتحقق «بِالْإِعْتِقَادِ الدَّائِمِ وَالْعَقْدِ الْوَثِيقِ» أي المحكم «الشَّدِيدِ» الَّذِي لَا يَتَزَلَزَلُ «الْمُتَبَرِّمِ» القاطع الجازم «إِنَّ جَمِيعَ مَا بِكَ» أيها السالك المنعم عليه «مِنَ النِّعَمِ وَالْمَنَافِعِ وَاللَّذَاتِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فِي» جميع «حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا مِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى وَيَكُونُ شُكْرُكَ بِلِسَانِكَ مُعَبِّرًا عَمَّا فِي قَلْبِكَ» من اعتقاد أن النعم كلها من الله تعالى واصله إليك، وإن كانت بحسب الظاهر من الخلق «وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٦، الآية: ٥٣]

«وَقَالَ:»

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٣١، الآية: ٢٠]

«وَقَالَ:»

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٦، الآية: ١٨]

«فَمَعَ هَذَا» الكلام من الله العزيز العلام «لَا يَبْقَى لِلْمُؤْمِنِ» بالله ورسوله و كلامه «مُنْعَمٌ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» فيجب أن يعلم أن منعم كل النعم هو الله فيحمد الله ويشكره وإن وصلت إليه بيد الخلق.

وَأَمَّا الْجَوَارِحُ فَبِأَن تَحْرِكَهَا وَتَسْتَعْمِلَهَا فِي طَاعَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ
دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ فَلَا تُجِيبُ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ فِيهَا فِيهِ إِعْرَاضٌ عَنِ
اللَّهِ، وَ هَذَا يَغْمُ النَّفْسَ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَاتِ وَالْأَمَانِيَّ وَ سَائِرَ

الْخَلِيقَةِ، تَجْعَلُ طَاعَةَ اللَّهِ الْمُضَوَّعَةَ أَضَلًّا مَتَّبِعًا إِمَامًا وَمَا سِوَاهَا
فَرْعًا وَتَابِعًا وَمَأْمُومًا، فَإِنْ فَعَلْتَ غَيْرَ ذَلِكَ كُنْتَ جَائِرًا ظَالِمًا حَاسِمًا
بِغَيْرِ حُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُضَوَّعِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ سَالِكًا غَيْرِ
سَبِيلِ الصَّالِحِينَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾
[المائدة: ٥، الآية: ٤٤]

وفي آية أخرى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
[المائدة: ٥، الآية: ٤٥]

وفي أخرى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
[المائدة: ٥، الآية: ٤٧]

فَيَكُونُ انْتِهَاءُكَ إِلَى النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، وَ
أَنْتَ لَا تَصْبِرُ عَلَى حُمَى سَاعَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَقْلَ شَطِيطَةٍ وَشَرَارَةٍ مِنْ نَارٍ
فِيهَا فَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى الْخُلُودِ فِي الْهََاوِيَةِ مَعَ أَهْلِهَا أَلَنْبَجَا النَّجَا،
أَلَوْحَا أَلَوْحَا، اللَّهُ اللَّهُ.

«وَأَمَّا الْجَوَارِحُ» أي طريق أداء الشكر بالجوارح «فَبِأَن تُحَرِّكَهَا وَ
تَسْتَعْمِلَهَا» أي الجوارح في «طَاعَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ» طاعة «غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ فَلَا
تُجِيبُ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ فِيمَا» أي في شيء «فِيهِ إِعْرَاضٌ عَنِ اللَّهِ» تعالى كالقتل والزنا
والشرب والقذف وغير ذلك مما هو معصية وإليه يشير حديث رسول الله صَلَّى الله
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ».^(١)

«وَهَذَا» أي الخلق «يَعْمُ النَّفْسَ وَالْهَوَى وَالْإِرَادَاتِ» النفسية «وَالْأَمَانِيَّ» الهوائية «وَسَائِرِ الْخَلِيقَةِ» فيجب عليك أن لا تتبع شيئاً منها بل «تَجْعَلُ طَاعَةَ اللَّهِ الْمَوْضُوعَةَ» أي المفروضة عليك «أَصْلًا مَتَّبِعًا إِمَامًا وَمَا سِوَاهَا» أي ما سوى طاعة الله الموضوعه بأن يكون طاعة المخلوق أو طاعة الله الْمُتَتَّبِعَةَ «فَرْعًا» وفي بعض النسخ: و أما ما سواها ففَرْعًا «وَتَابِعًا وَمَأْمُومًا» لطاعة الله المفروضة فتؤدي على وجه لا تُضِيعُهَا و لا تخالفها؛ فإن طاعة الله المفروضة رأس المال، و طاعة المخلوق الَّذِي ثَبَتَ حَقُّهُ عَلَى النَّاسِ كَالْأَبِ وَالْأُمِّ وَالْأُسْتَاذِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ وَالسَّيِّدِ وَالْغُلَامِ وَكَذَا طَاعَتُهُ تَعَالَى الْمُتَتَّبِعَةَ رِبْحٌ فَحَقُّ الرِّبْحِ أَنْ لَا يَضِيعَ رَأْسُ الْمَالِ «فَإِنْ فَعَلْتَ غَيْرَ ذَلِكَ» بأن جعلت طاعة المخلوق أصلاً و طاعة الله فرعاً، أو طاعة الله المتتفلة أصلاً والمفروضة فرعاً «كُنْتَ بَجَائِزًا ظَالِمًا» بوضع الشيء في غير موضعه «حَاكِمًا بِغَيْرِ حُكْمٍ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَوْضُوعِ» المفروض المثبت المقرر «لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» وهو أن لا يعبدوا إلا الله وحده كما بين ذلك بقوله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيت:، السورة: ٥١، الآية: ٥٦]

وبقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٩، الآية: ٣١]

وبقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٩٨، الآية: ٥]

وبقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [بنی اسرائیل: ١٧، الآية: ٢٣]

«وَسَالِكًا غَيْرَ سَبِيلِ الصَّالِحِينَ» من عباده تعالى «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٥، الآية: ٤٤]

«وفي آية أخرى:»

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٥، الآية: ٤٥]

وفي أخرى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]

«فَيَكُونُ انْتِهَاءُكَ» بسبب ظلمك و حكمك بغير حكم الله عَزَّ وَجَلَّ و

سلوكك غير سبيل الصالحين و هو جعل طاعة المخلوق أصلا و طاعة الخالق فرعا
 «إلى النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» و لا تظن أنك تقدر على حملها والصبر
 عليها و كيف تصبر «وَأَنْتَ» أي والحال أنك «لَا تَصْبِرُ عَلَى حُمَّى سَاعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَ
 أَقَلِّ شَظِيَّةٍ» أي قطعة و كسرة، قال في القاموس: الشظية الفلقة من كل شيء، و
 قال: الفلقة الكسرة «وَشَرَارَةٍ» عطف تفسير لـ شظية «مِنْ نَّارٍ فِيهَا» أي في الدنيا
 «فَكَيْفَ تَصْبِرُ» مع هذا الضعف «عَلَى الْخُلُودِ فِي الْهَٰوِيَّةِ» علم للنار.
 قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَٰوِيَّةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾

[القارعة، السورة: ١٠١، الآية: ٨ إلى ١١]

«مَعَ أَهْلِهَا» فإن الإقامة في محل الغضب مع المغضوبين المعذبين بأنواع
 العذاب المصيحين بالأصوات الهائلة والاضطرابات المفزعة أشد من نفس الشدة
 «الَّتِجَا أَلْتَجَا» أي اطلبوا النجاة، والنجاة اسم، قوله: «أَلَوْحَا أَلَوْحَا» بالحاء المهملة
 فإنه جاء لمعان كثيرة منها العجلة والإسراع و هو يناسب ههنا بمعنى احذر العجلة
 والسرعة كما في قوله: «الله الله» أي اتق الله في أمورك و لا تغفل عن شكر نعمائه و
 لا تنسبها إلى الأسباب حقيقة، والحدز من السرعة أيضا بهذا المعنى أي احذر من
 نسبتها إلى الأسباب بظاهر وجدان وصولك منها بل تأمل فيها حتى تجد أنها من الله
 تعالى فتشكر الله تعالى على إعطائها و تشكر السبب على سببيتها لا على مؤثريتها.

إِحْفَظِ الْحَالَتَيْنِ وَاحْفَظِ شُرُوطَهُمَا فَإِنَّكَ لَا تَخْلُقُ فِي جَمِيعِ عُمْرِكَ
 مِنْ إِحْدَاهُمَا:

إِمَّا الْبَلِيَّةَ وَ إِمَّا النِّعْمَةَ فَأَعْطِ كُلَّ حَالٍ حَظَّهَا وَ حَقَّهَا مِنَ
 الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ عَلَى مَا يَبِيْنُ لَكَ فَلَا تَشْكُوْنَ فِي حَالِ الْبَلِيَّةِ إِلَى أَحَدٍ
 مِنْ خَلْقٍ، وَ لَا تُظْهِرَنَّ الصُّجْرَ لِأَحَدٍ وَ لَا تَتَّهِمَنَّ رَبَّكَ فِي بَاطِنِكَ، وَ
 لَا تَشْكُنْ فِي حِكْمَتِهِ وَ إِخْتِيَارِ الْأَصْلَحِ لَكَ فِي دُنْيَاكَ وَ آخِرَتِكَ فَلَا

تَذْهَبَنَّ بِهَمِّكَ إِلَى أَحَدٍ مِّنْ خَلْقِهِ فِي مُعَافَاةِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ إِشْرَاكَ مِنْكَ
 بِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَمْلِكُ مَعَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ شَيْئًا لَا ضَارَّ وَلَا
 نَافِعَ وَلَا دَافِعَ وَلَا جَالِبَ وَلَا مُقْسِمَ وَلَا مُبْلِيَّ وَلَا مُعَافِيَّ وَلَا
 مُبْرِئِيَّ غَيْرَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا تَشْتَغِلَنَّ بِالْخَلْقِ فِي الظَّاهِرِ وَلَا فِي الْبَاطِنِ،
 فَإِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا بَلْ الزَّمِ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةَ
 وَالْفَنَاءَ فِي فِعْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ حُرِمْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَعَلَيْكَ بِالِاسْتِغَاةِ
 إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّضَرُّعِ وَالْإِعْتِرَافِ بِالذُّنُوبِ وَالتَّظَلُّمِ مِنْ شُومِ
 النَّفْسِ بِزَاهَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِعْتِرَافِ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّعْنِيمِ وَ
 بِالتَّكْبَرِ مِنَ الشَّرِكِ وَبِطَلْبِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةِ إِلَى حِينٍ أَنْ
 يَمْلَأَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ فَتَزُولُ الْبَلِيَّةُ وَتَنكَشِفُ الْكُزْبَةُ وَتَأْتِي التَّعْمَةُ
 وَالسَّعَةُ وَالْفَرَحَةُ وَالسُّرُورُ كَمَا كَانَ فِي حَقِّ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا يَذْهَبُ سَوَادُ اللَّيْلِ وَيَأْتِي بَيَاضُ النَّهَارِ وَ
 يَذْهَبُ بَرْدُ الشِّتَاءِ وَيَأْتِي نَسِيمُ الصَّيْفِ وَطَيْبُهُ لِأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ضِدًّا وَ
 خِلَافًا وَغَايَةً وَآمَدًا وَمُنْتَهَى فَالصَّبْرُ مِفْتَاحُهُ وَإِبْتِدَاءُهُ وَإِنْتِهَاءُهُ وَ
 جَمَالُهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَقِيرِ:

الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّاسِ مِنَ الْجَسَدِ.

وَفِي لَفْظٍ:

الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ.

وَقَدْ يَكُونُ الشُّكْرُ هُوَ التَّلَكُّسُ بِالنِّعَمِ وَهِيَ أَقْسَامُكَ
 الْمَقْسُومَةُ فَشُكْرُكَ التَّلَكُّسُ بِهَا فِي حَالِ فَنَائِكَ وَزَوَالِ الْهَوَى وَالْحَمِيَّةِ
 وَالْحِفْظِ وَهَذِهِ حَالَةُ الْأَبْدَالِ وَهِيَ الْمُنْتَهَى اعْتَبِرْ مَا ذَكَرْتُ لَكَ تُرْشِدُ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

«إِحْفَظِ الْحَالَتَيْنِ» حالة النعمة و حالة البلية «وَ احْفَظْ شُرُوطَهُمَا» و هو

الشكر على الأولى و صرفها إلى محلها و عدم رؤية النفس فيها، والصبر على الثانية، أو الرضا بها أو الفناء عنها على قدر عرفانك والشكر على عدم الزيادة فيها، و عدم كونها في الدين فقد روي عن السلف أنهم قالوا: الله على العبيد في الابتلاء ثلث نعيم أنها ليس في الدين و أنها لم تزد منها، و أنها موجبة للأجر. «فَأَنَّكَ لَا تَحُلُوْهُ فِي جَمِيعِ عُمْرِكَ مِنْ إِحْدَاهُمَا»: أي الحالتين، «إِمَّا الْبَلِيَّةُ وَإِمَّا النِّعْمَةُ فَاعْطِ كُلَّ حَالَةٍ» لحقتك «حَظَّهَا» أي نصيبها «وَحَقَّهَا مِنَ الصَّبْرِ» إن كانت بلية «وَالشُّكْرِ» إن كانت عطية «عَلَى مَا بَيَّنْتُ لَكَ» من مفتتح المقالة إلى هنا و هو التصبر والصبر والموافقة والفناء في حالة البلية والشكر باللسان والقلب والجوارح في حالة النعمة. ثم فرع على كل حالة ما يليق بها فقال: «فَلَا تَشْكُوْنَ فِي حَالَةِ الْبَلِيَّةِ إِلَى أَحَدٍ مِّنْ خَلْقٍ» لأن الشكاية مطلقا تدل على عدم التراضي «وَلَا تُظْهِرَنَّ الضَّجَرَ» و هو ضيق القلب «لأَحَدٍ وَلَا تَتَّهِمَنَّ رَبَّكَ فِي بَاطِنِكَ» بأنه تعالى لا يعطيك العافية من هذه البلية اللاحقة بك «وَلَا تَشْكُرَنَّ» بسبب لحوق البلية بك و تأخير الخلاص «فِي حِكْمَتِهِ» بأنه تعالى فعل خلاف الحكمة، فإنه تعالى لا يفعل إلا ما فيه حكمة، غاية الأمر أنه لم ينكشف وجه حكمته تعالى عليك، و لا بُعد في ذلك فإنه يخفى على الأنبياء والأولياء، فإنه تعالى لا يظهر وجه الحكمة على أحد إلا على من شاء بما شاء «وَلَا تَكْذِبْ» كذا لا تشكن في «إِخْتِيَارِ الْأَصْلَحِ لَكَ فِي دُنْيَاكَ وَ آخِرَتِكَ» فإنه تعالى وإن لم يكن ما هو الأصلح للعباد عليه تعالى واجبا لكنه لا يفعل في حق عباده المؤمنين إلا الأصلح تفضلاً و كرمًا خصوصا في حق هذه الأمة المرحومة، فإنه تعالى أوحى إلى رسوله في حقها: أنا رب كريم، و أنت نبي رحيم و أمتك ضعيفة، والضعيف بين كريم و رحيم لا يضيع، هكذا نقل في تفسير الدرر أو كلاما هذا حاصله «فَلَا تَذْهَبَنَّ بِهَمِّكَ» أي قصد قلبك «إِلَى أَحَدٍ مِّنْ خَلْقِهِ» تعالى «فِي مُعَافَاتِكَ» أي لأجل معافاتك ظنا منك أن العافية تحصل لك منه «فَإِنَّ ذَلِكَ» الهم والظن «إِشْرَاكَ مِنْكَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ» فإن المؤثر في الحقيقة في جميع الأمور ليس إلا الله سبحانه «وَلَا يَمْلِكُ مَعَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ شَيْئًا» حتى حركات النفس و

إرادات القلب بل تيقن بقلبك أن «لَا ضَارَّ وَ لَا نَافِعَ» أي ضرر كان، و أي نفع كان «و لَا دَافِعَ» للمحنة اللاحقة أو الآتية «و لَا جَالِبَ» للخير اللاحقة أو الآتية «و لَا مُقْسِمَ» للأقسام والحظوظ في الخلق «و لَا مُبْلِيَ» بأنواع البلية للخلق «و لَا مُعَافِي» لأحد من خلقه من البلية اللاحقة بهم «و لَا مُبْرِي» منها إياهم «غَيْرُهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَشْتَغِلَنَّ بِالْخُلُقِ فِي الظَّاهِرِ وَ لَا فِي الْبَاطِنِ» في جلب الخير و دفع الشر «فَإِنَّهُمْ» أي الخلق «لَنْ يُعْنُوا» أي لن يدفعوا «عَنكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا بَلْ الزَّمِ الصَّبْرَ» على البلية «وَالرِّضَا بِهَا» «وَالْمُوَافَقَةَ» معها «وَالْفَنَاءَ فِي فِعْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِنْ حُرِمْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ» أي جُعِلْتَ محروما عن جميع ذلك «فَعَلَيْكَ» أي فالزم و استمسك «بِالْإِسْتِغَاثَةِ إِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ» في حصول ذلك «وَالْتَضَرُّعِ وَالْإِعْتِرَافِ بِالذُّنُوبِ وَالتَّطَلُّمِ» أي إظهار مظلوميتك والظلم «مِنْ شُؤْمِ النَّفْسِ» و الزم و اعترف «بِنَزَاهَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الْإِعْتِرَافِ لَهُ» تعالى «بِالتَّوْحِيدِ» فإنه تعالى أحدٌ في ذاته، و واحد في صفاته، و ما يظهر في العالم فهو من شُيُونَاتِ الذَّاتِ و أثار الصفات و إن لم يظهر للعقول القاصرة والأذهان الفاترة حقيقة ذلك الظهور «و» اعترف له تعالى بإفاضة «التَّعْنِيمِ» على الخلق «و» الزم و استمسك «بِالتَّوْبَةِ مِنْ الشِّرْكِ» بالله فلا تشرك به أحدا «و» الزم «بِطَلْبِ الصَّبْرِ وَ الرِّضَا وَ الْمُوَافَقَةِ» و إن تأخر حصول ذلك «إِلَى حِينٍ أَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» أي يبلغ الموعد و وقته المكتوب المقدر فإن الأشياء مرهونة بأوقاتها «فَتَرْوُلُ الْبَلِيَّةِ» عنك «و تَنَكِّشُفُ الْكُزْبَةُ» عنك «و تَأْتِي النِّعْمَةُ وَ السَّعَةُ» في تلك النعمة «وَالْفَرْحَةُ وَ السَّرُورُ» بكل ما تشتهي «كَمَا كَانَ» أي وجد ما ذكرنا من النعمة والسعة والفرح والسرور بعد بلوغ الوقت المقدر «فِي حَقِّ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ».

نقل ابن أبي حاتم عن رسول الله صَلَّى الله عليه و على آله و صحبه و سلم أن أيوب لَبَّ^(١) به بلاؤه ثماني عشرة سنة، و يذهب البلية بعد بلوغ الوقت «كَمَا يَذْهَبُ سَوَادُ اللَّيْلِ وَ يَأْتِي بَيَاضُ النَّهَارِ» بعد انقضاء مدة الليل «و كَمَا يَذْهَبُ بَرْدُ الشِّتَاءِ وَ

(١) لب: أي قام ولزم ١٢، منه

يَأْتِي نَسِيمُ الصَّيْفِ وَ طَيْبُهُ » بعد انقضاء مدة الشتاء « لِأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ضِدًّا وَ خِلَافًا وَ غَايَةً وَ أَمَدًا وَ مُنْتَهًى فَالصَّبْرُ مُفْتَاخُهُ وَ اِبْتِدَاءُهُ وَ اِنْتِهَاءُهُ وَ جَمَالُهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَبَرِ: «
الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»^(١)

« وَ فِي لَفْظٍ » من الحديث الآخر:

«الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَ الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ»^(٢)

و لما كان هنا نوع من الشكر غير ما تعارفه الناس بينه بقوله « وَ قَدْ يَكُونُ الشُّكْرُ هُوَ التَّلَبُّسُ بِالنِّعَمِ » التي جرت التقدير بوصولها إلى المنعم عليه « وَ هِيَ » في حقك أيها السالك « أَقْسَامُكَ » أي حظوظك و نصيبك « الْمَقْسُومَةُ » في سابق العلم الأزلي « لَكَ فَشُكْرُكَ » على النعم هو « التَّلَبُّسُ بِهَا » والشكر بهذا الطريق إنما يكون « فِي حَالِ فَنَائِكَ » عنك و عن صفاتك في الله تعالى و صفاته « وَ زَوَالِ الْهُوَى » النفسية « وَ الْحَمِيَّةِ » الجاهلية « وَ الْحَفِظِ » الطبيعي والنفسي « وَ هَذِهِ » الحالة « حَالَةُ الْأَبْدَالِ » الكمل من الأولياء والعرفاء « وَ هِيَ الْمُنْتَهَى » من الحالات والمراتب « اِغْتَبَرُ » أيها السالك « مَا ذَكَرْتُ لَكَ » من السلوك في حالتي البلية والنعمة و لوازمها واسلك في تلك المسالك « تُزْشِدُ » بصيغة المجهول أي أرشدك الله تعالى طريق المعرفة و سبيل الوصول إليه تعالى « إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .
جلعنا الله سبحانه بفضله و منته من العارفين الواصلين .

(١) انظر الجامع الصغير للسيوطي، رقم الحديث ٥١٣٦، وكذا في مسند الفردوس للديلمى، وشعب الإيمان للبيهقي.

(٢) انظر الجامع الصغير للسيوطي، برقم: ٥١٣٠، وكذا في الحلية لأبي نعيم، وشعب الإيمان للبيهقي.

الْمَقَالَةُ السِّتُونُ

في بيان أَنَّ الْبِدَايَةَ هِيَ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَعْهُودِ إِلَى الْمَشْرُوعِ ثُمَّ إِلَى الْمَقْدُورِ ثُمَّ الرَّجُوعُ إِلَى الْمَعْهُودِ بِشَرَطِ حِفْظِ الْحُدُودِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الْبِدَايَةُ: هِيَ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَعْهُودِ إِلَى الْمَشْرُوعِ ثُمَّ إِلَى الْمَقْدُورِ، ثُمَّ الرَّجُوعُ إِلَى الْمَعْهُودِ بِشَرَطِ حِفْظِ الْحُدُودِ فَخُرُجٌ مِنَ مَعْهُودِكَ مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَلْبُوسِ وَالْمَتَكُونِ وَالْمُسْكُونِ وَالطَّبْعِ وَالْعَادَةِ إِلَى أَمْرِ الشَّرْعِ وَنَهْيِهِ فَتَتَّبِعُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
[الحشر، السورة: ٥٩، الآية: ٧]

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران، السورة: ٣، الآية: ٣١]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الْبِدَايَةُ» في السلوك «هِيَ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَعْهُودِ» الطبيعي والمعروف العرفي «إِلَى الْمَشْرُوعِ» الشرعي فيترك الحمية الجاهلية، والناموس الطبيعي والعرفي بملاحظة الشرع المصطفوي فلا يحكم بالحسن والقبح الطبيعي والعقلي بل الحسن ما حكم الشرع بحسنه، والقبيح ما حكم الشرع بقبحه فيختار باختيار الشرع، و يترك بحكمه بالترك «ثُمَّ» الحالة المتوسطة وهي الخروج «إِلَى الْمَقْدُورِ» الأزلي وهي إنما يكون حالة الفناء عن النفس والخلق فلا يرى إلا فعل الحق فيباشر ما قدر الله تعالى في علمه الأزلي مباشرته، و يترك ما قدر الله في

علمه الأزلي تركه و إن كان بحسب الظاهر لا يوافق الشرع لكن الولي محفوظ من جانب الله تعالى عن مخالفة الشرع بحسب نفس الأمر و ان صدر عنه ما يخالفه حينًا ما يرجع عنه سريعًا بتنبيه الله تعالى إياه على ذلك إلا المجذوبين «ثُمَّ» بعد هاتين الحالتين حالة ثالثة وهي منتهى الحالات وَ هِيَ «الرُّجُوعُ إِلَى الْمَعْهُودِ» المتعارف بين الناس فيخالط الناس كأنه واحد منهم بأمر الله تعالى كما ورد «كن في الناس كأحد من الناس» لكن «بِشَرِّطِ حِفْظِ الْحُدُودِ» شريعةً و حقيقةً فإنه يطلع من جانب الله تعالى على الحدود المذكورة فلا يخالفها، وإليه يشير قول المشائخ: النهاية هي الرجوع إلى البداية «ف» إن كنت أيها الطالب تريد السلوك في الوصول إلى الله تعالى فلا تتساهل في أمورك بل «تُخْرِجُ مِنْ مَعْهُودِكَ» أي معهود كان طبعياً أو عرفياً «مِنَ الْهَاطِلِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَلْبُوسِ وَالْمَنْكُوحِ وَالْمَسْكُونِ بِالطَّبْعِ وَالْعَادَةِ إِلَى أَمْرِ الشَّرْعِ وَ نَهْيِهِ فَتَتَّبِعُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

«كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» :

﴿وَمَا أَلَيْسَ لَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ فَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَتَتْهُوَ﴾ [الحشر،

السورة: ٥٩، الآية: ٧]

و هذا الحكم و إن نزل في حق غنائم البدر لكن هو عام بحسب مفهومه «و

قَالَ تَعَالَى» :

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ [آل عمران، السورة: ٣، الآية: ٣١]

فَتَقْبَلُوا عَنْ هَؤُلَاءِ وَأَنْفُسِكُمْ وَرَعُونَاهَا فِي ظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ فَلَا يَكُونُ فِي بَاطِنِكُمْ غَيْرُ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَفِي ظَاهِرِكُمْ غَيْرُ طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ بِمَا أَمَرَ وَنَهَا فَيَكُونُ هَذَا دَابُّكُمْ وَشِعَارُكُمْ وَدِتَارُكُمْ فِي حَرَكَتِكُمْ وَ سَكُونِكُمْ فِي لَيْلِكُمْ وَنَهَارِكُمْ وَ سَفَرِكُمْ وَ حَضَرِكُمْ وَ شِدَّتِكُمْ وَ رَخَائِكُمْ

وَصِحَّتِكَ وَسُقْمِكَ بَلْ أَحْوَالِكَ كُلِّهَا.
 ثُمَّ تُحْمَلُ إِلَى وَادِي الْقَدْرِ فَيَتَصَرَّفُ فِيكَ الْقَدْرُ فَتُفْنَى عَنْ جِدِّكَ وَ
 اجْتِهَادِكَ وَحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَتَسَاقُ إِلَيْكَ الْأَقْسَامُ الَّتِي جَفَتْ بِهَا الْقَلَمُ وَ
 سَبَقَ بِهَا الْعِلْمُ فَتَلْبَسُ بِهَا وَتُعْطَى فِيهَا الْحِفْظُ وَالسَّلَامَةُ فَتُحْفَظُ فِيهَا
 الْحُدُودُ وَتُحْصَلُ فِيهَا الْمَوَاقِفَةُ لِفِعْلِ الْمُؤَلَّى وَلَا تَنْخَرِقُ قَاعِدَةُ الشَّرْعِ
 عَلَى الرُّنْدَقَةِ وَإِبَاحَةِ الْمُحَرَّمِ وَالْإِسْتِهَانَةِ بِالنَّامُورِ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا
 نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ١٥، الآية: ٩]
 وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:
 ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ١٢، الآية: ٣٧]

فإذا عرفت ما ذكرنا لك فيجب عليك أن «تُفْنَى عَنْ هَوَاكَ وَنَفْسِكَ وَ
 رَعُونَاتِهَا» أي جهالاتها وحقاقتها «في ظاهرك وباطنك» فإذا حصل لك ذلك
 «فَلَا يَكُونُ فِي بَاطِنِكَ غَيْرُ تَوْحِيدِ اللَّهِ» تعالى من وجودك ووجود الخلق «و» لا
 يكون «في ظاهرك غَيْرُ طَاعَةِ اللَّهِ» تعالى «وَعِبَادَتِهِ مِمَّا أَمَرَ» الله تعالى «وَنَهَا فَيَكُونُ
 هَذَا» الحال «ذَابُكَ» أي عادتك «وَشِعَارُكَ وَدِثَارُكَ» وهما في الأصل ثوبان
 مضموم أحدهما بالآخر فما يلي الجسد من شعر البشرة شعار و ما فوقها دثار و
 يستعملان في الكلام كناية عن الاستقامة و استواء الحال في الستر والعلن فهما في
 الاستعمال مرادفان للعادة فالمعنى يكون هذا الحال عادتك «في حَرَكَتِكَ وَسُكُونِكَ
 فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ وَسَفَرِكَ وَحَضْرِكَ وَشِدَّتِكَ» أي فقرك «وَرَخَائِكَ» أي سعتك
 «وَصِحَّتِكَ وَسُقْمِكَ بَلْ» في «أَحْوَالِكَ كُلِّهَا».

«ثُمَّ تُحْمَلُ» بصيغة المجهول أي رفعك الله تعالى بلطفه وفضله «إِلَى وَادِي
 الْقَدْرِ» فتقع فيها «فَيَتَصَرَّفُ فِيكَ الْقَدْرُ» بما أراد الله تعالى في حقك مما لم يخطر
 ببالك «فَتُفْنَى» بصيغة المجهول أي أفنأك الله تعالى «عَنْ جِدِّكَ وَاجْتِهَادِكَ وَ

حَوْلِكَ» أي امتناعك عن المعصية «وَقُوَّتِكَ» على الطاعة «فَتَسَاقُ إِلَيْكَ الْأَقْسَامُ الَّتِي» قدرت لك في الأزل و «جَفَّتْ بِهَا الْقَلَمُ» التقديري «وَسَبَقَ بِهَا الْعِلْمُ» الأزلي فَتَلَبَّسَ بِهَا» بصيغة المجهول أي لبسك الله تعالى بتلك الأقسام المقدره لك في الأزل «وَتُعْطَى فِيهَا الْحِفْظُ» أي أعطاك الله تعالى في تلبسك بتلك الأقسام الحفظ «وَالسَّلَامَةُ فَتُحَفَظُ فِيهَا الْحُدُودُ» أي تكون الحدود الشرعي والطريقي والحقيقي في التلبس بتلك الأقسام محفوظة «وَتَحْصُلُ» لك من جانب الله تعالى «فِيهَا الْمَوْافَقَةُ لِفِعْلِ الْمَوْلَى وَلَا تَنْخَرِقُ» ولا تنهدم ولا تهتك «قَاعِدَةُ الشَّرْعِ عَلَى الرِّئَاقَةِ وَإِبَاحَةِ الْمُحَرَّمَ وَالِاسْتِهَانَةِ بِالْمَأْمُورِ» الشرعي. هذان الجملتان مُبَيَّنَتَانِ للأولى، «وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾» [الحجر: ١٥، الآية: ٩] هذه الآية الكريمة وإن ورد في حفظ القرآن الكريم لكن بحسب اللفظ يعم الأذكار كلها وحفظ الذكر إنما هو بحفظ الذاكر فالله تعالى يحفظ وليه الذاكر له عن خرق قاعدة الشرع البتة لكن كرما فضلا لا وجوبا عليه لعدم وجوب شيء على الله تعالى عند أهل السنة والجماعة «و» أيضا «قَالَ عَزَّ وَجَلَّ»: «

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾»

[يوسف، السورة: ١٢، الآية: ٣٤]

و هذا وإن ورد في حق يوسف عليه السلام لكن تعليله بكونه "من عبادنا المخلصين" يقتضي تعميم حكم صرف السوء والفحشاء عن جميع عباده المخلصين والأولياء منهم فيصرف عنهم السوء والفحشاء أيضا البتة، وهو عين الحفظ عن خرق قاعدة الشرع؛ فإن خرق قاعدة الشرع من السوء والفحشاء وهي مصروفة عن الولي فيكون محفوظا منه البتة.

فَيَسْتَضِحُّ الْحِفْظُ وَالْحَمِيَّةُ إِلَى حِينَ اللَّقَاءِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ
جَلَّ إِذْ هِيَ أَقْسَامُكَ مُعَدَّةٌ لَكَ فَحَبِسَتْ عَنْكَ فِي حَالِ سَيْرِكَ فِي
طَرِيقِكَ وَ سُلُوكِكَ فَيَافِي الطَّبْعِ وَ مَفَاوِزِ الْهَوَى وَالْمَغْهُودِ لِأَنَّهَا

أَثَقَالٌ وَ أَسْخَالٌ فَأَزِيحُ عَنْكَ لَيْلًا يُفْتَلِكُ فَتَضَعُفَكَ وَ تَبْطَاكَ عَنْ مَقْصُودِكَ وَ مَطْلُوبِكَ إِلَى حِينِ الْوُضُوءِ إِلَى عُثْبَةِ الْفَتَاءِ، وَ هُوَ الْوُضُوءُ إِلَى قُرْبِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الْمَعْرِفَةُ بِهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ الْإِخْتِصَاصُ بِالْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، وَ الدُّخُولُ فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ حَيْثُ لَا تَضُرُّ ظُلْمَةُ الطَّبَائِعِ الْأَنْوَارَ فَالطَّبِيعُ بَاقٍ إِلَى أَنْ تُفَارِقَ الرُّوحَ الْجَسَدَ لِاسْتِنْفَاءِ الْأَقْسَامِ إِذْ لَوْ زَالَ الطَّبِيعُ مِنَ الْأَدَمِيِّ لَأَتَحَقَّقَ بِالْمَلَائِكَةِ وَ انْخَرَمَ النِّظَامُ وَ بَطَلَتِ الْحِكْمَةُ فَيَبْقَى الطَّبِيعُ فِيكَ لِتَسْتَوِي بِهِ الْأَقْسَامَ وَ الْحُظُوظَ فَيَكُونُ ذَلِكَ وَ ظَاهِنًا وَ أَصْلَةً إِلَيْكَ لَا أَضْلَاهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

”حَبِيبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ: الطَّيِّبُ وَ النِّسَاءُ وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ“.

فَلَمَّا فَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا زِدَتْ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْسَامُهُ الْمُحِبُّوسَةُ عَنْهُ فِي حَالِ مَسِيرِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَاسْتَوْفَهَا مُوَافَقَةً لِرَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ رِضًا بِفِعْلِهِ وَ مُتَمَتِّلًا لِأَمْرِهِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَائُهُ وَ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ، وَ شَمَلَ فَضْلُهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَ أَكْبِيَائِهِ فَهَكَذَا الْوَلِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ ثُمَّ تُرَدُّ إِلَيْهِ أَقْسَامُهُ وَ حُظُوظُهُ بَعْدَ الْفَتَاءِ مَعَ حِفْظِ الْحُدُودِ فَهُوَ الرُّجُوعُ مِنَ النِّهَايَةِ إِلَى الْبِدَايَةِ.

«فَيَسْتَضْحِبُ الْحِفْظَ وَ الْحَمِيَّةَ» لك يا ولي الله «إلى حِينِ الْإِلْقَاءِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» وَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوْتِ، وَ إِنَّمَا جُعِلَتْ مُلْتَبَسًا بِتِلْكَ الْأَقْسَامِ الْمَفَاضَةِ عَلَيْكَ «إِذْ هِيَ أَقْسَامُكَ مُعَدَّةٌ لَكَ» فِي الْأَزَلِ «مُعَدَّةٌ» بِصِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ أَيِ أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لَكَ «فَحَبِسَتْ عَنْكَ فِي حَالِ سَيْرِكَ فِي طَرِيقِكَ» إِلَى وَصُولِ الْحَقِّ تَعَالَى «وَ سُلُوكِكَ فِيَا فِي الطَّبِيعِ» أَيِ مِيَادِينِهَا «وَ مَفَاوِزِ الْهَوَى» أَيِ وَادِيهَا «وَ» وَادِي «الْمَعْهُودِ» سُلُوكِكَ فِيَا فِي الطَّبِيعِ وَ مَفَاوِزِ الْهَوَى وَ الْمَعْهُودِ كُنَايَةً عَنْ تَرْكِهَا

والخروج عنها «لِئَنهَا» أي تلك الأقسام «أَثْقَالٌ وَأَنْحَالٌ» جمعاً ثقل وحمل لأنها لا تخلو من حلال وحرام ففي حرامها عقاب وفي حلالها حساب «فَأَزِيحُ عَنْكَ» في أثناء سلوكك تلك الأثقال وأزيلت عنك في سيرك تلك الأحمال «لِيَأْتِيَ ثِقْلَكَ» تلك الأثقال والأحمال «فَتُضْعِفُكَ» عن سلوكك «وَتَبْطَأَكَ» في سيرك «عَنْ مَقْصُودِكَ وَمَظْلُوبِكَ إِلَى حِينِ الْوُصُولِ إِلَى عُتْبَةِ الْفَنَاءِ» عنك وعن الخلق كله في الله تعالى «وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى قُرْبِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَعْرِفَةُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِخْتِصَاصُ بِالْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالذُّخُولُ فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ» الربانية «حَيْثُ لَا تَضُرُّ ظُلْمَةُ الطَّبَائِعِ الْأَنْوَارَ» ولا تغلب عليها «فَالطَّبِيعُ بَاقٍ» في العبد الفاني في الله والباقي به لا يزول عنه بالكلية وكذا النفس باقية «إِلَى أَنْ تَفَارِقَ الرُّوحَ الْجَسَدَ» ويموت العبد «لِاسْتِيفَاءِ الْأَقْسَامِ» علة للبقاء أي لأجل استيفاء حظوظها المقدرة في سابقة علم الله تعالى الأزلي «إِذْ لَوْ زَالَ الطَّبِيعُ مِنَ الْأَدَمِيِّ» والنفس من الإنسان «لَا لَتَحَقَّ بِالْمَلَائِكَةِ» اللذين لا طبع لهم ولا نفس، وإنما هم مجبولون على العبادة فلا يميلون عنها إلى ما يخالفها «وَالْخَرَمَ النَّظَامَ» التكليفي «وَبَطَلَتِ الْحِكْمَةُ» الإلهية الربوبية القهارية، والرحمانية الجمالية والجلالية؛ فإن آثار الجلال والجمال إنما تظهر حين يصدر الطاعة والمعصية ليصادف كل صفة محلها فلاجل ذلك تبقى الطباع في الآدمي «فَيَبْقَى الطَّبِيعُ فِيكَ لِتَسْتَوْفِيَ بِهِ الْأَقْسَامَ وَالْحُظُوظَ» المقدرة في حَقِّك لكن لا تلك الطبع التي جبل الإنسان عليها بل الطبيعة الموهوبة من عند الله تعالى «فَيَكُونُ ذَلِكَ» المذكور من بقاء الطبع ووصول الأقسام واستيفاء حظوظها «وَوَظَائِفَ وَاصِلَةً إِلَيْكَ» من عند الله تعالى «لَا أَضِلُّهَا» عطف على قوله فيبقى الطبع فيك لتستوفي به الأقسام باعتبار محصولها؛ فإن محصولها بقاء الطبع لهذا الغرض، والباقي لهذا الغرض هو الطبع الموهوب لا أصل الطبع وهو الطبع المجبول «كَمَا» يستفاد ذلك البقاء مما «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ وَجُعَلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي

الصَّلَاةُ»^(١).

فإن قوله عليه الصلوة والسلام "حب" بصيغة المجهول يدل على أن تحبيب الأمور الثلاثة من عند الله تعالى وقد مر معنى الحديث في المقالة السادسة.

«فَلَمَّا فَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» من الحظوظ
 «رُدَّتْ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أي رد الله تعالى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 «أَقْسَامُهُ» و حظوظه «الْمَحْبُوسَةُ عَنْهُ» عليه الصلوة والسلام «فِي حَالِ مَسِيرِهِ
 إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ» و سلوكه إلى وصوله فلما وصل أعطاه الله تعالى طبيعة موهوبة
 لاستيفاء تلك الأقسام و أفاض عليه الأقسام «فَاسْتَوْفَاهَا» عليه الصلوة والسلام
 «مُوَافَقَةً لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ رِضًا بِفِعْلِهِ» تعالى «وَمُمْتَنِلًا لِأَمْرِهِ» الأعلى «تَقَدَّسَتْ
 أَسْمَائُهُ وَ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ» لجميع المخلوقات «وَشَمَلَ فَضْلُهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَ أَنْبِيَائِهِ» عليهم
 الصلوة والسلام «فَهَكَذَا الْوَيْثُ فِي هَذَا الْبَابِ» يحفظ عنه الأقسام حين السلوك «ثُمَّ
 تُرُدُّ إِلَيْهِ أَقْسَامُهُ وَ حُظُوظُهُ بَعْدَ الْفَنَاءِ مَعَ حِفْظِ الْحُدُودِ» الشرعي عما يوجب خرقها
 و هدمها «فَهُوَ» أي هذا الحال «الرُّجُوعُ مِنَ النِّهَايَةِ إِلَى الْبِدَايَةِ» أي عبارة عنه.

(١) انظر سنن النسائي، باب حب النساء، رقم الحديث ٣٩٣٩، والسنن الكبرى للبيهقي، رقم
 الحديث ١٣٤٥٤، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ١٢٢٩٣، والجامع الصغير للسيوطي برقم:

الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالسِّتُونَ

في بيان أن كلَّ مؤمنٍ مكلفٌ بالتَّوقُّفِ والتَّفتُّيشِ في الشُّرُوعِ في الأُمُورِ وأخذِ الْفُتُوحِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كُلُّ مُؤْمِنٍ مُكَلَّفٌ بِالتَّوقُّفِ وَالتَّفتُّيشِ
عِنْدَ حُضُورِ الْأَقْسَامِ عِنْدَ التَّنَاولِ وَالْأَخْذِ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ الْحُكْمُ
بِالْإِبَاحَةِ أَوِ الْعِلْمِ بِالْقِسْمِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
”الْمُؤْمِنُ فَتَّاشٌ وَالْمُتَافِقُ لَقَّافٌ“ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
”الْمُؤْمِنُ وَقَّافٌ“ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ”دَعْ مَا يُرِيثُكَ إِلَى مَا لَا
يُورِثُكَ“.

فَالْمُؤْمِنُ يَهْفُ عِنْدَ كُلِّ قِسْمٍ مِّنْ مَّاكُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَمَلْبُوسٍ
وَمَنْكُوحٍ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُفْتَحُ لَهُ فَلَا يَأْخُذُ حَتَّى يَحْكُمَ لَهُ بِجَوَازِ
الْأَخْذِ وَالتَّنَاولِ الْحُكْمَ إِذَا كَانَ فِي حَالَةِ النُّقُوصِ، أَوْ حَتَّى يَحْكُمَ لَهُ بِذَلِكَ
الْأَمْرَ إِذَا كَانَ فِي حَالَةِ الْوِلَايَةِ، أَوْ حَتَّى يَحْكُمَ لَهُ الْعِلْمُ إِذَا كَانَ فِي حَالَةِ
الْبَدَلِيَّةِ أَوِ الْغُوثِيَّةِ وَالْفِعْلُ الَّذِي هُوَ الْقَدْرُ الْمَحْضُ وَهِيَ حَالَةُ الْفَنَاءِ.
ثُمَّ تَأْتِيهِ حَالَةٌ أُخْرَى يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يَأْتِيهِ وَ يَفْتَحُ لَهُ عَلَى
الْإِظْلَاقِ مَا لَمْ يَغْتَرِضْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ أَوِ الْأَمْرُ أَوِ الْعِلْمُ فَإِذَا اغْتَرِضَ
أَحَدُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ امْتَنَعَ مِنَ التَّنَاولِ وَتَرَكَهُ فَهِيَ ضِدُّ الْأُولَى فَفِي
الْأُولَى الْغَالِبُ عَلَيْهِ التَّوقُّفُ وَالتَّثَبُّتُ وَ فِي الثَّانِيَةِ الْغَالِبُ عَلَيْهِ
التَّنَاولُ وَالْأَخْذُ وَالتَّلَكُّسُ بِالْمُفْتُوحِ ثُمَّ تَأْتِي الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ فَالتَّنَاولُ
الْمَحْضُ وَالتَّلَكُّسُ بِمَا يَفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ مِنْ غَيْرِ اغْتِرَاضٍ أَحَدٍ هَذِهِ
الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةُ وَهِيَ حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كُلُّ مُؤْمِنٍ مُكَلَّفٌ» من جانب الله تعالى

«بِالتَّوَقُّفِ وَالتَّفْتِيْشِ عِنْدَ حُضُوْرِ الْأَقْسَامِ» الحاصلة لديه إمّا بالكسب أو بالهبة أو غيرهما «عِنْدَ التَّنَاوُلِ وَالْأَخْذِ» لتلك الأقسام الحاضرة لديه «حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ» أي للمكلف «الْحُكْمُ» من جانب الشرع «بِالْإِبَاحَةِ» الألف واللام عوض عن المضاف إليه أي بإباحة تلك الأقسام الحاضرة عند المكلف إن لم يكن من أهل البدلية والغوثية «أَوْ» يشهد له «الْعِلْمُ بِالْقِسْمِ» بأنه مقدر أزلي لذلك المكلف إن كان من أهل البدلية والغوثية «كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: «الْمُؤْمِنُ فَتَّاشٌ وَالْمُنَافِقُ لَقَّافٌ»^(١).

وفي بعض الروايات: المؤمن وقاف والمنافق لفاق. يعني أن المؤمن يفتش عن الأحوال والأوضاع سيما في أخذ الفتوح، والمنافق يأخذ كل ما يجد من غير تأمل و تفكر، فإن الفتش و التفتيش طلب من بحث، واللقف واللقفان التناول بسرعة، كذا في القاموس.

«وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤْمِنُ وَقَّافٌ».

أي كثير التوقف في التلبس بالأمور حفظاً لحدود الشرع.

«وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعْ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ"»^(٢).

وقد مر بيان هذا الحديث في المقالة العشرون «فَالْمُؤْمِنُ يَقِفُ» أي من شأنه واللائق به أن يقف «عِنْدَ كُلِّ قِسْمٍ مِّنْ مَّاكُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَمَلْبُوسٍ وَمَنْكُوحٍ وَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُفْتَحُ لَهُ» من أي جهة كان كسباً أو إرثاً أو هبة «فَلَا يَأْخُذُ» شيئاً مما فتح «حَتَّى يَحْكُمَ لَهُ بِجَوَازِ الْأَخْذِ وَالتَّنَاوُلِ الْحُكْمُ» الشرعي إما بالاستفسار من العلماء إن كان صلحاء الجهلاء، أو بالتبع من الكتب الفقهية إن كان من أتقياء العلماء، وإما بالاستنباط من الكتاب والسنة والإجماع والقياس إن كان من المجتهدين، هذا كله «إِذَا كَانَ» العبد المؤمن عامياً كان أو عالماً أو مجتهداً «فِي حَالَةِ التَّقْوَى» والسلوك «أَوْ» لا يأخذ «حَتَّى يَحْكُمَ لَهُ» أي لذلك المؤمن «بِذَلِكَ»

(١) رواه البيهقي في الكبرى ٢/ ٢٤١

(٢) رواه البخاري ٢/ ٧٢٤، والحاكم في المستدرک ١/ ١١٦، والترمذي ٤/ ٦٦٨

الأخذ والتناول للمفتوح «الأمر» الباطني من جانب الله تعالى إما بالإلهام أو بالمنام أو بالهاتف الغيبي بالطريق التي مر ذكره في المقالات السابقة «إِذَا كَانَ» العبد المؤمن «فِي حَالَةِ الْوَلَايَةِ أَوْ حَتَّى يَحْكُمَ لَهُ» أي لذلك العبد المؤمن «الْعِلْمُ» القدري المنكشف له بأي طريق كشف الله عليه بفضله فيعلم أنه نصيب له في التقدير السابق فلا بد له من تناوله «إِذَا كَانَ» ذلك العبد المؤمن «فِي حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ أَوْ الْغَوِثِيَّةِ وَالْفِعْلِ الَّذِي هُوَ الْقَدْرُ الْمُحْضُ» الظاهر أنه عطف على البدلية والغوثية أي إذا كان العبد المؤمن في حالة الفعل أي في حالة يصير العبد فيها فعل الله الَّذِي هو القدر المحض، وهذا المعنى مما صرح به القطب الرباني في المقالة السادسة والخمسون «وَهِيَ» أي هذه الحالة «حَالَةُ الْفَنَاءِ» أي حال ظهور أثر الفناء لما سيأتي بعد هذا حالة أخرى فيها حقيقة الفناء.

«ثُمَّ» أي بعد وصول العبد إلى هذه الحالة ورسوخه فيها «تَأْتِيهِ حَالَةٌ أُخْرَى» لا يتوقف فيها على الحكم الشرعي والأمر الباطني بل «يَتَنَاوَلُ كُلُّ مَا يَأْتِيهِ وَيَفْتَحُ لَهُ عَلَى الْإِظْلَاقِ» من غير تقييد بشيء من الحكم والأمر والعلم «مَا لَمْ يَغْتَرِضْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ أَوِ الْأَمْرُ أَوِ الْعِلْمُ فَإِذَا اغْتَرِضَ» على العبد المؤمن «أَحَدُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ» الثلاثة بالمنع عن الأخذ والتناول «إِمْتَنَعَ» العبد المؤمن «مِنَ التَّنَاوُلِ» لما فتح له «وَتَرَكَهُ» أي ترك ما فتح له فلا يأخذه «فَهِيَ» أي هذه الحالة الأخيرة «ضِدُّ» الحالة «الْأُولَى» و عكسها «فَفِي» الفاء تعليلية أي إنما كانت هذه ضد الأولى لأن في «الْأُولَى الْغَالِبُ عَلَيْهِ» أي العبد المؤمن العارف «التَّوَقُّفُ وَالتَّثَبُّتُ» في الأخذ مما فتح له إلى ظهور الحكم الشرعي أو الأمر الباطني أو العلم القدري فإذا ظهر شيء منها يأخذ بمقتضاه «وَفِي الثَّانِيَةِ» الأخيرة «الْغَالِبُ عَلَيْهِ التَّنَاوُلُ وَالْأَخْذُ وَالتَّلَبُّسُ بِالْمَفْتُوحِ» إلى أن يظهر منع الحكم الشرعي أو الأمر الباطني أو العلم القدري.

«ثُمَّ» بعد هذه الحالة التي الغالب فيها الأخذ إلى أن يمنع مانع من الحكم أو الأمر أو العلم «تَأْتِي» للعبد المؤمن العارف «الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ» وهي حالة لا يمنع فيها من الأخذ مانع من تلك الأمور الثلاثة بل لم يسق الله تعالى إليه ولم يفتح عليه من

السوق إلا ما هو جائز الأخذ له «ف» ليس له فيها إلا «التَّائُلُ الْمَحْضُ» من غير تصور مانع «وَالْتَلَبُّسُ بِمَا يُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ غَيْرِ إِعْتِرَاضٍ أَحَدٍ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الثَّلَاثَةُ وَهِيَ» أي الحالة السالمة عن اعتراض معترض «حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ» الَّذِي لَا يَوْجَدُ مَعَهَا أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ الْعَبْدِ.

فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِيهَا مَحْفُوظًا مِنَ الْأَفَاتِ وَخَرَقِ حُدُودِ الشَّرْعِ مُصَانًا مَضْرُوفًا عَنْهُ الْأَسْوَاءُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]

فَيَصِيرُ الْعَبْدُ مَعَ الْحِفْظِ مِنْ خَرَقِ الْحُدُودِ كَالْمَفُوضِ إِلَيْهِ الْهَادُونَ لَهُ وَالْمُطْلَقِ لَهُ فِي الْإِبَاحَاتِ الْمُسَيَّرِ لَهُ الْخَيْرُ فَجَمِيعُ مَا يَأْتِيهِ قِسْمُهُ الْمُصَنَّفِي لَهُ مِنَ الْأَفَاتِ وَالتَّيَعَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالمُوَافِقِ لِإِرَادَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَرِضَاهُ وَفِعْلِهِ وَلَا حَالَةَ فَوْقَهَا وَهِيَ الْغَايَةُ وَهِيَ لِسَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَالكِبَارِ الْمُخْلِصِ أَصْحَابِ الْأَسْرَارِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى عُتْبَةِ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

فإذا بلغ العبد هذه الحالة «فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِيهَا مَحْفُوظًا مِنَ الْأَفَاتِ» الدينية «وَخَرَقِ حُدُودِ الشَّرْعِ مُصَانًا» أي مصونًا محفوظًا «مَضْرُوفًا عَنْهُ الْأَسْوَاءُ» جمع سوء «كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» في حق يوسف عليه السلام:

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

[يوسف: ١٢ / ٢٤]

وقد مر أن هذا وإن ورد في حق يوسف عليه السلام لكن تعقيبه بكونه "من عبادنا المخلصين" يعم جميع الصالحين «فَيَصِيرُ الْعَبْدُ» المؤمن البالغ إلى هذه المرتبة «مَعَ الْحِفْظِ» مصدر مجهول ليصير صفة للعبد و يوافق الصفة الآتية أي كونه محفوظًا «مِنْ خَرَقِ الْحُدُودِ كَالْمَفُوضِ إِلَيْهِ الْهَادُونَ لَهُ وَالْمُطْلَقِ لَهُ» أي فوض إليه

التصرف في الأمور و أذن له بالتصرف فيها و أطلق له التصرف « في الإباحات »
 فلا يفتح إلا ما هو المباح له « الْمُيسَّرُ لَهُ الْخَيْرُ » من غير انتظار إلى الحكم بالأخذ
 أو الأمر به والعلم به، و من غير خطور منع من الأخذ بالحكم أو الأمر أو العلم
 « فَجَمِيعُ مَا يَأْتِيهِ قِسْمُهُ » و نصيبه « الْمُصَفَّى لَهُ مِنَ الْأَفَاتِ » والكدورات
 « وَالتَّبَعَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » لا من حيث الشريعة و لا الطريقة و لا الحقيقة
 « وَ » جميع ما يأتيه حظه « الْمُوَافِقُ لِإِرَادَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ وَ رِضَاهُ وَ فِعْلُهُ » و هذه
 الحالة أعلى الحالات و أرفعها و أسناها « وَ لَا حَالَةَ فَوْقَهَا وَ هِيَ الْغَايَةُ » القصوى
 للسالكين « وَ هِيَ » إنما تحصل « لِسَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَ الْكِبَارِ الْخُلَاصِ أَصْحَابِ
 الْأَسْرَارِ الَّذِينَ أَشْرَفُوا » أي اطلعوا « عَلَى عُثْبَةِ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ » و وقفوا على سدة
 مراتب الرسل « صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى » و سلامه « عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ».

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ وَالسِّتُونُ

في بيان تزك الشكاية عن الله عز وجل

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَقُولُ قُرْبَ فَلَانٍ وَبُعْدُثْ،
وَ أُعْطِي فَلَانٌ وَ حُرْمَتُ، وَ أُغْنِي فَلَانٌ وَ أَفْقِرُثْ، وَ عُوْفِي فَلَانٌ وَ
أُسْقِمُثْ، وَ عَظَمَ فَلَانٌ وَ حَقَّقُثْ، وَ مُحَمَّدَ فَلَانٌ وَ ذَمُّثْ، وَ صَدَّقَ فَلَانٌ
وَ كَذَّبُثْ. أَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ الْوَاحِدُ وَ أَنَّ الْوَاحِدَ يُحِبُّ الْوَاحِدَاتِيَّةَ فِي الْمَحَبَّةِ وَ
يُحِبُّ الْوَاحِدَ فِي مَحَبَّتِهِ. إِذَا قَرَّبَكَ بِطَرِيقٍ غَيْرِهِ نَقَصَتْ مَحَبَّتُكَ لَهُ عَزَّ وَ
جَلَّ وَ تَشَعَّبَتْ فَرُبَّمَا دَخَلَكَ الْمَيْلُ إِلَى مَنْ ظَهَرَتْ الْمُواصَلَةُ وَ التَّعَمُّةُ
عَلَى يَدَيْهِ، فَتَنْقُصُ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي قَلْبِكَ وَ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ
غَيُورٌ لَا يُحِبُّ شَرِيكَاً فَكَفَتْ أَيْدِي الْغَيْرِ عَنْكَ بِالْمُواصَلَةِ وَ لِسَانَهُ عَنْ
حَمْدِكَ وَ ثَنَائِكَ وَ رِجْلَيْهِ عَنِ السَّعْيِ إِلَيْكَ كَيْلَا تَشْتَغَلَ بِذَلِكَ، أَمَا
سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

”مَجِلَّتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَ بُغِضَ مَنْ
أَسَاءَ إِلَيْهَا“.

فَهُوَ عَزَّ وَ جَلَّ يَكْفُثُ الْخَلْقَ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ
وَ سَبَبٍ حَتَّى تُوَحِّدَهُ وَ تُحِبَّهُ وَ تَصْبِرَ لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ بِظَاهِرِكَ وَ
بَاطِنِكَ فِي حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ فَلَا تَرَى الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى وَ لَا
الشَّرَّ إِلَّا مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَفْنِي عَنِ الْخَلْقِ وَ النَّفْسِ وَ الْهَوَى وَ
الْإِرَادَاتِ وَ الْمُلَى وَ عَنْ جَمِيعِ مَا سِوَى الْمَوْلَى.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»: تعجباً من حال المشتغل بصلاح الظاهر الغافل
عن صلاح الباطن «مَا أَكْثَرَ مَا تَقُولُ» إذا نظرت إلى أحوال المترفّحين من أبناء

جنسك «قُرِبَ فُلَانٌ» عند أهل الدنيا «وَبُعِدْتُ» عن قريتهم «وَأُعْطِيَ فُلَانٌ» من الدنيا «وَحُرِّمْتُ، وَأُغْنِيَ فُلَانٌ وَأُفْقِرْتُ» أي جعل فلان غنيا وجعلت فقيرا «وَعُوْفِي فُلَانٌ» من الأمراض والأوجاع «وَأُسْقِمْتُ» أي جعلت سقيما عليلا مريضا «وَعُظِّمَ فُلَانٌ» بالعزة والمال والجاه «وَحُقِّرْتُ وَحُجِدَ فُلَانٌ» بحسن الخصال وحسن الفعال «وَذُمَّتْ» مع الاشتراك في تلك الفعال «وَصُدِّقَ فُلَانٌ» فيما صدر منه من المقال «وَكُذِّبْتُ» فيما لي من المقال.

وهذا مما لا ينبغي للعقلاء من الرجال سيما من أمثالك من صاحب الكمال «أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ» أي الله الكبير المتعال «الْوَاحِدُ» الكامل في الوجدانية «وَأَنَّ الْوَاحِدَ» من جميع الجهات من حيث الذات والصفات «يُحِبُّ الْوَحْدَانِيَّةَ فِي الْمَحَبَّةِ» فجعلك بحيث يحبك وحده إياك، ولا يتركك أن يحبك غيره فيشاركه تعالى في صفة المحبة لك غيره تعالى «وَيُحِبُّ الْوَاحِدَ فِي مَحَبَّتِهِ» فقطع حبك عن الغير مطلقا فلا تحب أحدا إلا الله تعالى.

فاعلم أن الله تعالى «إِذَا قَرَّبَكَ» إلى فضله ونعمته «بَطَرِيقٍ غَيْرِهِ» بأن يظهر لك النعمة على يديه ويحبك الخلق وتحب أنت الخلق «نَقَصَتْ مَحَبَّتُكَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ تَشَعَّبَتْ» محبتك في شعب مختلفة وطرق متعددة «فَرُبَّمَا دَخَلَكَ» أي دخل في قلبك «الْمَمِيلُ إِلَى مَنْ ظَهَرَتِ الْمُوَاصَلَةُ» معك «وَالنِّعْمَةُ» منه عليك «عَلَى يَدَيْهِ» فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها «فَتَنَقَّصُ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِكَ» بصرف بعضه منها إلى من أحسن إليك «وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ غَيُّورٌ» كمال الغيرة في جميع الأمور سيما في المحبة والعبادة «لَا يُحِبُّ شَرِيكًا» أصلا «فَ» لأجل عدم محبته اشتراك الغير في المحبة «كَفَّ أَيْدِيَ الْغَيْرِ عَنْكَ بِالْمُوَاصَلَةِ» معك والإحسان إليك «وَ» كف «لِسَانَهُ» أي الغير «عَنْ حَمْدِكَ وَثَنَائِكَ وَ» كف «رِجْلَيْهِ عَنِ السَّعْيِ إِلَيْكَ كَيْلًا تَشْتَغَلَ بِذَلِكَ» الغير بسبب إحسانه إليك معرضا عنه عَزَّ وَجَلَّ.

«أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» :

«جُبِلَتْ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغِضَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا»^(١).
 «فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْفُ الْخَلْقَ» و يصرفه «عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ» والمداواة
 والمؤاساة معك «مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَ سَبَبٍ حَتَّى تُوَحِّدَهُ» تعالى في الإحسان إليك «و
 تُحِبُّهُ» بكليّة محبتك «و تَصِيرُ لَهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ وَجْهِ بَظَاهِرِكَ وَ بَاطِنِكَ فِي حَرَكَاتِكَ وَ
 سَكَنَاتِكَ» فإنك مخلوقه و مرزوقه و مربوبه فأنت في الباطن له تعالى فبحسب الظاهر
 أيضًا قطع تعالى علائقك مع الخلق لتكون بظاهرك أيضًا له تعالى فتصير بكليتك له
 تعالى «فَلَا تَرَى الْخَيْرَ» الواصل بك والمرجو لك «إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى وَلَا» ترى «الشَّرَّ»
 اللاحق بك والمخوف منه عندك «إِلَّا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ تَفْنِي» أنت «عَنِ الْخَلْقِ وَ النَّفْسِ
 وَ الْهَوَى وَ الْإِرَادَاتِ وَ الْمُنَى» بل «وَعَنْ جَمِيعِ مَا سِوَى الْمَوْلَى».
 أما الفناء عن الخلق فبصرف الله تعالى إحسانهم عنك، و أما عن النفس
 فلا أنك لما عَوَّذْتَ بالتوجه إلى الله تعالى في جميع أمورك أحسن الله تعالى إليك
 بالتخليص لك عنك، والهوى والإرادات فرع النفس فبفنائها ففيت لوازمها.

ثُمَّ يُطْلَقُ الْإِيْدِي إِلَيْكَ بِالْبَسْطِ وَ الْبَذْلِ وَ الْعَطَاءِ، وَ الْأَلْسُنُ
 بِالْحَمْدِ وَ الثَّنَاءِ فَأَنْتَ بِذَلِكَ أَبَدًا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ فِي الْعَقْبَى فَلَا تُسِىءُ
 الْأَدَبَ، أَنْظُرْ إِلَى مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَ أَقْبِلْ عَلَى مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ، وَ احْبِبْ
 مَنْ يُحِبُّكَ، وَ اسْتَجِبْ مَنْ يَدْعُوكَ، وَ أَعْطِ يَدَكَ مَنْ يُبْتَئِكَ مِنْ
 سَقَطِكَ وَ يُخْرِجَكَ مِنْ ظُلُمَاتِ جَهْلِكَ وَ يُنَجِّيكَ مِنْ هَلَكِكَ وَ
 يَغْسِلُكَ مِنَ الْجَنَاسِكَ وَ يَتَطَهَّرَكَ مِنْ أَوْسَاحِكَ وَ يُخَلِّصَكَ مِنْ جِيفِكَ
 وَ تَتَبَكَ وَ مِنْ هَيْبَةِ الرَّدِيَّةِ وَ مِنْ نَفْسِكَ الْأَمَّارَةِ بِالشُّرِّ وَ أَقْرَانِكَ
 الضَّلَالِ الْمُضِلِّينَ شَيَاطِينِكَ، وَ عَنْ هَوَاكَ وَ أَخْلَاقِكَ الْجَهْلِيَّةِ قُطَّاعِ
 طَرِيقِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ الْحَائِلِينَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ وَ ثَمِينٍ وَ عَزِيزٍ.
 إِلَى مَتَى الْعَادَةُ، إِلَى مَتَى الْخَلْقُ، إِلَى مَتَى الْهَوَى، إِلَى مَتَى الرَّغْوَةُ،
 إِلَى مَتَى الدُّنْيَا، إِلَى مَتَى الْأُخْرَى، إِلَى مَتَى مَا سِوَى الْمَوْلَى؟ فَأَيْنَ أَنْتَ

(١) انظر الجامع الصغير رقم الحديث ٣٥٨٠، والكامل لابن عدي.

مِنْ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ الْمَكُونِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ الظَّاهِرِ الْبَاطِنِ وَالْمَزْجِ
وَالْمَصْدَرِ إِلَيْهِ، وَ لَهُ الْقُلُوبُ وَ طَمَائِنَةُ الْأَزْوَاجِ وَ مُحِطُ الْأَثْقَالِ
وَالْعَطَاءِ بِلاَ إِمْتِنَانٍ.

«ثُمَّ» بعد ما فنيت عن الخلق والنفس والهوى والإرادات والمنى «يُطْلَقُ
الْأَيْدِي إِلَيْكَ» من جانب الله تعالى «بِالْبَسِطِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَ» يطلق «الْأَلْسُنُ
بِالْحَمْدِ وَالشَّانِ» فيخدمك جميع خلق الله تعالى بإذنه، ولا يضررك حينئذ توجه الخلق
إليك «فَأَنْتَ» تكون ملتبسا «بِذَلِكَ» الحال أي خدمة الخلق لك «أَبَدًا» و لا
يسلب عنك ذلك «فِي الدُّنْيَا» ما دمت حيًّا «ثُمَّ فِي الْعُقْبَى» فإذا وجدت فيك هذا
الحال «فَلَا تُسَيِّ الْأَدَبَ» مع الله الملك المتعال «أَنْظُرْ إِلَى مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَ» هو الله
عَزَّ وَ جَلَّ في كل حال «أَقْبِلْ» بالطاعة والتوجه والإخلاص والمحبة والتوكل
والتفويض والتسليم والرضا بالقضاء والشكر والثناء «عَلَى مَنْ أَقْبَلَ» باللطف و
الإحسان والرأفة والرضوان والرحمة والغفران والعطاء والامتنان «إِلَيْكَ
وَاحْبِبْ» بالحب الكلي «مَنْ يُحِبُّكَ» مع كثرة عبيده المحبين له «وَاسْتَجِبْ»
بكليتك «مَنْ يَدْعُوكَ» باللطف إليه «وَ أَعْطِ يَدَكَ» بالاعتماد الكلي «مَنْ يُبْتَئِكَ»
على استقامة العبودية بالفناء ثم الإبقاء «مِنْ سَقَطِكَ» عن ذروة القبولية إلى
حضيض البهيمية «وَيُخْرِجُكَ مِنْ ظُلُمَاتِ جَهْلِكَ» عن معرفة الربوبية والعبودية
«وَ يُنَجِّيكَ» نجاة أبدية سرمديا «مِنْ هَلَكَتِكَ» بحسبان نفسك و غيرك من
جزئيات العالم موجودات حقيقة «وَ يَغْسِلُكَ» ظاهرا و باطنا «مِنْ أَجْثَاسِكَ»
بالتوجه إلى ما سوى الله تعالى في أمورك «وَ يَنْظِفُكَ» تنظيفا عرفانيا «مِنْ
أَوْسَاحِكَ» الجهلية عن حقائق الموجودات «وَ يُخَلِّصُكَ» خلاصا ظاهريا و باطنيا
«مِنْ جِيفِكَ وَ تَنِينِكَ» ببقاء بشريتك و صفاتها «وَ مِنْ هَمِّكَ الرَّدِيَّةِ» بحب المال
والجاه والولد والوالد والعمارة مما هو من لوازم الدنيا «وَ» يخلصك «مِنْ نَفْسِكَ
الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ» كالرياء والعجب والسمعة والتفاخر والتشاجر والتباغض
والتحاسد «وَ» يخلصك «مِنْ أَقْرَانِكَ الضُّلَّالِ» في أنفسهم عن طرق المعرفة و

سبل العلم جمع ضَالَّ كُطْلَاب و قُطَاع جمع طالب و قاطع «الْمُضِلِّينَ» لمن قارنهم و خالطهم عن تلك الطرق العرفانية «شَيَاطِينِكَ» بأن يصيروا سببا لغفلتك عن التوجه التام إلى خالقك و ربك «و» يخلصك «عَنْ هَوَاكَ» المُرْدِيَةِ الْمُهْلِكَةِ «و» يخلصك عن «أَخْلَائِكَ» الدنيوية جمع خليل «الْجُهَّالِ» عن طريق العروج إلى ذروة المعرفة «قُطَاعِ طَرِيقِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» بالإغفال عنها بطريق الاشتغال بالرسوم والعادات والتقيدات بالخطوط النفسانية و الشهوانية «الْحَائِلِينَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ كُلِّ» أمر «نَفْسٍ وَ ثَمِينٍ وَ عَزِيزٍ» في الشريعة والطريقة والحقيقة فاحذر عن جميع ما ذكر لك بعد التنبيه على ضررها و لا تُمِلْ إلى شيء منها.

«إِلَى مَتَى الْعَادَةُ» أي إلى أي وقت تشتغل و تتقيد بالعادة والرسم «إِلَى مَتَى الْخُلُقُ» و ملاحظته و الاشتغال به «إِلَى مَتَى الْهَوَى» و التقيد بها والعمل بمقتضاها «إِلَى مَتَى الرَّغْوَةُ» أي النفسانية والجهل والحماسة «إِلَى مَتَى الدُّنْيَا» و الاشتغال بها «إِلَى مَتَى الْأُخْرَى» والعمل بها «إِلَى مَتَى مَا سِوَى الْمُؤَلَى» والتوجه إليه فتنبه أيها العاقل «فَإِنَّ أَنْتَ مِنْ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ» و كيف تَبَعْدُ عنه تعالى، التوجه إلى الخالق خير لك أم إلى المخلوق، أين أنت من «الْمُكُونِ» لِأَكُونَ كلها «الْأَوَّلِ» من كل شيء «وَالْآخِرِ» الباقي بعد كل شيء «الظَّاهِرِ» في المظاهر كلها «الْبَاطِنِ» لكل شيء «وَالْمَرْجِعِ» للكل «وَالْمَصْدَرِ» للكل هذا إن جعل المرجع والمصدر ظرفي مكان، و إن جُعِلَا مصدرين كان المعنى رجوع الكل «إِلَيْهِ» تعالى في جميع الأمور، والأول هو الأصوب بل الصواب إذ به يظهر صلاح الكلام الآتي كما سيأتي «وَلَهُ الْقُلُوبُ وَ طَمَائِنَةُ الْأَرْوَاحِ» كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ. الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَا بٍ﴾ [الرعد: السورة: ١٣، الآية: ٢٩، ٢٨، ٢٧]

«وَمَحْطُ الْأَثْقَالِ وَالْعَطَاءِ بِلَا إِمْتِنَانٍ» الظاهر أن هذه الأمور الأربعة مرتبطة بقوله إليه و له كليهما أي إليه ينتهي القلوب سلوكا و له القلوب ملكا و تعلقا و

معرفةً. وكذلك طمانينة الأرواح وإليه محط الأثقال أي إليه ينتهي حُطُّ أثقال البشرية و صفاتها؛ فإن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى ذهب بشريته و صفاتها، و فنى ذاته الخلق جميعاً؛ فإن المانع من الوصول والرجوع هو البشرية والنفسانية و حب المال والجاه والتعلق بالعلائق، فجميع هذه الأمور أثقال على السالك فمحطها إلى الله تعالى و له أي لأجله و إليه ينتهي العطاء بلا امتنان؛ فإن عطاء المخلوقات لا يخلو عن امتنان و إن يخلو فإنما هو لأجل أن فاعله فاني في الله تعالى أو يريد للفناء إن كان من أهل السلوك أو للقبول والرضا إن كان من أهل ظاهر الشريعة فظهر أن العطاء بلا امتنان ينتهي إلى الله تعالى و ثابت له تعالى أولاً في بعض المواضع و آخرًا في بعضها.

الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالسِّتُونُ

فِي بَيَانِ حَالِ مَنَامِهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَقُولُ يَا مُشْرِكًا
بِرَبِّي فِي بَاطِنِهِ بِنَفْسِهِ وَفِي ظَاهِرِهِ بِخَلْقِهِ وَفِي عَمَلِهِ بِإِرَادَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ
فِي جَنْنِي مَا هَذَا الْكَلَامُ، فَقُلْتُ هَذَا نَوْعٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَقُولُ» حال كوني في جماعة عتَابًا وخطابًا للغافل عن الفناء على وجه ينبئ عن طريق الفناء «يَا مُشْرِكًا بِرَبِّي» هذا إجمال تفصيله ما بعده «فِي بَاطِنِهِ» مشرك «بِنَفْسِهِ» مشغول بها غير غافل عنها مشغلا بالرب «وَفِي ظَاهِرِهِ» مشرك «بِخَلْقِهِ» تعالى، مخالط معه، مبتلى بالرسوم و العادات غير تارك له متوجها إلى الخالق «وَفِي عَمَلِهِ» مشرك «بِإِرَادَتِهِ» غير مفرٍ لها في إرادة الرب فأين الفناء والوصول إلى الله تعالى والقرب منه «فَقَالَ رَجُلٌ» كائن «فِي جَنْنِي»: في المنام «مَا هَذَا الْكَلَامُ»؟ وما معناه وأي غرض منه «فَقُلْتُ: هَذَا نَوْعٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ» فإن من عرف حاله في الباطن والظاهر والعمل أنه مشغول بهذه الاشتغال عرف داءه فيمكن له السعي في تحصيل الدواء، ومن لا يعرف الداء لا يمكن له تحصيل الدواء فيكون إدراك هذا الحال أيضًا نوعا من المعرفة. ولعل الغرض من إيراد هذا المنام الإشارة إلى بيان أن أرباب معالي الهمم جُلُّ همتهم في اليقظة والمنام إلى نفي الشرك الخفي، وتحصيل الفناء تعليلًا وإرشادًا للطالبيين.

الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالسِّتُونُ

في بيان حالة نفسه الشريفة وضييق الأمر عليها يومًا وما جرى فيه

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ضَاقَ بِي الْأَمْرُ يَوْمًا فَتَحَرَّكَتِ
النَّفْسُ تَحْتَ حَمْلِهَا، وَطَلَبَتِ الرَّاحَةَ وَالْمُخْرَجَ وَالْفُرْجَ، فَقِيلَ لِي: مَاذَا
تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: أُرِيدُ مَوْتًا لَا حَيَاةَ فِيهِ وَحَيَاةً لَا مَوْتَ فِيهَا. فَقِيلَ لِي:
مَا الْمَوْتُ الَّذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ وَالْحَيَاةُ الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا؟ قُلْتُ:
الْمَوْتُ الَّذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ مَوْتِي عَنْ جَنْسِي مِنَ الْخَلْقِ فَلَا أَرَاهُمْ فِي
الضَّرِّ وَالنَّفْعِ، وَ مَوْتِي عَنْ نَفْسِي وَ هَوَائِي وَ إِرَادَتِي وَ مُتَائِي فِي
الدُّنْيَا وَ الْآخِرَى فَلَا أُحْيِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَ لَا أُوْجِدُ.
وَ أَمَّا الْحَيَاةُ الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا فَحَيَاتِي بِفِعْلِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِلَا
وَجُودِي وَ الْمَوْتُ فِي ذَلِكَ وَجُودِي مَعَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكَانَتْ هَذِهِ
الْإِرَادَةُ أَنْفُسَ الْإِرَادَاتِ الَّتِي أَرَدْتُهَا مُنْذُ عَقَلْتُ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ضَاقَ بِي الْأَمْرُ يَوْمًا» وَ لَا أَجِدُ مَخْلَصًا مِنْهُ
«فَتَحَرَّكَتِ النَّفْسُ تَحْتَ حَمْلِهَا» وَاضْطَرَبَتْ مِنْ ثِقَلِهَا وَ عَجَزَتْ مِنْ شِدَّتِهَا «وَ
طَلَبَتِ الرَّاحَةَ» بِالْخِلَاصِ عَنْهَا «وَالْمُخْرَجَ وَالْفُرْجَ» بِزَوَالِهَا «فَقِيلَ لِي» فِي الْوَاقِعَةِ
«مَاذَا تُرِيدُ؟» يَا فَلَانُ؟ «فَقُلْتُ: أُرِيدُ مَوْتًا لَا حَيَاةَ فِيهِ، وَ حَيَاةً لَا مَوْتَ فِيهَا. فَقِيلَ
لِي: مَا الْمَوْتُ الَّذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ وَالْحَيَاةُ الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا؟»

«قُلْتُ: الْمَوْتُ الَّذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ مَوْتِي عَنْ جَنْسِي مِنَ الْخَلْقِ فَلَا أَرَاهُمْ» أَيِ
الْخَلْقِ وَ لَا التَّفَتِ إِلَيْهِمْ وَ لَا أَشْعُرُ بِهِمْ كَالْمَيِّتِ «فِي الضَّرِّ وَالنَّفْعِ» فَلَا أَخَافُ ضَرَّهُمْ
وَ لَا أَرْجُو نَفْعَهُمْ لَغَيْبَتِهِمْ عَنْ نَظَرِ الشُّهُودِ «وَ مَوْتِي عَنْ نَفْسِي وَ هَوَائِي وَ إِرَادَتِي وَ
مُتَائِي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَى فَلَا أُحْيِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَ لَا أُوْجِدُ» بِصِغَةِ الْمَجْهُولِ أَيِ لَا

أرى نفسي و لا أجدها، و لا هوائي و لا إرادتي و منائي بل أتلخّص عن جميع ذلك و أفنى عنها.

«وَأَمَّا الْحَيَاةُ الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا فَحَيَاتِي بِفِعْلِ رَبِّي» أي بالفناء في فعل ربي «عَزَّ وَجَلَّ بِلَا وُجُودِي فِيهِ» أي في ذلك الفعل الَّذِي هو عبارة عن القدر المحض إذ به يحصل للقلب شهود الرب تعالى، و إذا حصل الشهود للقلب يصير به حيًّا منورا ذا راحة و سرور عظيم فخيم و أي حياة أعظم من حياة القلب بمشاهدة الرب؛ فإن الخلق العام حيٌّ بالنفس والروح، والخاص بالقلب فمن حصل له حياة القلب فهو حي أبدي لا يموت أصلا «وَالْمَوْتُ فِي ذَلِكَ» الحال «وُجُودِي مَعَهُ عَزَّ وَجَلَّ» فإن وجودي معه إشراك في الوجود و هو تعالى بريء منه، فإن وحدة الوجود أبية عن شهود الوجود الآخر فشهود الوحدة حياة و شهود الكثرة ممة، و بهذا المعنى ورد «وجودك ذنب لا يقاس بها ذنب» و ورد: «دع نفسك و تعال» «فَكَأَنْتَ هَذِهِ الْإِرَادَةُ» التي ذكرتها «أَنْفُسُ الْإِرَادَاتِ» و أحسنها و أجملها و أكملها و أفضلها «الَّتِي أَرَدْتُهَا مُنْذُ عَقَلْتُ» شيئا و صرت ذا شعور.

الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالسِّتُونَ

فِي التَّنْهِي عَنِ التَّسْحُطِ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى بِسَبَبِ التَّأخِيرِ فِي اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَا هَذَا التَّسْحُطُ عَلَى رَبِّكَ عَزَّ وَ
جَلَّ لِأَجْلِ تَأخِيرِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ تَقُولُ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ السُّؤَالَ لِلْخَلْقِ
وَأَوْجِبَ عَلَيْكَ السُّؤَالَ لَهُ وَأَنَا أَدْعُوهُ وَهُوَ لَا يُجِيبُنِي، فَيَقَالَ لَكَ أ
حُرُّ أَنْتَ أَمْ عَبْدٌ فَإِنْ قُلْتَ أَنَا حُرٌّ فَأَنْتَ كَافِرٌ وَإِنْ قُلْتَ أَنَا عَبْدٌ
فَيَقَالَ لَكَ أَمُتُّهُمْ أَنْتَ لِمَوْلَاكَ فِي تَأخِيرِ إِجَابَةِ دُعَائِكَ وَشَاكَ فِي
حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِكَ وَبِجَمِيعِ خَلْقِهِ وَعِلْمِهِ بِأَحْوَالِهِمْ أَوْ غَيْرِ مُتَّهِمٍ
لَهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُتَّهِمٍ لَهُ وَمَقْرَأَ بِحِكْمَتِهِ وَإِرَادَ اتِّهِ
مَصْلَحَتِهِ فِي تَأخِيرِ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ اخْتَارَ
لَكَ الْأَصْلَحَ وَالتَّعَمَّةَ، وَدَفَعَ الْفَسَادَ عَنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُتَّهِمًا لَهُ عَزَّ
وَجَلَّ فِي ذَلِكَ فَأَنْتَ كَافِرٌ بِتُهْمَتِكَ لَهُ لِأَنَّكَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ نَاسَبْتَ
لَهُ إِلَى الظُّلْمِ وَهُوَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ وَيُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ
يُظْلِمَ وَهُوَ مَالِكُكَ وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْمَالِكُ لَهُ التَّصَرُّفُ فِي مَلِكِهِ
كَيْفَ يَشَاءُ فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الظَّالِمِ وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ يَتَصَرَّفُ فِي
مَلِكٍ غَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ. فَاسْدُدْ عَلَيْكَ سَبِيلَ التَّسْحُطِ عَلَيْهِ فِي فِعْلِهِ
فِيكَ بِمُتَخَالِفِ طَبْعِكَ وَشَهْوَةِ نَفْسِكَ وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَفْسَدَةٌ
لَكَ، فَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ وَالصَّبْرِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالرِّضَا وَتَرْكِ التَّسْحُطِ
وَالْتُّهْمَةِ وَالْقِيَامَ مَعَ رَعُونَةِ النَّفْسِ وَهَوَاهَا الَّذِي يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ تَعَالَى. وَعَلَيْكَ بِدَوَامِ الدُّعَاءِ وَصِدْقِ اللَّجَاءِ وَحُسْنِ الظَّنِّ
بِرَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ وَالتَّصَدِّيقِ بِوَعْدِهِ وَالْحَيَاءِ مِنْهُ وَ

بِالْمُؤَافَقَةِ لِأَمْرِهِ وَ يَحْفَظُ تَوْحِيدِهِ وَ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى آدَاءِ أَوْامِرِهِ
تَعَالَى وَ التَّقَاعِدِ عَنْ إِزْكَابِ نَهْيِهِ وَ بِالتَّمَاوُتِ عِنْدَ نُزُلِ قُدْرِهِ بِكَ
و بِفِعْلِهِ فِيكَ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تَتَّهِمَ وَ تُسِيءَ الظَّنَّ فَتَنفُسُكَ
الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ الْعَاصِيَةِ لِرَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ أَوْلَى بِهِمَا، وَ نَسْبُكَ الظُّلْمَ
إِلَيْهَا أُخْرَى مِنْ مَوْلَاكَ فَاحْذَرْ مُوَا فَتَتَّهَا وَ مُوَالَاتِهَا، وَ الرِّضَا
بِفِعْلِهَا وَ قَوْلِهَا فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، لِأَنَّهَا عُدُوَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَ عَدُوَّتُكَ وَ مُوَالِيَةُ لِعَدُوِّ اللَّهِ وَ عَدُوَّةُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، هِيَ
خَلِيفَتُهُ وَ جَاسُوسَتُهُ وَ مُصَافِيَتُهُ اللَّهُ اللَّهُ الْحَذَرُ وَ النَّجَا وَ النَّجَا
إِثْمُهُمَا أَبَدًا وَ انْسَبِ الظُّلْمَ إِلَيْهَا وَ اقْرَأْ عَلَيْهَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ أَمْتُمْ ط﴾

[النساء، السورة: ٤، الآية: ١٤٧]

وَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الحج،

السورة: ٢٢، الآية: ٤٤]

وَ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[يونس: ٨ إلى ١٠]

وَ غَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَ الْأَخْبَارِ. كُنْ خَصِمًا لِلَّهِ عَلَى نَفْسِكَ وَ
مُجَادِلًا لَهَا عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ مُحَارِبًا وَ سَيَافًا، وَ كُنْ صَاحِبَ جُنْدِهِ وَ
عَسَاكِرِهِ فَإِنَّهَا أَعْدَى عَدُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
”يَا دَاوُدُ أَهْجُزْ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُ لَا مُتَارَعَ يَتَارَعُنِي فِي مُلْكِي
غَيْرِ الْهَوَى“.

« قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَا هَذَا التَّسَحُّطُ » وَ الْغَضَبُ مِنْكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ « عَلَى

رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَجْلِ تَأْخِيرِ إِبْجَابَةِ الدُّعَاءِ» الَّذِي دَعَوْتَهَا فِي حَصُولِ مَطَالِبِكَ وَ
 مَقَاصِدِكَ «تَقُولُ: حَرَّمَ اللَّهُ» تَعَالَى بِلِسَانِ رَسُولِهِ «عَلَيَّ السُّؤَالُ لِلْخَلْقِ» أَيِ عَنْهُمْ
 «وَأَوْجِبَ عَلَيَّ السُّؤَالَ لَهُ» أَيِ عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ «وَالْحَالُ» أَنَا أَدْعُوهُ وَهُوَ تَعَالَى لَا
 يُجِيبُنِي، فَيَقَالُ لَكَ «فِي جَوَابِ شِبْهَتِكَ» أُحْزِرُ أَنْتَ «أَيِ غَيْرِ دَاخِلٍ فِي عِبُودِيَةِ اللَّهِ
 تَعَالَى «أَمْ عَبْدٌ» اللَّهُ تَعَالَى «فَإِنْ قُلْتَ» بِجَهْلِكَ وَنَفْسَانِيَّتِكَ وَمَلَا حِظَةَ نَفْسِي رَقَبَتِكَ
 لِمَخْلُوقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ «أَنَا حُرٌّ. فَأَنْتَ» فِي الْحَقِيقَةِ «كَافِرٌ» بِنَفْسِي عِبُودِيَّتِكَ لِلَّهِ
 تَعَالَى «وَإِنْ قُلْتَ أَنَا عَبْدٌ» كَمَا كُنْتَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ «فَيَقَالُ لَكَ» فِي تَسْخِطِكَ عَلَى
 رَبِّكَ لِأَجْلِ تَأْخِيرِ إِبْجَابَةِ دُعَائِكَ «أَمْ تُتَّهِمُ أَنْتَ لِمَوْلَاكَ» أَنَّهُ فَعَلَ بِكَ مَا لَا يَلِيقُ بِكَ
 «فِي تَأْخِيرِ إِبْجَابَةِ دُعَائِكَ وَ» أ» شَاكٌ «أَنْتَ» فِي حِكْمَتِهِ تَعَالَى بِأَنَّ التَّأْخِيرَ خِلَافُ
 الْحِكْمَةِ «وَ» شَاكٌ فِي «رَحْمَتِهِ بِكَ وَبِجَمِيعِ خَلْقِهِ» مَعَ عِلْمِهِ تَعَالَى، وَ شَاكٌ فِي
 «عِلْمِهِ بِأَحْوَالِهِمْ» بَزَعَمِكَ أَنَّ التَّأْخِيرَ إِنَّمَا حَصَلَ بِسَبَبِ عَدَمِ الْإِطْلَاعِ عَلَى حَقِيقَةِ
 الْحَالِ «أَوْ غَيْرِ مُتَّهِمٍ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ» فِي ذَلِكَ التَّأْخِيرِ «فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُتَّهِمٍ لَهُ» تَعَالَى
 فِي ذَلِكَ «وَ» كُنْتَ «مُقَرَّرًا بِحِكْمَتِهِ» فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ «وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ» عِلْمُهُ فَإِنَّهَا لَا
 تَكُونُ بِدُونِهِ «وَ مَصْلَحَتِهِ» تَعَالَى لَكَ أَيِ صِلَاحٍ لَكَ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى «فِي
 تَأْخِيرِ ذَلِكَ» أَيِ قَبُولِ دَعْوَتِكَ «فَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ» أَيِ اسْتِمْسَاكِ بِهِ «لَهُ عَزَّ وَجَلَّ
 لِأَنَّهُ» تَعَالَى «إِخْتَارَ لَكَ الْأَصْلَحَ وَالنِّعْمَةَ، وَ دَفَعَ الْفَسَادَ عَنْكَ» تَفَضُّلاً مِنْهُ تَعَالَى
 مِنْ غَيْرِ وَجُوبٍ عَلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ «وَإِنْ كُنْتَ» أَيُّهَا السَّالِكُ «مُتَّهِمًا لَهُ
 عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ» التَّأْخِيرِ وَ عَدَمِ الْإِبْجَابَةِ عَلَى الْفَوْرِ وَ فِي الْحَالِ «فَأَنْتَ كَافِرٌ» فِي
 الطَّرِيقَةِ «بِتُّهْمَتِكَ لَهُ» تَعَالَى «لِأَنَّكَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ» الَّذِي هِيَ التُّهْمَةُ «نَاسَبْتَ
 لَهُ» بِمَعْنَى نَسَبْتَهُ «إِلَى الظُّلْمِ وَهُوَ» الْحَالُ أَنَّهُ تَعَالَى «لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، وَ يَسْتَحِيلُ
 عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ يَظْلِمَ» إِذِ الظُّلْمُ عِبَارَةٌ عَنْ وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ «وَهُوَ» تَعَالَى
 «مَالِكُكَ وَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَ الْمَالِكُ» يَجُوزُ «لَهُ التَّصَرُّفُ فِي مِلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ فَلَا
 يُطْلَقُ عَلَيْهِ» أَيِ عَلَى تَصَرُّفِهِ تَعَالَى «إِسْمُ الظَّالِمِ وَ إِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ يَتَصَرَّفُ فِي مِلْكِ
 غَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ».

إذا عرفت وجه تأخير دعائك، وعرفت أنه تعالى فعل بك ما هو أصلح و أنفع لك فلا وجه لتسخطك عليه تعالى «فَاسْدُدْ عَلَيْكَ سَبِيلَ التَّسَخُّطِ عَلَيْهِ» وأغلق عليك باب التسخط سداً و غلقاً لا يفتح عليك بابه أصلاً «في فعله» تعالى «فِيكَ بِمَا يَخَالِفُ طَبْعَكَ وَ شَهْوَةَ نَفْسِكَ، وَإِنْ كَانَ» فعله تعالى فيك «في الظاهر» بسوء ظنك و جهلك و جهل أناس آخر مثلك «مَفْسَدَةٌ لَكَ» كسقوط البيت و ذهاب المال و موت الولد و نحو ذلك، فاعلم أنه لا خطأ في صنع الحكيم؛ فإن الحكيم لا يفعل إلا ما فيه حكمة، و هو تعالى عالم بعواقب الأمور كلها فلم يفعل بك ذلك إلا لصلاحك «فَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ» أي استمسك بالشكر على باطن ذلك الفعل؛ فإنه نعمة لك «وَالصَّبْرِ وَالمُؤَافَقَةِ وَالرِّضَا» بذلك الفعل الَّذِي يَخَالِفُ إرادتك، و تظنه مفسدة «وَتَرْكِ التَّسَخُّطِ وَالتُّهْمَةِ وَ» ترك «الْقِيَامِ مَعَ رَعُونَةِ النَّفْسِ» أي جهلها و محمقها الحاكمة بإساءة ذلك الفعل «وَ» ترك «هَوَاهَا» الَّذِي يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ عَلَيْكَ بِدَوَامِ الدُّعَاءِ وَ صِدْقِ اللِّجَاءِ» أي الالتجاء إلى الله تعالى «وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ» و قد ورد في الحديث: «واحسنوا الظن بالله تعالى فإن حسن الظن من العبادة».

«وَإِنْتَظَارِ الْفَرَجِ» فورد في حديث غريب: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجِبُ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ» وَالتَّصَدِيقُ بِوَعْدِهِ» فإنه تعالى لا يخلف الميعاد «وَالْحَيَاءُ مِنْهُ» تعالى في التسخط والاعتراض عليه تعالى بتأخير إجابة الدعاء مع أنه تعالى أنعم عليك بنعم لا تعد و لا تحصى فنيسان جميع النعم والاعتراض بترك واحدة متخيلة النفع هل يجوز عند العقلاء «وَ» اسْتَمْسِكْ «بِالمُؤَافَقَةِ لِأَمْرِهِ» تعالى «وَ» استمسك «بِحِفْظِ تَوْحِيدِهِ» تعالى فلا تجعل لغيره تعالى، حكماً و دخلاً في فعله تعالى، و نفسك و هواك أيضاً من الغير فلا تتبعهما «وَ» استمسك «بِالمُسَارَعَةِ إِلَى آدَاءِ أَوَامِرِهِ تَعَالَى» فرضاً كان الأمر أو استحباباً «وَ» إلى «التَّقَاعِدِ» و التباعد «عَنْ إِزْكَابِ نَهْيِهِ» محرماً كان أو مكروهاً، فإن ذلك مثمر للفناء في الله والبقاء به كما يدل عليه حديث قرب الفرائض والنوافل.

قال ابن عطاء: ما فتح الله تعالى على عبد حالةً سنّيةً إلا باتباع الأوامر و إخلاص الطاعات ولزوم المحاريب.

وقال سليمان الداراني: لا يفوت أحدا الصلوة بجماعة إلا للذنوب.

وفي الخزانة الجلالية: أن الخير يدعو إلى الخير، والشر يدعو إلى الشر، والقليل من كل منهما يجرُّ إلى الكثير «و» استمسك «بِالتَّائِبَاتِ» أي جعل نفسك ميّنة «عِنْدَ نُزُولِ قَدَرِهِ» تعالى «بِكَ وَبِفِعْلِهِ» تعالى «فِيكَ» وإن كان ذلك القدر مخالفا لرأيك فاجبر نفسك بالتسليم والسكوت «وَإِنْ كَانَ» نفسك لا تسكن ولا تسكت و «لَا بُدَّ» لك «أَنْ تَتَّهَمَ وَتُسَيِّءَ الظَّنَّ فَنَفْسُكَ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ الْعَاصِيَةِ لِرَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ أَوْلَى بِهِمَا» أي بالاتهام و سوء الظن فإنها منشأ و مأوى كل شر فملا متك لنفسك «وَنَسَبْتَكَ الظُّلْمَ إِلَيْهَا آخَرَى مِنْ مَوْلَاكَ» الَّذِي أَوْلَاكَ بنعم لا تعد و لا تحصى «فَاخْذَرْ» أيها الحاذق المؤدب «مُؤَافَقَتَهَا» أي النفس «و مُوَالاتِيهَا» و محبتها «وَالرِّضَا بِفِعْلِهَا» و حكمها «و قَوْلُهَا فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّهَا عَدُوَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» فإنه تعالى في كمال التنزه ذاتا و صفاتا، و هي في كمال الدناءة و الخساسة ذاتا و صفاتا فلا يمكن موالاتها و محبتها مع الله تعالى «و» أنها «عَدُوَّتُكَ» أيضًا بانجرارك إلى مقتضياتها و مشتبهاتها المبعوضة و المكروهة للرب عَزَّ وَجَلَّ «و» أنها «مُؤَالِيَةٌ» و محبة و موافقة «لِعَدُوِّ اللَّهِ» تعالى «و عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ» أي ذلك العدو لله و لك هو الشيطان الرجيم أو أعنى به ذلك أو يجر على البدلية «هِيَ» أي نفسك «خَلِيفَتُهُ» أي خليفة الشيطان «و جَاسُوسَتُهُ وَ مُصَافِيَتُهُ» أي موافقته مع المحبة الخالصة لأنها مبغوضان و طالبان للسفل و الخساسة و الدناءة و حب الشهوات «الله الله» أي اتق الله كرر المحذر منه مبالغة في الاتقاء و التحذير لئلا يُغفل و يُسهو فإن المقام يقتضي المبالغة، و لذا قال رضي الله تعالى عنه: «الْحَذَرُ الْحَذَرُ» عن موافقة النفس و كذا الشيطان «وَالنَّجَا وَالنَّجَا» أي اطلب النجاة بمعاداتها و ترك موافقتها بل «إِنَّهُمْ هُمَا أَبَدًا» فإنها منشأ الشر و الفساد «وَأَنْسَبِ الظُّلْمَ إِلَيْهَا» فإنها ظالمة عليك بالإبعاد عن ساحة الحضور و

فيضان النور «وَأَقْرَأْ عَلَيْهَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ» في حق المنافقين:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللّٰهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَ سَوْفَ يُؤْتِي اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. «مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ أَمَنْتُمْ ۖ»﴾ [النساء، السورة: ٤، الآية: ١٤٥ إلى ١٤٧]

يعني أن منشأ العذاب إنما هو الكفر بالمنعم والنعمة، فإن شكرتم أيها المنافقون آلاء الله تعالى التي أفاض عليكم، و أمنتتم بالله لا يعذبكم كما لا يعذب المؤمنين الشاكرين «و» اقرأ عليها «قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ»:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ. ثَانِي عِظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ نُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ. «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ»﴾ [الحج، السورة: ٢٢، الآية: ٨ إلى ١٠]

كي تمتنع عن المجادلة في الله و عن إضلالك «و» اقرأ عليها «قَوْلَهُ تَعَالَى»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. [يونس،

السورة: ١٠، الآية: ٤٤]

كي تتوب عن الظلم عليك «و» اقرأ عليها «غَيْرَهَا» أي غير ما تلونا عليك «مِنَ الْآيَاتِ» القرآنية «وَالْأَخْبَارِ» النبوية، فإذا وقفت على ما ذكرنا فكن حافظا و مراقبا لنفسك بل «كُنْ خَصْمًا لِلّٰهِ تَعَالَى، و في نسخة: خصيما و هما بمعنى واحد أي من جانب الله تعالى «عَلَى نَفْسِكَ وَ مُجَادِلًا لَهَا» أي معها «عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ مُحَارِبًا» مع النفس من جانب الله عَزَّ وَجَلَّ «وَ سَيِّفًا» أي قتالا لها لأجل الله تعالى «وَ كُنْ صَاحِبَ جُنْدِهِ» أي الله تعالى «وَ» صاحب «عَسْكَرِهِ» أي الله تعالى على النفس فكما أن جنده تعالى و عسكره تعالى إذا بعث الله تعالى على عدوه كيف يحارب معه و يقاتله أو يهزمه فكن أنت كذلك من جانب الله تعالى مع نفسك «فَإِنَّهَا أَعْدَى عَدُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» أما سمعت كيف «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» لنبيه داود عليه السلام:

﴿يَا دَاوُدُ أَهْجُزْ هَوَكَ فَإِنَّهُ﴾ ﴿أَيُّ الشَّأْنِ﴾ ﴿لَا مُنَازَعَ يَبَازِعُنِي فِي مُلْكِي غَيْرَ
الْهُوَى﴾ ﴿وَذَلِكَ لِأَن مِّنْشَأَ كُلِّ سُوءٍ إِنَّمَا هِيَ الْهُوَى فَإِنَّ الْكُفْرَ مَعَ أَقْسَامِهِ، وَالْفُسْقَ
بِأَنْوَاعِهِ مَعَ كَثْرَةِ فَاعِلِيهِ إِنَّمَا كَانَ مِّنْشَأَهُمَا الْهُوَى.

الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالسِّتُونَ

في النَّهْيِ عَنْ تَرْكِ الدُّعَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَقُلْ لَا أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ كَانَ مَا أَسْأَلُهُ مَقْسُومًا فَيَأْتِيَنِي إِنْ سَأَلْتُهُ أَمْ لَمْ أَسْأَلْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَقْسُومٍ فَلَا يُعْطِيَنِي بِسُؤَالِي بَلْ أَسْأَلُهُ عَزَّ وَجَلَّ بِجَمِيعِ مَا تُرِيدُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُحَرَّمٌ وَمُفْسَدَةٌ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِالسُّؤَالِ لَهُ وَحَثَّ عَلَيْهِ. وَقَالَ:

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. [المؤمن، السورة: ٤٠، الآية: ٦٠]

وَقَالَ: وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. [النساء، السورة: ٤، الآية: ٣٢]

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِسْأَلُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ.

وَقَالَ: وَاسْأَلُوا اللَّهَ بِطُوبَى أَكْفِكُمْ.

وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ.

وَلَا تَقُلْ إِنِّي أَسْأَلُهُ فَلَا يُعْطِيَنِي فَإِذَا لَا أَسْأَلُهُ بَلْ دُمَّ عَلَى دُعَائِهِ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ لَكَ مَقْسُومًا سَأَلَهُ إِلَيْكَ بَعْدَ أَنْ تَسْأَلَهُ فَيَرْزُقُكَ ذَلِكَ إِيْمَانًا وَيَقِينًا وَتَوْحِيدًا وَتَرْكَ سُؤَالِ الْخَلْقِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ وَإِنْ زَالَ حَوَائِجُكَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَقْسُومًا لَكَ أَعْطَاكَ الْغِنَاءَ عَنْهُ وَالرِّضَا عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْفَقْرِ فَإِنْ كَانَ مَسْئُوكَ فَقْرًا أَوْ مَرَضًا أَوْ رَضَاكَ بِهِمَا. وَإِنْ كَانَ دَيْنًا قَلَبَ قَلْبَ صَاحِبِ الدِّينِ مِنْ سُوءِ الْمَطَالَبَةِ إِلَى الرِّفْقِ بِكَ وَالتَّأَخِيرِ وَالتَّسْهِيلِ إِلَى حِينَ مَيْسَرَتِكَ أَوْ إِسْقَاطِهِ عَنْكَ أَوْ تَقْصِيمِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْقُطْ

عَنْكَ وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا أَغْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَوَابًا جَزِيلاً بَدَلَ مَا
لَمْ يُعْطِكَ بِسُؤَالِكَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ كَرِيمٌ غَنِيٌّ رَحِيمٌ فَلَا يُحِيبُ سَائِلَهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ فَائِدَةٍ وَنَائِلَةٍ إِمَّا عَاجِلًا وَإِمَّا آجِلًا، وَقَدْ
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حَسَنَاتٍ لَمْ يَعْمَلْهَا وَلَمْ
يَذَرِ بِهَا، فَيَقَالُ لَهُ: أَتَعْرِفُهَا؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُهَا مِنْ أَيْنَ لِي هَذِهِ؟
فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّهَا بَدَلُ مَسْئَلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ سَأَلْتَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَنَّهُ
بِسُؤَالِهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ ذَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَمَوْجِدًا وَوَاضِعَ الشَّيْءِ فِي
مَوْضِعِهِ وَمُتَبَرِّيًا مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَتَارِكًا لِلتَّكْبُرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْأَنَفَةِ
وَجَمِيعِ ذَلِكَ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ لَهَا ثَوَابٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»: إِنْ كُنْتَ أَيُّهَا السَّالِكُ فِي مَقَامِ الْعِبَادَةِ فَرَّاحَ
حَالِهَا وَاحْفَظْهَا وَاسْأَلْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى مَطَالِبَكَ وَمَقَاصِدَكَ فَإِنَّ السُّؤَالَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى
مُظْهِرٌ لِدَلِّ الْعِبَادَةِ وَعِزِّ الرُّبُوبِيَّةِ فَافْعَلْ ذَلِكَ وَ«لَا تَقُلْ لَا أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»
شَيْئًا «فَإِنْ كَانَ مَا أَسْأَلُهُ مَقْسُومًا» لِي فِي الْأَزْلِ «فَيَأْتِيَنِي» الْبَتَّةَ بِلَا طَلَبٍ «إِنْ سَأَلْتُهُ
أَمْ لَمْ أَسْأَلْهُ عَزَّ وَجَلَّ» فَإِنْ مَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى وَقَدَرَهُ وَاجِبُ الْوُقُوعِ لَا يُدْفَعُ بِدَفْعٍ
دَافِعٍ «وَإِنْ كَانَ» مَا أَسْأَلُهُ «غَيْرَ مَقْسُومٍ» وَغَيْرَ مَقْضِي فِي الْأَزْلِ «فَلَا يُعْطِينِي» اللَّهُ
تَعَالَى «بِسُؤَالِي» فَإِنَّ الْقَضَاءَ لَا يَرُدُّ بِطَلَبِ طَالِبٍ وَهَرَبِ هَارِبٍ «بَلْ» احْفَظْ
الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ وَ«اسْأَلْهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ مَا تُرِيدُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ» أَيُّ مَرَادِكَ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ «مُحَرَّمٌ وَمَفْسَدَةٌ» فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

”مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدَعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا سَأَلَ أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ
مَا لَمْ يَدْعُ بِأَيْثَمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ“، ^(١) انْتَهَى.

(١) رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة برقم: ٣٣٨١

وإنما أمرناك بالسؤال «لَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ الْعِبَادَ بِالسُّؤَالِ لَهُ» أي منه «وَحَثَّ الْعِبَادَ عَلَيْهِ».

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» [المؤمن، السورة: ٤٠، الآية: ٦٠]

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾» [النساء، السورة: ٤، الآية: ٣٢]

«وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:»

«إِسْأَلُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ».^(١)

«وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:»

«وَأَسْأَلُوا اللَّهَ بِطُوبَى أَكْفَكُمُ» وَلَا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا فَإِذَا فَرَعْتُمْ فَأَمْسَحُوا بِهَا

وَجُوهَكُمْ،^(٢) انتهى.

«وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ» كما ورد

«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

«وورد: الدُّعَاءُ مُخَّ الْعِبَادَةِ».^(٣)

وورد أيضا: من لم يسأل الله يغضب عليه.^(٤)

«وَلَا تَقُلْ إِنِّي أَسْأَلُهُ» أي الله تعالى «فَلَا يُعْطِينِي» مقاصدي «فَإِذَا» أي

حين لا يعطيني «لَا أَسْأَلُهُ بَلْ دُمَّ عَلَى دُعَائِهِ» أي السؤال «مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ» أي

مسئلك «إِنْ كَانَ لَكَ مَقْسُومًا» في علمه الأزلي «سَاقَهُ إِلَيْكَ بَعْدَ أَنْ تَسْأَلَهُ» بل

ربما كان وصوله إليك مشروطا بسؤالك فلا يُعْطِيكَه إِلَّا بَعْدَ سَوَالِكَ «فَيَزِيدُكَ

ذَلِكَ» العطاء «إِيمَانًا» بأنه معطي السائلين «وَيَقِينًا» بأنه يُجِيبُكَ «وَتَوْحِيدًا» بأنه

قاضي الحاجات «و» يفيدك «تَرْكَ سُؤَالِ الْخَلْقِ» أي إذا حصل لك العلم بأن الله

تعالى هو القاضي للحاجات والمعطي للمسؤولات يفيدك ذلك ترك السؤال عن

(١) رواه الترمذي ٥١٧/٥، والحاكم في مستدرک ٦٧٠/١، وأحمد في المسند ١٧٧/٢.

(٢) رواه الحاكم في مستدرک ٧١٩/١، والبيهقي في الكبرى ٢١٢/٢.

(٣) رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب ماجاء في فضل الدعاء، برقم: ٣٣٧١.

(٤) رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب منه، برقم: ٣٣٧٣.

الخلق «و» يفيدك «الرُّجُوعَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ وَ» يفيدك «إِنْزَالَ حَوَائِجِكَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ» مسؤولك «مَقْسُومًا لَكَ» في علمه الأزلي ومع ذلك تسأله من الله تعالى «أَعْطَاكَ» الله تعالى بركة رجوعك إليه وإظهار ذل عبوديتك له و امتثالك لأمره بالدعاء منه «الْغِنَاءُ عَنْهُ» أي عن ذلك المسؤل في الْبَاطِنِ «و» أعطاك «الرِّضَا عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْفَقْرِ فَإِنْ كَانَ مَسْئُوكَ» الَّذِي سَأَلْتَ دَفَعَهُ الْلاحِقُ بِكَ «فَقْرًا أَوْ مَرَضًا» ولم يكن دفعهما عنك مقسوما لك في علمه الأزلي «أَرْضَاكَ بِهِمَا» أي يرضيك بذلك الفقر والمرض اللاحقين بك الدين سألت دفعهما ترضيةً يحصل معها رضاك بهما ولا اضطراب معهما «وَأِنْ كَانَ» ما سألت دفعه «دَيْنًا» ولم يكن ذلك الدفع مقسوما لك في علم الله الأزلي «قَلْبَ» أي يقلب «قَلْبَ صَاحِبِ الدِّينِ» الطالب منك «مِنْ سُوءِ الْمُطَالَبَةِ» بك «إِلَى الرِّفْقِ بِكَ» في الطلب «وَالْتَّأَخِيرِ وَالتَّسْهِيلِ إِلَى حَيْثُ مَيْسَرَتِكَ» أي حصول الغنا لك «أَوْ إِسْقَاطِهِ» أي إسقاط دينه الكائن عليك «عَنْكَ» بالكلية بأن يهب لك ما كان له عليك كله «أَوْ تَقْصِصِهِ» أي نقص دينه تنصيفًا أو تثليثًا أو تريبًا أو نحو ذلك «فَإِنْ» لم يرفق الدائن بك و «لَمْ يُسَقِّطْ عَنْكَ» دينه بالكلية «وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ» أي من ذلك الدين شيئًا «فِي الدُّنْيَا أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَوَابًا جَزِيلًا» البتة «بَدَلًا مَا لَمْ يُعْطِكَ بِسُؤَالِكَ» الكائن «فِي الدُّنْيَا» أو لم يعطك في الدنيا بسؤالك والأخير أولى لاستلزامه الأول. وإنما يعطيك في الآخرة البتة «لِأَنَّهُ كَرِيمٌ غَنِيٌّ رَحِيمٌ فَلَا يُحِبُّ سَائِلَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» جميعا فإن الكرم والغنى والرحمة أبث عن المنع من العطاء فظهر أن السؤال من الله تعالى نافع البتة «فَلَا بُدَّ» في السؤال «مِنْ فَائِدَةٍ وَنَائِلَةٍ» أي عطاء إما في الدنيا والآخرة كليهما أو في أحدهما «إِمَّا عَاجِلًا» بأن يعطي الله تعالى مطلوبك في الدنيا إما بعينه أو يعوض عنه بإعطاء أمر آخر مكانه أو يعفو من سيئاتك «وَأَمَّا أَجَلًا» أي في الآخرة أيضا كذلك إما في إحدى الدارين أو كليهما، و أمّا منع العطاء مطلقا في الدنيا فغير ثابت و غير صحيح، و كيف يخلو المسألة من

الفائدة «وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ»:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حَسَنَاتٍ لَمْ يَعْمَلْهَا وَلَمْ يَذَرِ بِهَا» في الدنيا «فَيَقَالُ لَهُ: أَتَعْرِفُهَا فَيَقُولُ» العبد «مَا أَعْرِفُهَا مِنْ أَيْنَ لِي هَذِهِ، فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّهَا» أي الحسنات التي تجدها في صحيفة الأعمال من غير كسب لها «بَدَلُ مَسْئَلَتِكَ التي كُنْتَ سَأَلْتَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا» و لم يعطها لك فيها. ثم بين لحصول الفائدة من السؤال دليلا عقليا فقال: «وَذَلِكَ» أي حصول الفائدة بالسؤال «أَنَّهُ» لأنه فإن حذف الجر من «أَنْ» و «أَنَّ» قياس مطرد أي لأن السائل «بِسْؤَالِهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ ذَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَ مُوَحِّدًا» حيث ترك المسألة من الخلق و سألَهُ من الله عَزَّ وَجَلَّ «وَ وَاضِعَ الشَّيْءِ» أعني المسئلة «فِي مَوْضِعِهِ» و هو الله تعالى فإنه المانع والمعطي والقاضي للحاجات «وَ» يكون سؤاله من الله تعالى «مُتَبَرِّيًا» و خارجا «مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ» فإن الالتجاء إلى الحق في جميع الأمور مظهر للعجز و خروج عن قوة النفس و حيله «وَ تَارِكًا لِلتَّكَبُّرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالأَنَفَةِ» أي الاستنكاف «وَ جَمِيعُ ذَلِكَ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ» نافعة للسالك «لَهَا ثَوَابٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» فينبغي السعي فيها. واعلم أن ما ذكره قدس سره في هذه المقالة من الأمر بالدعاء إنما هو باعتبار مقام العبودية، و هو نافع للسالك في ابتداء السلوك حتى إذا بلغه الله تعالى مقام التوكل والتسليم والتفويض، فإنه يترك السؤال بكمال قوته و رسوخه و اعتماده و رغبته و قصده بالله و على الله و في الله و إلى الله^(١) فما ذكره قدس سره من النهي عن السؤال مطلقا في المقالة السابعة إنما هو باعتبار تلك المقامات فلا تناقض و لا منافاة.

(١) في الكلام لف و نشر يعني يترك السؤال بكمال قوته و رسوخه بالله و بكمال اعتماده على الله و بكمال رغبته في الله و بكمال قصده إلى الله. ١٢، من الشارح

المقالة السابعة والسُّتُون

في بيان المجاهدة مع النفس وقتلها بسيف المخالفة وإحياء الله تعالى بعد ذلك

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كُلَّمَا جَاهَدْتَ النَّفْسَ وَغَلَبْتَهَا وَ
قَتَلْتَهَا بِسَيْفِ الْمُخَالَفَةِ أَحْيَاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَارَ عَثْكَ وَطَلَبْتَ مِنْكَ
الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ الْجَنَاحِ مِنْهَا وَالْمُبَاحِ لِتَعُودَ إِلَى الْمُجَاهِدَةِ
وَالْمُسَابَقَةِ لِيَكْتُبَ ذَلِكَ ثَوَابًا دَائِمًا وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»^(١) أَرَادَ بِهِ
مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ لِدَوَامِهَا وَاسْتِمْرَارِهَا عَلَى الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَ
إِنْهَامِكِهَا فِي الْمَعَاصِي.

وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر، السورة: ١٥،

[الآية: ٩٩]

أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْعِبَادَةِ وَهِيَ
مُخَالَفَةُ النَّفْسِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ كُلَّهَا تَأْبَاهَا النَّفْسُ وَتُرِيدُ ضِدَّهَا إِلَى أَنْ
يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ يَعْنِي الْمَوْتَ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كُلَّمَا جَاهَدْتَ « أَيُّهَا السَّالِكُ فِي أَحْسَنِ الْمَسَالِكِ

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم: ١٣٦٢. وقال ابن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن علي، انتهى. وأقول: الحديث في الإحياء، قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر بلفظ: قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة، فقال عليه الصلاة والسلام: قدمتم من خير مقدم، وقد متم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر، قال مجاهدة العبد.

«النَّفْس» بالمنع عن الشهوات المستلذات بملاحظة الشريعة والطريقة والحقيقة (و) بالتوجه إلى الله تعالى، وبالاقتداء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتوسل بالشيخ الكامل «غَلَبَتْهَا وَ قَتَلَتْهَا» بتأييد الله تعالى وإعانتة ونصرته «بِسَيْفِ الْمُخَالَفَةِ» التي أعطاها الله تعالى باستعانتك منه تعالى على عدوه وعدوك «أَحْيَاها الله عَزَّ وَ جَلَّ» بمقتضى جريان عادته تعالى بأن لا يميتها مرة واحدة حتى ينقطع المجاهدة والمحاربة معها بل هي معك كلما أَمَّتْها و قَتَلَتْها أحياءها الله عَزَّ وَ جَلَّ «و نَارَ عَتِكَ» في وصولها إلى مشتهياتها و امتناعها عن مكروهاتها «و طَلَبْتَ مِنْكَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ» أي طلبت إعطاءها كلها «الْجُنَاحَ مِنْهَا وَالْمُبَاحَ» أي حرماً كانت تلك الشهوات واللذات أو حلالاً «لِتَعُودَ» غاية لإحياء الله تعالى أي أحياءها الله تعالى بصفة المنازعة معك لتعود أنت «إلى المُجَاهِدَةِ» معها «وَالْمُسَابَقَةِ» والمغالبة عليها «لِيَكْتُبَ» علة للفعل مع غايته أي إنما أحياءها الله لعودك إلى المجاهدة معها كي يكتب الله تعالى «ذَلِكَ» العود الكائن منك «ثَوَابًا» لك «دَائِمًا» و ذلك إنما يكون إذا حصل منك المجاهدة دائماً، و إنما يكون ذلك إذا أحياءها الله تعالى بصفة المنازعة معك «وَهُوَ» أي العود إلى المجاهدة مع النفس دائماً «مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» حين رجوعه من الغزوات مع الكفار «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ» و هو الجهاد مع الكفار «إلى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ. أَرَادَ» رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِهِ» أي بالجهاد الأكبر «مُجَاهِدَةَ النَّفْسِ» و إنما كان هذه المجاهدة أكبر «لِدَوَامِهَا» أي النفس «وِاسْتِمْرَارِهَا عَلَى الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَ إِنِّهِنَّ كِهَهَا» و توغلها «في الْمَعَاصِي».

ثم إن ملابتها دائمة لا يخلو طرفة عين، ثم إنها محبوبة بالجليلة الطبيعية، و عيب المحبوب لا يظهر و إن ظهر يسامح معها، ثم إنها مستورة داخلية لا يطلع على وجه غوائلها إلا بدقة النظر فيكون المحاربة معها أشد، والجهاد معها أكبر. «وَهُوَ» أي الجهاد الأكبر «مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿وَاغْبُذْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]

«أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْعِبَادَةِ وَهِيَ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ»
وإنما تكون العبادة مخالفة لها «لِأَنَّ الْعِبَادَةَ كُلَّهَا تَأْبَاهَا» و تمتنع عنها «النَّفْسُ وَ تُرِيدُ ضِدَّهَا» أي ضد العبادة لأنها سفلية ميلها دائما إلى السفلى بالاشتغال بالشهوات واللذات البهيمية والتزئ الطأوسي والغضب السبعية، و لا ترضى بحصول مرادها حيناً دون حين بل يطلبه دائما «إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ» أي صاحب النفس «الْيَقِينُ يَغْنِي» باليقين «الْمَوْتُ». كما أجمع عليه المفسرون لا اطمينان القلب بحصول المعرفة التامة الكاملة كما ظنه البطلَّة الملاحدة؛ فإنهم ظنوا أن العبادة إنما يحتاج إليها إلى حصول اليقين، فإذا حصل اليقين ارتفع التكليف تمسكا بهذه الآية و ذلك ظن باطل و تمسك فاسد بإجماع أهل اليقين من العلماء والعارفين.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تَأْتِي نَفْسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْعِبَادَةَ وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَرِيءٌ عَنِ الْهَوَى لَا هَوَى لَهُ، وَ
قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. [النجم،
السورة ٥٣، الآية ٣-٤]

فَيَقَالُ: إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَاطَبَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِهَذَا الْخِطَابِ لِيَقَرَّرَ بِهِ الشَّرْعَ فَيَكُونُ عَامًّا بَيْنَ أُمَّتِهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ
السَّاعَةُ. ثُمَّ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى نَبِيَّهُ الْقُوَّةَ عَلَى النَّفْسِ وَالْهَوَى كَيْلَا
يَضُرَّاهُ وَلَا يُخْرِجَاهُ إِلَى الْمَجَاهِدَةِ وَالْمُحَارَبَةِ بِخِلَافِ أَمْرِهِ

«فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تَأْتِي نَفْسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِبَادَةَ وَهُوَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَرِيءٌ عَنِ الْهَوَى لَا هَوَى لَهُ» أصلا و كيف يكون له الهوى «و
قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» في وصفه:

﴿وَ مَا يَنْطِقُ﴾ بشيء مما ينطق ﴿عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ﴾ أي ما ينطق كله
﴿إِلَّا وَحْيٌ﴾ من جانب الله تعالى إما ظاهرا و إما خفيا ﴿يُوحَى﴾ إليه فكما

هو حال النطق فكذلك حال جميع أفعاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصيانة عن الهوى فأين الإباء عن العبادة.

«فِيَقَالَ» في الجواب «إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَاطَبَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْخُطَابِ» ليس لذاته الشريفة حتى يشكل بل «لِيُقَرَّرَ بِهِ» أي بهذا الأمر «الشَّرْعَ فَيَكُونُ عَامًّا بَيْنَ أُمَّتِهِ» مستمرا إلى الأبد «إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. ثُمَّ» إن قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ لا يدل على مسلووية الهوى والنفس؛ فإن وجودهما مما يحقق البشرية ومن لوازمها البينة التي لا انفكاك لهما عنها لكن «هُوَ» الله ربى «عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى نَبِيِّهِ» وكذا أخص توابعيه «الْقُوَّةَ» القدسية «عَلَى النَّفْسِ وَالْهَوَى كَيْلًا يَضُرُّهُ» بالميل إلى مقتضياتها ومشتهياتها «وَلَا يُجْرِجَاهُ إِلَى الْمُجَاهَدَةِ وَالْمُحَارَبَةِ» فكيف يكون هو مرادا بالخطاب المذكور «بِخِلَافِ أُمَّتِهِ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنها تحتاج إلى دفع ضررها وخداعها إلى المجاهدة والمحاربة التامة أبدا فيكون الأمة هي المراد من الخطاب، و مثل هذا في القرآن الكريم كثير، منه قوله تعالى:

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر، السورة: ٣٩، الآية: ٦٥]

فإن الشرك من النبي محال فيكون المراد الأمة، وعلى هذا فقوله ثم هو عَزَّ وَجَلَّ اعطى نبيه القوة دليل لصرف الخطاب إلى الأمة، فتأمل.

فَإِذَا دَاوَمَ الْمُؤْمِنُ عَلَى هَذِهِ الْمُجَاهَدَةِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ وَ
يَلْحَقَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسَيْفٍ مَسْلُولٍ مُلَطَّخٍ بِدَمِ النَّفْسِ وَالْهَوَى
أَعْطَاهُ مَا ضَمِنَ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهِ:
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ
هِيَ الْمَأْوَى. [النازعات: ٤٠-٤١]

فَإِذَا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ وَجَعَلَهَا دَارَهُ وَمَقَرَّهُ وَمَصِيرَهُ وَأَمَانَهُ مِنَ
التَّخَوُّيلِ عَنْهَا وَالثَّقَلَةِ إِلَى غَيْرِهَا وَالْعَوْدَةِ إِلَى دَارِ الدُّنْيَا جَدَّدَ لَهُ كُلَّ

يَوْمَ وَكُلِّ سَاعَةٍ مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ وَيُعْزِزُ عَلَيْهِ أَنْوَاعِ الْحُلِّ وَالْحُلِيِّ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ وَلَا غَايَةَ وَلَا نَفَادَ كَمَا جَدَّدَ هُوَ فِي الدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ وَكُلِّ سَاعَةٍ وَكُلِّ لَحْظَةٍ مُجَاهِدَةَ النَّفْسِ وَالْهَوَى.

وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ وَالْعَاصِي لَمَّا تَرَكُوا مُجَاهِدَةَ النَّفْسِ وَالْهَوَى فِي الدُّنْيَا وَتَابَعُوا لَهَا وَوَاتَّقُوا الشَّيْطَانَ فَاتَّمَرَجُوا فِي أَنْوَاعِ الْمَعَاصِي مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَمَا ذُونَهُمَا حَتَّى أَتَاهُمُ الْمَوْتُ مِنْ غَيْرِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِ التَّوْبَةِ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. [ال عمران: ١٣١]

«فَإِذَا دَاوَمَ الْمُؤْمِنُ عَلَى هَذِهِ الْمُجَاهِدَةِ» النفسية «إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ وَ» إلى أن «يَلْحَقَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسَيْفٍ» من التوجه إلى الحق «مَسْلُولٍ» من غمد الغفلة والغرور «مُلَطَّحٍ بِدَمِ النَّفْسِ وَالْهَوَى» اللتين قتلها بالمجاهدة «أَعْطَاهُ» جواب إذا أي إذا فعل المؤمن ذلك و حصل له ذلك أعطاه الله تعالى «مَا ضَمِنَ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهِ»:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات، السورة: ٧٩، الآية: ٤٠-٤١]

أي من علم أن له مقاما يوم القيمة في ساحة حضور ربه للحساب لعلمه بالمبدأ والمعاد ونهى النفس الأمارة بالسوء عن الهوى المردية أي المهلكة بزجرها عن الشهوات كلما همَّ النفس بهواها إلى المعصية ذكر هو مقامه عند ربه للحساب فيتركها؛ فإن مأواه و مرجعه هي الجنة لا يرجع إلى الجحيم «فَإِذَا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ وَ جَعَلَهَا دَارَهُ وَ مَقَرَّهُ وَ مَصِيرَهُ وَ أَمَانَهُ» أي محل قراره و رجوعه و أمنه «مِنْ التَّحْوِيلِ عَنْهَا» إلى دار النار «وَ» أمنه من «النَّقْلَةِ» أي الانتقال منها «إِلَى غَيْرِهَا وَ» أمنه من «الْعَوْدَةِ إِلَى دَارِ الدُّنْيَا» فإن العود إلى الدنيا بعد الموت لم يجز في الشرع، و إنما جوّزه أهل التناسخ «جَدَّدَ» الله تعالى «لَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَ كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ أَنْوَاعِ

التَّعِيمِ وَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ أَنْوَاعَ الْحُلَلِ « من الحرير والسندس والاستبرق الأخضر
« وَالْحُلِيِّ » الذهبي والفضتي مما لا يعلم وصفه إلا الله تعالى « إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ وَلَا
غَايَةَ وَلَا نَفَادَ » أي انتقاص « كَمَا جَدَّدَ هُوَ » أي العبد المؤمن « فِي الدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ وَ
كُلَّ سَاعَةٍ وَ كُلَّ لَحْظَةٍ مُجَاهِدَةً النَّفْسِ وَالْهَوَى » بالمنع عن مقتضياتها و مشتبهاتها
فهذا حال المؤمن المطيع عملاً منه و جزاء من الله تعالى.

« وَ أَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ وَالْعَاصِي » الكافر الَّذِي يُجَاهِرُ بِالْكَفْرِ وَ يُبْطِنُهُ.
والمنافيق الَّذِي يَظْهَرُ الْإِيمَانَ وَ يَبْطِنُ الْكَفْرَ. والعاصي الَّذِي يَظْهَرُ الْإِيمَانَ وَ يَبْطِنُهُ لَكِنِ
عَصَى فِي الْأَعْمَالِ لِحَظِّ النَّفْسِ « لَمَّا تَرَكُوا مُجَاهِدَةَ النَّفْسِ وَالْهَوَى فِي الدُّنْيَا وَ تَابَعُوا
لَهَا » أي النفس والهوى في مقتضياتها و مشتبهاتها كفرًا و نفاقًا و معصية « وَ
وَأَفْقُوا الشَّيْطَانَ » في إضلاله و إغوائه إياهم في الوجوه المذكورة « فَأَمَرَجُوا » أي
اختلفوا من مَرَجْتُهُ فَأَمَرَجَ أَي خَلَطْتُهُ فَاخْتَلَطَ، أَوْ أَجْرِيْتُهُ فَجَرَى « فِي أَنْوَاعِ
الْمَعَاصِي مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَ مَا دُونَهُمَا » من المعاصي « حَتَّى آتَاهُمُ الْمَوْتُ مِنْ غَيْرِ
الْإِسْلَامِ » من الكافر والمنافيق « وَ » من « غَيْرِ التَّوْبَةِ » من العاصي الفاسق
« أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » كما ذكر « فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ » :
﴿ وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران، السورة: ٣، الآية: ١٣١]

فَإِذَا أَدْخَلَهُمْ وَ جَعَلَهَا مَقَرًّا لَهُمْ وَ مَصِيرًا لَهُمْ وَ أَمَّهُمْ وَ أَخَرَقَتْ
جُلُودَهُمْ وَ لَحُومَهُمْ جَدَّدَ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ جُلُودًا وَ لَحُومًا غَيْرَهَا كَمَا
قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء،
السورة: ٤، الآية: ٥٦]

يَفْعَلُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِمْ ذَلِكَ كَمَا وَافَقُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْوَاءَهُمْ فِي
الدُّنْيَا فِي مَعَاصِيهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَأَهْلُ النَّارِ يُجَدَّدُ لَهُمْ كُلُّ وَقْتٍ جُلُودٌ وَ
لَحُومٌ لِإِبْصَالِ الْعَذَابِ وَالْأَلَامِ إِلَيْهِمْ وَ أَهْلُ الْجَنَّةِ يُجَدَّدُ لَهُمْ كُلُّ

وَقَتِ النَّعِيمِ لِيَتَضَاعَفَ اللَّذَاتُ وَالشَّهَوَاتُ لَدَيْهِمْ وَ سَبَبُ ذَلِكَ
مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَ تَرْكُ مُوَافَقَتِهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا وَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ.

«فَإِذَا أَذْخَلَهُمُ» الله تعالى في النار جزاء و مقنا «وَ جَعَلَهَا مَقَرَّهُمْ وَ
مَصِيرَهُمْ وَ أُمَّهُمْ». كما قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَتْ. تَارُّ حَامِيَةٌ﴾.

[القارعة، السورة: ١٠١، الآية: ٨ إلى ١١]

«وَ أَحْرَقَتْ» تلك النار الجهنمية «جُلُودَهُمْ وَ لَحُومَهُمْ جَدَّدَ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ
جُلُودًا وَ لَحُومًا غَيْرَهَا كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

[النساء: ٤/٥٦]

هذا الجزاء للكفار والمنافقين على الأبد، و للعاصين مادام علم الله جزاءه و قدره
في علمه على ما استقرت عليه الشريعة المطهرة بدلالة النصوص والإجماع «يَفْعَلُ عَزَّ وَ
جَلَّ بِهِمْ ذَلِكَ» الجزاء «كَمَا وَافَقُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْوَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي مَعَاصِيهِ عَزَّ وَ جَلَّ
فَأَهْلُ النَّارِ تُجَدَّدُ لَهُمْ كُلُّ وَقْتٍ جُلُودٌ وَ لَحُومٌ لِإِصْصَالِ الْعَذَابِ وَالْأَلَامِ إِلَيْهِمْ، وَ أَهْلُ
الْجَنَّةِ» سواء كانوا داخلين فيها بغير حساب و لا عقاب أو بعد حساب و عقاب
«يُجَدَّدُ لَهُمْ كُلُّ وَقْتٍ النَّعِيمِ لِيَتَضَاعَفَ اللَّذَاتُ وَالشَّهَوَاتُ» الإنسية «لَدَيْهِمْ وَ سَبَبُ
ذَلِكَ» الجزاء المتضاعف كل وقت «مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَ تَرْكُ مُوَافَقَتِهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا وَ»
هذا المذكور من تضاعف جزاء كل فريق في كل زمان على حسب سعيه في الأعمال
الصالحة والسيئة في الدنيا «هُوَ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ». ^(١) فَإِنَّ الزَّرْعَةَ حَالَهَا هَكَذَا مَا بَدَّرَ حَقْدَ وَ حَصْدَ. واعلم أن المؤمن

العاصي واجب الدخول في الجنة إما ابتداءً بفضل الله و رحمته أو بعد تعذيبه بقدر معصيته
على حسب ما قدر الله تعالى في حقه من الجزاء وهذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة.

(١) أورده القاري في المصنوع ص: ١٠١، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٩٥، ٢/ ٣٢٩.

الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالسِّتُونَ

في بيان أن إجابة الله تعالى لمُسئول العبد، وإعطائه لمَطْلُوبِهِ لَا يَدْفَعُ إِرَادَتُهُ تَعَالَى وَ
مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا مَا سَأَلَهُ وَ
أَعْطَاهُ مَا طَلَبَهُ لَمْ تَنْحَرَمْ بِذَلِكَ إِرَادَتُهُ تَعَالَى وَلَا مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ وَ
سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ لِكِنَّةِ يُوَافِقُ سُؤَالَ مُرَادِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَقْتِهِ فَتَحْصُلُ
الْإِجَابَةُ وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ الَّذِي قُدِّرَ لَهُ فِي السَّابِقَةِ وَ
الْعِلْمُ لِيُتْلَوْغَ الْقَدْرُ وَقْتَهُ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ
يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن، السورة: ٥٥، الآية: ٢٩]
أَيَّ يَسْئُوقُ الْمُقَادِيرَ إِلَى الْمَوَاقِيتِ فَلَا يُعْطِي اللَّهُ أَحَدًا شَيْئًا بِمُجَرَّدِ
دُعَائِهِ وَكَذَلِكَ لَا يَضُرُّ عَنْهُ شَيْئًا بِدُعَائِهِ الْمُجَرَّدِ وَالَّذِي وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ:

”لَا يَزِدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءَ“.

قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ لَا يَزِدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءَ الَّذِي قَضَى اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ يَزِدَّ لِقَضَائِهِ وَكَذَلِكَ لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِكِنَّةِ يُعْطِي الْعِبَادَ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ.
وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: أَنَّهَا سَأَلَتْ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ، فَقَالَ لَا بَلْ
بِرَحْمَةِ اللَّهِ، فَقَالَتْ وَلَا أَنْتَ، فَقَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَ
وَضَعَ يَدَهُ عَلَى هَامَتِهِ“.

وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ حَقٌّ وَلَا يُلْزَمُهُ

الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ بَلْ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ
يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ وَنُتِنِعُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذْلِهِ وَ
كَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَالْخَلْقُ مِنْ لَدُنِ الْعَرْشِ إِلَى الْغُرَى الَّتِي هِيَ
الْأَرْضُ السَّابِغَةُ السُّفْلَى مُلْكُهُ وَصُنْعُهُ لَا مَالِكَ لَهُمْ غَيْرُهُ وَلَا صَانِعَ
لَهُمْ غَيْرُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر، السورة: ٣٥، الآية: ٣]

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ﴾ [النمل، السورة: ٢٧، الآية: ٦٣]

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم، السورة: ١٩، الآية: ٦٥]

وَقَالَ تَعَالَى:

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ
تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ط إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ - إِلَى قَوْلِهِ - وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. [ال عمران،
السورة: ٣، الآية: ٢٦-٢٧]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا» من عباده «مَا سَأَلَهُ» أي
ما سأل منه من حاجاته «وَأَعْطَاهُ» الله تعالى «مَا طَلَبَهُ» أي ما طلب منه من
مطلوباته «لَمْ تَنْخَرْمْ بِذَلِكَ» الإجابة والإعطاء «إِرَادَتُهُ تَعَالَى» الأزلية «وَلَا مَا جَفَتْ
بِهِ الْقَلَمُ» الإلهي «وَسَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ» الأزلي «لِكِنَّهُ» أي الشأن «يُؤَافِقُ سُؤَالَ» أي
سؤال العبد «مُرَادَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَقْتِهِ فَتَحْصُلُ الْإِجَابَةُ» لأجل تلك الموافقة «و
قَضَاءُ الْحَاجَةِ فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ الَّذِي قُدِّرَ لَهُ فِي» الإرادة «السَّابِقَةِ» الأزلية «و
الْعِلْمِ» الأزلي فيكون إنجاح مطلوبه وإعطاء مرغوبه «لِيُلَوِّغَ الْقَدْرَ وَقْتَهُ» الَّذِي

عينه الله تعالى، وهذا «كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ»:

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن، السورة: ٥٥، الآية: ٢٩]

«أَيَّ يَسْؤُقُ الْمَقَادِيرَ» أي الحوادث «إِلَى الْمَوَاقِيتِ» أي الأوقات التي قدرها الله تعالى لحصول الحوادث «فَلَا يُعْطِي» الله تعالى «أَحَدًا شَيْئًا» من المطالب و المقاصد الدنيوية والأخروية في الدنيا «بِمُجَرَّدِ دُعَائِهِ وَكَذَلِكَ لَا يَصْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا» من المحن والشدائد الدنيوية والأخروية «بِدُعَائِهِ الْمُجَرَّدِ» و لما كان ذكره قدس سره من نفي تأثير الدعاء مطلقا في جلب الخير و دفع الضير مخالفا بحسب الظاهر للأحاديث الواردة في بيان تأثيرها أجاب بقوله «وَالَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ»: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ».

«قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ» و معناه «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ الَّذِي قَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرُدَّ لِقَضَاءِهِ» و تحقيقه أن المراد بالقضاء الَّذِي يرد بالدعاء القضاء المعلق لا القضاء المُبْرَم و إن كان مأل المعلق أيضا إلى المبرم، فالدعاء أيضا من القضاء، فإن الله تعالى كتب أن هذا البلاء مقضي عليه فإن فعل ذلك الفعل أو دعا بذلك الدعاء يرد عنه و إلا يقع عليه لكن يدعو فيدفع عنه أو لا يدعو فيقع «وَكَذَلِكَ» أي كما لا يحصل النفع و لا يدفع الضرر بالدعاء كذلك «لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ بِعَمَلِهِ بَلْ» إنما يدخل من يدخل «بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِكِنَّةِ» أي الله تعالى «يُعْطِي الْعِبَادَ الدَّرَجَاتِ» العالية والمراتب الرفيعة «فِي الْجَنَّةِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ» في الدنيا من غير أن يكون الأعمال موجبة لها.

«وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ، فَقَالَ: لَا بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: وَ لَا أَنْتَ، فَقَالَ: وَ لَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى هَامَتِهِ»^(١).

و في وضع اليد على الهامة إشارة إلى افتقاره كل الافتقار إلى شمول رحمة الله له

(١) رواه ابن حبان ٦٠ / ٢، والريبع في مسنده: ٢٨٢ / ١، وأحمد في المسند: ٣ / ٣٣٧، ٥٢، والطبراني في الأوسط: ٦ / ٣٣٢.

من رأسه إلى قدمه «وَذَلِكَ» أي عدم الدخول إلا برحمته تعالى إنما يكون «لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ حَقٌّ» عند أهل السنة والجماعة «وَلَا يَلْزَمُهُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ» إلا بمحض تفضله وإيجابه بكرمه و رحمته «بَلْ» هو الفاعل المختار «يَفْعَلُ» ما يشاء ويحكم «مَا يُرِيدُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» من خلقه «وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ» تعالى «وَمِثَّتِهِ وَيَمْتَنِعُ مَنْ يَشَاءُ» من رزقه «بِعَدْلِهِ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ» أي فاعلا لما يشاء من تعذيب من يشاء، و مغفرة من يشاء، و رحمة من يشاء، و تنعيم من يشاء، و رزق من يشاء، و منع من يشاء «وَالْخُلُقُ» أي والحال أن الخلق «مَنْ لَدُنِ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى الَّتِي هِيَ الْأَرْضُ السَّابِغَةُ السُّفْلَى مُلْكُهُ وَصُنْعُهُ» أي خلقه «لَا مَالِكَ لَهُمْ» أي للخلق كله، و إنما أورد ضمير العقلاء تغليبا لهم على غيرهم «غَيْرُهُ» أي غير الله تعالى «وَلَا صَانِعَ لَهُمْ» أي لا خالق للخلق «غَيْرُهُ» كما «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى»:

﴿هَلْ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر، السورة: ٣٥، الآية: ٣]

«وقال تعالى» في موضع آخر:

﴿إِنَّ إِلَهًا مَعَهُ اللَّهُ﴾ [النمل، السورة: ٢٧، الآية: ٦٣]

«وقال تعالى» في آية: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم، السورة: ١٩،

الآية: ٦٥]

أي هل تعلم من يسمى بالله حتى يكون له شريك في الاسم يعني ليس له شريك في اسم الذات فأنتى يكون له شريك في ذاته تعالى و تقدس، «وَقَالَ تَعَالَى» في محل آخر:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ يتصرف فيه تصرف المُلْك فيما يملكونه من غير مبالاة أحد ﴿تُؤْتِي﴾ أي تعطي ﴿الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بآيائه ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ ينزعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ أي بقدرتك ﴿الْخَيْرُ﴾ أي الخيرو الشر كلاهما لكن اكتفي بذكر

أحد الضدين عن ذكر الآخر لدلالته عليه؛ فإن الضد يعلم من الضد ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وهو قوله ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي تدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ زفيزد كل منهما بما ينقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ كالإنسان والطائر ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقا واسعا.

الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالسِّتُونُ

فِي الْحَثِّ عَلَى أَنْ لَا يَطْلُبَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ الْمَاضِيَةِ وَالْعِصْمَةَ عَنْهَا فِي
الْإِسْتِقْبَالِ
وَالْتَوْفِيقَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالشُّكْرَ عَلَى النِّعْمَاءِ وَالصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَطْلُبَنَّ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا
سِوَى الْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ السَّابِقَةِ فَلَا تَطْلُبْ سِوَى الْعِصْمَةِ مِنْهَا فِي
الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ الْآخِرَةِ فَلَا تَطْلُبْ سِوَى التَّوْفِيقِ لِحُسْنِ الطَّاعَةِ وَ
إِمْتِنَالِ الْأَوَامِرِ وَالْإِتِّهَاءِ عَنِ التَّوَاهِي وَالرِّضَا بِمَرِّ الْقَضَاءِ وَالصَّبْرِ
عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْبُلُوى وَالشُّكْرِ عَلَى جَزَائِلِ النِّعْمَاءِ وَالْعَطَاءِ ثُمَّ
الْمَوَافَاتِ بِخَاتِمَةِ الْخَيْرِ وَاللُّحُوقِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحُسْنِ أَوْلِيكَ رَفِيقًا وَلَا تَطْلُبْ مِنْهُ الدُّنْيَا وَلَا كَشَفَ
الْفَقْرِ وَ الْبَلَاءِ إِلَى الْغِنَا وَالْعَافِيَةِ بَلِ اِرْضَ بِمَا قَسَمَ وَ دَبَّرَ وَاسْأَلْهُ
الْحِفْظَ الدَّائِمَ عَلَى مَا أَقَامَكَ فِيهِ وَ أَحَلَّكَ فِيهِ وَابْتَلاَكَ بِهِ إِلَى أَنْ يُثَقِّلَكَ
مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ لِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ الْخَيْرَ فِي آيِهِمَا فِي الْفَقْرِ أَوْ فِي الْغِنَى، فِي
الْبَلَاءِ أَوِ الْعَافِيَةِ، طَوَى عَنْكَ عِلْمَ الْأَشْيَاءِ وَ تَفَرَّدَ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ
بِمَصَالِحِهَا وَمَفَاسِدِهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَطْلُبَنَّ «يا عبدالله «مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا سِوَى
الْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ السَّابِقَةِ» فَإِذَا غَفَرَ لَكَ صِرْتَ صَالِحًا لِلْعِصْمَةِ «فَلَا تَطْلُبْ سِوَى
الْعِصْمَةِ مِنْهَا» أَيِ مِنَ الذُّنُوبِ «فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ الْآخِرَةِ» فَإِذَا عُصِمْتَ مِنَ الذُّنُوبِ
«فَلَا تَطْلُبْ سِوَى التَّوْفِيقِ لِحُسْنِ الطَّاعَةِ» وَ حَسَنَ الطَّاعَةِ مَا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١)
 «وَأَمِثَالُ الْأَوَامِرِ» الإلهي الشرعي «وَالْإِنْتِهَاءُ عَنِ التَّوَاهِي» الشرعية
 «وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ» مُرُّ الْقَضَاءِ كُنَايَةٌ عَنْ تَقْدِيرِ الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ فَإِنَّ الرِّضَا
 بِمُحَلِّ الْقَضَاءِ سَهْلٌ وَبِمَرِّهَا عَسِرٌ «وَالصَّبْرُ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْبَلَوَى، وَالشُّكْرُ عَلَى
 جَزِيلِ النِّعْمَاءِ وَالْعَطَاءِ» الشكر لله تعالى حقيقةً وظاهرًا فيما وصل من الله تعالى بلا
 واسطة و حقيقة له تعالى و ظاهرًا للخلق فيما وصل منه تعالى بواسطة الخلق «ثُمَّ»
 لَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى سِوَى «الْمَوْافَاتِ» وَالْمَوَاصِلَةِ «بِخَاتِمَةِ الْخَيْرِ وَاللُّحُوقِ
 بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا» وَ قَدْ عُلِقَ اللَّهُ
 تَعَالَى^(٢) بِالْإِطَاعَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي
 كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ
 كَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٤، الآية: ٦٩-٧٠]

«وَلَا تَطْلُبْ مِنْهُ» أَيُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى «الدُّنْيَا» أَمَا طَلِبُهَا عَلَى الْإِنْفِرَادِ فَهِيَ
 مَنْهِيَةٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَ طَلِبُهَا مَعَ الْآخِرَةِ أَيْضًا مَنْهِيَةٌ بَلْ طَلَبُ الْآخِرَةِ أَيْضًا لَطَالِبُ
 الْمَوْلَى مَنْهِيَةٌ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ:
 «الدُّنْيَا لَكُمْ وَالْعَقْبَى لَكُمْ وَالْمَوْلَى لِي».

«وَلَا» تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى «كَشَفَ الْفَقْرِ وَ» كَشَفَ «الْبَلَاءِ» مِيلًا «إِلَى»
 حَصُولِ «الْغِنَا وَالْعَافِيَةِ بَلْ» أَيُّهَا الطَّالِبُ لِأَعْلَى الْمَطَالِبِ «أَرْضَ بِمَا قَسَمَ» اللَّهُ
 تَعَالَى لَكَ «وَدَبَّرَ» لَكَ «وَأَسْأَلُهُ» تَعَالَى «الْحِفْظَ الدَّائِمَ عَلَى مَا أَقَامَكَ فِيهِ» مِنْ
 الْحَالِ «وَأَحْلَلَكَ فِيهِ» حُلُولَ امْتِحَانِ «وَابْتَلَاكَ بِهِ» ابْتِلَاءَ لُطْفٍ لَا إِهَانَةَ وَ طَرْدَ مِنْ
 لِحُوقِ الْاضْطِرَارِ وَالْاضْطِرَابِ الْمَفْضِي إِلَى عَدَمِ الرِّضَا بِفِعْلِ اللَّهِ «إِلَى أَنْ يُثْقَلَكَ»

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: ٤٩.

(٢) أي علق اللوح بالأنبياء. من الشارح

أي أسأل الله تعالى الحفظ على ذلك الحال إلى زمان نقله إياك « مِنْهُ » أي مما أقامك فيه من الحال، و أحلك فيه، وابتلاك به « إِلَى غَيْرِهِ » أي غير ذلك الحال المشتبه لك، و إنما نهينا عن طلب ما ذكرنا و أمرناك بسؤال الحفظ على ما أقامك فيه « لِإِنَّكَ لَا تَعْلَمُ الْخَيْرَ فِي آيِهِمَا » أي ما أقامك الله تعالى و ما تريد. ثم بيّنها بقوله « فِي الْفَقْرِ أَوْ فِي الْغِنَى، فِي الْبَلَاءِ أَوِ الْعَافِيَةِ طَوَى عَنْكَ عِلْمَ الْأَشْيَاءِ » و ستر عنك « وَتَفَرَّدَ هُوَ » أي الله « عَزَّ وَجَلَّ لِمَصَالِحِهَا » أي مصالح الأشياء « وَ مَفَاسِدِهَا » فلا تعلم الخير من الشر فلا تطلب شيئاً جهل حقيقته بل فوض الأمر إلى مولاك، فإن ذلك دأب السلف.

وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا أَبْلِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ عَلَى مَا أَكْرَهُ أَوْ عَلَى مَا أَحِبُّ لِأَنِّي لَا أَدْرِي الْخَيْرَ فِي آيِهِمَا، قَالَ ذَلِكَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِحُسْنِ رِضَاهُ بِتَذْيِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ وَ فِي حَقِّهِ وَالطَّمَّانِيَّةِ إِلَى اخْتِيَارِهِ وَ قَضَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿كُنْتُ عَلَيْكُمْ الْفِتْنَةَ وَ هُوَ كُؤُوه لَكُمْ ۚ وَ عَشَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ وَ عَشَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، السورة: ٢، الآية: ٢١٦]

وَ كُنْ عَلَى هَذَا الْحَالِ إِلَى أَنْ يَزُولَ عَنْكَ هَوَاكَ وَ تَنْكَسِرَ نَفْسُكَ فَتَكُونُ ذَلِيلَةً مَغْلُوبَةً تَابِعَةً لَكَ. ثُمَّ تَزُولُ إِرَادَتُكَ وَ أَمَانِيَّتُكَ وَ تُخْرَجُ الْأَكْوَانُ مِنْ قَلْبِكَ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَمْتَلِئُ قَلْبُكَ بِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَ تَصْدُقُ إِرَادَتُكَ فِي طَلْبِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَرُدُّ إِلَيْكَ الْإِرَادَةَ بِأَمْرِ تَعَالَى بِطَلْبِ حَقِّهِ مِنَ الْخُطُوطِ ذُنُوبِيَّةٍ وَ أُخْرَوِيَّةٍ.

فَحِ يَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكَ إِرَادَةَ بِأَمْرِ تَسْأَلُهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ وَ تَطْلُبُهُ مُتَمَسِّكًا لِأَمْرِهِ وَ مُوَافِقًا لَهُ. إِنَّ أَعْطَاكَ شُكْرَتَهُ وَ تَلَبَّسْتَ بِهِ وَ إِنَّ

مَنْعَكَ لَمْ تَسْخَطْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ عَلَيْهِ فِي بَاطِنِكَ وَلَا تَتَّهِمُهُ فِي ذَلِكَ،
لَا نَكَ لَمْ تَكُنْ طَلَبْتَهُ بِهَوَاكَ وَإِرَادَتِكَ؛ لِأَنَّكَ فَارِغُ الْقَلْبِ عَنْ ذَلِكَ
غَيْرُ مُرِيدٍ لَهُ بَلْ مُتَّبِعٌ لِلْأَمْرِ بِالسُّؤَالِ وَالسَّلَامِ.

«وَقَدْ وَرَدَ عَنْ» أمير المؤمنين «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا أَبَالِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ عَلَى مَا أَكْرَهُ أَوْ عَلَى مَا أَحِبُّ لِأَنِّي لَا أَدْرِي الْخَيْرَ فِي أَيِّهِمَا» أي في حال أكرهه أو في حال أحبه إنما «قَالَ ذَلِكَ» عمر «رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ لِحُسْنِ رِضَاةِ بَدْدِ بِيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ وَفِي حَقِّهِ وَالطَّمَانِينَةِ» أي السكون والاطمينان والقرار «إِلَى اخْتِيَارِهِ» أي الله تعالى «وَقَضَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ» وقد أخبر الله تعالى عن طي علم الأشياء منك حيث «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى»:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦/٢]

وهذا وإن نزل في حق الجهاد لكن بعبارته يدل على العموم حيث ذكر لفظ الشيء الدال على العموم دلالة ظاهرة. وإذا إطلعت على ما ذكرنا لك فحافظ حالك من عدم الطلب للشيء طلبا نفسيا و اسأل دوام حفظ الله تعالى فيما أقامك فيه إلى حين نقله إياك منه إلى ضده «وَكُنْ عَلَى هَذَا الْحَالِ» الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَوَصَفْنَاهُ «إِلَى أَنْ يَزُولَ عَنْكَ هَوَاكَ وَتَنْكَسِرَ» بالتوجه إلى الله تعالى و ملازمة ذكره خلافاً و ملاء «نَفْسُكَ فَتَكُونُ» النفس «ذَلِيلَةً مَّغْلُوبَةً تَابِعَةً لَكَ» وإن لم تخرج أنت من إرادتك بالكلية «ثُمَّ» بعد ذلك «تَزُولُ إِرَادَتُكَ وَآمَانِيَّتُكَ وَتَخْرُجُ الْأَكْوَانُ» بأجمعها «مِنْ قَلْبِكَ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَمْتَلِكُ قَلْبَكَ بِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى» بخروج حب غير الله تعالى «وَتَصْدُقُ إِرَادَتُكَ فِي طَلْبِهِ عَزَّ وَجَلَّ» فتكون حينئذ مريدا صادقا لله، و طالبا محقا له تعالى. فإذا حصل لك ما ذكرنا من ذهاب إرادتك و امتلاء قلبك بحب الله تعالى «فَ» حينئذ «يُرَدُّ إِلَيْكَ الْإِرَادَةُ بِأَمْرِهِ تَعَالَى

بَطْلَبِ حَظٍّ مِّنَ الحُطُوطِ دُنْيَوِيَّةٍ وَ أُخْرَوِيَّةٍ «إمابالجر على البدلية من الحظوظ أو بالنصب على خبرية كان بمعنى أي حظوظ دنيوية كانت أو أخروية «فَحِينِيذٍ» أي حين «يَرُدُّ اللهُ تَعَالَى إِلَيْكَ إِرَادَةً بِأَمْرِهِ تَسْأَلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِذَلِكَ» الحظ الَّذِي يَخْطُرُ بِإِلَاكِ وَ يَشْتَهِي قَلْبِكَ «وَ تَطْلُبُهُ» أي ذلك الحظ «مُمْتَثِلًا لِأَمْرِهِ تَعَالَى» فَإِنْ إِرَادَتِكَ حِينِيذٍ حَاصِلَةٌ مِّنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى «وَ مُوَافِقًا لَهُ» أي لأمره تَعَالَى «إِنْ أَعْطَاكَ» اللهُ تَعَالَى مَا سَأَلْتَهُ وَ طَلَبْتَهُ «شَكَرْتَهُ» تَعَالَى عَلَى إِعْطَاءِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ «وَ تَلَبَّسْتَ بِهِ» أي بمسؤولك و مطلوبك بالتصرف فيه على ما يناسبه «وَ إِنْ مَنَعَكَ» اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْمَسْئُولَ وَ الْمَطْلُوبَ «لَمْ تَتَسَخَّطْ» وَ لَمْ تَغْضَبْ «عَلَيْهِ» أي على الله تَعَالَى «وَ لَمْ تَتَغَيَّرْ عَلَيْهِ» تَعَالَى «فِي بَاطِنِكَ» بسبب عدم إعطاء مطلوبك «وَ لَا تَتَّهِمُهُ» تَعَالَى «فِي ذَلِكَ» الْمَنعِ وَ إِنَّمَا حَصَلَ لَكَ ذَلِكَ «لِإِنَّكَ لَمْ تَكُنْ طَلَبْتَهُ» أي ذلك المطلوب «بِهَوَاكَ وَ إِرَادَتِكَ لِإِنَّكَ فَارِغُ الْقَلْبِ عَنْ ذَلِكَ» أي هواك و إِرَادَتِكَ لذهابهما عنك بالكلية «غَيْرُ مُرِيدٍ لَهُ» أي لذلك المسؤل و المطلوب بإرادة نفسك «بَلْ» كنت سألته و طلبته «مُمْتَثِلًا لِأَمْرِ السُّؤَالِ» مِنْ جَانِبِ مَوْلَاكَ تَعَالَى وَ تَقْدُسُ «وَ السَّلَام».

واعلم أن لفظ "والسلام" في آخر الكلام يستعمل على ثلاثة أوجه:

أحدها: علامة تمام الكلام و لا معنى له سواه.

وثانيها: بمعنى فقط و معناه هنا بل إنك إنما سألت ذلك السؤل ممتثلاً لأمر الله

تعالى فقط لا بالامتنال و إرادة النفس.

وثالثها: أن السلام بمعنى السلامة، و هو مبتدأ محذوف الخبر هو قولنا في ذلك

أي السلامة في ذلك أعني الامتنال الأمري.

الْمَقَالَةُ السَّبْعُونَ

فِي النَّهْيِ عَنِ الْعُجْبِ بِالْأَعْمَالِ وَرُؤْيَةِ النَّفْسِ فِيهَا وَطَلَبِ الْعَوَاضِ عَلَيْهَا

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كَيْفَ يَحْسُنُ مِنْكَ الْعُجْبُ فِي أَعْمَالِكَ وَرُؤْيَةِ نَفْسِكَ فِيهَا وَطَلَبِ الْأَعَوَاضِ عَلَيْهَا، وَجَمِيعُ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ وَقُوَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَإِنْ كَانَ تَزَكٍ مَعْصِيَةٍ فَبِعِصْمَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحِفْظِهِ وَحِمَايَتِهِ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ وَمِنَ الْإِعْتِرَافِ بِهَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَوْلَاكَهَا، مَا هَذِهِ الرَّغْوَةُ وَالْجَهْلُ، تُعْجِبُ بِشُجَاعَةِ غَيْرِكَ وَسَخَاهُ وَبَذْلِهِ لِمَالِهِ إِذَا لَمْ تَكُنْ قَاتِلًا لِعَدُوِّكَ إِلَّا بَعْدَ مُعَاوَنَةِ شُجَاعٍ ضَرَبَ فِي عَدُوِّكَ ثُمَّ تَمَمْتَ قَتْلَهُ وَلَوْلَاهُ كُنْتَ مَضْرُوعًا مَكَانَهُ وَبَذْلَهُ، وَلَا بَاذِلًا لِبَعْضِ مَالِكَ إِلَّا بَعْدَ ضَمَانٍ صَادِقٍ كَرِّمٍ أَمِينٍ ضَمِنَ لَكَ عَوَضَهُ وَخَلْفَهُ وَلَوْلَا قَوْلُهُ وَطَمَعُكَ فِيمَا وَعَدَ لَكَ وَضَمِنَ لَكَ لَبَخَلْتَ وَمَا بَذَلْتَ حَبَّةً مِنْهُ كَيْفَ تُعْجِبُ بِمُجَرَّدِ فِعْلِكَ. أَحْسَنُ حَالِكَ الشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ عَلَى الْمُعِينِ وَالْحَمْدُ الدَّائِمُ لِلَّهِ وَإِضَافَةُ ذَلِكَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا إِلَّا الشَّرَّ وَالْمَعَاصِي وَاللُّومَ فَإِنَّكَ تُضَيِّفُهَا إِلَى نَفْسِكَ وَتَنْسِبُهَا إِلَى الظُّلْمِ وَسُوءِ الْأَدَبِ وَتَتَّهِمُهَا بِهِ، فَهِيَ أَحَقُّ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مَاوَى كُلِّ شَرٍّ وَأَمَارَةٌ بِكُلِّ سُوءٍ وَدَاهِيَةٌ وَإِنْ كَانَ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقَكَ وَخَالِقَ أَفْعَالِكَ مَعَ كَسْبِكَ، أَنْتَ الْكَاسِبُ وَهُوَ الْخَالِقُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَجْنِيءُ فِعْلَكَ وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْكَ وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: اِعْمَلُوا وَ

قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كَيْفَ يَحْسُنُ مِنْكَ الْعُجْبُ» يَا عَبْدَ اللَّهِ «فِي

أَعْمَالِكَ» الصالحة مثل البطلة الحمقاء «و» كيف يحسن منك «رُؤْيُةُ نَفْسِكَ فِيهَا» أي في أعمالك أيها العاقل مثل الجهلة السفهاء «و» كيف يحسن منك «طَلَبُ الْأَعْوَاضِ عَلَيْهَا» مثل الأجير السوء لا يعمل ما لم يوت أجره «وَجَمِيعُ» أي و الحال أن جميع «ذَلِكَ» الأعمال الصالحة إنما صدرت عنك «بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ عَوْنِهِ وَ قُوَّتِهِ وَ إِرَادَتِهِ وَ فَضْلِهِ وَ إِنْ كَانَ» عملك «تَرَكَ مَعْصِيَةَ فَ» إنما صدر ذلك الترك «بِعِصْمَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ حِفْظِهِ وَ حِمَّتِهِ» أما تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، و أما سمعت معناه: لا عصمة من الذنوب ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيق الله عَزَّ وَجَلَّ «أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الشُّكْرِ» للرب المنعم المعطي المفضل المحسن «عَلَى ذَلِكَ» العطاء والتوفيق «و» أين أنت «مِنَ الْإِغْتِرَافِ بِهَذِهِ النَّعَمِ» الخارجة عن الحصر والعد «التي أَوْلَاكَهَا» الله تعالى و أعطاكها و أنعم عليك بها «مَا هَذِهِ الرَّغْوَةُ» أي الحماقة «وَالْجَهْلُ» فإن التوفيق على الأعمال الحسنة لما كان من الله تعالى ما كنت إلا كبابٍ يغلق بغلق غالق و يُفتح بفتح فاتح ما أحسن في حقك ضرب هذا المثل «تُعْجِبُ بِشَجَاعَةِ غَيْرِكَ وَ سَخَاهُ» أي تعجب بسخاوة غيرك «وَ بَذْلِهِ» و إنفاقه «لِمَالِهِ» أنصف من نفسك أيها العاقل إنك «إِذَا لَمْ تَكُنْ قَاتِلًا لِعَدُوِّكَ إِلَّا بَعْدَ مُعَاوَنَةِ شُجَاعٍ ضَرَبَ فِي» رأس «عَدُوِّكَ» بحيث عطله عن المحاربة معك «ثُمَّ تَمَكَّمْتَ قَتْلَهُ وَ لَوْلَاهُ» أي لولا ذلك الشجاع الضارب لعدوك «كُنْتَ مَضْرُوعًا» ساقطا على الأرض بل مقتولا «مَكَانَهُ» أي مكان ذلك العدو «وَ بَذْلَهُ، وَ لَا بَاذِلًا» عطف على قوله قاتلا أي وأنصف من نفسك أيها العاقل إذا لم تكن باذلا «لِبَعْضِ مَالِكَ» للأولياء والأقرباء «إِلَّا بَعْدَ ضَمَانٍ صَادِقٍ كَرِيمٍ أَمِينٍ» و هو الله تعالى «ضَمِنَ لَكَ عَوَضَهُ وَ خَلْفَهُ» والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة فتأملت من كلام الله و كلام رسوله ما يوجب الضمان، و قد علمت صدقه تعالى و صدق رسوله فسهل عليك بذل بعض مالك «وَ لَوْلَا قَوْلُهُ» تعالى في إعطاء العوض والبدل «و» لولا «طَمَعُكَ فِيمَا وَعَدَ لَكَ وَ ضَمِنَ لَكَ لَبِخَلْتَ» في إنفاق مالك «وَ مَا بَذَلْتَ حَبَّةً مِنْهُ» و لا أنفقت شيئا منه كيف يحسن منك أن تدعي

الشجاعة والسخاوة لنفسك و «كَيْفَ تُعْجِبُ بِمُجَرَّدِ فِعْلِكَ» بهذه الطريق ما أسوء حالك إن فعلت كذلك بل «أَحْسَنُ حَالِكَ» إن علمت حقيقة الحال و قبلت و فهمت نُصَحَ المقال «الشُّكْرُ» للوهاب المفضل الكبير المتعال على عطاء النعم والتوفيق لإنفاقها على مصارفها «وَالثَّنَاءُ عَلَى» الرب «الْمُعِينِ» على قتل عدوك و إنفاق مالك مع إيجاب الضمان «وَالْحَمْدُ الدَّائِمُ لِلَّهِ» المعطي الموفق.

واعلم أن في كل نعمة وصل منك إلى أحد مِنْ أربع من الله تعالى عليك:
أحدها: وصول ذات النعمة إليك.

وثانيها: إيصالها بيدك إلى عباده.

والثالثة: حصول شرف القبول لك عند الله تعالى بقبول ذلك العبد منك.

والرابعة: ترتب الجزاء الجميل والثواب الكامل على تلك الإيصال «و» أحسن حالك «إِضَافَةُ ذَلِكَ» أي كل عمل «إِلَيْهِ تَعَالَى فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا إِلَّا الشَّرَّ وَالْمَحَاصِي وَاللُّومَ فَإِنَّكَ» لا تضيفها إلى الله تعالى، فإن خلق الشر ليس بشر إذ فيه حكمة لا نعلمها، وإنما الشر كسب الشر والتلبس به، و ذلك منك فحقيق لك أن «تُضِيفُهَا إِلَى نَفْسِكَ وَتَنْسِبُهَا» أي نفسك «إِلَى الظُّلْمِ وَ سُوءِ الْأَدَبِ وَتَتَّهِمُهَا» أي نفسك «بِهِ» أي بالظلم و سوء الأدب «فَهِيَ» أي نفسك «أَحَقُّ بِذَلِكَ» الاتهام والنسبة و الإضافة «لِأَنَّهَا» نفسك «مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ وَ» أنها «أَمَارَةٌ بِكُلِّ سُوءٍ وَ دَاهِيَةٍ» كناية عن المكروه والمؤذي «وَإِنْ كَانَ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقَكَ وَ خَالِقَ أَفْعَالِكَ مَعَ كَسْبِكَ» فإن كسبك أيضًا ليس منك على وجه الاستقلال بل إنما «أنت الْكَاسِبُ» بحسب الظاهر «وَ هُوَ» أي الله «الْخَالِقُ» في الحقيقة فلا تقطع نظر بصيرتك عن خلق الله تعالى و لا عن كسبك، فإن الكسب ستر الخلق «كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» من العرفاء الكاملين: «يَجْنَى فِعْلُكَ» من الله تعالى باعتبار الخلق و الإنشاء و ليس لك في ذلك دخل «وَ» لكن مع ذلك «لَا بُدَّ لَكَ» في عملك «مِنْكَ» ليصح نسبة الكسب إليك، فإن الكسب ستر الخلق و لا يصح هتك الستر لا في ظاهر الشريعة و لا في نظر التحقيق.

«وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» الظاهر أنه بالجر عطف على ما قال في قوله
 كما قال بعض العلماء، فإن ما فيه مصدرية فهي في المعنى كقول بعض العلماء وقوله
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
 «إِعْمَلُوا وَقَارِبُوا»

قيل: معناه اطلبوا قربة الله تعالى بطاعته، وقيل: هو من قارب في الأمر إذا
 ترك الغُلُوَّ وقصد السداد «وَسَدِّدُوا» أي اجعلوا أعمالكم مستقيمة على طريق
 الحق ظاهرا برعاية الشروط والأركان والسنن والآداب، وباطنا بالاجتناب عن
 الرياء والعجب «فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» فأما من كان من أهل السعادة فسييسر
 لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة، واعلم
 أن الحديث بهذه الألفاظ لم أجد في كتب الحديث بل إنما هي مركبة من حديثين.

الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالسَّبْعُونَ

في بيان حال السالك بأن لا يخلو إما أن يكون مريدًا أو مرادًا وما يليق بكل منهما

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَخْلُوَ إِذَا أَنْ تَكُونَ مُرِيدًا أَوْ مُرَادًا
فَإِنْ كُنْتَ مُرِيدًا فَأَنْتَ مُحْمَلٌ وَحَمَالٌ تَحْمِلُ كُلَّ ثَقِيلٍ وَشَدِيدٍ لِأَنَّكَ
طَالِبٌ وَالطَّالِبُ مَشْقُوقٌ عَلَيْهِ مَتْعُوبٌ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَطْلُوبِهِ وَ
يُظْفَرَ بِمَحْبُوبِهِ وَيُذْرِكُ مَرَامَهُ وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْفَرُ مِنْ بَلَاءٍ يَنْزِلُ
بِكَ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ إِلَى أَنْ يُحِطَّ عَنْكَ الْأَحْمَالُ وَيُزَالَ
عَنْكَ الْأَثْقَالُ وَيُوفَعَ عَنْكَ الْأَلَامُ وَيُزَالَ عَنْكَ الْأَذَى وَالْإِذْلَالُ
فَتُصَانُ مِنْ جَمِيعِ الرَّذَائِلِ وَالْأَذْرَانِ وَالْأَوْسَاحِ وَالْمِهَانَاتِ وَالْأَذْوَاءِ
وَالْأَوْجَاعِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى الْخَلِيقَةِ وَالتَّبَرُّاتِ فَتَدْخُلَ فِي زُمْرَةِ
الْمُحِبُّوبِينَ الْمُدَّةَلِينَ الْمُرَادِينَ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَخْلُوَ» أيها السالك «إِذَا أَنْ تَكُونَ مُرِيدًا» أي طالباً لله عزَّ وجلَّ «أَوْ مُرَادًا» مطلوباً له تعالى «فَإِنْ كُنْتَ مُرِيدًا فَأَنْتَ مُحْمَلٌ» أي وضع عليك الحمل والثقل والتكليف والمشقة من تحصيل مُرَادٍ مُرَادِكَ ورضاه ففي القاموس: حَمَلَهُ الأمرَ تحميلاً وِحْمَالاً فَتَحْمَلُهُ تحملاً وُتَحْمَلُ أفعلى قوله محمل اسم مفعول، و ما أعرب في بعض النسخ إعراب اسم فاعل فلا يصح، لأنه متعدي إلى المفعولين «وَحَمَالٌ تَحْمِلُ كُلَّ ثَقِيلٍ وَشَدِيدٍ» من لوازم الإرادة والطلب «لِأَنَّكَ طَالِبٌ وَالطَّالِبُ مَشْقُوقٌ عَلَيْهِ» أي حُمِلَ عليه الأمر المشاق حتى وقع عليه شاقاً «مَتْعُوبٌ» أي أوقع في التعب والمشقة «حَتَّى يَصِلَ» الطالب «إِلَى مَطْلُوبِهِ وَيُظْفَرَ بِمَحْبُوبِهِ وَيُذْرِكُ مَرَامَهُ» فإن المرید لا يجد لذة في شيء من لذائذ النفس غير المراد و إلا لا يكون مریداً صادقاً، والمراد لا يُصَدِّقُهُ في الإرادة سيما الله تعالى، فإن عادته

جارية بذلك حتى قال: «فإن تطلب سوائي لم تجدني» قال بالفارسية:

گر طالب مائی مطلب چیچ مراد
کز یافتن ماست ترا جمله مراد

«وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَفَرَّ مِنْ بَلَاءٍ يَنْزِلُ بِكَ فِي النَّفْسِ» من مرض و محنة
«وَالْهَالِ» بالنقص والزوال «وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ» بالفوات والمهمات والمخالفة
والمفارقة، فإنك متعوب بهذه الأمور غالبا «إِلَى أَنْ يُحِطَّ عَنْكَ الْأَحْمَالُ وَيُزَالَ عَنْكَ
الْأَثْقَالُ وَيُزَفَّ عَنْكَ الْأَلَامُ وَيُزَالَ عَنْكَ الْأَذَى وَالْإِذْلَالُ» اللاحق بك في تلك
الأحمال والأثقال و رُفعت إلى مقام المرادية والمطلوبية والمحبوبة «فَتَصَانُ» و
تحفظ «مِنْ جَمِيعِ الرِّذَائِلِ» جمع رذيلة وهي ضد الفضيلة «وَالْأَذْرَانِ» جمع دَرَنٍ و
هي الوسخ أو تلطخه «وَالْأَوْسَاخِ» جمع وسخ «وَالْمُهَانَاتِ» أي الأمور التي
تهان بها صاحبها «وَالْأَذْوَاءِ» جمع داء بمعنى المرض «وَالْأَوْجَاعِ» جمع وجع بمعنى
ألم «وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى الْخَلِيقَةِ وَالْبَرِيَّاتِ» جمع بريّة بمعنى الخلق أي تصان و تحفظ عن
جميع هذه المكاره والمؤذيات «فَتُدْخَلُ فِي زُمْرَةِ الْمُحْبُوبِينَ الْمُدَلَّلِينَ الْمُرَادِينَ» لله،
تعالى والمحبوب المدلل المراد محفوظ عن جميع المكاره والأذى.

وَإِنْ كُنْتَ مُرَادًا فَلَا تَتَّهِمَنَّ الْحَقَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي انْزَالِ الْبَلِيَّةِ بِكَ
أَيْضًا وَلَا تَشْكُنْ فِي مَنَزِلَتِكَ وَقَدْرِكَ عِنْدَهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ قَدْ يَبْتَلِيكَ
لِيَبْلُغَكَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ وَيُزَفَّ مَنَزِلَتَكَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ. أَمْ
تُحِبُّ أَنْ تُحِطَّ مَنَزِلَتَكَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَتِكَ عَنْ دَرَجَاتِهِمْ وَأَنْ
تَكُونَ خَلْعَتِكَ وَأَنْوَارِكَ وَنَعِيمِكَ دُونَ مَا لَهُمْ. فَإِنْ رَضِيتَ أَنْتَ
بِالدُّونِ فَالْحَقُّ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. [البقرة، السورة: ٢،

الآية: ٢١٦]

يَخْتَارُ لَكَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَى وَالْأَرْفَعَ وَالْأَضْلَحَ وَ

أنت تأبى عن ذلك.

«وَإِنْ كُنْتُ» أيها السالك ترقيت من زمرة المريدين و صرت «مُرَادًا» محبوبا لله تعالى، و نزل بك بلاء و محنة «فَلَا تَتَّهِمَنَّ الْحَقَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِي انْزَالِهِ» تلك «الْبَلِيَّةُ» اللاحقة «بِكَ أَيُّضًا» كما لا ينبغي لك ذلك الاتهام حين كنت في مقام المريدية «وَلَا تَشْكُنْ» أيها المحبوب المطلوب «فِي» رفعة «مَنْزِلَتِكَ وَ» علو «قَدْرِكَ عِنْدَهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ يَبْتَلِيكَ» بالبلية والأذى مع كونك في مقام المرادية والمحبوبة لله تعالى لا ليحط ربتك عن ذروة الكمال بل «لِيَبْلَغَكَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ» البالغين إلى أحسن الأحوال «وَيُزَفَّعَ مَنْزِلَتَكَ إِلَى مَنْازِلِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ. أَتُحِبُّ أَنْ تَحْطَّ مَنْزِلَتُكَ عَنْ مَنْازِلِهِمْ» العلية «و» تزل «دَرَجَتُكَ عَنْ دَرَجَاتِهِمْ» السنية «و» أتحب و ترضى «أَنْ تَكُونَ خَلْعَتِكَ وَ أَنْوَازِكَ وَ نَعِيمُكَ» الفائضة عليك من ربك «دُونَ مَا لَهُمْ» أي لهؤلاء السادات من المنازل والمقامات والحالات «فَإِنْ» صرت دني الهمة و «رَضِيتَ أَنْتَ بِالذُّونِ فَالْحَقُّ عَزَّ وَ جَلَّ» لكمال اللطف والعناية بك «لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ» الدون الَّذِي رَضِيتَ أَنْتَ به فأنزل بك تلك البلية لِإِبْلَاغِكَ إِلَى مَنْازِلِهِمْ فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ سِرُّهُ فَلَا تَعْجَب. أَمَا سَمِعْتَ مَا «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» :

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، السورة: ٢، الآية: ٢١٦]

و هو تعالى «يُخْتَارُ لَكَ الْأَعْلَى وَالْأَسْنَى وَالْأَرْفَعُ وَالْأَصْلَحُ» من الحالات و المقامات والمراتب والمطالب «وَأَنْتَ تَأْبَى عَنْ ذَلِكَ» بإكراه المحن والبلية اللاحقة بك. فهذا شأن عجيب و وضع غريب.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَصْبَحُ إِبْتِلَاءُ الْمُرَادِ مَعَ هَذَا التَّقْسِيمِ وَالْبَيَانِ
مَعَ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ إِنَّمَا لِلْمُحِبِّ وَالْمَدْلَلُ إِنَّمَا هُوَ الْمُحِبُّوبُ.
يَقَالُ لَكَ ذَكَرْنَا لَكَ الْأَغْلَبَ أَوَّلًا وَ شَمَّرْنَا بِالنَّادِرِ الْمُعْكِرِ قَائِمًا.
لَا خِلَافَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ سَيِّدَ الْمُحِبُّوبِينَ وَ كَانَ

أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ خِفْتُ فِي اللَّهِ مَا لَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُؤْذِنْتُ فِي اللَّهِ مَا لَمْ يُؤْذَ أَحَدٌ وَلَقَدْ آتَى عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِي إِبْطَ بِلَالٍ.^(١)
وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَنَا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ.^(٢)
وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا أَعْرِفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ مِنْهُ خَوْفًا.^(٣)

فَكَيْفَ يُبْتَلَى الْمُحِبُّوبُ وَيُخَوَّفُ الْمُدَلِّلُ الْمُرَادُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ بُلُوغِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّ الْمَنَازِلَ فِي الْجَنَّةِ لَا تُشِيدُ وَلَا تُرْفَعُ إِلَّا بِالْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا. الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ وَأَعْمَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ بَعْدَ آدَاءِ الْأَوَامِرِ وَإِتِّهَاءِ النَّوَاهِي إِنَّمَا هِيَ الصَّبْرُ وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةُ فِي حَالَةِ الْبَلَاءِ يُكْشَفُ عَنْهُمْ الْبَلَاءُ وَيُؤَاصِلُونَ بِالنَّعِيمِ وَالْفَضْلِ وَالذَّلَالِ وَاللِّقَاءِ أَبَدًا أَبَدًا.

«فَإِنْ قُلْتَ» أَيُّهَا السَّائِلُ «كَيْفَ يَصِحُّ إِبْتِلَاءُ الْمُرَادِ مَعَ هَذَا التَّقْسِيمِ وَالْبَيَانِ» الدَّالُّ عَلَى أَنَّ الْمُرِيدَ وَالْمُحِبَّ مُتَعَوِّبٌ وَمُذَلَّلٌ، وَالْمُحِبُّوبُ مُسَرُّورٌ وَمُدَلَّلٌ «مَعَ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ إِنَّمَا لِلْمُحِبِّ، وَالْمُدَلَّلُ إِنَّمَا هُوَ الْمُحِبُّوبُ» وَ«مَعَ» الثَّانِيَةِ إِلَى آخِرِهِ بَدَلٌ مِنْ «مَعَ» الْأُولَى بَدَلُ تَفْصِيلٍ أَوْ يَجْعَلُ مَعَ الْأُولَى بِمَعْنَى فِي كَمَا قِيلَ. «يُقَالُ لَكَ» فِي الْجَوَابِ «ذَكَرْنَا لَكَ الْأَغْلَبَ» وَالْأَكْثَرَ وَقَوْعًا «أَوَّلًا» فِي التَّقْسِيمِ الْمَذْكُورِ «وَشَمَّرْنَا» التَّشْمِيرُ رَفْعُ الذِّلِّ لِلْجِدِّ فِي الْأَمْرِ أَيْ اسْتَعْدْنَا لِلْبَيَانِ

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه الحاكم بلفظ: أي الناس أشد بلاء، قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، برقم: ١٢٠، ورواه ابن حبان بنحوه.

(٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم: ٢٣١ / ١، قال في المقاصد قال شيخنا: صحيح، وقد ترجم البخاري في صحيحه بقوله صلى الله عليه وسلم "أنا أعلمكم بالله"

«بِالتَّادِرِ الْمُتَمَكِّنِ ثَابِتًا» يعنى ان الاغلب والأكثر أن يكون المريد متعوبا مدلا والمراد محبوبا مدلا و قل ما يعكس الأمر بأن يجعل المريد منعما محظوظا محفوظا كيلا يفتر عن الجِدِّ بوقوع المشاق و عدم حصول المقصود، و يجعل المراد مبتلى للإبلاغ إلى أكمل المراتب و أجملها و أحسن المناقب و أفضلها، أما تعلم أنه «لَا خِلَافَ» لأحد من العلماء والعرفاء في «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ سَيِّدَ الْمُحِبُّوَيْنَ» و أفضل النبيين و أكمل المرسلين عند رب العالمين «وَمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً» وكيف لا يكون «وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ خِفْتُ فِي اللَّهِ مَا لَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُؤْذِئْتُ فِي اللَّهِ مَا لَمْ يُؤْذَ أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَى» وفي رواية: أتت «عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِئُ إِبْطَ بِلَالٍ» هذه عادة الله تعالى بأحبائه وأصفيائه، و ذلك لأن الامتحان عنوان الإيمان، والمحنة والمحبة توأمان و عند الامتحان يُكْرَمُ الرجل أو يُهَانُ.

«وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أَنَا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ».

«فَ» انظر «كَيْفَ يُبْتَلَى الْمُحِبُّونَ وَيُخَوَّفُ الْمُدَّلُّ الْمُرَادُ» مع أنه لا احتياج إلى امتحانه و افتنانه «وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ» الافتنان والابتلاء «إِلَّا بِمَا أَشْرَنَا إِلَيْهِ مِنْ بُلُوغِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ فِي الْجَنَّةِ» العلية «عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّ» عادة الله تعالى جارية بأن «الْمَنَازِلَ فِي الْجَنَّةِ لَا تُشَيَّدُ» أي لا تستحكم «وَلَا تُرْفَعُ إِلَّا بِالْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا» وإنما يكون ذلك إذ «الدُّنْيَا مَرْعَى الْآخِرَةِ» فإن الله تعالى بكمال حكمته جعل الجزاء مرتبة على الأعمال حُسْنًا وَقُبْحًا وَقُوَّةً وَضَعْفًا وَكَمًّا وَكَيْفًا، و جعل محل الأعمال الدنيا، و محل الجزاء الآخرة «وَأَعْمَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ بَعْدَ آدَاءِ الْأَوَامِرِ» الشرعية «وَأَنْتِهَاءِ النَّوَاهِي» الشرعية «إِنَّمَا هِيَ الصَّبْرُ» على البلايا «وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةُ فِي حَالَةِ الْبَلَاءِ» لفعل المولى و إرادته طلبا لقضائه و تشرفا بلقائه ثُمَّ «يُكْشَفُ عَنْهُمْ الْبَلَاءُ وَ يُوَصِّلُونَ بِالنَّعِيمِ وَالْفَضْلِ وَالذَّلَالِ وَاللِّقَاءِ أَبَدَ الْأَبَادِ» بلا انقطاع و لا فناء و لا محنة و إيذاء، فإن دار البلاء والمحنة هي الدنيا.

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ وَالسَّبْعُونَ

في بيان أقسام المشتغلين بالدنيا على وجه التشهي لها أو التنبه بها أو الإعراض عنها

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْأَسْوَاقَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ
وَالنُّسْكِ فِي مَخْرَجِهِمْ إِلَى آدَاءِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ صَلَوةِ الْجُمُعَةِ
وَالجُمَاعَاتِ وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ يَسْنَحُ لَهُمْ فِيهَا عَلَى أَضْرَابٍ:
فَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا دَخَلَ السُّوقَ وَرَأَى فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّهَوَاتِ
وَاللَّدَاتِ تَقَيَّدَ بِهَا وَعَلَّقَتْ بِقَلْبِهِ فَافْتَتَنَ بِهَا وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاقِهِ
وَتَرَكَ دِينَهُ وَرُجُوعَهُ إِلَى مُوَافَقَةِ طَبْعِهِ وَإِتْبَاعِ هَوَاهُ إِلَّا أَنْ يَتَذَكَّرَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ وَعِصْمَتِهِ وَاصْبَارِهِ إِثَاءَ عَنْهَا فَيَسْلَمَ.
وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا رَأَى ذَلِكَ وَكَادَ أَنْ يَهْلِكَ بِهَا رَجَعَ إِلَى عَقْلِهِ وَ
دِينِهِ وَتَكَلَّفَ وَتَجَرَّعَ مَرَارَةَ تَرْكِهَا فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ يَنْصُرُهُ اللَّهُ عَلَى
نَفْسِهِ وَطَبْعِهِ وَهَوَاهُ وَشَهْوَتِهِ، وَيَكْتُوبُ لَهُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ فِي
الْآخِرَةِ كَمَا بَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ: يُكْتَبُ لِلْمُؤْمِنِ بِتَرْكِ كُلِّ شَهْوَةٍ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْهَا أَوْ عِنْدَ الْقُدْرَةِ
عَلَيْهَا سَبْعُونَ حَسَنَةً.^(١)

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْأَسْوَاقَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالنُّسْكِ»
أي العبادة «فِي مَخْرَجِهِمْ» أي حين خروجهم «إِلَى آدَاءِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ صَلَوةِ
الْجُمُعَةِ وَالْجُمَاعَاتِ» والأعياد ومن العيادة للمرضى، أو الزيارة للعلماء والمشائخ «وَقَضَاءِ
الْحَوَائِجِ يَسْنَحُ» أي يظهر «لَهُمْ فِيهَا» أي في الأسواق «عَلَى أَضْرَابٍ» خبر
لقوله: «الذين» يعنى الداخلون في الأسواق للأغراض الدينية أقسام خمسة:

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

«فَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا دَخَلَ السُّوقَ وَرَأَى فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّهَوَاتِ» أي المشتبهات التي هي أثر الشهوات «وَاللَّذَاتِ» أي المستلذات التي هي متعلقات اللذات «تَقَيَّدَ بِهَا» أي بتلك الشهوات واللذات «وَعَلَّقَتْ» هي «بِقَلْبِهِ فَأَفْتَنَ بِهَا» ولم يقدر على حفظ النفس عنها «وَكَانَ ذَلِكَ» التقييد والتعلق «سَبَبَ هَلَاكِهِ وَتَرَكَ دِينَهُ، وَ» سبب «رُجُوعِهِ إِلَى مُوَافَقَةِ طَبْعِهِ وَاتِّبَاعِ هَوَاهُ» اللذين كانتا مغلوبين للشريعة المطهرة المحمدية على صاحبها أسنى الصلوة وأزكى السلام من الملك العلام «إِلَّا أَنْ يَتَذَكَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ وَعِصْمَتِهِ» أي ذلك المفتتن بالشهوات واللذات هالك بموافقة الطبع واتباع الهوى إلا أن يحفظه الله تعالى بكمال رحمته وبعصمته بكمال لطفه عن تلك المشتبهات والمستلذات «وَإِصْبَارِهِ إِيَّاهُ عَنْهَا» أي جعل الله تعالى ذلك المفتون برحمة الله وعصمته وإصابه عن الهلاك، وهذا النوع أدون الأنواع صابرا عن تلك المشتبهات والمستلذات المخالفة للشرع إما حرمة وإما كراهة «فَيَسْلَمُ» ذلك المفتون برحمة الله تعالى وعصمته وإصابه عن الهلاك، وهذا النوع أدون الأنواع.

«وَضَرَبَ آخَرَ مِنْهُمْ» أي من أولئك الداخلين في الأسواق للأغراض الدينية الرائين فيها المشتبهات والمستلذات «مَنْ إِذَا رَأَى ذَلِكَ» المذكور في القسم الأول من مشتبهات الدنيا ومستلذاتها «وَكَادَ» أي قرب «أَنْ يَهْلِكَ بِهَا» أي بسبب الافتنان بها «رَجَعَ إِلَى عَقْلِهِ وَدِينِهِ» مستعيذا بربه «وَتَكَلَّفَ» أي دفع تعلقها عن نفسه بتكلف ومشقة «وَتَجَرَّعَ مَرَارَةً تَرْكِهَا» بجِدِّ واجتهاد وقهر النفس وزجر الهوى «فَهُوَ» أي هذا الشخص «كَالْمُجَاهِدِ» في سبيل الله تعالى بالجهاد الأكبر مع نفسه الطالبة للدنيا ومستلذاتها «يَنْصُرُهُ اللَّهُ» لكمال لطفه وعنايته به «عَلَى نَفْسِهِ وَطَبْعِهِ وَهَوَاهُ وَشَهْوَتِهِ» كما قال تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم، السورة ٣٠، الآية: ٤٧]

«وَيَكْتُتُ» الله تعالى «لَهُ» أي لذلك الشخص المنصور على النفس والهوى «الثَّوَابَ الْجَزِيلَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ» المختار «صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: يُكْتَبُ لِلْمُؤْمِنِ بِتَرْكِ كُلِّ شَهْوَةٍ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْهَا « كَالْفَقِيرِ الصَّابِرِ « أَوْ عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا « كَالغَنِيِّ الشَّاكِرِ الصَّابِرِ « سَبْعُونَ حَسَنَةً » وَ ذَلِكَ عِنْدَ قَصْدِ التَّرْكِ .

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَنَاوَلُهَا وَ يَتَلَبَّسُ بِهَا وَ يُحْصِلُهَا بِفَضْلِ نِعْمَةٍ
اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الَّتِي عِنْدَهُ مِنْ سَعَةِ الدُّنْيَا وَ الْمَالِ وَ يَشْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَ
جَلَّ عَلَيْهَا .

وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَرَاهَا وَ لَا يَشْعُرُ بِهَا فَهُوَ كَأَنَّهُ أَغْمَى عَمَّا سِوَى
اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا يَرَى غَيْرَهُ عِنْدَهُ شُغْلٌ عَنِ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ مُحِبُّو بِهِ وَ
عَنِ إِشْتِهَائِهِ فَهُوَ فِي مَعْرِ لِعَمَّا الْعَالَمِ فِيهِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَ قَدْ دَخَلَ الشُّوقَ
فَسَأَلْتَهُ عَمَّاذَا رَأَى فِي الشُّوقِ، يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا نَعَمَ هُوَ قَدْ رَأَى
الْأَشْيَاءَ لَكِنْ رَأَاهَا بِبَصَرِ رَأْسِهِ لَا بِبَصَرِ قَلْبِهِ، وَ نَظَرَهُ نَظَرُ فُجَاءَةٍ لَا
نَظَرُ شَهْوَةٍ، نَظَرُ صُورَةٍ لَا نَظَرُ مَعْنَى، نَظَرُ الظَّاهِرِ لَا نَظَرُ الْبَاطِنِ فَهُوَ
بِظَاهِرِهِ يَنْظُرُ إِلَى مَا فِي الشُّوقِ وَ بِقَلْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى
جَلَالِهِ تَارَةً وَ إِلَى جَمَالِهِ تَارَةً أُخْرَى .

« وَ » ضَرْبُ « مِنْهُمْ » أَيُّ مِنْ هَذِهِ الضَّرُوبِ الْخَمْسَةِ الدَّاخِلَةِ فِي الْأَسْوَاقِ
الرَّائِي لِمُسْتَلَذَاتِ الدُّنْيَا « مَنْ يَتَنَاوَلُهَا » أَيُّ تِلْكَ الْمُسْتَلَذَاتِ « وَ يَتَلَبَّسُ بِهَا وَ
يُحْصِلُهَا » لَكِنْ لَا بِمَجْرَدِ إِشْتِهَاءِ النَّفْسِ وَ هَوَاهَا « بَلْ بِفَضْلِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ الَّتِي
عِنْدَهُ مِنْ سَعَةِ الدُّنْيَا وَ « سَعَةِ الْمَالِ » عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ الْمَرْضِيِّ لِلَّهِ تَعَالَى وَ
لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ مِنَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ « وَ يَشْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهَا » فَإِنْ
اللَّهُ تَعَالَى يَحِبُّ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ قَوْلًا وَ فِعْلًا كَمَا نَطَقَ بِهِ
الْأَحَادِيثُ وَ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ .

« وَ » ضَرْبُ « مِنْهُمْ » أَيُّ مِنَ الْأَقْسَامِ الْخَمْسَةِ الْمَذْكُورَةِ « مَنْ لَا يَرَاهَا » أَيُّ
الْمُسْتَهْيَاتِ وَ الْمُسْتَلَذَاتِ الْكَائِنَةِ فِي الْأَسْوَاقِ « وَ لَا يَشْعُرُ بِهَا » أَصْلًا لِأَجْلِ كِهَالِ

اشتغاله بربه وانهماكه في ذكره «فَهُوَ» أي ذلك الشخص «كَأَنَّهُ أَعْمَى عَمَّا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَرَى غَيْرَهُ» وإنما كان كذلك لأن «عِنْدَهُ شُغْلٌ» بربه تعالى أشغله وأعرضه «عَنِ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ مُحِبُّو بِهِ وَ» أشغله «عَنْ إِشْتِهَائِهِ» أي غير المحبوب الَّذِي هو الله تعالى «فَهُوَ» أي ذلك الرجل المشغول بالله عن غير الله «فِي مَعْزِلٍ» و بعد «عَمَّا» كان «الْعَالَمُ فِيهِ» من الاشتغال بالنفس والأهل والولد والحظوظ «فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَدْ دَخَلَ السُّوقَ» أي إذا رايت أنت أيها المخاطب ذلك الرجل العارف المستغرق في تجليات الله تعالى الجلالية والجمالية حال كونه دخل في السوق الَّذِي هو مملو بالناس و المتاع «فَسَأَلَتْهُ عَمَّاذَا رَأَى فِي السُّوقِ يَقُولُ» لك لعدم توجهه إلى شيء «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا» فإن تعجبت من نفيه رؤية الأشياء بأنه كيف لم ير و هو صحيح البصر مفتوح العين، يقال لك في الجواب: «نَعَمْ هُوَ قَدْ رَأَى الْأَشْيَاءَ لَكِنْ رَأَاهَا بِبَصَرِ رَأْسِهِ لَا بِبَصَرِ قَلْبِهِ وَ» لم يتوجه إلى الأشياء بقلبه، و ما لم يتوجه إلى شيء بالقلب لا يعرفه كما هو مقرر عند كل أحد «و نَظَرَهُ» إلى الأشياء «نَظَرَ فُجَاءَةٍ» من غير توجه إليها «لَا نَظَرَ شَهْوَةٍ» أي اشتهاه و ميل حتى يتوجه و يعرف تفصيلها وكنه حقيقتها، و نظره «نَظَرَ صُورَةٍ» بلا توجه «لَا نَظَرَ مَعْنَى» بالتوجه، و نظره «نَظَرَ الظَّاهِرِ» القالبية «لَا نَظَرَ الْبَاطِنِ» القلبي «فَهُوَ بِظَاهِرِهِ يَنْظُرُ إِلَى مَا فِي السُّوقِ» من الخلائق «و بِقَلْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّهِ» الخالق «عَزَّ وَجَلَّ» في تجلياته الكائنة في الخلق جلالات و جمالات فينظر «إِلَى جَلَالِهِ تَعَالَى تَارَةً» واحدة «و إِلَى جَمَالِهِ» تعالى «تَارَةً أُخْرَى» فإن ظهور العالم و بقاءه كان بالتجلي الجلالي والجمالي، فإن الجلال يقتضي التغير والتبديل والتحويل، والجمال يقتضي الثبات والقرار والبقاء.

و مِنْهُمْ مَنْ إِذَا دَخَلَ السُّوقَ اِمْتَلَأَ قَلْبُهُ رَحْمَةً لِأَهْلِهِ فَتَشْغَلُهُ
الرَّحْمَةُ لَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَهُمْ فَهُوَ مِنْ حَيْنِ دُخُولِهِ إِلَى حَيْنِ
خُرُوجِهِ فِي الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَ شَفَاعَةِ أَهْلِهِ وَ شَفَقَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ فَقَلْبُهُ
يَخْتَرِقُ عَلَيْهِمْ وَ لَهُمْ وَ عَيْنُهُ مَفْرُوزَةٌ لِأَجْلِهِمْ وَ لِسَانُهُ فِي ثَنَاءٍ وَ خَمْدٍ لِلَّهِ

عَزَّ وَجَلَّ لِمَا أَوْلَى الْكَافَّةَ مِنْ نِعَمِهِ وَفَضْلِهِ فَهَذَا يُسَمَّى شِخْنَةَ الْبِلَادِ
وَإِنْ شِئْتَ فَسَمِّهِ عَارِقًا وَبَدَلًا وَزَاهِدًا وَعَالِمًا غَيْبًا وَتَدَا مُحَبُّوبًا
مُرَادًا وَنَائِبًا فِي الْأَرْضِ عَلَى عِبَادِهِ وَسَفِيرًا وَجَهْدًا وَهَادِيًا وَمَهْدِيًا
وَدَالًا وَمُرْشِدًا فَهَذَا هُوَ الْكَبِيرُ الْاَحْمَرُ وَبَيْضَةُ الْعَقَّاقِ. فَرِضْوَانُ
اللَّهِ وَصَلَوْتُهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مُرِيدٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصَلَّ إِلَى
إِنْتِهَاءِ الْمَقَامِ.

«و» ضرب «مِنْهُمْ» أي من هؤلاء الأقسام الخمسة الداخلة في الأسواق المملوءة بالخلق و لوازم معاشهم و معاشرتهم «مَنْ إِذَا دَخَلَ السُّوقَ اِمْتَلَأَ قَلْبُهُ» أي بالتوجه الجديد إلى الله تعالى «رَحْمَةً لِأَهْلِهِ» أي لأهل السوق و هو خلق الله تعالى لما رأى أنهم عاجزون في تحصيل ما ينفعهم و دفع ما يضرهم و قد نصبه الله تعالى لتربية الخلائق فإذا رأى عجزهم عن الأمرين «فَتَشْغُلُهُ» إياه «الرَّحْمَةُ» الكائنة باعتبار منصب التربية «لَهُمْ» أي لأهل السوق «عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَهُمْ» من الأشياء الكائنة بين أيديهم لاستغراقه في التوجه إلى الله تعالى لفيضان جلب الخير و دفع الضير «فَهُوَ مِنْ حَيْنٍ دُخُولِهِ» في السوق «إِلَى حَيْنِ خُرُوجِهِ» منه «فِي الدُّعَاءِ وَالْإِسْتِغْفَارِ وَ شَفَاعَةِ أَهْلِهِ وَ شَفَقَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ» و في بعض النسخ في دعاء و شفاعة لأهله أي دعاء لأهل السوق في جلب ما ينفعهم، و استغفار لما صدر عنهم مما يوجب الغضب عليهم، و شفاعة لإصلاح حالهم و شفقة عليهم و رحمة لهم في جلب الخير و دفع الضير «فَقَلْبُهُ يَخْتَرِقُ عَلَيْهِمْ» بأنهم كيف لا يحترزون ما يوجب الضرر عليهم «و» يحزن «لَهُمْ» بأنهم كيف لا يحصلون ما ينفعهم، و لم يغلفون عن الأمرين «و عَيْنُهُ مَفْرُوزَةٌ لِأَجْلِهِمْ» المفروز في اللغة بمعنى المقسوم يقال: نصيب مفروز أي مقسوم، و يقال: فرزت الشيء و أفرزته إذا قسمته كذا في النهاية، و لا يلائم ذلك هنا كثير ملائمة إلا أن يحمل على الانتشار، فإن التقسيم يوجهه فهو لازم لها فاستعمل في اللازم أي منتشرة لأجلهم كيف نفعهم يحصل بالتوجه إلى

الله، فإن التوجه التام ربما يفرق النظر ولا يُقرّه. وفي بعض النسخ مفروقة لأجلهم، وهو أيضا بالمعنى المذكور، أو بمعنى مفتوحة من فرق بمعنى ظهر «وَلِسَانُهُ فِي ثَنَاءٍ وَحَمْدٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا» وفي بعض النسخ بما «أُولَى» أى أعطى «الْكَافَّة» أي كافة الخلق «مِنْ نِعَمِهِ وَفَضْلِهِ» تعالى أنواعا مختلفة «فَهَذَا» النوع الأخير الَّذِي هو أكمل سائر الأنواع «يُسَمَّى شَخْنَةَ الْبِلَادِ» بمعنى حافظها وناصرها «وَأِنْ شِئْتَ لَهَذَا الرَّجُلِ تَسْمِيَةً أُخْرَى «فَسَمِّهِ عَارِفًا» بالله «وَبَدَلًا» من أبدال الله «وَرَاهِدًا» من زهاد الدين «وَعَالِمًا» من العلماء الربانيين «غَيْبًا» عن التوجه إلى الخلق بالتوجه إلى الحق عَزَّ وَجَلَّ «وَوَتَدًا» من الأوتاد الذين جعل الله تعالى قرار العالم وثباته بهم كما جعل الجبال أوتادا لقرار الأرض «مَحْبُوبًا» لله تعالى ورسوله وعباده العارفين بحاله «مُرَادًا» لله تعالى رقيه الله تعالى من مرتبة المريدية «وَنَائِبًا» عن الله تعالى «فِي الْأَرْضِ عَلَى عِبَادِهِ» و خليفة الله تعالى عليهم «وَسَفِيرًا» أي رسولا من جانب الله إلى الخلق لا بمعنى الرسول الشرعي بل بمعنى المصلح والمربي للخلق بحكم الله تعالى واتباع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَجَهْدًا» أي نقادا خبيرا بأحوال العالم ما يصلحه ويفسده، قال في القاموس الجهد بالكسر النقاد الخبير «وَهَادِيًا» للخلائق عن ضلالة الجهل والطبع «وَمَهْدِيًا» في نفسه من جانب الله تعالى «وَدَالًا» للخلق على الطريق المستقيم «وَمُرْشِدًا» للخلائق «فَهَذَا» الرجل العارف الكامل المكمل «هُوَ الْكَبِيرُ الْأَحْمَرُ» وفي القاموس: الكبيريت من الحجارة الموقد بها والياقوت الأحمر والذهب أو جوهر معدنه خلف التبت بواد النمل. وفي اصطلاح الناس: هو ما يصير غير الذهب بمخالطته ذهباً.

وهذا الرجل المكمل من يصحبه يصير كاملا عارفا بالله تعالى، فانيا فيه، باقيا به «وَبَيِّضَةُ الْعَقْعَقِ» وفي القاموس: العقعق طائر أبلق يشبه صوته العين والقاف، وفي النهاية: هو طائر معروف ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب، ويقال له: الْقَعْقَعُ جاز قتله للمحرم لأنه نوع من الغربان، انتهى. وهو في العرف طائر صغير مشوم وإليه أشار الشاعر

إن من صاد عققا لمشوم

كيف من صاد عققان و يوم

و ظاهر أنه لا يناسب شيء منها ههنا بل الذي يخطر بالبال في توجيه هذا المقال أن العقق ههنا بمعنى العنقاء وهو يسمع و لا يوجد فأين يوجد بيضته فهو مثلاً للذي يسمع و لا يوجد. و يحتمل أن يكون المراد به هو الظاهر والتمثيل باعتبار إخفاء بيضته و عدم الظفر عليها إذ من عادته إخفاءها، فإنها يسكن القفار والمفاوز لا يظهر عشه فأين يوجد بيضته. و يحتمل أن يكون فيها منافع للخلق بحكمة الله تعالى فالتمثيل باعتبار كثرة المنافع و قلة الوجدان «فَرِضْوا لِلَّهِ تَعَالَى وَ صَلَوَاتُهُ عَلَيْهِ» أي على ذلك العارف الكامل «وَعَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مَّرِيدٍ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» طالب له الذي «وَصَلَ إِلَى ائْتِهَاءِ الْمَقَامِ» الذي هو عتبة الأنبياء و سدة المرسلين لا يتجاوزه غيرهم من كُملاء العارفين.

الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالسَّبْعُونَ

في أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَظْهَرُ وَلِيَّهُ وَيُطْلَعُ عَلَى عُيُوبِ بَعْضِ أَفْرَادِ النَّاسِ الْمُدَّعِينَ لِلْمَرَاتِبِ
الْكَاذِبِينَ فِي دَعْوَاهُمْ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَدْ يَظْهَرُ اللهُ وَيُطْلَعُ وَلِيُّهُ عَلَى عُيُوبِ غَيْرِهِ
وَكَذِبِهِ وَدَعْوَاهُ وَشُرْكِهِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِضْمَارِهِ وَنَيْتِهِ فِيغَارُ وَلِيِّ
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَبِّهِ وَلِرُسُولِهِ وَدِينِهِ فَيَسْتَدُ غَضَبُ بَاطِنِهِ ثُمَّ ظَاهِرِهِ،
كَيْفَ يَدَّعِي السَّلَامَةَ مَعَ الْعِلَلِ وَالْأَوْجَاعِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ؟ وَ
كَيْفَ يَدَّعِي التَّوْحِيدَ مَعَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ، وَالشِّرْكَ كَثُرَ مُبَعَّدٌ مِنْ قُرْبِ
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ صِفَةُ الْعَدُوِّ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ وَ الْمُتَافِقِينَ الْمُفْطُوعِ
لَهُمْ بِالذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ بِالْخُلُودِ فِيهَا فَيَجْرِي عَلَى لِسَانِ
الْوَلِيِّ ذِكْرُ عُيُوبِهِ وَأَفْعَالِهِ الْخَبِيْثَةِ وَقَاسَمَتِهِ بِعَرِيضِ دَعَاوِيهِ وَ
إِدْعَائِهِ أَحْوَالِ الصِّدِّيقِينَ وَمُرَاحِمَتِهِ لِلْفَانِينَ فِي قَدْرِ اللهِ تَعَالَى وَفِعْلِهِ
وَالْمُرَادِينَ عَلَى وَجْهِ الْغَيْبَةِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، مَرَّةً عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ
وَالْوَعْدِ لَهُ أُخْرَى، وَعَلَى وَجْهِ الْغَلْبَةِ بِفِعْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِرَادَتِهِ وَ
شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَى الْكَذَّابِ الْمُكْذِبِ أُخْرَى فَيُضَافُ إِلَى وَلِيِّ اللهِ غَيْبَتُهُ
فَيَقَالُ يَغْتَابُ الْوَلِيُّ وَهُوَ يَمْتَنِعُ مِنْهَا أَوْ يَذْكُرُ الْغَائِبِ أَوِ الْحَاضِرِ بِمَا لَمْ
يَظْهَرُ عِنْدَ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ فَيَصِيرُ ذَلِكَ الْإِنْكَارُ فِي حَقِّهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ:
﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢، الآية: ٢١٩]

فَهَذَا فِي الظَّاهِرِ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ وَ فِي الْبَاطِنِ إِسْخَاطُ الرَّبِّ
وَالْإِعْتِرَاضُ عَلَيْهِ فَيَصِيرُ حَالُهُ الْخَيْرَةُ فَيَكُونُ قَرَضُهُمْ فِيهَا الشُّكُوتُ
وَالْتَّسْلِيمُ وَ طَلَبُ الْمَسَاحِ لِذَلِكَ فِي الشَّرْعِ، وَالْجَوَازِ لَا الْإِعْتِرَاضُ عَلَى

الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ لِافْتِرَائِهِ وَكِذِبِهِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبِيلاً لِأَفْلَاحِهِ وَتَبَرُّهِ عَنْ ذَلِكَ الدَّعْوَى الْكَاذِبِ وَتَوْبَتِهِ وَرُجُوعِهِ عَنْ جَهْلِهِ فَيَكُونُ كَرَامَةً لِلْوَلِيِّ وَنَفْعًا لِلْمَغْرُورِ الْهَالِكِ بِغُرُورِهِ وَرُغْوَتِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور ٤٦، الآية: ٢٤]

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: قَدْ يَظْهَرُ اللَّهُ وَيَطْلُعُ وَلِيِّهُ عَلَى عُيُوبِ غَيْرِهِ» من أفراد الإنسان «وَكِذِبِهِ وَدَعْوَاهُ وَشُرْكَهِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِضْمَارِهِ وَنَبَاتِهِ» المخالفة لدعواه كما اطلع الله تعالى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على باطن المنافقين في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فِيَعَارُ وَيُؤَيُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» أي أوقع ولي الله في الغيرة على ذلك المعيوب المخالف ظاهره لباطنه و باطنه لظاهره فيغيِّر عليه غيرة شديدة «لِرَبِّهِمْ وَ لِرَسُولِهِ وَ دِينِهِ» أي لأجل الله تعالى و لأجل رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كيف يفترى على الله تعالى و يخالف سنة رسوله بل لحكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكيف يُجَرِّب الدين و يغوي الخلق و يكذبه مع الله تعالى لا لأجل نفسه، فإن أولياء الله تعالى لا يتغيرون للنفس، فإنهم بذلوا في سبيل الله فلا يلاحظونها «فِيَشْتَدُّ غَضَبُ بَاطِنِهِ ثُمَّ» يظهر أثر ذلك الغضب على «ظَاهِرِهِ» بأنه «كَيْفَ يَدَّعِي السَّلَامَةَ» أي يدعي في الظاهر سلامة باطنه «مَعَ» تلوث باطنه بالردائل «الْعِلَلِ وَالْأَوْجَاعِ الْبَاطِنَةِ» من الرياء والعجب والحرص وحب الدنيا، و حب الجاه والرياسة «وَالْعِلَلِ وَالْأَوْجَاعِ» الظَّاهِرَةِ من الكبر والاشتغال بالدنيا الدنية تحصيلًا وبقاء «وَكَيْفَ يَدَّعِي التَّوْحِيدَ مَعَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ» ببقاء النفس و صفاتها قالوا: و ما وصل إلى صريح الحُرِّيَّةِ مَنْ بقى عليه من نفسه بقية فأين من هو تحت أمرها مأمور، و في سولتها مغلوب، و هي عنده محبوب و مشهياتها لديه مرغوب «وَالشِّرْكَ» أي والحال أن الشرك مطلقا «كُفِّرَ» ظاهره في الشريعة و باطنه في الحقيقة «مُبْعَدٌ مِنْ قُرْبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» كما قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا﴾ [الكهف، السورة: ١٠، الآية: ١١]

و كيف لا « وَ هُوَ صِفَةُ الْعَدُوِّ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ وَ » صفة « الْمُتَافِقِينَ الْمُقْطُوعِ لَهُمْ بِالدَّوْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ » المقطوع « بِالْخُلُودِ فِيهَا » فإذا غضب الولي على ذلك المدعى الكاذب « ف » ربما « يَجْرِي عَلَى لِسَانِ » ذلك « الْوَلِيِّ » الَّذِي أَخَذَتْهُ الْغِيْرَةُ الدِّينِيَّةُ « ذَكَرُ عَيْبِهِ وَ أَفْعَالِهِ الْخَبِيْثَةِ وَ وَقَاحَتِهِ » أي عدم استحيائه ففي القاموس وقح الرجل ككُرم و فرح و وعد وقاحة و وقوحة و قحة و قحة و وقحا قَلَّ حياءه « بِعَرِيْضٍ دَعَاوِيْهِ » أي كثرة دعواه في الحلم والمروءة والصبر والمشيخة و غُلُوْ الهمة و نحو ذلك « وَ إِدْعَائِهِ أَحْوَالَ الصِّدِّيقِينَ » في الاشتغال بالله والإعراض عما سواه تعالى « وَ مَرَاتِحِهِ لِلْفَانِينَ فِي قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَ فِعْلِهِ وَ الْمُرَادِينَ » لله تعالى أي دخوله فيهم بالشدة بمجرد الدعوى « جَزِيًّا قَصْدِيًّا » على وجهين « عَلَى وَجْهِ الْغِيْرَةِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ » من غير ملاحظة صلاحه « مَرَّةً، وَ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ وَ الْوَعْظِ » والنصيحة إصلاحاً « لَهُ » مرة « أُخْرَى وَ » جريانا غير قصدي و اختياري « عَلَى وَجْهِ الْغَلْبَةِ بِفِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ إِرَادَتِهِ وَ شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَى الْكُذَّابِ » كثير الكذب « الْمُكْذِبِ » ظاهر الكذب مرة « أُخْرَى » يعني أجرى الله تعالى على لسان وليه ذكر عيوب الكذاب في محبة الله تعالى إما بتوسط قصد ذلك الولي في ذلك الذكر لمجرد الغيرة الدينية أو مع قصد صلاحه أيضًا.

و إما بغير توسط قصده بل بمجرد إظهار إرادته افتضاحه، و غضبه افتخاره « فِيضَافٌ » بحسب الظاهر بسبب ذلك الجريان القصدي غيرة و إصلاحاً، أو المغلوبى « إِلَى وَلِيِّ اللَّهِ تَعَالَى غِيْبَةً فَ » يشكل ذلك و « يُقَالُ » كيف يصح من ولي الله تعالى إظهار عيوب الخلائق « أَيْ عَتَابُ الْوَلِيِّ وَ هُوَ » أي والحال أنه « يَمْتَنِعُ مِنْهَا أَوْ يَذْكُرُ » ولي الله الشخص « الْعَائِبِ أَوِ الْحَاضِرِ بِمَا لَمْ يَظْهَرْ عِنْدَ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ » من أوصافه و عيوبه « فَيَصِيْرُ » أي يعود « ذَلِكَ الْإِنْكَارُ » الصادر من الخلائق في حق ذلك الولي « فِي حَقِّهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ » تعالى في حق الخمر والميسر:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ طُلُّ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ز وَ اِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢، الآية: ٢١٩]

و إنما كان مثله لأن الغيبة قبيحة منهية في الشرع فإنكاره حسن لكن لما كان

ذلك الإنكار على فعل الولي المطلع على خبث باطن الكذاب الصادر منه غيرة و إصلاحاً أو مغلوباً بالقدر يكون قبيحاً «فَهَذَا» الإنكار «في الظاهر إنكارُ الْمُنْكَرِ» الشرعي، و هي الغيبة و هو حسن «و في الباطن إسقاطُ الرَّبِّ وَالْإِعْتِرَاضُ عَلَيْهِ» تعالى لأنه تعالى أجرى على لسان وليه بواسطة قصده أو بدونه لغرض صحيح فهو من الله بلسان ولي الله فلا اعتراض على هذا الفعل اعتراض على الله تعالى، والاعتراض على الله موجب لسخط الله «فَيَصِيرُ حَالُهُ» أي حال ذلك المدعي الكذاب «الْحَيِيزَةُ» بالافتضاح لدى الخاص والعام.

و هذه الجملة هنا أجنبية كأنه وقع من الناسخ بأن يكون في الأصل المنقول عنه تركاً مُوجَّهاً بعد قوله: "لا الاعتراض على الرب عزَّ وَّ جَلَّ" فكتبه الكاتب سهواً و غلطاً ههنا و يكون بعد قوله: "والاعتراض عليه" تعالى قوله:

«فَيَكُونُ فَرْضُهُمْ» أي لما ظهر أن ما جرى على لسان ولي الله من ذكر معائب ذلك المدعي الكاذب حق، والاعتراض عليه اعتراض على الله فما صح ظن الخلق بولي الله أن ذلك غيبة منه فيكون الفرض عليهم «فِيهَا» أي فيما جرى على لسان ولي الله «السُّكُوتُ وَالتَّسْلِيمُ وَ طَلَبُ الْمَسَاحِ» أي الجواز «لِذَلِكَ فِي الشَّرْعِ وَالْجَوَازِ» فإن ذلك مقتضى الظن بأولياء الله تعالى، فإنهم محفوظون عن الغيبة بريئون عن التهمة «لَا الْإِعْتِرَاضُ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ» فإنه موجب لإسقاطه، و إسقاطه موجب لانتقامه، و انتقامه موجب لهلاك من انتقم منه. و كان ينبغي ههنا قوله: «فَيَصِيرُ حَالُهُ» أي لما فضحه الله تعالى على لسان وليه على رؤوس الخلائق فيصير حاله «الْحَيِيزَةُ» «لِ» ظهور «إِفْتِرَائِهِ وَ كَذِبِهِ» فيما أخبر عن علوِّ حاله كما افترض المنافقون والكافرون بلسان نبيه فتحيروا في أمرهم ماذا يفعلون «و قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ» المذكور من جريان عيوب ذلك المدعي الكاذب على لسان وليه «سَبَبًا لِإِقْلَاعِهِ وَ تَبَرُّيهِ عَنْ ذَلِكَ الدَّعْوَى الْكَاذِبِ وَ تَوْبَتِهِ وَ رُجُوعِهِ عَنْ جَهْلِهِ» بذلك الدعوى و حيرته بعد افتضاحه «فَيَكُونُ» ذكر الولي عيوبه «كَرَامَةً لِلْوَلِيِّ وَ نَفْعًا» لذلك «الْمُغْرُورِ الْهَالِكِ بِغُرُورِهِ وَ رُغْوَتِهِ» و حماقته

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور، السورة: ٢٤، الآية: ٤٦]

الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالسَّبْعُونَ

في مَا يَنْظُرُ الْعَاقِلُ فِي صِفَةِ نَفْسِهِ وَتَرْكِيْبِهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ: أَوَّلُ مَا يَنْظُرُ الْعَاقِلُ فِي صِفَةِ نَفْسِهِ وَتَرْكِيْبِهِ ثُمَّ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُبْدَعَاتِ فَيَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى خَالِقِهَا وَمُبْدِعِهَا؛ لِأَنَّ فِي الصَّنْعَةِ دَلَالَةً عَلَى الصَّانِعِ وَفِي الْقُدْرَةِ الْمَحْكَمَةِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ الْحَكِيمِ؛ فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ بِهِ تَعَالَى، هَذَا فِي مَعْنَى مَا ذَكَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾

[الجاثية، السورة: ٤٥، الآية: ١٣]

أَيُّ الْكُلِّ مِنْهُ، فَقَالَ: فِي كُلِّ شَيْءٍ إِسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتُهُ وَفَعَالُهُ وَبَاطِنٌ بِقُدْرَتِهِ وَظَاهِرٌ بِحِكْمَتِهِ ظَهَرَ بِصِفَاتِهِ وَبَطَنَ بِذَاتِهِ حَجَبَ الدَّاتِ بِالصِّفَاتِ وَحَجَبَ الصِّفَاتِ بِالْأَفْعَالِ وَكَشَفَ الْعِلْمَ بِالْإِرَادَةِ وَأَظْهَرَ الْإِرَادَةَ بِالْحَرَكَاتِ وَأَخْفَى الصَّنْعَ بِالْإِرَادَاتِ وَهُوَ بَاطِنٌ فِي غَيْبِهِ وَظَاهِرٌ فِي حِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الشورى، السورة: ٤٢، الآية: ١١]

وَلَقَدْ أَظْهَرَ فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ أَسْرَارِ الْمَعْرِفَةِ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا مِنْ مُشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ هِيَ أَثَرُ رَفْعِ يَدِ الْعِصْمَةِ بِإِثْنِهَالِ. أَللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي

«الدِّينَ وَعَلِمَهُ النَّارِ إِلَ. أَكَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى بِرَكَاتِهِمْ وَحَشَرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ.»

ثم أراد الغوث الأعظم قدس الله سره العزيز أن يبين الإشارة إلى طريق كيفية الفناء في الله تعالى والبقاء به ف «قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:»

«قِيلَ أَوَّلُ مَا» أي أول حين «يُنْظَرُ الْعَاقِلُ فِي صِفَةِ نَفْسِهِ وَتَرْكِيْبِهِ ثُمَّ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُبْدَعَاتِ فَيَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى خَالِقِهَا وَ مُبْدِعِهَا، لِأَنَّ فِي الصَّنْعَةِ دَلَالَةً عَلَى الصَّانِعِ وَ فِي الْقُدْرَةِ الْمُحْكَمَةِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ بِه تَعَالَى» ليس لها في ذاتها وجود بل اذا تعمق النظر الصائب يعرف أن الأشياء لم يشم رائحة الوجود، وأن الوجود هو جزئي حقيقي ليس فيه تعدد ولا اشتراك، وإنما يرى الأشياء موجودة بمعنى أن لها نسبة إلى حضرة الوجود مجهول الكيفية على وجوه مختلفة وأنحاء شتى، وفي قوله قدس سره: «إِنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا موجودة به تعالى» إشارة إلى ما ذكرنا فتأمل، وإليه يشير قوله تعالى:

﴿سَرَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ الْحَقُّ ط أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ط أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [حم السجدة، السورة: ٤١، الآية: ٥٣، ٥٤]

وفي هذه الآية الكريمة لأرباب الإشارة كلام يدل على علوِّ حالٍ و سُنُوِّ مقامٍ، وهم حملوا الإحاطة على الإحاطة الذاتية، وحملها أرباب العلم على الإحاطة العلمية كما ورد مفسرا في آية أخرى:

﴿وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. [الطلاق، السورة: ٦٥، الآية: ١٢]

«هَذَا» الَّذِي ذكرنا من طريق الاستدلال بالنظر العاقل في صفة نفسه و تركيبه ثم في جميع المخلوقات «فِي مَعْنَى مَا ذُكِرَ» و يستفاد ما نقل «عَنِ» عبدالله «ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى:»

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. «وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمُوتِ وَ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ» ط إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَا يَتَّيَّنُ لِقَوْمٍ يُفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾. [الجاثية، السورة: ٤٥، الآية: ١٢، ١٣]

فقوله: "منه" حال من ما أي سخر هذه الأشياء جميعا كائنة من الله تعالى، أو خبر لمحدوف أي هي جميعا منه تعالى كذا في البيضاوي، وإليه أشار الغوث الأعظم بقوله: «أَيُّ الْكُلِّ مِنْهُ» فهو موجد الكل ومُظْهِرُه من كتم العدم إلى ساحة الوجود وفضاء الشهود وأعطى من شاء منهم عزَّ الحضور بغاية السرور برش النور «فَقَالَ» ابن عباس: «فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ» أي ظهور اسم من أسمائه فلا يخلو ذرة من ذرات العالم من ظهور اسم من أسمائه الحسنی. وذلك لأن الله تعالى خلق الأشياء فجعل جميعها مَظْهَر اسم الله والخالق والقادر والمَلِك والمَلِك العليم والمريد والبارئ والرب، فإن الله تعالى إله الكل وخالقه والقادر ومَلِكُه ومَالِكُه ومريده وبارئه ورَبُّه، وكذا العالي والمتعالي والمتكبر والخبير والمبدي والمعيد والقيوم والعظيم والكبير والعليّ والحفيظ والحكيم فإن العالم كله بجميع أجزائه مالوّهة ومخلوقة ومقدورة ومَلِكُه ومملوكه ومعلومه ومراده ومربوبه وكذا علوه وتعالیه وتكبره ظاهر على الكل، وكذا أثر الإبداء والإعادة والقِيُومِيَّة ظاهري في الكل.

و أما باقي الأسماء فأثرها وإن لم يظهر في جميع الأشياء لكن بعض الأشياء مَظْهَر لبعض الأسماء وبعضها مَظْهَر لبعضها، فإن الانبياء وأمههم الصالحين مظهر اسم الهادي والشياطين والجن والإنس الكفرة مظهر اسم المضل. وبعض من الكل مظهر المِعْز والمذل، وبعضها مظهر الغنيّ والمغني، وكذا اللطف والقهر والعفو والانتقام والجبارية والقهارية والرحمانية والغفارية يوجد بعضها في بعض وبعضها في بعض آخر، وبالجملة لا يخلو شيء منها عن ظهور اسم من أسمائه العظام هذا بحسب الشريعة. وأما بحسب الحقيقة على ما ذكره أرباب الكشف والعيان فهو أن الله تجلّى في جميع الأشياء بحسب ذاته وأسمائه، فإن جميع الكمالات التابعة للوجود مثل الحياة والقدرة والإرادة والعلم يظهر حيث ما يظهر الوجود كما لا ونقصاً وخصّ البعض البعض باعتبار غلبة ظهوره فيه من غيره كما أن الأجسام الطبيعية كلها مركب من العناصر الأربعة وتخصيص البعض بالنارية أو بالهوائية أو بالمائية

أو بالطينية باعتبار غلبة ذلك العنصر فيه و توجه الكل إلى الله تعالى باعتبار ذلك الاسم الَّذِي هو في تربيته كما قال تعالى :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. [بنى اسرائيل،

السورة: ١٧، الآية: ٤٤]

وقال تعالى:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ ضُفًى ط كُلُّ قَدْ عَلِمَ

صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ. [النور، السورة: ٢٤، الآية: ٤١١]

و صرح بعضهم أن ذلك العلم قد انكشف لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: "أَلَمْ تَرَ" فإن المستفاد من هاتين الآيتين ظهور الحيوة والعلم والقدرة والإرادة و غير ذلك في جميع الأشياء لكن على قدر قابليتها، والإنسان الكامل تجلى الله تعالى فيه بذاته و جميع صفاته و لذا صار عارفا بجميع أسمائه و صار خليفة لله تعالى كما قال تعالى في حق آدم أبي البشر عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

[البقرة، السورة: ٢، الآية: ٣٠]

«وَإِسْمُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ إِسْمِهِ» أما في ظاهر الشريعة فلأن الأسماء كلها توقيفية كما هو مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الألفاظ و بتلك المعاني، و بأن تلك الألفاظ لتلك المعاني بدليل قوله تعالى :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. [البقرة، السورة: ٢، الآية: ٣١]

وبقوله:

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾. [البقرة، السورة: ٢، الآية: ٣٢]

و هذا صريح في أن آدم عليه السلام والملائكة لا يعلمون إلا بتعليم الله تعالى إياهم. وأجاب المخالفين في ذلك بأنه عدول عن الظاهر من غير ضرورة، و كان الله تعالى علم مع ذلك صفات الأشياء و نعوتها و خواصها و ما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية، لأن اشتقاق الاسم من السمة أو من السمو، فإن كان من السمة

فالاسم هو العلامة و صفات الأشياء و خواصها دالة على ماهيتها و علامة عليها، و إن كان من السمو فدلّيل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء؛ لأن العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول، و إنما حملنا على ذلك التعميم، لأن الفضيلة في معرفة حقائق الأشياء أتم و أكثر من الفضيلة في معرفة مجرد أسمائها.

و أما بحسب التصوف فلأن أسماء الله تعالى كليات و جزئياتها لا تنحصر فكما أن ذوات الأشياء و صفاتها من ذاته المقدسة و صفاته الكاملة كذلك اسم كل شيء من أسمائه الحسنی على أن كل اسم فإنما يركب من الحروف الثمانية والعشرين و هذه الحروف أخذتها أسماء الله تعالى قبل ظهور تسمية الأشياء.

«فَإِنَّمَا أَنْتَ بِبَيْنِ أَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ أَفْعَالِهِ» أي إذا علمت من قولنا: «في كل شيء اسم من أسمائه» أن ظهور جميع الأشياء منه تعالى و هو متجلي فيه ذاتا و صفة و فعلا و اسما ظَهَرَ لك أنك لست إلا بين هذه التجليات، فإن العالم لا يخلو من هذه التجليات الثلاثة، فإن أول ما يظهر من التجلي للسالك تجلي طريق الأفعال، و هو أن لا يرى في العالم إلا فعل الله، و لا مؤثر في الوجود غير الله تعالى، و هو أول فتوحات السالكين. و ثانيها: تجلي الصفات و هو أن يرى كل قدرة مستغرقا في قدرته الشاملة، و كل علم مضمحلاً في علمه الكامل بل يرى كل كمال لمعة من عكس كماله. و ثالثها: تجلي الذات و هنا تنمحي الإشارة و تنطمس العبارة بل فيه محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود و حينئذ يقال: لا موجود إلا الله فظهر حقيقة قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فإنما أنت بين اسمائه و صفاته و أفعاله «بَاطِنٌ بِقُدْرَتِهِ» أي يظهر عليك هذه التجليات.^(١) الثلث، و أنت تتقلب فيها عروجا و

(١) و من كلام صاحب هذه المرتبة يعني مرتبة الفناء في الله و البقاء به وَلَدَتْ أُمِّي أَبَاهَا أَنْ ذَا مِنْ عَجَبَاتٍ وَ أَنَا طِفْلٌ صَغِيرٌ فِي حُجُورِ الْمَرْضَعَاتِ، و تفسيره أن المراد بالولادة ظهور العالم، و من الأم الأعيان الثابتة، و من الأب الوجود، و من أنا العالم، و من المرضعات الأسماء الإلهية و إليه أشار من قال:

وجود هست پدر عین ثابته ما در
جهان شناس چو فرزند و دایکان اسماء

نزولا و ثباتا و فرارا و صيرك باطنا بقدرته، فإن القدرة من الصفات و حين ظهور تجلي الصفات يصير العبد مستورا تحتها لا تأثير لك و لا اثر منا أصلا « وَ ظَاهِرٌ بِحِكْمَتِهِ » حيث يجري الأحكام الشرعية عليك فالخلق من الله تعالى، والكسب ينسب إليك « ظَهَرَ » هو تعالى فيك « بِصِفَاتِهِ » فإنها بحسب الظاهر جارية على يدك « وَ بَطْنٌ » فيك « بِذَاتِهِ » فالمؤثر والموجد والخالق هو الله سبحانه، وإليه يشير قوله تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. [الأنفال، السورة: ٨، الآية: ١٧]

« حَجَبَ الذَّاتِ بِالصِّفَاتِ » فمن ظهر عليه تجلي الصفات فهو أيضا محجوب عن الذات، فإن من ظهر عليه تجلي الذات أقل قليل « وَ حَجَبَ الصِّفَاتِ بِالْأَفْعَالِ » فمن ظهر عليه تجلي الأفعال فهو لا يرى إلا الأفعال من الله تعالى محجوب عن تجلي الصفات و هؤلاء أيضا قليلون، و من كشف له تجلي الأفعال فهم كثيرون بالنسبة إلى الوسطاني و قليلون بالنسبة إلى الأفراد الإنساني « وَ كَشَفَ الْعِلْمَ » الَّذِي هُوَ مِنَ الصِّفَاتِ « بِالْإِرَادَةِ » التي هي من الأفعال، فإن الأفعال كما قال أولا حُجِبَ الصِّفَاتِ « وَ أَظْهَرَ الْإِرَادَةَ » التي هي من الأفعال « بِالْحَرَكَاتِ » أي حركات الخلائق التي هي من الآثار و آثار الآثار « وَ أَخْفَى الصَّنْعَ » الذاتي في الصفة السترة « بِالْإِرَادَاتِ » الجزئية التي هي من الأفعال « وَ هُوَ » تعالى « بَاطِنٌ فِي غَيْبِهِ » أي غيبة ذاته « وَ ظَاهِرٌ فِي حِكْمَتِهِ وَ قُدْرَتِهِ » اللتين الأول منهما من الأفعال، والثاني من الصفات. « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » إذ ليس لأحد هذه الصفات بأن يحجب ذاته بصفاته، و صفاته بأفعاله، و أفعاله بحركات الخلائق فلما لم يصلح شيء منها لغيره لا يكون أحد مثله « وَ هُوَ السَّمِيعُ » لمقالات الخلائق « الْبَصِيرُ » لأعمالهم.

إن خيرا يجازي خيرا أزيد مما عملوا أضعافا مضاعفة رحمة و فضلا، وإن شرا يجازى شرا إن شاء عدلا أو يعفو عنه رحمة و فضلا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل العظيم.

و لما كان كلام ابن عباس مُظْهِرًا لِإِسْرَارِ الْعُرْفَانِ عَلَى النَّاسِ و إن كان تحت

اللباس لكنه دافع للوسواس و مُحَصِّل للاستيناس و مَرُوح من شِدَّة البأس من رية التلبيس والإلباس من معاني يسمع من كلام الخواص أثنى عليه الغوث الأعظم، واستدل على ذلك بدعاء سيد العالم من أولاد بني آدم عليه الصلوة والسلام من الملك العلام فقال «وَلَقَدْ أَظْهَرَ» الله تعالى بكمال لطفه و فضله على العباد العرفاء «في هَذَا الْكَلَامِ» الصادر من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «مِنْ أَسْرَارِ الْمَعْرِفَةِ مَا» أي مرتبة «لَا يَظْهَرُ» مثله «إِلَّا مِنْ مَشْكُورَةٍ فِيهَا مُصْبَاحٌ» المراد به صدر فيه مصباح التائيد الإلهي التي «هِيَ أَثَرُ رَفْعِ يَدِ الْعِصْمَةِ» النبوية^(١) لأجل الدعاء في حقه «يَابِئْتِهَالٍ» و توجه بال بأفصح مقال قائلًا.

«اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوَاتُلَ»^(٢).

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل الخلاء فوضعتُ له وَضُوءٌ فلما خرج قال مَنْ وضع هذا؟ فأخبر، فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» «أَنَا لَنَا اللهُ تَعَالَى» و أوصلنا «بَرَكَاتِهِمْ وَ حَشَرْنَا» و أدخلنا «فِي رُؤُوسِهِمْ».

(١) صفة اليد، من الشارح

(٢) رواه البخاري برقم: ١٤٣، ومسلم برقم: ٢٤٧٧، وروى الإمام أحمد في المسند

الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالسَّبْعُونَ

في الوصية يتقوى الله تعالى و طاعته و لزوم ظاهر الشرع و بمحاسن الأخلاق و فيها بيان حقيقة الفقر و حقيقة الغنى و حقيقة التصوف

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ لُزُومِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَ بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ وَ سَخَاءِ النَّفْسِ وَ بَشَاشَةِ الْوَجْهِ وَ بِذَلِّ النَّدَى وَ كَفِّ الْأَذَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَ تَحْمِلِ الْأَذَى وَ الْفَقْرِ وَ حِفْظِ حُرْمَاتِ الْمَشَائِخِ وَ مُحْسِنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْإِخْوَانِ وَ التَّصَنُّعِ لِلْأَصَاغِرِ وَ تَرْكِ الْخُصُومَةِ فِي الْأَرْفَاقِ وَ مُلَازِمَةِ الْإِيقَارِ وَ مُجَانِبَةِ الْإِدْخَارِ وَ تَرْكِ صُحْبَةِ مَنْ لَيْسَ مِنْ طَبَقَتِهِمْ وَ الْمُعَاوَنَةِ فِي أَمْرِ الدِّينِ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ» في وصية له: «أَوْصِيكَ» يا عبدالله «بِتَقْوَى اللَّهِ» في كل حال «و لُزُومِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ» المحمدي المبلغ لك إلى ذروة الكمال، فإن الخير فيه في جميع الأحوال «و» أوصيك «بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ» عن الصفات الذميمة كلها من الحقد والحسد والمكر والغيبة والنميمة والكذب والافتراء والبهتان والحرص، و سلامة الصدر أصل عظيم عند المشايخ لفيضان الفيض «و سَخَاءِ النَّفْسِ» و يكفي في فضله ما رواه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ: السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، والجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل^(١) انتهى.

«وَبَشَاشَةِ الْوَجْهِ» وهو إظهار السرور عند الملاقاة بالإخوان والأحبة وهو مأثور و فيه أجر و في الأثر: تبسمك في وجه أخيك صدقة «و بِذَلِّ النَّدَى» أي

(١) رواه الترمذي في ابواب البر والصلة، باب ماجاء في السخاء، برقم: ١٩٦١.

العطية وهو ما ينتفع به الناس بل ذوي الأكباد قليلا كان أو كثيرا «وَكَفَّ الْأَذَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ» بأى وجه كان حتى عن الطريق كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مر رجل بُغِصَن شجرة على ظهر طريق فقال لَأَنْحِيَنَّ هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيه فادخل الجنة.^(١)

وفيها عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

غفر لأمرأة مؤمنة مرّت بكلب على رأس ركية يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من ماء فغفر لها بذلك، قيل: إن لنا في البهائم أجرا؟ قال في كل ذات كبد.^(٢)

«وَتَحْمَلِ الْأَذَى» والجفا من كل أحد حتى المرأة والولدان والأحبة والإخوان والإماء والغلمان وعن الأجانب والأقران «و» أوصيك «الْفَقْرُ» المراد به الاختياري قال رويم: حرمة الفقر في السر والإخفاء فمن كشف وأظهر مع الخلق فليس بفقير وليس في فقره كرامة.

وقد روى الترمذى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام نصف يوم.

«وَحَفِظْ حُرُمَاتِ الْمَشَائِخِ» فإن التواضع مطلقا نافع كما ورد: «من تواضع رفعه الله».

سيما مع الكبار والمشائخ فإنه مثمر للنتائج حتى ورد فيه:

«من لم يرحم صغارنا ولم يؤقره كبارنا فليس منا».

قال شيخ الشيوخ في العوارف، احترام العلماء توفيق وهداية، وإهمال ذلك خذلان وعقوبة. وأما الاعتراض نعوذ بالله من ذلك فهو موجب للحرمان عن العرفان ذكره جمع كثير من المشائخ الكرام حتى قيل: من ترك حرمة المشائخ ابتلى

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم: ١٩١٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه

بالدعاوى الكاذبة وافتضح بها. و قيل: من شغل مشغولا بالله أدركه المقت من ساعته. و قال رويم من أقران الجنيد: من قعد مع الصوفية و خالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه «وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْإِخْوَانِ» و هي عبارة عن البشر والانبساط والموافقة و بذل المعروف والإحسان و تحمل الأذى و ترك المخاصمة والمجادلة والاستهزاء والازدراء والمراحة والمغالبة والغيبة والوقية والنميمة والنقيصة «وَالْتَّصِيحَةُ لِلْأَصَاغِرِ» كالوالد بالشفقة والإرشاد والتأديب على ما يوجبه حكم المذهب و يدلّهم على ما فيه صلاحهم لا على ما يحبونه، و يجرهم عما لا يعينهم «وَتَرْكُ الْخُصُومَةِ فِي الْإِرْفَاقِ» أي ترك الخصومة مع الدين لا مع الشدة والإعراض بالخشونة إن قرئ بكسر الهمزة، و بمعنى العطاء والأخذ في المعاملات إن قرئ بفتحها «وَمُلَازِمَةُ الْإِثَارِ وَ مُجَانِبَةُ الْإِدْخَارِ».

نقل في العوارف عن أبي حفص أنه قال: الإيثار أن يقدم حظوظ الإخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخر، وأما عدم الادخار فيكفي فيه مارواه البيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل على بلال و عنده صبرة من تمر فقال: ما هذا يا بلال؟ قال شيء ادخرته لغد، فقال: أما تخشى أن ترى له غدا بخارا في نار جهنم يوم القيمة، أنفق يا بلال و لا تخش من ذي العرش إقلالا «وَتَرْكُ صُحْبَةِ مَنْ لَيْسَ مِنْ طَبَقَتِهِمْ»

قال العرفاء: ما أوقع العقلاء في البلاء إلا صحبة السفهاء. و قالوا: الشرف في ثلث: إجلال الكبير، و مداراة النظير، و رفع النفس عن الحقير.

و قالوا: الجلساء ثلاثة: جليس تستفيد منه فالزمه، و جليس تفيده فأكرمه، و جليس لا تستفيد منه و لا تفيده فاهرب منه.

و قيل: من يصحب صاحب سوء لم يسلم، و من يدخل مدخل سوء يُتَّهِم. و قيل: كل أحد يعرف بقرنائه و يُنسب إلى خلطائه. و قال فتح الموصلي: صحبت ثلثين شيخا كانوا يُعَدُّون جميعهم من الأبدال

كلهم أوصاني عند فراق إياهم، فقالوا: إياك ومعاشر الأحدث.
«وَالْمُعَاوَنَةُ فِي أَمْرِ الدِّينِ» فإن الصلحة غرضها الإفادة والاستفادة فينبغي أن
يراعى ذلك. قال الله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة، السورة: ٥، الآية: ٢]

وَحَقِيقَةُ الْفَقْرِ أَنَّ لَا تَفْتَقِرَ إِلَى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ، وَحَقِيقَةُ الْغِنَى
أَنْ تَسْتَغْنِيَ عَمَّنْ هُوَ مِثْلُكَ، وَالتَّصَوُّفُ مَا أُخِذَ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ
لَكِنْ بِالْجُوعِ وَتَرْكِ الدُّنْيَا وَقَطْعِ الْمُلُوفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ. وَلَا تَبْدَأِ
الْفَقِيرَ بِالْعِلْمِ وَابْدَأْهُ بِالرَّفْقِ فَإِنَّ الْعِلْمَ يُوجِشُهُ وَالرَّفْقَ يُؤْنِسُهُ.
وَالتَّصَوُّفُ مَبْنِيٌّ عَلَى ثَمَانٍ خِصَالٍ: الْكَسَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَ
الرِّضَاءُ لِإِسْحَاقَ، وَالصَّبْرُ لِإِيُوبَ، وَالْإِشَارَةُ لِزَكَرِيَّا، وَالْغُرْبَةُ
لِيَحْيَى، وَلُبْسُ الصُّوفِ لِمُوسَى، وَالسِّيَاحَةُ لِعِيسَى، وَالْفَقْرُ لِمُحَمَّدٍ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

«وَحَقِيقَةُ الْفَقْرِ أَنَّ لَا تَفْتَقِرَ إِلَى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ» في كونه مخلوقا بل توجه إلى
الخالق الَّذِي خَلَقَكَ وَخَلَقَ مِنْ تَفْتَقَرٍ إِلَيْهِ، وَتَرْجُو مِنْهُ وَتَخَافُ مِنْهُ وَهُوَ أَعْطَى مِنْ
تَرْجُوهُ فَافْتَقِرْ إِلَيْهِ كَيْلًا تَفْتَقِرَ إِلَى الْفَقِيرِ.

وفي الحديث: عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
مَنْ قَالَ فِي الْجُمُعَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ
عَمَّنْ سِوَاكَ، لَمْ يَمُرَّ بِهِ جُمُعَتَانِ حَتَّى يُغْنِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى.
قال غير أنس: فجر بته فوجدته كذلك.

«وَحَقِيقَةُ الْغِنَى أَنَّ تَسْتَغْنِيَ عَمَّنْ هُوَ مِثْلُكَ» في كونه مخلوقا فإن جميع ما سوى
الله تعالى مثلك في كونه مخلوقا لله فالاستغناء عنه استغناء بالمكُون عن الكونين.
«وَالتَّصَوُّفُ» هل تعرفه أنه «مَا أُخِذَ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ» فإن القيل والقيل

لا يبلغ الطالب إلى أرفع الأحوال بل اجتهد في الأعمال على وفق ذلك المقال الدال على أحسن الأحوال تبلغ إن شاء الله سبحانه مبلغ الكمل من الرجال «لَكِنْ بِالْجُوعِ» أي بالتزام الجوع «وَتَرْكِ الدُّنْيَا وَقَطْعِ الْمُلُوفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ».

سئل الشيخ الكامل أبو سعيد أبوالخير عن التصوف فقال: ضع ما في رأسك يعني الأنانية والنفسانية، وأنفق ما في يدك، وحمل ما يوضع عليك من غير إنكار وكرهية. وقال: ليس الحجاب بين الله وبين العبد السماء والأرض ولا العرش والكرسي إنما الحجاب ذاتك وعلمك بنفسك متى خرجت عنك وصلت «وَلَا تَبْدِلِ الْفَقِيرَ بِالْعَلِمِ» بأن تُفَسِّرَهُ وَتُبَيِّنَ عنده حقيقة الفقر و لوازمه بل «وَابْدَاهُ بِالرِّفْقِ» أي بحسن المعاملة بالخدمة والبشاشة والإعانة «فَإِنَّ الْعَلِمَ يُوحِشُهُ» إذ تجرى العادة على أن الامتحان مخل بالموده و موجب لقطع الألفة «وَالرِّفْقُ يُؤْنِسُهُ» إذ ليس في حسن المعاملة ما يوجب كدورة خاطر بل ما ينشرح به الصدر.

وفي حديث رواه مسلم: أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه.

وفي رواية: الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

وأيضاً في حديث رواه مسلم: من يحرم الرفق يحرم الخلق.

«وَالْتَصَوُّفُ مَبْنِيٌّ عَلَى ثَمَانِ خِصَالٍ» مأخوذة من أنبياء الله تعالى و رسله

صلوات الله تعالى عليهم أجمعين:

أولها: «السَّخَاءُ» أعطاه الله تعالى «لِ» خليله «إِبْرَاهِيمَ» عليه السلام حتى

تصدق جميع ماله في حالة كان له مع الله تعالى وكان لا يأكل إلا مع الضيف.

«وَالرِّضَاءُ» أعطاه الله تعالى «لِ» نبيه «إِسْحَاقَ» عليه

السلام، وذكر صاحب كشف المحجوب في وجهه أنه رضي بقضاء الله تعالى في ذبحه

و كأن هذا مبني على القول بأن الذبيح هو اسحاق عليه السلام.

«وَالصَّبْرُ» أعطاه الله تعالى «لِ» نبيه «يُؤُسَ» عليه السلام و

قصته مشهورة حتى قال تعالى:

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ط نِعْمَ الْعَبْدُ ط﴾ [ص، السورة: ٣٨، الآية: ٤٤]
 «و» رابعها: «الْإِشَارَةُ» أعطاه الله تعالى «لِ» نبيه «زَكَرِيَّا» عليه السلام،
 فإنه لما طلب الولد من الله تعالى بشره الله تعالى به فطلب آيةً على ذلك فأعطاه الله آية
 أن لا يقدر على التكلم ثلاثة أيام بل يرمز رمزا كما ذكر في القرآن:
 ﴿إِنَّكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾. [آل عمران، السورة: ٣،
 الآية: ٤١]

والرمز: الإشارة الخفية.

«و» خامسها: «الْعُرْبَةُ» أي العزلة عن النساء أعطاه الله تعالى «لِ» نبيه
 «يَحْيَى» عليه السلام كما وصفه الله تعالى في القرآن
 ﴿وَ حَصُورًا أَوْ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. [آل عمران، السورة: ٣، الآية: ٣٩]
 والحصور من يعتزل النساء مع القدرة عليها و كان في وطنه غريبا و في
 الأقارب أجنبيا لأنسه بالحق تعالى و وحشته عن الخلق.
 «و» سادسها: «لُبْسُ الصُّوفِ» أعطاه الله تعالى «لِ» كليمه «مُوسَى»
 عليه السلام فإن ذلك كان لباسه مدة عمره.

«و» سابعها: «الْسِّيَاحَةُ» أعطاه الله «لِ» روحه «عِيسَى» عليه السلام
 فإنه ليس له مسكن معين و لا مأوى معين يسبح في الأرض القفر، و لا يدخل
 البلدان إلا أحيانا لإصلاحا للخلق.
 «و» ثامنها: «الْفَقْرُ» أعطاه الله تعالى «لِ» حبيبه «مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ».

روي أنه يأتي عليه شهر و شهران لم توقد في بيت من بيوته نار و كان غذاءهم
 الماء والتمر، و مع ذلك يقول الفقر فخري. و أن الله تعالى خير بين أن يكون نبيا
 ملكا و بين أن يكون نبيا فقيرا فاختار أن يكون نبيا فقيرا.

الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالسَّبْعُونَ

فِي الْوَصِيَّةِ فِي الصُّعْبَةِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ بِالتَّعَزُّزِ وَمَعَ الْفُقَرَاءِ بِالتَّذَلُّلِ
وَ كَيْفِيَةِ السُّلُوكِ فِي الْمُبْدَأِ وَالْمَعَادِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْصِيكَ أَنْ تَصْحَبَ الْأَغْنِيَاءَ بِالتَّعَزُّزِ وَ
الْفُقَرَاءَ بِالتَّذَلُّلِ وَ عَلَيْكَ بِالتَّذَلُّلِ وَالْإِخْلَاصِ وَهُوَ دَوَامٌ وَ رُؤْيَا
الْخَالِقِ، وَ لَا تَتَّهِمِ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي الْأَسْبَابِ وَ تَمَسَّكَنَّ إِلَيْهِ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ وَ لَا تُضَيِّعْ حَقَّ أَخِيكَ إِيكَالًا عَلَى مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَكَ مِنَ الْمَوَدَّةِ.
وَ عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ الْفُقَرَاءِ بِالتَّوَاضُّعِ وَ حُسْنِ الْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ، وَ
أَمِتْ نَفْسَكَ حَتَّى تَحْيَا

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَوْصِيكَ» يَا طَالِبُ الْحَقِّ «أَنْ تَصْحَبَ الْأَغْنِيَاءَ»
إِنْ اتَّفَقَ لَكَ صَحْبَتُهُمْ «بِالتَّعَزُّزِ» أَيِ جَعَلَ ذَاتَكَ مَعَزَا عَلَيْهِمْ وَ مَكْرَمًا، وَ ذَلِكَ
بِرَفْعِ الْحَاجَةِ عَنْهُمْ، وَ تَرْكِ التَّذَلُّلِ لَهُمْ بِقَطْعِ الْأَمَلِ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ، وَ إِخْرَاجِ جَمِيعِهِمْ
مِنْ قَلْبِكَ، وَ تَرْكِ الطَّمَعِ فِيهِمْ، وَ حِفْظِ دِينِكَ مِنَ التَّصَنُّعِ لَهُمْ لِنَوَالِهِمْ إِذْ قَدْ وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ: «مَنْ تَصَنَعَ لَغْنِي لَأَجَلَ مَا فِي يَدِهِ ذَهَبَ ثَلَاثًا دِينَهُ» «وَ» أَنْ تَصْحَبَ
«الْفُقَرَاءَ بِالتَّذَلُّلِ» وَالتَّوَاضُّعِ وَالتَّرَاحُمِ فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَصَاحِبَهُمْ بِالْخِدْمَةِ وَ
إِيْثَارِهِمْ وَ تَقْدِيمِهِمْ عَلَى نَفْسِكَ فِي الْمَأْكُولِ وَ الْمَشْرُوبِ وَ الْمَلْبُوسِ، وَ تَرَى نَفْسَكَ
دُونَهُمْ وَ لَا تَرَى لَهَا عَلَيْهِمْ فَضْلًا وَ مَنْهً بَشِيءً مِنَ الْأَشْيَاءِ الْبِتَّةِ بَلْ اجْعَلِ الْمَنَّةَ مِنْهُمْ
عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَنَّةَ لَمَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ الْعَطِيَّةَ إِذْ أَدْخَلَكَ فِي قَبُولِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ مَضَاعِفَةِ
أَجْرِكَ لَا لَكَ، فَإِنْ رُؤْيَا الْفَعْلَ مِنَ النَّفْسِ عَجَبٌ وَ شَرَكٌ خَفِي.

«وَ عَلَيْكَ بِالتَّذَلُّلِ وَالْإِخْلَاصِ» مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَ مَعَ خَلْقِهِ «وَ» مَنْشَأُهُ
«هُوَ دَوَامٌ رُؤْيَا الْخَالِقِ وَ لَا تَتَّهِمِ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي الْأَسْبَابِ» بِأَنْ تَعْتَقِدَ هَامُوثَرَاتِ

بالذات دون الله تعالى، فإن فيه تهمة لله تعالى لأنه خلاف الواقع، فإن المؤثر الحقيقي هو الله عزَّ وَّجلَّ «وَتَمْسُكُنَّ» أي كن مسكينا ففي القاموس: سَكَنَ وَتَسَكَّنَ وَتَمَسَّكَنَ صار مسكينا، والمراد هنا: القرار بالغربة والتذلل بالمسكنة «إِلَيْهِ» تعالى «في كُلِّ الْأَحْوَالِ» من السراء والضراء لا أشرا ولا بطرا في الأولى، و شاكيا و بغیضا في الثانية، أو لا متكبرا فخارا في الأولى، ومحتاجا إلى الناس في الثانية بل توجه إلى الله تعالى في جميع الأحوال شكرا و تواضعا في الأولى، و ذُلًّا و احتیاجا إليه في الثانية «وَلَا تُضَيِّعْ حَقَّ أَحْيِكَ إِيَّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ مِنَ الْمُؤَدَّةِ» بأن لا تُراعي حاله، و لا تُحَفِّظْ ما يجب حفظه، و لا تدفع عنه عيبه و تهتك حرمة، و لا تطلبه في الخلوات والمجالس والمطاعم و تتركه في العطيات و إن كان المودة تسقط الأداب والتكلفات حتى اشتهر أنه إذا حصلت الألفة بطلت الكلفة.

«وَعَلَيْكَ بِصُحْبَةِ الْفُقَرَاءِ بِالتَّوَاضُّعِ وَحُسْنِ الْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ» و من الأداب أن لا تحوجهم إلى مسألتك، و إن اتفق فاستقرض الفقير منك شيئا فتقرضه في الظاهر ثم تبرئه منه في الباطن «وَأَمِثْ نَفْسَكَ» يا طالب الحق و مرید الاستغناء عن الخلق إماتة فانية عن جميع مراداتها المردية و أهْوِ يَتَهَا المهلكة «حَتَّى تَحْيَا» بالحياة الأبدية، فإن الله تعالى أجرى العادة بأن يحيى بعد الإماتة فالإماتة شرط الإحياء.

وَأَقْرَبُ الْخُلُقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَوْسَعُهُمْ خُلُقًا، وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ رِعَايَةُ السِّرِّ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى. وَعَلَيْكَ بِالتَّوَاضُّعِ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ وَحَسْبُكَ صُحْبَةُ فَقِيرٍ وَخِدْمَةُ وَلِيٍّ. وَالْفَقِيرُ هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَعِينُ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ. وَإِيَّاكَ وَرِعْوَةَ النَّفْسِ الصَّوْلَةُ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ ضَعْفٌ وَعَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَحْتُ. وَعَلَى مَنْ هُوَ مِثْلَكَ سُوءُ خُلُقٍ، الْفَقْرُ وَالتَّصَوُّفُ كُلُّهُ جِدٌّ لَا تُخَالِطُهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الْهَزْلِ. يَا وَلِيَّيَّ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ لِلْخَيْرِ جَامِعٌ. وَعَلَيْكَ بِالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لِلْمَصَارِ دَافِعٌ. وَعَلَيْكَ بِالتَّأَهُبِ لِلتَّلَاقِ

مَوَارِدِ الْقَضَاءِ بِالرِّضَا فَإِنَّهُ وَاقِعٌ وَالرِّضَا نَافِعٌ.
وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ فَاشْتَغِلْ بِمَا هُوَ
أَوَّلَى فِي الْوَقْتِ وَإِيَّاكَ وَفُضُولَ تَصَرُّفَاتِ الْجَوَارِحِ. وَعَلَيْكَ بِطَاعَةِ
اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَمَنْ وَلَّى اللَّهَ وَادَّ إِلَيْهِ حَقَّهُ وَلَا تَظْلُبُهُ بِمَا يَجِبُ
عَلَيْهِ وَادْعُ فِي كُلِّ حَالٍ.

«وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَوْسَعُهُمْ خُلُقًا» وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا». «وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ رِعَايَةُ السِّرِّ»، أي الباطن «عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى» فلا يكون في باطنك توجه إلى غيره تعالى بل خطوره.
«وَعَلَيْكَ بِالتَّوَاصِي» أي الوصية «بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ» كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ أي جنسه ﴿لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. [العصر، السورة: ١٠٣، الآية: ١، ٢، ٣]
الحق: هو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله وحسن الخلق وحسن المعاملة. والصبر: إما عن المعاصي وإما على الطاعات، وعلى ما يبلى به الله عباده. أقسم الله تعالى بصلوة العصر أو بعصر نبيه وحببه صلى الله عليه وسلم.
«وَحَسْبُكَ» أي يكفيك في تحصيل الترقى من جهل النفس ونكرتها إلى ذروة العلم والعرفان «صُحْبَةُ فَقِيرٍ» من فقراء الله تعالى «وَعِدْمَةُ وَلِيٍّ» من أولياء الله تعالى «وَالْفَقِيرُ» عند الصوفية «هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَعِينِي بِشَيْءٍ دُونِ اللَّهِ» فإذا صحبت من انقطع عن الكل إلى الله تعالى أثر فيك انقطاعه وجذبك إلى الانقطاع فتقطع أنت أيضًا مما سوى الله تعالى، وهو أعلى المراتب الذي لا أعلى منه. والولي: هو العارف الكامل المعرض عن الدنيا والانهماك في اللذات والشهوات، المشتغل بذكر الله تعالى، المنهمك فيه، المستغرق في تفكير آلائه وصفاته.

«وَاِيَّاكَ وَرَعُونَةَ النَّفْسِ» فإنهم قالوا «الصَّوْلَةُ» أي الجرأة و الشدة و الغضب والتكبر والافتخار «عَلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ» في الظاهر والباطن كليهما أو في أحدهما «ضَعْفٌ» أي ضعف العقل فإن التحمل من الأصاغر شأن الأكابر «و» الصولة «عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ» في الدرجة الدينية أو الدنياوية كليهما أو أحدهما «فَحْتُ». واعلم أنه اختلفت النسخ في هذا اللفظ والذي يناسب المقام أدنى مناسبة هو الفحت بالفاء والحاء المهملة والتاء المثناة الفوقية، أو الماحت بالميم مكان الفاء كلاهما بمعنى الشدة و يحمل الشدة على نفسه، فإن من كان فوقه لا يتضرر به بل ضرر تلك الشدة يعود إلى نفسه فيكون الصولة على من هو فوقك شدة على نفسك. «و» الصولة «عَلَى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ سُوءُ خُلُقٍ، أَلْفَقْرُ وَالتَّصَوُّفُ كُلُّهُ جِدٌّ» أي قصد إلى مقصود، و طلب إلى مطلوب بالاشتغال بما يوصل إليه «لَا تُخَالِطُهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الْهَزْلِ» فإن الهزل نقيض الجد والهازل بطلال. «يَا وَلِيَّتِي» بمعنى يا محبي «عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ» أي استمسك به و "عليك" اسم فعل إذا كان متعلقه بالباء يكون بمعنى استمسك لا بمعنى الزم كما هو المشهور، فإنه إنما يكون بمعناه إذا كان بدون الباء صرح به مولانا بدر الدين الدماميني في مطول المغني معترضا على المشهور بأن الزم متعد بنفسه و حمل الباء على التقوية لا يلايم، والمعنى: يا محبي استمسك بذكر الله تعالى «عَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ لِلْخَيْرِ جَامِعٌ» كما ورد في الأحاديث، فمنها: ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب والورق و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضر بوا أعناقكم قالوا: بلى قال ذكر الله.

و منها ما ورد: أفضل الأعمال أن تفارق الدنيا و لسانك رطب من ذكر الله.

و منها ما ورد: تفضل الذكر على النفقة في سبيل سبع مائة الف.

«وَعَلَيْكَ بِالْإِعْتَصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ» كما قال:

﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. [آل عمران، السورة: ٣،

و كما قال عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. [آل عمران، السورة: ٣، الآية: ١٠٣]
وهو اتباع شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم «فَإِنَّهُ لِلْمَضَارِ» الدنيوية
والأخروية «دافع».

«وَعَلَيْكَ بِالتَّهَبِ» والاستعداد «لِلتَّلَقِّي مَوَارِدِ الْقَضَاءِ بِالرِّضَا فَإِنَّهُ» أي
قضاء الَّذِي قضى الله تعالى في سابقة علمه «وَأَقِ» البتة ليس له دافع سواء رضي
العبد أو لم يرضه «وَالرِّضَا» لذلك القضا «تَأْفِغُ» لذلك العبد المقضي له بالقضاء
أي قضاء كان كما ورد فمن رضي فله الرضاء، ومن سخط فله السخط.

«وَأَعْلَمَ» أيها الطالب لأَعْلَى المطالب، و أيها السالك في أحسن المسالك
أنك ما خلقت لَلْهَوِ وَلَعِبٍ وَلَا تُتْرَكُ مُهْمَلًا بَلْ «أَنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ حَرَكَاتِكَ وَ
سَكَنَاتِكَ» فيما أفنيت عمرك «فَاشْتَغِلْ بِمَا هُوَ أَوْلَى» لك «فِي الْوَقْتِ» الحاضر
الحاصل لديك فَإِنْ مَا فَاتَكَ مَضَى وَمَا سَيَاتِيكَ فَأَيْنَ، فَاعْتَنِمِ الْفُرْصَةَ بَيْنَ الْعَدَمَيْنِ.

«وَإِيَّاكَ وَفُضُولَ تَصَرُّفَاتِ الْجَوَارِحِ»، قال المشايخ: حسن الأدب مع الله
تعالى أَنْ لَا تَتَحَرَّكَ جَارِحَةً مِنْ جَوَارِحِكَ فِي غَيْرِ رِضَى اللَّهِ تَعَالَى، فأدب اللسان أَنْ
يكون رطبا بذكر الله تعالى أبدا، و بذكر الإخوان بالخير والدعاء لهم، و بذل
النصيحة والوعظ والحذر عما يكرهونه أو بالصمت تفكرا كما ورد «إِنْ تَكَلَّمْتَ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ». و أدب السمع أَنْ لَا يَسْتَمَعَ إِلَى الْفَحْشِ وَالْغِيْبَةِ
وَالنَّمِيمَةِ وَكُلِّ مَنْكَرٍ بَلْ يَسْتَمَعَ إِلَى الذِّكْرِ وَالْوَعْظِ وَالْحِكْمَةِ وَمَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالْفَائِدَةِ
دِينًا وَدُنْيَا. و أدب النظر الْغَضُّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَعَنْ عِيُوبِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ
خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، ويكون نظره بالاعتبار والاستدال على قدرة الله
وعظمته وجميل صنعه عاريا عن حظوظ النفس الأمارة بالسوء. و أدب القلب
مراعاة أحوال السنية المحمودة ونفي الخواطر الردية المذمومة والتفكر في آلاء الله و
نعمائه وعجائب خلقه، فورد في الحديث النبوي:

”تفكر ساعة خير من عبادة سنة“.

و من أدب القلب حسن الظن بالله تعالى و بجميع المؤمنين و تطهيره من الغل والغش والحسد والخيانة و سوء العقيدة فإنها من جنایات القلب، والأصل في ذلك ما قال الله تعالى:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. [بنی اسرائیل، السورة: ١٧، الآية: ٣٦]

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
”إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.

«و عَلَيْكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ «طَاعَةِ رَسُولِهِ وَ «طَاعَةِ مَنْ وَلَّى اللَّهُ» أَي جَعَلَهُ وَالْيَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: [في سورة النساء الآية: ٥٩]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ جَ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَي إِلَى الْقُرْآنِ ﴿وَالرَّسُولِ﴾ فِي حَيَوَاتِهِ وَ إِلَى الْقُرْآنِ وَ الْأَحَادِيثِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ﴾ أَي الرَّدُّ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ بِالْمَعْنَى الْمَذْكُورِ ﴿خَيْرٌ﴾ عَاجِلًا ﴿وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عَاقِبَةً.

والمراد من أولى الأمر أعم من الولاية الظاهرية و هم أرباب السلطنة والحكومة، والولاية الباطنية و هم العلماء والمشائخ، و هذه الطاعة للولاية لازمة ما داموا على اتباع الشريعة فإذا خرجوا منها فالرجوع إلى الله و إلى الرسول باتباع القرآن والأحاديث.

و روى مسلم عن أم حصين قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أَمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ يَقُودُكُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا.
و في رواية: مجدع الأطراف.

فإن قيل: كيف يكون العبد إماما سيما مقطوع الأطراف و قد شرط في الإمام أن يكون حرا قرشيا سليما الأطراف ؟
فأجاب العلماء بوجهين:

أحدهما: أن هذه الشروط إنما هي في من يعقد له الإمامة باختيار أهل الحل والعقد فأما من قهر الناس بشوكته وقوة بأسه وأعوانه، واستولى عليهم وانتصب إماما فإن أحكامه ينفذ ويجب طاعته ويحرم مخالفته في غير معصية عبدا كان أو حرا، صالحا كان أو فاسقا بشرط أن يكون مسلما.

و ثانيهما: أنه ليس في الحديث أنه يكون إماما بل المراد به الأمير الذي فوض إليه الإمام أمرا من الأمور كذا ذكر الإمام النووي في شرح صحيح مسلم.

«وَأَدِّ إِلَيْهِ» أي إلى من ولي الله تعالى «حَقَّه» من الاتباع لما أمرك «وَلَا تَطْلُبْهُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ» من حقوقك يعني ليس لك أن تحاربه وتخالفه لطلب حقوقك.

«وَادْعُ» الخير «فِي كُلِّ حَالٍ» أي لوالى الأمر عادلا كان أو جائرا؛ فإن في صلاحه صلاح العالم وفي فساده فساده فإن الأمير في البلد كالقلب في الجسد.

وَعَلَيْكَ بِمُحْسِنِ الظَّنِّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَإِصْلَاحِ النِّيَّةِ لَهُمْ
وَالسَّعْيِ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَأَنْ لَا تَبِيْتُ وَلَا أَحَدٍ فِي قَلْبِكَ شَرًّا وَلَا
شَعْنَاءَ وَلَا بُغْضَ وَتَدْعُو لِمَنْ ظَلَمَكَ وَرَاقِبِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

«وَعَلَيْكَ» يا محبي «بِمُحْسِنِ الظَّنِّ لِلْمُسْلِمِينَ» كافة واحفظ لسانك من غيبتهم والطعن فيهم والتجسس عن سرائرهم ووضع الألقاب الحقيرة عليهم والتمسخر بهم فكل ذلك منهى في القرآن الكريم، قال عزَّ وَجَلَّ: [في سورة الحجرات، الآية: ١٣]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَهُمَا آدَمُ وَحَوَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَنْتُمْ بِالنَّظَرِ إِلَى النَّسَبِ مُتَسَاوُونَ فَلَا وَجْهَ لِلتَّفَاخُرِ لَأَنْفُسِكُمْ وَالْإِهَانَةِ لِلآخِرِينَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ أَبَا وَ أُمَّا ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ وَتَحْصِلُوا الْمَوَدَّةَ وَالْأُلْفَةَ لَا لِتَفَاخَرُوا وَاکْتَسَبُوا الْعَدَاوَةَ وَالْكَلْفَةَ.

وفي الحديث: لتعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل. ثم قال: إن أكرمكم عند الله أتقكم لا أحسنكم صورة، ولا أكثركم

مالا، ولا أوسعكم بيتا ولا أغلبكم قوة ولا غير ذلك من الوجوه التي ظن الناس أنها خير فمن كان أثنى الله تعالى في امتثال الأوامر واجتناب المناهي فهو أكرم عند الله تعالى مرتبة وشرفاً وكرامة وعزة وجزاء وقربة، وليس ذلك بمجرد الادعاء ولا بمجرد صلاح الظاهر بل لا بد فيه من صلاح الباطن، ولذا قال تعالى [في سورة لقمان، الآية: ٣٤]

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِظُؤَاهِرِكُمْ وَبُؤَاهِنِكُمْ﴾ ﴿خَيْرٌ﴾ بنياتكم ومقاصدكم.

وفي الحديث: لينتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان فينبغي لكل مؤمن أن يستمسك بحسن الظن مع المسلمين.

«وَإِصْلَاحَ النِّيَّةِ لَهُمْ وَالسَّعْيِ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ» حتى لا يقع بينهم التقاتل ولا التخالف «وَأَنْ لَا تَبْتَغِيَ وَلاَ تَحِدَ فِي قَلْبِكَ شَرٌّ» أي لا تنام في الليل والحال أن في قلبك شراً مع أحد تريد في حقه «وَلَا شَحْنَاءَ» أي لا عداوة «وَلَا بُغْضَ وَ» عليك بأن «تَدْعُوَ لِمَنْ ظَلَمَكَ» فإن أهل الله فعلوا ذلك حتى خلصوا من ظلمه وبلغوا المرتبة العالية. قال الله تعالى [في سورة حم السجدة، الآية: ٣٤، ٣٥]:

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما يعني أن السيئة والحسنة متفاوتتان في أنفسهما فبعض الحسنة فوق بعض، وكذا بعض السيئة فوق بعض ﴿ادْفَعْ﴾ أي السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك «بِالَّتِي» أي بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كما لو أساء الرجل إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك ف «الذي» مبتدأ و «كأنه» خبر، و «إذا» ظرف لمعنى التشبيه ﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾ أي يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ ثوب ﴿عَظِيمٌ﴾.

وهكذا كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم السلام.

«وَرَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ» بقلبك في جميع الأزمنة والأمكنة.

والمراقبة. في اصطلاح الصوفية: عبارة أن يعلم العبد بقلبه أن الله تعالى ناظر

إلى أفعالي و سامع لأقوالي و شاهد لأحوالي.

و عَلَيْكَ بِأَكْلِ الْحَلَالِ، وَالسُّؤَالِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ فِيمَا لَا
تَعْلَمُ، وَ عَلَيْكَ بِالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَاجْعَلْ صُحْبَتَكَ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى، وَاصْحَبْ مَعَ مَنْ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى بِصُحْبَةِ اللَّهِ، وَ تَصَدَّقْ فِي
كُلِّ صَبَاحٍ بِعِزِّكَ
وَ إِذَا أَمْسَيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ الْجَنَازَةِ عَلَى كُلِّ مَنْ مَاتَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَ إِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَصَلِّ صَلَاةَ
الِاسْتِخَارَةِ وَ تَقُولُ بُكْرَةً وَ عَشِيَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ:
”اللَّهُمَّ اجْزِنَا مِنَ النَّارِ“
وَ حَافِظْ عَلَى قَوْلِ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ. إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ وَالْمُعِينُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

«و عَلَيْكَ» يا حبيبي «بِأَكْلِ الْحَلَالِ» فإنه أصل الأمور في الشريعة
والطريقة والحقيقة باتفاق العلماء والعرفاء، فإن أكل الحلال و صدق المقال يرفعان
صاحبهما إلى ذروة الكمال.

«وَالسُّؤَالِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ فِيمَا لَا تَعْلَمُ» فمن كان لا يعلم أمور الشريعة
فعليه أن يسأل من أهل الشرع، و من كان لا يعلم أمور الطريقة يسألها عن أهل
الطريقة، و من لا يعلم أسرار الحقيقة يسأل عن أهل الحقيقة.

«و عَلَيْكَ» يا حبيبي «بِالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ» في جميع الأعمال في جميع
الأحوال حتى لا تعمل ما هو مكروه غير مرضي عند الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَاجْعَلْ
صُحْبَتَكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى» بذكره عَزَّ وَ جَلَّ فوراً:
أنا مع عبدي إذا ذكرني و تحركت بي شفتاه.

وفي بعض الأحاديث: أنا جليس من ذكرني.^(١)

«وَاصْحَبْ مَعَ مَنْ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى بِصُحْبَةِ اللَّهِ» يعني واصحب من المخلوقات من كان له توجه و حضور مع الله تعالى حتى تتبرك بصحبته، فإن للصحبة تأثيرا بليغا، فالصحبة مع أهل الله عَزَّ وَجَلَّ إكسير أعظم و كبريت أحمر، والصحبة مع البطالين يوجب قساوة القلب و قد تَبَّ القائل نظما على حقيقة جامعة لمعاني الصحبة بقوله :

وحدة الإنسان خير من جليس السوء عنده

والجليس الخير خير من قعود المرء وحده

«وَتَصَدَّقْ فِي كُلِّ صَبَاحٍ» على عباد الله «بِعَرْضِكَ» في تحصيل مقاصدهم و مار بهم على وجه لا يخل في عبادته لله و توجهه إلى الله حتى يكون صحبته مع الخلق كصحبة أبي ضميم رضي الله تعالى عنه.

نقل شيخ الإسلام أبو النجيب قدس سره في آداب المريدين: أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

أَيُعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمِيمٍ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ وَ أَمْسَى يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي وَ عَرْضِي لَكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرْضِي عَلَى عِبَادِكَ فَمَنْ شَتَمَنِي لَا أَشْتِمُهُ، وَ مَنْ ظَلَمَنِي لَا أَظْلِمُهُ، انتهى.

و قال روي عن زيد بن أسلم أنه قال: كان نبي الأنبياء يأخذ بركاب ملك كافر يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس، قيل: إنه دانيال النبي عليه السلام مع بخت نصر.

و قال: قال ابن عطاء: لأن يرأي الرجل سنين ليكتسب جاها يعيش فيه مؤمن أنجي من أن يخلص العمل لنجاة نفسه.

«وَ إِذَا أَمْسَيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ الْجَنَازَةِ عَلَى كُلِّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ» والدعاء لجميع الخلق، فإنه قد ورد فضل كثير في من يدعو لأمة محمد صلى الله عليه وسلم كل يوم ثلاث مرات، و نقل عن بعض الكبار أن يصلي صلاة سراج

(١) انظر المقاصد الحسنة، رقم الحديث: ١٨٣، قال رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعا.

القبر لنفسه و لأبويه و لجميع المسلمين ركعتين يقرأ فيهما الإخلاص والمعوذتين و صلوة سراج القبر تقوم مقام صلوة الجنائز، فإنها الغاية منها.

«وَ إِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَصَلِّ صَلَاةَ الْإِسْتِخَارَةِ» القراءة المشهورة فيها الكافرون والإخلاص.

و عن شيخ الشيوخ قدس سره و من وافقه على أن يصلي وقت الإشراق ركعتين بنية الاستخارة لما يفعل في اليوم واليلة بالقراءة المذكورة و يقرأ بعده هذا الدعاء :

اللهم إني أستخيرك بعلمك، و أستقْدِرُكَ بقدرتك، و أسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر و لا أقدر، و تعلم و لا أعلم و أنت علام الغيوب. اللهم إني لا أملك لنفسي ضراً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حياة، و لا نشوراً، و لا أستطيع أن أخذ إلا ما أعطيتني و لا أن أتقي إلا ما وقيتني. اللهم وفقني لما تحب و ترضى من القول والعمل في يسر و عافية. اللهم خیر لي و اختره لي و لا تكلني إلى اختياري. اللهم اجعل الخيرة في كل قول و عمل أريده في هذا اليوم واليلة.

«وَ تَقُولُ بُكْرَةً وَ عَشِيَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ» :

«اللَّهُمَّ اجْزِنَا مِنَ النَّارِ».

روى أبو داود عن الحارث بن مسلم التميمي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه أسرَّ إليه فقال: اذا انصرفت من صلوة المغرب فقل قبل أن تكلم أحداً:

اللهم أجري من النار، سبع مرّات، فإنك إذا قلت ذلك ثم مت في ليلتك كتب لك جواز منها^(١) انتهى. أسر إليه أخفي به، والجواز: الخلاص.

«وَ حَافِظٌ عَلَى قَوْلِ أَعُوذُ بِاللّٰهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»

و هو قوله تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ط سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ط يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ج وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [الحشر: ٥٩، الآية: ٢٤، ٢٥، ٢٥.٥٩]

(١) انظر المسنن لأبي داود برقم: ٥٠٧٩، وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: ١٧٣٦٢.

فورد من قال حين يصبح ثلث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقرأ ثلث آيات من آخر سورة الحشر وكَلَّ اللهُ به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، و من قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة.

«وَاللّٰهُ الْمُوفِّقُ وَالْمُعِينُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالسَّبْعُونَ

أَيْضًا فِي الْوَصِيَّةِ بِالْكَوْنِ مَعَ اللَّهِ بِذَوْنِ الْخَلْقِ وَمَعَ الْخَلْقِ بِذَوْنِ النَّفْسِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَأَن لَّا خَلْقَ، وَمَعَ الْخَلْقِ كَأَن لَّا نَفْسَ فَإِذَا كُنْتَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا خَلْقٍ وَجَدْتَ، وَ عَنِ الْكُلِّ فَنَيْتَ. وَإِذَا كُنْتَ مَعَ الْخَلْقِ بِلَا نَفْسٍ عَدَلْتَ وَاتَّقَيْتَ وَمِنْ التَّيْبَعَاتِ سَلِمْتَ. وَ أَتْرُكُ الْكُلَّ عَلَى بَابِ خَلْقِكَ وَادْخُلْ فِيهِ وَخَدِّكَ تَرَى مُؤْنِسَكَ فِي خَلْقِكَ بِعَيْنِ سِرِّكَ. وَ تُشَاهِدُ مَا وَرَاءَ الْعَيَانِ، وَ تَزُولُ النَّفْسُ وَيَأْتِي مَكَانَهَا أَمْرُ اللَّهِ وَ قُرْبُهُ فَإِذَا جَهَلَكَ عِلْمٌ وَ بُعْدَكَ قُرْبٌ وَ صُمْنَتَكَ ذِكْرٌ وَ وَحْشَتَكَ أَنْسٌ. يَا هَذَا: مَا تَمَّ إِلَّا خَلْقٌ وَ خَالِقٌ.

فَإِنْ اخْتَرْتَ الْخَالِقَ فَقُلْ لَهُمْ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ

الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء، السورة: ٢٦، الآية: ٧٧]

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ ذَاقَهُ عَرَفَهُ، فَقِيلَ مَنْ عَلِمَتْ عَلَيْهِ مِرَارَةٌ صُفْرَتِهِ كَيْفَ يَجِدُ حَلَاوَةَ الدُّوقِ؟ فَقَالَ: يَتَعَمَّلُ فِي الشَّهَوَاتِ مِنْ قَلْبِهِ: يَا هَذَا: الْمُؤْمِنُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا انْقَلَبَتْ نَفْسُهُ قَلْبًا ثُمَّ انْقَلَبَ قَلْبُهُ سِرًّا ثُمَّ انْقَلَبَ السِّرُّ فَصَارَ فَنَاءً ثُمَّ انْقَلَبَ الْفَنَاءُ فَصَارَ وَجُودًا. ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ الْأَحْبَابُ يَسْعُهُمْ كُلُّ بَابٍ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كُنْ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» يا عبد الله «كَأَن لَّا خَلْقَ، وَ «كَنْ مَعَ الْخَلْقِ كَأَن لَّا نَفْسَ» يعني كن في التوجه إلى الحق والمعاملة معه كأنه هو الموجود ولا وجود للخلق فلا تعلم للخلق وجودا يشغلك عن الحق، وكن في معاملتك مع الخلق كأن لا نفس لك حتى تطلب حقوقها منهم «فَإِذَا كُنْتَ مَعَ اللَّهِ

عَزَّ وَجَلَّ بِلَا خَلْقٍ» أي بلا عملك بوجوده «وَجَدْتُ» الله تعالى مشاهدا بقلبك «و» تستغرق في تلك المشاهدة حتى تصير كأنك «عَنِ الْكُلِّ» أي كل ما يُتَرَاى في الوجود من الخلائق «فَنَيْتُ، وَإِذَا كُنْتُ مَعَ الْخَلْقِ بِلَا نَفْسٍ عَدَلْتُ» أي صرت عادلا، مُحَقِّقا في أداء حقوقهم و ترك حقوقك فلا يفوت عنك من حقهم شيء «وَأَتَّقَيْتُ» أي صرت متقيا عن تضييع حق أحد من الخلائق «وَمِنَ النَّبَعَاتِ» الدنيوية والأخروية الخلقية والخالقية «سَلِمْتُ» لأن منشأ جميع ذلك النفس، فإذا كنت بلا نفس و خلصت عنها و ذهبت النفس منك خلصت عن جميع المكاره والأذى هذا في السلوك «و» إذا أردت الارتقاء من هذا الحال «أُتْرِكَ الْكُلُّ» أي جميع الموجودات «عَلَى بَابِ خَلْوَتِكَ» و لا تصاحب شيئا منها في خلوتك «وَأَدْخُلْ فِيهِ وَحْدَكَ تَرَى مُؤْنِسَكَ» و هو تعالى في خلوتك، فإنه تعالى أنيس من لا أنيس له، و مطلوب من لا مطلوب له، و مقصود من لا مقصود له، و مراد من لا مراد له، «فِي خَلْوَتِكَ بِعَيْنِ سِرِّكَ».

السري اصطلاح هذه الطائفة: هو ما يخص كل شيء من الحق عند توجه الإيجاد إليه المشار إليه بقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. [النحل، السورة: ١٦، الآية: ٤٠]

و لهذا قيل: لا يعرف الحق إلا الحق، و لا يحب الحق إلا الحق، و لا يطلب الحق إلا الحق؛ لأن ذلك السر هو الطالب للحق والمحِب له والعارف به كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي».

«و تَشَاهِدُ مَا وَرَاءَ الْعَيَانِ» العوالم الكثير من المغيبات والمكنونات في خزائن الله عَزَّ وَجَلَّ «و تَزُولُ» عنك «النَّفْسُ» بغلبة مشاهدة الحق «و يَأْتِي مَكَانَهَا» أي مكان النفس «أَمْرُ اللَّهِ وَ قُرْبُهُ» هذا سِتْرٌ للتوحيد حفظا للأدب و تقريرا لفهم السامعين «فَإِذَا» أي حين زالت النفس و بقي أمر الله «جَهْلُكَ عِلْمٌ» و إنما يكون الجهل علما؛ لأن العلم عبارة عن إدراك الشيء على ما هو عليه في نفس الأمر و هو يقتضي الجهل عن ظواهر الأشياء كلها، فإنها ما يُتَرَاى موجودات، و ليست كذلك

في نفس الأمر بل ليس الوجود إلا وجود الحق، وما يتراءى فيها هو نور تجلى الحق تعالى، فالجهل بهذا الوجود المشاهد في الموجودات بالاستغراق في مشاهدة وجود الحق وتلاشيها فيه هو العلم «وَبُعْدُكَ» عن الأكوان «قُرْبُ» من المكون «وَصُمُتُكَ» أي سكوتك عن الكلام باللسان حتى التسييح والتهليل «ذِكْرُ» له تعالى بالقلب لكن ذكر شهودي و حضوري فإن الذكر الكلامي إنما يكون عند الغيبة، و أما عند الحضور فليس إلا المشاهدة والتحير والمحو والاستغراق، و مثل هذا الكامل إن تكلم فبالأمر التعبدية يتكلم، و إليه يشير قول المشائخ: من عرف الحق كلّ لسانه «وَوَحْشَتُكَ» عن الخلق «أُنْسُ» بالحق. «يَا هَذَا» أي يا حاضر بالفهم افهم «مَا تَمَّ» أي في دار الوجود والشهود في بادي النظر «إِلَّا خَلْقٌ وَ خَالِقٌ» فإن العوام ببداهة أنظارهم حكموا بوجود الخلق والخالق و إن كان هنا أي في مقام الفناء عن الخلق والنفس ليس إلا الخالق تعالى فقط، و هذه فائدة إيراد كلمة تَمَّ، فتأمل.

«فَإِنْ اخْتَرْتَ الْخَالِقَ» كما هو اللائق بحال العارف إذا تعمق النظر «فَقُلْ لَهُمْ» للخلائق الظاهرة المرئية في نظرك أي لأجل ظهور وجودهم و رؤيتهم مخاطبا لقلبك كما قال إبراهيم عليه السلام:

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي هذه الخلائق الظاهرة الاشتراك مع الخالق في الوجود والشهود
﴿عَدُوِّي﴾ لأنها ساترة للحق بظواهرهم ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

الذي رب الكل بإفاضة ظل وجوده عليهم على حسب استعداد كل فرد منها في علمه الأزلي.

ولما وصل غوث الأعظم قدس الله روحه إلى بيان هذه المرتبة و رأى أن فهم كلّ أحد لا يصل إليه ولا حظ صلاح الخلق كيلا يَقْعُوا في الإنكار استتر الكلام «تَمَّ» قَالَ مَنْ ذَاقَهُ أي طعم الفناء عن الخلق في الله، و لذة البقاء بالله تعالى «عَرَفَهُ» أي هذا الَّذِي ذكرته، و من لم يذق فهو جاهل معذور كالأعمى عن حقائق المبصرات، والأبكم عن حقائق الكلمات، والأصم عن المسموعات، والعين عن لذة النساء، لذلك قوم آخرون أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون «فَقِيلَ: مَنْ غَلَبَتْ

عَلَيْهِ مَرَارَةٌ صُفْرَتِهِ» وفسد بها مزاجه «كَيْفَ يَجِدُ حَلَاوَةَ الذَّوْقِ» فإن الصفراوي يجد الحلو مرا فمن أين يجد الحلاوة «فَقَالَ» جوابا للسائل وإصلاحا لحال الجاهل «يَتَعَمَّلُ» و يعالج «في» دفع «الشَّهَوَاتِ» النفسانية المانعة عن إدراك هذه الحلاوة و إزالة الإرادات الهوائية الحاجبة عن حصول هذه اللذة «مِنْ قَلْبِهِ. يَا هَذَا» أي يا حاضر بالفهم افهم «أَلَمْؤَمِنْ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا» وَتَمَرَّنَ عَلَى ذَلِكَ بِمِلْحَظَةِ الْإِطَاعَةِ الشَّرْعِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ «إِنْقَلَبَتْ نَفْسُهُ» الْخَسِيسَةُ «قَلْبًا» شَرِيفًا لَطِيفًا «ثُمَّ» إِنْ دَاوَمَ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِالتَّوَجُّهِ التَّامِّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى «إِنْقَلَبَ قَلْبُهُ سِرًّا» فَإِنَّ السَّرَّ عِبَارَةٌ عَنِ الْقَلْبِ الصَّافِي.

«ثُمَّ» إِنْ دَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ «إِنْقَلَبَ السِّرُّ فَصَارَ» السَّرُّ «فَنَاءً، ثُمَّ» بِالدَّوَامِ وَ التَّوَجُّهِ وَالْإِنْجَذَابِ «إِنْقَلَبَ الْفَنَاءُ فَصَارَ وَجُودًا» أَي بَاقِيًا بِاللَّهِ تَعَالَى فَالْوُجُودُ مُسْتَتَرٌ تَحْتَ هَذِهِ الْحِجَابَاتِ فَمَنْ أَرَادَ مَشَاهِدَةَ الْوُجُودِ الْحَقِيقِيِّ يَجِبُ عَلَيْهِ التَّعَامُلُ وَالتَّعَالُجُ فِي إِزَالَةِ هَذِهِ الْأَسْتَارِ وَظُهُورِ الْأَنْوَارِ حَتَّى يَظْهَرَ حَقِيقَةُ الْوُجُودِ بِأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَصَدَقَ قَوْلُ الْمَشَائِخِ لَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دَيَّارٌ، وَلَمَّا رَأَى قُصُورَ الْهَمِّ عَنْ قِصْدِ هَذَا الْكَمَالِ تَفَكَّرَ «ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ الْأَحْبَابُ يَسْعُهُمْ كُلُّ بَابٍ».

إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْأَحْبَابِ الْكَامِلِينَ فَالْمُرَادُ بِكُلِّ بَابٍ فَهُؤُمُ الْقَاصِرِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْكَمْلَةَ وَلَا حَالَاتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِي مَقَامٍ وَحَالٍ وَهُمْ فِي مَقَامٍ وَحَالٍ فَالْكَمْلَةُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ وَالْجَهْلَةُ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، وَقِيَاسُ الْغَائِبِ عَلَى الشَّاهِدِ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَهُمْ يَقْيِسُونَ الْكَامِلِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْحَالَاتِ فَرُبَّمَا يَنْكُرُونَ حَالَاتِهِمْ.

وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْأَحْبَابِ الظَّاهِرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا إِلَى مَرْتَبَةِ الْفَنَاءِ أَطْلُقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْبَابَ تَلَطُّفًا وَشَفَقَةً فَالْمُرَادُ بِالْبَابِ حَالَاتِ الْكَامِلِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْبَابَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ أَهْلٌ لَهُ فَمَا لَمْ يَحْصُلْ لِلْأَحْبَابِ أَهْلِيَّةُ دُخُولِ ذَلِكَ الْبَابِ لَا يَسْعُهُمْ ذَلِكَ الْبَابُ إِذْ هُوَ مُسْتَوْرٌ بِالْحُجُبِ وَالْحِجَابِ فَمَا لَمْ يَرْتَفِعْ عَنْ بَصِيرَتِهِمْ تِلْكَ الْحُجُبُ لَا يَسْعُهُمُ الدُّخُولُ فِي ذَلِكَ الْبَابِ.

يَا هَذَا: الْفَنَاءُ هُوَ عَدَمُ الْخَلَائِقِ وَانْقِلَابُ طَبْعِكَ إِلَى طَبْعِ
الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ الْفَنَاءُ عَنْ طَبْعِ الْمَلَائِكَةِ وَالْحُوقُوكَ بِالْمُنْهَاجِ الْأَوَّلِ فَحِ
يُسْقِيكَ رَبُّكَ مَا يُسْقِيكَ، وَيَزْرَعُ فِيكَ مَا يَزْرَعُ إِنْ أَرَدْتَ هَذَا فَعَلَيْكَ
بِالْإِسْلَامِ ثُمَّ الْإِسْتِسْلَامِ ثُمَّ الْعِلْمِ بِاللَّهِ ثُمَّ الْمَعْرِفَةِ بِهِ ثُمَّ الْوُجُودِ.

ثم قال غوث الأعظم رضي الله تعالى عنه: «يَا هَذَا» أي يا حاضر بالفهم افهم
«الْفَنَاءَ» في التحقيق بالنسبة إلى الخلق «هُوَ عَدَمُ الْخَلَائِقِ» عن نظر بصيرتك
بالتلاشي والاستتار في ظهور وجود الحق تعالى كتلاشي الهبات والذرات في كمال
إشراق الشمس لا أنها تنعدم مطلقا وبالنسبة إلى نفسك فأولا.

«وَإِنْ قَلَبْتَ طَبْعَكَ إِلَى طَبْعِ الْمَلَائِكَةِ» والارتقاء من صفات البشرية «ثُمَّ
الْفَنَاءُ عَنْ طَبْعِ الْمَلَائِكَةِ» حتى لا يبقى لك طبع أصلا بل وجود قطعا «وَالْحُوقُوكَ
بِالْمُنْهَاجِ الْأَوَّلِ» وهو صيرورتك بالصفة التي كنت عليها قبل أن تخلق.

و إليه أشار أبو يزيد البسطامي قدس سره حيث بيّن أحوال معراجيه من
الترقي من حال إلى حال حتى قال: ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم
يكن التكوين وبقي الحق بلا كون ولا حيث ولا كيف ولا أين.

وقال سيد الطائفة أبو القاسم جنيد قدس سره: هي الحالة التي تفتى الكلية في
جنبها ويبقى الحق كما كان هو في الأزل قبل ما لم تكن التكوين والمكونات ثم بعد
ذلك تأتيه أحوال وأوقات ما كَلَّتِ الألسن عن نعتها فسبحانه ولهم يشتهون.

وقوله قدس سره «فَحِ يُسْقِيكَ رَبُّكَ مَا يُسْقِيكَ، وَيَزْرَعُ فِيكَ مَا يَزْرَعُ»
إشارة إلى ما ذكره سيد الطائفة بقوله: ثم بعد ذلك تأتيه أحوال وأوقات ما كَلَّتِ
الألسن عن نعتها فسبحانه ولهم ما يشتهون، ولم يرخص الكبراء عن إظهارها
فالأولى هنا السكوت؛ فإن الله تعالى يظهر ما يريد إظهارها، ويكتفم ما يريد كتمانها،
فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد «إِنْ أَرَدْتَ هَذَا» الحال والمقام «فَعَلَيْكَ» أولا
«بِالْإِسْلَامِ» بتصحيح العقائد الشرعية والعلم بالفقه والروايات «ثُمَّ

الْإِسْتِسْلَامَ» أي الانقياد و هو العمل على وفق العلم «تَمَّ» بعد الإسلام والاستسلام «أَلْعَلِمَ بِاللَّهِ» بأنه المؤثر في الحقيقة لا مؤثر غيره و هو توحيد الأفعال الَّذِي هو أو نتائج السلوك كما ورد: لا حول و لا قوة إلا بالله «تَمَّ الْمَعْرِفَةُ بِهِ» أي بالله تعالى بأنه قيوم للعالم، والعالم قائم به، و هو توحيد الصفات فإن ما في هذا العالم من الصفات ليست إلا آثار صفاته الجلالية والجمالية واللطفية والقهرية التي أشار إليه سيد المرسلين عليه صلوات رب العالمين بقوله: ”أعوذ برضاك من سخطك“.

وفي الخزانة الجلالية: والمعرفة أن تعرف الله تعالى بالوحدانية وتعلم أنه تعالى أول كل شيء و به يقوم كل شيء و إليه يصير كل شيء و عليه رزق كل شيء فإذا أزال الاضطراب عن مقام العلم بدوام الصحة فهو معرفة.

«تَمَّ الْوُجُودُ» بأن لا يرى في دار الوجود غيره تعالى موجودا و لا في الشهود غيره مشهودا، و هو توحيد الذات الَّذِي أشار إليه سيد الكائنات لا زال عليه زاكيات الصلوات بقوله: ”أعوذ بك منك“.

وفي هذا المقام قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: ”ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله“.

وقال المرتضى كرم الله وجهه: ”ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه“.

وقال عارف آخر: ”ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله بعده“.

وقال الآخر: ”ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله معه“.

وسئل عن علي كرم الله وجهه هل رأيت الله؟ قال: أنا لا أعبد ما لا أرى

وفي رواية: رأيته فعرفته فعبدته لم أعبد رباً لم أره.

وأيضاً نقل عنه: قال لو كشف الغطاء ما زدت يقينا.

وإليه يشير أبو هريرة رضي الله عنه حَفِظْتُ من رسول الله صلى الله عليه و

سلم وعائين أما أحدهما فَبَيَّنْتُهُ، وأما الآخر فلو بَشَّته لَقُطِعَ هذا الْبَلْعُومُ.

فَإِذَا كَانَ وَجُودُكَ كَانَ كُلُّكَ لَهُ الْزُهْدُ عَمَلُ سَاعَةِ وَالْوَرَعُ ۥ

|| عَمَلُ سَاعَتَيْنِ وَالْمَعْرِفَةُ عَمَلُ الْأَبَدِ ||

«فَإِذَا كَانَ وُجُودُكَ» يحتمل أن يكون كان تامة، والوجود بمعنى الوجدان أي إذا حصل وجدانك بالطريق المذكور «كَانَ كُلُّكَ» أي جميع وجودك قلبك وقلبك «لَهُ» تعالى القلب يشاهده، والقلب يعبد، و يحتمل أن يكون ناقصة والوجود بمعنى الذات أي إذا كان الله تعالى وجودك بأن تفتى عنك فيه وما تعرف^(١) أنت وجوداً لم يكن ذلك وجودك بل هو وجودك كان كلك له ولا أنت في البين، فإن الوجود المطلق ليس إلا وجود الحق تعالى.

كان كل ما يرى موجوداً فإنما هو الحق وما كان يُتَرَاءَى كان موهوماً مُتَخَيَّلًا تلاشت في نظر العارف المحقق فلا يرى له وجوداً ولا يراه موجوداً، وإنما الوجود لله والموجود هو الله تعالى ليس في الدار غيره ديار، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار. قال على كرم الله وجهه: ظهور المعلوم بمحو الموهوم.

«الزُّهْدُ عَمَلُ سَاعَةٍ» أراد بالزهد ترك حرام الدنيا و بالساعة مدة الدنيا لقلتها، والزهد بترك الدنيا إنما يكون في الدنيا التي مدتها ساعة فيكون عمل الزهد ساعة «وَالْوَرَعُ عَمَلُ سَاعَتَيْنِ» لأن الورع عبارة عن ترك الحلال كما روي عن الصديق الأكبر أنه قال: «ترك ألف حلال مخافة أن تقع في الحرام» فهو في الحقيقة عبارة عن قطع النظر عن الدنيا والآخرة بملاحظة العبودية للرب فيكون الورع عمل ساعتين الدنيا ساعة والعقبى ساعة «وَالْمَعْرِفَةُ عَمَلُ الْأَبَدِ» أي معرفة الله تعالى لا يفني ولا يزول عن العارف أبداً الأبدية ولهذا قال المشائخ الكرام: السير إلى الله ينقطع والسير مع الله وفي الله لا انقطاع له فينبغي للطالب طلب الباقي دون الفاني اتباعاً برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال: «الدنيا لكم والعقبى لكم والمولى لي».

(١) قوله: وما تعرف كلمة ما موصولة مع صلتها مبتدأ خبره جملة قوله لم يكن ذلك وجودك. من الشارح

الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالسَّبْعُونَ

في وصية قُدس سره لولده الأكرم الشيخ عبد الوهاب بعد سؤاله في مرض موته

قُدس سرهما

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا مَرَضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ قَالَ لَهُ
ابْنُهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ: أَوْصِنِي يَا سَيِّدِي بِمَا أَعْمَلُ بِهِ بَعْدَكَ، فَقَالَ:
عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَخَفْ أَحَدًا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا
تَرْجُحْ مِنْ أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ وَكُلَّ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا
تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَيْهِ وَاطْلُبْهَا جَمِيعَهَا مِنْهُ وَلَا تَتَّقِ بِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا مَرَضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ لَهُ ابْنُهُ «الشيخ
عبد الوهاب: أَوْصِنِي يَا سَيِّدِي بِمَا أَعْمَلُ بِهِ بَعْدَكَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ «يا ولدي «بِتَقْوَى
الله عَزَّ وَجَلَّ» فإنها ثمرة للقبول عند الله وعند الرسول عليه وعلى آله صلوات الله
تعالى وسلامه بل محصلة للوصول «وَلَا تَخَفْ» في وصول المكروه «أَحَدًا» من
المخلوقات جناً أو إنساً أو ملكاً «سِوَى اللَّهِ تَعَالَى» إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله لا
تتحرك ذرة إلا بإذنه «وَلَا تَرْجُحْ» رجاء أي مطلوب ومقصود «مِنْ أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ»
لما علمت أن الكل مخلوق لله تعالى فلا يفعل إلا ما يريد «وَكُلَّ الْحَوَائِجِ» الكائنة لك
«كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وقل أفوض أمري إلى الله، فإن التفويض إليه تعالى طريق
أحبائه من أنبيائه وأوليائه «وَلَا تَعْتَمِدْ» في أمر من الأمور جلب خير كان أو دفع
ضرر على أحد «إِلَّا عَلَيْهِ» تعالى «وَاطْلُبْهَا» أي الحوائج «جَمِيعَهَا مِنْهُ» أي الله عَزَّ وَ
جَلَّ «وَلَا تَتَّقِ» في حصول الحوائج جلب خير كان أو دفع ضرر «بِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ
جَلَّ» فإنه حقيقة التوكل، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

نقل في نفحات عن الشيخ عبد الوهاب أنه قال: ما من شهر من شهور السنة

إلا و يجيء عند والدي قبل ظهوره للخلق و يخبر عما فيه من خير و شر بظهوره في صورة جميلة إن كان فيه الخير و في صورة كريهة إن كان فيه الشر .

و كان آخر يوم الجمعة من آخر جمادي الآخرة سنة ستين و خمس مائة اجتمع عنده المشائخ إذ دخل شاب حسن الصورة و قال: السلام عليك يا ولي الله أنا شهر الرجب جئت لأهنتك و أخبرك أن الله تعالى لم يقدر في شرّاً، فكان كما أخبر لم ير الناس فيه إلا خيراً، فجاء يوم الأحد السلخ من ذلك الشهر رجل كره المنظر و قال: السلام عليك يا ولي الله أنا شهر شعبان جئت لأهنتك أن الله تعالى قدر في الموت والفناء لكثير من أهل بغداد، والقحط في الحجاز، والقتل في الخراسان فكان كما أخبر.

و قد مرض الشيخ في شهر رمضان أياما فلما كان يوم السلخ و كان يوم الاثنين التاسع والعشرين جاء شخص ذو وقار و بهاء و كان عنده مشائخ منهم الشيخ على الهيتي والشيخ نجيب الدين السهروردي و قال: السلام عليك يا ولي الله أنا شهر رمضان جئت لأعتذر إليك بما قدر الله عليك في من مرض و أودعك، فإن هذا آخر اجتماعي معك و توفي الشيخ في ربيع الآخر و لم يجد رمضان الآتي.

الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالسَّبْعُونَ

في بيان إحاطة قلب العارف بجميع الأشياء حين صحَّ مع الله

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا صَحَّ الْقَلْبُ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا صَحَّ الْقَلْبُ» أي قلب العبد العارف «مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» بالتوجه التام إليه بطريقة التخلية عما سواه «لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ» بل يكون العارف الكامل الفاني في الله عَزَّ وَجَلَّ والباقي به بمنزلة الروح للعالم والعالم بكلية بدنه وقلبه.

وقد أخبر الله تعالى عن سعة هذا القلب:

لَا يَسْعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَيَسْعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ.

قالوا: إن للعاشق قلباً منزهاً عن التعيينات محيماً ربِّ الأرباب، و مجتمع بحر الغيب والشهادة وله همة لا يقف عند وجدان شيء حتى خلة الخليل ومكالمة موسى عليهما السلام بل ينادي في كل ساعة هل من مزيد.

وقد أخبر سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره عن سعة هذا القلب: لو أن العرش وما دونه ألف ألف مرات ألقى في زاوية قلب العارف لما شَعَرَ به، ولما سمعه سيد الطائفة الجنيد البغدادي قدس سره قال: كيف يشعر والمحدث إذن قرن بالقديم لم يبق له أثر فإن أبا يزيد إذا نظر إلى هذا القلب الَّذِي لم يبق فيه للحادث أثر يرى مشاهدة القديم الَّذِي هو الحق فلا جرم يقول بلسان الحق سبحانه ما أعظم شأني.

الْمَقَالَةُ الثَّمَانُونَ

فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَ عُلُوِّ رُتْبَتِهِ الْمُتَّيِفَةِ

|| قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا لُبُّ بِلَا قُشُورٍ. ||

« قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَنَا لُبُّ بِلَا قُشُورٍ. »

القشور كناية عن قباب البشرية و أوصافها، واللُب هو البقاء بالله كما قال
سلطان العارفين حين أمره الله تعالى بقوله: ”اترك نفسك و تعال“ بعد سؤاله كيف
الطريق رب إليك انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها.

الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالْثَمَانُونَ

فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَغُلُوبِ رُتْبَتِهِ الْمُتَيْفَةِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ بُعْدٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَلَا تَقْيِسُونِي بِأَحَدٍ وَلَا تَقْيِسُوا عَلَيَّ أَحَدًا.

﴿يُمَحِّوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُغَيِّثُ ۚ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد، السورة: ١٣، الآية: ٣٩]

﴿لَا يُسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء، السورة: ٢١، الآية: ٢٣]

أَخْبَارُ الصِّفَاتِ تَمُرُّ كَمَا جَاءَتْ.

وَسَأَلَهُ وَلَدُهُ عَبْدُ الْجَبَّارِ مَاذَا يُؤَلِّمُكَ يَا سَيِّدِي؟

قَالَ: جَمِيعُ أَعْضَائِي تُؤَلِّمُنِي إِلَّا قَلْبِي فَمَا بِهِ أَلَمْ وَهُوَ صَاحِبُ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَكَانَ يَقُولُ اسْتَعْنَتْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَخْشَى الْمَوْتَ سُبْحَانَ مَنْ تَعَزَّزَ وَتَفَرَّدَ بِالْقُدْرَةِ وَقَهَرَ الْعِبَادَ بِالْمَوْتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ خَرَجَتْ رُوحُهُ الْكَرِيمَةُ

تَمَّ الْكِتَابُ الْمُبَارَكُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، آمِينَ.

«قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ» المراد به خلق ذلك الزمان باتفاق أهل العرفان «بُعْدٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَلَا تَقْيِسُونِي بِأَحَدٍ وَلَا تَقْيِسُوا عَلَيَّ أَحَدًا» فإنه مأمور من جانب الله أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل

ولي الله، وانقياد الأولياء له في زمانه، ولم يقع لغير مثله في زمانه. وقد أخبر به جمع كثير ممن كان سابقا عليه فمن ذلك ما أخبر به الشيخ عبدالله بن علي موسى الجوني قدس سره يقول: شهدت أنه يتولد بأرض العجم مولود له مظهر عظيم بالكرامات، و قبول تام عند الكافة يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي الله، و تدرج الأولياء في وقته تحت قدمه ذلك التوفيق، و تمام تحقيقه في علم الكلام، و لذا اقتصرنا بهذا القدر في هذا المقام، ثم استدل على كلتا المقدمتين بقوله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ أي من الأحكام شرعية كانت أو غيرها، وإنما عممنا ليشمل الصحة والمرض والغنى والفقر والعزة والذل ونحوها، فإنها مما يحو الله و يثبت و ليست من الأحكام الشرعية ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: المراد علم الله تعالى صرح به في التفسير المعيني وهو المراد ههنا فدل على ثبوت كلتا المقدمتين.

ثم أشار إلى دفع الشبهة بأنه كيف يغير الأحكام فإنه يستلزم الجهل بقوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. الأنبياء، السورة: ٢١، الآية: ٢٣ [فإن الله تعالى سد لكل شبهة طريقها و قطع لكل متكلم كلامه بهذه الآية. و بقوله :

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۚ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. [الأعراف: ٧، الآية: ٥٤] «أَخْبَارُ الصِّفَاتِ تَمُرُّ كَمَا جَاءَتْ» يعني والله أعلم بمراده أن بيان صفات الله تعالى تجري و يستمر جريانها في العرف والعالم كما جاءت بالنقل والكشف فلا تعتقد خلافها و لا يجوز فيها التشكيك.

«وَسَأَلَهُ» السيد الجيد «وَلَدُهُ عَبْدُ الْجَبَّارِ» قدس سره «مَاذَا يُولِّمُكَ يَا سَيِّدِي» من جسمك؟

«قَالَ» رضي الله عنه: «جَمِيعُ أَعْضَائِي تُؤَلِّمُنِي إِلَّا قَلْبِي فَمَا بِهِ أَلَمْ وَهُوَ» أي القلب «صَحِيحٌ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» لا يلتفت منه تعالى إلى مرض و لا إلى إحساس ألم و لا إلى نفس و لا إلى الخلق، و لا يخطر به خطرة حيوة و لا موت «ثُمَّ آتَاهُ

الْمَوْتُ» أي قرب وقت الموت «فَكَانَ يَقُولُ: اسْتَعْنُتُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَخْشَى الْفُوتُ سُبْحَانَ مَنْ تَعَزَّزَ وَتَفَرَّدَ بِالْقُدْرَةِ» القديمة الغالبة التي لا ينازعه فيها أحد في جريان أثارها «وَقَهَرَ الْعِبَادَ» وأفناهم «بِالْمَوْتِ لَا إِلَهَ» أي لا معبود ولا مقصود ولا موجود «إِلَّا اللَّهُ» الواحد الأحد الفرد الصمد الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ المبدي للخلق بإظهار واحديته، والمغني له بإظهار أحديته، والمعيد له بإظهار واحديته ثانيا أبداً لأبد «مُحَمَّدٌ» خاتم الأنبياء وسند الأصفياء ومقتدى الأولياء وأستاذ العلماء «رَسُولُ اللَّهِ» الَّذِي أَرْسَلَهُ رَسُولُهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ». [سورة الصف: ٦١، الآية: ٩]

«ثُمَّ» أي بعد هذه المقالة وإجراء الكلم الطيب على لسانه الشريفة «خَرَجَتْ رُوحُهُ الْكَرِيمَةُ» من الجسد الطيب بتولى الحق إلى الحق مخاطباً بقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ المقربين ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ الذاتي الخاصة بي التي ليس فيه حور ولا قصور مما يعلمه الخلائق، وهي جنة لا يمكن وصفها لوصف، ولا يبلغها إلا ولي عارف، وكان وفاته رضي الله عنه يوم الحادي والعشر من شهر ربيع الثاني سنة احدى وستين وخمس مائة على ما ذكر في النفحات، وسنة ستين وخمس مائة على ما صرح به الشيخ العارف الكامل الأجدد الشيخ أحمد إسحاق في رسالته التي ألفها في مناقب بعض المشائخ المغربيين.

تَمَّ الْكِتَابُ الْمُبَارَكُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ
صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا آمِينَ.

تم تحقيق هذا الكتاب المبارك وتخراج الآيات والأحاديث والآثار الواردة فيه بعون الملك العلامة و بركة سيد الإنس والجان يوم الثلاثاء ١١/ من شعبان

١٤٤٠هـجري الموافق ٢٠١٩/٤/١٧ الميلادي، فله الحمد وله الشكر بجميع
الأطراف والجنان، وأنا العبد المفتقر إلى رحمة ربي الرحمن.

محمود علي المشاهدي المصباحي ابن مقصود علي الحشمتي

الأستاذ بالجامعة الأشرفية بمبارك فور، أعظم جراه، الهند.

المتوطن دو كراميا [DOKAM.AMYA] ترلوك فور،

[TERILOKPUR] سدهارت نكر، [SIDDHARTH NAGAR]

فهرست

٥	شارح فتوح الغيب الشيخ عبد العزيز قدس سره
٩	ترجمة الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الجيلاني
٣٤	المقالة الأولى فيما لا بد لكل مؤمن
٣٦	المقالة الثانية في الإتيان بالسنة وترك البدعة
٤١	المقالة الثالثة في بيان المعالجة حين الابتلاء
٤٧	المقالة الرابعة في بيان مراتب الموت عن الخلق والهوى والإرادة
٥٣	المقالة الخامسة في تشبيه حال الدنيا واشتغال أهلها بها
٥٧	المقالة السادسة في بيان الفناء عن الخلق بحكم الله تعالى وعن الهوى بأمره وعن الإرادة بفعله
٦٩	المقالة السابعة في بيان خروج السالك عن نفسه ومملكه وتسليم الكل إلى الله تعالى
٧٩	المقالة الثامنة في نفي الاختيار عن نفسه في جميع حالاته والتسليم لفعل الله تعالى
٨٥	المقالة التاسعة في بيان الكشف والمشاهدة في الأفعال
٧٩	المقالة العاشرة في بيان مخالفة النفس
١٠٧	المقالة الحادية عشر في الصبر والشهوة
١٠٩	المقالة الثانية عشر في النهي عن حب المال
١١١	المقالة الثالثة عشر في التسليم لأمر الله
١٢٥	المقالة الرابعة عشر في المنع لصاحب الهوى عن إدعاء حالة القوم الكاملين
١٢٩	المقالة الخامسة عشر في الخوف والرجاء
١٣٣	المقالة السادسة عشر في التوكل ومقاماته
١٣٩	المقالة السابعة عشر في بيان معنى الوصول إلى الله تعالى

- ١٤٩ أَلْفَاةُ الثَّامِنَةِ عَشَرَ فِي التَّهْيِ عَنِ الشُّكُوى
- ١٥٧ أَلْفَاةُ الثَّاسِعَةِ عَشَرَ فِي بَيَانِ وَفَاءِ مَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى أَلْبَتَّةَ لِلْعَبْدِ حِينَ ضَعُفَ إِيمَانُهُ، وَالْإِنْتِقَالُ مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ حِينَ قُوَّةُ إِيمَانِهِ وَكَمَالُ يَقِينِهِ
- ١٦٢ أَلْفَاةُ الْعِشْرُونَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعِ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ
- ١٦٧ أَلْفَاةُ الْحَادِيَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي رُؤْيَا قُدْسٍ سِرُّهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ فِي الْمَنَامِ
- ١٦٩ أَلْفَاةُ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ ابْتِلَاءَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِمْ
- ١٧٥ أَلْفَاةُ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ الْقَنَاعَةِ
- ١٨٠ أَلْفَاةُ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي الْحَذَرِ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى
- ١٨٥ أَلْفَاةُ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي تَسْكِينِ الْفَقِيرِ الْمُهَانَ بِالطَّافِ الْمَلِكِ الْمُتَّانِ
- ١٩١ أَلْفَاةُ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي تَفْرِيعِ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى
- ٢٠٣ أَلْفَاةُ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مُمَرَّتَانِ مِنْ غُصْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْخُلُوءُ، وَالْآخَرُ: الْمَرْءُ.
- ٢١٥ أَلْفَاةُ الثَّامِنَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ الْمُجَاهِدَةِ وَالرِّبَاضَةِ
- ٢٢٠ أَلْفَاةُ الثَّاسِعَةِ وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَذَا الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا
- ٢٢٤ أَلْفَاةُ الثَّلَاثُونَ فِي الْجَوَابِ عَنِ الْجَزَعِ وَالْفَزَعِ
- ٢٢٨ أَلْفَاةُ الْحَادِيَةِ وَالْثَلَاثُونَ فِي دَفْعِ الْبُغْضِ عَنِ الْقَلْبِ
- ٢٣٠ أَلْفَاةُ الثَّانِيَةِ وَالْثَلَاثُونَ فِي الْجَوَابِ عَنِ شُبْهَةِ عَدَمِ بَقَاءِ الصُّعْبَةِ وَالْمُؤَدَّةِ وَفَنَاءِ الْمَالِ
- ٢٣٥ أَلْفَاةُ الثَّالِثَةِ وَالْثَلَاثُونَ فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الرِّجَالِ بِأَنَّهَا أَرْبَعَةٌ عَدِيدُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ جَمِيعًا، وَ لِسَانٌ بَلَا قَلْبٍ، وَ قَلْبٌ، بَلَا لِسَانٍ، وَ الْجَامِعُ لَهُمَا، وَالْأَوَّلَانِ شَرَّانِ، وَالْآخِرَانِ خَيْرَانِ.
- ٢٤٣ أَلْفَاةُ الرَّابِعَةِ وَالْثَلَاثُونَ فِي دَفْعِ السَّالِكِ سَخَطَهُ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى وَالتَّهْمَةَ لَهُ وَالتَّشْكِي عَنْهُ تَعَالَى
- ٢٥٣ أَلْفَاةُ الْخَامِسَةِ وَالْثَلَاثُونَ فِي الْوَرَعِ بِتَرْكِ الرُّخْصَةِ وَاخْتِيَارِ الْعَظِيمَةِ
- ٢٥٨ أَلْفَاةُ السَّادِسَةِ وَالْثَلَاثُونَ فِي جَعْلِ الْآخِرَةِ رَأْسَ الْمَالِ وَالدُّنْيَا رِجْلَهُ
- ٢٦٩ أَلْفَاةُ السَّابِعَةِ وَالْثَلَاثُونَ فِي الْمَنْعِ عَنِ الْحَسَدِ

- ٢٧٥ أَلْفَاةُ الثَّامِنَةُ وَالثَّلْثُونَ فِي الصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى
- ٢٧٩ أَلْفَاةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلْثُونَ فِي الْأَخْذِ مَعَ الْهَوَى وَالْأَخْذِ بِدُونِ الْهَوَى
- ٢٨١ أَلْفَاةُ الْأَرْبَعُونَ فِي الْمُنْعِ لِلْسَّالِكِ عَنْ إِدْخَالِ نَفْسِهِ فِي الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ بَقَاءِ بَشَرِيَّتِهِ
- ٢٨٥ أَلْفَاةُ الْحَادِيَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي بَيَانِ الْمَثَلِ لِلْغَى وَالْفَقْرِ
- ٢٩٣ أَلْفَاةُ الثَّانِيَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ لِلنَّفْسِ حَالَتَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهُمَا حَالَةُ الْعَافِيَةِ وَحَالَةُ الْبَلَاءِ
- أَلْفَاةُ الثَّالِثَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ مَنْشَأَ السُّؤَالِ الْجَهْلُ وَمَنْشَأُ الْعِفَّةِ وَفُورُ الْعِلْمِ
- ٣٠١ بِاللَّهِ تَعَالَى
- ٣٠٢ أَلْفَاةُ الرَّابِعَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي بَيَانِ عَدَمِ اسْتِجَابَةِ الْمُسْتَوَلِّ لِلْعَارِفِ
- ٣٠٥ أَلْفَاةُ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي بَيَانِ حَالِ الْمُتَنَعِمِ عَلَيْهِ وَحَالِ الْمُتَبَتِّلِ
- ٣١٧ أَلْفَاةُ السَّادِسَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ الذِّكْرِ
- أَلْفَاةُ السَّابِعَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي سُؤَالِ شَيْخٍ عَنْهُ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي الْمَنَامِ عَنْ سَبَبِ التَّقَرُّبِ إِلَى
- ٣٢٢ اللَّهِ تَعَالَى بِأَيِّ شَيْءٍ هُوَ وَجَوَائِبُهُ قُدِّسَ سِرُّهُ عَنْهُ فِي الْمَنَامِ
- أَلْفَاةُ الثَّامِنَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي بَيَانِ كَيْفِيَةِ السُّلُوكِ بِالْإِسْتِغَالِ بِالْفَرَائِضِ أَوْ لَا ثُمَّ بِالسَّنَنِ ثُمَّ
- ٣٢٣ بِالتَّوَافِلِ ثُمَّ بِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ
- أَلْفَاةُ التَّاسِعَةِ وَالْأَرْبَعُونَ فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ السَّهْرِ عَلَى النَّوْمِ وَحَالِ مَنْ اخْتَارَ النَّوْمَ
- ٣٢٧ عَلَى السَّهْرِ
- ٣٣٠ أَلْفَاةُ الْخَمْسُونَ فِي بَيَانِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْوُصُولِ بِهِ وَالْغَيْبَةِ مِنَ الْقُرْبِ
- ٣٣٥ أَلْفَاةُ الْحَادِيَةِ وَالْخَمْسُونَ فِي بَيَانِ الرَّاهِدِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ لَهُ
- ٣٤١ أَلْفَاةُ الثَّانِيَةِ وَالْخَمْسُونَ فِي بَيَانِ سَبَبِ إِبْتِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَحْبَابِهِ بِالْبَلَايَا
- ٣٤٣ أَلْفَاةُ الثَّالِثَةِ وَالْخَمْسُونَ فِي الرِّضَا بِالْقَضَاوِ الْفَنَاءِ فِي فِعْلِ الْمَوْلَى
- ٣٤٨ أَلْفَاةُ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسُونَ فِي الرُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
- ٣٥٣ أَلْفَاةُ الْخَامِسَةِ وَالْخَمْسُونَ فِي تَرْكِ الْخَطْوَظِ
- أَلْفَاةُ السَّادِسَةِ وَالْخَمْسُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ الْوِصَالَ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْفَنَاءِ عَنِ الْخَلْقِ وَالنَّفْسِ
- ٣٦١ وَالْهَوَى

- ٣٦٧ الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ الْأَحْوَالَ كُلَّهَا قَبْضٌ
الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي الْأَمْرِ بِتَعَامِي السَّالِكِ عَنِ الْجِهَاتِ كُلِّهَا حَتَّى يَصْلَحَ لِفَيْضَانِ
٣٧٥ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُرْبِهِ عَلَيْهِ
- ٣٧٩ المقالة التاسعة والخمسون في بيان التصبر والصبر والرضا والموافقة والفناء
الْمَقَالَةُ السُّتُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ الْبِدَايَةَ هِيَ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَعْهُودِ إِلَى الْمَشْرُوعِ ثُمَّ إِلَى الْمُقْدُورِ ثُمَّ
٣٩١ الرَّجُوعُ إِلَى الْمَعْهُودِ بِشَرْطِ حِفْظِ الْحُدُودِ
الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالسُّتُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُكَلَّفٌ بِالتَّوَقُّفِ وَالتَّقَيُّمِ فِي الشُّرُوعِ فِي
٣٩٩ الْأُمُورِ وَآخِذِ الْفُتُوحِ
- ٤٠٥ الْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَالسُّتُونَ فِي بَيَانِ تَرْكِ الشَّكَايَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- ٤١١ الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالسُّتُونَ فِي بَيَانِ حَالِ مَنَامِهِ
- الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالسُّتُونَ فِي بَيَانِ حَالَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَضَيْقِ الْأَمْرِ عَلَيْهَا يَوْمًا وَمَا
٤١٢ جَرَى فِيهِ
- الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالسُّتُونَ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّسَخُّطِ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى بِسَبَبِ التَّأَخِيرِ فِي اسْتِجَابَةِ
٤١٤ الدُّعَاءِ
- ٤٢١ الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالسُّتُونَ فِي النَّهْيِ عَنِ تَرْكِ الدُّعَاءِ
- الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالسُّتُونَ فِي بَيَانِ الْمُجَاهَدَةِ مَعَ النَّفْسِ وَقَتْلِهَا بِسَيْفِ الْمُخَالَفَةِ وَإِحْيَاءِ اللَّهِ
٤٢٧ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ
- الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالسُّتُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ إِجَابَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَسْئُولِ الْعَبْدِ، وَاعْطَائِهِ لِمَطْلُوبِهِ لَا
٤٣٤ يَدْفَعُ إِرَادَتَهُ تَعَالَى وَمَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ
- الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالسُّتُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ إِجَابَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَسْئُولِ الْعَبْدِ، وَاعْطَائِهِ لِمَطْلُوبِهِ لَا
يَدْفَعُ إِرَادَتَهُ تَعَالَى وَمَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ فِي الْحَثِّ عَلَى أَنْ لَا يَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ
الْمَاضِيَةِ وَالْعِصْمَةَ عَنْهَا فِي الْإِسْتِقْبَالِ وَالتَّوْفِيقَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالشُّكْرَ عَلَى
٤٣٩ النِّعَمَاءِ وَالصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ
- الْمَقَالَةُ السَّبْعُونَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْعُجْبِ بِالْأَعْمَالِ وَرُؤْيَةِ النَّفْسِ فِيهَا وَطَلَبِ الْعَوَظِ عَلَيْهَا
٤٤٥

- أَلْفَاءُ الْحَادِيَةِ وَالسَّبْعُونَ فِي بَيَانِ حَالِ السَّالِكِ بَأَنِّ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُرِيدًا أَوْ مُرَادًا وَ
مَا يَلِيْقُ بِكُلِّ مَنُهَا ٤٤٩
- أَلْفَاءُ الثَّانِيَةِ وَالسَّبْعُونَ فِي بَيَانِ أَقْسَامِ الْمُشْتَغَلِينَ بِالدُّنْيَا عَلَى وَجْهِ التَّشْهِي لَهَا أَوِ التَّنْبِيْ بِهَا
أَوِ الْإِعْرَاضِ عَنْهَا ٤٥٥
- أَلْفَاءُ الثَّالِثَةِ وَالسَّبْعُونَ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَظْهَرُ وَلِيَّهُ وَيُطْلَعُهُ عَلَى عُيُوبِ بَعْضِ أَفْرَادِ النَّاسِ
الْمُدَّعِينَ لِلْمَرَاتِبِ الْكَادِبِينَ فِي دَعْوَاهُمْ ٤٦٢
- أَلْفَاءُ الرَّابِعَةِ وَالسَّبْعُونَ فِي مَا يَنْظُرُ الْعَاقِلُ فِي صِفَةِ نَفْسِهِ وَتَرْكِيبِهِ ٤٦٧
- أَلْفَاءُ الْخَامِسَةِ وَالسَّبْعُونَ فِي الْوَصِيَّةِ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ وَلُزُومِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَ
بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَفِيهَا بَيَانُ حَقِيقَةِ الْفَقْرِ وَحَقِيقَةِ الْغِنَى وَحَقِيقَةِ التَّصَوُّفِ ٤٧٤
- أَلْفَاءُ السَّادِسَةِ وَالسَّبْعُونَ فِي الْوَصِيَّةِ فِي الصُّحْبَةِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ بِالتَّعَزُّزِ وَ مَعَ الْفُقَرَاءِ
بِالتَّذَلُّلِ وَ كَيْفِيَةِ السُّلُوكِ فِي الْمُبْدَأِ وَالْمَعَادِ ٤٨٠
- أَلْفَاءُ السَّابِعَةِ وَالسَّبْعُونَ أَيْضًا فِي الْوَصِيَّةِ بِالْكُفُونِ مَعَ اللَّهِ بِدُونِ الْخَلْقِ وَ مَعَ الْخَلْقِ بِدُونِ النَّفْسِ ٤٩٢
- أَلْفَاءُ الثَّامِنَةِ وَالسَّبْعُونَ فِي وَصِيَّةِ قُدْسِ سِرِّهِ لَوْلَدِهِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بَعْدَ
سُؤَالِهِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ قُدْسِ سِرِّهِمَا ٤٩٩
- أَلْفَاءُ التَّاسِعَةِ وَالسَّبْعُونَ فِي بَيَانِ إِحَاطَةِ قَلْبِ الْعَارِفِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ حِينَ صَحَّ مَعَ اللَّهِ ٥٠١
- أَلْفَاءُ الْعَشْرُونَ فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَ عُلُوِّ رُتْبَتِهِ الْمُتَيْفَةِ ٥٠٣
- أَلْفَاءُ الْحَادِيَةِ وَالْعَشْرُونَ فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَ عُلُوِّ رُتْبَتِهِ الْمُتَيْفَةِ ٥٠٤